

تفسير  
الكشاف

عن قتادة بن عوف عن التستري  
وعنه الأفاويل في وجوه التأويل

وهو تفسير القرآن الكريم: لإمام جليله محمد بن عمر التستري  
المعروف سنة ٥٧٨ هـ

الناشر دار الكتاب العربي  
بيروت - لبنان



# الكشاف

عن حَفَّتِ ابْنِ غَوَا مِصْلَ التَّنْزِيلِ  
وَعَيُّونَ الْأَفَاوِيلِ فِي وَجْهِ النَّوِيلِ

وهو تفسير القرآن الكريم : للإمام جاد الله محمود بن عمر الزمخشري  
المتوفى سنة ٥٢٨ هـ.

وبذيله أربعة كتب :

الاول : الانتصاف : للإمام احمد بن المنير الاسكندري.  
الثاني: الكافي الشاف في تخريج احاديث الكشاف: للحافظ ابن حجر العسقلاني.  
الثالث : حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشاف.  
الرابع : مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان المذكور.

## الجزء الاول

الناشر دار الكتاب العربي  
بيروت - لبنان



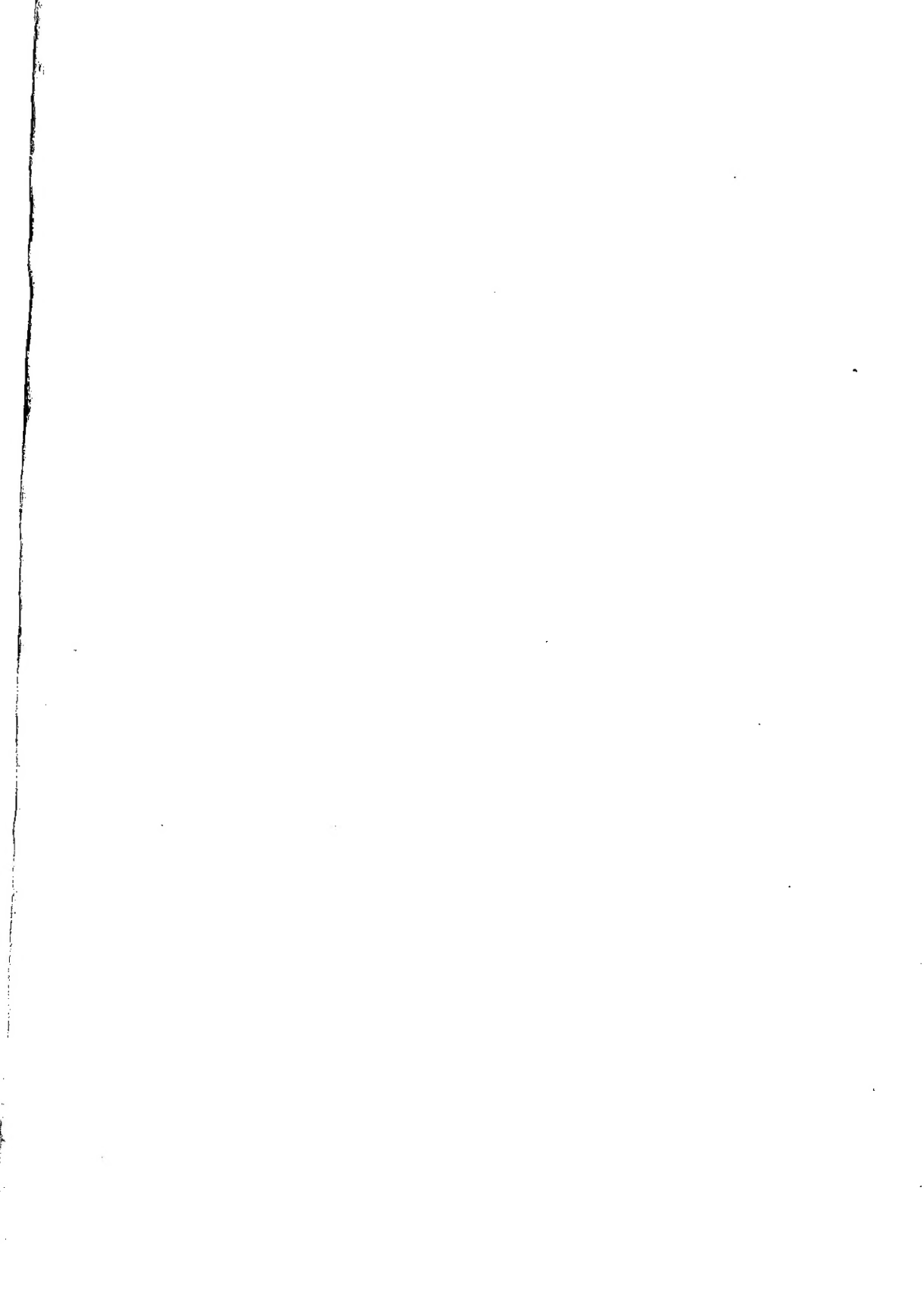
127  
130  
14  
223  
1141  
112

CORNELL  
UNIVERSITY  
LIBRARY



BOUGHT WITH THE INCOME  
OF THE SAGE ENDOWMENT  
FUND GIVEN IN 1891 BY  
HENRY WILLIAMS SAGE







فهرست

## الجزء الأول

من تفسير الكشاف للزمخشري

ص	مقدمة الطبع
ج	ترجمة المصنف
هـ	المقدمات
ي	تفسير سورة الفاتحة
١	سورة البقرة
١٩	سورة آل عمران
٣٣٥	سورة النساء
٤٦١	سورة المائدة
٦٠٠	



# الكشاف

عن  
حقائق التنزيل وعيون الأفتاويل  
في  
وُجُوه التَّأْوِيل

تأليف  
أبي القاسم جارا الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي  
٤٦٧-٥٣٨ هـ

ومعه :

١ - حاشية السيد الشريف على بن محمد بن علي السيد زين الدين أبي الحسن  
الحسيني الجرجاني

٢ - كتاب « الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال » للإمام ناصر الدين  
أحمد بن محمد ابن المنير الإسكندري المالكي

وبآخره « تنزيل الآيات على الشواهد من الآيات » للعالم المدقق محب الدين أفندي

الجزء الأول

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ

(سورة النحل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال جارا الله العلامة ، أحسن الله إكرامه فى دار المقامة : ( الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ) دل بلامى الجففس والملك على اختصاص الحمد به تعالى ، ثم وصفه بإنزال القرآن وتنزيله ، وما أردفهما به رعاية لبراعة الاستهلال ، وتنبيها على أنه نعمة جزيلة تستحق أن يحمد عليها ، وذكر للقرآن أوصافا كمالية تناسب إعجازه الذى سيصرح به ، ويشد من أعضاء كونه نعمة محمودا عليها ولما كانت هذه الصفات تدل على حدوثه كما هو مذهبه ، وكان معتنيا بإظهاره ومفتخرا به ، أشار إليه بحملة اعتراضية ، ونبه أن الحدوث إنما لزمه لتنزه ذاته سبحانه عن الشركة فى صفة القدم لا لنقصان فيه ، وهذه جمل من مقاصده سترد عليك تفاصيلها وبالله التوفيق .

( قوله أنزل ) يروى أنه وقع فى أم النسخ خلق مكان أنزل ثم غيره المصنف ، فإن صح ذلك فالتغيير لفوائد الأولى : أن الخلق إذا نسب إلى ما هو جنس القول فقد يراد به معنى الاختلاق ، يقال خلق هذا الكلام واختلقه : أى افتراه ، فلا يحسن استعماله فى هذا المقام وإن أريد به معنى آخر . الثانية : أن كون القرآن حادثا أمر شنيع عند الخصم ، فأراد أن يكتمه أولا ثم أن يظهره بعد سوق مقدمات مسلطة عنده ومستلزمة للحدوث فى نفس الأمر ، فإن ذلك أقوى فى استدراجه إلى التسليم من حيث لا يشعر به . الثالثة : الاحتراز عن التكرار ، إذ قد حكم فيما بعد بحدوثه . الرابعة : أن الإنزال أدخل فى كون القرآن نعمة علينا وأقرب إلينا لتأخره عن الخلق . الخامسة : أن الحمد على إنزاله وارد فيه دون الحمد على خلقه . السادسة : أن «أنزل» أحسن التثام مع نزل لما بينهما من الصنعة الاشتقاقية . السابعة : أن فى الجمع بين الإنزال والتزيل إشارة إلى كيفية النزول على ما روى من أن القرآن أنزل جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، وأمر السفرة الكرام بانتساخه ، ثم نزل إلى الأرض نجوما فى ثلاث وعشرين سنة ، وذلك



أن الإنزال وإن كان مطلقا لكنه إذا قوبل بالتنزيل الدال هاهنا على التدرج فيما بين أجزاء القرآن ، إما لدلالته على التكثير ، وإما لما قيد به من التنجيم تبادر منه الإنزال دفعة .

فإن قلت : الموصوف بالحركة حقيقة هو المتحيز بالذات من الجواهر الأفراد وما يتركب منها دون الأعراض ، فإنه يمتنع فيها ذلك سواء كانت أجزاؤها مجتمعة كاللون أو سيالة كالصوت الذى هو جنس الكلام ، فكيف يتصور إنزال القرآن وتنزيله مع أنهما تحريك من علو إلى أسفل .

قلت : ذلك مبنى على متعارف أهل اللغة ، حيث يصفون الكلام بما يوصف به مبلغه فيقولون : نزل إلينا من القصر حكم الأمير ، وكلامه على سبيل الإسناد المجازى ، وصاحب الكشف جعل وصفه بالتنزيل من هذا القبيل ، وحمل الإنزال على إظهاره فى اللوح المحفوظ ، زاعما أن القرآن حركة معنوية وهى الظهور بعد الكون لازمانا بل ذاتا ، وأن تلك الحركة من الأعلى رتبة وشرفا ، لأن علو مرتبة واجب الوجود تعالى والقلم الأعلى على اللوح لا يخفى ، وتفسير كلامه على ما نقل عنه : أن القرآن كان كامنا فى العلم الإلهى ثم أظهره الله تعالى بواسطة القلم الذى هو العقل الأول فى اللوح المحفوظ الذى هو نفس الكل ، وهذا الظهور ليس بزمانى لأن الزمان مقدار حركة الفلك الأعظم وهو متأخر عما ذكر بمراتب . ويرد عليه أنه مبنى على قواعد الفلسفة ، وأن كونه فى علم الله لا بد أن يكون أزليا ، فإذا لم يتأخر الظهور فى اللوح عن الكون زمانا بل ذاتا كان أزليا ، إذ لو كان حادثا لكان متأخرا زمانا اتفاقا ، فيلزم قدم اللوح والقلم وذلك باطل قطعاً . والقرآن فى اللغة مصدر بمعنى الجمع ، يقال قرأت الشيء قرآنا : أى جمعته وبمعنى القراءة يقال : قرأت الكتاب قراءة وقرآنا ، ثم نقل إلى هذا المجموع المقروء المنزل على الرسول صلى الله عليه وآله ، المنقول عنه تواترا فيما بين الدفين وهو المراد ههنا . وقد يطلق على القدر المشترك بينه وبين بعض أجزائه الذى له نوع اختصاص به . وما يقال من أن إثبات القرآن لما كان بالشرع وقد دل الشرع على اتصافه بصفات توجب حدوثه ، وكان مقصود المصنف تفسير ذلك الحادث ، صدر كتابه ببعض تلك الصفات مراعاة لبراعة الاستهلال ودلالة على ما هو أشهر مقاصد المعتزلة فى علم الكلام ، أعنى مسألة حدوث القرآن فليس بشئ . أما أولا فلأن القرآن عند المصنف هو هذه العبارات المنظومة ، وهى معجزة اتفاقا ، ومن شرط المعجزة أن تكون صادرة من الله تعالى ، لأنها تصديق فعلى منه يجرى مجرى التصديق القولى كما بين فى موضعه ، فهذه المعجزة ما لم تعلم أنها من الله تعالى تصديقا لمدعى الرسالة لم تثبت النبوة التى يتفرع عليها الشرع فكيف يجوز إثباتها به . ولتميمه أن وجود العبارات معلوم بحسب السمع وإعجازها ، إما بالدق السليق أو المكتسب ، وإما بالاستدلال كما ستعرفه ، وإذا علم إعجازها علم أنها ليست بكلام البشر ، وأنها كلام خالق القوى والقدر كما نص عليه العلامة فيما بعد ، فتكون هى معجزة من عند الله دالة على صدق مدعى النبوة ، فالعلم بثبوت الشرع يتوقف على العلم بثبوتها وإعجازها وكونها من الله ، فلا يصح إثبات شئ من ذلك بالشرع . لا يقال نحن ثبت الشرع بمعجزة أخرى ثم ثبت به القرآن أو نثبت بعض القرآن ثم نثبت به البعض الآخر . لأننا نقول : الأول باطل محض ، لأنه بناء للشئ على ما هو دونه ، فإن القرآن أبهر المعجزات وأظهر الدلائل . والثانى تحكم بحت ، والتشبه بأمثال ذلك كتسلك الفريق بما لا يجديهم نفعا ، إذ لا يشبهه على أحد أن المعجزة لأن تثبت بها الشرع لا لأن تثبت بالشرع ، نعم إثبات القرآن بمعنى الكلام

ونزله بحسب المصالح منجما ، وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختما ،

النفسى عند القائل به إنما هو بالشرع ، وأما ثانيا فلأن اتصاف القرآن بما ذكر من التأليف والتنظيم والتنجيم مثلا أمر ظاهر مكشوف ليس مما يستفاد من دلالة الشرع عليه .

واعلم أن للمعزلة على حدوث القرآن دليلا عقليا هو تركبه من أجزاء يمتنع اجتماعها في الوجود كما سيأتيك تقريره ، ودليلا سمعيا كقوله تعالى - ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث - فالأول استدلال على حدوثه بما علم إتصافه به عقلا ، والثاني استدلال بما ورد في الشرع ودل على حدوثه لاعلى اتصافه بما يوجب حدوثه كما توهمه هذا القائل

فإن قيل : إذا كان القرآن عندهم حادثا لم يكن قائما بالله لتعاليه عن قيام الحوادث بذاته فلا يكون كلاما له . قلنا : إنهم يجوزون قيام كلام الله بغيره ويقولون هو متكلم ، بمعنى أنه موجد للكلام لأنه محل له . ويرد عليه أن المتكلم على قاعدة اللغة في المشتقات كالمتحرك والأسود من قام به الكلام لا من أوجده ، ومن ههنا ينتظم برهان على إثبات الكلام النفسى . والكلام في اللغة اسم جنس يقع على القليل والكثير . وعرفه بعض الأصوليين بأنه المنتظم من الحروف المسموعة المتميزة ، وقد يزداد قيدان آخران فيقال : المتواضع عليها إذا صدرت عن واجد قادر ، ويطلق في عرف النحاة على ما يفيد فائدة تامة ، والمراد ههنا المعنى الأول الذى باعتباره يوصف صاحبه بأنه متكلم ويقابل الأعجم والأخرس و ( كلاما مؤلفا ) إما حال موطئة كما صرح به الزمخشري في قوله - إنا أنزلناه قرآنا عربيا - وإما حال مؤكدة تقرر ما تضمنه القرآن خصوصا على زعمه ، ولا بعد في محيىء المؤكدة بعد الجملة الفعلية كقوله تعالى - قائما بالقسط - على ما صرح به أيضا ، وأما النصب على البدلية أو على المدح ففيه فوات الملاءمة مع ما يناظره في القرينة الأخرى ، أعنى منجما فإنه حال قطعاً . والتأليف جمع أشياء متناسبة كما يرشد إليه اشتقاقه من الألفة ، والمراد به مطلق التركيب من المفردات والجمل . والتنظيم فوق التأليف لأنه من نظم اللؤلؤ ونحوه ، فيراعى فيها مع المناسبة الجنسية وضع أنيق وترتيب بهيج ، والمراد جودة التركيب وحسنه برعاية مقتضى الحال والتطبيق على الأغراض ، فهو من باب عالم تحرير ، والأشبه أن يراد بالتأليف فيما بين المفردات لتحصيل جملة مفيدة والتنظيم فيما بين الجمل ، إذ قد يحتاج ههنا إلى مزيد تأتى فيكون من قبيل التأسيس بخلاف الأول ، ويتضمن أيضا مشابة ظاهرة بين آحاد الجمل المناسبة التى يستقل كل منها بفائدة معتد بها وبين فرائد الآلى المتناسقة ( قوله بحسب المصالح ) أى بقدرها وعددها ، يقال ليكن عملك بحسب ذلك : أى على قدره وعدده ، والسين فيه مفتوحة وربما سكنت في ضرورة الشعر ، والظرف أعنى « بحسب » متعلق بقوله منجما أى موزعا مفرقا بعدد المصالح ، والنجم في الأصل الكوكب ، ثم نقل إلى الوقت المضروب المعين إذ يتعرفون الأوقات بالنجوم ، فقليل نجوم الكتابة للأوقات المعينة لأداء حصصها ، ثم استعمل في تلك الحصص المؤداة في تلك الأوقات ، ثم اشتق الفعل فقليل نجم الكتابة أو الدية : أى وزعها حصصا وأداها دفعات ( قوله وجعله بالتحميد ) أى جعله مفتتحا بالسورة المشتملة على التحميد ، ولذلك سميت السورة فاتحة الكتاب ، وجعله ( مختما ) بالسورة المشتملة على الاستعاذة فكانت خاتمة الكتاب قياسا على فاتحته ، ولم يرد أن لفظ التحميد أول جزء منه ليدل على أن التسمية ليست جزءا من سورة الحمد . ولا أن لفظ الاستعاذة آخر جزء منه ليجتاز في توجيهه إلى أن ما بعد الاستعاذة إلى آخر السورة متعلق بها فهو من تتمتها ، وفي نسبة الجعل إلى الله سبحانه إشارة إلى أن ترتيب القرآن في المصحف على هذا الوجه

وأوحاه على قسمين : متشابهاً ومحكماً ، وفصله سوراً ، وسوره آيات ، وميز بينهن بفصول وغايات ،

المطابق لما في اللوح المحفوظ كان بأمر من الله وتعليم الرسول ( قوله وأوحاه ) تقول : وحيث إليه كلاماً وأوحيت : إذا كلمته بكلام تخفيه عن غيره ( قوله على قسمين ) ظرف مستقر وقع حالاً عن المفعول ، و ( قوله متشابهاً ومحكماً ) معا بدل عن الحال : أى أوحاه متشابهاً ومحكماً ، وجوز النصب على التمييز من قسمين : لنوع إيهام فيه ، أو على المدح . واستعماله منكراً أكثر ، أو على أنه حال من المستتر في على قسمين ، وفيه بعد لأن تقييد كونه على قسمين بأنه في حال كونه قسمين مخصوصين مما لا يرتضيه ذوق سليم ، أو على أنه حال أخرى مرادفة للأولى . ولا يخفى أن الإبدال أوقع في المعنى من جعل الأولى مقصودة بذاتها ، أو على أنه بدل من محل المجرور ، فإنه منصوب المحل بإيصال الجار معنى الفعل إليه ، كما عطف على محله في قولك : مررت بزميد وعمرا : أى جاوزت زيدا وعمرا ، وفيه ضعف ظاهر ، إذ ليس لتقدير الناصب هنا ظهور كما في المثال المذكور . ومنهم من قدر الكلام في الوجه الأخير هكذا أوحاه على متشابه ومحكم . واعتبر ض عليه بأن هذا التقدير إنما هو على الإبدال من لفظ المجرور لو كان صحيحاً لا على الإبدال من محله . فأجاب بأن المنصوب المحل هو المجرور وحده ، فالتابع للمحل بمنزلة الواقع بعد حرف الجر ، أو لا ترى أن معنى قوله : يذهبن في نجد وغورا غائرا \* في غور ، وهو مردود بأن التابع المنصوب لفظاً لما هو منصوب محلاً يحتاج إلى تقدير عامل ينصب المتبوع أولاً ثم ينصب التابع إما بانسحاب أو بتقدير مثله ، فالتابع للمنصوب بمنزلة متبوعه من حيث هو منصوب لا من حيث هو مجرور ، فلا مجال لاعتبار الجار في التابع المذكور من حيث هو كذلك . وأما أن قوله غورا معناه في غور فلأنه ظرف لا بد فيه بحسب المعنى من تقدير في ، سواء كان معظوماً على محل المجرور كما في البيت ، أو على منصوب لفظاً كما لو قيل : يذهبن نجد وغورا غائرا . وقد فسر في آل عمران المحكم بما أحكت عبارته بأن حفظت عن الاحتمال والاشتباه ، والمتشابه بما تكون عبارته مشتبهة محتملة ، فقوله والاشتباه عطف تفسيري كما تشعر به عبارته في تفسير المتشابه ، فالمحكم عنده ما ليس فيه اشتباه والتباس : أى هو المتضح المعنى ، والمتشابه خلافه فيندرج في المحكم النص والظاهر ، وفي المتشابه المجهل والمؤول كما هو المصطلح عليه في أصول الشافعية ، ولتقابلهما يشملان جميع أقسام النظم المذكور في أصول الخفية ( وفصله سوراً وسوره آيات ، وميز بينهن بفصول وغايات ) سوراً إما حال أو مفعول ثان على التضمين : أى جعله سوراً أو تمييزاً : أى فصل سورته ، وسيرد عليك في الكتاب معنى السورة في تفسير قوله - فأتوا بسورة من مثله - وهناك تذكر ما قيل في معنى الآية والضمير في بينهن للسور والآيات معا . وأراد بالفصول أو آخر الآي لأنها تسمى فواصل ، وبالغايات أو آخر السور ، والمعنى أوقع التمييز بين السور بعضها مع بعض بالغايات ، وبين الآيات بعضها مع بعض بالفصول . وقد يقال الضمير للآيات وحدها وأراد بالفصول الوقوف وبالغايات فواصل الآي .

فإن قلت : مساق الكلام يقتضي أن يكون لما وصف به الله تعالى كالإنزال والتزيل ولما وصف به القرآن من التأليف والتنظيم مدخل في اقتضاء الحمد فما وجهه ؟

قلت : لما كان القرآن مرشداً للعباد إلى مصالح المعاش والمعاد كان إنزاله عليهم نعمة جزيلة وكونه مؤلفاً منظماً من مفردات وجل على أحسن وجوه البلاغة وسيلة إلى أن تدرك منه مقاصد دينية ودينية على أبلغ وجه وأكمله فيوجب زيادة في تلك النعمة ، وتزيله منجماً على حسب الحوادث فيه تسهيل ضبط الأحكام والوقوف على دقائق نظم الآيات . وفي الافتتاح بالتحميد تنبيه للتألي على أن يحمد الله على نعمة التوفيق استجلاباً للمزيد واستدامة للعتيد ، وفي الاختتام



وما هي إلا صفات مبتدأ مبتدع ، وسمات منشأ مخترع فسبحان من استأثر بالأولية والقدم ، ووسم كل شيء سواء ؛ بالحدوث عن العدم .

بالاستعاذة حث لمن ختم القرآن على أن يستعيز بربه من وسوسة الشيطان ونفخه ، وإشارة لطيفة إلى أن العود إلى بدئه أحد . وأما إيجاده محكما متشابها في المحكم سهولة الاطلاع على المقصود مع طمأنينة قلب وثلج صدر ، وفي المتشابهة فوائد أشار إليها العلامة يعني المصنف : منها ما في تقادح العلماء وإتباعهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجلية والعلوم الحجة ونيل الدرجات . وأما تفصيله سورا وسوره آيات فسيأتي في الكتاب أن فيه تنشيط القارئ واغتراب الحافظ وتلاحق الأشكال والنظائر إلى غير ذلك ( قوله وما هي إلا صفات مبتدأ مبتدع وسمات منشأ مخترع ) أشار به إلى أن هذه الصفات المذكورة للقرآن من كونه مؤلفا منظما ، وكونه منزلا منجما ، وصيرورته مفتتحة ومختمة ، وانقسامه إلى متشابه ومحكم ، وكونه مميزا مفصلا تدل على حدوثه لاستلزامه تركيبه من أجزاء يمتنع اجتماعها في الوجود ، فالمتأخر عند وجود المتقدم معدوم ، والمتقدم عند وجود المتأخر منتف ، وكل واحد منهما حادث ، لأن العدم يناق القدم سابقا ولاحقا : وأيضا المتأخر مسبوق بعدمه المقارن لوجود المتقدم فهو حادث قطعا ، والمتقدم لا يتقدمه إلا بزمان قليل ، فيكون حادثا أيضا ، وكذا المركب منهما . لا يقال الاستدلال بهذا الطريق يكفيه تركيبه من الحروف والكلمات المتنوعة الاجتماع كما هو المشهور في الكتب الكلامية ، فأى فائدة لساثر الأوصاف . لأننا نقول : قد سبق أن هذه الصفات كلها مسرودة ، لكونها أوصافا كمالية للقرآن ، مناسبة للإعجاز مقتضية للتحقق عليه ، فليس إثبات حدوثه مقصود بالذات ، ولذلك جعله جملة معترضة فلا استدراك ، على أن الاستظهار في إثباته مطلوب عنده ، فكأنه قال : لا يجتمع من القرآن مفرد مع مفرد ، ولا جملة مع جملة ، ولا ما نزل في حادثه مع ما نزل في أخرى ، ولا فاتحة مع خاتمة ، ولا متشابه مع محكم ، ولا سورة مع سورة ، ولا آية مع آية ، وفي ذلك مع رعاية تلك المقاصد مبالغة في ذكر الصفات المستلزمة للتحري ، كما بالغ في اقتضاها الحدوث بقوله « وما هي » الخ . وقد وجه الكلام بأن دلالة الإنزال على الحدوث من حيث إن الحركة المكانية مختصة بالأجسام وما يحل فيها وهي حادثة اتفاقا ، وأما دلالة سائر الأوصاف من حيث إنها مستلزمة للتركيب المستلزم للإمكان الذي يلزمه الحدوث بناء على امتناع تعدد القديم ، ورد عليه بأن الخصم لا يساعده على أن كل ممكن حادث ، ويجوز تعدد القدماء . ثم إن الاستدلال بهذه الصفات إنما هو على حدوث العبارات المنظومة ردا على الحنابلة ومن يحدو حنوهم حيث زعموا أنها قديمة قائمة بذاته ، لا على القائلين بالكلام النفسى لا عترافهم بحدوث هذه العبارات ويسمونهم كلاما لفظيا لكنهم يدعون أن هناك كلاما نفسيا قديما قائما به تعالى ، ولا خفاء أن الصفات التي استدلت بها على الحدوث مخصوصة بالقرآن اللفظي ، ولا دلالة لها على انتفاء القرآن بمعنى الكلام النفسى ، ومن حكم بأن قوله « وما هي إلا صفات » من قصر الصفة على الموصوف ، فقد نظر إلى حاصل المعنى كأنه قال : محصول كلامه أن هذه الصفات مختصة بالحادث لا توجد في غيره ، وكل ما يوصف بها كان حادثا ؛ فالرد عليه بأنه من قصر الموصوف على الصفة دون العكس قصور على ظاهر مفهوم العبارة « المبتدأ » ماله بدء زمان : أى أول زمان وجود و « المبتدع » ما أخرج عن العدم بديعا أى ممتازا بنوع حكمة فيه . و « المنشأ » المحدث من النشء وهو الظهور والارتفاع و « المخترع » ما روى تأتى وتعمل في إخراجه من العدم مأخوذ من الخرع بمعنى الشق ، وإذا استعمل بالنسبة إليه تعالى ما يدل على تكلف وطلب يراد به ما يلزمه من كمال الصنع وجودة المصنوع لأنه تعالى منزله عن التروى والاعمال ( قوله فسبحان من استأثر بالأولية والقدم ووسم كل شيء سواء بالحدوث عن العدم ) هذه

أنشأه كتابا ساطعا تبياناه ، قاطعا برهانه ، وحيا ناطقا ببيانات وحجج ، قرآنا عربيا غير ذى عوج ، مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية ، مصداقا لما بين يديه ، من الكتب السماوية ، معجزا

الفاء فصيحة من باب : فقد جئنا من خراسانا : أى إذا كان القرآن مع علو شأنه ورفعة مكانه وكونه أقرب الأشياء إليه تعالى محدثا ، فليتعجب المتعجبون من تفرده تعالى بصفة القدم ووسم جميع ماعداه بنقيصة سبق العدم ، أو إذا كان كذلك فأنزهه عن كل وصمة وأبرئه عن كل نقيصة ، وفيه رمز كما مر إلى أن الحدوث إنما لزم القرآن لاقتضاء ذاته تعالى التنزه عن الشركة في صفة القدم لا لنقصانه في نفسه ، بل هو كامل في بابه كما نبه عليه حيث أردف المبتدأ بالمبتدع ، والمنشأ بالمتخترع . و « الاستثثار » التفرّد والاستبداد . و « الأولية » السبق على ماسواه . و « القدم » على المسبوقية بالعدم ، وهما متلازمان وجودا لا مفهوما ، فإن ما كان سابقا على جميع ماعداه كان قديما إذ لو كان حادثا لم يكن سابقا مطلقا لوجود القديم ، وما كان قديما كان سابقا على جميع ماسواه لا متنازع تعدد القدماء المتغايرة . ولما كان القدم هو المقصود جعل الأولية توطئة له ترقيا في الكلام . و « الشيء » في اللغة كما صرح به في سورة البقرة والأنعام يقع على المحال والمستقيم والجرم والعرض ، فيختص هاهنا بالموجود بقرينة الحدوث عن العدم كما خص بالمستقيم في قوله تعالى - والله على كل شيء قدير - بقرينة القدرة ، وأما الشيء بالمعنى المذكور في علم الكلام ، فما لا يلتفت إليه في أمثال هذا المقام وفي دعوى استثثار الذات بالقدم واتسام كل موجود سواه بالحدوث زيادة مبالغة في حدوث القرآن ، وردّ على مثنى صفات زائدة على ذاته تعالى قديمة . والمراد بالسبق والقدم والحدوث ما هو بحسب الزمان ، لأنه المتبادر عند الإطلاق ؛ فقوله « بالحدوث عن العدم » تنصيب على المراد بعد ظهوره ورعاية للسجع ( قوله أنشأه كتابا ) هو مع ما في حيزه بدل من أنزل ، وما عطف عليه رجع به إلى ما كان فيه من بيان اتصاف القرآن بصفات الكمال بعد ما وقع في البين من إثبات الحدوث وما تبعه من تزيه الله تعالى ، وقصد في هذا البذل أن اتصافه بتلك الأوصاف الجليلة من التأليف والتنظيم والتنظيم والافتتاح والاختتام والتفصيل والتمييز إنما كان ليكون نظمه في إفادة معناه كاملا بسطوع تبياناه ، ومعناه وأما بما قصد به من الغرض بقطعية برهانه ، واشتماله على بينات المنقول وحجج المعقول ، وتباعده عن شوائب العوج ، وكونه مفتاحا لمنافع الدارين ، ومصدقا لسائر الكتب المنزلة قبله ، بل ليكون نظمه البليغ في إفادة ذلك المعنى الوفى بالغأ حد الإعجاز ، ويقترب بذلك وعد كونه تبياناً لكل شيء بالإيجاز ، وإنما قال أنشأه : أى أحدثه ابتهاجا بما أثبتته من معتقده ، وإن كان المقصود الأصلي هو القيود المذكورة لا كونه محدثا ، وهذه المنصوبات : أعنى كتابا ووحيا وقرآنا ومفتاحا ومصدقا ، أحوال مترادفة أو مفاعيل ثانية بأن يضمن أنشأ معنى جعل وصير ، والمراد إنشاؤه على هذا الوجه لا نقله من وجه آخر إليه ، وفي ترك العطف إشارة إلى أن كل واحدة منها صفة كمال على حدة ( قوله معجزا ) إما أن ينخرط معها في سلكها ، وإما أن يكون بدلا منها بأسرها ، كأنه قال أنشأه معجزا . يقال سطع الصبح يسطع سطوعا : إذا ارتفع ، شبه تبيان القرآن بتباشير الصبح المرتفعة في الوضوح والانجلاء ، وأثبت له السطوع تحيلا ، وعبر عن الدلائل الثقيلة بالبينات لظهورها ، وعن العقلية بالجحجج ، إذ بها الغلبة على المخالف مطلقا ، وقدم الأولى لأنها أكثر في القرآن ولترقي ورعاية السجع . وقيل ما ثبت به الدعوى يسمى بينة من حيث إفادته للبيان ، وحجة من حيث يغلب به على الخصم ، فالعاطف بينهما حينئذ قد توسط بين صفات ذات واحدة ، والقرآن مفتاح يفتح به باب الشريعة المشتملة على كل خير وسعادة في الآخرة والأولى ، ومصدق

باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان ، دائر من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان ، أفهم به من طوبى بمعارضته من العرب العرباء ، وأبكم به من تحدى به من مصارع الخطباء ، فلم يتصد للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحاءهم ، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على أنهم كانوا أكثر من حصي

الشيء ما يصدقه ويبين صدقه كأنه آله لصدقه ، والقرآن بإعجازه مستغن في صدقه عن شهادة غيره ، وبتصديقه لما تقدمه من الكتب السماوية شاهد صدق لها ومصدقها ( بين يديه ) حقيقة في المكان ثم اشتهر للزمان المتقدم مستعارا ( قوله دون كل معجز ) ظرف مستقر وقع حالا من المستكن في باقيا : أى متجاوزا في البقاء سائر المعجزات ، وكذا قوله من بين مستقر وقع حالا من المستر في دائر : أى منفردا في الدوران من بين سائر الكتب الإلهية ، إذ لم يعهد جريان باقى الكتب على ألسنة أرباب اللغات المتخالفة في الدهور المتطاولة ( قوله وجه الزمان ) استعارة بالكناية وتخيل ، شبه الزمان لظهور بعض الأشياء الموجودة فيه دون بعض شيء له ظاهر يبدو ماعليه وباطن يستتر ما فيه ، فأثبت له الوجه من قولهم وجه الأرض لظاهرها فإنه شائع الاستعمال فيه ، وجعل القرآن موضوعا عليه مبالغة في ظهوره . وقد تخيل بعضهم أن الوجه إما تخيل وإما مستعار للظاهر المكشوف من الزمان ، وذهب عليه أن الزمان لا ينقسم إلى ظاهر مكشوف وإلى باطن مستور ، فإذا جعل الوجه بمعنى الظاهر كان تخيلا لا قسما له ( قوله أفهم به ) إما صفة ثالثة لمعجزا عدل فيها إلى الحملة الفعلية للملاحظة الحدوث وجاز وصفه لكونه بمنزلة الاسم كالممكن ونظائره ، وإما استئناف بيان لإعجازه على سبيل الإجمال كأنه قيل : لم قلت إنه معجز وبم عرفت ذلك ؟ فأجاب بأنه أفهم : أى أسكت ، ثم ترقى فقال أبكم ، وأخذ من بكم قياسا إذ لم يشتهر فعل بنى منه سوى ما نقله في الأساس من قوله : تكلم فلان فتبكم عليه : إذا أرتج عليه ، وقد يجعل استعماله إياه بمنزلة روايته له فإنه ثقة في اللغة ( المعارضة ) أن يأتي إلى صاحبه بمثل ما أتى به ( العرب العرباء ) هم أخلص منهم كالعرب العاربة ، أخذ من لفظه فأكد به كقولك : ظل ظليل ، وليل أليل . وفائدة لفظة به بعد أفهم وأبكم الإشعار بأن إعجاز القرآن كما هو المختار المشار إليه بسياق كلامه إنما هو بكلام بلاغته ، لا بالصرفة كما يتوهم من إسناد الإفحام والإبكام إليه تعالى لولا تمييزهما بالظرف . والتحدى طلب المعارضة وأصله في الحادين ، يقال خطيب مصقع : أى بليغ مجهر بخطبته ، إما من صقع الديك إذا صاح ، وإما من الصقع بمعنى الجانب ، لأنه يأخذ في كل جانب من الكلام ، وإما من صقعه إذا ضرب صوقعته : أى وسط رأسه كما يأتي في قراءة من قرأ - من الصواقع حذر الموت - ( فلم يتصد ) يتعلق بأفهم ولم ينهض بأبكم ، وتلخيص معناه أنه طوبى بمعارضته فصحاء العرب فأفهمهم ، فلم يتعرض للإتيان بما يساوى القرآن أو يقاربه واحد منهم ، وتحدى به بلغاؤهم فأبكمهم به ، فلم يقد بمقدار أقصر سورة ناهض منهم . ففي الكلام ترقى حيث نسب الإفحام إلى فصحاءهم وأظهر عجزهم عن مجموعهم ، ثم نسب الإيكام إلى بلغائهم وبين قصورهم عن أقصر سورة ( على أنهم ) حال من البلغاء لأنه فاعل في المنعنى : أى لم ينهض بلغاؤهم على أنهم كانوا : فالضمير لهم أو من البلغاء والفصحاء معا فالضمير لهما جميعا ، فالعامل في الحال على الوجهين معنى النفي : أى تركوا التصدى والنهوض حال كونهم كذا ، لا المنفى لفشاد المعنى ، وجدوى هذه الحال إزالة ماعسى أن يتوهم من أنهم ربما كانوا قليلين يمكن أن يغلب عليهم واحد من جنسهم فلا يثبت الإعجاز لعجزهم وكلمة على في « على أنهم » تدل على رسوخهم في صفة الكثرة واستقرارهم واستعلائهم عليها : فما قيل من أنها بمعنى



البطحاء ، وأوفر عددا من رمال الدهناء ، ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتباههم بالإفراط في المضادة والمضارة وإلقائهم الشرائر على المعازة والمعاراة ، ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط ، وركوبهم في كل ما يروونه الشطط ، إن أناهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر ، وإن رماهم بمأثرة ربموه بمآثر ، وقد جرد لهم الحججة أولا والسيف

مع فهو حاصل المعنى ، وسيأتيك في نظيرتها زيادة تحقيق لها ، و(البطحاء) مسيل واسع فيه دقاق الحصى ، و(الدهناء) بالمد وقد تقصر أرض ببلاد تميم ذات رمال كثيرة ، و(لم ينبض) أى لم يتحرك عطف على لم يتصد مع ما عطف عليه والضمير في (منهم) للفصحاء والبلغاء مضامين إلى العرب العرباء كأنه قيل : ولم ينبض من فصحاءهم وبلغائهم ، فيظهر رجوع الضمائر في قوله «مع اشتباههم» وما بعده إلى العرب العرباء مطلقا على ما ينبغى من غير تفكيك بينها في النظم ، و(العصبية) الحماسة وإضافة العرق لأدنى ملاسة : أى العرق الذى يتحرك عندها ، وجاز أن يكون عرق العصبية استعارة مكنتية وتخيلية ولم ينبض ترشيحا (مع اشتباههم) حال من الضمير المجرور في منهم ، وفائدتها دفع ما ربما يتخيل فيهم من المساهلة في تلك المعارضة والحماسة (المضادة) (المعاداة) (المضارة) (الضرار) ، و(الشرائر) الأثقال واحده شريرة ، يقال ألقى عليه شريره : أى ثقله وجملته حرصا ومحبة (المعازة) بالزى المعجمة المغالبة ، وبالراء المهمل المضايرة ، من قولهم فلان يعرّ قومه : أى يدخل عليهم مكروها ، أراد أنهم كانوا أعلاما في المغالبة والعصبية ، يتحركون في الحماسة حرصا بالكلية ، ثم لم يتحرك في معارضة القرآن أضعف عضو منهم لنتاهى عجزهم في هذه القضية ، وإنما تنجلي هذه النكتة على تقدير الإضافة لأدنى ملاسة لا على التخيل ، لأن العرق حينئذ للعصبية لا لهم (دون المناضلة) أى قدام المراماة والمدافعة وفي أدنى مكان منها ، و(الحسب) ما يحسبه الإنسان : أى يعدّه من مفاخر نفسه أو آبائه ، و(الخطط) عظام الأمور وشدايدها جمع خطة بالضم ، و(الشطط) مجاوزة الحد ، و(المفخرة) بفتح الخاء وضمها وكسرها كل خصلة يفتخر بها ، و(المأثرة) بالضم والفتح المكرومة لأنها تؤثر : أى تذكر ، والشرطيتان أعنى إن أناهم وإن رماهم بيان وتحقيق لما تقدمهما من الإفراط في المضادة وإلقاء الشرائر على المعازة وإلقاء الخطط في المحافظة على الأحساب والذب عنها وركوب الشطط في كل مرام ، ولقطة أحد بمعنى الواحد من العدد ، وجاز أن يكون اسما لمن يصلح أن يخاطب به مطلقا إذا أول الكلام بالنفى : أى ما أناهم أن بمفخرة إلا أتوه بمفاخر ، إذ لا يستعمل في الإثبات إلا مع لفظة كل (قوله وقد جرد) جملة معترضة ذيل بها الكلام تقريراً وتأكيذاً لجميع ما تقدم من أفحم إلى هذا المقام ، وفائدتها نفي أن يتوهم أنهم أهملوا في المعارضة طريقته المعهودة قلة مبالاة بها ، إذ لا يتصور إهمالهم فيها مع إلحائهم عليها ، وقيل جملة حالية وعاملها إما فحم : أى أسكتهم عن المعارضة قاسرا لهم عليها بتجريد السيف غقيب الحججة ، وإما لم يتصد : أى لم يتعرضوا لها حال كونهم مقسورين عليها ، وفيه بحث لأن قوله «فلم يعارضوا» معطوف على «قد جرد» فهو حينئذ من تمة الحال وتقييد الإفحام وترك التصدى بعدم المعارضة مما لا طائل فيه ، وتجريد الحججة : تعريتها عن ملابس الشبهات ، وتجريد السيف : انتزاعه وتعريته عن نمده ، فأريد به القدر المشترك بينهما ، وأسند إلى الله مجازا لأنه الأمر به . وقيل تجريد الحججة منسوب إلى الله حقيقة ، ويضمن في المعطوف فعل مثله ويسند إليه مجازا . وجاز أن يراد بالتجريد الإظهار مجازا ويسند إلى الله حقيقة : أى أظهر الحججة على لسان رسوله والسيف على يده : أى يدرّس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و(أولا) نصب على الظرفية بمعنى قبل : أى أبدا بهذا أول ، فيضم على الغاية كقوله أفعله قبل

آخرها ، فلم يعارضوا إلا السيف وحده ، على أن السيف القاضب مخراق لآعب إن لم تمض الحجة حده ، فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلهم أن البحر قد زخر غطم على الكواكب ، وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب ، والصلاة على خير من أوحى إليه حبيب الله أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، ذى اللواء المرفوع فى بنى لؤى ، وذى الفرع المنيف فى عبد مناف بن قصي ، المثبت بالعصمة ، المؤيد بالحكمة ، الشادخ

وأما الذى مؤنثه الأولى فغير منصرف ( إلا السيف وحده ) من قبيل وضع المظهر موضع المضمير زيادة تصوير لمتعلق المعارضة . وأما قوله ( على أن السيف ) فليس من هذا القبيل إذ المراد به الجنس لا السيف الذى جرد الظرف حال يبين أن معارضتهم بالسيف مع الخلو عن الحجة مما لا يعتد بها ، وقد أحاطوا بذلك علما ، والعاملى فيها لم يعارضوا بعد انتقاض النى : أى عارضوا بالسيف وحده عالين بهذه القضية مستعجلين عليها : شبه حالهم فى العلم بها وإتقانها بحال من اعتلى الشيء وركبه ، فاستعير لما كلمة على ، هذا ما وعدناك تحقيقه ، والقاضب : القاطع ( والمخراق ) منديل يلف ليضرب به عند اللعب ( وإمضاء الحجة حد السيف ) تقوية شأنه وترجيح جانبها كأنها تجعل حده : أى غراره قاضيا : أى قاطعا ، ولا يخفى على كل ذى مسكة أنهم إذا آثروا المخاربة بالسيف والستان وبذل الأرواح على المقابلة باللسان مع علمهم بأنهم ليسوا فى ذلك على شيء ، فقد شاهدوا عجزهم عن المعارضة بالمره وأحاطوا به علما ، فلذلك قرعه عليه قائلا ( فما أعرضوا الخ ) ( زخر البحر ) أى ماج وامتلا ( وطم ) أى غلب وعلا ، يقال جاء السيل فطم على الركبة : أى دفنها وسواها ( والكواكب ) الأول جمع كوكب الماء وهو مجتمعه والثانى جمع كوكب السماء . مثل أولا حالهم فى ثلاثي شبههم واضمحلال مخزفاتهم لظهور المعجزة الباهرة والحجة البالغة الظاهرة بحال كواكب المياه وغدرانها فى اندراسها بزخر البحر الخضم وطمه عليها ، وثانيا بحال الكواكب حين أشرقت عليها الشمس وطمست أنوارها ومحت آثارها . وقد يقال استعير البحر والشمس لبلاغتهما القرآن والكواكب بالمعنيين لبلاغتهما ، ثم رشحت باستعارة الزخر والإشراق لظهورها ، واستعارة الطم والطمس لغلبتها عليها ، وهو تكلف مستغنى عنه ( قوله والصلاة ) معطوف على التحمد الذى بناه على الإنزال والإيحاء . ولما قصد زيادة الملازمة بينهما قال ( خير من أوحى إليه ) دون أرسل ، وليس فى أوحى ضمير راجع إلى القرآن لقصد المعنى ، بل الظرف قائم مقام فاعله . فضله أولا على الأنبياء ثم وصفه بما هو منشأ كل سعادة وكال ، ثم كناه وسماه استلذاذا وتبركا ، ثم ذكر نسبة العالى إلى هاشم ، ثم شرع فى حنبه فذكر علو شأنه وظهور سلطانه ، وقدم فيه الحد الأعلى وهو لؤى على الأدنى وهو قصي ، لأن رفعة القطر ونفاذ الأمر فى أعلى القبائل أدل على عظم المكانة . ثم عقب بذكر باقى أحسابه من كونه مثبتا بالعصمة مؤيدا بالحكمة : أى العلم المشفوع بالعمل واشتهار فضائله وكونه نبيا أميا مبشرا به فى الكتب السابقة ( اللواء ) العلم ( وذى اللواء المرفوع فى بنى لؤى ) كناية عن سيادته عليهم وكونه مطاعا فيهم ( ذى الفرع ) أى ذى العلو والرفعة من قولهم فرعت القوم : علوتهم بالشرف أو بالجمال ، و ( المنيف ) المشرف العالى من أناف على كذا أشرف عليه ، ويجوز أن يراد بالفرع الفصن ، فشبّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء مستظل بها ، فذى استعارة مكنية ، والفرع تخيل ، والمنيف ترشيح . وأن يراد به السيد يقال هو فرع قومه : أى سيدهم فيكون تجريدا مبالغة فى سيادته . وقد يقال الفرع مستعار لأولاده ، إشارة إلى شرف فروع كأصوله أو للنبي ، وذى الفرع صفة لؤى ، وذى اللواء صفة هاشم ، ولا

الغرة ، الواضح التحجيل ، النبي الأُمِّي المكتوب في التوراة والإنجيل ، وعلى آله الأَطهار وخلفائه من الأختان والأصهار ، وعلى جميع المهاجرين والأنصار .  
اعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة .

يختفي بعدهما ( الغرة ) البياض في جبهة الفرس يقال شدخت الغرة اتسعت ( والتحجيل ) البياض في قوائمه يقال فرس محجل ، وقد حجلت قوائمه تحجيلا ، وهو أعنى الغرة والتحجيل مستعاران ههنا للشرف والكمال ، كما أن الشدوخ والوضوح مستعاران لاشتهارهما ، فقد أشير إلى اشتها جميع أنواع فضائله وكمالاته من قرنه إلى قدمه ، وتستعمل الغرة وحدها في الشرف مستعارا مشهورا ، يقال رجل أغرّ : أى شريف ، وفي الاشتها وفي الامتياز مجازا برسلا كقوله : « مبارك الاسم أغرّ القلب » أى مشهور القلب دون التحجيل وحده . وأما قوله عليه الصلاة والسلام « إن أمتي يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » فالظاهر منه أن المراد الأنوار المتألثة من آثار الوضوء على تلك المواضع ، وقد يحمل على امتيازهم واشتهارهم بين الأمم في ذلك اليوم بسبب هذه العادة ، و ( الأُمِّي ) من لا يكتب منسوب إلى أمة العرب المشهورين فيما بين الأمم بعدم الخط والكتابة أو إلى أمّ القرى لأن أهلها كانوا أشهر بذلك ، أو إلى الأمّ : أى كما ولدته أمه ، وكونه عليه الصلاة والسلام أميا صفة مدح له تشهد بنبوته وتنفي ارتياب المبطلين ، حيث أتى بالعلوم الحجة والحكم الوافرة وأخبار القرون الخالية بلا تعلم خط واستفادة من كتاب ، وقد طابق بين الأُمِّي والمكتوب : أى ليس بكتاب بل هو مكتوب ( قوله وعلى آله ) أراد أهل بيته لتبادره عند الإطلاق ، و ( الأطهار ) جمع طهر بمعنى طاهر كعدل بمعنى عادل ، فإن فاعلا لا يجمع على أفعال كما نص عليه الجوهري ( من الأختان والأصهار ) في الصحاح أن الختن عند العامة : زوج الابنة ، وعند العرب : كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ . والصهر أهل بيت المرأة ، وأراد الرخصى بالأختان متعارف العامة ، وبالأصهار حقيقته ، وتقديم الأختان للجمع ، ومن للتبعيض لأن الخلفاء الراشدين كانوا بعض أصهاره وأختانه ، وجاز أن تجعل للبيان لأن أقل الجمع عنده اثنان ( وعلى جميع المهاجرين والأنصار ) أى على جميع الصحابة ، كما يقال الله خالق السموات والأرض : أى خالق كل شيء ، وفي تخصيص الخلفاء من بينهم وتقديمهم عليهم تنويه بشأنهم ( قوله اعلم أن متن كل علم ) شرع في فن آخر من الكلام فلذلك فصله غما تقدمه ، وإنما صدره بالأمر مؤكدا بأن حثا على التشمير لتحقيقه ، فإنه أساس لما هو بصدده من انحصار بيان تفاوت الرتب في النكت . والمتن هو الظهر ، وهو قوام البدن ينبنى عليه سائر أعضائه ، فاستعير لأصل العلم وهو أمهات مسائله ، إذ يقوم بها نكته ولطائفه . والعمود : الخشبة التي في وسط الحيمة يستند إليها قيامها ، فاستعير لعمدة الصناعة لأنه يتفرع عليها شعبها ودقائقها . والعلم إن لم يتعلق بكيفية عمل كان المقصود في نفسه ويسمى علما ، وإن كان متعلقا بها كان المقصود منه ذلك العمل ، ويسمى صناعة في عرف الخاصة وينقسم إلى قسمين : ما يمكن حصوله بمجرد النظر والاستدلال كالطب مثلا ، وما لا يمكن حصوله إلا بمزاولة العمل كالخياطة . وهذا القسم يخص باسم الصناعة في عرف العامة . والوجه في التسمية على العرفين أن حقيقة الصناعة صفة نفسانية راسخة يقتدر بها على استعمال موضوعات ما نحو غرض من الأغراض على وجه البصيرة بحسب الإمكان كما يشعر به كلام المصنف حيث قال : كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرّب ، ولا شك أن العمل المقصود من العلم لا يتم كماله إلا بأن يتمرن صاحبه في ذلك العلم ويصير العمل ملكة له . ولما كان علم التفسير مشتقلا على المعارف الإلهية والأحكام العملية جاز أن يطلق عليه كل

طبقات العلماء فيه متدانية ، وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية . إنه سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطا يسيرة .  
لو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة ، وإنما الذى

من هذين الاسمين ، وإطلاق العلم أولى لأنه الأكثر والأشهر والأشرف . ثم الظاهر أن المراد بالصناعة ههنا متعارف العامة ، وأن ذكر الصناعات لمشايتها العلوم في أن تفاضل مراتب أصحابها بحسب الدقائق دون الأصول .  
فإن قلت : علم الكلام لا تعلق له بكيفية عمل فكيف سماه صناعة ؟ قلت : ذلك على سبيل التشبيه لأنه لدقته وعمومه لا يتحصل إلا بمناظرات متعاقبة ومراجعات متطاولة ولذلك سمي كلاماً غله نوع تعلق بالعمل . وقد يقال : كل علم مازنه الرجل حتى نسب إليه وضار كالحرفة له يسمى صناعة سواء كان متعلقاً بالعمل أولاً (طبقات العلماء) درجاتهم (فيه) أى في من العلوم (وأقدام الصناع) منازلهم (فيه) أى في عمود الصناعات . وقد أشار بتخصيص كل من الطبقات والأقدام بموضعه إلى إتاقه العلوم على الصناعات . واقتصر في طبقات العلماء على التدرج وردد في أقدام الصناع بين التقارب والتساوى بناء على استبعاد التساوى في قواعد العلوم دون الصناعات . لا يقال قوله طبقات العلماء مع ما في حيزه مغير عن المعطوف عليه وحده : أعنى متن . وقوله «وأقدام الصناع» مع ما في حيزه خبر عن المعطوف وحده أعنى عمود كل صناعة ، فكيف جاز عطف أحد الخبرين على الآخر . لآنا نقول : قد صرح النحاة بأن الخبر إذا تعدد لتعدد الخبر عنه حقيقة وإن كان متحداً لفظاً لا يستعمل الخبران بغير عطف كقولهم :  
بدالك بد خيرها يرتجى وأخرى لأقدامها غائظه

فإذا كان الخبر عنه متعدداً حقيقة ولفظاً معطوفاً بعضه على بعض كان العطف في الخبر أولى ليكون على وتيرة الخبر عنه ، والسر في العطف أن مآل المعنى وإن كان إلى التوزيع إلا أن القصد بحسب الظاهر لأمن الإلباس إلى ربط المجموع بالمجموع ، فلا بد من أداة الجمع ، كأنه قيل : مراتب العلماء والصناع في أصول العلوم والصناعات متقاربة ، وقد توهم أنه نظير قولك : زيد وعمرو قام أبوه وذهب أخوه . على أن يكون أحد الضميرين لزيد والآخر لعمرو . وأنه لا بد في مثله من اعتبار تقديم وتأخير وهو منظور فيه . لأنه إذا اعتبر تقديم خبر المعطوف عليه على المعطوف لم يبق للواو في خبر المعطوف وجه . وجعله لتأكيد لصوق الخبر بالخبر عنه قصور وعجز . ثم إن المثال المشبه به إنما يصح إذا لم يكن القياس في اختصاص كل خبر بما هو له . ويكون حينئذ محمولاً على ما قدرناه من ربط المجموع بالمجموع اعتماداً على فهم السامع (إن سبق) هو مع ما عطف عليه بيان وتأکید للتداني والتقارب المذكورين ، واختار صيغة الماضي لأن المعنى على المضي أوقع . كأنه قيل إن كان سبق ، ويشهد له قوله تباينت وتحاكمت . واستعملت إن دون إذ لأن الشك في السبق أقرب إلى قلة التفاوت وثبوت التضارب ، وذكر الخطأ والمسافة تشبيهاً للسبق في المراتب العقلية ، السبق في المسافات الحسية تصويراً له وتمكيناً في الأذهان ، ولا شبهة في أن الخط أنسب بالأقدام والمسافة بالطبقات . إلا أنه لاحظ جانب المعنى فقط (قوله وإنما الذى) هذا الخ معطوف على اعلم . وما في حيزه عطف قصة على قصة لا يلاحظ فيه مناسبة لخصوص جملة مع أخرى : ولك أن تقول : كلمة اعلم حث على التوجه نحو الخير الذى هو المقصود . فهو عطف بحسب المعنى على ذلك المقصود مجرداً عن هذه الكلمة . كأنه قال : إن من كل علم وعمود كل صناعة ليس فيه تفاوت يعتد به وإنما الذى تباينت ، وهذا أدق وأحسن . وقد يتخيل أن الحمزة مفتوحة عطفاً على ما بعد اعلم . وفيه وجوه من المبالغة للتخصيص : فإنه بالتباس إلى القواعد والأصول وقد علم انتفاء التباين فيهما . ودلالة إنما على ظهور الحصر وإيراد المبتدأ موصولاً

تباينت فيه الرتب ونحاكت فيه الركب ، ووقع فيه الاستباق والتناضل ، وعظم فيه التفاوت والتفاضل ، حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد وترقى إلى أن عدّ ألف بواحد ، مافى العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدقّ فيها مباحث للفكر ، ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار ، لا يكشف عنهم من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم ، وإلا واسطهم وفصهم ، وعامتهم عماء عن إدراك حقائقها

تشتمل صلته على ما يشوق إلى الخبر تشويقاً تاماً ، وإيراد الخبر بينهما وتعقيبه بالتفسير (نحاكت) أى تصاكت كناية عن شدة السعى وفطر المجاهدة في المسابقة . وقيل كناية عن تحاشى المتناظرين للمباحثة وبعده ظاهر . وقوله (حتى انتهى الأمر) أى في التباين والتفاضل غاية لقوله تباينت وما عطف عليه ، أو لقوله عظم التفاوت والتفاضل وحده . وقوله (إلى أن عدّ) ناظر إلى قول البحري :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً لدى المجد حتى عدّ ألف بواحد

وفي عدّ ألف بواحد مبالغة ليست في عكسه حيث جعل الواحد أصلاً قبل به الألف ، مع أن لفظ العد بالكثير أولى (المحاسن) جمع حسن على غير القياس كأنه قيل بحسن (والنكتة) من النكت كالنقطة من النقطة ، ونكت الكلام أسرارها ولطائفه لحصولها بالفكرة التي لا يخفى صاحبها عن نكت في الأرض بنحو الأصبع ، بل لحصولها بالحالة الفكرية الشبيهة بالنكت (والفقر) جمع فقرة بسكون القاف ، وهى في الأصل حلى يصاغ من ذهب على هيئة فقار الظهر ، يستعار أولاً لدقائق المعانى الشبيهة بذلك المصوغ ، وثانياً لما هو في النثر بمنزلة البيت ، إذ لا يخفى عن دقيق معنى غالباً عبر عن دقائق العلوم والصناعات بعبارة مختلفة نظراً إلى جهات متفاوتة ، فسمّاها أولاً بمحاسن النكت والفقر ، وثانياً بلطائف معان ، وثالثاً بغوامض أسرار . ونكر الأخيرين قصداً إلى التفنن بإيراد طريقتين التعريف والتذكير ، وأيضاً المنكر بالوصف أولى ، وكرر الحار أعنى كلمة من تزيلاً لتغاير الجهات منزلة تغاير الذوات . وقوله (لا يكشف) تأكيد وتقرير لمعنى الأصحاب ، ومفعوله محذوف : أى لا يكشف الأستار (عنها) أى عن غوامض الأسرار ، ومن ههنا يعلم أن مؤدى تلك العبارات ذات واحدة وإلا اختل نظام الكلام (من الخاصة) صفة مقدر هو فاعل : أى لا يكشف عنها أحد من الخاصة ، و (أوحدهم) بدل منه وقد يجعل هو فاعلاً من الخاصة حالاً منه قدمت مرجعاً للضمير ، وفيه أن الأوحدي المضاف إلى ضمير الخاصة لامحالة يكون بينهم ، فلا فائدة في هذه الحال سوى تأكيد نسبته إليهم ، وباء النسبة في الأوحدي للمبالغة كالأخرى منسوب إلى اللفظ تنبيهاً على أنه عريق في معنى الواحدة يستحق أن يعبر عنه بالأوحد وينسب إليه (واسطهم) أى خبرهم وأفضلهم من واسطة القلادة لأجود جوهرة في وسطها (وفصهم) أى مختارهم من فص الخاتم عقب الأوحدي بالأخص والواسطة بالفص لشدة ملائمة بينهما ، وأعاد كلمة إلا في الأخيرين إشارة إلى أنه باعتبار اتصافه بهما كأنه شخص آخر يستحق أن يستثنى مرة أخرى مبالغة في إثبات الحكم له من جهات متعددة ، أو إلى أنه قصد استثناء آخر فلم يجد غيره ، فاستثناء بحسب صفة أخرى تأكيداً للحكم عن غيره . وقيل الإعادة لعدم مجانستهما للأولين فلا يحسن انخراطهما في سلكهما ، وهو قصور على ملاحظة اللفظ ، والضمير في (عامتهم) للخاصة أى أكثر الخاصة عماء ، والمعنى يستعمل في البصر يقال رجل أعمى وقوم عمى ، وفي البصيرة يقال رجل عمى القلب وقوم عمون ، فإن حمل على الأول كان مستعار العمى البصر والأحداق ترشيحاً ، وإن حمل على الثاني كان الأحداق مستعاراً للبصائر ، وإنما عدل عن قياس الجمع إلى عماء جمع عام لمشكلة عناء ، وضمير (حقائقها)



بأحداقهم ، عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيرهم وإطلاقهم . ثم إن أملاً العلوم بما يغمر القرائح وأنقضها بما يبهز الألباب القوارح من غرائب تكتب بلطف مسلكها ، ومستودعات أسرار يدق سلكها ، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم ، كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن ، فالفقيه وإن برز على

الغوامض الأسرار ، و ( بأحداقهم ) متعلق بإدراك : أي لا يظهر لهم ظهور المحسوس ، و ( عناة ) جمع عان وهو الأسير : أي هم أسراء في يد التقليد لا خلاص لهم أصلاً ، وكانت عادة العرب في إطلاق أسراهم جز نواصيرهم إهانة وإذلالاً . وقوله ( ثم إن أملاً العلوم ) عطف على اعلم مع ماعطف عليه ، وفيه مبالغات من وجوه لتقرير مايدعيه في ذهن السامع ونبي الشبهة عنه التأكيد بأن وإيراد المسند إليه مبهما مشوقاً إلى المسند مع الإطناب فيه وتوصيف المسند إجمالاً بما يزيد فخامة ويحل موقفه في الأذهان وإردافه بتفصيله مبسوطاً ومشروحاً ، وفائدة لفظ ثم التنبيه على أنه ينبغي أن يتند السامع في تحقيق ماقدمناه من أن التفاوت بنكت العلوم لا بأصولها حتى يصير منه على ثقة وطمأنينة ، ثم يتحقق أن أشبل العلوم على النكت والطائف علم التفسير ، فيكون الاختلاف بين مراتب المفسرين أكثر ( أملاً ) أفعل من ملئ بالكسر : أي امتلأ فهو ملآن على ما ذكره في المقدمة : أي أشد العلوم امتلاءً ، وأخذه من ملؤ بالضم : أي غنى بعيد لاستلزامه تشبيه النكت بالأموال ، وكذا أخذه من ملأ بالفتح على أنه للمفعول لأنه قليل . وأما كونه بمعنى الفاعل : أي أملاً العلوم للقرائح بما يغمرها فلا منع منه ، لأن ملأت الإناء من الماء وبالماء كلاهما صحيح ، لأن الملأ يبتدئ منه وهو آلة له ولعله أظهر ، وذلك لأن ملأ بالفتح أشهر استعمالاً من ملئ بالكسر ، وإن جعل العلوم ظرفاً لدقائقها على خلاف ما هو المعتاد من أن المظروف ليس جزءاً من الظرف ، وأن الغمر الذي هو ترشيح الاستعارة حيث كان منسوباً إلى القرائح ، فالظاهر أن الامتلاء منسوب إليها أيضاً فإتها تمتلئ أولاً ثم تصير مغمورة : أي مستورة ، وأن لطائف العلوم تحي القلوب ، فهي بالقياس إليها أشبه بالماء منها بالقياس إلى العلوم ( والقريحة ) الطبيعة وهي في الأصل أول ماء يستخرج من البئر لحصوله بالكدح والتأثير ، وأطلقت على مايقع في القلب بغتة بعد سابقة طلب ، ثم نقلت منه إلى محله أعنى القلب ( وأنقض ) أفعل من نهض بالأمراً قام به ( يبهز ) يغلب ، و ( القوارح ) الكوامل الثوابت جمع قارح ، وهو من ذي الحافر : أي ما تكامل سنه وبلغ أشده ( بلطف مسلكها ) أي يدق طريق الوصول إليها فلا تسلك إلا بفكرة صائبة ( والسلك ) الخيط ودقته كناية عن لطافة الجواهر المنظومة فلا يدرك إلا ببصيرة ثاقبة ، جمع بين غرابة النكت ولطف المسلك إشارة إلى معنى قوله من محاسن النكت ، ومن لطائف معان ، وجعل قوله ( ومستودعات أسرار ) بإزاء قوله « ومن غوامض أسرار » ( التفسير ) علم يبحث فيه عن أحوال كلام الله المجيد من حيث دلالاته على مراده ، وينقسم إلى تفسير وهو ما لا يدرك إلا بالنقل كأسباب النزول والقصص فهو ما يتعلق بالرواية ، وإلى تأويل وهو ما يمكن إدراكه بالقواعد العربية وهو ما يتعلق بالدراية ، فالقول في الأول بلانقل خطأ ، وكذا القول في الثاني بمجرد التشبهي وإن أصاب فيهما . وأما استنباط المعاني على قوانين اللغة فما يعدّ فضلاً وكمالاً ( لا يتم ) أي لا يكمل ولا يصلح ( لتعاطيه ) لتناوله ( كما ذكر ) نصب على المصدر : أي أذكر لك عدم صلاحية كل ذي علم لتعاطيه كل ذي علم إشارة إلى أن الجاحظ ذكر مثل ذكره ، ولا نقل هاهنا لكلام الجاحظ أصلاً بل لما ادعى إجمالاً أنه لا يتم لتعاطيه كل إلى أن الجاحظ ذكر هذا المعنى في كتابه تأييداً لما ادعاه . ثم فصل كلامه المحمل بقوله ( فالفقيه الخ ) وهذا الفاء أعدل شاهد لما ذكرناه عند من له دربة بأساليب الكلام وذكر بعض من أثق به أنه رأى كتاب نظم القرآن فلم يكن شيء من هذه العبارات فيه ، وعلى هذا فقد سقط موثقة تعيين منتهى كلامه وتوجيه ما قبل فيه ( برز عليه ) أي

الأقران في علم الفتاوى والأحكام . والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص والأخبار . وإن كان من ابن القرية أحفظ . والواعظ وإن كان من الحسن البصري أو غط ، والنحوي وإن كان أنحى من سيويه والافوي وإن علك اللغات بقوة لحيه . لا يتصلى منهم أحداً لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق ، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان ، وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التفتير عنهما أزمته وبعثته على تتبع مظانها همة في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح

فاق ، و ( الأقران ) الأكفاء جمع قرن بالكسر ، وفي المغرب أن اشتقاق الفتوى من الفقى لأنه جواب في حادثة أو إحداث حكم أو تقوية لبيان مشكل . يعنى أنه يلاحظ في الفتوى ما ينبئ عنه الفقى من الحدوث والقوة ( بز ) غلب ، و ( القصص ) بكسر القاف جمع قصة ، و ( ابن القرية ) بكسر القاف وتشديد الراء المكسورة أحد فصحاء العرب واسمه أيوب ، والقرية اسم أمه . وهى في الأصل حويصلة الطائر كان من الحفاظ ، نقل الكتب القديمة إلى العربية . قتله الحجاج فقال عند القتل : لكل جواد كبوة ، ولكل شجاع نبوة ، ولكل حكيم هفوة . فصارت أمثالا ( الحسن البصري ) هو المكنى أباسعيد من أكابر التابعين ، لقي عليا عليه السلام في المدينة ، وكان مشهورا بالحكم والمراعاة ، فإذا أطلق الحسن في الكتاب فهو المراد ، قدم المصنف كلمة من على أفعل التفضيل في موضعين محافظة على السجع ، و ( أنحى ) من نحى نحو إذا نظر في علم النحو وتكلم فيه ، ومنه النحاة جمع ناح ( واللحى ) منبت اللحية ، غير بعلك اللغات عن ضبطها وإتقانها ودل على سهولة مأخذها : أى يكفى فيها تحريك اللحين باستعمال اللسان ، و ( لا يتصدى ) خبر لقوله « فالفقيه » وما عطف عليه ، وهذه الشروط : أعنى قوله « وإن برز » وأخواته وقعت أحوالا ، وقد جردت عن معنى الشرط فلا تحتاج إلى تقدير جزاء ، فإن جوز انتصاب الحال من المتبدل بمعنى انتساب الخبر إليه في حال كونه كذا ، فكل واحد من الفقيه وما عطف عليه صاحب الحال التى تليه ، وإلا فصاحب الحال هو أحد بحسب تفصيل معناه : أى لا يتصدى منهم الفقيه مبرزا على أقرانه وكذا ، وإبراز الحال في صورة الشرط إيذان بأن هذه الأمور غير واقعة بل مفروضة ، كأنه قيل مفروضا تبريزه على أقرانه وغلبنه على أهل زمانه ، وفي التقييد بأهل الدنيا إشعار بعظم التفاوت في صناعة الكلام . و ( تلك الطرائق ) إشارة إلى قوله « تسلكها » ، و ( تلك الحقائق ) إلى قوله مستودعات أسرار ، يقال غاص في الماء على اللؤلؤ : أى حصله واستغنى عليه ( إلا رجل ) مستثنى من أحد فهو في المعنى استثناء من كل ذى علم ( برع ) بالضم والفتح فاق ، والباء في قوله ( مختصين بالقرآن ) إن كانت داخلة على المقصور عليه كما هو أصل اللغة : فالمعنى أن استعمالهما في القرآن أكثر وكنهما حونا لمعرفة أسرار بلاغته ودلائل إعجازه فهما للقرآن لا لغيره . وإن جعلت داخلة على المقصور كما هو المشهور في الاستعمال فالمعنى : أن الاطلاع على فرائده والكشف عن وجوه خرائده لا يحصل إلا بهما فهو لهما لا لغيرهما ( تمهل ) أى أتاد من المهل بسكون الهاء ، أو سبق من المهل بفتحها ( والارتياح ) من راد الكلأ : وارتاده إذا طلبه ( آونة وأزمنة ) جمعاً أوان وزمان للتكرير : أى أوانا بعد أوان وزمانا بعد زمان كقوله تعالى - أولئك عليهم صلوات من ربهم - أى صلاة بعد صلاة كما يجىء . ولا نظر إلى كونهما جمعا قلة إذ لا يناسب المقام أصلا ( التفتير ) عن الأمر للبحث عنه ( ومظنة الشئ ) مألفه الذى يظن كونه فيه : ومظان العلمين تراكيب البلغاء ، والقرآن حجة لله على خلقه ومعجزة لرسوله في إثبات نبوته ، فيستحق أن يعنى بشأنه وتحمّل المشاق في معرفة

معجزة رسول الله ، بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ ، جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ ، كثير المطالعات طویل المراجعات ، قد رجع زمانا ورجع إليه ، وردّ وردّ عليه ، فارسا في علم الإعراب ، مقدما في حلة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منتقداها ، مشتعل القريحة وقادها ، يقظان النفس درّا كاللمحة وإن لطف شأنها ، منتبها على الرزمة وإن خفي مكانها لا كرا جاسيا ولا غليظا جافيا ، متصرفا ذا دربة بأساليب النظم والنثر ، مرتاضا غير ريبض بتلقيح بنات الفكر : قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف ، وكيف ينظم ويرصف ، طالما دفع إلى مضايقة ووقع في مضاحضة ومزاقة . ولقد رأيت

لطائفه واستيضاح إعجازه بعد أن يكون ظرف لبرع وما عطف عليه ( بحظ ) مفعول آخذاً ، يقال : خذ الحطام . وخذ بالحطام ، ترك العطف بين الإخبار يكون تنبيها على أن كل واحد منها أمر مستند بنفسه يستأهل أن يثبت استقلالا ( قد رجع ) . بيان لقوله ( طویل المراجعات ) أي رجع زمانا طويلا في التعلم ( ورجع إليه ) في التعلم ( ورد ) على غيره في المناظرات ( ورد عليه ، فارسا في علم الإعراب ) تخصيص للنحو من بين سائر العلوم : أي يكون مع أخذها منها بحظ وافر كاملا في علم الإعراب فإنه العمدة في هذا الباب ( مقدما ) في معرفة كتاب سيويه على خملته فإنه أحسن كتاب وضع فيه ، قال السيرافي : ماسبقه بمثله من قبله ولا لحقه من بعده ( وكان ) عطف على قد برع ( مع ذلك ) أي مع ما ذكر من براعته في العلمين بعد كونه كذا وكذا ( مسترسل الطبيعة ) أي سلس الطبيعة في الحركات الفكرية نحو دقائق العلوم سهل القبول لها لانقيادها من قولهم يعير رسل بفتح الراء : سهل السير . وناقاة رسالة : فيها لين ( مشتعل القريحة ) في استجلاء الدقائق وانتقادها عند الوصول إليها ، وقوله ( وقادها ) دفع لتوهم الحمود كنار العرفج بعد سرعة الاشتعال : كما أن منتقادها دفع لتخيل الضعف من الاسترسال . وقد يقال : حاصله أن له طبيعة كالماء في السلاسة والقبول ، وكان النار في النفوذ والتوقد ( اللمحة ) الإشارة الخفية ( والرمز ) الإيماء بالشفهتين والحاجبين ( والكزازة ) الانقباض واليبس . يقال رجل كثر ، وقوم كثر بالضم وقرس كزة : إذا كان في عودها ييس عن الانعطاف ( والجاسي ) الصلب من جسأت يده من العمل : أي صلبت ( الجاني ) الثاني من الجفاء وهو الغلظة في العشرة وترك الرفق في المعاملة والكلام . أثبت أولا سلاسة الطبيعة وصفاءها وجودة القريحة وذكاءها بحسب الفطرة ، ثم نبى أضدادها مبالغة في إثباتها . ثم شرع بقوله ( متصرفا ) في الصفات العملية المتفرعة على تلك الغرائز الخلقية . ولا شبهة في أن ذلك ترتيب أنيق لا فتور فيه ولا إلباس ، فمن لا يعجبه مثل هذا التركيب فليتهم نفسه ( والدربة ) العادة والتجربة ( أساليب الكلام ) فنونه ( والمرئاض ) ماتمت رياضته ( والريض ) ما كان أهلا لها ولم يرض بعد . وقوله ( غير ريبض ) دفع لتوهم التجوز في المرئاض ( بنات الفكر ) أما المقدمات وتلقيحها ترتيبها على وجه يؤدى إلى المطلوب . وأما النتائج كما اشتهر في الاستعمال أو يراد استخراج نتيجة من أخرى دلالة على قوة الفطنة وكمال الرياضة : أو يراد التلقيح لأجلها ، و ( قد علم ) بيان وتقرير لقوله مرتاضا بتلقيح بنات الفكر : أي قد علم كيف يرتب أجزاء الكلام ، ويؤلف بينها وكيف ينظم أفرادها ويرصف في نظمها ، أي علم كيفية التلقيح في المقدمات وأجزائها ( الترصيف ) الضم والإحكام ( طالما ) تأكيد لقوله قد علم ، وكلمة « ما » في طالما وقلما إما مصدرية : أي طال اندفاعه ، وإما كافة تكفيهما عن طلب الفاعل لفظا وتبيينهما لوقوع الفعل بعدهما . ويؤيده أنها كتبت موضوعة كما في إنما ، وجاز الفصل بينها وبين الفعل قال : الكميت :

وقد طال ما يا آل مروان أنتم « ( ولقد رأيت ) هو إلى آخر الخطبة معطوف على قوله ثم إن أملا العلوم ،

إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العادلة ، الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية ، كلما رجعوا إلى تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب ، أفاضوا في الاستحسان والتعجب ، واستطروا شوقا إلى مصنف يضم أطرافا من ذلك ، حتى اجتمعوا إلى مقترحين أن أملى عليهم الكشف عن [حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل] فاستعفيت ، فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد . والذي حداني على الاستعفاء على علمي

عطفًا لقصة على قصة علم التفسير : أي كان طبقات المفسرين في غاية التباين الكثرة نكته وتوقف إدراكها على شرائط قلما تجتمع في واحد ، وكنت أنا في أعلى طبقة منها قادرا على كشف سرائر هذا الفن وفوائده ، ووجدت الناس محتاجين إلى ذلك غاية الاحتياج ، ملحين علىّ في وضع هذا الباب ، فتصدت لوضع هذا الكتاب ، فأتمه الله على يديّ في أدنى مدة . واللام في لقد جواب قسم مقدر دفعا لما عسى يختلج في وهم من له رغبة في صدقه ، وتوحيد الضمير في رأيت لأن الرؤية له خاصة ، وجمعه في (إخواننا) لإرادة أنهم أخوة للطائفة العادلة عامة ، وبيان الأخوة الذي هو جمع قلة بالأفاضل الذي هو جمع كثرة تنبيه على أنهم وإن قلوا صورة فهم الكثيرون حقيقة أي شرفا وفضيلة ، وذكر (الفئة الناجية) إشارة إلى أنهم الذين حكم في الحديث بنجاتهم . وقوله (في الدين) ظرف لإخواننا لتضمنه معنى الموافقة والمعاونة (الجامعين) صفة لأفاضل (وعلم العربية) يتناول أقسامها من اللغة وغيرها (والأصول الدينية) علم الكلام والشرطية أعني (كلما رجعوا) مفعول ثان لرأيت . وفي هذا التعميم مبالغة (بعض الحقائق) أي بعض حقائقها أو بعض ما عندي منها (أفاضوا) أي شرعوا دفعة في استحسان ما أبرزته لهم ، وفي التعجب مني (استطروا) استغزوا كأنهم حملوا على الطيران (شوقا) مفعول له لتمييز ، إذ لا معنى لقولك استطير شوقه (أطراف) المدينة نواحيها وسواها فاستعيرت لجوانب الكلام : أي يضم أشياء كثيرة من ذلك : أي من جنس ما أبرزت لهم ، وقد يقال : أراد ضم ذلك المبرز المتفرق (حتى اجتمعوا) أي أدى تعجبهم وشوقهم إلى الاجتماع (والاقتراح) السؤال من غير روية ويدل على كمال الشغف (والإملاء) متعدد ، فإما أن يقدر مفعوله : أي أملى كتابا في الكشف ، أو نزل منزلة اللازم : أي أفعّل الإملاء في الكشف (حقائق التنزيل) مغانيه التي ينساق إليها بلاصرف عن ظاهره ، وتأويله أن يصرف إلى خلاف ظاهره لأمانة تدل عليه (وعيون الأقاويل) خيارها عطف على حقائق التنزيل : أي الكشف عن الحقائق بإبرازها وعن العيون بتفصيلها وتوجيهها أو عطف على الكشف . والأقاويل جمع أقوال جمع قول ، والظرف أعني (في وجوه) متعلق بالأقاويل ، وما أحسن هذه العيون في الوجوه (فاستعفيت) أي طلبت الإعفاء ، يقال أعفني من الخروج معك : أي دعني منه (استشفعه) واستشفع به : أي سأله أن يكون شفيعا له ، وعطف علماء العدل على عظماء الدين من قبيل عطف الصفات ، وأراد بعظماء الدين الزهاد والعباد . والمعتزلة سمو أنفسهم أهل العدل لأنهم أوجبوا على الله تعالى ما هو عدل عندهم من ثواب المطيع وعقاب المعاصي وتيسير أسباب الطاعات وزواجر المعاصي ورعاية ما هو الأصلح للعباد ، ولم يجوزوا شيئا مما يعد ظلما وأهل التوحيد إذ لم يثبتوا له تعالى صفات قديمة زائدة على ذاته لاستلزامه تعدد القدماء المنافي للتوحيد (والذي حداني) مبتدأ خبره : ما أرى عليه ، وهو جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ، أعني فأبوا فأمليت . وفائدتها تأكيد حقيقة الاقتراح والاستشفاع وإظهار أن استعفاءه لم يكن عن قصور بل عن استقصاءه من يستضيء بنوره . حداني : ساقني ، وعدى بعلی لتضمين معنى الحمل والبعث (على علمي) حال من المفعول وقد سبق لك

أنهم طلبوا ما الإجابة إليه على واجبة ، لأن الخوض فيه كفرض العين ، ما أرى عليه الزمان من رثاة أحواله وركاكة رحاله ، وتقاصر همهم عن أدنى عدد هذا العلم فضلا أن تترقى .

جلية حالها ، كلمة ( ما ) موصولة ، والجملة الآتية صلها : أى طلبوا الأمر الذى يجب على صاحبه الإجابة إليه ( لأن الخوض ) تعليل لتخصيص الوجوب وإشارة إلى أن هذا الأمر وإن كان من فروض الكفايات إلا أنه صار عليه كفرض العين إذ كان متعينا له في زمانه ( ما أرى ) إما موصوفة : أى شئ أرى عليه ، و ( من رثاة ) بيان لما وصفة أخرى لها وإما موصولة ، ومن رثاة بيان للضمير في عليه ، وحال منه للموصولة إذ لا ينتصب حال من خبر المبتدأ . وقيل المعنى : لا يساعد على جعله حالا من ضمير عليه ، فيما لأن المعنى : ما أرى الزمان على رثاة حاله ، وهو مردود بأن المبين ليس في حكم الساقط بالمرّة ، وهذا ممنوع في البديل فكيف في البيان . وإما لأن تقييد الرؤية بحال كونه رثاة لافائدة فيه ، وجوابه أن ما يرى عليه الزمان يتناول بمفهومه مالا يكون رثاة ، كما أن الرجس يتناول بمفهومه مالا يكون وثنا ، فكما أن من الأوثان حال من الرجس مقيدة للعامل يكون الرجس وثنا كذلك من رثاة حال من الضمير في عليه مقيدة للرؤية بكون المرتى رثاة وهى البذاذة ، يقال ثوب رث : أى خلق ( والركاكة ) الضعف ؛ قال رحمه الله : الركّة والرقّة من باب واحد ، إلا أن الركّة غلبت في ذم المعاني والأقوال ؛ يقال معنى ركيك ، وقول ركيك ، واستعبرت لذم الأعيان . ورجل ركيك : أى ضعيف لا اعتلاله ( قوله أدنى عدد هذا العلم ) هو اللغة والصرف والنحو مما يتوصل به إلى المعاني الوضعية ( فضلا ) مصدر يتوسط بين أدنى وأعلى للتنبيه بنى الأدنى واستبعاده عن الوقوع على نبي الأعلى واستحالته : أى عدّه محالا عرفا فيقع بعد نبي إما صريح كقولك فلان لا يعطى الدرهم فضلا عن أن يعطى الدينار ، فأعطاء الدرهم منى عنه ومستبعد ، فكيف يتصور منه إعطاء الدينار . وإما ضمنى كقوله وتقاصر همهم الخ ، يعنى أن همهم تقاصرت عن بلوغ أدنى عدد هذا العلم وصار متفيا مستبعدا عنهم ، فكيف يترقى إلى ما ذكر من الكلام المؤسس ، وهو مصدر قولك فضل عن المال كذا : إذا ذهب أكثره وبقي أقله . ولما اشتمل على معنى الذهاب والبقاء ومعنى الكثرة والقلة نظر بعضهم إلى معنى الذهاب والبقاء فقال : تقدير الكلام في المثال الأول فضل عدم إعطاء الدرهم عن الدينار : أى ذهب إعطاء الدينار بالكلية وبقي عدم إعطاء الدرهم . وفي المثال الثاني فضل تقاصر الهم عن بلوغ أدنى العدد عن الترقى بالمرّة : أى ذهب الترقى بالمسرّة وبقي التقاصر ، فالباقي هو نبي الأدنى المذكور قبل فضلا ، والذهاب نفس الأعلى المذكور بعده ، وحينئذ يفوت شيان من أصل الاستعمال : الأول كون الباقي من جنس الذهاب ، إذ ليس انتفاء الأدنى من جنس الأعلى . الثاني كون الباقي أقل من الذهاب ، إذ لا معنى لكون انتفاء الأدنى أقل من نفس الأعلى . فإن قلت : المفهوم من فضلا حينئذ أن ما بعده ذاهب متف بتمامه ، وأما أنه أدخل في الانتفاء وأقوى فيه مما نبي قبله كما هو المقصود فلا . قلت : قد يفهم ذلك من كونه أعلى وأدنى ، إذ الأعلى أولى بالانتفاء من الأدنى . ونظر آخرون إلى معنى القلة والكثرة فقالوا : التقدير في المثال الأول فضل عدم إعطاء الدرهم عن عدم إعطاء الدينار : أى عدم الأول قليل بالقياس إلى عدم الثاني . فإن الأول عدم ممكن ويستبعد وقوعه . والثاني عدم مستحيل فهو أكثر قوة وأرسخ من الأول . وفي المثال الثاني فضل تقاصر الهم عن الأدنى عن تقاصرها عن الترقى : أى التقاصر الأول قليل بالقياس إلى الثاني ، فإن التقاصر عن الترقى واجبي ، وعلى هذا التوجيه يفوت من أصل الاستعمال معنى الذهاب والبقاء . ويلزم أن لا تكون كلمة عن صلة له بحسب معناه المراد ، بل بحسب أصله ، ويحتاج إلى



إلى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان ، فأملت عليهم مسألة في الفواتح . وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة ، وكان كلاما مبسوطا لكثير السؤل والجواب ، طويل الذبول والأذنب وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم ، وأن يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه ، فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والإنابة بحرم الله ، فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلها ، وقليل ما هم عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك الممل ، متطلعين إلى إيناسه حراصا على اقتباسه ، فهزّ مارأيت من عطى ، وحرك الساكن من نشاطي . فلما حططت الرحل بمكة إذا أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية ، الأمير الشريف الإمام شرف آل رسول الله أبي الحسن على بن حمزة بن وهاس ، أدام الله مجده ، وهو النكتة

تقدير النقي فيما بعد فضلا . وبعضهم توجه ثالثة مبنية على اعتبار ورود النقي على الأدنى بعد توسط فضلا بينه وبين الأعلى ، كأنه قيل : يعطى الدرهم فضلا عن الدينار : أى فضل إعطاء الدرهم عن إعطاء الدينار على معنى . ذهب إعطاء الدينار وبقى من جنسه بقية هي إعطاء الدرهم . ثم أورد النقي على البقية . وإذا انتفت بقية الشيء كان ماعداها أقدم منها في الانتفاء . ويرجع حاصل المعنى إلى أن إعطاء الدينار انتفى أولا ثم تبعه في الانتفاء إعطاء الدرهم وهكذا بلوغ المهم إلى أدنى العدد بقية من جنس الترقى ، فإذا تقاصرت عن البلوغ كان تقاصرها عن الترقى مقدما عليه . وناصب فضلا محذوف وجوبا لجره مجرى تنمة الأول بمنزلة لا سيما ، ولا محل لذلك المحذوف من الإعراب وإنزاع بعضهم أنه حال ، ولا يلتبس عليك أن فاعل ذلك الفعل المحذوف هو الأدنى على الوجه الأخير . ونفيه على الوجهين الأولين ( إلى الكلام المؤسس ) أى إلى إدراكه بتحصيل عدده . ويريد به كلامه في الكشف عن حقائق التنزيل لأنه بصدد إبداء عذر الاستعفاء عن إتمامه . وأيضا قوله ( وطائفة من الكلام ) يرشد إليه ، فمن قال : المراد به القرآن فقد سها ( في الفواتح ) أى الحروف المقطعة في أوائل السور . وقيل أراد الفاتحة وصيغة الجمع تعظيم لها وهو بعيد جدا ، والأولى أن يراد فاتحة الكتاب مع فواتح السور ( وكان ) أى الممل ( حاولت به ) قصدت بذلك المبسوط ( منارا ) علما ( ينتحونه ) يقصدونه ( يحتذونه ) يقتدون به ويقيسون عليه ( صمم العزم ) أى خلص عن التردد وصار ماضيا لا فتور فيه . يقال صمم السيف : إذا مضى في العظم وقطعه ، وصمم فلان على أمره : أى مضى على رأيه فيه ( وجدت ) جواب لما ( في مجتازي ) إما مصدر فيتعلق به الجار : أى في اجتيازى بكل بلد ، وإما مكان فيتعلق الجار بوجدت ( والمسكة ) مقدار ما يتمسك به من عقل أو علم أو قوة ، والضمير في أهلها للبلد بتأويل البلدة ، ولقد تفنن بإراءة معنى واحد في صور مختلفة ، فوجد الضمير مذكرا في قوله فيه نظرا إلى لفظ من ، وجمعه في ( قليل ما هم ) نظرا إلى معناه ، وأفراد قليل مع أنه خبر لقوله ( هم ) قدم عليه اهتماما به بناء على أنه صفة لمقدر لفظه مفرد ومعناه جمع مثل فوج أو حزب . وقال ( عطشى الأكباد ) لأنهم جماعة واستعمل جمع السلامة والتكسير ( التطلع ) : التشوف ( والإيناس ) : الإنصاف ( العطف ) الجانب وهزّ العطف كناية عن السرور ، لأن الفرحان يتحرك جانبا نشاطا ، و ( من ) للتبعض ، ومن ( عطى ) مفعول هز : أى حصل في بعض الارتياح لأن تمامه كان باستدعاء الشريف . وقد يقال هزّ العطف كناية عن إزالة الغفلة ، فإن الغافل ينبه بتحريك جانبه والمقام ناب عنه ( إذا ) للمفاجأة أى فاجأت من أن أنا ملتبس ( بالشعبة ) فإذا مفعول به لفاجأت وهو جواب لما ( السنية ) الرفيعة ( والدوحة ) الشجرة العظيمة ( والأمير ) بدل من الشعبة أو بيان ، وبه خرج الكلام عن الاستعارة إلى التشبيه كقوله تعالى : من الفجر . ( والنكتة ) كل نقطة من بياض في سواد أو عكسه

والشامة في بنى الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم ، أعطش الناس كبدًا وألهبهم حشنى وأوفاهم رغبة ، حتى ذكر أنه كان يحدث نفسه في مدة غيبتى عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاهدة بقطع الفيافي وطى المهامه ، والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل إلى إصابة هذا الغرض ، فقلت قد ضاقت على المستعفى الحيل وعيت به العلل ، ورأيتنى قد أخذت منى السن وتقعقع الشن ، وناهزت العشر التى سمىها العرب دقاقة الرقاب ، فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ، ووفق الله وسدد ، ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة ، وما هى إلا

(والشامة) الخال يقال هو النكته والشامة في قومه : أى العلم المشار إليه (اعطش الناس) قبل حال ، وإنما يصح عند من يجعل لإضافته لفظية ولم يذهب إليه المصنف ، فالأولى أن يكون مفعولا لما دل عليه المفاجأة من معنى وجدت ، وهذا جائز عند الكوفية مطلقا . وعند البصرية في مثل هذا المحل لتقدم قوله وجدت (المشاهدة) المشاغل وقياس واحده مشده بضم الميم وكسر الدال من أشده ، كما أن المشاغل جمع مشغل من أشغله ، وهو لغة ضعيفة في شغله إلا أن مشدها لم يستعمل أصلا ، وإنما المستعمل شده الرجل : أى شغل أو دهش فهو مشدوه ، وجاز أن يكون من الثلاثي جمع مشده بفتح الميم والدال : أى مقمن الشده ، فإن المشاغل مقامن الحيرة والدهش ، كما يقال : الولد مجبنة مبخله : أى مخلقة ومقمنة لذلك (الفيء) الصحراء المساء (والمهمه) المفازة البعيدة والجمع الفيافي والمهامه (وفد) فلان على الأمير : أى ورد عليه رسولا في خطب من تهنة ونحوها ، جمع الضمير في (علينا) تعظيما لتناسب لفظ الوفاة ، والقول بأنه للتواضع والإشارة إلى أن وفادته لا تكون على وحدى بل مع إخوانى من الأفاضل يدفعه قوله ليتوصل إلى هذا الغرض فإنه منحصر فيه كما مر ، والقصد إلى جعل الإخوان شفعاء عنده لا يلائم المقام (فقلت) عطف على جواب لما أعنى وجدت (على المستعفى) أراد نفسه والتفت لأن الحيل والعلل يتاسبان وصف الاستعفاء لأذات المتكلم ، يقال عي بالأمر : إذا لم يهتد لوجهه ، فعنى عيت به العلل أنها لم تهتد إليه ليتمكن له التمسك بها ، وهذا أبلغ من أن يقال عي بالعلل : أى لم يهتد إليها كأن عدم الاهتمام سرى منه إليها ، وقد تجعل الباء للتعدي : أى أعجزته العلل فلم يجد ما يتعلل به وحينئذ تفوت تلك المبالغة ، والاستعمال المشهور : أعنى كون الباء صلة للفعل (ورأيتنى) معطوف على قلت وبيان لسبب العدول عن طريقة المثل والأخذ في طريقة أخصر منها (أخذت منى السن) أثرت في وأخذت من قواى ونقصت منها (الشن) القرية البالية ، وتقعقع الشن : تصويته ليبسه ، أراد استيلاء اليبس على جلده لكبر سنه (ناهزت) شارفت وقاربت ، و (العشر) المسماة (بدقاقة الرقاب) ما بين الستين إلى السبعين ، وقد حكم سيد البرايا بأنها معترك المنايا (فأخذت) عطف على رأيتنى (مع ضمان) حال من أخذت : أى مقارنا لضماني وكفالتى بذلك دفعا لما يتوهم في الاختصار من فوت الفوائد (السرائر) جمع سريرة بمعنى السر (سدد) أى وفق للسداد وهو الصواب من القول والعمل (ففرغ منه) أى من الكتاب لدلالة السياق عليه بل لكونه مذكورا معنى ، لأن قوله طريقة أخصر عبارة عنه ، ولم يصرح بإسناده الفراغ إلى نفسه تنبيها على أن الفراغ منه في مثل ذلك الزمان لا يتصور من إنسان ، بل هو محض موهبة من عند الله اللتان (مدة خلافة أبى بكر رضى الله عنه) ستان وأربعة أشهر أو ثلاثة أشهر وتسع ليال : أى كان يقدر تمامه في أكثر من مدة خلافة الأربعة ، فاتفق في مدة خلافة أقلهم مدة (وما هى) أى الفراغ في تلك المدة القليلة ، وتأنيث الضمير باعتبار الخبر

آية من آيات هذا البيت المحرم ، وبركة أفيضت على من بركات هذا الحرم المعظم ، أسأل الله أن يجعل ماتعبت فيه منه سببا ينجي ، ونورا لي على الصراط يسعي بين يدي ويميني ، ونعم المستول .

## سورة فاتحة الكتاب

الذي هو ( آية ) وقوله ( من آيات هذا البيت المحرم ) ناظر إلى قوله تعالى - فيه آيات بينات - ( ماتعبت فيه منه ) الضمير الأول لما ، والثاني للكتاب ، فتجعل من بيانية لا تبعية لأن تب في مجموعه لا في بعضه فقط . وقيل بالعكس : أي ماتعبت منه في تصنيف الكتاب . وقيل الأول لله تعالى ، والثاني لما : أي ماتعبت فيه : أي في ذات الله ومريضاته كقوله تعالى - جاهدوا فينا - وقيل بالعكس ، فيكون منه صفة لسببا فلما قدمت صارت حالا : أي يجعل المتعوب فيه وهو الكتاب سببا من الله تعالى . وقد يقال الأول للحرم ، والثاني لما : أي ماتعبت منه في الحرم ، والباء في ( يميني ) بمعنى في : أي يسعي بين يدي وفي يميني ، وهو مقتبس من قوله تعالى - يسعي نورهم بين أيديهم وبأيمنهم - ( ونعم المستول ) عطف على أسأل الله ، فإما أن يجعل أسأل الله إنشاء للسؤال ، أو يقدر القول في نعم : أي وأقول نعم والمخصوص بالمدح محذوف : أي نعم المستول : أي المدعو هو : أي الله تعالى ، أو نعم المطلوب هو : أي الجعل المذكور .

## سورة فاتحة الكتاب

فاتحة الشيء أوله ، فقيل الفاتحة في الأصل مصدر بمعنى الفتح كالكاذبة بمعنى الكذب ، ثم أطلقت على أول الشيء تسمية للمفعول بالمصدر ، لأن الفتح يتعلق به أولا وبواسطته يتعلق بالمجموع ، فهو المفتوح الأول . وقيل الفاتحة صفة ، ثم جعلت اسما لأول الشيء إذ به يتعلق الفتح بمجموعه ، فهو كالباعث على الفتح ، وأدخل التاء علامة للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما في التطيحة ، وهذا هو الوجه لأن فاعلة في المصادر قليلة ، وقس على الفاتحة حال الخاتمة ( قوله الكتاب ) كالقرآن يطلق على مجموع المنزل المكتوب في المصحف وعلى القدر المشترك بينه وبين أجزائه الخصوصية ، ومعنى فاتحة الكتاب أوله ، ثم صارت بالغلبة علما لسورة الحمد ، وقد تطلق عليها الفاتحة وحدها ، فإما أن يكون علما آخر بالغلبة أيضا لكون اللام لازمة ، وإما أن يكون اختصارا لفاتحة الكتاب واللام كالحلف عن الإضافة إلى الكتاب مع ملح الوصفية الأصلية . قال صاحب الكشف رحمه الله تعالى : وهذه الإضافة بمعنى من لأن أول الشيء بعضه . ورد عليه بأن البعض قد يطلق على ما هو فرد الشيء كما يقال : زيد بعض الإنسان ، وعلى ما هو جزء له كما يقال : اليد بعض زيد . وإضافة الأول إلى الشيء بمعنى من دون الثاني . ومن ثمة اشترط في الإضافة بمعنى من كون المضاف إليه جنسا للمضاف صادقا عليه ، وجعل من بيانية كخاتم فضة . فإن قلت : لعله يجعل الكتاب بمعنى القدر المشترك الصادق على سورة الحمد وغيرها : أي فاتحة هي الكتاب قلت : يأباه أن كونها فاتحة وأولا بالقياس إلى مجموع المنزل لا القدر المشترك . فإن قلت : جوز العلامة في سورة لقمان الإضافة بمعنى من التبعية وجعلها قسم الإضافة بمعنى من البيانية حيث قال : معنى إضافة الله إلى الحديث التبيين ، وهي الإضافة بمعنى من كقولك : باب ساج ، والمعنى : من يشترى الله من الحديث ، والله

## سورة فاتحة الكتاب

مكية . وقيل مكية ومدنية لأنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى . وتسمى أم القرآن ؛ لاشتغالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو أهله ، ومن التعبد بالأمر والنهي ، ومن الوعد والوعيد . وسورة الكنز والوافية لذلك . وسورة الحمد والمثنى لأنها تنثى في كل ركعة . وسورة الصلاة لأنها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها . وسورة الشفاء والشافية . وهي سبع آيات بالاتفاق ، إلا أن منهم من عد ( أنعمت عليهم ) دون التسمية ، ومنهم من مذهبه على العكس .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور ، وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها ، كما بدى بذكرها في كل أمر ذي بال ، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ، ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة . وقراء مكة والكوفة وفقهاؤها على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ، وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله ، ولذلك يجهرون بها . وقالوا : قد أثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ، ولذلك لم يثبتوا ( آمين ) فلو لا أنها من القرآن لما أثبتوها . وعن ابن عباس : « من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى » .<sup>(١)</sup>

(١) موقوف ، ليس بمعروف عنه ، والذي في الشعب للبيهقي عنه : « من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك آية من كتاب الله » . وتعب ابن الحاجب ما أورده الزحشرى بأن قال : « الصواب مائة وثلاث عشرة » . وبهذا اللفظ ذكر الشهرزورى في المصباح . وزاد : وإنما لم يقل « أربع عشرة » لأن براءة لا بسملة فيها ، انتهى . روى البيهقي في الشعب عن أحمد بن حنبل أنه قال : « من لم يقل مع كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك مائة وثلاث عشرة آية من كتاب الله تعالى » . قلت : وقفت على سبب اللفظ في منقول الزحشرى . وذلك أن الحاكم روى في ترجمة عبد الله بن المبارك بسنده عن علي القاشاني قال : « رأيت عبد الله بن المبارك يرفع يديه في أول تكبيرة على الجنازة ثم الثانية أخفض قليلا والصلوات مثل ذلك » . قال على قال عبد الله « من ترك بسم الله الرحمن الرحيم في فوائح السور فقد ترك مائة وثلاث عشرة آية » . قال عبد الله : وأخبرنا حنظلة بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنه قال : « من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك آية من كتاب الله تعالى » . فلما لم يخص ابن عباس سورة حمله ابن المبارك على الكل إلا براءة فكان مائة وثلاث عشرة .

فإن قلت : بم تعلق الباء ؟ قلت : بمحذوف تقديره : بسم الله أقرأ أو أتلو ؛ <sup>(١)</sup> لأن الذي يتلو التسمية مقروء ، كما أن المسافر إذا حل أو ارتحل فقال : بسم الله والبركات ، كان المعنى : بسم الله أحل وبسم الله ارتحل ؛ وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ بفعله : « بسم الله » كان مضمرًا ما جعل التسمية مبدأ له . ونظيره في حنف متعلق الجاز قوله عز وجل : ( في تسع آيات إلى فرعون وقومه ) ، أى اذهب في تسع آيات . وكذلك قول العرب في الدعاء للمعسر : بالرفاء والبنين ، وقول الأعرابي : باليمن والبركة ، بمعنى أعرست ، أو نسكت . ومنه قوله :

فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ قَرِيقٌ نَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامَا <sup>(٢)</sup>

(١) قال محمود رحمه الله تعالى : « الباء في البسملة تتعلق بمحذوف تقديره : بسم الله أقرأ أو أتلو ، قال أحمد : رحمه الله تعالى : الذي يقدره النحاة « أبدى » وهو المختار لوجوه : الأول : أن فعل الابتداء يصح تقديره في كل بسملة أبدى بها فعل ما من الأفعال خلاف فعل القراءة ، والعامحة تقديره أولى أن يقدر ، ألا تراهم يقدرون متعاق الجار الواقع خبراً أو صفة أو صلة أو حالاً بالكون والاستقرار حينئذ وقع ويؤثرونه لعموم صفة تقديره ، والثاني : أن تقدير فعل الابتداء مستقل بالفرض من البسملة إذ الفرض منها أن تقع مبدأ فتقدير فعل الابتداء أوقع بالمحل ، وأنت إذا قدرت « أقرأ » فأنما تنهى أبدى القراءة والواقع في أثناء التلاوة فراءة أيضاً لكن البسملة غير مشروعة في غير الابتداء . ومنها ظهور فعل الابتداء في قوله تعالى : ( أقرأ باسم ربك ) . وقال عليه السلام : « كل أمر خطير ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر » . ولا يعارض هذا ما ذكره من ظهور فعل القراءة في قوله تعالى : ( أقرأ باسم ربك ) فإن فعل القراءة إنما ظهر ثم لأن الأهم هو القراءة غير منظور إلى الابتداء بها . ألا ترى إلى تقدم الفعل فيها على متعلقه لأنه الأهم ولا كذلك في البسملة ؛ فإن الفعل المقدر كانتا ما كان إنما يقدر بعدها ، ولو قدر قبل الاسم لفات الفرض من قصد الابتداء إذاً على أنه الأهم في البسملة ، فوجب تقديره ، وسيأتي الكلام على هذه النكتة .

(٢) وثار قد حضأت بعيد وهن بدار ما أريد بها مقاما  
سوى ترحيل راحلة وعين أكاليها مخافة أن تناما  
أنوا نارى فقلت منون أتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما  
فقلت إلى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الانس الطعاما  
لقد فضلتم في الأكل فينا ولكن ذاك يعقبكم سقاما

لسمير بن الحارث الضبي ، وقيل لتأبط شراً ، وقيل لشمر الغساني ، وقيل للفردق يصف نفسه بالجرأة واقتحام المخاوف . يقول : ورب نار قد حضأتها بالحاء المهملة : أشعلتها وسعرتها ، وقيل هو حضأتها بالمعجمة ، ولا أعلم وإن ذكره بعض النحاة في باب الحكاية ، وبعيد : تصغير بعد ، والومن والمومن : بمعنى الفتور أو النوم أو هدوء الصوت ، وقيل : نحو نصف الليل . أى أوقدتها في جوف الليل في مفازة لأريد إقامة بها سوى تجهيز ما يلزم لراحتي في السفر ولأجل عين أكاليها أى أضرها أو أحافظها ، فأنا أحفظها من النوم وهى تحفظني من العدو ، والضمر في أتوا : لهم . ومنون استفهام ، وكان حقه : من أتم ، لأنه لا يأتى بصورة الجمع إلا في الوقف ، والأصل في نونه الأخيرة السكون =

فإن قلت : لم قدرت المحذوف متأخراً ؟ <sup>(١)</sup> قلت : لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به ؛ لأنهم كانوا يبدئون بأسماء آلهتهم فيقولون : باسم اللات ، باسم العزى ، فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء ، وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله : ( إياك نعبد ) ، حيث صرح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص . والدليل عليه قوله : ( بسم الله مجراها ومرساها ) . فإن قلت : فقد قال : ( اقرأ باسم ربك ) ، فقدم الفعل . قلت : هناك تقديم الفعل أوقع لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم . فإن قلت : ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة ؟ <sup>(٢)</sup> قلت : فيه وجهان : أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتابة في قولك : كتبت بالقلم ، على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لا ينجي . معتداً به في الشرع واقعاً على السنة حتى يصدر بذلك اسم الله لقوله عليه الصلاة والسلام : « كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه

للوزن ، على أن إجراء الوصل مجرى الوقف كثير في النظم كما صرخوا به وجعلوا هذا منه ، وكان هناك قول مقدر مثل « جثاك » لحكي إعراب ضمير الفاعل فيه حتى يظهر استشهاده يونس به في الحكاية . فقالوا : نحن الجن . وكان الظاهر : فقلت عمو . ولكن أتى به مستأنفاً جواب سؤال مقدر تقديره : فما ذا قلت لهم ؟ فقال : قلت عمو ، أى تتمعوا في وقت الظلام ، وعطف قوله « فقلت » بالفاء دلالة على التعقيب . وأما رواية « عمو صباحا » فنقصيدة أخرى تعزى إلى خديج بن سنان الغساني ومنها :

نزلت بشعب وادى الجن لما رأيت الليل قد نشر الجناحا

وشبه الليل بطائر ، فأثبت له مما للطائر . أو شبه الظلة بالجناح . وقوله « إلى الطعام » أى هلموا وأقبلوا إليه . دل المقام على ذلك ، فقال زعيمهم ، أى سيد وشريف : نحن نخمد الانس والطعام أو على الطعام ، فهو نصب على نزع المخاض . ويجوز أنه بدل ، ويحتمل « حصد » متعد بالاثنتين ، والطعاما : مفعولان . وقال الجوهرى : الانس هنا بالتحريك : لغة في الانس . ويجوز قراءته « الانس » على اللغة المشهورة . لقد فضلتم عنا في الأكل حال كونكم فينا أى فبايننا ، ولكن ذاك يلحقكم سقاماً في العاقبة . وهذا كله من أكاذيب العرب .

(١) قال محمود : « لم قدرت المحذوف متأخراً .. إلخ » قال أحدر حهاته : لأنك لو ابتدأت بالفعل في التقدير لما كان الاسم مبتدأ به فيقوت الغرض من التبرك باسم الله تعالى أول نطقك . وأما إفادة التقديم الاختصاص ففيه نظر سيأتى إن شاء الله تعالى .

(٢) قال محمود : « فإن قلت ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة ... إلخ » قال أحدر حهاته : وفي قوله « إن اسم الله هو الذى صير فعله معتبراً شرعاً » حيد عن الحق المعتد لأهل السنة في قاعدتين : إحداهما أن الاسم هو المسمى ، والأخرى أن فصل العبد موجود بقدرة الله تعالى لا غير ؛ فعلى هذا تكون الاستعانة باسم الله معناها اعتراف العبد في أول فعله بأنه جار على يديه ، وهو محل له لا غير ؛ وأما وجود الفعل فيه فبإتقائه تعالى أى بقدرته تسليماً لله في أول كل فعل ؛ والزخشرى رحمه الله لا يستطيع هذا التحقيق لاتباعه الهوى في مخالفة القاعدتين المذكورتين ، فيعتقد أن اسم الله تعالى الذى هو التسمية معتبر في شرعية الفعل لا في وجوده ؛ إذ وجوده على زعمه بقدرة العبد ، فعلى ذلك بئى كلامه . أقول : دعواه أن عند أهل السنة الاسم غير المسمى بمنوعة ، وتحقيقه قد ذكر في غير هذا الكتاب .



باسم الله فهو أبتر<sup>(١)</sup>، إلا كان فعلاً كلا فعل، جعل فعله مفعولاً باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم .  
والثاني أن يتعلق بها تعلق الدهن بالإنبات<sup>(٢)</sup> في قوله : ( تنبت بالدهن ) على معنى : متبركاً باسم الله  
أقرأ ، وكذلك قول الداعي للعرس : بالرفاء والبنين ، معناه أعرست ملتبساً بالرفاء والبنين ، وهذا  
الوجه أعرب وأحسن ؛ فإن قلت : فكيف قال الله تبارك وتعالى متبركاً باسم الله أقرأ ؟ قلت :  
هذا مقول على ألسنة العباد ، كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره ، وكذلك :  
( الحمد لله رب العالمين - إلى آخره ) ، وكثير من القرآن على هذا المنهاج ، ومعناه تعليم عباده  
كيف يتبركون باسمه ، وكيف يحمّدونه ويمجّدونه ويعظمونه . فإن قلت : من حق حروف المعاني  
التي جاءت على حرف واحد أن تنبى على الفتحة التي هي أخت السكون ، نحو كاف التشبيه ولام  
الابتداء وواو العطف وقائه وغير ذلك ، فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر ؟  
قلت : أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء ، وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر ،  
والاسم أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائها على السكون ، فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا  
همزة ، فلا يقع ابتداءهم بالسكون إذا كان دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ، لسلامة  
لغتهم من كل لكنة وبشاعة ، ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة ، وإذا وقعت في الدرج  
لم تقتصر إلى زيادة شيء . ومنهم من لم يزدوها واستغنى عنها بتحريك الساكن ، فقال : سم وسم . قال :

\* بِاسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سَمُهُ \* (٣)

(١) لم أره هكذا . والمشهور فيه حديث أبي هريرة من رواية قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة  
رضي الله عنه بلفظ « لا يبدأ فيه بحمد الله أقطع » أخرجه أبو عروبة في صحيحه ، وأصحاب السنن . ولأحد من هذا  
الوجه « لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر أو أقطع » وللخطيب في الجامع من طريق مبشر بن إسماعيل عن الزهري بلفظ  
« لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » والراوى له عن مبشر - مجهول

(٢) قوله « تعاق الدهن بالإنبات » هذا يناسب قرامة « تنبت » من أنبت الرباعي : كما يأتي . ( ع )

(٣) باسم الذي في كل سورة سمه قد وردت على طريق تعلمه

أرسل فيها بأزلاً بقرمه فهو بها ينحو طريقاً يعلمه

لرؤية بن العجاج يصف إبلاً . ولفظ « اسم » من الألفاظ العشرة التي سمع بناء أوائها على السكون كابن  
وامرئ ، فإذا ابتدئوا بها زادوا همزة الوصل ولا حاجة لها في الدرج ، وسمع تحريك أول بعضها كما في سمه  
بتثنية أوله . وباسم متعلق بأرسل وباؤه لللابسة . وخير وردت للسورة . وخير تعلمه بالفوقية لله على طريق  
الانقذات إلى الخطأ ، ويمكن أنه مخاطب بهم ، وعلى روايته بالتخية فالضمير لله فقط . ويحتمل من بعد أن ضمير  
وردت للابل فكذلك تعلمه بالفوقية ، وأما بالتخية فضميره لله أو للراعي . والبارز : الذي انشق نابه من الابل  
وذلك في السنة التاسعة وربما بزل في الثامنة . وقرم إلى اللحم وبحوه : اشتاق إليه . والتقريم والاقرام : التقويق ==

وهو من الأسماء المحذوفة الإعجاز : كيد ودم ، وأصله : سمو ، بدليل تصريحه : كأسماء ، وسمى ، وسميت . واشتقاقه من السمو ، لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره ، ومنه قيل للقب النبز : من النبز بمعنى النبر ، وهو رفع الصوت . والنبز قشر النخلة الأعلى . فإن قلت : فلم حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله : باسم ربك ؟ قلت : قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال ، وقالوا : طولت الباء تعويضا من طرح الألف . وعن عمر بن العزيز أنه قال لكتابه : طول الباء وأظهر السنوات ودور الميم . و (الله) أصله الإله . قال :

\* مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَكُونَ كَظْبِيَّةٍ \* <sup>(١)</sup>

ونظيره : الناس ، أصله الأناس . قال :

إِنَّ الْمَنَابِيَا يَظْلَعُ نَ عَلَى الْأَنَامِي الْأَمِينِيَا <sup>(٢)</sup>

لحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ، ولذلك قيل في النداء : يا الله بالقطع ، كما يقال :

== إليه والجملة حال من الراعي المرسل أو صفة لبازل ، وعليه فلم يبرز ضمير الفاعل لآمن الناس . فهو أى البازل ؛ وينحو : أى يقصد بها ، والباء للظرفية أو للتعدية إلى المفعول به كذمبت بريد ، ويجوز أن الضمير للراعي فالباء للتعدية فقط . وروى «نزلت» بدل «وردت» وهو يؤيد جعل الضمير للسورة ، وروى البيت الثاني قبل الأول . والمعنى أرسل فيها الراعي ملتبسا بذكر اسم الله بازلا حال كونه يشوقه إليها بأهوائه من العمل وحبه عن الإيل ثم إرساله فيها ، فذلك البازل يقصد بها طريق يعرفه وهو طريق الضراب ، وعلم ما لا يعقل مجاز عن اعتدائه إلى منافعه ، على طريق الاستعارة التصريحية والمجاز المرسل ، أو شبهه بالعاقل على طريق المسكنية ، فاعلم تخيل لذلك التشبيه . وكون اسمه تعالى في كل سورة ظاهر على القول بأن البسملة آية من كل سورة ، وإلا ورد مثل سورة العصر . وربما يدفع إبطاء القافية باختلافها في الفاعل وفي معنى المفعول وفي الحقيقة والمجاز .

(١) معاذ الإله أن تكون كظبية ولا دمية ولا عقيلة ربزب

ولكنها زادت على الحسن كله كالا ومن طيب على كل طيب

للبيهق بن حريث في محبوبته أم السليل ، يقال : عاذ عياداً وعباداً وعوداً ، إذا التجأ إلى غيره ، فالعاذ مصدر نائب عن اللفظ بفعله ، والدمية : الصنم والصورة من العاج ونحوه المنقوشة بالجواهر . وعقيلة كل شيء : أكرمه . والربزب : القطيع من بقر الوحش : شبه محبوبته بالظبية والدمية وبالعقيلة في نفسه ، ثم وجدها أحسن منها فرجع عن ذلك والتجأ إلى الله منه كأنه أتم : أو المعنى لا أشبهها بذلك وإن وقع من الشعراء . وأنى بلا المأكد لما قبلها من معنى النبي أى ليست كظبية ولا دمية ولا عقيلة وربزب ولكننا زادت كالا على الحسن المعروف كله ، أو زادت على الحسن الحسى كالا معنوياً ، وزادت من الطيب على كل طيب .

(٢) شبه المنايا بأناس يبحثون عن استحق الموت على طريق المسكنية والاطلاع تخيل . والمعنى : أن المنايا تأتي الناس دلي حين غفلة قهتهم فلا يستطيعون ردّها . والأناس : اسم جمع لا واحد له من لفظه ، مأخوذ من الانباس وهو الإبصار لظهورها ، أو من الاناس ضد الوحشة . والآمنون : العاقلون عن محي المنايا ، فهو مجاز مرسل .

يا إله ، والإله - من أسماء الأجناس كالرجل والفرس - اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ، ثم غلب على المعبود بحق ، كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا ، وكذلك السنة على عام القحط ، والبيت على الكعبة ، والكتاب على كتاب سيويه . وأما (الله) بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق ، لم يطلق على غيره . ومن هذا الاسم اشتق : تآله ، وآله ، واستأله . كما قيل : استنوق ، واستحجر ، في الاشتقاق من الناقة والحجر . فإن قلت : أاسم هو أم صفة ؟ قلت : بل اسم غير صفة ، ألا تراك تصفه ولا تصف به ، لا تقول : شيء إله ، كما لا تقول : شيء رجل . وتقول : إله واحد صمد ، كما تقول : رجل كريم خير . وأيضا فإن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه ، فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال . فإن قلت : هل لهذا الاسم اشتقاق ؟ قلت : معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد ، وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم : آله ، إذا تحير ، ومن أخواته : دله ، وعله ، ينتظمهما معنى التحير والدهشة ، وذلك أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ، ولذلك كثر الضلال ، وفشا الباطل ، وقل النظر الصحيح . فإن قلت : هل تفخم لاهمه ؟ قلت : نعم قد ذكر الزجاج أن تفخيمه أسنة ، وعلى ذلك العرب كلهم ، وإطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابراعن كابر . و(الرحمن) فعلان من رحم ، كغضبان وسكران ، من غضب وسكر ، وكذلك الرحيم فعيل منه ، كمرريض وسقيم ، من مرض وسقم ، وفي (الرحمن) من المبالغة ما ليس في (الرحيم) ، <sup>(١)</sup> ولذلك قالوا : رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيم الدنيا ، ويقولون : إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى . وقال الزجاج في الغضبان : هو الممتلئ غضبا . وبما طق على أذن من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف ، وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق ، فقلت في طريق الطائف لرجل منهم : ما اسم هذا المحمل ؟ أردت المحمل العراقي ، فقال : أليس ذلك اسمه الشقدف ؟ قلت : بلى ، فقال : هذا اسمه الشقنداف ، فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى ، وهو من الصفات الغالبة - كالديران ، والعيوق ، والصعق - لم يستعمل في غير الله عز وجل ، كما أن (الله) من الأسماء

(١) قال محمود : « وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ... الخ » . قال أبو - رحمه الله : لا يتم الاستدلال بقصر البناء وطوله على نقصان المبالغة وتعامها ، ألا ترى بعض صيغ المبالغة كفعل أحد الأمثلة أنصر من فاعل الذي لا مبالغة فيه البتة . وأما قولهم : رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ، فلا دلالة فيه أيضا على مبالغة رحمن بالنسبة إلى رحيم ؛ فإن حاصله أن الرحمة منه بالدلالة على إتمامها ؛ ألا ترى أن ضاربا لما كان أعم من ضراب ، كان ضراب أبلغ منه لخصوصه ، فلا يلزم إذا من خصوص رحيم أن يكون أقصر مبالغة من رحمن لعمومه .

الغالبه . وأما قول بنى حنيفة في مسيلة : رحمان اليمامة ، وقول شاعرهم فيه :

\* وَأَنْتَ غَيْثُ الْوَرَى لَزِلْتَ رَحْمَانًا \* (١)

فباب من تعنتهم في كفرهم . فإن قلت : كيف تقول : الله رحمن ، أنصرفه أم لا ؟ (١)  
قلت : أقيسه على أخواته من بابه ، أعني نحو عطشان وغرثان وسكران ، فلا أصرفه .

(١) سموت بالمجد يابن الأكرمين أبا وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

لرجل من بنى حنيفة يمدح مسيلة الكذاب ، يقول : علوت بسبب المجد يابن الأكرمين من جهة الأب ، وليس المراد خصوصه ، بل مطلق الأصل ، ولو كان المراد خصوصه لأشعر بالذم ، وهو تمييز للأكرمين أو تمييز لسموات ، وأنت كالغيث للورى في كثرة النفع ، ولا زلت رحمانا : دعا بدوامه رحبما عليهم ؛ ورحمن خاص بالله فاطلاقه على غيره جهل أو عناد . وقيل : إن الخاص به المحلى بأل .

(٢) قال محمود رحمه الله تعالى : « فإن قلت كيف تقول الله رحمن أنصرفه أم لا ... الخ » ؟ قال أحد : ليت شعري بعد امتناع فعلانة وفعل ما الذى عين قياسه على عطشان دون تدمان مع أن قياسه على تدمان معتضد بالأصل في الأسماء وهو الصرف ؟ أقول : الذى عينه هو أن باب سكران وعطشان أكثر من باب تدمان ، وإذا احتمل أن يكون من كل واحد منهما لحمله على ماهو الأكثر أولى ؛ ولأن رحمن وعطشان مشتركان في عدم وجود فعلانة ، بخلاف تدمان فلهذا كان حله على عطشان أولى ، ثم قال : وقد نقل غيره خلافا في صرف رحمن مجرداً من التمرير ، وبناء على تعيين العلة في منع صرف عطشان هل هو وجود فعل فيصرف رحمن ، أو امتناع فعلانة فيمتنع الصرف ؟ وهو أيضاً نظر قاصر . وأتم منها أن يقال : امتنع صرف عطشان وفاقا وامتناع صرفه معلل بشبه زيادته بألني التأنيث ، والشبه دائر على وجود فعل وامتناع فعلانة ؛ فاما أن يجعل الأمران وصنى شبههما مجموعهما مستقل ، أو كل واحد منهما مستقلا بيان الشبه ، أو أحدهما دون الآخر على البذل ؛ فهذه أربع احتمالات . فان كان مقتضى الشبه المجموع أو وجود فعل خاصة أنصرف رحمن ، وإن كان كل واحد من الأمرين مستقلا أو الشبه بامتناع فعلانة خاصة بمنع رحمن من الصرف ؛ فلم يبق إلا تعيين ما به حصل الشبه في عطشان بين زيادته وبين ألني التأنيث من الاحتمالات الأربعة ، وعليه يبنى الصرف وعدمه . والتحقيق أن كل واحد من الأمرين المذكورين مستقل باقتضاء الشبه فيمتنع صرف رحمن لوجود إحدى العلتين المتعلقتين في الشبه وهى امتناع فعلانة على هذا التقدير ؛ وإنما قلنا ذلك لأن امتناع فعلانة فيه حاصله امتناع دخول تاء التأنيث على زيادته كامتناع دخولها على ألني التأنيث لحصل الشبه بهذا الوجه . ووجود فعل يحقق أن مذكوره مختص ببناء ، ومؤنه مختص ببناء آخر ، فيشبه أفضل وفعل على اختصاص كل واحد منهما ببناء غير الآخر ، فهذا وجه آخر من الشبه . ومن تأمل كلام سيبويه فهمته ماقرره . فان قيل : حصل ذلك مناسبة كل واحد من الأمرين المذكورين لاقتضاء الشبه ، فما الذى دل على استقلال كل واحد منهما علة في الشبه ؟ وهلا كان المحصر علة وحيداً ينصرف رحمن وهو أحد الاحتمالات الأربعة المتقدمة ؟ قلت : امتناع صرف عمران العلم يدل على استقلال كل واحد من الأمرين بالشبه المانع من الصرف ؛ إذ عمران علما لا فعلى له وهو غير منصرف وفاقا . أقول : قد عثر ههنا رحمه الله وإن الجواد قد عثر لأن اعتبار وجود فعل وأنتفاء فعلانة إنما كان في الصفة ، أما في الاسم فشرطه العلمية لاوجود فعل ولا انتفاء فعلانة .

فإن قلت : قد شرط في امتناع صرف فلان أن يكون فلان فعلى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فلان فعلى ، فلم تمنعه الصرف ؟ قلت : كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة كندمانه ، فإذا لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره .  
فإن قلت : مامعنى وصف الله تعالى بالرحمة <sup>(١)</sup> ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطفها على ما فيها ؟ قلت : هو مجاز عن إنعامه على عباده ؛ لأن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وإنعامه ، كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه . فإن قلت : فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه ، <sup>(٢)</sup> والقياس الترقى من الأدنى إلى الأعلى كقولهم : فلان عالم تحرير ، وشجاع باسل ، وجواد فياض ؟ قلت : لما قال (الرحمن) فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها ، أردفه (الرحيم) كاللتممة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف .

### الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٣

الحمد والمدح أخوان ، وهو الثناء والنداء على الجليل من نعمة وغيرها . تقول : حمدت الرجل على إنعامه ، وحمدته على حسبه وشجاعته .

وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال :

أَفَادَتْكُمْ النِّعْمَاءُ مِنْ ثَلَاثَةٍ يَدَيَّ وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحْجِبَ <sup>(٣)</sup>

(١) قال محمود رحمه الله : وماعنى وصف الله تعالى بالرحمة... الخ ؟ قال أحدر رحمه الله : فالرحمة على هذا من صفات الأفعال ولك أن تفسرها بإرادة الخير فيرجع إلى صفات الذات وكلا الأمرين قال به الأشعرية في الرحمة وأمثالها مما لا يصح إطلاقه باعتبار حقيقته اللغوية هل الله تعالى ؛ فهم من صرفه إلى صفة الذات ، ومنهم من صرفه إلى صفة الفعل .  
(٢) قال محمود رحمه الله : وفان قلت : فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه ... الخ ؟ قال أحدر رحمه الله : إنما كان القياس تقديم أدنى الوصفين ؛ لأن في تقديم أعلاهما ثم الأدنى بأدناها نوعا من التكرار ؛ إذ يلزم من حصول الأبلغ حصول الأدنى ؛ فذكره بعده غير مفيد ولا كذلك العكس ؛ فانه ترقى من الأدنى إلى مزيد بجزية الأعلى لم يتقدم ما يستلزمه ، ولذلك كان هذا الترتيب عاصا بالاثبات . وأما الذي فعلى عكسه تقدم فيه الأعلى . تقول : ما فلان تحريرا ولا عالما ، ولو عكست لوقعت في التكرار ؛ إذ يلزم من نقي الأدنى عنه نقي الأعلى وكل ذلك مستعمد في عموم الأدنى وخصوص الأبلغ ، وإثبات الأخص يستلزم ثبوت الأعم ، ونقي الأعم يستلزم نقي الأخص .

(٣) وما كانت شكرى وأفيا بنوالمكم ولكننى حاولت في الجهد مذهبا

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

أى لم يكن تعظيبي إياكم وأفيا بحق عطائكم ، ولكننى أردت من الاجتهاد في تعظيمكم مذهبا ، وبينه بقوله : إن ==

والحمد باللسان وحده ، فهو إحدى شعب الشكر ، ومنه قوله عليه السلام : الحمد رأس الشكر ، ما شكر الله عبد لم يحمده ،<sup>(١)</sup> وإنما جعله رأس الشكر ؛ لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليا ، أشيع لها وأدل على مكابها من الاعتقاد وآداب الجوارح لحفا عمل القلب ، وما في عمل الجوارح من الاحتمال ، بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه . والحمد نقيضه الذم ، والشكر نقيضه الكفران ، وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو الله وأصله النصب<sup>(٢)</sup> الذي هو قراءة بعضهم بضمهم فعلة على أنه من المصادر التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار ، كقولهم : شكراً ، وكفراً ، وعجباً ، وما أشبه ذلك ، ومنها : سبحانك ، ومعاذ الله ، ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها ، لذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة ، والعدل بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره . ومنه قوله تعالى : ( قالوا سلاماً قال سلام ) ، رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم عليه السلام حيّاهم بتحية أحسن من تحيتهم ؛ لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه . والمعنى : نحمد الله حمداً ، ولذلك قيل : ( إياك نعبد وإياك نستعين ) ؛ لأنه بيان لخدمته ، كأنه قيل : كيف تخدمون ؟ فقيل : إياك نعبد . فإن قلت : ما معنى التعريف فيه ؟ قلت : هو نحو التعريف في أرسلها العراك ،<sup>(٣)</sup> وهو تعريف الجنس ،

== نعمتكم على أفادتكم بن يدى ولساني وجناتي ، فهي وأعمالها لكم ، قال السيد الشريف : هو استشهاد بمعنى على أن الشكر يطلق على أفعال الموارد الثلاثة ، وبيان أنه جعلها جزاء للنعمة ، وكل ما هو جزاء للنعمة عرفاً يطلق عليه الشكر لغة ، فكأنه قال : كثرت نعمتكم عندي فوجب على استيفاء أنواع الشكر لكم ، وبالحق في ذلك حتى جعل مواردها ملكاً لهم ، وقيل : التمام جمع للنعمة ، لكن ظاهر عبارة اليد أنها بمناء ، ورواية البيت الأول بعد الثاني أحسن موقفاً وأظهر استشهاده .

(١) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما به مرفوعاً . وفيه انقطاع ؛ وعن ابن عباس مثله . رواه البخاري في تفسير ( سبحان ) وفيه نصر بن حماد . وهو ضعيف .

(٢) قال محمود رحمه الله : « الأصل في الحمد النصب ... إلخ » قال أحمد : ولأن الرفع أثبت اختار سيويه في قول القائل : رأيت زيداً فإذا له علم علم الفقهاء : الرفع ، وفي مثل : رأيت زيداً فإذا له صوت صوت حمار : النصب ، والسر في الفرق بين الرفع والنصب أن في النصب إشعاراً بالفضل ، وفي صيغة الفعل إشعار بالتجدد والطور ، ولا كذلك الرفع ، فانه إنما يستدعي اسماً : ذلك الاسم صفة ثابتة ، ألا ترى أن المقدر مع النصب نحمد الله الحمد . ومع الرفع الحمد ثابت لله أو مستقر .

(٣) قال محمود رحمه الله : « وتعريف الحمد نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه إلخ » قال أحمد رحمه الله : تعريف التكرار باللام إما عهدي وإما جنسي ، والعهد إما أن ينصرف اليه إلى فرد معين من أفراد الجنس باعتبار يميزه عن غيره من الأفراد كالتعريف في نحو ( نعمي فرعون الرسول ) ، وإما أن ينصرف العهدي إلى ==



ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو ، والعراك ما هو ، من بين أجناس الأفعال . والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم . وقرأ الحسن البصري : ( الحمد لله ) بكسر الدال لإتباعها اللام . وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة : ( الحمد لله ) بضم اللام لإتباعها الدال ، والذي جسرهما على ذلك - والإتباع إنما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومنغيرة - تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالها مقترنتين ، وأشرف القراءتين قراءة إبراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للإعرابية التي هي أقوى ، بخلاف قراءة الحسن .

الرب : المالك . ومنه قول صفوان لأبي سفيان : لأن يربني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن . <sup>(١)</sup> تقول : ربه يربه فهو رب ، كما تقول : نعم عليه يتم فهو نعم . ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للنبالة كما وصف بالعدل ، ولم يطلقوا الرب إلا في الله وحده ، وهو في غيره على التقيد بالإضافة ، كقولهم : رب الدار ، ورب الناقة ، وقوله تعالى : ( ارجع إلى ربك ) ، ( إنه رب أحسن مشاى ) . وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما : ( رب العالمين ) بالنصب على المدح ، وقيل بما دل عليه ( الحمد لله ) ، كأنه قيل : نحمد الله رب العالمين .

العالم : اسم لذوى العلم من الملائكة والنفوس ، <sup>(٢)</sup> وقيل : كل ما علم به الخالق من الأجسام

== المسألة باعتبار عجزها عن غيرها من المعاني كالتعريف في نحو « أكلت الخبز ، وشربت الماء » ، والجنس هو الذي ينضم إليه شمول الآحاد ، نحو : الرجل أفضل من المرأة ، وكلا نوعي العهد لا يوجب استراقها ، وإنما يوجب الجنس خاصة ؛ فالزعروري جعل تعريف الحد من النوع الثاني من نوعي العهد ، وإن كان قد عبر عنه بتعريف الجنس ؛ لعدم اعتناؤه باصطلاح أصول الفقه . وغير الزعروري جعله للجنس فقضى بإفادته ، لاستغراق جميع أنواع الحد وليس بعميد .

(١) موقوف . قال ابن إسحاق في المغازي : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه في قصة حنين . وفيه قول صفوان هذا . ومن طريقه أخرجه ابن حبان في صحيحه . واليسبق في الدلائل . ورواه جويرية عن مالك عن الزهري مرسل . وأخرجه الدارقطني في الغرائب .

(تنبيه) وقع فيه أن صفوان قال ذلك لأبي سفيان . والذي في مرسل الزهري أنه قال لابن أخيه . والذي في المغازي : أنه قال لأخيه ابن أمه كعدة . وأخرجه أبو يعلى عن طريق ابن إسحاق .

(٢) قال محمود رحمه الله : « العالم اسم لذوى العلم من الملائكة ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : تعليله الجمع بإفادة استغراقه لكل جنس تحت فيه نظر ؛ فإن « عالماً » كما قرره : اسم جنس عرف باللام الجنسية ، فصار العالم - وهو مفرد - أدل على الاستغراق منه جمماً . قال الإمام الحرمين رحمه الله : التمر أخرى باستغراق الجنس من القوم ؛ فإن التمر يسترسل على الجنس لا بصيغة لفظية ، والنور تزد إلى تحيل الوجدان ، ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع ، وفي صيغة الجمع مضطرب . انتهى كلامه . والتحقق في هذا وفي كل ما يجمع من أسماء الأجناس ثم يعرف تعريف الجنس : أنه يفيد أمرين : أحدهما أن ذلك الجنس تحت أنواع مختلفة . والآخر أنه مبترق لجميع ما تحتها منها ؛ لكن المفيد ==

والإعراض . فإن قلت : لم جمع ؟ قلت : ليشمل كل جنس مما سمي به . فإن قلت : هو اسم غير صفة ، وإنما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء أو ما في حكمها من الأعلام . قلت : ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهى الدلالة على معنى العلم .

### مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤

قرئ : ملك يوم الدين ، ومالك ، وملك بتخفيف اللام . وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه : ملك يوم الدين ، بلفظ الفعل ونصب اليوم ، وقرأ أبو هريرة رضى الله عنه : مالك بالنصب . وقرأ غيره : ملك ، وهو نصب على المدح ؛ ومنهم من قرأ : مالك ، بالرفع . وملك : هو الاختيار ، لانه قراءة أهل الحرمين ، ولقوله : ( لمن الملك اليوم ) ، ولقوله : ( ملك الناس ) ، ولأن الملك يعم والملك يخص . ويوم الدين : يوم الجزاء . ومنه قولهم : « كما تدين تدان » (١) ويبت الحساسة :

== لا اختلاف الأنواع الجمع ، والمفيد لاستفراق جميعا التعريف ؛ ألا ترى أنه إذا جمع مجردا من التعريف دل على اختلاف الأنواع ، ثم إذا عرف أعاد استفراقا غير موقوف على الجمعية ، إذ هذا حكم مفردة إذا عرف ؛ فقول الزعنفري إذا « إن فائدة جمع العالمين الاستفراق » مردود بثبوت هذه الفائدة وإن لم يجمع ؛ وقول إمام الحرمين « إن الجمع يؤيد الاشعار بالاستفراق لما تنبئ به من الرد إلى الوجدان » مردود بأن فائدة الجمع الاشعار باختلاف الأنواع ، واختلافها لا ينافي استفراقها بصيغة المفرد المقرر من تعريف الجنس ، وإن أراد أن الجمع يخيل الإشارة إلى أنواع محله معبودة فهذا الخيال يعينه من المفرد ، فالعالم إذا جمع ليفيد اختلاف الأنواع المندرجة تحته من الجن والانس والملائكة ، وعرف ليفيد عموم الربوبية لله تعالى في كل أنواعه ؛ وتوضيح هذا التقرير : أنا لو فرضنا جنسا ليس تحته إلا آحاد متساوية وهو الذى يسميه غير النحاة النوع الأسفل ، لما جاز جمع هذا بحال ، لا معرفا ولا منكرأ ، وهذه الفائدة يرد قول إمام الحرمين « إن التور جمع من حيث اللفظ » لا معنى تحته لجمع الجمع في نحو نوق ونياق وأنيق ؛ وأما تعليل الزعنفري جمعه بالواو والنون بأشعاره لصفة العلم فيلحق بصفات من يعقل ، فصحيح إذا بنى الأمر على أنه لا يتناول إلا أبلى العلم ؛ وأما على القول بأنه اسم لكل موجود سوى الله ، فيحتاج إلى مزيد نظر في تغليب العاقل في الجمع على غير العاقل

(١) هو طرف من حديث مرفوع أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة مرسلا . مكذا أخرجه البيهقي في الزهد ؛ ورواه الامام أحمد عن عبد الرزاق بسنده عن أبي قلابة عن أبي الدرداء ، وهذا منقطع مع وقته . وله شاهد موصول من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، أخرجه ابن عدى في ترجمته محمد بن عبد الملك وضعفه . قلت : وأخرج ابن أبي عاصم في السنة عن أبي أيوب الجبائري عن سعيد بن موسى عن رياح بن زيد عن معمر عن الزهري عن أنس حديثا موضوعا ، وفيه : إن الله تعالى قال « يا موسى كما تدين تدان » ، والمتمم

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَانِ دِنَانُهُمْ كَمَا دَانُوا<sup>(١)</sup>

فإن قلت : ماهذه الإضافة ؟ قلت : هي إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع ،  
تُجرى تَجْرَى المفعول به كقولهم : يا سارق الليلة أهل الدار ، والمعنى على الظرفية . ومعناه :  
مالك الأمر كله في يوم الدين ، كقوله : ( لمن الملك اليوم ) . فإن قلت : إضافة اسم الفاعل إضافة  
غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف ، فكيف ساغ وقوعه صفة للعرفة ؟ قلت : إنما  
تكون غير حقيقية إذا أُريدَ باسم الفاعل الحال أو الاستقبال ، فكان في تقدير الانفصال ،  
كقولك : مالك الساعة ، أو غدا . فأما إذا قصد معنى الماضي ، كقولك : هو مالك عبده أمّس ،  
أو زمان مستمر ، كقولك : زيد مالك العبيد ، كانت الإضافة حقيقية ، كقولك : مولى العبيد ،  
وهذا هو المعنى في ( مالك يوم الدين ) ، ويجوز أن يكون المعنى : ملك الأمور يوم الدين ، كقوله :  
( ونادى أصحاب الجنة ) ، ( ونادى أصحاب الأعراف ) ، والدليل عليه قراءة أبي حنيفة : ( مَالِكُ  
يَوْمَ الدِّينِ ) ، وهذه الأوصاف التي أُجريت على الله سبحانه - من كونه ربا مالكا للعالمين  
لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ، ومن كونه متعنا بالنعم كلها الظاهرة والباطنة  
والجلال والدقائق ، ومن كونه مالكا للأمر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة

(١) صفحتنا عن بنى ذهل      وقلنا القوم إخوان  
فلما صرح الشر      فأسمى وهو عريان  
ولم يبق سوى العدو      دنانهم كما دانوا

لشمل بن شيان بن ربيعة . وليس في العرب شمل بالمعجمة غيره . هو وشمل بن أنمار بن أراش . يقول : صفحتنا  
عن بنى ذهل راحة بهم لعلمهم يرجعون ، فلما ظهر الشر بيننا وبالع في الظهور حتى كأنه رجل عريان عن ثيابه ، فشبّه  
الشر بأنسان على طريق الماكينة وأثبت له العرى تخيلا . وبروى : وهو غرثان ، أى : جائع ، فهو على التشبيه  
أيضا . وقيل : أراد بالشر : السيف ، وعريه : تجرده عن غمده . وزيد الوار قبل الجملة الواقعة خبر لأسمى  
لتأكيد الربط ، تشبيها لها بالجملة الواقعة حالا ، ولم يبق بيننا سوى عدوان بعضنا على بعض ، أو سوى عدوانهم  
علينا جازيناهم كما ظلمونا ، وصحى الثانى دينا مشاكلا ، وهى مجاز للاقعة المجاورة وقسم برأسه خلاف بين القوم ،  
ومذهب الجمهور أن سوى لا تخرج عن النصب على الظرفية المكانية إلا فى الضرورة كما هنا ، ومذهب ابن مالك  
كالراجح أنها بمعنى غير فتصرف فى الاختيار ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « سألت الله أن لا يسلط على أمتى  
عدوا من سوى أنفسها » وقول بعض العرب : أتانى سواك ، أى : غيرك ، وصرح صراحا بالتحريك : خلص  
خلوصا وظهر ، وصرح تفسيرا : خلص تخليصا وأظهر ، فإنا هنا من الأول . وبروى بدل الشطر الثانى : بدا  
والشر عريان ، وفيه إظهار الشر فى مقام الإظهار ، و« بدا » بدل من صرح ، وفيه تبيين وتفسير لمعناه ، وأما جواب  
« فلما » فهو قوله : دنانهم كما دانوا .

على اختصاص الحمد به وأنه به حقيق في قوله الحمد لله - دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله .

إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

(إيا) ضمير منفصل للنصب ، والواحق التي تالحقه من الكاف والماء والياء في قولك : إياك ، وإياه ، وإياي ، ليان الخطاب والغيبة والتكلم ، ولا يحمل لها من الإعراب ، كما لا محل للكاف في أرايتك ، وليست بأسماء مضمرة ، وهو مذهب الأخفش وعليه المحققون ، وأما ما حكاه الخليل عن بعض العرب : « إذا بلغ الرجل الستين فأياه وإيا الشواب » فشيء شاذ لا يعول عليه ، وتقديم المفعول لقصد الاختصاص ، كقوله تعالى : ( قل أغير الله تأمروني أعبد ) ، ( قل أغير الله أبغى ربا ) . والمعنى نخصك بالعبادة ، ونخصك بطلب المعونة . وقرئ : إياك بتخفيف الياء ، وإياك بفتح الهمزة والتشديد ، وهياك بقلب الهمزة ها . قال طفيل الغنوى :

فَهَئَاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَرَاحَبْتَ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ مَصَادِرُهُ <sup>(١)</sup>

والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل . ومنه ثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسيج ، ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى ، لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع . فإن قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ؟ قلت : هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون <sup>(٢)</sup> من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم ،

(١) لغرس بن ربيعي ، وقيل لطفيل ، وهياك : أصله إياك ، قايت همزته ماء ، وهو في محل نصب بمحذوف وجوبا ، والأمر : عطف عليه ، والأصل : احذر تلاق نفسك والأمر لحذف ماعدا ضمير الخطاب وما عطف عليه لكثرة الاستعمال . ولأن مقام التحذير يقتضى السرعة وإيجاز الكلام ، وقيل أصله : باعد نفسك من الأمر واعد الأمر من نفسك ، لحذف لذلك ، وشبه أسباب الدخول في الأمر بالموارد : أى مواضع الورد إلى نحو الماء ، وأسباب الخروج منه بالمصادر : أى مواضع الصدور : أى الرجوع ، فكل منهما استمارة تصريحية ، وأما تشبيه الأمر بشئ . له موارد ومصادر كالماء على طريقة المكنية ، فهو خارج عن قانون البيان ؛ لأن الأمر يطلق على كل شئ ، فتخصيصه بغير نحو الماء ثم تشبيهه به . بالقصد لا بالوضع . ويروى هكذا :

فإياك والأمر الذى إن توسعت . موارد ضاقت عليك المصادر

فما حسن أن يذر المرء نفسه . وليس له من سائر الناس عاذر

أى فليس عذر المرء لنفسه حسناً : أى قبوله لا اعتذارها بعد وقوعها في الورطة ، وقوله : وليس له الخ : جملة حالية وعلى هذا لحقه حرف الرا .

(٢) قوله « في علم البيان قد يكون » لعله وقد ، وعبارة النسب : وهو قد يكون . ( ع )

كقوله تعالى : ( حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ) . وقوله تعالى : ( والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه ) . وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات : <sup>(١)</sup>

تَطَاوَلَ لِمَلِكٍ بِالْأَمْنَدِ وَنَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ  
وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ كَيْلَةٌ كَكَيْلَةِ ذِي الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ  
وَذَلِكَ مِنْ نَبَأِ جَاءَنِي وَخَبَرْتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ <sup>(٢)</sup>

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب ، كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع ، وإيقاظ للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد ، وقد تختص موافقه بفوائد . ومما اختص به هذا الموضع : أنه لما ذكر الحقيق بالحمد ، وأجرى عليه تلك الصفات العظام ، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات ، فغوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات ، فقيل : إياك يا من هذه صفاته نخضع بالعبادة والاستعانة ، لا نعبد غيرك ولا نستعينه . ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحقق العبادة إلا به . فإني قلت : لم قرنت الاستعانة بالعبادة ؟ قلت : ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته . فإن قلت : فلم قدمت العبادة على الاستعانة ؟ <sup>(٣)</sup> قلت : لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة

(١) قال محمود رحمه الله : « وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : يعني أنه ابتدأ بالمخاطب ثم التفت إلى الغيبة ، ثم إلى التكلم وعلى هذا فهما التفاتان لا غير ، وإنما أراد الزخشرى والله أعلم أنه أتى بثلاثة أساليب : خطاب لحاضر ، وغائب ، ولنفسه ، فوهم بقوله ثلاث التفاتات ، أو يجعل الأخير ملتفتا للتفاتين عن الثاني وعن الأول فيكون ثلاثا ، والأمر فيه سهل .

(٢) قال امرؤ القيس بن حجر الجاهلي ، وقال ابن هشام : هو غلط ، وقائله امرؤ القيس بن عابس الصعابي ، وقيل لعمرو بن معد يكرب ، والأئمة كأحمد ، وقد تضمن ميمه ، وقد يروى بكسرهما : اسم موضع ، والمائر اسم جامد يطلق على قذى تدفع منه العين ، وعلى الرمد ، وعلى كل ما أعل العين ، وفي الشعر ثلاث التفاتات ، لكن الأول على مذهب السكاكي فقط : وهو أنه كان الظاهر التعبد بطريق التكلم فالتفت إلى المخاطب وذلك في البيت الأول . والثاني : عدوله عن الخطاب إلى الغيبة في الثاني . والثالث : التفاته عن الغيبة إلى التكلم في الثالث . والجمهور يجعلون الأول من قبيل التجريد . وأبو الأسود : كنية صاحب الشاعر الذي يرثيه ، وقيل هو الخبر واسمه ظالم بن عمرو وهو عم امرؤ القيس . وقيل أبي مضاف ليا . المتكلم والأسود صفته ، ويرى : عن بني الأسود .

(٣) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت لم قدمت العبادة على الاستعانة ... الخ » . قال أحمد : معتقد أهل السنة أن العبد لا يستوجب على ربه جزاء - تعالى الله عن ذلك - والثواب عندنا - من الاعانة في الدنيا على العبادة ومن صنوف النعيم في الآخرة - ليس بواجب على الله تعالى ، بل فضل منه وإحسان . وفي الحديث « أنه عليه الصلاة والسلام قال : =

ليستوجبوا الإجابة إليها . فإن قلت : لم أطلقت الاستعانة ؟ قلت : ليتناول كل مستعان فيه ، والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوقيفه على أداء العبادة ، ويكون قوله : (اهدنا) بيانا للطلب من المعونة ، كأنه قيل : كيف أعينكم ؟ فقالوا : اهدنا الصراط المستقيم ، وإنما كان أحسن لتلازم الكلام وأخذ بعضه بحجرة بعض . وقرأ ابن حيش : نستعين ، بكسر النون .

### أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

هدى أصله أن يتعدى باللام أو يالي ، كقوله تعالى : (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) ، (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) ، فمومل معاملة - اختار - في قوله تعالى : (واختار موسى قومه) . ومعنى طلب الهداية - وهم مهتدون - طلب زيادة الهدى بمنح الإلطف ، كقوله تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى) ، (والذين جاهدوا فينا لهديهم سبلنا) . وعن علي وأبي رضى الله عنهما : اهدنا ثبتنا ، وصيغة الأمر والدعاء واحدة ، لأن كل واحد منهما طلب ، وإنما يتفاوتان في الرتبة . وقرأ عبد الله : أرشدنا .

(الصراط) الجادة ، من سراط الشيء إذا ابتلعه ، لأنه يسترط السابلة إذا سلكوه ، كما سمي : لقما ، لأنه يلتقمهم . والصراط من قلب السين صاداً لأجل الطاء ، كقوله : مصيطر ، في مصيطر ، وقد تشم الصاد صوت الزاي ، وقرئ بهن جميعا ، وفصاحته إخلاص الصاد ، وهي لغة قریش وهي الثابتة في الإمام ، ويجمع سراطا ، نحو كتاب وكتب ، ويذكر ويؤنث كالطريق والسيل ، والمراد طريق الحق وهو ملة الإسلام .

### صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

(صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الصراط المستقيم ، وهو في حكم تكرير العامل ، كأنه قيل : اهدنا الصراط المستقيم ، اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم ، كما قال : (الذين استضعفوا لمن آمن منهم) . فإن قلت : ما فائدة البدل ؟ وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم ؟ قلت : فائدته التوكيد لما فيه من الثنية والتكرير ، والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره :

== لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ، قيل : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ، مضافا إلى دليل العقل الخيل أن يجب على الله تعالى شيء ، لكن قام الدليل عقلا وشرعا على أنه تعالى لا يجب عليه شيء ، فقد قام عقلا وشرعا على أن خبره تعالى صدق ووعد حقا ، أي يجب عقلا أن يقع ، فاما أن يكون الرخشي تسامح في إطلاق الاستيجاب وأراد وجوب صدق الخبر ، وإما أن يكون أخرجه على قواعد البدعية في اعتقاد وجوب الخير على الله تعالى وإن لم يكن وعد .

صراط المسلمين : ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآ كده ، كما تقول : هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم ؟ فلان ؛ فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك : هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل ، لانك تثبت ذكره بجمل أو لا ، ومفصلا ثانيا ، وأوقعت فلانا تفسيرا وإيضاحا للأكرم الأفضل فجعلته علما في الكرم والفضل ، فكأنك قلت : من أراد رجلا جامعا للتخصلتين فعليه بفلان ، فهو الشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع . والذين أنعمت عليهم : هم المؤمنون ، وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام ؛ <sup>(١)</sup> لأن من أنعم عليه بنعمة الإسلام لم تبقى نعمة إلا أصابته واشتملت عليه . وعن ابن عباس : هم أصحاب موسى قبل أن يغيروا ، وقيل هم الأنبياء . وقرأ ابن مسعود : ( صراط من أنعمت عليهم )

( غير المغضوب عليهم ) بدل من الذين أنعمت عليهم ، على معنى أن المنعم عليهم : هم الذين سلبوا من غضب الله والضلال ، أوصفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان ، وبين السلامة من غضب الله والضلال . فإن قلت : كيف صح أن يقع ( غير ) صفة للمعرفة وهو لا يتعترف وإن أضيف إلى المعارف ؟ قلت : ( الذين أنعمت عليهم ) لاتوقيت فيه كقوله :

\* وَلَقَدْ أَمَرُ عَلَى اللَّيْمِ يَسْبُنِي \* <sup>(٢)</sup>

(١) قال محمود رحمه الله : وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام . قال أحمد رحمه الله : إن إطلاق الإنعام يفيد الشمول كقوله : إن إطلاق الاستئانة يتناول كل مستأمن فيه ، وليس بمسلم فإن العمل لاهوم لمصدره ، والتحقيق أن الإطلاق إنما يقتضى إبهاما وشيوعا ، والنفس إلى المبهم أشوق منها إلى المقيّد لتعاق الأول مع الإبهام لكل نعمة تخطر بالبال

(٢) ولقد أمر على الليم يسبني فضيت ثمة قلت لا يعنيني

غضبان عتلى على إهابه إلى وربك سخطه يرضيني

لرجل من بني سلول ، ويسبني صفة لليم وإن قرن بأل ، لأنه ليس المراد لثما بعينه بدليل مقام التمدح قال فيه للعهد الذمى لا الخارجي ، ومذخورها في المعنى كالنكرة ، لجاز وصفه بالجلة وإن كانت لا يوصف بها إلا النكرة ، وهذا يفيد اتصافه بالسب دائما لاحال المرور فقط وهو المراد ، وكان الظاهر أن يقول : فأضى ثم أقول ، ولكن أتى بالماضى دلالة على محقق ذلك منه ، وروى : فأعف ثم أقول : أى أكف عنه وعن مكافأته ، ويحتمل أنه أراد صررت على صفة الماضى بالمضارع لحكاية الحال ، هذا واطهر أن الجملة الحالية ، أى : أمر على الليم حال كونه يسبني وأنا أسمع فأعرض عنه وأقول إنه لا يقصدنى بذلك السب الذى سمعته منه ، وليس المراد وصفه بالسب الدائم ، لأنه لا يظهر مع تخصيص السب بوقوعه على ضمير المسار ، على أنه يمكن جعل الحال لازمة فتفيد الدوام . هو غضبان عتلى جلده غضبا على لكن لا أبالي بذلك ، فأتى بحق ربك غضبه يرضيني ، فليدم عليه ويزدد منه ، والاهاب : الجلد قبل دبه



ولأنَّ المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم ، فليس في - غير - إذا الإبهام الذي يأتي عليه أن يتعترف ، وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ، ورويت عن ابن كثير . وذو الحال الضمير في عليهم ، والعامل أنعمت ، وقيل المغضوب عليهم : هم اليهود ؛ لقوله عز وجل : ( من لعنه الله وغضب عليه ) . والضالون : هم النصارى ؛ لقوله تعالى : ( قد ضلوا من قبل ) . فإن قلت : ما معنى غضب الله ؟ قلت : هو إرادة الانتقام <sup>(١)</sup> من العصاة ، وإزالة العقوبة بهم ، وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده - نعوذ بالله من غضبه ، ونسأله رضاه ورحمته . فإن قلت : أي فرق بين (عليهم) الأولى و (عليهم) الثانية ؟ قلت : الأولى محلها النصب على المفعولية ، والثانية محلها الرفع على الفاعلية . فإن قلت : لم دخلت (لا) في ( ولا الضالين ) ؟ قلت : لما في - غير - من معنى النفي ، كأنه قيل : لا المغضوب عليهم ولا الضالين . وتقول : أنا زيدا غير ضارب ، مع امتناع قولك : أنا زيدا مثل ضارب ؛ لأنه بمنزلة قولك : أنا زيدا لا ضارب . وعن عمر وعلى رضي الله عنهما أنهما قرآ : وغير الضالين . وقرأ أيوب السخيتاني : ولا الضالين - بالهمز ، كما قرأ عمرو بن عبيد : ( ولا جان ) وهذه لغة من جد في الحرب من اللقاء الساكنين . ومنها ما حكاه أبو زيد من قولهم : شأبة ، ودأبة . آمين : صوت سمي به الفعل الذي هو استجب ، كما أن « رويد ، وحيل ، وهلم ، أصوات سميت بها الأفعال التي هي « أمهل ، وأسرع ، وأقبل ، . وعن ابن عباس : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين <sup>(٢)</sup> فقال : « افعل ، وفيه لغتان : مد ألفه ، وقصرها . قال :

\* وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَ <sup>(٣)</sup> \*

(١) قال محمود رحمه الله : « ومعنى الغضب من الله تعالى إرادة الانتقام ... الخ » قال أحمد : أدرج في هذا ما يقتضيه عنده وجوب وعيد العصاة ، وليس مذهب أهل السنة ، بل الأمر عندهم في الزمن العاصي موكل إلى المشيئة : فمنهم من أراد الله تعالى عقوبته والانتقام منه فيقع ذلك لاحالة ، ومنهم من أراد العفو عنه وإثابته فضلا منه تعالى ، على أن المغضوب عليهم والضالين واقعان على الكفار ، ووعيدهم واقع لاحالة ومراة ، والله الوفي . أقول : قال الزمخشري رحمه الله : الغضب من الله تعالى إرادة الانتقام من العصاة الخ لا يدل على ما فهمه ، فإن وجوب وعيد العصاة لا يعلم منه . والغضب من الله عند أهل السنة والمعتزلة : عبارة عما ذكره الزمخشري رحمه الله ، إلا أن عند أهل السنة أن الله تعالى إن شاء عذب صاحب الكبيرة وإن شاء غفر له ، وعند المعتزلة وجوب عذابه ؛ فعند المعتزلة ظاهر أن الغضب عبارة عن إرادة الانتقام ، وعند أهل السنة : إن غفر له فلا غضب ، وإن لم يغفر له فغضبه عبارة عما ذكره .

(٢) أخرجه الثعلبي من رواية أبي صالح عنه بإسناد واه

(٣) يارب إنك ذو من ومغفرة بيت بعافية ليل المحييا

الذاكرين الهوى من بعد ما رقدوا الدافئين على الأيدي المكيينا

وقال :

\* آمِينَ قَزَادَ اللَّهِ مَا بَيْنَنَا بُعْدًا <sup>(١)</sup> \*

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « لقنني جبريل عليه السلام آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب » <sup>(٢)</sup> وقال : إنه كالحتم على الكتاب ، ، وليس من القرآن دليل أنه لم يثبت في المصاحف . وعن الحسن : لا يقوله الإمام لأنه الداعي . وعن أبي حنيفة رحمه الله مثله ، والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفيها . وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> . وعند الشافعي يمجهر بها . وعن وائل بن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ : ولا الضالين ، قال آمين ورفع بها صوته <sup>(٤)</sup> . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup>

يأرب لا تسلفي حبا أبداً ورحم الله عبداً قال آمينا

لقيس بن معاذ المروح مجنون لبى العامرية ، اشتد وجده بها ، فأخذته أبوه إلى الكعبة ليدعو الله عسى أن يشفيه ، فأخذ بحلقه بابها وقال ذلك . والدعاء ليل المحبين مجاز عقلي ، وهو في الحقيقة لم ، وبين أن رقادهم ليس على المعتاد بقوله : الساقطين على الأيدي ، المسكين على الوجوه حيرة وسكرة ، ثم دعا بأن يديم الله حبها ، ودعا لمن يؤمن على دعائه بأن يقول : آمين ، وهو اسم فعل ، أى استجب يا الله هذا الدعاء ، وهو بالمد ، ويجوز قصره .

(١) تباعد حتى فطحل إذ دعوته آمين فزاد الله ما بيننا بعدا

لجبر كان قد سأل فطحلا الأسدي فأعرض عنه فدعا عليه ، وروى تباعد متى فطحل وأبى ، وأمين : بقصر الهمزة على اللغة العربية الأصلية ، وأما بالمد فقل أعجمي ؛ لأنه ليس في لغة العرب فاعيل . وقيل : أصله بالقصر فأشبعته همزته : اسم فعل بمعنى استجب ، ورتبته بعد ما بعده . قدمه حرصا على طلب الإجابة ووقوع الدعاء مجابا من أول وهلة . والفاء للسببية عما قبلها ، أى : حيثما تباعد حتى فزدا ما بيننا بعدا يا الله ، وبعدا : يجوز أن يكون تميزا ، وأن يكون منقولا .

(٢) لم أجده هكذا . وفي الدعاء لابن أبي شيبة من رواية أبي ميسرة أحد كبار التابعين قال : « أقرأ جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فلما قال (ولا الضالين) قال له قل : آمين . فقال آمين » قلت وعند أبي داود عن أبي زهير قال « آمين مثل الطابع على الصحيفة » وروى ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا « آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين » وهو في الدعاء للطبراني

(٣) لم أجده عن واحد منهما

(٤) أخرجه أبو داود من رواية جبر بن عتبة عنه . وإسناده حسن

(٥) قوله : وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعلم أن صاحب الكتاب التزم أن يذكر آخر كل سورة حديثا ليان فضلها ، ولسكن ليست كلها صحيحة فقد قال الجلال السيوطي : اعلم أن السور التي صحت الأحاديث في فضلها : الفاتحة ، والزمر ، والأنعام ، والسيق الطوال ، والكهف ، ويس ، والدخان ، والمائدة ، والزلزلة ، والنصر ، والكافرون ، والإخلاص ، والمعوذتان . وما عداها لم يصح فيه شيء . اهـ . والزمر ، البقرة ، وآل عمران . والسيق الطوال : من أول البقرة إلى آخر براءة . بعدها مع الأنفال سورة واحدة . قاله الجمهور على البيهقي في مصطلح الحديث . (ع)

أنه قال لآبي بن كعب : « ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلاً ؟ »<sup>(١)</sup>  
قلت : بلى يا رسول الله . قال : « فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ،  
وعن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب  
حتماً مقضياً »<sup>(٢)</sup> فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب ( الحمد لله رب العالمين ) فيسمعه الله تعالى  
فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة »

## سورة البقرة

مدنية ، وهي مائتان وست وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم (١)

(الْم) اعلم أن الألفاظ التي تهجى بها أسماء ، مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت  
الكلم ، فقولك - ضاد - اسم سمي به دضه ، من ضرب إذا تهجيته ، وكذلك : را ، با : اسبان لقولك :  
ره ، به ؛ وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة ، وهي أن المسميات لما كانت ألفاظاً كأسمائها وهي  
حروف وحدان والأسامي عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة ، اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا في التسمية

(١) أخرجه الترمذى والنسائى والحاكم من رواية عبد الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن  
أبي هريرة . ورواه مالك في الموطأ عن العلاء بن عبد الرحمن : أن أبا سعيد مولى عامر بن كريب أخبره « أن النبي  
صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب - فذكره - وهو مرسل ؛ لأن أبا سعيد هذا تابعى . وهذا الحديث قد أخرجه  
البخارى من وجه آخر عن أبي سعيد بن المعلى « أن النبي صلى الله عليه وسلم مر به وهو يصلى ، فدعاه - فذكر  
الحديث « وهم صاحب جامع الأصول لجملة ما واحدنا فخطأ . لأن الأول مكى مولى تابعى . والثاني أنصارى  
مدنى من أنفسهم . صحافى . قال البيهقي : يحتمل أن يكون ذلك صدر منه صلى الله عليه وسلم لآبي بن كعب مرة ،  
ولسعيد بن المعلى مرة أخرى

(٢) أخرجه الترمذى من رواية أبي معاوية عن أبي مالك الأشجعي عن ربه عن عه . قلت : إلا أن دون أبي  
معاوية من لا يحتج به . وله شاهد في مسند الداريمى عن ثابت بن عجلان قال « كان يقال إن الله ليريد العذاب بأهل  
الأرض فإذا سمع تعلم الصبيان بالحكمة صرف ذلك عنهم » يعنى بالحكمة : القرآن ، وحديث أبي بن كعب رضى الله  
عنه في فضائل القرآن سورة سورة . أخرجه الثعالب بن طروق عن أبي بن كعب رضى الله عنه كلها سائقة . وأخرجه  
ابن مردويه من طريقين . وأخرجه الواحدى في الوسيط . وله قصة ذكرها الخطيب ثم ابن الصلاح عن اعترف  
بوضعه . ولهذا روى عن أبي عصمة أنه وضعه .

على المسمى فلم يغفلوها، وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى، إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها؛ لأنه لا يكون إلا ساكنا. وما يضاهيها في إبداع اللفظ دلالة على المعنى: التهليل، والحوالة، والحيعة، والبسلة؛ وحكمها - ما ملأ لها العوامل - أن تكون ساكنة الإعجاز موقوفة كأسماء الأعداد، فيقال: ألف لام ميم، كما يقال: واحد اثنان ثلاثة؛ فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب. تقول: هذه ألف، وكتبت ألفاً، ونظرت إلى ألف؛ وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب، قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها، فحقت أن تلفظ به موقوفاً. ألا ترى أنك إذا أردت أن تلقى على الحاسب أجناساً مختلفة ليرفع حسابها، كيف تصنع وكيف تلقى أغفالا من سمة الإعراب؟ فتقول: دار، غلام، جارية، ثوب، بساط. ولو أعربت ركبت شططا. فإن قلت: لم قضيت لهذه الألفاظ بالإسمية؟ وهلا زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين؟ قلت: قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف، فعملت أن قولهم خليك بأن يصرف إلى التسامح، وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الأسماء التي لا يقدح إشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف، مستعملين الحرف في معنى الكلمة، وذلك أن قولك: «ألف»، دلالة على أوسط حروف «قال، وقام»، دلالة «فرس»، على الحيوان المخصوص، لأفضل فيما يرجع إلى التسمية بين الداليتين. ألا ترى أن الحرف: «مادل» على معنى في غيره، وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه؛ ولأنها متصرف فيها بالإمالة كقولك: «با، تا، وبالفتحيم كقولك: «يا، ها». وبالتعريف، والتشكير، والجمع والتصغير، والوصف، والإسناد، والإضافة، وجميع ما للأسماء المنتصرة. ثم إن عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك. قال سيبويه: قال الخليل يوما - وسأل أصحابه -: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف<sup>(١)</sup> التي في لك، والباء التي في ضرب؟ فقبل: نقول: «باء، كاف» فقال: إنما جئتم بالاسم، ولم تلفظوا بالحرف، وقال: أقول: «كه، به». وذكر أبو علي في كتاب الحجة في (يس): «وإمالة يا، أنهم قالوا: يا زيد، في النداء؛ فأمالوا وإن كان حرفا، قال: فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء، فلأن يميلوا الاسم الذي هو يس أجدر.

(١) قال محمود رحمه الله: «وقد سأل الخليل أصحابه كيف ينطقون بالكاف... الخ». قال أحمد رحمه الله: وسألم أيضا كيف ينطقون بالفاء من قبل؟ فقالوا: «قاف»، كقولهم الأول، فأجابهم بكوابه الأول وقال: أما أنا فأقول: «قه»، فألحق رضي الله عنه أولا ما السكت؛ لأن الحرف المنطوق به متحرك، وثانياً همزة الوصل؛ لأنه ساكن.

ألا ترى أنّ هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها ؟ فإن قلت : من أى قبيل هى من الأسماء ، أمعربة أم مبنية ؟ قلت : بل هى أسماء معربة ، وإنما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الأسماء حيث لا يمسها إعراب لفقد مقتضيه وموجه . والدليل على أنّ سكونها وقف وليس ببناء : أنها لو بنيت لحذى بها حذو : كيف ، وأين ، وهؤلاء . ولم يقل : صَبَّ ، قَ ، نَ مجموعا فيها بين الساكنين . فإن قلت : فلم لفظ المتهجى بما آخره ألف منها مقصورا ، فلما أعرب مد فقال هذه باء ، وياه ، وهاء ، وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك « لا ، مقصورة : فإذا جعلتها اسما مددت فقلت : كتبت لاء ؟ قلت : هذا التخيل يضمحل بما لحضته من الدليل ؛ والسبب فى أن قصرت متهجة ، ومدت حين مسها الإعراب : أنّ حال التهجى خليقة بالأخف الأوجز ، واستعمالها فيه أكثر . فإن قلت : قد تبين أنها أسماء لحروف المعجم ، وأنها من قبيل المعربة ، وأن سكون أعجازها عند الهجاء لأجل الوقف ، فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور ؟ قلت : فيه أوجه : أحدها وعليه إطباق الأكثر : أنها أسماء السور . وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذى كسره على ذكرها فى حد مالا ينصرف بـ « باب أسماء السور » ، وهى فى ذلك على ضربين : أحدهما مالا يتأتى فيه إعراب ، نحو : كَيْمَعَصَ ، وَالْمَرَّ . والثانى : ما يتأتى فيه الإعراب ، وهو إما أن يكون اسما فردا كَصَ وَقَ وَنَ ، أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كـ حَمَ وَطَسَ وَيَسَ ؛ ، فإنها موازنة لقائيل وهابيل ، وكذلك طَسَمَ يتأتى فيها أن تفتح نونها ، وتصير ميم مضمومة إلى طَسَ فيجعلها اسما واحدا ؛ كدارا مجرد ؛ فالنوع الأول يحكى ليس إلا ؛ وأما النوع الثانى فسائغ فيه الأمران : الإعراب ، والحكاية ؛ قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح ابن أوفى العبسى <sup>(١)</sup>

(١) قوله « قال قاتل محمد بن طلحة ... الخ » هكذا نسبه البخارى لشرح فى تفسير غافر . ولفظه : ويقال إن (حم) اسم . لقول شريح بن أبى أوفى ، فذكره . ونسب ذلك لغير شريح ، فى الطبقات لابن سعد والمستدرك للحاكم من رواية الواقدى عن محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه قال : كان محمد بن طلحة يوم الجمل مع أبيه ، فنبى على رضى الله عنه عن قتله . وقال : من رأى صاحب البرنس الأسود فلا يقتله . يعنيه - فقتله رجل من بنى أسد بن خزيمه يقال له : طلحة بن مدلج ، وقبل : شداد بن معاوية العبسى . وقبل عصام بن مشعر وعليه الأكثر . وهو الذى يقول فى قتله . فذكره . قلت : وهو من جملة آيات . أولها :

يُذَكِّرُنِي حَامِيمَ وَالرُّمْحُ شَاجِرٌ فَهَلَّا تَلَا حَامِيمَ قَبْلَ التَّقْدِمِ (١)

فأعرب حاميم ومنعها الصرف ، وهكذا كل ما أعرب من أخواتها ؛ لاجتماع سببي منع الصرف فيها ، وهما : العلية ، والتأنيث . والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى . كقولك : دعني من تمرتان ، وبدأت بالحمد لله ، وقرأت سورة أنزلناها . قال :

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ أَحَقَّ الْخَيْلِ بِالرُّكُضِ الْمَعَارِ (٢)

(١) وأشعث قوام بآيات ربه  
شككت له بالرمح جيب قيصة  
على غير شيء غير أن ليس تابها  
بذكرني حاميم والرمح شاجر  
قليل الأذى فيما ترى العين مسلم  
غمر صريعاً للدين ولانهم  
عليها ومن لا يتبع الحق يظلم  
فهلا تلا حاميم قبل التقدم

أشريح بن أوفى العباسي يوم الجمل ، حين أمر أبو طلحة محمد بن طلحة أن يبرز للقتال ، وكان من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان كلما حل عليه رجل قال : نفدتك بعم لما فيها من آية ( قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ) حتى حل عليه العباسي فقتله وأنشأ يقول : ورب أشعث من أثر العبادة كثير القيام والعمل بآيات ربه ، أو القيام في الليل بتلاوتها ، قليل الأذى ، وروى الكرى : أى النوم ، وروى القذى : وهو ما يتساقط في العين فيغمضها : كنى بقلته عن قلة النوم فيما ترى العين : أى في رأى العين . شككت : أى خرقت له بالرمح جيب : أى طوق قيصة ، كناية عن طعنه به في صدره أو من خلفه حتى نفذ من صدره ، أو نظمت وربطت جيب قيصة بصدرة فسقط مطروحاً على يديه ووجهه . وعبر بالقلم مبالغة في التشكيل ؛ ولأنه أول ما يلقي الأرض من الوجه ، وذلك بلا سبب غير أنه ليس تابها لى بن أبي طالب ، وهكذا حال كل من لا يتبع الحق ، وهو أنه يعاقب ويهان . يذكرني حاميم ، والحال أن رمحي مختلط في ثيابه وأضلاعه . وقيل المعنى : والحال أن الرماح مختلطة والحرب قائمة ، وقوله فهلا ، فيه نوع توبيخ : أى كان من حقه أن يذكرني بها قبل التقدم للحرب .

(٢) وجدنا في كتاب بني تميم  
يضمم بالأصائل فهو نهيد  
كأن سراته والخيل شعث  
كأن حفيف منخره إذا ما  
أحق الخيل بالركض المعار  
أقرب مقاص في اقورار  
غداة وجدها مسد مغار  
كتمن الربو كبر مستعار

لبشر بن أبي حازم الأسدي ، وقيل للطرماح . والركض : ضرب الزاكب دابته برجله ، وعار الفرس : ذهب منها وهما مرصحا عند انقلاته ، وأعاره صاحبه فهو معار . قال أبو عبيدة : والناس يروونه أى يظنون المعار من العارية وهو خطأ . وروى : المعار بكسر الميم . وروى : يضم ، بالأصائل جمع أصيل كالأصائل وهي أواخر الثمار . أى يترك بلا علف من أول الثمار فيجوع حتى يكون ضامر البطن في آخره ، أو يها ويبرسل للقتال في آخر الثمار فبال أوله . والتهد : غليظ الجنين مرتفع الأضلاع ، والأقب : رقيق الخصر ، والمقلص : كعظم على اسم المفعول . المشمر المشرف طويل القوائم ، ويجوز جعله على اسم الفاعل بمعنى المنتشر المنتز اللحم . يقال : قلصه بالشدديد شمره ، فقاص هو أيضا : أى تشمر ، ويقال قلصت الثافة كذلك : إذا استمرت على السير . والاقورار : رقة الجسم ونحافته . والسرارة : أعلى الظهر . والوجيف : سرعة سير الخيل . والمسد : الخيل . شبه السرارة به =

وقال ذو الرمة :

سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِمُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لَصِيدَحِ انْتَجِمِي بِلَالًا<sup>(١)</sup>

وقال آخر :

تَنَادَوْا بِالرَّحِيلِ غَدًا وَفِي تَرْحَالِهِمْ نَفْسِي<sup>(٢)</sup>

وروى منصوبا ومجرورا . ويقول أهل الحجاز في استعمال من يقول : رأيت زيدا ، من زيدا ؟ وقال سيويه : سمعت من العرب : لا من أين يا قتي . فإن قلت : فما وجه قراءة من قرأ : ص ، وق - ، ون - مفتوحات ؟ <sup>(٣)</sup> قلت : الأوجه أن يقال : ذاك نصب وليس بفتح ، وإنما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت . وانتصابها بفعل مضمر . نحو : اذكر ؛ وقد أجاز

== في الامتداد والصلابة ، وقوله : والرحيل شعث ، جملة حالية ، والشعث جمع أشعث ، أو شعث ، وغداة : ظرف له . والخفيف : دوى الجرى والطيران . يقال : حف القرس حفيفاً ، وأحففته : إذا حلكه على الخفيف ، وضخيم كتمن للتحيل . والربو : الزيادة وما ارتفع من الأرض ، والفس العالي ، وافتاخ القرس من عدو أو فزع . يقال منه : ربا يربو ، إذا أخذ الربو : أى إذا ضاقت مناخر الخيل عن إخراج النفس لعجزها ، كانت متخرفة فرسي واسعاً كالكمير - وهو منفخة الحداد - لعلو نفسه وتردده . وجعله مستعاراً ليدل على أنه تداولته الأيدي . يقول : وجدنا في كلام جدودنا هذا الكلام ، فأحق مبتدأ ، والمعار خبره ، والجملة محكية محلها نصب وجدنا .

(١) لذى الرمة يمدح بلالاً أبا بريدة ، وهما لقب وكنية لعاصم بن أبي موسى الأشعري ، كان أمير البصرة وقاضياً ، وصديق : اسم ناقة الشاعر . والناس رفع بالابتداء : أى سمعت هذا الكلام لحكاية على ما كان عليه ، ولم ينصب الناس ، لأنه يقتضى أن فعل الانتجاع مما يسمع وليس كذلك ، لأنه بمعنى يرتحلون طالبين غيثاً ، أو بمعنى يطلبون غيثاً أى مطراً أو كلاً نابتاً منه . وروى ينصب الناس ، فيكون ينتجعون غيثاً : بمعنى يتكلمون بطلبه . وروى رأيت الناس . قال ابن القطاع : ولا يصح منه الرفع ، وذلك لأن الرؤية لا تقع على اللفظ ، وشبه تهيئتها وإعدادها للسير إليه ليسوقها أو سونها إليه بأمره لها بالسير إليه ، وطلبه لترتب السير على كل على طريق التصریح ، ويجوز أنه شبهها بالمافل غاطبها بذلك على سبيل المستكنية : أى اطلبي بلالاً ، فإنه أنفع مما يطلبه الناس ، ولما سمع بلال ذلك قال : يا غلام اعلف صيدح قتا ونوى ، والقت : نوع من الثبات الطرى .

(٢) روى الرحيل بالرفع على أنه مبتدأ ، وغداً - أى فى غد - خبره ، وبالنصب : مصدر لفعل محذوف ، وذلك كله على الحكاية . وروى بالجر على الأصل ، وغدا . ظرف للرحيل ، وفى ترحالهم : أى مع رحيلهم نفسى - أى روحى - فكأن محبوبه أخذ روحه وغادره ميتاً لملق قلبه به ، ويجوز أنه استعارها لمحبوبه على طريق التصریح ، لأن به حياته وسروره ، فكأنه يموت بمفارقه لا غتامة

(٣) قال محمود رحمه الله : «فان قلت : فما وجه من قرأ ص وق ون مفتوحات ... الخ ؟ قال أحد رحمه الله تعالى : كلامه على الوجه الأول يوجب كونها معربة ، وعلى الوجه الثانى يحتدل أن يكون أراد أن الفتحة - لانتقاء الساكنين - نشأت عن سكن الحكاية . فانها إنما تحكى ساكنة مجردة من سمة الاعراب ، فلا تكون الحركة إذا إعراباً ، إذ لا مقتضى لمع الحكاية ، ولا بناء إذ هي معربة عنده على هذا التقدير . ويحتدل أن يكون أراد أنها مبنية فتكون الحركة ==



سيبويه مثل ذلك في : حم ، وطس ، ويس لو قرئ به . وحكى أبو سعيد السيراني أن بعضهم قرأ : يس . ويجوز أن يقال : حركت لالتقاء الساكنين ، كما قرأ من قرأ : (ولا الضالين) . فإن قلت : هل ازعمت أنها مقسم بها ؟ <sup>(١)</sup> وأنها نصبت قولهم : نعم الله لأفعلن ، وآى الله لأفعلن ، على حذف حرف الجر وإعمال فعل القسم ؟ وقال ذو الرمة :

\* أَلَا رَبُّ مَنْ قَلْبِي لَهُ اللَّهُ نَاصِح \* <sup>(٢)</sup>

وقال آخر :

• فَذَاكَ أَمَانَةُ اللَّهِ التَّيِّدُ \* <sup>(٣)</sup>

== مثلها في أين وكيف حركة بناء ، والاول هو الظاهر من مراده إذ حتم قبل أنها معربة ، على أن سيبويه نص في كتابه على ما أورده بلفظه قال : وأما (ص) فلا يحتاج إلى أن يجعل اسما أعجميا ، لأن وزنه في كلامهم . ولكنه يجوز أن يكون اسما للسورة فلا يصرف . ويجوز أن يكون أيضا (يس وص) اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح كما ألزمت الأسماء غير المتمكنة للحركات نحو : كيف ، وأين ، وحيث ، وأمس اه كلام سيبويه . وفيه رد على الزعشري رحمه الله في حتمه أن تكون معربة وأن فتحتها نصب أو لالتقاء الساكنين العارض للحكاية على ما ظهر من مقوله آنفاً ، وسيأتى له أيضا ما يدل على أنه لا يجوز بناؤها البيت . أقول : بعد تسليم أن الأول هو الظاهر من مراده ، فما ذكره - حكاية عن سيبويه - غير وارد عليه ، لأنه اختار أحد الوجهين .

(١) قال محمود رحمه الله : «هل ازعمت أنها مقسم بها... الخ» ؟ قال أحدرحه الله : وله الإفاء على أنها منصوبة على القسم ، وجعل الواو عاطفة على مذهب الخليل وسيبويه في أمثاله ، ويسلك حينئذ في العطف سبيل : ولا سابق شيئا إذا كان جانبا .

فإن المقسم به وإن كان منصوبا لأنه محل يعمد وفيه الخبر ، فعطف بالجر رعاية لذلك العهد ، وههنا أولى بالصحة منه بيت زهير المذكور لأن انتصاب المقسم به إنما نشأ عن حذف حرف الجر الذي هو أصل في القسم ، وانتصاب خبر ليس أصل في نفسه ، ليس ناشئا عن حذف . غاية أن حرف الجر قد يصحب خبرها دخيلا ، فإعادة الأصل أجدر من مراعاة العارض ، فقد تحرر في فتح ص وجها : أحدهما أن يكون إعرابا وهو إما جرى على الوجه الذي أبداه الزعشري ، أو نصب على الوجه الذي نقلته عن سيبويه ، ثانيهما أنه لا إعراب ولا بناء وهو عروضة على الوقف في الحكاية .

(٢) ألا رب من قلبي له الله ناصح ومن قلبه لي في الظباء السوايح

لدى الرمة . و « من » نكرة موصوفة . و « قلبي » مبتدأ . « الله » قسم نصب على حذف الجار وإعمال فعل القسم المقدر . و « ناصح » خبر ، والخلة صفة « من » و « السوايح » المسرعات جهة اليمين ، كما أن « البوارح » المسرعات جهة الشمال . يقول : رب شخص قلبي له ناصح خالص والله . ورب شخص قلبي لي غير خالص بل نافر عنى كأنه من الظباء المسرعات نفورا . وأعاد الموصوف - وإن كان المفعوض ذكر الصفة فقط - تنبيها على استقلال كل من الصفتين بقصد الاخبار به . هذا ، ويحتمل أن المعنى : أن قلبه لي ناصح أيضا ؛ لأن بعض العرب يقيم بالسوايح . وفيه تلويح بتشبيهه محبوبته بالظبية .

(٣) إذا - يا الخبز تأدمه يلحم فذاك أمانة الله التريد

« ما » زائده . وأدم يأدم كضرب يضرب ، إذا وفق وأصلح ، وكذلك آدم بعد الهمة ، فتأدمه : تصلحه ==

قلت : إن القرآن والقلم بعد هذه الفوائح مخلوف بهما ، فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم واحد وقد استكروا ذلك . قال الخليل في قوله عز وجل : ( والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى ، وما خلق الذكر والأنثى ) : الواو ان الآخرين ليست بمنزلة الأولى ، ولكنهما الواو ان اللتان تضمان الاسماء إلى الاسماء في قولك : مررت بزيد وعمر ، والأولى بمنزلة الباء والتاء . قال سيبويه : قلت للخليل : فلم لا تكون الآخرين بمنزلة الأولى ؟ فقال : إنما أقسم بهذه الأشياء على شيء ، ولو كان انقضى قسمه بالأقول على شيء لجاز أن يستعمل كلاما آخر ، فيكون كقولك بالله لأفعلن ، بالله لأخرجن اليوم : ولا يقوى أن تقول : وحقك وحق زيد لأفعلن . والواو الأخيرة واو قسم لا يجوز إلا مستكرها قال : وتقول وحياتي ثم حياتك لأفعلن ؛ فثم ههنا بمنزلة الواو . هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده إلى أن تجعل الواو للعطف ؛ لمخالفة الثاني الأول في الإعراب . فان قلت : فقد رها مجرورة بإضمار الباء القسمية لا بحذفها ، فقد جاء عنهم : الله لأفعلن مجرورا ، ونظيره قولهم : لاه أبوك ؛ غير أنها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة ، واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير إلى نحو ما أشرت إليه . قلت : هذا لا يبعد عن الصواب ، ويعضده مارووا عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : أقسم الله بهذه الحروف .<sup>(١)</sup>

فإن قلت : فما وجه قراءة بعضهم ص وق بالكسر<sup>(٢)</sup> ؟ قلت : وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين ، والذي يبسط من عذر المحرك : أن الوقف لما استمر بهذه الاسامي ، شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات ، فعولمت تارة معاملة . الآن ، وأخرى معاملة هؤلاء . فإن قلت : هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في

وتبيته للأكل . وأمانة الله رفع على الابتداء ، والخبر محذوف ، أى : قسمي ؛ أو نصب بفعل القسم المقدر بعد حذف الجار ، أى : أقسم بأمانة الله ؛ أو جر بواو القسم مقدرة ، لكن البصريون خصوا هذا بإفظ الجلالة . يقول : إذا كان الخبر مأمورا باللحم ومزوجا به ، فذلك هو الثريد دون ما عداه وحق أمانة الله .

(١) موقوف رواه اليبقى في الأسماء والصفات ، من طريق معاوية بن صالح ، عن علي بن طلحة عنه بإفظ : الحروف المنقطعة في أوائل السور كلها أقسم الله بها . ورواه ابن مردويه من هذا الوجه في تفسيره . قال : طه وأشياها قسم أقسم الله بها . وهى من أسماء الله تعالى .

(٢) قال محمود رحمه الله : فان قلت فما وجه قراءة بعضهم ص وق بالكسر... الخ ، قال أحمد رحمه الله : وهذا تحقق لك مخالفته لما نقلته من نص سيبويه من أنها غير متمكنة . وبذلك على أن فتحها التي قال قبل إنها لالتقاء الساكنين فتحة بناء ، أنه إنما أراد السكون العارض في الحكاية لا سكون البناء وهو مخالف لنص سيبويه كما نهت عليه أيضا .

المعربة<sup>(١)</sup> من إرادة معنى القسم ؟ قلت : لا عليك في ذلك ، وأن تقدّر حرف القسم مضمراً في نحو قوله عز وجل : ( حم والكتاب المبين ) ، كأنه قيل : أقسم بهذه السورة ، وبالكتاب المبين : إنا جعلناه . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « حم لا يبصرون »<sup>(٢)</sup> فيصلح أن يقضى له بالجز والنصب جميعاً على حذف الجار وإضماره . فان قلت : فما معنى تسمية السور بهذه الألفاظ خاصة ؟ قلت : كأن المعنى في ذلك الإشعار بأن الفرقان ليس إلّا كلماً عربياً معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ ، كما قال عز من قائل : ( قرآناً عربياً ) . فان قلت : فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف<sup>(٣)</sup> أنفسها ، لا على صور أساميها ؟ قلت : لأنّ الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف ، واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب : اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالأسماء وتقع في الكتابة الحروف أنفسها ، عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواصح . وأيضاً فإن شهرة أمرها ، وإقامة ألسن الأسود والأحرار لها ،

(١) قال محمود رحمه الله : « هل تسوغ لي في المحكية إرادة القسم كما سرغت لي في المعربة ... الخ » ، قال أحمد رحمه الله : وقد منع الزحزحى أن يكون ص منصوباً على القسم لما تقدم ، وأجاز أن يكون حم في الحديث المذكور منصوبة على القسم ، بخلاف حم في القرآن ، فذلك يمين أن يكون نصبها على إضمار الفعل ، أو مجرورة على القسم . وأما النصب مع القسم فلا يجزئه إلا في الحديث ، والفرق عنده أن المانع من إجازته في القرآن مجيء المعطوف بعده بخلافه في الإعراب ، إذ المعطوفات كلها مجرورة ، ويتعذر عنده القسم في الثواني خوفاً من جمع قسمين على قسم واحد ، ولا كذلك الحديث فإنه لم يأت بعده ما يباه : فلذلك خص جواز هذا الوجه بالحديث . وأما على الوجه الذي أوضحته فيم جواز ذلك القرآن والحديث جميعاً .

(٢) أخرجه أصحاب السنن الثلاثة ، من رواية المهلب عن سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن يتيكم العدو فليكن شعاركم حم لا يبصرون » قال إمامكم : المهم هو البراء بن عازب رضى الله عنهما . ثم أخرجه كذلك وهو في النسائي أيضاً ، وفي الباب عن أنس رضى الله عنه في الأوسط للطبراني . وفي لدلائل لأبي نعم عنه في غزوة حنين . وعن شيبه بن عثمان في الطبراني أيضاً وعن أبي دجاجة الأنصاري في آخر الدلائل للبيهقي ، في حديث طويل (٣) قال محمود رحمه الله : « فان قلت : فما بالها مكتوبة في المصحف على صورة الحروف ... الخ » ؟ قال أحمد

رحمه الله : على هذا المعنى من خروج خط المصحف عن قياس الخط اعتمد القاضي رضى الله عنه في كتاب الانتصار ، في الجواب عما نقل عن عثمان رضى الله عنه : أن عكرمة لما عرض عليه المصحف وجد فيه حروفاً من اللحن فقال : لا تغيروها فان العرب ستقبحها بالآياتها . فلو كان الكاتب من ثقيف والممثل من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف ، قال القاضي : وإنما قال عثمان رضى الله عنه ذلك : لأن ثقيفاً كانت أبصر بالهجاء ، وهذيل كانت تظهر الهمة ، والمهمة إذا ظهرت في لفظ الممثل كتبها الكاتب على صورتها فما أراد عثمان رضى الله عنه إلا أن تلك الحروف كتبت على خلاف قياس الخط ، مثل كتابة : الصلوة ، والزكوة ، بالواو لا بالالف ؛ قال القاضي : وإنما أخذ الله على الحفظة أن لا يغيروا التلاوة ، أما الخط فلم يأخذ عليهم رسماً بعينه ، حتى لا يسوغ الخروج من قياس رسم خاص من رسوم الخط أم كلامه

وَأَنَّ اللَّافِظَ بِهَا غَيْرُ مَهْجَاةٍ لَا يَحِلُّ بِطَائِلٍ مِنْهَا <sup>(١)</sup> وَأَنَّ بَعْضَهَا مُفْرَدٌ لَا يَخْطُرُ بِيَالٍ غَيْرُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَوْرَدِهِ : أَمِنَتْ وَقَوَّعَ اللَّبْسَ فِيهَا : <sup>(٢)</sup> وَقَدْ اتَّفَقَتْ فِي خَطِّ الْمَصْحَفِ أَشْيَاءٌ خَارِجَةٌ عَنِ الْقِيَاسَاتِ الَّتِي بَنَى عَلَيْهَا عِلْمَ الْخَطِّ وَالْمَهْجَاءُ : ثُمَّ مَا عَادَ ذَلِكَ بِضَيْرٍ وَلَا نَقْصَانٍ : لِاسْتِقَامَةِ اللَّفْظِ وَبَقَاءِ الْحِفْظِ . وَكَانَ اتِّبَاعُ خَطِّ الْمَصْحَفِ سُنَّةً لَا تَخَالَفُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دُرُسْتُوبِهِ فِي كِتَابِهِ : الْمُرْتَجِمُ بِكِتَابِ الْكِتَابِ الْمُتِمُّ : فِي الْخَطِّ وَالْمَهْجَاءِ خَطَّانٌ لِأَيِّقَاسِيَانِ : خَطُّ الْمَصْحَفِ ، لِأَنَّهُ سُنَّةٌ ، وَخَطُّ الْعُرُوضِ : لِأَنَّهُ يَثْبُتُ فِيهِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّفْظُ وَيَسْقُطُ عَنْهُ مَا أَسْقَطَهُ . الْوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّ يَكُونُ وَرُودُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ هَكَذَا مَسْرُودَةً عَلَى نَمَطِ التَّعْيِيدِ <sup>(٣)</sup> كَالِإِيْقَازِ وَقَرَعِ الْعِصَانِ تَحْدِي بِالْقُرْآنِ وَبِغَرَابَةِ نَظْمِهِ : وَكَالتَحْرِيكِ لِلنَّظَرِ فِي أَنَّ هَذَا الْمُتْلُو عَلَيْهِمْ وَقَدْ عَجَزُوا عَنْهُ عَنْ آخِرِهِمْ كَلَامٌ مَنْظُومٌ مِنْ عَيْنٍ مَا يَنْظُمُونَ مِنْهُ كَلَامَهُمْ لِيُؤْذِيَهُمُ النَّظَرُ إِلَى أَنَّ يَسْتَدِيقُنَا أَنَّ لَمْ تَسَاقُطْ مَقْدَرَتُهُمْ دُونَهُ ، وَلَمْ تَظْهَرْ مَعْجَزَتُهُمْ <sup>(٤)</sup> عَنْ أَنَّ يَأْتُوا بِمَثَلِهِ بَعْدَ الْمَرَاجَعَاتِ الْمُتَطَوَّلَةِ ، وَهُمْ أَمْرَاءُ الْكَلَامِ وَزَعَمَاءُ الْحَوَارِ ، وَهُمْ الْحَرَّاصُ عَلَى التَّسَاجُلِ <sup>(٥)</sup> فِي اقْتِضَابِ الْخُطْبِ ، وَالْمَتَاهِلُ الْكَوْنِ عَلَى الْإِفْتِنَانِ فِي الْقَصِيدِ وَالرَّجَزِ ، وَلَمْ يَبْلُغْ مِنَ الْجِزَالَةِ وَحُسْنِ النِّظْمِ الْمُبَالِغِ الَّتِي بَزَتْ بِلَاغَةُ <sup>(٦)</sup> كُلِّ نَاطِقٍ ، وَشَقَتْ غِبَارَ كُلِّ سَابِقٍ ، وَلَمْ يَتَجَاوَزْ الْحَدَّ الْخَارِجَ مِنْ قُوَى <sup>(٧)</sup> الْفَصَحَاءِ ، وَلَمْ يَقْعِ وَرَاءَ مَطَايِحِ أَعْيُنِ الْبَصَرَاءِ : إِلَّا لِأَنَّهُ لَيْسَ بِكَلَامِ الْبَشَرِ ، وَأَنَّهُ كَلَامُ خَالِقِ الْقُوَى وَالْقَدَرِ . وَهَذَا

(١) قوله « لا يحل بطائل منها » في الصحاح : وقولهم لم يحل منه بطائل : أى لم يستفد منه كبير فائدة ولا يتكلم به إلا مع الجحد (ع)

(٢) قوله « أمنت وقوع اللبس فيها » أى تلك الأمور الأربعة ، أمنت القارى . وقوع اللبس في الفوائخ . (ع)  
(٣) قال محمود رحمه الله : « الوجه الثانى أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعييد ... الخ » قال أحمد رحمه الله : إنما أردت هذا الفصل في كلام الزخشرى : لأنه غاية الصناعة ، ونهاية البراعة ، لولا الإخلال بلطيفة لو سلكها لمت فصاحته ، وهى أنه بنى أول الكلام على التثنية وطول فيه . حتى انتهى إلى الإثبات ، فكان أول الكلام رهيباً لآخره يفهم على الضد حتى ينفى على البعد ، فهو كما انتقد على أبى الطيب قوله في الخيل : ولا ركبت بها إلا إلى ظفر ولا حصلت بها إلا على أمل

فانه صدر الصدر والعجز بما صورته الدعاء على المخاطب في الرض مستدركاً بعد ، وإنما يؤاخذ بهذا مثل أبى الطيب والزخشرى لأن لهما في مراتب الفصاحة علوا يفطن السامع لمثل هذا النقد

(٤) قوله « ولم تظهر معجزتهم » لعله يفتح الميم والجيم مقابل مقدرة (ع)

(٥) قوله « على التساجل » أى التفاوض بأن تصنع مثل صنعه في جرى أو سقى ، وأصله من السجل : بمعنى الدلو الذى فيه ماء . واقتضاب الخطب : ارتجالها ؛ أفاده الصحاح (ع)

(٦) قوله « التى بزت بلاغة » أى غلبت وسلبت (ع)

(٧) قوله « الخارج من قوى » لعله عن (ع)

القول من القوة والحلاقة بالقبول بمنزل، ولناعره على الأول أن يقول: إن القرآن إنما نزل بلسان العرب مصوباً في أساليبهم واستعمالاتهم، والعرب لم تتجاوز ما سماه به <sup>(١)</sup> مجموع اسمين، ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة، والقول بأنها أسماء السور حقيقة: يخرج إلى ما ليس في لغة العرب، ويؤدى أيضاً إلى صيرورة الاسم والمسمى واحداً. فإن اعترضت عليه بأنه قول مقول على وجه الدهر وأنه لا سبيل إلى رده، أجاوبك بأن له محلاً سوى ما يذهب إليه، وأنه نظير قول الناس: فلان يروى: قفا نبك، وعفت الديار. ويقول الرجل لصاحبه: ما قرأت؟ فيقول (الحمد لله) و (براه من الله ورسوله) و (يوصيكم الله في أولادكم) و (الله نور السموات والأرض). وليست هذه الجمل بأسمى هذه القصائد وهذه السور والآي، وإنما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها، وتلاوة السورة أو الآية التي تلك فاتحتها. فلما جرى الكلام على أسلوب من يقصد التسمية، واستفيد منها ما يستفاد من التسمية، قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة. وللجيب عن الاعتراضين على الوجه الأول أن يقول: التسمية بثلاثة أسماء فصاعداً مستنكرة لعمرى وخروج عن كلام العرب، ولكن إذا جعلت اسماً واحداً على طريقة حضرموت، فأما غير مركبة مثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار فيها؛ لأنها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية، كما سما: بتأبط شراً، وبرق نحره، وشاب قرناها. وكما لو سمي: بزيد منطلق، أو بيت شعر. وناهيك بتسوية سيويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر، وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم، دلالة قاطعة على صحة ذلك. وأما تسمية السورة كلها بفاتحتها، فليست بتصوير الاسم والمسمى واحداً، لأنها تسمية مؤلف بمفرده، والمؤلف غير المفرد. ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفاً منه ومن حرفين مضمومين إليه، كقولهم: صاد، فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحداً حيث كان الاسم مؤلفاً والمسمى مفرداً. الوجه الثالث: أن ترد السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بوجه من الإعراب، وتقدمة من دلائل الإعجاز. وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام: الأميون منهم وأهل الكتاب، بخلاف النطق بأسمى الحروف. فإنه كأن مختصاً بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم، وكان مستغرباً مستبعداً من الأمي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة، كما قال عز وجل: (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتاب المبطلون). فكان حكم النطق بذلك

(١) قوله « لم تتجاوز ما سماه به » لعله: بما، أو لعله: فبها. (ع)

- مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئاً من أهله - حكم الأفاضل المذكورة في القرآن ، التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة بها ، في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي ، وشاهد بصرته نبوته ، وبمنزلة أن يتكلم بالبطانة من غير أن يسمعهما من أحد . واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفوائج من هذه الأسماء . وجدتها نصف أسامي حروف المعجم <sup>(١)</sup> أربعة عشر سواء ، وهي : الألف ، واللام ، والميم ، والصاد ، والراء ، والكاف ، والهاء ، والياء ، والعين ، والطاء ، والسين ، والحاء ، والقاف ، والنون - في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم . ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف ، يبان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها : الصاد ، والكاف ، والهاء ، والسين ، والحاء . ومن المجمورة نصفها : الألف ، واللام ، والميم ، والراء ، والعين ، والطاء ، والقاف ، والياء ، والنون . ومن الشديدة نصفها : الألف ، والكاف ، والطاء ، والقاف . ومن الرخوة نصفها : اللام ، والميم ، والراء ، والصاد ، والهاء ، والعين ، والسين ، والحاء ،

(١) قال محمود رحمه الله : . واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفوائج من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم ... الخ . قال أحد : بقی علیہ من الانصاف الحروف الشديدة ، وقد ذكر تعالى نصفها : المهمزة المعبر عنها بالألف ، والكاف ، والقاف ، والطاء ، والمطبعة ، وقد ذكر تعالى نصفها : الصاد ، والطاء ، والمنفتحة ، وقد ذكر نصفها : الألف ، والحاء ، والراء ، والسين ، والعين ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون ، والهاء ، والياء . وحروف الصغير لما كانت ثلاثاً : السين ، والصاد ، والراء ، لم يكن لها نصف فذكر منها اثنين : السين ، والصاد . وتلك العادة المأثورة فيما يقصد إلى تنصيفه فلا يمكن قيم الكسر . ألا ترى طلاق العبد وعدة الأمة ونحو ذلك ؟ والحروف اللينة وهي ثلاثة : الألف ، والياء ، والواو . وذكر منها اثنين : الألف ، والياء كحروف الصغير . والمكرر وهو الراء . والمأوى وهو الألف ، والمنحرف وهو اللام . وقد ذكرها . ولم يبق من أصناف الحروف خارجاً عن هذا النمط إلا ما بين الشدید والرخو ، فانه لم يقتصر منها على النصف ؛ لأن ما ذكر منها زائد على النصف اندرج في غيرها من الأصناف ، فلم يمكن الاقتصار لها كالشديدة والرخوة فلم يكن بها عناية . وأما حروف الدلالة والمصمتة فالصحيح أن لا يعدا صنفين ، ولما عدما صنفين متميزين بخط طويل في جهة تمييزهما ، - حتى أبعد الزختمري في مفصله في تمييزهما فقال : حروف الدلالة التي يمتد الناطق فيها على ذلك اللسان - أي طرفه - وهو تمييز مردود جداً ؛ لأن من جملتها : الميم ، والياء ، والقاف . ولا مدخل لطرف اللسان فيها ، ثم لا يتم على هذا التمييز مطابقتها للمصمتة ، إذ المصمتة مفسرة عنده بأنها حروف تكون عن تركيب كلمة رباعية فما زاد منها حتى يدرج معها أحد حروف الدلالة ، فكيف المقابلة بين الخروج من طرف اللسان وبين الصمت ؟ فالحق أنهما صنفان ضعيف تمييزهما ، فلم يعتبر جريانهما على النمط المستمر في غيرهما من الأصناف البين امتيازهما . وعد الزختمري في هذا النمط حروف القلة ، وذكر أن المذكور منها النصف : القاف ، والطاء ؛ وروى فأنها خمسة أحرف ، لم يذكر منها في الفوائج سوى الحرفين المذكورين . وعلى الجملة فلا يقدم الناظر تفرج ما لم يمر على هذا النمط من الأصناف على وجه يمكن الاستئناس إليه .

والياء، والنون. ومن المطبقة نصفها: الصاد، والطاء. ومن المنفتحة نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والقاف، والياء، والنون. ومن المستعلية نصفها: القاف، والصاد، والطاء. ومن المنخفضة نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والسين، والحاء، والنون. ومن حروف القلقلة نصفها: القاف، والطاء. ثم إذا استقرت الكلم وتراكبها، رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مذكورة بالذكورة منها، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته. وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله، وهو المطابق للطائفتين التزيل واختصاراته، فكان الله عز اسمه عدّد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم، إشارة إلى ما ذكرت من التبيكيت لهم وإلزام الحجة إياهم. وبما يدل على أنه تغمد<sup>(١)</sup> بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعاً في تراكيب الكلم<sup>(٢)</sup>. أن الألف واللام لما تكثر وقوعهما فيها جملتها في معظم هذه الفوائج مكررتين، وهى: فوائج سورة البقرة، وآل عمران، والروم، والعنكبوت ولقمان، والسجدة، والأعراف، والرعد، ويونس، وإبراهيم، وهود، ويوسف، والحجر. فان قلت: فهلا عدّدت بأجمعها في أول القرآن؟ وما لها جاءت مفرقة على السور؟ قلت: لأن إعادة التنبيه على أن المتحدث به مؤلف منها لا غير، وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقرب له في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة، وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فطوب به تمكين المسكر في النفوس وتقريره. فان قلت: فهلا جاءت على وتيرة واحدة؟ ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت صوّقـونـ على حرف، وظه وطسـ ويسـ وحـم على حرفين، وآسـم وآر وطسـم على ثلاثة أحرف، وآلمصـ وآلمر على أربعة أحرف،

(١) قوله «تغمد» لعله «تعمد» بالعين المهملة. (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله: «وبما يدل على أنه تغمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعاً في تراكيب الكلم أن الألف واللام... الخ» قال أحمد رحمه الله: الألف المذكورة في الفوائج يحتمل أن يكون المراد بها الهمزة اللينة، وقد اضطرب فيها كلام الزخسري في هذا الفصل، فعند ما عد الحروف أربعة عشر حرفاً في الفوائج قال: إنها نصف حروف العربية، فهذا يدل على أن جملتها ثمانية وعشرون حرفاً، فلا بد من سقوط أحد الحرفين من هذا العدد إما اللينة أو الهمزة، وإلا كانت تسعة وعشرين. والظاهر أن الساقط الهمزة وعندما قال: في تسع وعشرين على عدد الحروف اقتضى هذا دخول الألفين في العدد. والظاهر من كلامه أن الألف عنده هي اللينة، فلذلك علل تسميتها بالألف بأن النطق لما تعذر بها أولاً استقرت الهمزة مكانها وفاء بمراعاة تلك اللطيفة التي قدمها من جعل مسمى الحرف أول اسمه. وأما عند الحاجة فالألف المعدودة في حروف المعجم مفردة هي الهمزة؛ وأما اللينة فهي المعدودة مع اللام حيث يقولون: لام ألف، ويكتبونها على صورة «لا».

وكيعصّ وحّم عسقّ على خمسة أحرف ؟ قلت : هذا على إعادة افتنانهم في أساليب الكلام ، وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة . وكأ أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك ، سلك بهذه الفوائج ذلك المسلك . فإن قلت : فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها ؟ قلت : إذا كان الغرض هو التنبيه - والمبادئ كلها في تأدية هذا الغرض سواء لامفاضلة - كان تطلب وجه الاختصاص ساقطاً ، كما إذا سمي الرجل بعض أولاده زيدا والآخر عمراً ، لم يقل له : لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمر ؟ لأن الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك ؛ ولذلك لا يقال : لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ؟ ولم قيل للاعتماد الضرب ؟ وللاقتصاب القيسام ؟ ولتنقيضه القعود ؟ فإن قلت : ما بالهم عدوا بعض هذه الفوائج آية دون بعض ؟ قلت : هذا علم توقيني لا مجال للقياس فيه كعرفة السور . أما الهمّ فآية حيث وقعت من السور المفتحة بها . وهي ست . وكذلك الهمّ آية ، والهمّ تعدّ آية ، والرّ ليست بآية في سورها الخمس ، وطسّم آية في سورتيها ، وطه ويسّ آيتان ، وطسّ ليست بآية ، وحّم آية في سورها كلها ، وحّم عسقّ آيتان ، وكيعصّ آية واحدة ، وصّ وقّ ونّ ثلاثها لم تعدّ آية . هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم ، لم يعدوا شيئاً منها آية . فإن قلت : فكيف عدّا ما هو في حكم كلمة واحدة آية ؟ قلت : كما عدّ الرحمن وحده ومدها متان وحدها آيتان على طريق التوقيف . فإن قلت : ما حكمها في باب الوقف ؟ قلت : يوقف على جميعها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده ، وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور ونسق بها كما ينسق بالأصوات أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله عز قائلنا : ( الهمّ الله ) أي هذه الهمّ ثم ابتداء فقال ( الله لا إله إلا هو ) . فإن قلت : هل لهذه الفوائج محل من الإعراب ؟ <sup>(١)</sup> قلت : نعم لها محل فيمن جعلها أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء الاعلام . فإن قلت : ما محلها ؟ قلت : يحتمل الأوجه الثلاثة ، أما الرفع : فعلى الابتداء ، وأما النصب والجر ، فلما مرّ من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين . ومن لم يجعلها أسماء للسور ، لم يتصرّف أن يكون لها محل في مذهبه ، كما لا محل للجمال المبتدأة وللنفردات المعتمدة .

(١) قال محمود رحمه الله : هـ فإن قلت : ما محل هذه الفوائج من الإعراب ... الخ ، قال أحد رحمه الله : وإنما جاز النصب مع القسم فيما لا يعقبه معطوف مجرور . فأما ما يعقبه معطوف مجرور مثل ص وق ون فإنه لا يجوز فيه النصب مع القسم البتة ، ويجعله على إضمار فعل ، أو على أن الفتح في موضع الجر . وأما على وجه بدنه فيما تقدم فيجوز النصب مع القسم في جميعها لجدد به عهداً . وعلى النصب بإضمار فعل أعربها سيويه في كتابه .



## ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

فإن قلت : لم صحت الإشارة بذلك إلى ما ليس بيبعد ؟ <sup>(١)</sup> قلت : وقعت الإشارة إلى آلم بعد ماسبق التكلم به وتقضى ، والمتقضى في حكم المتباعد ، وهذا في كل كلام . يحدث الرجل بحديث ثم يقول : وذلك مالا شك فيه . ويحسب الحاسب ثم يقول : فذلك كذا وكذا . وقال الله تعالى : ( لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ) . وقال : ( ذلكما مما علمنى ربى ) ، ولأنه لما وصل من المرسل إلى المرسل إليه ، وقع في حد البعد ، كما تقول لصاحبك وقد أعطيت شيئا : احتفظ بذلك . وقيل معناه : ذلك الكتاب الذى وعدوا به . فإن قلت : لم ذكر اسم الإشارة - والمشار إليه مؤنث وهو السورة - ؟ <sup>(٢)</sup> قلت : لا أخلو من أن أجعل الكتاب خبره أو صفته . فإن جملة خبره ، كان ذلك فى معناه ومسناه مساه ، فجاز إجراء حكمه عليه فى التذكير ، كما أجرى عليه فى التأنيث فى قولهم : من كانت أمك . وإن جعلته صفته ، فإنما أشير به إلى الكتاب صريحا ؛ لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له . تقول : هند ذلك الإنسان ، أو ذلك الشخص فعل كذا . وقال الذبياني :

نُبِّئْتُ نَعْمَى عَلَى الْمَجْرَانِ عَاتِبَةٌ \* سُقِيَا وَرُعِيَا لِذَلِكَ الْعَاتِبِ الزَّارِي <sup>(٣)</sup>

(١) قال محمود رحمه الله : « إن قلت لم صحت الإشارة بذلك إلى ما ليس بيبعد ... الخ » ؟ قال أحد رحمه الله : ولأن البعد هنا باعتبار علو المنزلة ، وبعد مرتبة المشار إليه من مرتبة كل كتاب سواء كما يقطعون بهم للاشعار بترأخي المراتب ، وقد يكون المعطوف سابقا فى الوجود على المعطوف عليه وسأأتى أمثاله .

(٢) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت : لم ذكر اسم الإشارة ... الخ » ؟ قال أحد رحمه الله : ولو مثل ذلك بقول القائل : حمان كانت دابتك ، لكان أقوم وأسلم من الفرق بما فى لفظ « من » من الإبهام الصالح للذكر والمؤنث . ومثل هذا قوله تعالى : ( يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ) فيمن وصل الكلام بـ ( هم العدو ) جملة فى موضع المفعول الثانى للحياب ، وعدل عن أن يقول : هم العدو ، نظرأ إلى المفعول الثانى الذى هو فى المعنى خبر عن الصيحة ، فذكر وجع لما كان المبتدأ هو الخبر فى المعنى . وقد وجه الشيخ أبو عمرو قول الزمخشري ، وتسمى الجملة بالناء والياء عقب قوله : والكلام هو المركب من كلمتين - بهذا التوجيه

(٣) هوجوا لحبوا لنعم دمنة الدار      ماذا يحبون من توى وأحجار  
لقد أرائى ونعمى لاهيين بها      والهر والعميش لم يهيم بأمرار  
نبت نعمى على المجران عاتبة      سقيا ورعيا لذلك العاتب الزارى

للناقة الذبياني . والوج : عطف وأس البعير بالزمام . ونعم : اسم محبوبته . والدمنة : ما تلبد من البئر والرماد والفتامة ، والمراد مطلق الآثار . والنوى : الحاجز حول الحباء لتلايدخله المساء . والمراد بالأحجار : الأثافي التى تنصب عليها القدور ، أو بقية الجدران . وهم بالنوى : أرادوا ، وأصله الادغام ، وفكها مثلاثة ، أى لم يهيم كل منهما .

فإن قلت : أخبرني عن تأليف ( ذلك الكتاب ) مع ( آلم ) . قلت : إن جعلت ( آلم ) اسماً للسورة في التأليف وجوه : أن يكون ( آلم ) مبتدأ ، و ( ذلك ) مبتدأ ثانياً ، و ( الكتاب ) خبره ، والجملة خبر المبتدأ الأول . ومعناه : أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل ، كأن ما عداه من الكتب في مقابله ناقص ، وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتاباً ، كما تقول : هو الرجل ، أي الكامل في الرجولية ، الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال . وكما قال :

\* ثُمَّ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ \* (١)

وأن يكون الكتاب صفة . ومعناه : هو ذلك الكتاب الموعود ، وأن يكون ( آلم ) خبر مبتدأ محذوف ، أي هذه آلم ، ويكون ذلك خبراً ثانياً أو بدلاً ، على أن الكتاب صفة ، وأن يكون : هذه آلم جملة ، وذلك الكتاب جملة أخرى . وإن جعلت آلم بمنزلة الصوت ، كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب ، أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل . أو الكتاب صفة والخبر ما بعده ، أو قدر مبتدأ محذوف ، أي هو - يعني المؤلف من هذه الحروف - ذلك الكتاب . وقرأ عبدالله : آلم تنزيل الكتاب لاريب فيه . وتأليف هذا ظاهر .

== والامرار : صيرورة الشيء . مرا ، والاحلال : صيرورته حلواً ، وجعله عامماً ، ويروي زارية بدل عاتبة . والزاري : العائب ، يقال : زرى عليه يزرى إذا عاب عليه . وقوله ماذا تحبون : استعمار للخطأ في الأمر بالتعنية ورجوع عنه لأنه لا يجرى شيئاً . و«من» بيان لماذا ، وفيه معنى التحقير . ونعمي : عطف على خير النصب ، والواو للحال ، أي والحال أنت الدهر والعيش لم يتغير كل منهما إلى البؤس ، شبههما بما تصح منه الإرادة على طريق الكناية ، فأستند لها الم تخيلاً ، أو استعمار الم البشارة والقرب تصريحا ، وشبههما بالمطعم فأثبت لها الامرار ، أو استعاره لتكدرهما ونقصهما بجماع كراهية النفس لكل . وعلى المجران : أي مع هجرانها ، أو لاجل هجرانها . وسقيا ، ورعيا : منصوبان على المصدرية ، أي سقاها الله ورعاها . وذلك إشارة إلى الإنسان أو الشخص وهي المراد ، ووصفها بما للذكر تنظيها لها وتفخيها لشأنها .

(١) وإن الذي حانت بقلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد  
للاشهب بن ربيعة . وقيل لحريث بن مخنف . والذي : أصله الذين ، لحذف التثنية تخفيفاً . وروي : وإن  
الآل ، وهو بمعنى الذين ، وهم المذكورون في أول الآيات وهو :

ألم تر أني بعد عمرو ومالك وعروة وابن المولد لست بخالد

وحانت : أتى حين هلاكها ، وهو كناية عن الهلاك . ويقال : حان حيناً : هلك ، وأحاطه الله : أهلكه ، فهو حقيقة . وقلج - بالفتح - اسم موضع بطريق البصرة . ودماؤهم : نفوسهم . وهم القوم كل القوم : أي هم المختصون بجميع صفات الرجال الحميدة دون غيرهم .

والريب : مصدر رابى ، إذا حصل فيك الريبة . وحقيقة الريبة : قلق النفس واضطرابها .  
ومنه ما روى الحسن بن علي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « دع ما يريبك  
إلى ما لا يريبك »<sup>(١)</sup> فإن الشك ريبة ، وإن الصدق طمأنينة ، أى فإن كون الأمر مشكوكا فيه  
بما تقلق له النفس ولا تستقر . وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن . ومنه : ريب الزمان ،  
وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه . ومنه أنه مر بظي حائف<sup>(٢)</sup> فقال :  
« لا يربه أحد بشيء »<sup>(٣)</sup> . فإن قلت : كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق ؟ وكم من مراتب  
فيه ؟ قلت : مانني أن أحدا لا يرتاب فيه<sup>(٤)</sup> وإنما المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له ؛ لأنه  
من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه . ألا ترى إلى قوله تعالى :  
( وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ) ، فما أبعد وجود الريب  
منهم ؟ وإنما عرفهم الطريق إلى مزيل الريب ، وهو أن يحزروا أنفسهم ويروؤوا قواهم في  
البلاغة ، هل تتم للمعارضة أم تتضام دونها ؟ فيستحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة  
ولا مدخل للريبة . فإن قلت : فهلا قدم الظرف على الريب ، كما قدم على الغول في قوله تعالى :  
( لا فيها غول ) ؟ قلت : لأن القصد في إيلاء الريب حرف النفي ، نفي الريب عنه ، وإثبات  
أنه حق وصدق لا باطل وكذب ، كما كان المشركون يدعونه ، ولو أولى الظرف لقصد إلى  
ما يبعد عن المراد ، وهو أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه ، كما قصد في قوله ( لا فيها غول )  
تفضيل خمر الجنة على خمر الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي ، كأنه قيل : ليس فيها

(١) أخرجه الترمذى في آخر الطب ، والحاكم في الأحكام وفي البيوع . والطبرانى والبخارى . ورواه البيهقي في  
الشعب بلفظ « فإن الشر ريبة والخير طمأنينة »

(٢) قوله « أنه مر بظي حائف » لعله : أنه صلى الله عليه وسلم الخ . وفي الصحاح أنه عليه السلام مر بظي حائف  
في ظل شجرة ، وهو الذى انحنى وثنى في نومه اهـ ( ع )

(٣) أخرجه في الموطأ . والنسائي في الحج . وابن حبان من رواية عمر بن سلة الضمرى عن الهري : أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم خرج يريد مكة وهو محرم ، حتى إذا كان بالانابة بين الروثة والعرج ، إذا ظي حائف  
في ظل وفيه سهم . فأمر رجلا أن يقف عنده لا يريه أحد من الناس حتى يجاوزوه . ولا يحاق في مسنده : فقال  
لبعض القوم : « كن حتى يمر الناس ولا يريه أحد بشيء » اهـ . الهري وقع في مسند أبي بكر أن اسمه غول ،  
وانفذه : تيمت حياكل بالآبواء فوقع فيها ظي ، فأفلت والحبل في رجله ، فخرجت أفعوه فسبقني إليه رجل  
فاحتضنها ، ثم ترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعله بيننا نصفين .

(٤) قوله « أن أحدا لا يرتاب فيه » لعله أن أحدا يرتاب فيه . وقد يقال المراد ما نفي الريب على معنى  
أن أحدا لا يرتاب فيه . ( ع )

ما في غيرها من هذا العيب والقيصة : وقرأ أبو الشعثاء : ﴿ لا ريب فيه ﴾ بالرفع : والفرق بينها وبين المشهورة ، أن المشهورة توجب الاستغراق ، وهذه تجوزة . والوقف على (فيه) هو المشهور . وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على (لا ريب) ولا بد للواقف من أن ينوى خبراً . ونظيره قوله تعالى : (قالوا لاضير) ، وقول العرب : لا بأس ، وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز . والتقدير : لا ريب فيه .

﴿ فيه هدى ﴾ الهدى مصدر على فعل ، كالسرى والبكى ، وهو الدلالة الموصلة إلى البغية ، بدليل وقوع الضلالة في مقابلته . قال الله تعالى : ( أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ) . وقال تعالى : ( لعلى هدى أو فى ضلال مبين ) . ويقال : مهدي ، فى موضع المدح كهتد ؛ ولأن اهتدى مطاوع هدى - ولن يكون المطاوع فى خلاف معنى أصله - ألا ترى إلى نحو : غمه فاغتم ، وكسره فانكسر ، وأشباه ذلك : فإن قلت : فلم قيل : ﴿ هدى للمتقين ﴾ والمتقون مهتدون ؟ <sup>(١)</sup> قلت : هو كقولك للعزیز المكرم : أعزك الله وأكرمك ، تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه واستدامته ، كقوله : ( اهدنا الصراط المستقيم ) . ووجه آخر ، وهو أنه سماهم عند مشارقتهم لا كتساع لباس التقوى : متقين ، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل قتيلاً فله سلبه » <sup>(٢)</sup> وعن ابن عباس : « إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض وتضل الضالة ، وتكتف الحاجة » <sup>(٣)</sup> فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال :

(١) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت : فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون ... الخ » . قال أحدرحه الله : الهدى يطلق فى القرآن على معنيين : أحدهما الإرشاد وإيضاح سبيل الحق . ومنه قوله تعالى : ( وأما نوح فهدىناه فاستجبوا لعمى على الهدى ) . وعلى هذا يكون الهدى للضلال باعتبار أنه رشد إلى الحق ، سواء حصل له الاهتداء أولاً . والآخر خلق الله تعالى الاهتداء فى قلب العبد ، ومنه : ( أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ) فإذا ثبت وروده على المعنيين فهو فى هذه الآية يحتتمل أن يراد به المعنيان جميعاً . وأما قول العنشى : إن القرآن لا يكون هدى للعلوم بقاؤهم على الضلالة ، فائماً يستقيم إذا أريد بالهدى خالق الاهتداء فى قلوبهم . وأما إذا أريد معناه الأول ، فلا يمتنع أن الله تعالى أرشد الخلق أجمعين ، وبين للناس ما نزل إليهم ، فمنهم من اهتدى ، ومنهم من حقت عليهم الضلالة . هذا مذهب أهل السنة .

(٢) متفق عليه من حديث أبي قتادة . وفيه قصته . وغلط الطيبي فقرأه لأبي داود عن ابن عباس رضى الله عنهما ، والذي فيه أنه قال يوم بدر « من قتل قتيلاً فله كذا أو كذا » لم يقل « فله سلبه » .

(٣) موقوف . عزاه الطيبي لأبي داود وحده مرفوعاً وقال : ليس فيه الزيادات ، يعنى قوله : فيه يمرض إلى آخره . انتهى . والحديث بنامه عند ابن ماجه ، وأحمد وإسحاق فى مسندهما مرفوعاً ، وفيه أبو إسرائيل المكي ، وهو صدوق سيى الحفظ .

قتيلاً ومريضاً وضالاً . ومنه قوله تعالى : ( ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ) ، أى صاراً إلى الفجور والكفر . فإن قلت : فهلا قيل هدى الضالين ؟ قلت : لأن الضالين فريقان : فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم ، وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى : فلا يكون هدى للفريق الباقي على الضلالة ، فيبقى أن يكون هدى لهؤلاء ، فلو جيء بالعبرة . المفصحة عن ذلك لقيل : هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال ، فاختصر الكلام بأجرائه على الطريقة التي ذكرنا ، ففصل : هدى للمتقين . وأيضاً فقد جعل ذلك سلباً إلى تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثاني ، بذكر أولياء الله والمرتعين من عباده .

والمتقى في اللغة اسم فاعل ، من قولهم : وقاه فاتقى . والوقاية : فرط الصيانة . ومنه : فرس واق ، وهذه الدابة تقى من وجاها ، إذا أصابه ضلع <sup>(١)</sup> من غلظ الأرض ورقة الحافر ، فهو يقى حافره أن يصيبه أدنى شيء يؤلمه . وهو في الشريعة الذي يقى نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك . واختلف في الصغار <sup>(٢)</sup> وقيل الصحيح أنه لا يتناولها ، لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر . وقيل : يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال ، والمتقى لا يطلق إلا عن خبرة ، كما لا يجوز إطلاق العدل إلا على المختبر .

ومحل ( هدى للمتقين ) الرفع ، لأنه خبر مبتدأ محذوف ، أو خبر مع ( لاريب فيه ) لذلك ، أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدم خبراً عنه . ويجوز أن ينصب على الحال ، والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف . والذي هو أرسخ عرقاً في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحاً ، وأن يقال إن قوله ( آلم ) جملة برأسها ، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها . و ( ذلك الكتاب ) جملة ثانية . و ( لاريب فيه ) ثالثة . و ( هدى للمتقين ) رابعة .

(١) قوله « من وجاها إذا أصابه ضلع » في الصحاح : الوجي : الوجع في الحافر . والضلع : الميل والاعوجاج : والظلم : غمز في مشية البعير . (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله : « واختلف في الصغار ... الخ » . قال أحد رحمه الله : ومن تنى القدرية على الله تعالى اعتقادهم أن الصغائر محوثة عنهم ما اجتنبوا الكبائر ، وأنه يجب أن يعرف الله عنها لمجتنب الكبائر ، كما يجب عدم أن لا يعرف عن مرتكب الكبائر ، وهذا هو الخطأ الصراح ، والمادة آيات الله البينات وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم الصحاح . والحق أن غفران الصغائر - وإن اجتنب الكبائر - موكل إلى المشيئة ، كما أن غفران الكبائر موكل إليها أيضاً . ومن لا يعتقد ذلك وهم القدرية يضطرون إلى الوقوف عند قوله تعالى : ( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ) فإنه ناطق بالمواخاة بالصغائر . ويحذرون عند قوله تعالى : ( إن الله يغفر الذنوب جميعاً ) فإنه مصرح بمغفرة الكبائر . أما أمل السنة فقد ألفوا بين هاتين الآيتين بقوله تعالى : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) فإن التقييد بالمشيئة في هذه يقضى على الآيتين المطلقتين .

وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم ، حيث جرى بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق ، وذلك لجيئها متأخية آخذاً بعضها بعنق بعض ، فالثانية متحدة بالأولى معتقة لها ، وهلم جراً إلى الثالثة والرابعة . بيان ذلك أنه نبه أولاً على أنه الكلام المتحدى به ، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال . فكان تقريراً لجهة التحدى ، وشداً من أعضاده . ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب ، فكان شهادة وتسجيلاً بكامله ، لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة . وقيل لبعض العلماء : فيم لذتك ؟ فقال : في حجة تبختر اتضاحا ، وفي شبهة تتضامل اقتضاحا . ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين ، فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله ، وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ثم لم تخل كل واحدة من الأربع ، بعد أن رتبت هذا الترتيب الانيق ، ونظمت هذا النظم السرى ، من نكتة ذات جزالة . ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألف وجه وأرشفه . وفي الثانية مافى التعريف من الفخامة . وفي الثالثة مافى تقديم الريب على الظرف . وفي الرابعة الحذف . ووضع المصدر الذى هو هدى ، موضع الوصف الذى هو هاد ، وإبراده منكراً . والإيجاز فى ذكر المتقين .

زادنا الله اطلاعا على أسرار كلامه ، وتبيننا لكنت تنزيله ، وتوفيقاً للعمل بما فيه .

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾

(الذين يؤمنون) إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة ، أو مدح منصوب ، أو مرفوع بتقدير : أعنى الذين يؤمنون ، أو هم الذين يؤمنون . وإما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بـ (أو لك على هدى) . فإذا كان موصولا ، كان الوقف على المتقين حسناً غير تام . وإذا كان مقتطعاً ، كان وقفاً تاماً . فإن قلت : ماهذه الصفة ، أواردة بياناً وكشفاً للمتقين ؟ أم مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها ؟ أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيداً ؟ قلت : يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتغالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات . أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الإيمان الذى هو أساس الحسنات ومنصبا ، وذكر الصلاة والصدقة ؛ لأن هاتين أهما العبادات البدنية والمالية ، وهما العيار على غيرهما . ألم تركيب سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين ، وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة ؟ وسمى الزكاة قنطرة

الإسلام ؟ <sup>(١)</sup> وقال الله تعالى : ( وويل للشركين الذين لا يؤتون الزكاة ) . فلما كانت هذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها . ومن ثم اختصر الكلام اختصاراً ، بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها ، والذي إذا وجد لم تتوقف أخواته أن تقترن به ، مع ما في ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين . وأما الترك فكذلك . ألا ترى إلى قوله تعالى : ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) ؟ ويحتمل أن لا تكون بيانا للمتقين ، وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ، ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي . ويحتمل أن تكون مدحا للوصوفين بالتقوى ، وتخصيصاً للإيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر ؛ إظهاراً لإنافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات

والإيمان ؛ إفعال من الأمن . يقال : آمنته وآمنته غيرى . ثم يقال : آمنه إذا صدقه . وحقيقته : آمنه التكذيب والمخالفة . وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقرو وأعترف . وأما ما حكى أبو زيد عن العرب : ما آمنت أن أجد صحابة - أى ما وثقت - لحقيقته : صرت ذا أمن به ، أى ذا سكون وطمأنينة ، وكلا الوجهين حسن في ( يؤمنون بالغيب ) أى يعترفون به أو يثقون بأنه حق . ويجوز أن لا يكون ( بالغيب ) صلة للإيمان ، وأن يكون في موضع الحال ، أى يؤمنون غائبين عن المؤمن به . وحقيقته : ملتبس بالغيب ، كقوله ( الذين يخشون ربهم بالغيب ) ، ( ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ) . ويعضده ما روى أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> ولإيمانهم ، فقال ابن مسعود : إن أمر محمد كان بيناً لمن رآه . والذي لا إله غيره ، ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ، ثم قرأ هذه الآية . فإن قلت : فما المراد بالغيب إن جعلته صلة ؟ وإن جعلته حالا ؟ قلت : إن جعلته صلة كان بمعنى

(١) أما الحديث الأول ، فأخرجه البيهقي في الشعب من طريق عكرمة عن عمر رضى الله عنه في حديث في آخره « والصلاة عماد الدين » قال : وعكرمة لم يسمع من عمر . قال : وأراه عن ابن عمر رضى الله عنهما . وله شاهد من حديث على رضى الله عنه بلفظ « والصلاة عماد الاسلام » أخرجه الأصمهاني في الترهيب . وغفل ابن الصلاح في مشكل الوسيط فقال : هذا حديث غير معروف . قلت : والطبي عزاه لتخريج الترمذى في حديث مما ذ فيه « وعوده الصلاة ، ولا يخفى بعده .

وأما الحديث الثاني ، فرواه مسلم من حديث جابر رضى الله عنه بلفظ « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » . وأما الحديث الثالث ، فرواه إسماعيل في مسنده من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه به سواء . وفيه الضحاك ابن حنبل . وهو ضعيف .

(٢) موقوف . أخرجه الحاكم من طريق عبد الرحمن بن زيد « ذكروا عند عبد الله بن مسعود . الخ » وإسناده صحيح .

الغائب ، إما تسمية بالمصدر من قولك . غاب الشيء غيباً ، كما سمي الشاهد بالشهادة . قال الله تعالى : ( عالم الغيب والشهادة ) . والعرب تسمى المطمئن من الأرض غيبياً . وعن النضر بن شميل : شربت الإبل حتى وارت غيوب كلاها . يريد بالغيب : الخصة التي تكون في موضع الكلية ، إذا بطنت الدابة انتفخت . وإنما أن يكون فيعلا تخفف ، كما قيل ، قيل ، وأصله : قيل . والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير ، وإنما نعلم منه نحن ما أعلنه ، أو نصب لنا دليلاً عليه . ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال : فلان يعلم الغيب . وذلك نحو الصانع وصفاته ، والنبوءات وما يتعلق بها ، والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد ، وغير ذلك . وإن جعلته حالاً كان بمعنى الغيبة والخفاء . فإن قلت : ما الإيمان الصحيح ؟ (١) قلت : أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ، ويصدق به عمله . فمن أخل بالاعتقاد - وإن شهد وعمل - فهو منافق . ومن أخل بالشهادة فهو كافر . ومن أخل بالعمل فهو فاسق .

ومعنى إقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها ، من أقام العود - إذا قومه - أو الدوام عليها والمحافظة عليها ، كما قال عز وعلا : ( الذين هم على صلاتهم دائمون ) ، ( والذين هم على صلواتهم يحافظون ) من قامت السوق إذا نفقت ، وأقامها . قال :

(١) قال محمود رحمه الله تعالى : « إن قلت ما معنى الإيمان الصحيح ... الخ . قال أحد رحمه الله : يعنى بالفاسق غير مؤمن ولا كافر ، وهذا من الأسماء التي سماها القدرية وما أنزل الله بها من سلطان . ويعتقد أهل السنة أن الموحدة التي لا خلل في عقيدته مؤمن وإن ارتكب الكبائر . وهذا هو الصحيح لغة وشرعاً . أما لغة فإن الإيمان هو التصديق وهو مصدق . وأما شرعاً فأقرب شاهد عليه هذه الآية ، فإنه لما عطف فيها العمل الصالح على الإيمان دل على أن الإيمان معقول بدونه . ولو كان العمل الصالح من الإيمان لكان العطف تكراراً . وانظر حيلة الزعشري على تقريب معتقده من اللغة بقوله : المؤمن من اعتقد الحق وأعرب عنه بلسانه وصدق به عمله . فجعل التصديق من حظ العمل حتى يتم له أن لم يعمل فقد فوت التصديق الذي هو الإيمان لغة . ولقد أوضحنا أن التصديق إنما هو بالقلب ولا يتوقف وجوده على عمل الجوارح ؛ مما يحقق معتقده أهل السنة أن من آمن بالله ورسوله ثم اخترم قبل أن يتعين عليه عمل من أعمال الجوارح فهو مؤمن باتفاق وإن لم يعمل . وأصدق شاهد على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى إذا لم يبق بينه وبينها إلا فراق نافذة عمل بعمل أهل الجنة فكسب من أهل الجنة » وإنما مثل عليه الصلاة والسلام بفراق النافذة لأنه الغاية في القصر ، ومثل هذا الزمان إنما يتصور فيه القصد الصحيح خاصة ، ومع ذلك فقد عده من أهل الجنة . وإنما يدخل المؤمن الجنة باتفاق الفريقين ، والأدلة على ذلك تجرد كون الشرط فيه شطراً . أقول : تفسير الفاسق بغير مؤمن ولا كافر كما هو مذهب المعتزلة غير موجه والشيء الذي هو لم يصرح به لا يحجب علينا تصريحه وتعريفه ؛ فإن عندنا « الضال » من أخل بالعمل فهو فاسق .



أَقَامَتْ غَزَالَةَ سُوقِ الضَّرَابِ \* لِأَهْلِ الْعِرَاقَيْنِ حَوْلًا قَمِيطًا <sup>(١)</sup>

لأنها إذا حوِّظ عليها ، كانت كالشيء النافع الذي تتوجه إليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون . وإذا عطلت وأضيعت ، كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه . أو التجلد والتشمر لأدائها . وأن لا يكون في مؤدبها فتور عنها ولا توان ، من قولهم : قام بالأمر ، وقامت الحرب على ساقها . وفي ضده : قعد عن الأمر ، وقاعد عنه . إذا تقاعس وتنبط . أو أداؤها ، فبعد عن الأداء بالإقامة ؛ لأنَّ القيام بعض أركانها ، كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام . وبالركوع وبالسجود . وقالوا : سبح ، إذا صلى ؛ لوجود التسبيح فيها . (فلولا أنه كان من المسبحين) .

والصلاة : فعلة من صلى ، كالزكاة . من زكى . وكتابتها بالواو على لفظ المفعم . وحقيقة صلى : حرك الصلوتين ؛ لأن المصلّي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده . ونظيره كفر اليهودى إذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه ؛ لأنه ينثنى على الكاذبتين <sup>(٢)</sup> وهما الكافرتان . وقيل للداعي : مصل ، تشبهاً في تخشعه بالراكع والساجد .

وإسناد الرزق إلى نفسه <sup>(٣)</sup> للإعلام بأنهم ينفقون الحلال <sup>(٤)</sup> الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله ، ويسمى رزقاً منه . وأدخل من التبعية صيانة لهم وكفا عن الإسراف والتبذير المنهى عنه . وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم ، كأنه قال : ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به . وجاز أن يراد به الزكاة المفروضة ، لاقتارانه بأخت الزكاة وشقيقتها وهي الصلاة

(١) لا يمين بن خريم . وغزالة : امرأة شبيب الخارجي ، نزلت الحاج غاربه سنة كاملة ، فسوق الضراب : مجاز عن ميدان المحاربة ، أو شبه المطاعنة بالرمح والمضاربة بالسيوف بالامتعة التي تباع وتشترى في السوق على سبيل الممكنة والسوق تخيل . والعراقان : البصرة والكوفة . والقميطة : التام نعمت مؤكد ، ويقال : قط الطائر أثناء : سقدها . والقمط : جبل تشد به الأسرى والأشخاص ، فالمسادة دالة على الإحاطة والعزم .

(٢) قوله « على الكاذبتين » في الصحاح : الكاذتان ما تشأ من اللحم في أعالي الفخذ اه (ع)

(٣) قال محمود رحمه الله : « أضاف الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم إنما ينفقون من الحلال الطلق... الخ . قال أحد رحمه الله : فهذه بدعة قدرية ، فانهم يزعمون أن الله تعالى لا يرزق إلا الحلال ، وأما الحرام فالله يرزقه لنفسه حتى يقسمون الأرزاق قسمين : هذا لله يرزقهم ، وهذا لشركائهم . وإذا أثبتوا خالقاً غير الله ، فلا يأتون عن إثبات رازق غيره . أما أهل السنة فلا خالق ولا رازق في عقدهم إلا الله سبحانه ، تصديقاً بقوله تعالى (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ، لا إله إلا هو فأتى توفيقون ) أيها القدرية .

(٤) قوله « بأنهم ينفقون الحلال » مبنى على أن الرزق يختص بالحلال ، وهو مذهب المعتزلة . وعند أهل السنة : الرزق أم . (ع)

وأن تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير . لحجته مطلقاً يصلح أن يتناول كل منفق . وأنفق الشيء وأنفذه أخوان . وعن يعقوب : نفق الشيء ، ونقد واحد . وكل ما جله مما فاؤه نون وعينه فاء ، فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك إذا تأملت .

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

فإن قلت : ﴿ والذين يؤمنون ﴾ أم غير الأولين أم هم الأولون ؟ وإنما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد ، وفي قوله :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرِيمِ وَأَبْنِ الْهَامِ وَلَمْثِ الْكَتِيبَةِ فِي الْمُرْدَمِ <sup>(١)</sup>

وقوله :

يَا لَهْفَ زِيَابَةٍ لِلْحَارِثِ السَّابِجِ فَاغْنِمِ فَاَلَايِبِ ؟ <sup>(٢)</sup>

قلت : يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا ، فاشتمل إيمانهم على كل وحى أنزل من عند الله ، وأيقنوا بالآخرة إيقاناً زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياماً

(١) الجار والمجرور متعلق بما قبله في الشعر . والقرم - بالفتح - في الأصل : الفعل المكرم الذى ينفى من العمل لتدعيمه وتشويقه إلى ضرب الابل ، استثماره للسيد الرئيس أو الفارس الممد للكره . وظاهر الفاموس أنه بمعنى السيد حقيقة . ووسط الواو بين الدعوت لتوكيد ربطها بالمنعوت . والهام : العظيم الهمة ، الداغد العزوة . واستثمار الليث للشجاع على طريق التعريض . والكتيبة : الجيش المنظم المنتظم . والمردم : المعركة : لأنها محل الازدحام ، وأصله ، مرتحم ، من الافتتال قلبت تاءه دالا .

(٢) يا لهف زياة للحارث السابج فالغائم فالأيب

والله لو لاقيته غاليا لأب سيفانا مع الغالب

لابن زياة في حوار الحارث بن هشام حين قال له :

أيا ابن زياة إن تلقى

وتلقى يشد بي أجرد

لا تلقى في النعم العازب

مستقدم البركة كالراكب

والعازب - بالزاي - البعيد عن أهله . يعرض بأن زياة يراع للنعم لا يجاع . والأجرد : المنجرد الشعر . والبركة في البعير والفارس : العظم الناتق في صدرهما وعظمه بمدوح فيهما ، وشبهه بالراكب في طول عنقه وامتداده ويجوز أن المسمى أن راكبه أيضاً مستقدم البركة لا متخضع منكش . يقول : يا حشرة أبى على من أجل الحارث الذى بلغ مراده منى . وفيه ضرب من التهمك فإن كان نوعه ثم نكسه على عقيبه . وقيل : هو على ظاهره ، ثم حلف أنه لو وجده لقتله ، ولكنه أبرز الكلام في صورة الإيهام للانصاف في الكلام ورجوع السيقين مع الغالب : كناية عن قتل المغلوب واستلاب سلاحه .

معدودات ، واجتماعهم على الإقرار<sup>(١)</sup> بالنشأة الأخرى وإعادة الأرواح في الأجساد ، ثم اقترافهم فرقتين : منهم من قال : تجرى حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ؛ ودفعه آخرون فزعموا أن ذلك إنما احتيج إليه في هذه الدار من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد والتناسل ، وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون إلا بالنسيم والأرواح العبة والسماح اللذيذ والفرح والسرور ، واختلافهم في الدوام والاقطاع ، فيكون المعطوف غير المعطوف عليه . ويحتمل أن يراد وصف الأولين . ووسط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه . فإن قلت : فإن أريد بهؤلاء غير أولئك ، فهل يدخلون في جملة الممتنين أم لا ؟ . قلت : إن عطفهم على ( الذين يؤمنون بالغيب ) دخلوا وكانت صفة التمتنى مشتملة على الزميتين من مؤمنى أهل الكتاب وغيرهم . وإن عطفهم على ( الممتنين ) لم يدخلوا . وكأنه قيل : هدى للبتين ، وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك . فإن قلت : قوله ﴿ بما أنزل إليك ﴾ إن عني به القرآن بأسره والشرعة عن آخرها ، فلا يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم ، فكيف قيل أنزل بلفظ المضى ؟ وإن أريد المقدر الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان يعصّل المنزل واشتمال الإيمان على الجميع سالفه ومتروقه واجب . قلت : المراد المنزل كله وإنما عبر عنه بلفظ المضى وإن كان بعضه متروكاً ، تغليبا للوجود على ما لم يوجد ، كما بغلب المتكلم على المخاطب ، والمخاطب على الغائب فيقال : أنا وأنت فعلنا ، وأنت وزيد تفعلان . ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ، ويدل عليه قوله تعالى ( إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ) ولم يسمعوا جميع الكتاب ، ولا كان كله منزلا ، ولكن سيده سليل ما ذكرنا . ونظيره قولك : كل ما خطب به فلان فهو فصيح ، وما تكلم بشيء إلا وهو نادر . ولا تريد بهذا الماضى منه لحسب دون الآتى ، لكونه معتوداً بعضه ببعض ، ومربوطاً آتیه بماضيه . وقرأ يزيد بن قطيب ﴿ بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ على لفظ ماسمى فاعله . وفى تقديم ( الآخرة ) وبناء ( يوقنون ) على ( هم ) تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته ، وأن قولهم ليس بإصدار عن إيقان ، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك . والإيقان : إيقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه . و﴿ الآخرة ﴾ تأنيث الآخر الذى هو

(١) قوله « واجتماعهم على الإقرار » لعله عطف على مجرور « من » اليانية ، باعتبار ما عطف عليه من

اقترافهم واختلافهم الآتين فتدبر . (ع)

تقيض الأول ، وهي صفة الدار بدليل قوله : ( تلك الدار الآخرة ) وهي من الصفات الغالبة ، وكذلك الدنيا . وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام ، كقوله ( دابة الأرض ) وقرأ أبو حية <sup>(١)</sup> النيزي « يؤقنون » بالهمز ، جعل الضمة في جاز الواو كأنها فيه ، فقلبها قلب واو ، وجوه ، و « وقت » . ونحوه :

لَحَبُّ الْمُؤَقِدَانِ إِلَى مُؤَسَى وَجَعْدَةُ إِذْ أَضَاءَهُمَا الْوُقُودُ <sup>(٢)</sup>

\*\*\*

أَوَّلِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأَوَّلِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥

﴿ أولئك على هدى ﴾ الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ ؛ وإلا فلا محل لها . ونظم الكلام على الوجهين : أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب ، فقد ذهبت به مذهب الاستئناف . وذلك أنه لما قيل : ( هدى للثنتين ) واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى ، اتجه لسائل أن يسأل فيقول : ما بال المتقين مخصوصين بذلك ؟ فوقع قوله : ( الذين يؤمنون بالغيب ) إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر . وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله أن يلفظ بهم ، ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم ، أى الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم ، أحتماء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح . ونظيره

(١) قوله « وقرأ أبو حية » لعله : أبو حيرة . (ع)

(٢) لجريز في مدح هشام بن عبد الملك وموسى ابنة وجعدة بنته . وقيل ابنه أيضا وليس كذلك . واللام للقيم . وحب أصله حب - كظرف - نقلت حركة الباء إلى الحاء ثم أدغمت في الأخرى . ومعناه : إنشاء المدح كنعم ، ويفيد التعجب أيضا كـ « أحب » . وقد تفتح حاؤه إذا كان فاعله ذا المؤقدان بالهمز فاعل . وموسى بالهمز أيضا . وجعدة المخصوص بالمدح على طريقة : نعم لرجل زيد . و « حب » : محول من « حب » الثلاثي كعزب ، وإن كان الكثير « أحب » الرابع ؛ لأنه لا يصاغ للدح إلا من الثلاثي . فان قلت : أهو محول من « حب » المسند للفاعل ، أم من « حب » المبني للجهول ؟ قلت : إن كان من المسند للفاعل فالمؤقدان محبوبان ، وإن كان من المسند للفعول فالتحويل تقديري . فالظاهر أنه منصوغ من المادة من غير ملاحظة إسناد . ويجوز أن « حب » أصله « حب » - كعزب مبني للجهول - فالمؤقدان نائب فاعل ، وموسى وجعدة بدل أو بيان . والمعنى على الخبر لا الانشاء . وروى : أحب المؤمنين ، بإضافة الفعل التفضيل إلى صيغة الجمع ؛ فموسى وجعدة خبر . وسوغ قلب وار المؤمنين وموسى همزة ، ضم ما قبلها ، فكأنها مضمومة ، وهي إذا ضمت تبدل همزة . ويقال : أضاء المكان وأضاه السراج . وما هنا من الثاني ، فهو متعد بمعنى أنارهما الوقود بالضم : أى توقد نار القرى وتلتهبها ، وأما بالفتح فهو ما توقد به . وأصل فعول أنه مبالغة في الفاعل كعزوب ، وكثير بمعنى ما يفعل به الفعل كوقود وبحور ، فيحتمل أنه من قيل اسم المفعول ، وأنه من قيل اسم الآلة شذوذاً . والمعنى : ما أحبهما إلى وقت بأن أظهرتهما النار التي يوقدانها لقرى الأضياف

قولك : أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار الذين قارعوا دونه ، وكشفوا الكرب عن وجهه ، أولئك أهل للهجة . وإن جعلته تابعا للمتمين ، وقع الاستئناف على أولئك ؛ كأنه قيل : ما المستمليين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى ؟ فأجيب بأن أولئك الموصوفين ، غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا ، وبالفلاح أجلا . واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يحى تارة بإعادة اسم من استوفى عنه الحديث ، كقولك : قد أحسنت إلى زيد ، زيد حقيق بالإحسان . وتارة بإعادة صفته ، كقولك : أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك ؛ فيكون الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ ، لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه . فإن قلت : هل يجوز أن يجرى الموصول الأول على المتمين ، وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره ؟ قلت : نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ظاننون أنهم على الهدى وطامعون أنهم يتألون الفلاح عند الله . وفي اسم الإشارة الذى هو ( أولئك ) إيدان بأن ما يرد عقبيه فالمدكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الحاصل التى عدت لهم ، كما قال حاتم : والله صعلوك ثم عدله خصالا فاضلة ، ثم عقب تعديدها بقوله :

فَذَلِكَ إِنْ يَهْلِكْ فَحَسْبِيَ نَنَازُهُ وَإِنْ عَاشَ لَمْ يَقْعُدْ ضَعِيفًا مُذَمَّمًا (١)

ومعنى الاستعلاء فى قوله ( على هدى ) مثل لتسكنهم من الهدى ، واستقرارهم عليه ، وتمسكهم به . شبهت حالهم بحال من اعتلى الشئ وركبه . ونحوه : هو على الحق وعلى الباطل .

(١) وينفى إذا ما كان يوم كربة  
أو الحرب أبدت ناجذها وشمرت  
فذلك إن يهلك فحسبى نناؤه  
وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

لحائم الطائي ، يرى رجلا بأنه على الهمة ، وإذا كان يوم حرب يذهب إلى صدور الرماح وينزل فيها بينها ، والحال أنه محتضب بالدم منها . وقوله « أو الحرب » عطف على قوله « كان يوم كربة » وإستاد إبداء الناجذ والتشهير عن الساعد مثلا إلى الحرب مجاز عقلى ، لأنها - بسبب فى أن الفرسان يفعلون ذلك . ويجوز أنه شبها فى قوتها واشتدادها بشجاع يفعل ذلك على طريق الكتابة وإبداء الناجذ والتشهير تخييل . والناجذ : آخر الأضراس وهو ضرر الحلم . والهدان - ككتاب - : الأحمق الثقيل ، وجعه هدون - من الهدنة وهى السكون - . وأقدم : جواب الشرط ، معللا للناس بأنه فلان على عادة الفرسان ، أو معللا فرسه مسوما . فذلك الموصوف بتلك الصفات المختص بتلك الحاصل ، هو المستحق لأن يقال فيه إن يهلك ويمت فيكفى نناؤه نظرا : أى ذكره بين الناس بالجميل . وقوله « إن عاش » شرط لا يقتضى الوقوع ، لكن ذكره دلالة على أنه محمود الفعل على أى حال . وقوله « لم يقعد » دليل المدح فى الظاهر كثيره عند أول البصائر : أى بل يقعد على حاله المشهورة وخصاله الحميدة .

وقد صرّحوا بذلك في قولهم : جعل الغواية مركباً ، وامتطى الجهل <sup>(١)</sup> واقعد غارب الهوى . ومعنى (هدى من ربهم) أى منحوه من عنده وأوتوه من قبله ، وهو اللطف والتوفيق الذى اعتضدوا به على أعمال الخير ، والترقى إلى الأفضل فالأفضل . ونكر (هدى) ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه ، ولا يقادر قدره ؛ كأنه قيل : على أى هدى ، كما تقول : لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلاً . وقال الهذلى :

فَلَا وَابْنِ الطَّيْرِ الْمُرْبِيَّةِ بِالضَّحَى <sup>(١)</sup> عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ وَقَعَتْ عَلَى لَحْمٍ <sup>(٢)</sup>

والنون فى (من ربهم) أدغمت بغنة وبغير غنة . فالكسائى ، وحمة . ويزيد ، وورشى رواية والهاشمى عن ابن كثير لم يغنوها . وقد أغنها الباقون إلا بأعمره . فقد روى عنه فيها روايتان . وفى تكرير (أولئك) تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى ، فهى ثابتة لهم بالفلاح ؛ فجعلت كل واحدة من الأثرتين فى تمييزهم بالمثابة التى لو انفردت كفت مميزة على حيالها . فإن قلت : لم جاء مع العاطف ؟ وما الفرق بينه وبين قوله : (أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) ؟ قلت : قد اختلف الخبران هنا فلذلك دخل العاطف ، بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان ؛ لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيهم بالبهائم شئ واحد ، فكانت الجملة الثانية مقررة لمساى الأولى فهى من العطف بمعزل

(١) قوله « وامتطى الجهول » أى اتخذ الجهول مطية ، واتخذ الهوى قوداً . والقعود من الابل : البكر حين يركب . والغارب : ما بين السنام إلى العنق ، كما فى الصحاح . (ع)

(٢) قوله « وابن الطير المربية بالضحى » أى المجتمعة العاكفة . أفاده الصحاح (ع)

(٣) فلا وابن الطير المربية بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم

فلا وابن لا يأكل الطير مثله عشية أمسى لا يبين من السلم

لابن كبير الهذلى يرى خالد بن زهير . ولا زائدة قبل القسم . واستعظم الطير الواقعة عليه فأقسم بها ، وكفى عنها بابن الطير كما يكنى عن العظيم بأبى فلان . وأصل أبى هنا : أبين ، على صيغة جمع المذكر السالم ، سقطت نونه للاسادة . ويحتمل أنه مفرد والمراد به النسر ؛ لأنه يكنى بأبى طير . ويجوز أن يريد بأبى الطير خالداً لوقعها عليه ، ويجوز أن يريد به أصلها . ويروى : لعمر أبى الطير المربية غدوة ... الخ . ويروى هذا برفع الطير . ولعله على الابتداء أو الخبرية لمحدوف . أو على تقدير النداء ، وإلى مضاف إلى ضمير المتكلم كالذى بعده . ويقال : أرب بالمكان وألب به . أقام فيه ولازمه ، فالمرية المفيدة العاكفة وقت الضحى على خالد القليل . والتفت إلى خطاب الطير فقال لها : لقد وقعت . ويروى عاقت ، على لحم . بالتحريك . على أمة وتكثيره للتعظيم : أى على لحم عظيم . وأشأ لأنها جماعة فى المعنى . فان قرئ بفتح التاء فظاهر ، وعاطبه لتزيله منزلة العاقل ، ثم أقسم بأبيه أن الطير لا يأكل مثل خالد فى العظم عشية أمسى لا يظهر لنا من السلم . وهو ضمير المصنوع . كناية عن كونه قليلاً فيه والطير حوله على ذلك الضجر . وفى البيتين التفاتان .

و﴿هم﴾ فصل : وفائدته : الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة ، والتوكيد ، وإيجاب أن فائدة المستدثابة للسند إليه دون غيره . أو هو مبتدأ والمفلحون خبره ، والجملة خبر أولئك . ومعنى التعريف في ﴿المفلحون﴾ : الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك ، فاستخبرت من هو ؟ فقليل زيد التائب ، أى هو الذى أخبرت بتوبته . أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم ، وتصوروا بصورتهم الحقيقية ، فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة . كما تقول لصاحبك : هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام ؟ إن زيدا هو هو . فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى ، وهى : ذكر اسم الإشارة ، وتكريره ، وتعريف المفلحين ، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ؛ ليصرك مرآتهم ويرغبك فى طلب ما طلبوا ، وينشطك لتقديم ما قدموا ، ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمنى على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كتابته . اللهم زيننا بلباس التموى ، واحشِرنا فى زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة . والمفلح : الفائز بالغبية كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه . والمفلح - بالجيم - مثله . ومنه قولهم المطلقة : استغلقى بأمرك بالحاء والجيم . والتركيب دال على معنى الشق والفتح ، وكذلك أخواته فى الفاء والعين ، نحو : فلق ، وفلذ ، وفلى .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عبادته بصفاتهم التى أهلهم لإصابته الزلنى عنده ، وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة ، قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ، ولا يجدى عليهم اللطف ، وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه ، وإنذار الرسول وسكوته . فإن قلت : لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله : (إن الأبرار لى نعم ، وإن الفجار لى جحيم) وغيره من الآى الكثيرة ؟ قلت : ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت ؛ لأن الأولى فيها نحن فيه مسروقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمؤمنين ، وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت ، فبين الجملتين تباين فى الغرض والأسلوب ، وهما على حد لا مجال فيه للعاطف . فإن قلت : هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين ، فأما إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ، ثم عقبته بكلام آخر فى صفة أضدادهم ، كان

مثل تلك الآي المتلوة . قلت : قد مرّ لي أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سيديه الاستئناف ، وأنه مبنى على تقدير سؤال ، فذلك إدراج له في حكم المتقين ، وتابع <sup>(١)</sup> له في المعنى ؛ وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجارى عليه .

والتعريف في ﴿الذين كفروا﴾ يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم ، وأن يكون للجنس متناولاً كل من صم على كفره تصميماً لا يرعوى بعده <sup>(٢)</sup> وغيرهم ، ودل على تناوله للبصرين الحديث عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم ، و﴿سواء﴾ اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر . ومنه قوله تعالى : (تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) ، (في أربعة أيام سواء للسائلين) بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لإن ، و﴿أنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ في موضع المرتفع به على الفاعلية ؛ كأنه قيل : إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه . كما تقول : إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه . أو يكون أنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء ، وسواء خبراً مقدماً بمعنى : سواء عليهم إنذارك وعدمه ، والجملة خبر لإن . فإن قلت : الفعل أبدأ خبر لا يخبر عنه فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام ؟ قلت : هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى ، وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلاً يئناً ، من ذلك قولهم : لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن ، وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل . والهمزة وأم مجزئتان لمعنى الاستواء <sup>(٣)</sup> وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأساً . قال سيبويه : جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك : اللهم اغفر لنا أيها العصابة ، يعني أن هذا جرى على صورة

(١) قوله « وتابع له في المعنى » لعله وتابع له (ع)

(٢) قوله « بعده وغيرهم » لعله كهؤلاء وغيرهم (ع)

(٣) قال محمود رحمه الله : « والهمزة وأم مجزئتان لمعنى الاستواء ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : وحاصل هذا النقل استعمال الحرف في أعم معناه ، فالهمزة المعادلة لأم موضوعة في الأصل للاستفهام عن أحد متبادلين في عدم علم التعيين فنقلت إلى مطلق المعادلة وإن لم يكن استفهاماً ، واستعملت في الجزء الحقيقي . وكذلك حرف النداء موضوع في الأصل لتخصيص المبادئ بالنداء ، ثم نقل إلى مطلق التخصيص ولا نداء ، كما يكون المجاز بالتخصيص والقصر مثل تخصيص الدابة بذوات الأربع وإن كانت في الأصل لكل ما دب ، فقد يكون بالتعميم والتعدي مثل تسمية الرجل الشجاع أسداً فلهذا الاسم من موصوف بالشجاعة مخصوص وهو الحيوان المعروف ، إلى كل موصوف بتلك الصفة غير مقصورة على محلها الأصلي .



الاستفهام ولا استفهام ، كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء . ومعنى الاستواء استواءهما في علم المستفهم عنهما لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن ، إما الإنذار وإما عدمه ، ولكن لا بعينه ، فكلاهما معلوم بعلم غير معين . وقرئ : ( أأنذرتهم ) بتحقيق الهمزتين ، والتخفيف أعرب وأكثر ، وبتخفيف الثانية بين بين ، وبتوسيط ألف بينهما محققين ، وبتوسيطها والثانية بين بين ، وبجذف حرف الاستفهام ، وبجذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله ، كما قرئ ( قدأفلح ) . فإن قلت : ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفاً ؟ قلت : هو لاحق خارج عن كلام العرب خروجين : أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حذو - وحذو أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفاً مدغماً نحو قوله : الضالين ، وخويصة <sup>(١)</sup> ، والثاني : إخطاء طريق التخفيف ؛ لأن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين ، فأما القلب ألفاً فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس . والإنذار : التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي . فإن قلت : ما موقع ﴿ لا يؤمنون ﴾ ؟ قلت : إما أن يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها ، أو خبراً لأن الجملة قبلها اعتراض .

خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غُشُوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾  
 الختم والكتم أخوان ؛ لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتماً له وتغطية لتلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه .

والغشاوة الغطاء فعالة من غشاء إذا غطاء ، وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة . فإن قلت : ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الأبصار ؟ قات : لاختم ولا تغشية <sup>(٢)</sup> ثم على الحقيقة ، وإنما هو من باب المجاز ، ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتبثيل . أما الاستعارة فإن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمايرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده ، وأسماعهم لأنها لا تتجلى آيات الله المعروضة ودلائله وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم ، وأبصارهم لأنها لا تتجلى آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كاتجملها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطى عليها وحجبت ، وحيل بينها وبين الإدراك . وأما التبثيل فإن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كفوها وخلقوا من

(١) قوله : وخويصة ، مسلم من رواية زياد بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه : « بادروا بالأعمال ستا ... » ، فذكره . وفيه : وخويصة أحدكم . . .

(٢) قوله « لاختم ولا تغشية » ، ولا تغطية .

أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالحتم والتغطية . وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعى ختما عليه فقال :

حَتَمَ إِلَٰهُ عَلَى لِسَانِ عُدَاوِيٍّ حَتْمًا فَلَيْسَ عَلَى الْكَلَامِ بَقَادِرٍ  
وَإِذَا أَرَادَ النُّطْقَ خِلَتْ لِسَانُهُ لَحْمًا يُحَرِّكُهُ لِيَصْقِرَ نَاقِرٌ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ قُلْتُ : فلم أَسْتَدِ الحتم إلى الله تعالى<sup>(٢)</sup> وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل

(١) لرجل من فزارة واستعار الحتم المانع من زيادة الكتاب ونقصه للنوع من الكلام . وعذاوِر - بالضم - اسم رجل . ويطلق على الشديد العظيم ، وعلى الأسد . والبيت معناه الاختيار عن حال عداوِر ، وهو الظاهر من التفریع ويعد أنه دعاء عليه . وفاعل يحرك لعذاوِر . شبه لسانه باللحم الذى ينقره الصقر بجماجم تحرك كل بغير استقامة مع عدم التلفظ ، وهذا مما يدل على أن البيت إخبار لا دعاء .

(٢) قال محمود رحمه الله : وفارقلت فلم أَسْتَدِ الحتم إلى الله تعالى ... الخ ؛ قال أحمد رحمه الله : هذا أول عشوله خبطها في مهواة من الأهواء هبطها ، حيث نزل من منصة النص إلى حضيض تأويله ؛ ابتغاء الفتنة استبقاء لما كتب عليه من المحنة ، فانطوى كلامه هذا على ضلالات أعدها وأردها :

الأولى : مخالفة دليل العقل على وحدانية الله تعالى . ومقتضاه أنه لاحداث إلا بقدرة الله تعالى لاشريك له ، والامتناع من قبول الحق من جملة الحوادث ؛ فوجب انتظامه في سلك متعلقات القدرة العامة المتعلقة بالكائنات والممكنات .

الثانية : مخالفة دليل النقل المضاهي للدليل العقل كأمثال قوله تعالى : ( الله عالق كل شئ ) ، ( هل من خالق غير الله ) وهذه الآية أيضا ؛ فإن الحتم فيها مستند إلى الله تعالى نصا . والغشوى رحمه الله لا يأتى ذلك ، ولكنه يدعى الالتجاء إلى تأويلها لدليل قام عنده عليه . فاذا أثبت أن الدليل العقلى على وفق مادلت عليه ، وجب عليه إبقاؤها على ظاهرها بل لووردت على خلاف ذلك ظاهرا ، لوجب تأويلها بالدليل جمعا بين العقل والنقل .

الثالثة : الفرار من نسبة ما يعتقد قبحا إلى الله تعالى تبرها ، على زعمه أن الاثراء به في اعتقاد أن الشيطان هو الذى يخلق الحتم والكافر يخلفه نفسه بقدرة على خلاف مراد ربه . فلقد استوخم من السنة المناهل العذاب وورد من حيم البدعة موارد العذاب .

الرابعة : التلطف باعتقاد أن ما يقيح شاهدا يقيح غائبا ، فلما كان المنع من قبول الحق قبيحا في الشاهد وجب على زعمه أن يكون قبيحا من الغائب . وهذه قاعدة قد فرغ من بطلانها في فنها .

الخامسة : اعتقاده أن ذلك لو فرض وجوده بقدرة الله تعالى لكان ظلما ، والله تعالى منزّه عن الظلم بقوله تعالى ( وما أنا بظلام للعبيد ) ومن الظلم البين جهل حقيقة الظلم ؛ فانه التصرف في ملك الغير بغير إذنه . فكيف يتصور ثبوت حقيقته لله تعالى ؟ وكل مقروض محصور بدور ملكه عز وجل : الملك لله الواحد القهار .

السادسة : أنه فر من اعتقاد نسبة الظلم إلى الله تعالى فتورط فيه إلى عنقه ؛ لأنه قد جزم بأن المنع من قبول الحق لو كان من فعل الله تعالى لكان ظلما . فيقال له : وقد قام البرهان على أنه من فعل الله تعالى فيلزمك أن يكون ظلما - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا -

والخيال الذى يدندن حوله هؤلاء : أن أفعال العبد لو كانت مغلوقة لله تعالى لما ناعها على عباده ولاعناهم =

إليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح<sup>(١)</sup> علوا كبيرا لعلمه بقبوحه وعلمه بغناه عنه . وقد نص على تنزيه ذاته بقوله : (وما أنا بظلام للعبيد) ، (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) ، (إن الله لا يأمر بالفحشاء) ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل ؟ قلت : القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها . وأما إسناد الختم إلى الله عز وجل ، فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقى غير العرضى . ألا ترى إلى قولهم : فلان مجبول على كذا ومفطور عليه ، يريدون أنه بليغ في الثبات عليه . وكيف يتخيل ماخيل إليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ، ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ؟ ويجوز أن تضرب الجملة كما هي ، وهي ختم الله على قلوبهم مثلاً كقولهم : سال به الوادى ، إذا هلك . وطارث به العنقاء ، إذا أطال الغيبة ، وليس للوادى ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في

== ولا قامت حجة الله عليهم . وهذه الشبهة قد أجراها في أدراج كلامه المتقدم ، فيقال لهم : لم قلتم إنها لو كانت مخلوقة لله لما نعاها على عباده ؟ فإن أسندوا هذه الملازمة . وكذلك يفعلون . إلى قاعدة التحسين والتفجيع وقالوا : معاينة الإنسان بفعل غيره قبيحة في الشاهد لاسيما إذا كانت المعاينة من الفعل فيلزم طرد ذلك غالباً . قيل لهم : وبقيح في الشاهد أيضاً أن يتمكن الإنسان عبده من المباح والفواحش برأى منه ومسمع ، ثم يعاقبه على ذلك من القدرة على رده ورده من الأول عنها . وأنتم معاشر القدرية تزعمون أن القدرة التي بها يخلق العبد الفواحش لنفسه مخلوقة لله تعالى ، على علم منه عز وجل أن العبد يخلق بها لنفسه ذلك ، فهو بمثابة إعلاء سيف بآثر لفاجر يعلم أنه يقطع به السبيل ، يسبى به الحريم ، وذلك في الشاهد قبيح جرماً . فسيقولون : أجل إنه لقبيح في الشاهد ، ولكن هناك حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فرقت بين الشاهد والغائب ، لحسن من الغائب تمكين عبده من الفواحش مع القدرة على أن لا يقع منه شيء ، ولم يحسن ذلك في الشاهد . وفي هذا الموطن نزول أندامهم وتنكس أعلامهم ، إذا لاحتم لهم قواطع اليقين وبوارق البراهين ؛ فيقال لهم : ما المانع أن تكون تلك الأفعال مخلوقة لله تعالى ويعاقب العبد عليها بصلحة وحكمة استأثر الله بها كما فرغتم منه الآن سواء ؟ فلم لا يسلك أحدكم الطريق الأعدل وينظر عاقبة هذا الأمر فيصير آخر أول ، وليفوض من الابتداء إلى مخالفه ، ويتلقى حجة الله تعالى عليه بالقبول والتسليم ، وبذلك مهتدياً بنور العقل ومقتدياً بدليل الشرع الصراط المستقيم ؛ فإن نازعته النفس وحادثته الهواجس ورغب في مستند من حيث النظر يأنس به من مغاوز الفكر ، فلا يخطر بباله ما ذكر عند كل عاقل من التمييز بين الحركة الاختيارية والقسرية ، فلا يجد عنده في هذه التفرقة ريباً . فإذا استشعر ذلك فليتنبه فقد لطف به إلى أن انحرف عن مضائق الجبر ، فإرا أن يلوح به شيطان الضلال إلى مهامه الاعتزال ، فليمسك نفسه دونها بزمام دليل الوجدانية على أن لا فاعل ولا خالق إلا الله تعالى ، فإذا وقف لم يقف إلا وهو على الصراط المستقيم والطريقة المثلى ، ماراً عليها في أسرع من البرق الخادف والريح العاصف ؟ فليتأمل الناظر هذا الفصل ، ويتخذ وزره في قاعدة الأفعال ، يقف على الحق إن شاء الله تعالى .

(١) قوله «والله يتعالى عن فعل القبيح» هذا مذهب المعتزلة . أما عند أهل السنة فيجوز عليه تعالى خلق خلق الشر وإرادته كالتخير ، وإن كان لا يأمر إلا بالتخير . والختم على القلوب عندهم . خلق الضلال فيها كما بين في علم التوحيد . (ع)

طول غيبته ؛ وإنما هو تمثيل مثلث حاله في هلاكه بحال من سال به الوادى ، وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء ؛ فكذلك مثلث حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافى عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الأغنام <sup>(١)</sup> التى هى فى خلقها عن الفطن كقلوب البهائم ، أو بحال قلوب البهائم أنفسها ، أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تمنى شيئاً ولا تفقه ، وليس له عز وجل فعل فى تجاهيها عن الحق ونبوها عن قبوله ، وهو متعال عن ذلك . ويجوز أن يستعار الإنسان فى نفسه من غير الله الله ، فيكون الحتم مسنداً إلى اسم الله على سبيل المجاز . وهو لغيره حقيقة . تفسير هذا : أن للفعل ملاسات شتى يلا بس . الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له ؛ فإسناده إلى الفاعل حقيقة ، وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة ؛ وذلك لمضاهاتها للفاعل فى ملاسة الفعل ، كما يضاهى الرجل الأسد فى جراته فيستعار له اسمه ، فيقال فى المفعول به : عيشة راضية ، وماء دافق . وفى عكسه : سيل مغمم <sup>(٢)</sup> . وفى المصدر : شرشاعر ، وذيل ذائل . وفى الزمان : نهاره صائم . وليله قائم . وفى المكان : طريق سائر ، ونهر جار . وأهل مكة يقولون : صلى المقام . وفى المسبب : بنى الأمير المدينة ، وناقة صبوث <sup>(٣)</sup> وحلوب . وقال :

\* إِذَا رَدَّ عَنِ الْقَدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا <sup>(٤)</sup> \*

(١) قوله « نحو قلوب الأغنام » الذى فى الصحاح : الغنمة العجمة ، والأغتم الأعم الذى لا يفصح شيئاً ؛ والجمع غتم . ( ع )

(٢) قوله « سيل مغمم » فى الصحاح : أغممت الاناء ملامته ، وفيه أيضاً : ذيل ذائل ، وهو الموان والحزى . ( ع )

(٣) قوله « وناقة صبوث » فى الصحاح : ناقة صبوث ، يشك فى سمتها فتضبط ، أى تجمس باليه . ( ع )

(٤) فلا تسألنى وأسألنى عن خليقتى إذا رد عانى القدر من يستعيرها

فكانوا قوموا فوقها يرقبونها وكانت فتاة الحى بمن يعيرها

لعوف بن الأحوص الباهلى . وقيل : للكبت . يقول : فلا تسألنى عن طبعى وأسألنى غيرى منها ، وقت أن يمنع عانى القدر - أى طالب الرزق الذى فيها - من يستعيرها ليطبخ فيها . وإسناد الرد للعانى مجاز عقلى ؛ لأن المانع فى الحقيقة هو صاحب القدر بسبب طالب الرزق ، ولم يستد إلى نفسه تبرأ من نسبة الرد إليها ، إلا أنه أراد جنس القدر لا قدره هو فقط ؛ فالمنى : إذا أجذب الزمان على ما سياتى . وجمع الضمير فى قوله « فكانوا » لأن العانى متعدد فى المنى : أى فكان المقاتلة قاعدين حولها ينتظرون نضج ما فيها . وكانت فتاة الحى - أى حيه - من جملة من يعير القدر . ويجوز أن ضمير « كانوا » لمن يستعيرها . ويحتمل أن « عانى القدر » بقية ما كان فيها من المرق ، والإسناد مجازى أيضاً على معنى أن من يستعيرها يهددها مشغولة ، وهو دليل على كثرة طبخه للضيغان .

فالشیطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر؛ إلا أن الله سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه، أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى المسبب. ووجه رابع: وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت من لا يؤمن ولا تغنى عنهم الآيات والنذر، ولا تجدى عليهم الألطاف المحصلة ولا المقربة إن أعطوها، لم يبق - بعد استحكام العلم بأنه لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعا واختياراً - طريق إلى إيمانهم إلا القسر والإجاء. وإذا لم تبق طريق إلا أن يقسره الله ويلجئهم ثم لم يقسره ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف، عبر عن ترك القسر والإجاء بالختم، إشعاراً بأنهم الذين ترمى أمرهم في التصميم على الكفر والإصرار عليه إلى حد لا يتناهون عنه إلا بالقسر والإجاء، وهي الغاية القصوى في وصف لجأهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبعي. ووجه خامس: وهو أن يكون حكاية لما كان الكسفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم: (في قلوبنا أكنة مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب) ونظيره في الحكاية والنهك قوله تعالى: (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة). فإن قلت: اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغطية<sup>(١)</sup> فعلى أيهما يقول؟ قلت: على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى: (وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة) ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم. فإن قلت: أى فائدة في تكرير الجاز في قوله (وعلى سمعهم)؟ قلت: لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والأسماع في تعدية واحدة؛ وحين استجده للأسماع تعدية على حدة، كان أدل على شدة الختم في الموضوعين. ووجد السمع كما وجد البطن في قوله: كلوا في بعض بطونكم تعفوا، يفعلون ذلك إذا أمن اللبس. فإذا لم يؤمن كقولك: فرسهم،

== ويجوز أن المراد أن الحالة جذب حتى أن صاحب القدر يرد المستعير حرصا على ما فيها من بقية المرق ولو قليلة؛ فضمير «كانوا» لمن يستعيرها ويجوز أن عا في القدر: مفعول لم يظهر نصبه للوزن، و«من يستعيرها» فاعل؛ لأنه كان من عادة العرب في الجذب أن يرد المستعير بقية من المرق في القدر للبعير، فهو كناية عن الجذب؛ لكن لا تتم مناسبة لما بعده: ويجوز أن يكون المعنى إذا منع مستعير القدر عافيا أى طالب الرزق منها ولجأه وعدم نزول الضيفات عنده، لا يهلك لنفسه قدرا، فإذا استمار قدرا لطبخ فيها مرة منع طالب الرزق منها. وعلى هذا يحتمل أنه جمع حذف نونه للاضافة فنصبه بالياء، فهذه أربعة وجوه.

(١) قال محمود رحمه الله: واللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغطية... الخ. قال أحد رحمه الله وكان جدى رحمه الله يذكر هذا ويذكر عليه أن الأسماع والقلوب لما كانت محبة كان استعمال الختم لها أولى، والأبصار لما كانت بارزة وإدراكها متعلق بظواهرها كان النشأ لها أليق.

وثوبهم ، وأنت تريد الجمع رفضوه . ولك أن تقول : السمع مصدر في أصله ، والمصادر لا تجمع . فليح الأصل يدل عليه جمع الأذن في قوله : ( وفي آذاننا وقر ) وأن تقدر مضافا مخدوفا : أى وعلى حواس سمعهم . وقرأ ابن أبي عبلة : وعلى أسماعهم . فإن قلت : هلا منع أبا عمرو والكسائي من إمالة أبصارهم ما فيه من خرف الاستعلاء وهو الصاد ؟ قلت : لأنّ الرأى المكسورة تغلب المستعلية ، لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين ، وذلك أعون شيء على الإمالة وأن يمال له ما لا يمال . والبصر نور العين ، وهو ما يبصر به الرأى ويدرك المراتب . كما أن البصيرة نور القلب ، وهو ما به يستبصر ويتأمل . وكأنهما جوهرا ن لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للإبصار والاستبصار .

وقرئ ﴿ غشاوة ﴾ بالكسر والنصب . وغشاوة : بالضم والرفع . وغشاوة : بالفتح والنصب . وغشوة : بالكسر والرفع . وغشوة : بالفتح والرفع والنصب . وغشاوة : بالعين غير المعجمة والرفع ، من العشا .

والعذاب : مثل الثكال بناء ومعنى ؛ لأنك تقول : أعذب عن الشيء ، إذا أمسك عنه . كما تقول : نكل عنه . ومنه العذب ؛ لأنه يقمع العطش ويردعه ، بخلاف الملح فإنه يزيد . ويدل عليه تسميتهم إياه تقاحا ؛ لأنه ينقح العطش أى يكسره . وفراتا ، لأنه يرفقه على القلب . ثم اتسع فيه فسمى كل ألم فادح عذابا ، وإن لم يكن نكالا - أى عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة .

والفرق بين العظيم والكبير ، أن العظيم تقيض الحقيق ، والكبير تقيض الصغير ، فكان العظيم فوق الكبير ، كما أن الحقير دون الصغير . ويستعملان في الجثث والاحداث جميعاً . تقول : رجل عظيم وكبير ، تريد جثته أو خطره . ومعنى التشكير أن على أبصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس ، وهو غطاء التعامى عن آيات الله . ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله .

اللهم أجرنا من عذابك ولا تبلىنا بسخطك يا واسع المغفرة .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَبِآيَاتِهِ الْآخِرَةِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَذِّعُونَ  
 آلَ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَذِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ  
 مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علمهم وفعلهم قولهم . ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً قلوباً وألسنة . ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم : ( مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ) وسماه المنافقين ، وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده ؛ لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتدليساً ، وبالشرك استتاراً وخداعاً . ولذلك أنزل فيهم ( إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ) ووصف حال الذين كفروا في آيتين ، وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية ، نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم ، وفضحهم وسفهمهم ، واستجملهم واستهزأهم ، وتهكم بفعلهم ، وسجل بطنيانهم ، وعمهم ودعاهم صماً بكاء عيماً ، وضرب لهم الأمثال الثنيعة . وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة .

وأصل ( ناس ) أناس ، حذفت همزته تخفيفاً كما قيل : لوقه ، في ألوقه <sup>(١)</sup> . وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال إلا ناس . ويشهد لأصله إنسان وأناس وأناسي وإنس . وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أى يبصرون ، كما سمي الجن لاجتنانهم . ولذلك سموا بشراً . ووزن ناس فعال ؛ لأن الزنة على الأصول . ألا تراك تقول في وزن « قه ، فعل ، وليس معك إلا العين وحدها ؟ وهو من أسماء الجمع كرخال <sup>(٢)</sup> . وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأييسيان ورويحل . ولام التعريف فيه للجنس . ويجوز أن تكون للبعد ، والإشارة إلى الذين كفروا الماز ذكرهم ؛ كأنه قيل : ومن هؤلاء من يقول . وهم عبدالله بن أبي وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق . ونظير موقعه موقع القوم في قولك : نزلت ببني فلان فلم يقرؤني والقوم لثام .

ومن في ﴿ من يقول ﴾ موصوفة ، كأنه قيل : ومن الناس ناس يقولون كذا ، كقوله ( من المؤمنين رجال ) إن جعلت اللام للجنس . وإن جعلتها للبعد فموصولة ، كقوله : ( ومنهم الذين يؤذون النبي ) . فإن قلت : كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم ؟ قلت : الكفر جمع الفريقين معاً وصيرهم جنساً واحداً . وكون المنافقين نوعاً من نوعي هذا

(١) قوله « كما قيل لوقه في ألوقه » اللوقه والألوقه : الزبدة . أفاده الصحاح ( ع )

(٢) قوله « من أسماء الجمع كرخال » الرخل - بالكسر - : الأثني من ولد الضأن ، والجمع رخال بالكسر ، وبالضم

كذا في الصحاح . ( ع )

الجنس - مغايراً للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء - لا يخرجهم من أن يكونوا بعضاً من الجنس ؛ فإن الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض . وتلك المغايرات إنما تأتي بالتنوع ولا تأتي الدخول تحت الجنسية . فإن قلت : لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر ؟ قلت : اختصاعهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الحبث وتماديهم في الدعارة ؛ لأن القوم كانوا يهوداً ، وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان ، لقولهم : ( عزير ابن الله ) . وكذلك إيمانهم باليوم الآخر ، لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته ، فكان قولهم : ( آمنا بالله وباليوم الآخر ) خبثاً مضاعفاً وكفراً موجهاً ، لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم ، فهو كفر لا إيمان . فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للسليين واستهزاء بهم ، وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي ، كان خبثاً إلى خبث ، وكفراً إلى كفر . وأيضاً فقد أوهموها في هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان <sup>(١)</sup> من جانبيه ، واكتفوه من قطريه ، وأحاطوا بأوله وآخره . وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام . فإن قلت : كيف طابق قوله : ( وما هم بمؤمنين ) قولهم ( آمنا بالله وباليوم الآخر ) والاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل ، والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل ؟ قلت : القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه ، فسلك في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب . وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره ، وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين ، لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان . وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة ، فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع . ونحوه قوله تعالى : ( يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ) هو أبلغ من قولك : وما يخرجون منها . فإن قلت : فلم جاء الإيمان مطلقاً في الثاني وهو مقيد في الأول ؟ قلت : يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ، وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط ، لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ، ولا من الإيمان بغيرهما . فإن قلت : ما المراد باليوم الآخر ؟ قلت : يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع ، لتأخره عن الأوقات المنتقضية . وأن يراد الوقت المحدود من

(١) قوله واختاروا الإيمان له احتازوا - بالخاء المهملة والزاي - كما في عبارة البضاري (ع)



النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، لأنه آخر الأوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده .

والخدع : أن يوم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه . من قولهم : ضب خادع وخدع ، إذا أمر الحارث يده على باب حجره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر . فإن قلت : كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح <sup>(١)</sup> لأن العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع ، والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع ، والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا . ألا نرى إلى قوله :

(١) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح .. الخ ، قال أحد رحمه الله : هذا الفصل من كلام الزمخشري جمع فيه بين الفتن والسمين . ونحن نفيه على ما فيه من الزبد ، ليم للناظر أخذ ما فيه من السنة ، أمانا من التورط في وضرب البدعة ، مستعينين بالله وهو خير معين . فما خالف فيه السنة قوله : إن الله تعالى عالم بذاته ، يريد لا يعلم . وهذا مما سميت به المعزولة في المقدمة من أنهم يحددون صفات الكمال الإلهي ، يغيثون بذلك زعمهم التوحيد والتزويه . ومعتقد أهل السنة أن الله تعالى عالم بهلم قديم أزلي ، متعلق بكل معلوم واجب أو ممكن أو مستحيل ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين . وحسبك هذه الآية مصدقة لمعتقدهم في ثبوت صفة العلم له تعالى وفي عموم تعلقه بالكمالات والجزئيات إلى ما وراها من البراهين الكلامية على ذلك . ولنا بصدد ذكرها في هذا الكتاب . وبما خالف فيه السنة : اعتقاده أن في الكائنات ما ليس مخلوقا لله تعالى ؛ لأنه يبيح على زعمه كالفهم من الخداع في هذه الآية . وما جره إلى هاتين التزغيتين إلا اعتقاده أنه لا يتم استحالة كونه تعالى مخدوعا ، إلا بأنه عالم بذاته حتى نعم عالميته كل كائن فلا يخدع ؛ إذ نسبة الذات إلى الكائنات نسبة واحدة ، ولا يتم استحالة كونه تعالى خادعا إلا باستحالة صدور بعض الكائنات عنه لأنه قبيح على زعمهم . ولقد وقف هذا التزويه على ما لا توقف عليه ولا شرط فيه : فمن معاشر أهل السنة نعتقد أن الله تعالى عالم يعلم ، ومع ذلك نعتقد استحالة كونه مخدوعا ؛ لأن علمه عندنا علم التعلق كما وصفنا . ونعتقد أنه لا يصدر كائن في الوجود إلا عن قدرته لا غير ، ومع ذلك نتمنع أن ينسب الخداع إلى الله تعالى لما يوهظا من أنه إنما يكون عن عجز عن المكالفة وإظهار المكنتوم . هذا هو الموهوم منه في الإطلاق ، ولكن حيث أطلقه تعالى مقابلا لما ذكره من خداع المنافقين كقابلة المكر بمكرهم ، علنا أن المراد منه أنه فعل معهم فعلا سماه خداعا مقابلا ومشاكلة ؛ وإلا فهو قادر على هتك سترهم وإزالة العذاب بهم رأى العين فهذا معتقد أهل السنة في هذه الآية وأمثالها لا كالزمخشري وشيعته الذين يزعمون أنهم يحددون فيجحدون ، ويظهرون فيشركون . والله الموفق للحق . وكذلك الخداع المذنب إليهم على سبيل المجاز عن تعاطيهم أفعال الخداع على ظنهم وأصدق شاهد في أنه مجاز نفيه بعقب إثباته في قوله (وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) ففي هذه التهمة نفي احتمال الحقيقة حتى تتعين جهة المجاز . وما هذه البيانات من أدلة الجواز صدق نفيه فتأمل هذا الفصل فله على سائر الفصول الفضل .

﴿ وَاسْتَمْطَرُوا مِنْ قُرَيْشٍ كُلَّ مُنْخَدِعٍ ﴾ <sup>(١)</sup>

وقول ذى الرمة :

﴿ إِنَّ الْحَلِيمَ وَذَا الْإِسْلَامِ يُخْتَلَبُ ﴾ <sup>(٢)</sup>

فقد جاء النعت بالاستخداغ ولم يأت بالخدع . قلت : فيه وجوه . أحدها : أن يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون ، صورة صنع الخادعين . وصورة صنع الله معهم - حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار - صورة صنع الخادع ، وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم . والثاني : أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه ؛ لأن من كان ادعاه الإيمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ، ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم ، ولا أنه غنى عن فعل القبائح ؛ فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالميكروه من وجه خفى ، وتجويز أن يدلس على عباده ويخدعهم . والثالث : أن يذكر الله تعالى ويراد الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه خليفته في أرضه ، والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده ، كما يقال : قال الملك كذا ورسم كذا ؛

(١) واستمطروا من قريش كل منخدع . إن الكريم إذا عادته انخدعا

كانت العرب إذا أصابها جديب فزعت إلى قريش ليستسقوا لهم ، لأنهم ولاية بيت الله وحماة حرمه ، كما فعل قوم عاد لما فطحوها . وكذلك استسقى عمر بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم . واستسقى أبو سفيان النبي صلى الله عليه وسلم فأجابته واستسقى له مع ما كان بينهما من العداوة . يقول : طلب القوم من كل منخدع من قريش المطر : أى أن يطلب لهم المطر . وقال السيد : واستمطروا ، أى استسقوا وطلبوا ، فأفاد أنه على صيغة الأمر . وفي الصحاح : أى سلوه أن يعطي كالمطر مثلا ، وهو يؤيد كلام السيد . ويجوز تشبيه كل منخدع من قريش بالسحاب على سبيل المجازية ، فيطلب منه المطر . والمنخدع المغلوب للكرمه . وبينه قوله : إن الكريم . ويرى البيت هكذا

لا خير في الحب لا ترجى نوافله فاستمطروا من قريش كل منخدع

ويرى « من فريق » بدل « قريش » . وقوله « لا ترجى الخ » جملة حالية للحب . وفريق موضع بعينه من الحجاز .

(٢) تزداد للعين إيهاما إذا انفرت ونخرج العين فيها حين تنقلب

تلك الفتاة التي علقها عرضا إن الحليم وذا الإسلام يختلب

لدى الرمة في محبته . وسفرت المرأة : كشفت عن وجهها . وروى : [سفار] ، بدل إيهاما . والمراد أن إيهاما بسفرها لعينى يزداد إذا كشفت عن وجهها . وخرجت العين - كتبت - جارت . وروى « منها » بدل « فيها » أى من أجلها . وتنقلب : أى ترسل النقاب على وجهها . وعرضا أى من غير قصد ولا شعور . وطلب - من باب قتل - : خدع أى هى الشابة التى اعترضنى حبها حيث لا أشعر . ثم تسلى بأن العاقل المسلم كثيرا ما ينخدع .

وإنما القائل والراسم وزيره أو بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه . مصداقه قوله : ( إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ) وقوله : ( من يطع الرسول فقد أطاع الله ) . والرابع : أن يكون من قولهم : أعجبنى زيد وكرمه ، فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله . وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ، ولما كان المؤمنون من الله بمكان ، سلك بهم ذلك المسلك . ومثله : ( والله ورسوله أحق أن يرضوه ) وكذلك : ( إن الذين يؤذون الله ورسوله ) ونظيره في كلامهم : علمت زيدا فاضلا ، والغرض فيه ذكر إحاطة العلم بفضل زيد لابه نفسه ؛ لأنه كان معلوما له قديما ؛ كأنه قيل : علمت فضل زيد ؛ ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله . فإن قلت : هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح ؟ قلت : وجه أن يقال : عني به ، فعلت ، إلا أنه أخرج في زنة ، فاعلت ، لأن الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة ، والفعل متى غلب فيه فاعله جاه أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مباراة لزيادة قوة الداعى إليه . وبعضه قراءة من قرأ : ( يخادعون الله والذين آمنوا ) وهو أبو حيوه . و ( يخادعون ) بيان ليقول . ويجوز أن يكون مستأنفا كأنه قيل : ولم يدعون الإيمان كاذبين وما رفقهم في ذلك ؟ فقيل يخادعون . فان قلت : عم كانوا يخادعون ؟ قلت : كانوا يخادعونهم عن أغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم وإعفاؤهم عن المحاربة وعم كانوا يطرقون به من سواهم من الكفار . ومنها اصطنائهم بما يصطنعون به المؤمنين من إكرامهم والإحسان إليهم وإعطائهم الحظوظ من المنافع ونحو ذلك من الفوائد ، ومنها اطلاعهم - لا اختلاطهم بهم - على الأسرار التي كانوا حراسا على إذاعتها إلى منابذهم . فإن قلت : فلو أظهر عليهم حتى لا يصلوا إلى هذه الأغراض بخداعهم عنها . قلت : لم يظهر عليهم لما أحاط به علما من المصالح التي لو أظهر عليهم لانقلبت مفسدة واستبقام إبليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من إغواء المنافقين وتلقيهم النفاق أشد من ذلك . ولكن السبب فيه ماعله تعالى من المصلحة . فإن قلت : ما المراد بقوله : ( وما يخادعون إلا أنفسهم ) ؟ قلت : يجوز أن يراد : وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها يلحقهم ، ومكرها يحقق بهم ، كما تقول : فلان يضار فلانا وما يضار إلا نفسه ، أى : دائرة الضرر راجعة إليه وغير متخفية إياه ، وأن يراد حقيقة الخداعة أى : وهم في ذلك يخدعون أنفسهم حيث يمينونها بالباطل ويكذبونها فيما يحدثونها به ، وأنفسهم كذلك تمنهم وتحثهم بالآماني وأن يراد : وما يخدعون فجىء به على لفظ ، يفاعلون ، اللبابة . وقرئ : وما يخدعون ،

ويخدعون من خدع . ويخدعون . بفتح الياء . بمعنى يخدعون . ويخدعون . ويخدعون على لفظ ما لم يسم فاعله . والنفس : ذات الشيء وحقيقته . يقال عندى كذا نفساً . ثم قيل للقلب : نفس ؛ لأن النفس به . ألا ترى إلى قولهم : المرأ بأصغريه . وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس ؛ لأن قوامها بالدم . وللنفس ؛ لفرط حاجتها إليه : قال الله تعالى : ( وجعلنا من الماء كل شيء حي ) وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين أصيبت نفسه ، كقولهم : فلان يؤامر نفسه - إذا تردد في الأمر اتجه له رأيان وداعيان لا يدري على أيهما يرجح كأنهم أرادوا داعي النفس ، وهاجسي النفس فسموها : نفسين ، إما لصدورهما عن النفس ، وإما لأن الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والأمين له ، شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين . والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم . والمعنى بمخادعتهم ذواتهم : أن الخداع لا يصق بهم لا يمدوهم إلى غيرهم ولا يخطأهم إلى من سواهم . ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم .

والشعور علم الشيء علم حس<sup>(١)</sup> من الشعار . ومشاعر الإنسان : حواسه . والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس ، وهم لتماذى غفلتهم كالذي لاحس له .

واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازاً ، فالحقيقة أن يراد الالم كما تقول : في جوفه مرض . والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب ، كسوء الاعتقاد ، والغل ، والحسد والميل إلى المعاصي ، والعزم عليها ، واستشعار الهوى ، والجبن ، والضعف ، وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائص ذلك . والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر ، أو من الغل والحسد والبغضاء ، لأن صدورهم كانت تغلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلاً وحنقاً ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله : ( قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ) ويتحرقون عليهم حسداً (إن تمسككم حسنة تسؤم) وناهيك مما كان<sup>(٢)</sup> من ابن أبي وقول سعد بن عباد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : و اعف عنه يا رسول الله واصفح ، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ،

(١) قال محمود رحمه الله تعالى : « والشعور علم الشيء علم حس ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : « إنفتح هذا الكلام على تفسير الشعور كما قال بأنه علم الشيء من ناحية الحس الخ : أنه لما كانت مقسدة التفريق عائدة على المناقح عوداً يبتأ جلياً محسوساً . نعم عليهم جهلهم بالمحسوس فنحن شعورهم به ولا كذلك معرفة الحق وتميزه عن الباطل فانه أمر عقل نظري » .

(٢) قوله « وناهيك مما كان » لعله : بما كان . (ع)

ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصاة فلما رآه الله ذلك بالحق الذى أعطاه شوق بذلك <sup>(١)</sup>. أو يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجن والخور، لأن قلوبهم كانت قوية، إما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به : أن ربح الإسلام تهب حيناً ثم تسكن ولوامه يخفق أياماً ثم يقز، فضعفت حين ملكها اليأس عند إزال الله على رسوله النصر وإظهار دين الحق على الدين كله . وإما الجراتهم وجسارتهم فى الحروب فضعفت جبناً وخوراً <sup>(٢)</sup> حين قذف الله فى قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » <sup>(٣)</sup> . ومعنى زيادة الله إياهم مرضاً أنه كلما أنزل على رسوله الوحى فسمعوه كفروا به فازدادوا كفراً إلى كفرهم ، فكأن الله هو الذى زادهم ما ازدادوه إسناداً للفعل إلى المسبب له ، كما أسنده إلى السورة فى قوله : ( فزادتهم رجساً إلى رجسهم ) لكونها سبياً . أو كلما زاد رسوله نصرة وتبسطاً فى البلاد ونقصاً من أطراف الأرض ازدادوا حسداً وغلاً وبغضاً وازدادت قلوبهم ضعفاً وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبناً وخوراً . ويحتمل أن يراد زيادة المرض الطبع . وقرأ أبو عمرو فى رواية الأصمعى : مرض ، ومرضاً ، بسكون الزاء :

يقال ألم فهو ( أليم ) كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله :

﴿ تَحِيَّةٌ يَتَنَبَّهُونَ مِنْهَا ضَرْبٌ وَجِيعٌ ﴾ <sup>(٤)</sup>

(١) متفق عليه من رواية عروة عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على قطيفة فركبه وأردف أسامة بن زيد وراءه ، يمدد يده فى عبادة . فذكره مطولاً

(٢) قوله : جبناً وخوراً ، الخور بالتحريك : الضعف ، كما فى الصحاح . (ع)

(٣) متفق عليه من حديث جابر رضى الله عنه .

(٤) أمن رعاية الداعي السميع يؤرقى وأصحابي مجموع

وسوق كتيبة دلفت لأخرى كانت زماماً رأس صليح

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع

لعمر بن معديكرب صاحب ربيعة أخت دريد بن الصمة ، التمس منه زوجها فأجابها ومطله . وقيل : ربيعة اسم موضع بعينه . والسميع : السمع على اسم المفعول ، أو المسموع ، أو المسمع على اسم الفاعل ، أو السامع وأصل قبيل أن يكون بمعنى فاعل كعالم . وكذا ما جاء بمعنى مفعول كبح وقيل . رند من الرباعى بمعنى مفعول اسم فاعل كوجيع ، وبمعنى مفعول اسم مفعول كسميع بمعنى مسمع اسم مفعول . وكثر سبها بمعنى مفعول بكليس وشريك . وسميع : مبتدأ ، خبره يؤرقى أى هل داعى الشوق من ربيعة يسهرنى وإحال أن أبحاً نيام ؟ والاستفهام للتعجب « وسوق كتيبة » عطف على الداعي أو على ضمير يؤرقى . والكتيبة : الجماعة المنضمة المنتظمة . ودلفت دلفاً من باب ==

وهذا على طريقة قولهم : جدّده . والألم في الحقيقة للؤلؤ كما أن الجذّ للجاذ .  
والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر . وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته ،  
وتخييل أن العذاب الاليم لاحق بهم من أجل كذبهم . ونحوه قوله تعالى : ( مما خطيئاتهم  
أغرقوا ) والقوم كفرة . وإنما خصت الخطيئات استعظاها لها وتنفيها عن ارتكابها .  
والكذب : الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله . وأما ما يروى عن إبراهيم  
عليه السلام أنه كذب ثلاث كذبات <sup>(١)</sup> . فالمراد التعريض . ولكن لما كانت صورته صورة  
الكذب سمى به . وعن أبي بكر رضى الله عنه وروى مرفوعا : « إياكم والكذب فإنه بجانب  
للإيمان » <sup>(٢)</sup> وقرئ : يكذبون ، من كذبه الذى هو نقيض صدقه : أو من كذب الذى هو  
مبالغة في كذب ، كما بولغ في صدق فقيل : صدق . ونظيرهما : بان الشيء وبين ، وقلص الثوب  
وقلص . أو بمعنى الكثرة كقولهم : موت البهائم ، وبركت الإبل ، أو من قولهم : كذب  
الوحشى إذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه : لأن المنافق متوقف متردد في أمره ،  
ولذلك قيل له مذبذب . وقال عليه السلام : « مثل المنافق كمثل الشاة <sup>(٣)</sup> العائرة بين الغنمين ،  
تغير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ

== تعب مشى بتؤدة . وقيل تقدم وأسرع . كان زهاءها : أى مقدارها . والصليع : الذى لا شعر فيه ، ولعله شبهها بذلك  
الرأس في التجرد والتكشاف وظهور العظام كما يقال : جيش أقرع ، وألف أقرع : أى تام مجازا . وخيل : أى  
وأصحاب خيل قد تقدمت لها مثله . والحية : الداء بالحياة ، فأخبر عنها بالضرب الوجع على سبيل التهكم .  
وضمير « بينهم » للخيل بمعنى الجيش . وانتقل من ذكر رحمانه إلى ذكر الحرب لأنه كان أغار على دريد في طلبها .

(١) متفق عليه واللفظ للبخارى من رواية ابن سيرين ، عن أبي هريرة رضى الله عنه رفعه « لم يكذب إبراهيم  
إلا ثلاث كذبات : اثنتين منهن في ذات الله عز وجل » الحديث . وأخرجه الترمذى في تفسيره الأنياء ، من طريق  
أبي الزناد عن الأعرج عنه .

(٢) روى مرفوعا وموقوفا على أبي بكر الصديق رضى الله عنه . أما المرفوع فأخرجه ابن عدى من طريق  
إسماعيل بن أبي خاله عن قيس عنه . قال الدارقطني في الملل : رفعه يحيى بن عبد الملك وجعفر الأحمر ومهر بن  
ثابت عن إسماعيل . ووقفه غيرهم وهو أصح . ويروى عن أبي أسامة ويؤيد بن هرون عنه أيضا مرفوعا . ولا  
يثبت عنهما اه . وأما الموقوف فأخرجه أحمد وابن أبي شيبة في الأدب كلاهما عن وكيع عن إسماعيل وابن المبارك  
في الزهد . عن إسماعيل كذلك . ولم يجد الطبري المرفوع فأخرج بدله عن صفوان بن سليم . قيل : يا رسول الله المؤمن  
يكون جباناً ؟ قال : نعم . يكون بخيلاً ؟ قال : نعم . يكون كذاباً ؟ قال : لا . أخرجه مالك وهو مرسل .

(٣) أخرجه مسلم من رواية موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما : قوله أمير بهيمة أى تتردد .

هُمْ الْفٰسِدُونَ وَلٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السَّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدِّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا الضَّلٰلَةَ بِٱلْهُدٰى فَمَا رَبَّحَتْ تَجَارِبُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ) معطوف على يكذبون . ويجوز أن يعطف على ( يقول آمنّا ) لأنك لو قلت : ومن الناس من إذا قيل لهم لا تفسدوا ، كان صحيحا ، والاول أوجه .

والفساد : خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ، ونقيضه : الصلاح ، وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة . والفساد في الأرض : هيج الحروب والفتن ، لأن في ذلك فساد مافي الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية . قال الله تعالى : ( وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ) ، ( أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ) . ومنه قيل لحرب كانت بين طيئ : حرب الفساد . وكان فساد المنافقين في الأرض . أنهم كانوا يميلون الكفار ويمالثونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم ، وذلك مما يؤدى إلى هيج الفتن بينهم ، فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا إلى الفساد قيل لهم : لا تفسدوا ، كما تقول للرجل : لا تقتل نفسك بيدك ، ولا تلق نفسك في النار ، إذا أقدم على ما هذه عاقبته . و « إنما » لقصر الحكم على شيء ، كقولك : إنما ينطق زيد ، أو لقصر الشيء على حكم كقولك : إنما زيد كاتب . ومعنى ﴿ إنما نحن مصلحون ﴾ أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قاذح فيها من وجه من وجوه الفساد . و ﴿ ألا ﴾ مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي ، لإعطاء معنى التنبية على تحقق مابعداها ، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا كقوله : ( أليس ذلك بقادر ) ؟ ولكونها في هذا المنصب من التحقيق ، لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو مايتلقى به القسم . وأختها التي هي « أمّا » من مقدمات اليمين وطلاتها :

\* أَمَّا وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ \* (١)

\*\*\*

\* أَمَّا وَالَّذِي أَنْبَأَكَ \* (٢)

رَدَّ الله مادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ ردَّ وأدله على سخط عظيم ، والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين إلا . وإن من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل . وقوله : ﴿ لا يشعرون ﴾ أتوهم في النصيحة من وجهين : أحدهما تقييح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجزءه إلى الفساد والفتنة . والثاني : تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوى الأحلام ، ودخولهم في عدادهم ؛ فكان من جوابهم أن سفهمهم لفرط سفهمهم ، وجعلهم لتمادى

(١) أما والذي لا يعلم الغيب غيره ويحيى العظام البيض وهي رميم  
لقد كنت أختار القرى طوى الحنما حاذرة من أن يقال لثم  
وإني لاستحي يميني وبينها وبين في داجي الظلام بهم

الحاتم الطائي . وأصل «أما» مركبة من همزة الاستفهام وما السابقة ، فصارت حرفا لاستفتاح القسم وتوكيد الكلام وأقسم بالذي يعلم الغيب والضائر وهو الله تعالى ، لأن جواب القسم من هذا القبيل . وذكر البيض دفعا لثوم أنها المكسبة باللحم أو كناية عن طول مدتها عارية عنه ، فيشتد بياضها لجفاف دمها وهي رميم بالية . واستواء المذكر والمؤنث في فعل بمعنى فاعل كما هنا قليل ، والكثير في الذي بمعنى مفعول . لقد كنت أختار القرى : أى جمع الضيفان وإكرامهم . ويجوز أن يروى : أجاز القرى بالجيم والراء وضم القاف : يصف نفسه بالعفة . ويروى : أختار الجوى بمعنى حرقة القلب من الجوع ونحوه حال كوني عفوا . وعلى الأولى فالمعنى : حال كوني جائعا ، فطلي الحشا أى المعدة والأمعاء كناية عن ذلك ، وكثر استيهال الطلى في هذا المعنى ، حتى قيل منه : طوى يطوى كرضى يرضى بمعنى جاع ، فهو طيان كجوعان وزنا ومعنى . حاذرة : أى حذرا من قول الناس إنه لثم لا كريم . وكان يستحي أن يمد يده للطعام إلى فمه ، مع أن الليل شديد الظلمة حائل بينهما فيمنعه أن يراها . والبهيم : الذى انهمت فيه الأشياء لظلمته .

(٢) أما والذي أنبأ وأنبأك والذى أنبأ وأنبأك والذى أمره الأمر  
لقد تركتني أحد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعر

لأنى صخر عبد الله بن سلمي الهذلي . و «أما» استفاحية ومقدمة وطلبة لليمين . والوار بعدها القسم : أى وحق الذى أنبأ وأنبأك حقيقة ، أو الذى سر وضر كناية ، وهو أنسب بالمقام . والذى أمره : أى مقدرة هو المقدر النافذ . أو الذى أمره إذا أراد شيئا الأمر : أى قوله كن . ويروى «أمر» بلام : أى أمر حق عظيم . لقد تركتني جواب القسم : أى صيرتني أحد الوحش على رؤيتي متآلفين منها ، أى الوحش ؛ لأنه في معنى الجاعة . لا يروعهما أى لا يخوفهما ، لأن الخوف يحل الروح - بالضم - وهو القلب . وذعر ذعرا ، كنعب : خاف خوفا . وذعرته ذعرا كعزبته ضربا أخففته . أى لا تخيفهما الاخافة . ويجوز أن يراد بالذعر : الأمر الخفيف . ويروى : لا يروعهما النفر : أى لا ينفر أحدهما من الآخر فيروعه بذلك .



جهلهم . وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقي من الجملة . فإن قلت : كيف صح أن يسند « قيل » إلى « لا تفسدوا ، وآمنوا » ، وإسناد الفعل إلى الفعل بما لا يصح ؟ قلت : الذي لا يصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل ، وهذا إسناد له إلى لفظه ، كأنه قيل : وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام . فهو نحو قولك : « ألف » ، ضرب من ثلاثة أحرف . ومنه : زعموا مطية الكذب<sup>(١)</sup> . و « ما » في « كما » يجوز أن تكون كافة مثلها في ( ربما ) ، ومصدرية مثلها في ( بما رحبت ) . واللام في « الناس » للعهد ، أي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه . أو هم ناس معبودون كعبدة الله بن سلام وأشياعه لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم ، أي : كما آمن أصحابكم وإخوانكم ، أو للجنس أي : كما آمن الكاملون في الإنسانية . أو جعل للمؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ، ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل .

والاستفهام في « أتؤمن » في معنى الإنكار . واللام في « السفهاء » مشاربها إلى الناس ، كما تقول لصاحبك : إن زيدا قد سعى بك ، فيقول : أو قد فعل السفية . ويجوز أن تكون للجنس ، وينطوي تحته الجارى ذكرهم على زعمهم واعتقادهم : لأنهم عندهم أعرق الناس في السفه . فإن قلت : لم سفوهم واستركوا عقولهم ، وهم العقلاء المراجيح ؟ قلت : لأنهم لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم ، اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ، ومن ركب متن الباطل كان سفيا ؛ ولأنهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار ، وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصيب وبلال وخباب ، فدعواهم سفهاء تحقيرا لشأنهم . أو أرادوا عبادة الله بن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظمهم من إسلامهم وفت في أعضادهم . قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع عليهم أنهم من السفه بمعزل ، والسفه سخافة النقل وخفة الحلم . فان قلت : فلم فصلت هذه الآية (لا يعلمون) ، وإلى قبلها (لا يشعرون) ؟ قلت : لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل ، يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة . وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدى إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوى مبنى على

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات من رواية الأعمش عن شريح قال : زعموا كنية الكذب . وقد ذكره المصنف مرفوعا في سورة التباين ولم أجده بهذا اللفظ . والذي في الأدب المفرد البخارى من حديث أبي مريم الأنصاري رضي الله عنه مرفوعا : « بنس مطية الرجل زعموا » وكذا أخرجه أحمد وإسحاق وأبو يعلى ، وهو من رواية أبي قلابة عنه . وفي رواية البخارى بين أبي قلابة وبين أبي مسعود : أبو المهلب .

العادات ، معلوم عند الناس ، خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب ، فهو كالمحسوس المشاهد ؛ ولأنه قد ذكر السفه وهو جمل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له . مساق هذه الآية بخلاف ما سيق له أول قصة المناقذين فليس بتكرير ، لأن تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ، وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم ، فإذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم . وروى أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم<sup>(١)</sup> نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عبد الله : انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم ، فأخذ بيد أبي بكر فقال : مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار ، الباذل نفسه وماله لرسول الله . ثم أخذ بيد عمر فقال : مرحبا بسيد بني عدى الفاروق القوى في دين الله ، الباذل نفسه وماله لرسول الله . ثم أخذ بيد علي فقال : مرحبا بابن عم رسول الله وخخته سيد بني هاشم ما خلا رسول الله . ثم افرقوا فقال لأصحابه : كيف رأيتموني فعلت ؟ فأتوا عليه خيرا ، فنزلت . ويقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريبا منه ، وهو جارى ملاقي ومراوق . وقرأ أبو حنيفة : وإذا لاقوا .

وخلوت بفلان وإليه ، إذا انفردت معه . ويجوز أن يكون من « خلا » بمعنى : مضى ، و« خلأك ذم » أي عداك ومضى عنك . ومنه : القرون الخالية ، ومن « خلوت به » إذا سخرت منه . وهو من قولك : خلا فلان بعرض فلان يعبث به . ومعناه : وإذا أنها السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها . كما تقول : أحمد إليك فلانا ، وأذمته إليك . وشياطينهم : الذين ماثلوا الشياطين في تمزدهم . وقد جعل سبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية ، وفي آخر زائدة . والدليل على أصلها قولهم : تشيطان ، واشتقاقه من « شطن » إذا بعد ؛ لبعده من الصلاح والخير . ومن « شاط » إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة . ومن أسمائه الباطل .

(١) أخرجه الواحدى في الأسباب من رواية السدى الصغير . ومحمد بن مروان ، عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : « نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه . وذلك أنهم خرجوا ذات يوم ، فذكره وفي آخره « فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فنزلت » . ومحمد بن مروان متروك منهم بوضع الحديث وسياقه في غاية النكارة .

(إنا معكم) إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم . فإن قلت : لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية ، وشياطينهم بالاسمية محققة بأن ؟ (١) قلت : ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما ، لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم ، لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم ، وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعد على ، إذ ليس لهم من عقائدهم باعث وحرك ، وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد . وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة . وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهرائي المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل . ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين : ( ربنا إنا آمنة ) . وأما مخاطبة إخوانهم ، فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر ، والبعد من أن يزولوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به ، وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم ، فكان مظنة للتحقيق ومثبة للتوكيد . فإن قلت : أنى تعلق قوله : ( إنا نحن مستهزون ) بقوله ( إنا معكم ) قلت : هو توكيد له ، لأن قوله ( إنا معكم ) معناه الثبات على اليهودية . وقوله : ( إنا نحن مستهزون ) رد للإسلام ودفع له منهم ، لأن المستهزئ بالشئ المستخف به منكروه ودافع لكونه معتدا به ، ودفع نقيض الشئ تأكيد لثباته أو بدل منه ، لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر . أو استئناف ، كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم : ( إنا معكم ، فقالوا : فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا : إنا نحن مستهزون . والاستهزاء : السخرية والاستخفاف ، وأصل الباب الخفة - من الهزء وهو القتل السريع - وهزأ يهزأ : مات على المكان . عن بعض العرب : مشيت فلنبت فظننت لأهزان على مكان . وناقته تهزأ به : أى تسرع وتحف . فإن قلت : لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى ، لأنه متعال عن القبيح ، والسخرية من باب العيب والجهل . ألا ترى إلى قوله : ( قالوا أأتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ) ، فما معنى استهزائه بهم ؟ قلت : معناه إزالا الهوان والحقارة بهم ، لأن المستهزئ غرضه الذى يرميه هو طلب الخفة والزراية من يهزأ به ،

(١) قال محمود رحمه الله : « إن قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية ... الخ ، قال أحد رحمته : « وبني هذا التقرير على أن الجملة الاسمية أثبت من الفعلية خصوصاً مؤكدة بأن مردفة بأنما على أنه قد حكى إيمان المؤمنين المخلصين بالجملة الفعلية أيضاً في قوله ( ربنا آمنا بما أنزلت ) واتبعتنا الرسول . وعلي الجملة فلقد أحسن الرخصى رحمه الله في تقريره ما شاء وأجل ما أُرَاد .

وإدخال الهوان والحقارة عليه ، والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك . وقد كثرت التهم في كلام الله تعالى بالكفرة . والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم ، والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون . ويجوز أن يراد به ما مر في ( يخادعون ) من أنه يجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر ، وهو مبطن بادخار ما يراد بهم ، وقيل : سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله : ( وجزاء سيئة سيئة مثلها ) ، ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ) . فإن قلت : كيف ابتدئ قوله : ( الله يستهزئ بهم ) ولم يعطف على الكلام قبله . <sup>(١)</sup> قلت : هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة . وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ ، الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته ، لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل . وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ، ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله . فإن قلت : فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله ( إنما نحن مستهزئون ) <sup>(٢)</sup> قلت : لأن ( يستهزئ ) يفيد حدوث الاستهزاء وتجديده وقتا بعد وقت ، وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم ( أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ) وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ، وزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم ( يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ) ، ( قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون ) . ( ويمدّم في طغيانهم ) من مدّ الجيش وأمدّه إذا زاده وألحق به ما يقويه ويسكثره . وكذلك مدّ الداوة وأمدّها : زادها ما يصلحها . ومددت السرج والأرض : إذا استصلحتهما بالزيت والسياد . ومدّه الشيطان في الغي وأمدّه : إذا واصله بالسؤوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه . فإن قلت : لم زعمت أنه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإمهال ؟ قلت : كفالك دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن عيصن : ( ويمدّم ) ، وقراءة نافع : ( وإخوانهم يمدّونهم ) على أن الذي بمعنى أمهله

(١) قال محمود رحمه الله : « إن قلت : كيف ابتدئ قوله : الله يستهزئ بهم ولم يجعله معطوفا ... الخ ؟ قال أحد رحمه الله : فإن قال قائل : أفلا يستفاد هذا المعنى من العطف ؟ قيل له : لو عطف لأشعر بأن الغرض كل الغرض اجتماع مضمون الجملتين وإعراض عن هذا المعنى الذي يفرد به الاستئناف

(٢) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت : فهلا قيل الله مستهزئ بهم ... الخ ؟ قال أحد رحمه الله : ولهذا الفرق بين القمل والاسم ورد قوله تعالى ( إنا نخرجنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ، والطير محشورة ) لما كان التسميح من الطوائف متكرراً متجدداً شيئاً فشيئاً وحشر الطير معه أمر دائم ، ذكر التسميح بصيغة الفعل ، والحشر بصيغة الاسم . وسيأتى إن شاء الله تعالى مزيد تقرير فيه .

إنما هو مد له مع اللام كأملى له . فان قلت : فكيف جاز أن يوليه الله مدداً في الطغيان وهو فعل الشياطين ؟ ألا ترى إلى قوله تعالى : ( وإخوانهم يمدّونهم في الغي ) ؟ <sup>(١)</sup> قلت : إما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله أطفافه التي يمنحها المؤمنين ، وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه ، بقيت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة فيها ، تزايد الانسراح والنور في قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مدداً . وأسند إلى الله سبحانه لأنه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم . وإما على منع القسر والإلجاء وإما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله لأنه يتمكنه وإقداره والتخيلة بينه وبين إغواء عباده . فإن قلت : فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالإمهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه ؟ قلت : استجزم إلى ذلك خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسندوا إلى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته ، وإلا كان منه بمنزلة الأروى من النعام . ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ، أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدى سليماً من القادح ، فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل . ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره : في ضلالتهم يتبادون ، وأن هؤلاء من أهل الطبع . والطغيان : الغلو في الكفر ، ومجاوزة الحد في العتو . وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه : ( في طغيانهم ) بالكسر وهما لغتان ، كلقيان ولقيان ، وغنيان وغنيان . فان قلت : أي نكتة في إضافته إليهم ؟ <sup>(٢)</sup> قلت : فيها أن الطغيان والتماذي في الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحت أيديهم ، وأن الله برىء منه ردّاً لاعتقاد الكفرة القائلين : لو شاء

- (١) قال محمود رحمه الله : « إن قلت : كيف جاز أن يوليه الله مدداً من الطغيان ... الخ ؟ قال أحد رحمه الله : ما يمنعه أن يقره على ظاهره ويقيه في نصابه إلا أنه توحيد محض وحق صرف ، والقدورية من التوحيد على مراحل »  
 (٢) قال محمود رحمه الله : « فان قلت : ما النكتة في إضافة الطغيان إليهم ... الخ ؟ قال أحد رحمه الله : كل فعل صدر من العبد اختياراً فله اعتباران : إن نظرت إلى وجوده وحدوثه وما هو عليه من وجوده التخصيص ، فأنسب ذلك إلى قدرة الله وحده وإرادته لا شريك له . وإن نظرت إلى تميزه عن القسر الضروري فأنسب في هذه الجهة إلى العبد ، وهي النسبة المعبر عنها شرعاً بالكسب في أمثال قوله تعالى : ( بما كسبت أيديكم ) ، وهي المتحققة أيضاً إذا عرضت على ذهنك الحركتين الضرورية العنسية مثلاً والاختيارية ، فانك تميز بينهما لا بحالة بتلك النسبة . فإذا تقرر تعدد الاعتبار قدم في الطغيان مخلوق لله تعالى فأضافه إليه . ومن حيث كونه واقعاً منهم على وجه الاختيار المعبر عنه بالكسب أضافه إليهم . ففرع على أصول السنة بحسن ثمار فروعك في الجنة ، لا كما تفرع القدورية فانهم يحبون ولكن على أنفسهم . ألهمنا الله التحقيق وأيدنا بالتوفيق . »

الله ما أشركنا ، ونفياً لوهم من عسى يتوهم <sup>(١)</sup> عند إسناد المذ إلى ذاته لو لم يصف الطغيان الهم ليميط الشبه ويقلعه ويدفع في صدر من يلحد في صفاته . ومصدق ذلك أنه حين أسند المذ إلى الشياطين ، أطلق النفي ولم يقيده بالإضافة في قوله : ( وإخوانهم يمدّونهم في النفي ) . والعمة : مثل العمى ، إلا أن العمى عام في البصر والرأى ، والعمة في الرأى خاصة ، وهو التحير والتردد ، لا يدرى أين يتوجه . ومنه قوله : بالجاهلين العمه ، أى الذين لا رأى لهم ولا دراية بالطرق . وسلك أرضاً عمها : لا منار بها <sup>(٢)</sup>

ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى : اختيارها عليه واستبدالها به ، على سبيل الاستعارة ، لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر . <sup>(٣)</sup> ومنه :

أَحَذْتُ بِالْجُمَةِ رَأْسًا أَزْعَرَا      وَبِالثَّنَائِيَا الْوَارِخَاتِ الدَّرْدَرَا  
وَبِالطَّلْوِيلِ الْعُمَرِ عُمرًا حَوْدَرَا      كَمَا اشْتَرَى الْمُسْلِمُ إِذْ تَنَصَّرَا <sup>(٤)</sup>

وعن وهب : قال الله عز وجل فيما يعيب به بنى إسرائيل : « تفقهون لغير الدين ، وتعلمون لغير العمل ، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة » . فان قلت : كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى ؟ قلت : جعلوا لتكسبهم منه وإعراضه لهم <sup>(٥)</sup> كأنه في أيديهم ، فإذا تركوه إلى

(١) قوله « ونفياً لوهم من عسى ... الخ » يريد الرد على أهل السنة القائلين : إن الله تعالى هو الفاعل في الحقيقة للخير والشر . وينتصر للعتزة القائلين بأنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريده (ع)

(٢) قوله « وسلك أرضاً عمها » أى ومنه قولهم - لك ... الخ (ع)

(٣) قال محمود رحمه الله : « الشراء يستدعي بذل العوض ... الخ » . قال أحد رحمه الله : ومن هذا القبيل منع مالك رضى الله عنه أن يشتري إحدى أوزتين مذبحتين يختارها المشتري منهما ، لأنه يعد مختاراً لكل واحدة منهما ، ثم بائناً لها بالأخرى فيدخله الربا ، وهو الذى يعبر عنه متأخراً أحما به بأن من ملك أن يملك هل يعد مالكا أولاً ؟ وربما قالوا : من خير بين شيئين عد منتقلاً على أحد القولين .

(٤) دجلة : كثيرة الشعر ، والباء للبدل ، وزعر ، كتب فهو أزعر ، أى قليل الشعر . ويقال للوضع الذى لآليات فيه . والثنايا : مقدم الأسنان . والمراد الثغر كله . والدردر - بالفتح - منارز الأسنان . والحيدر : القصير . واشترى : استبدل . والمراد أنه أخذ امرأة عوزاً فيبحة بدل امرأة شابة جميلة ، وروى أن حبة بن الأهم قدم مكة فطاف بالكعبة ، فوطئ رجل إزاره ، فلعنه فشكى إلى عمر رضى الله عنه فحكم بالقصاص من حبة ، فاستمهل إلى القد وهرب ليلاً إلى الروم ، وتنصر بعد الاسلام ، ثم تدم على ما فعل فضرب به المثل .

(٥) قوله « وإعراضه لهم » فى الصحاح : اعترض لك الخير ، إذا أمكنك (ع)

الضلالة فقد عطّوه واستبدلوا به ، ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة

(والضلالة) الجور عن النصد وفقد الاهتداء . يقال . ضلّ منزله ، وضلّ دريص نفقه<sup>(١)</sup> فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين . والريح : الفضل على رأس المال ، ولذلك سمي : الشف ، من قولك : أشف بعض ولده على بعض ، إذا فضله . ولهذا على هذا شف . والتجارة : صناعة التاجر ، وهو الذي يبيع ويشترى للربح . وناقّة تاجرة : كأنها من حسنها وسمها تتبع نفسها . وقرأ ابن أبي عبلة (تجاراتهم) . فإن قلت : كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها ؟ قلت : هو من الإسناد المجازي . وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له ، كما تلبست التجارة بالمشتريين . فإن قلت : هل يصح : ربح عبدك وخسرت جاريته ، على الإسناد المجازي ؟ قلت : نعم إذا دلت الحال . وكذلك الشرط في صحة : رأيت أسداً ، وأنت تريد المقدم ؛ إن لم تقم حال دالة لم يصح . فإن قلت : هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازاً في معنى الاستبدال ، فما معنى ذكر الربح والتجارة ؟ كأن ثمّ مبايعة على الحقيقة<sup>(٢)</sup> . قلت : هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا ، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ، ثم تقف بأشكال لها وأخوات ، إذا تلاحقن لم تر كلاماً أحسن منه ديباجة وأكثر ماء وروفاً ، وهو المجاز المرشح . وذلك نحو قول العرب في البليد : كأن أذني قلبه خطلاً ، وإن جعلوه كالخمار ، ثم رشخوا ذلك روما لتحقيق البلادة ، فادعوا لقلبه أذنين ، وادعوا لها الخطل<sup>(٣)</sup> ، ليمثلوا البلادة تمثيلاً يلحقها ببلادة الخمار مشاهدة معيّنة . ونحوه :

(١) قوله « وضل دريص نفقه » في الصحاح : الدرص ولد الفأرة والبريوع وأشباه ذلك . وفي المثل « ضل دريص نفقه » أي جحره . (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت : هب أن شراء الضلالة بالهدى ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : وهذا النوع قريب من التمجيد الذي يمثله أهل صناعة البديع بقول الخفاء :

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

لما شبهته في الاهتداء به بالعلم المرتفع ، أتبع ذلك ما يناسبه ويحققه ، فلم تقنع بظهور الارتفاع حتى أضافت إلى ذلك ظهوراً آخر باشتعال النار في رأسه .

(٣) قوله « وادعوا لها الخطل » أي الاسترخاء . (ع)

وَمَا رَأَيْتُ النَّفْسَ عَزَّ ابْنٌ دَائِيَةً وَعَشَّشَ فِي وَكْرِيهِ بِجَاشٍ لَهُ صَدْرِي<sup>(١)</sup>  
لما شبه الشيب بالنسر، والشعر الفاحم بالغراب، أتبعه ذكر التعشيش والوكر. ونحوه قول  
بعض فتاكهم في أمه :

فَمَا أُمُّ الرَّدِينِ وَإِنْ أَدَلَّتْ بِعَالِمَةٍ بِأَخْلَاقِ الْكِرَامِ  
إِذَا الشَّيْطَانُ قَصَعَ فِي قَفَاهَا تَنْفَقْنَاهُ بِالْجُبْلِ الثَّوَامِ<sup>(٢)</sup>

أى إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالجبل المثني المحكم . يريد : إذا حردت<sup>(٣)</sup>  
وأسمات الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها . استعار التقصيع أولا ، ثم ضم  
إليه التنفق ، ثم الجبل الثوام . فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه  
وما يكمل ويتم بانضمامه إليه ، تمثيلا لخسارهم وتصويراً لحقيقته . فإن قلت : فما معنى قوله  
(فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) . قلت : معناه أن الذى يطلبه التجار في متصرفاتهم

(١) شبه الشيب بالنسر بجامع البياض ، واستعاره له تعريحا . وشبه الشباب بالغراب - وهو ابن داية - بجامع  
السواد كذلك . وعزه بعزه عزاً ، كنهه نصرأ : إذا غلبه وقهره . والتعشيش في الوكرين ترشيح للاستعارتين ،  
والمراد بهما الرأس واللحية . ويحتمل أن التركيب كله استعارة تمثيلية . يقول : لما رأيت الشيب غلب الشباب وحل  
محله ، تحرك لأجله قلبي واضطرب ، فالصدر مجاز . ويرى : جاشت له نفس .

(٢) دلت المرأة وأدلت : حسن تمنعها مع رضاها . ودلت وأدلت أيضاً : تمنجت وتشكلت . والاسم : الدل ،  
والدالة ، والدلال . وقيل : هو قريب من معنى الهدى . ومنه : كانوا ينظرون إلى هدى عمر وذه فيتشبهون به . ونق عليها  
بأخلاق الكرام : كناية عن إسائها الخلق . ويرى : بقائمه بأخلاق الكرام ، أى بمكرمة ولا مغبةية بها ، أو ليست فاعلة  
لها والمال واحد . وقصع اليربوع : اتخذ الفاصم أو دخل فيها ، وهى جحره الذى يدخل فيه . وتنفق : اتخذ  
النافق . أو خرج منها ، وهى الطرف الثانى من الجحر الذى يخرج منه . وتنفقه الصائد : استخرجه منها ، فلجحره  
بأن إذا أنه الصائد من الأول خرج من الثانى فاستعار التقصيع الهدى هو فعل اليربوع لدخول الشيطان في قفاها ،  
واستعار التنفق لإخراجه منه على طريق التصريحية والثانية ترشيح للأولى وبالعكس . والجبل : جمع حبال جمع جبل  
ككتب جمع كتاب . والثوام : التى من الجبل ، وجمعه : ثوام ، وتوام كغراب . أى بالجبل المنشأ المفتولة ،  
وهى على رواية الجبل بالافراد ، فيخرج على أن الثوام ليس جمعا بل اسم جمع يعامل معاملة المفرد ، أى بالجبل القوى  
لأنه مجموع حبال مفتولة ، وهذا ترشيح للتنفق وترشيح الترشيح ترشيح ، فيكون ترشيحا للتقصيع أيضاً ، والحبال  
من ملائمت التنفق في نحو الاصطيد . ويجوز أن يشبه الشيطان باليربوع ، فإذا أردنا اصطيداه من جهة هرب من  
جهة أخرى حتى اصطاده بأقوى حيلة ، فتكون مكينة والتقصيع والتنفق بالجبل تمثيل . وجعل ذلك كله في قفاها  
لأن الحق ينسب إليه عادة ، أو لأن الشيطان بأنها من حيث لا تشعر ، كأنه من خلفها . ثم إن هذا الكلام كناية  
أر تمثيل للراد ، وهو أنها إذا أسمات الخلق ترضيهاا بالتحيل والترفق .

(٣) قوله « يريد إذا حردت » في الصحاح : الحرد - بالتحريك - الغضب (ع)



شيئان : سلامة رأس المسال ، والريح . وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معاً ، لأن رأس ما لهم كان هو الهدى ، فلم يبق لهم مع الضلالة . وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة ، لم يوصفوا بإصابة الريح . وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية ؛ لأن الضال خاسر دامر ، ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله : قد ربح ، وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر .

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْرِجُونَ ﴿١٨﴾

لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتعميق البيان . واضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر - شأن ليس بالخطي في إبراز خيالات المعاني ، ورفع الاستار عن الحقائق ، حتى تريك التخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد . وفيه تبكيك للخصم الألد ، وقبح لسورة الجاح الأبى ، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله ، وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء . قال الله تعالى : (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) ومن سور الإنجيل سورة الأمثال . والمثل في أصل كلامهم : بمعنى المثل ، وهو النظير . يقال : مثل ومثل زمثيل ، كشبه وشبه وشبيه . ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده : مثل . ولم يضربوا مثلاً ، ولا رأوه أهلاً للتفسير ، ولا جديراً بالتداول والقبول ، إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه . ومن ثم حوِّظ عليه وحى من التغيير . فإن قلت : ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ، وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد ناراً حتى شبه أحد المثلين بصاحبه ؟ قلت : قد استعير المثل استعارة الأسد للقدام ، للحال أو الصفة أو القصة ، إذا كان لها شأن وفيها غرابة ، كأنه قيل : حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً . وكذلك قوله : (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي وفيها قصصنا عليك من العجائب : قصة الجنة العجيبة . ثم أخذ في بيان عجائبها . والله المثل الأعلى : أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة . (مثلهم في التوراة) : أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه . ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا : فلان مثله في الخير والشر ، فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن . فإن قلت : كيف مثلت الجماعة بالواحد ؟ قلت : وضع الذي موضع الذين ، كقوله : (وخضعت كالذي خاضوا) والذي سترغ

وضع الذى موضع الذين ، ولم يحز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران : أحدهما : أن ، الذى ، لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة ، وتكاثر وقوعه فى كلامهم ، ولكونه مستظلا بصلته ، حقيق بالتخفيف ، ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرتة ثم اقتصروا به على اللام وحدها فى أسماء الفاعلين والمفعولين . والثانى : أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون . وإنما ذاك علامة لزيادة الدلالة . ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع ، والواحد فهين واحد . أو قصد جنس المستوقدين . أو أريد الجمع أو الفوج الذى استوقد ناراً . على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد ؛ إنما شبت قصتهم بقصة المستوقد . ونحوه قوله : ( مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ) ، وقوله : ( ينظرون إليك نظر الغشى عليه من الموت ) . ووقود النار : سطوعها وارتفاع لها . ومن أخواته : وقل فى الجبل إذا صعد وعلا ، والنار : جوهر لطيف مضى حاز محرق . والنور : ضوءها وضوء كل نير ، وهو نقيض الظلمة . واشتقاقها من نار ينور إذا نفر ؛ لأن فيها حركة واضطراباً ، والنور مشتق منها . والإضاءة : فرط الإنارة . ومصدق ذلك قوله : ( هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ) ، وهى فى الآية متعددة . ويحتمل أن تكون غير متعددة مستندة إلى ما حوله . والتأنيث للحمل على المعنى ؛ لأن ما حول المستوقد أما كن وأشياء . ويعضده قراءة ابن أبى عبلة ( ضاءت ) . وفيه وجه آخر ، وهو أن يستتر فى الفعل ضمير النار . ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها ، على أن ما مزيدة أو موصولة فى معنى الأمكنة . و ( حوله ) نصب على الظرف وتأليفه للدوران والإطافة . وقيل للعام : حول ؛ لأنه يدور . فإن قلت : أين جواب لما ؟ قلت : فيه وجهان : أحدهما أن جوابه ( ذهب الله بنورهم ) . والثانى : أنه محذوف كما حذف فى قوله : ( فلما ذهبوا به ) . وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه ، وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجيزة ، مع الإعراب عن الصفة التى حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ فى أداء المعنى ، كأنه قيل : فلما أضاءت ما حوله تخمدت فبقوا خابطين فى ظلام ، متحيرين متحسرين على فوت الضوء ، خائبين بعد المكدر فى إحياء النار . فإن قلت : فإذا قدر الجواب محذوفاً فبم يتعلق ( ذهب الله بنورهم ) ؟ قلت : يكون كلاماً مستأنفاً . كأنهم لما شبت حالهم بحال المستوقد الذى طفقت ناره ، اعترض سائل فقال : ما بالهم قد أشبت حال هذا المستوقد ؟ فقل له : ذهب الله بنورهم . أو يكون بدلاً من

جملة التمثيل على سبيل البيان . فإن قلت : قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني ؟ (١) قلت : مرجعه الذي استوقد ؛ لأنه في معنى الجمع . وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في ( حوله ) ، فللحمل على اللفظ تارة ، وعلى المعنى أخرى . فإن قلت : فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله : ( ذهب الله بنورهم ) ؟ قلت : إذا طفت النار بسبب سماوى ريح أو مطر ، فقد أطفأها الله تعالى وذهب بنور المستوقد . ووجه آخر ، وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله . ثم إما أن تكون ناراً مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام ، وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء . ألا ترى إلى قوله : ( كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ) ، وإما ناراً حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصى ، ويتهدوا بها في طرق العبث ، فأطفأها الله وخيب أمانهم . فإن قلت : كيف صح في النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد ؟ قلت : هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره . فإن قلت : هلا قيل ذهب الله بضمومهم ؟ لقوله ( فلما أضاءت ) ؟ قلت : ذكر النور أبلغ ؛ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة . فلو قيل : ذهب الله بضمومهم ، لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً ، والغرض إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلاً . ألا ترى كيف ذكر عقبيه ﴿ وتركم في ظلمات ﴾ والظلمة عبارة عن عدم النور وانطامسه ، وكيف جمعها ، وكيف نكرها ، وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة منهمة لا يتراعى فيها شبحان وهو قوله ﴿ لا يبصرون ﴾ . فإن قلت : فلم وصفت بالإضاءة ؟ قلت : هذا على مذهب قولهم : للباطل صولة ثم يضمحل . ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ، ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح . والفرق بين أذهبه وذهب به ، أن معنى أذهبه : أزاله وجعله ذاهباً . ويقال : ذهب به إذا استصعبه ومضى به معه . وذهب السلطان بماله : أخذه ( فلما ذهبوا به ) ، ( إذا لذهب كل إله بما خلق ) . ومنه : ذهبت به الخيلاء . والمعنى : أخذ الله نورهم وأمسكهم ، ( وما يمسك فلا يرسل له ) فهو أبلغ من الإذهاب . وقرأ اليماني : أذهب الله نورهم . وترك : بمعنى طرح وخلي ، إذا علق بواحد ، كقولهم : تركه ترك ظبي ظله . فإذا علق بشيئين كان مضمناً معنى صير ، فيجرى مجرى أفعال القلوب كقول عنثرة :

(١) قوله « فما مرجعه في الوجه الثاني » لعله السابق . (ع)

﴿ فَتَرَكْتَهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشَنُهُ ﴾ (١)

ومنه قوله : ( وتركهم في ظلمات ) أصله : هم في ظلمات ، ثم دخل ترك فنصب الجزأين . والظلمة عدم النور . وقيل : عرض ينافي النور . واشتقاقها من قولهم : ما ظلك أن تفعل كذا : أى ما منعك وشغلك ، لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية . وقرأ الحسن ( ظلمات ) بسكون اللام وقرأ اليماني ( في ظلمة ) على التوحيد . والمفعول الساقط من ( لا يبصرون ) من قبيل المتروك المطرح الذى لا يلتفت إلى إخطاره بالبال ، لا من قبيل المقدر المنوى ، كأن الفعل غير متعد أصلا ، نحو ( يعمهون ) فى قوله ( ويذرهم في ظلماتهم يعمهون ) . فإن قلت : فيم شبهت حالهم بحال المستوقد ؟ قلت : فى أنهم غب الإضاءة خبطوا فى ظلمة وتوزطوا فى حيرة . فان قلت : وأين الإضاءة فى حال المنافق ؟ وهل هو أبداً إلا حائر خابط فى ظلماء الكفر ؟ قلت : المراد ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجرة على ألسنتهم ، ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التى ترمى بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمذ . ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق . والأوجه أن يراد الطبع ، لقوله : ( صم بكم عى ) . وفى الآية تفسير آخر : وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى ، عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هدام الذى باعوه بالنار المضئة ما حول المستوقد ، والضلالة التى اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم فى الظلمات . وتنكير النار للتعظيم . كانت حواسهم سليمة ولكن لماسدوا عن الإصاحبة إلى الحق مسامعهم ، وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ، وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتقضت بناها التى بنيت عليها للإحساس والإدراك كقوله :

(١) فشككت بالريح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بحرم  
فتركته جزر السباع ينشئه يقضم حسن بانه والمعصم

لعنرة بن شداد العبسى من معلقته . يقول : غرقت بالريح اليايس الصلب ثيابه ، أى قلبه وأحشاه ، فهي كناية عنها . أو شككت ثيابه بمعنى نظمتها بيده بادغال الريح فيها . ويروى : إهابه ، أى جلده . وليس الكريم ... إلى آخره : اعتراض دال على أن عادة الكرام أن يجودوا بكل شئ . حتى بالآرواح للرماح . وفيه نوع تهكم . فتركته : أى صيرته . جزر السباع - بالتحريك - أى نصيبها وطعمتها من اللحم . ونشئه وناشه : تناوله بفمه وكدمه . وقضمه يقضمه ، من باى علم وضرب : عضه بمقدم أسنانه . فقوله « يقضم » بدل . وغير الحسن عن الشئ الحسن مبالغة : أى ياكلن بانه الحسن ومعصمه الحسن . ويروى بدل هذا الشطر : ما بين قلة رأسه والمعصم . وما زائدة ، ودين طرف للنوش . ويجوز أن « ما » موصولة بدل من خبر المفعول . وقلة الرأس : أعلاه ، كقلة الجبل وقته .

صُمْ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ . وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا <sup>(١)</sup>

\*\*\*  
\* أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ مِمِّيعُ \*

أَصَمُّ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لَا أَرِيدُهُ . وَأَمْتَمُّ خَلْقِ اللَّهِ حِينَ أُرِيدُ <sup>(٢)</sup>

فَأَصَمْتُ عَمْرَأً وَأَعْمَيْتُهُ . عَنِ الْجُودِ وَالْفَخْرِ يَوْمَ الْفَخَارِ <sup>(٣)</sup>

فإن قلت : كيف طريقته عند علماء البيان ؟ قلت : طريقة قولهم . هم ليوث . للشجعان ، وبحور للأستحياء . إلا أن هذا في الصفات ، وذلك في الأسماء ، وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال جميعاً . تقول : رأيت ليوثاً ، ولقيت صما عن الخير ، ودجا الإسلام . وأضاء الحق . فإن قلت : هل يسمى ما في الآية استعارة ؟ قلت : مختلف فيه . والمحققون على

(١) . إن يسمعوا رية طاروا بها فرحاً      منى وما سمعوا من صالح دفنوا  
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به      وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا  
جهلاً على وجبتا من عدومهم      لبست الخلتان الجهل والجهن

لقنن بن أم صاحب بن ضمرة . وخمرة أبوه . وأم صاحب : كنية أمه . يقول : إن يسمعوا . وروى : يأذنوا ، كيسمعوا وزناً ومعنى ، من جهق كلبة يهتان وزور أذاعوما ، فكأنهم يطهرون بها بين الناس من فرحهم بما نقل عنى . فاططيران استعارة مصرحة لذلك . قال ابن مالك تبعاً للفراء : ويجوز إجابة المضارع بالماضي وإن منعه الجمهور في الاختيار . وأى شئ سمعوه من قول صالح كنتموه ، فالدفن استعارة تصريحية أيضاً . وهم صم : أى كالصم ، فهو تشبيه بليغ واستعارة على الخلاف . وإن ذكرت عندهم بسوء أذنوا وأنصتوا . ويروى وسية بالعزم : ما يسب به . وقد يروى : سياة ، بتحتية ساكنة فمهمزة . ويروى : وما يسمعوا . ويروى : سموا ، على لفظ الماضى ، بدل صم . ويروى بسوء كلهم أذن : أى فكلهم أذن ؛ فهو على تقدير الفاء ، لأنه جواب الشرط . ويحتمل أنه على التقديم والتأخير : أى كلهم أذن إن ذكرت بسوء وهو أنسب بما قبله . وجعلهم نفس الأذن مبالغة . ويجوز أن الأذن وصف يقع على الواحد والمتعدد ، وذلك لجعلهم وبأسهم على ، وجنبتهم وضعفهم عن عدومهم . وقيل : هو على تقدير جمعوا جهلاً . والخلتان الخصلتان . والجهن بضمين لفة فيه . وفيه إطباب بالتوسيع ، لأنه أتى بمثنى وفسره باسمين ثانيهما معطوف على الأول وهو حسن .

(٢) صم صمما ، كنعب نعباً . فأصم . بفتح الصاد . فعل مضارع . ولو جعلته اسماً على الخبرية لضمير محذوف لكأن مناسبة لأسمع المطفوف عليه . والمعنى أن حالى تكون كحال الأصم ؛ فهو مجاز عن ذلك . وأسمع : أى أفعّل بمقتضى السماع ، فهو مجاز أيضاً . ويجوز أنه كناية . يقول : لا أستمع لما أكره . وأسمع كلام خلق الله حين أريده ، بأن يكون محبوباً إلى ، أو حين أريد السماع .

(٣) يقول : لما أظهرت مفاخرى ومكارى ، أصممت عمرا : أى صيرته كالأصم . وأعميته : أى صيرته كالأعمى فالصم والأعمى : استعارتان مصرحتان . والمراد ألجته وأسكنته عن الكلام في الفخر والجلود حين مفاخرنى إياه . وقيل أصمته وأعميته : وجدهته أصم وجدهته أعمى : أى كأنه كذلك على ما مر .

تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة ؛ لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون . والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ، ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه ، لولا دلالة الحال أو خوى الكلام ، كقول زهير :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السَّلَاحِ مُقَدِّفٌ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ <sup>(١)</sup>  
ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن تومهم صفحاً قال أبو تمام :

وَيُصْعِدُ حَتَّى يَظُنُّ الْجَهْلُ الْبُظُنَّ أَنْ لَهُ حَاجَةٌ فِي السَّمَاءِ <sup>(٢)</sup>  
وبعضهم :

لَا تَحْسَبُوا أَنَّ فِي سِرِّبَالِهِ رَجُلًا فَفِيهِ غَيْثٌ وَلَوْثٌ مُسْبِلٌ مُشْبِلٌ <sup>(٣)</sup>

(١) فشد فلم يفرغ بيوتا كثيرة لدى حيث ألفت رحلها أم تشتم لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبدا أظفاره لم تقلم  
لزهير بن أبي سلمى من معلقته يمدح حصين بن ضحضم بأنه شد على عدوه بحسن تدبير فلم يفرغ بيوتا كثيرة . أو الملقى شد عليه وحده ، فلم يفرغ بيوتا ، أى أهل بيوت تساعد . و « حيث » بدل من « لدى » ، ويحتمل أن لدى المكان مهم مضاف لحيث المعنى بإضافته للجملة . وأم تشتم : اسم للنية . شبهها بالماضي على طريق المكنية . والرحل تخيل و « لدى » الثانى بدل من الأول . وجرى من الممدوح لكأله في الشجاعة شخصا آخر ، فاستعار له الأسد استعارة تعريجية . وشاكي : أى نام السلاح تجريد ؛ لأنه يلائم المشبه . قال الفراء : هو مقلوب شاكي : أى ذى شوكة وحدة . ومقذف : أى ضخم ، كأنه قذف باللحم ورمى به . له لبدا : أى شعور متلبدة على منكبيه . أظفاره لم تقلم : كل هذا ترشيح لأنه يلائم المشبه به . وفي قوله أظفاره لم تقلم : نوع من الاطناب يسمى الاطنال ختم به البيت للبالغة في التشبيه ، كقول الحنساء في أخيها صخر : كأنه علم في رأسه نار .

(٢) لا ينى تمام يمدح خالد بن يزيد الشيباني ويدكر أباه . فضمير « يصعد » ، يزيد . واستعار الصدود من اللؤلؤ الحسى للعلو المعنوى على طريق التعريض ، ثم بنى عليه ما يبنى على العلو في المكان ترشيحاً وتتميماً للبالغة في التشبيه ، لأن ذلك الظن لا يبنى إلا على رؤيته صاعداً حقيقة . والظن - كالم - يعهدى بنفسه تارة وبالطرف أخرى . وخص الجهول ليفيد أن ذلك الظن خطأ ، ويشبه أن يكون تجريداً للاستعارة ، لكن أخفاء ظهور الترشيح . وأفاد السعد أن ذكر الجهول احتراز من توم احتياج الممدوح والمقام ، لدعوى أنه في غاية الكمال . واشتهرت روايته لظن بالماضى ، وهو على تقدير القسم وقد : أى واقع لقد ظن الجهول ذلك .

(٣) الزمخشري . شبه الممدوح بالغيب في كثرة الخير والكرم ، وبالبيت في كثرة الشجاعة ، واستعارها له على طريق الاستعارة التعريجية ، وبنى على ذلك نهى الناس عن أن يظنوا أن في توبه رجلاً ، للدلالة على تمام التشبيه وادعاء الاتحاد . والمسبل : كثير الانسياب ، فهو راجع للغيب . والمقبل الذى كثرت أشباله : أى أولاده من الأسود ، فهو راجع لليت ، ففيه لفد ونشر ، وفيه شبه التضاد حيث جمع بين ما يخشى وما يرجى . وفيه الجناس اللاحق بين غيث وليث ، وبين مسبل ومشبل .

وليس لقائل أن يقول : طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فأتسلق بذلك إلى تسميته استعارة لأنه في حكم المنطوق به ، نظيره قول من يخاطب الحجاج :

أَسَدٌ عَلَىٰ وَفَى الْحُرُوبِ نِعَامَةٌ . فَتَخَاهُ تَنْفَرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ (١)

ومعنى ( لا يرجعون ) أنهم لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه ، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها ، تسجيلا عليهم بالطبع . أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ، ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون ؟ وكيف يرجعون إلى حيث ابتدءوا منه ؟

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْصِعُهُمْ فِي ءِذَاهِمْ  
مِّنَ الصَّوْغِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَسْكَدُ الْبَرْقُ  
يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ  
اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفالحالهم بعد كشف ، وإيضاحا غب  
إيضاح . وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يحمل ويوجز ؛ فكذلك الواجب  
عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع . أنشد الجاحظ :

(١) أسد على وفي الحروب نعمة      فتخاه تنفر من صفير الصافر  
هلا كررت على غزاة في الوغي      بل كان قلبك في جناحي طائر

لعمران بن حطان قاتل الحجاج . روى أن شبيب الخارجي وأمه جبهة وأمرأته غزاة ، كانوا في غاية الفراسة فدخلوا  
الكوفة في ألف وثلاثين فارسا ، وفيها حشد الحجاج ومعه ثلاثون ألف مقاتل فحاربوه سنة كاملة حتى هرب منهم  
فغيره عمران بذلك : أي أنت كالأسد ، ولا يصح استعارة عند الجمهور لنية ذكر المشبه . وجوزها التفتازاني على أن  
المذكور فرد من أفرادها لاعتبه . وه على ، متعلق بأسد ، لما فيه من معنى الشجاعة والقوة ، و « في الحروب » متعلق  
بنعمة ، لما فيه من معنى الجبن والضعف . وهذا ظاهر على مذهب العلامة ، لأن الأسد مستعار لمطلق شجاع ،  
والنعامة لمطلق جبان . وأما على مذهب الجمهور فهما جامدان لبقائهما على حقيقةهما ، إلا أن يقال : لما وقع في  
مقام التشبيه لوحظ بهما الوصف الذي بنيت عليه المشابة . ويجوز تعلقهما بمعنى التشبيه ، أو بمحذوف حال من المبتدأ  
المحذوف على رأى سيويه . والفنخ - بالتحريك - لين وانفراج في الأصابع والأضحية . والفتخاء : وصف منه .  
وتنفر : صفة نعمة ، أي تنزع وتهلع خوفا من أدنى صوت تسمعه . وصفها بغاية الضعف ليدل على أن المشبه كذلك  
نم وبخه بقوله : هلا كررت على تلك المرأة في الحرب . لم تفعل ذلك بل كان قلبك يخفق ويضطرب ، كأنه في جناحي  
طائر ، وهو من التشبيه البليغ . ويروى : هلا برزت إلى غزاة .

يُوحُونَ بِالْخَطَبِ الطَّوَالِ وَتَارَةً وَحَى الْمَلَا حِظْ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ (١)

ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله : ( وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات ) وألا ترى إلى ذى الرمة كيف صنع في قصيدته ؟ :

أَذَاكَ أَمْ تَمْشُ بِالْوُشَى أَكْرَعُهُ

... ..

أَذَاكَ أَمْ خَاضِبٌ بِالسَّى مَرَّتُهُ

(٢) ... ..

فإن قلت : قد شبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد نارا ، وإظهاره الإيمان بالإضاءة ، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار ، فما ذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق والصواعق ؟ قلت : لقائل أن يقول : شبه دين الإسلام بالصيب ، لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر . وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات . وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق . وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق . والمعنى : أو كمثل ذوى صيب . والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا . فإن قلت : هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات ؟ وهلا صرح به كما

(١) أنشده الجاحظ . ودوى « ديمون » ، استعار الرى لخراج الكلام من الفم بكثرة على طريق التصريح . ويقال : وحى له ، وإليه وحيا ، وأوحى له وإليه إيماء : إذا أتى إليه الكلام ، أو أشار له به ، وألمحه إياه . فالوحى مصدر وحى أو اسم مصدر أوحى ، والملاحظ : الإشارة بطرف العين يمنة أو يسرة . والملاحظ وصف بحسب الأصل ، وهو اسم لطرف العين . ولذلك جمع على لواحظ ، ونسب الوحى إليها لأنها آلة . ويجوز أنه جمع لاحظة عنق للنسائي أى يتكلمون بالخطب الطوال تارة عند الأمن ، ويوحون وحيا باللواحظ تارة أخرى ، لحرفهم من الرقبا ، فلذلك مقام عندهم مقال .

(٢) أذاك أم تمش بالوشى أكرعه مسفع الخند عاد ناسط شيب

أذاك أم خاضب بالسى مرتعه أبو ثلائن أمسى وهو منقلب

لذى الرمة يصف ناقته شهيا أولا بجوار الوحش ، ثم قال : أذاك الخمار تشبهه ناقي أم تش . والتمش بالتحريك : تفرق اللون . وكحذر : متفرق اللون . والوشى : لون يخالف لون بقية الشيء . والأكرع : جمع كراع وهو الساق والمسفع : الأسود - من السفعة - وهى السواد . والناشط : الخارج من أرض لاخرى . والشيب - كحذر أيضا - الممن من بقر الوحش . ثم قال أذاك الثور يشبهها ، أم خاضب ؟ وهو الظليم الذى احمرت ساقه ، أو اصفرنا من أكل الربيع . والسى : المستوى من الأرض ، واسم موضع بعينه . والمرتع : مصدر أو اسم مكان مطروف فى أوسع منه . ومنقلب : راجع من المرعى إلى أفراخه الثلاثين . فيكون أسرع ما يكون ، فهى كذلك سريعة السير . وأكرعه فاعل بالظرف أو فاعل تمش . ومرته : فاعله بالظرف ، أو مبتدأ والظرف خبر له .



في قوله : ( وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ) ، وفي قول امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا      لَدَى وَكْرِهَا لُغْنَابٌ وَالْحَشَفُ الْبَالِي ؟ <sup>(١)</sup>

قلت : كما جاء ذلك صريحاً فقد جاء مطوياً ذكره على سنن الاستعارة ، كقوله تعالى : ( وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ) ، ( ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ) . والصحيح الذى عليه علماء البيان لا يتخطونه : أَنَّ التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة ، لا يتكف الواحد واحد شيء . يقدر شبهه به ، وهو القول الفحل والمذهب الجزل ، بيانه : أَنَّ العرب تأخذ أشياء فرادى ، معزولا بعضها من بعض ، لم يأخذ هذا بحجرة ذاك فتشبهها بنظرها ، كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن ، وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا ، بأخرى مثلها كقوله تعالى : ( مثل الذين حملوا التوراة ) الآية . الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة ، بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة ، وتساوى الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار ، لا يشعر من ذلك إلا بما يميز بدفيه من الكد والتعب . وكقوله : ( واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ) المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر . فأما أن يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا ، فلا . فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلاتهم وما خبطوا فيه من الخيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طغى ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل ، وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق . فإن قلت : الذى كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك ، أو كمثل ذوى صيب ، هل تقدر مثله في المركب منه ؟ قلت : لولا طلب

(١) لامرئ القيس يصف العقاب وهو تأكل صغار الطير إلا قلوبها ، فلذلك كثرت عندها ، ويصف نفسه بالشجاعة ، حيث وصل الى رؤية ذلك فقال : كأن قلوب الطير حال كونها رطبا بعضها ويابسا بعضها ، حال كونها عند وكز العقاب - أى عثبا - : الغناب ، وهو ثمر أحمر رطب ، فهو راجع للبعض الرطب . والحشف : الجاف الرديء من الثمر البالى المالك ، فهو راجع للبعض اليابس ، ففيه لف ونشر مرتب ، وفيه طباق التعاد بين الرطب واليابس . ويجوز أن رطبا ويابسا نصب على البدل من قلوب الطير ، أى كأن الرطب واليابس منها : الغناب والحشف . وبدل البعض لا يجب فيه ضمير يرجع للبدل منه ، وإن كانت الأولى ذلك .

الراجع في قوله تعالى : ( يجعلون أصابعهم في آذانهم ) ما يرجع إليه لكانت مستغنيا عن تقديره ؛ لأنى أراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا على أو لى حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله . ألا ترى إلى قوله : ( إنما مثل الحياة الدنيا ) الآية ، كيف ولى الماء الكاف ، وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره . وما هو بين في هذا قول لبيد :

وما الناسُ إلا كالذيَّارِ وأهلها      بها يومَ حلَّوها وغدواً بلاقِعُ <sup>(١)</sup>

لم يشبه الناس بالديار ، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم ، بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها ، وتركها خلاء خاوية . فإن قلت : أى التمثيلين أبلغ ؟ قلت : الثانى ، لأنه أدل على فرط الحيرة وشدّة الأمر وفضاعته ، ولذلك أخر ، وهم يتدرجون فى نحو هذا من الآهون إلى الأغاظ . فإن قلت : لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك ؟ قلت : أو فى أصلها لتساوى شيئين فصاعداً فى الشك ، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوى فى غير الشك ، وذلك قولك : جالس الحسن أو ابن سيرين ، تريد أنهما سيان فى استصواب أن يجالسا ، ومنه قوله تعالى : ( ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً ) ، أى الآثم والكفور متساويان فى وجوب عصيانهما ، فكذلك قوله ( أو كصيب ) معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتى هاتين القصتين ، وأن القصتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل ، فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب ، وإن مثلتها بهما جميعاً فكذلك . والصيب : المطر الذى يصوب ، أى ينزل ويقع . ويقال للسحاب : صيب أيضاً . قال الشماخ :

\* وَأَسْجَمَ دَانَ صَادِقِ الرَّعْدِ صَيْبٌ \* <sup>(٢)</sup>

(١) لم يرد تشبيه الناس بالديار ذاتها ، وإنما أراد تشبيه حالهم مع الدنيا بحال الديار مع أهلها . وقوله : وأهلها بها ، جملة حالية . و د يوم حلَّوها ، نصب بإعمال المجرور قبله المحذوف . و د غدوا بلاقِع ، أى وهى فى غد بلاقِع ، جمع بلقع : أى قفر خالى . والشائع استعمال د الغد ، كاليد ، فظهرت واره هنا على الأصل ، وعبر بالهند ومراده به الزمن القريب ، كما يقال أفعله بكرة . والمراد بعد أيام قليلة ، فالجامع سرعة الفناء والزوال بعد الهجة والنضرة . ولك جملة من تشبيه المفرد بالمفرد بجماع أن الناس تكون فيها الأرواح ، فهى زاهية باهية ، ثم تنزع منها فتصير خالية خاوية كالدائر تكون عامرة بأهلها فتصبح خراباً . وهذا على رفع أهلها . وأما على جره عطفاً على الديار فتعين الأول ، ويكون د بها ، متعلق بمحذوف حال من أهلها . والباء بمعنى د فى ، على التقديرين .

(٢) أرسماً جديداً من سعاد تجذب      عفت روضة الأجداد منه فينقب

عنا آية نسج الجنوب مع الصبا      وأسجم دان صادق الوعد صيب

للشماخ . وقيل للناهمة الدياننى وقيل للهم بن خوار . يقال : جنبه ، باعده أو أصاب جانبه . وعنى المنزل :

وتتكير صيب لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل . كما نكرت النار في التمثيل الأول .  
 وقرئ : كصائب ، والصيب أبلغ . والسياء : هذه المظلة . وعن الحسن : أنها موج مكفوف .  
 فان قلت : قوله ( من السماء ) ما الفائدة في ذكره ؟ والصيب لا يكون إلا من السماء . قلت :  
 الفائدة فيه أنه جاء بالسياء معرفة فتفي أن يتصوّب من سماء ، أى من أفق واحد من بين سائر  
 الآفاق ، لأن كل أفق من آفاقها سماء ، كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله : ( وأوحى في  
 كل سماء أمرها ) . الدليل عليه قوله :

﴿ وَمِنْ بَعْدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وَسَّمَاءٍ ﴾ (١)

والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء ، كما جاء بصيب . وفيه مبالغات من جهة التركيب  
 والبناء والتشكير . أمد ذلك بأن جعله مطبقا . وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ  
 ماءه ، لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر . ويؤيده قوله تعالى : ( وينزل من السماء من

== دوس وهلك ، وعفته الريح : أهلكته ودرسته . والجدد - بالضم - البئر التي في موضع كثير السكّاء . والجدد :  
 الأرض الصلبة ، ضد الجبار . والأجداد جمع للأول أو للثاني . والجدد : الطرائق المنعطفة من الرمل . ويجوز  
 أن الأجداد جمعه أيضاً ، لكن على روايته « روضة » بالنصب والاضافة للضمير . والأجداد بالرفع . والنقب  
 - كالشعب - : الطريق المظمن في الجبل . ونقب المكان ينقب : صار ذا نقب . وكذلك يشعب صار ذا شعب .  
 هذا والمتبادر أنه بالعين بدل القاف ، أى يقفر ، من النقبة وهى الانفاز . والآى واحدة آية ، بمعنى العلامات والآثار .  
 وشبه اختلاف الرياح على وجوه منضبطة بالنسج على طريق التصرّحية . والاسم : الأسود ، وهو صفة السحاب .  
 والدانى : القريب . وروى « داج » ، والداجى المظلم . والصيب : كثير الأمطار . والاستفهام تعجب . يقول :  
 أتعجب من ميعادتنا الرسم الجديد من دار - عا ؟ أو أتعجب من مرورنا بجانب رسم سعاد الجديد الذى هلك  
 آثاره فصار طرقات متسمة ؟ والذى عا أثره هو اختلاف الرياح وتتابع الأمطار . فعفا استئناف يأتى . وشبه السحاب  
 برجل صدق وعده على طريق المكنية . والصدق والوعد تخيل . وروى الرعد بالراء ، شبه رعه بالخبر الصادق .  
 وصيب : فيعل من صاب يصوب ، إذا نزل مائلا إلى جهة ، كسيد من ساد يسود .

(١) فأوه لذكرها إذا ما ذكرتها ومن بعد أرض بيننا وسماء

د أوه ، بالتشديد مع فتح الواو وكسرهما مبنى على السكون . وروى بضم الهمة وسكون الواو . وفيه  
 لغة نائفة بأبدال الواو ألف مد مبنى فهما على الكسر : اسم فعل للتوَجّع . وما زائدة بعد إذا للدلالة على تعميم  
 الأوقات . يقول : أتوجّع من تذكر المحبوبة كلما تذكرتها ، ومن بعد ما بيننا من قطعة أرض وقطعة سماء تقابل تلك  
 القطعة فأطلق الأرض والسماء على بعض كل منهما ، وذكرهما لافادة ذلك ، لكن المقرر عندهم أن التوَنين إنما يفيد  
 التبعيض في الأفراد لا في الأجزاء ، فلا يتم ما تقدم إلا بعد ادعاء أن السماء تطلق على بعض تلك المظلة ، والأرض  
 على بعض هذه المظلة ! ليكون البعض فرداً من الأفراد لا جزءاً من الأجزاء . وذكر السماء دلالة على تنامي البعد  
 في الأرض ، لأنه يظهر فيها قبل ظهوره في السماء . ويجوز أن المراد تشبيه البعد بينهما بالبعد بين السماء والأرض .  
 وعليه فالتوَنين للتوَنيل والتعظيم .

جبال فيها من برد ) . فان قلت : هم ارتفع ظلمات ؟ قلت : بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف . والرعد : الصوت الذى يسمع من السحاب ، كأن أجرام السحاب تضطرب وتنفض إذا حدثها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد . والبرق الذى يلمع من السحاب ، من برق الشيء برقا إذا لمع . فان قلت : قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من أن يراد به السحاب أو المطر ، فأيهما أريد فما ظلماته ؟ قلت : أما ظلمات السحاب فإذا كان أسحما مطبقا فظلمت سحبه وتطيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل . وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر ، وظلمة إظلال غمامه مع ظلمة الليل . فان قلت : كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وإنما مكانهما السحاب ؟ قلت : إذا كانا في أعلاه ومصبه وملتبسين فى الجملة فهما فيه . ألا تراك تقول : فلان فى البلد ، وما هو منه الا فى حين يشغله جرمه . فان قلت : هلا جمع الرعد والبرق أخذا بالأبلغ كقول البحرى :

يَا عَارِضًا مُتَلَفَعًا يَبْرُودُهُ يَخْتَالُ بَيْنَ بَرْوَقِهِ وَرُعُودِهِ (١)

وكما قيل ظلمات ؟ قلت : فيه وجهان : أحدهما أن يراد العينان ، ولكنهما لما كانا مصدرين فى الأصل - يقال : رعدت السماء رعداً وبرقت برقا - ، روى حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وإن أريد معنى الجمع . والثانى : أن يراد الحدثنان كأنه قيل : وإرعاد وإبراق . وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات ، لأن المراد أنواع منها ، كأنه قيل : فيه ظلمات داجية ، ورعد قاصف ، وبرق خاطف . وجاز رجوع الضمير فى يجعلون إلى أصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب ، كما قال : ( أوهم قائلون ) . لأن المحذوف باق معناه وإن سقط لفظه . ألا ترى إلى حسان كيف عول على بقاء معناه فى قوله :

(١) ياعارضا متلفعا يبروده يختال بين بروقه ورعوده  
إن شئت عدت لأرض نجد عودة خللت بين عقيقه وزروده  
لنجد فى ريع بمنرج اللوى قفر تبدل وحشة من غيده

للبحرى يخاطب السحاب لأنه شبهه لتكاثفه وتراكمه بانسان متلفع بقباه . وإثبات التلغع بالبرود والاختيال تمثيل وبنى على ذلك إثبات المشقة له وجمع البرق والرعد مع أنهما مصدران للدلالة على الكثرة والتعدد المرات . والعقيق والزرد موضعان بينهما . والمنرج - على زنة اسم المفعول - المكان الذى ينعطف فيه السائر بمنة ويسرة . واللوى الرمل المتلوى . والأغيد : الناعم الجليل ، مؤنثه غيداء ، والغيد - كالبيض - جمعه . والجود : الامطار . يلتبس من السحاب المعترض فى الأفق أن يطر فى ريع الأحبة بالمكان المنعطف ، ثم وصف الريع بأنها قفر لانبات فيه ، وصار فيه وحشة بالوحوش بدل الانس بالأحبة .

يُسْقَوْنَ مِنْ وِرْدِ الْبَرِّصِ عَلَيْهِمْ بَرْدِي يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ (١)  
 حيث ذكر يصفق : لأن المعنى : ماء بردى ، ولا محل لقوله ( يجعلون ) لكونه مستأنفا ،  
 لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول ، فكأن قائلا قال : فكيف حالهم مع  
 مثل ذلك الرعد ؟ فقيل : ( يجعلون أصابعهم في آذانهم ) ثم قال : فكيف حالهم مع مثل ذلك  
 البرق ؟ فقيل : يكاد البرق يخطف أبصارهم . فان قلت : رأي الأصبغ هو الذي يجعل في الأذن (٢)  
 فهلا قيل أنا ملهم ؟ قلت : هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها ، كقوله :  
 ( فاعسلوا وجوهكم وأيديكم ) ، ( فاقطعوا أيديهما ) أراد البعض الذي هو إلى المرفق والذي  
 إلى الرسغ . وأيضا في ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل . فان قلت : فالأصبغ  
 التي تسد بها الأذن أصبع خاصة ، (٣) فلم ذكر الاسم العام دون الخاص ؟ قلت : لأن السبابة

(١) لله در عصاة نادتهم يوما يجلق في الزمان الأول

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

لحسان بن ثابت يذكر أيام ملوك الشام الغسانيين ، والعصاة : الجماعة على رأى واحد . وجلق - بالتشديد - اسم  
 أعجمي لبلد . وفي الزمان ، متعلق بمحذوف صفة ليوم الواقع ظرفا للنادمة ، وهي المحادثة على الشراب . والبريص  
 اسم واد . ويروي - بفتح تاء - : علم نهر بدمشق وجبل بالحجاز واسم البحر . ويصفق : أى يمزج . وقيل  
 « يصفى » ، ينقله من إزاء إلى آخر . ولعله رواه « يصفى » من التنصيف . والرحيق : الصافي . والسلسل : السهل المساغ . ومن  
 ورد ، مفعول أول ، و « عليهم » قيل متعلق بمحذوف حال من الضمير المنوي في ورد . والظاهر أنه متعلق بورد  
 أى أقبل ونزل . و « بردى » مفعول ثان . و « يصفق » جملة حالية . والمعنى : أنت كل من ورد عليهم البريص  
 يسقونه ماء بردى حال كونه يصفق على مامر . ويجوز أن يكون معناه تتلاطم أمواجه قالبا للبابسة . ويحتمل أن  
 فيه قلبا . والأصل يصفق الرحيق السلسل به ، ولعل ذلك كناية عن كرمهم لا كثارتهم العطاء . وقيل الرحيق السلسل  
 الخمر الصافية السهلة . والمعنى على الشبيه ، أى بناء كأنه الخمر . والظاهر بقاءه على حقيقته ، ويكون ذلك قبل تحريرها  
 وهو أوقع في مقام المدح . فان قلت : « بردى » مؤنث ، فلم قال « يصفق » بالتذكير ؟ قلت : هناك مضاف مذكر  
 حذف ، فقام المضاف إليه مقامه في الاعراب والتذكير . والأصل : ماء بردى .

(٢) قال محمود رحمه الله : دفان قلت المجهول من الأصابع في الأذان رؤسها... الخ ، قال أحمد رحمه الله : لأن فيه إشمارا  
 بأنهم يبالغون في إدخال أصابعهم في آذانهم فوق الدادة المعتادة في ذلك فرارا من شدة الصوت .

(٣) قال محمود رحمه الله : « فان قلت : فالأصبغ التي تسد بها الأذن . . الخ » . قال أحمد رحمه الله : لا ورود  
 لذين السؤالين . أما الأول فلأنه غير لازم أن يسدوا في تلك الحالة بالسبابة ولا بد فانها حالة حيرة ودهش ، فأى  
 أصبع اتفق أن يسدوا بها فعلوا غير معرجين على ترتيب معتاد في ذلك ، فذكر مطلق الأصابع أدل على الدهش  
 والحيرة . أو فلعلهم يؤثرون في هذا الحال سد آذانهم بالوسطى ، لأنها أصم للأذن وأحجب للصوت فلم يلزم اقتصرهم  
 على السبابة . وأما السؤال الثاني ففرع على الأول ، وقد ظهر بطلانه : وأيضا ففيه مزيد ركاز . إذ الغرض تشبيه  
 حال المنافقين بحال أمثالهم من ذوى الحيرة ، فكيف يليق أن يكنى عن أصابعهم بالمسبجات ؟ ولعل ألسنتهم ما سبحت =

فعالة من السب فكان اجتنبها أولى بأداب القرآن . ألا ترى أنهم قد استبشعوها فكبنوا عنها بالمسبحة والنسباجة والمهبللة والدعامة . فان قلت : فهلا ذكر بعض هذه الكسنيات ؟ قلت : هي ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد ، وإنما أحدثوها بعد . وقوله ﴿ من الصواعق ﴾ متعلق بيجعلون ، أى : من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم ، كقولك : سقاء من العيمة <sup>(١)</sup> . والصاعقة : قصفة رعد تنقض معها شقة من نار ، قالوا : تنقذ من السحاب إذا اصطكت أجرامه ، وهي نار لطيفة جديدة . لا تتر بشيء إلا أنت عليه ، إلا أنها مع حداثتها سريعة الخود . يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقته نحو النصف ثم طفئت . ويقال : صعقت الصاعقة إذا أهلكته ، فصعق : أى مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق . ومنه قوله تعالى : ( وختر موسى صعقا ) . وقرأ الحسن : من الصواعق ؛ وليس بقلب للصواعق ، لأن كلا البناءين سواء في التصرف ، وإذا استويا كان كل واحد بناء على حياله . ألا تراك تقول : صعقه على رأسه ، وصعق الديك ، وخطيب مصقع : مجهر بخطبته . ونظيره : جذب ، فى ، جذب ، ليس بقلبه لاستوائهما فى التصرف . وبناءها إما أن يكون صفة لقصفة الرعد ، أو للرعد ، والتامبالغة كافى الراوية ، أو مصدرا كالكاذبة والعافية . وقرأ ابن أبى ليلي : حذار الموت ، وانتصب على أنه مفعول له كقوله :

\* وَأَغْفِرْ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادَّخَارُهُ \* (٣)

والموت فساد بنية الحيوان . وقيل : عرض لا يصح معه إحساس معاقب للحياة . وإحاطة الله بالكافرين مجاز . والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة . وهذه الجملة

== الله قط . ثم إذا كان الغرض من التمثيل تصوير الممانى فى الأذهان تصوير المحسوسات ، فذلك خلق يذكر الصرائح واجتناب الكسنيات والرموز .

(١) قوله « سقاء من العيمة » هي شهوة اللين ، وقيل شدة شهوته . أفاده الصحاح . (ع)

(٢) وعوراء قد أعرضت عنها فلم تغفر وذى أود قومته فتقوم

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

لحائم الطائي . وقيل للأخف بن قيس . يقول : ورب عوراء ، أى كلمة قبيحة ، قد أعرضت عن المزاخمة بها فلم تغفرنى . ورب ذى أود - أى اعوجاج - كالمعنى المعوجة ، قومته وعدله بالمخاربة فتقوم . وقسم الأعراس إلى قسمين : لكل منهما علة مخصوصة فقال : وأغفر عوراء الكريم ، أى قبيحته ، لأجل ادخاري إياه ، فادخاره : مفعول له نصب بأغفر ، وإن عرف بالاضافة . وأعرض عن شتمى للرجل اللئيم تكرما منى كى لا أكون مثله . ويجوز أن المعنى : عن مؤاخذه اللئيم لشتمه لى تكرما منى . فتكرما : مفعول نصب بأعرض . والقول بأن تكرما علة لأعرض وأغفر : قول من لم يذق طعم الكلام .

اعتراض لا محل لها . والخطف : الأخذ بسرعة . وقرأ مجاهد **(يخطف)** بكسر الطاء ، والفتح أفصح وأعلى ، وعن ابن مسعود : يخطف . وعن الحسن : يخطف ، بفتح الياء والخاء ، وأصله يخطف . وعنه : يخطف ، بكسرهما على إتباع الياء الخاء . وعن زيد بن علي : يخطف ، من خطف . وعن أبي : يخطف ، من قوله : ( يخطف الناس من حولهم ) . **(كلما أضاء لهم)** استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول : كيف يصنعون في تارتق خفوق البرق وخفيته ؟ وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون ، إذا صادفوا من البرق خفقة ، مع خوف أن يخطف أبصارهم ، انتهزوا تلك الخفقة فرصة غطوا خطوات يسيرة ، فإذا خفي وقر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ، ولو شاء الله لزداد في قصيف الرعد فأصمهم ، أو في ضوء البرق <sup>(١)</sup> فأعماهم . وأضاء : إما متعد بمعنى : كلما نور لهم مشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف . وإما غير متعد بمعنى : كلما لمع لهم **(مشوا)** في مطرح نوره وملقى ضوئه . ويعضده قراءة ابن أبي عبلة : كلما أضاء لهم والمشى : جنس الحركة المخصوصة . فإذا اشتد فهو سعى . فإذا ازداد فهو عدو . فإن قلت : كيف قيل مع الإضاءة : كلما ، ومع الإظلام : إذا ؟ قلت : لأنهم حراس على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشى وتأتيه ، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ، وليس كذلك التوقف والتحبس . وأظلم : يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر ، وأن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ، <sup>(٢)</sup> وتشهد له قراءة يزيد بن قتيب : أظلم ، على ما لم يسم فاعله . وجاء في شعر حبيب ابن أوس :

هَما أَظْلَمًا حَالِي ثُمْتَ أَجْلِيَا      ظَلَامِيَهُمَا عَنْ وَجْهِ أَمْرَدٍ أَشِيْبٍ <sup>(٣)</sup>

(١) قوله : أو في ضوء البرق ، لعله وفي . (ع)

(٢) قوله : من ظلم الليل ، في الصحاح : ظلم الليل بالكسر وأظلم ، بمعنى ، عن القراء (ع)

(٣) هـا أظلمأ حالأ ثمتأ أجليا      أم استمتأ تأديبأ فدهرى مؤدى

هـا أظلمأ حالأ ثمتأ أجليا      ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

شيخي في خلوق الحادثات مشرق      به عزمه في الترهات مغرب

لأن تمام . ويقال لحبيب بن أوس . وحاول الشيء : أراده وحام حول تحصيله . واستام الشيء : قصده وتبع حياته وتعرفه بها . وبروى : أم اشتقت . وقوله : عن وجه أمرد أشيب ، فيه تجريد ، أى عن وجه رجل أمرد كناية عن حسن الخلق . أشيب كناية عن جودة الرأي اللازمة لكمال الرجولية . والأول كناية عن المعنى في طرق المنزل . والثاني كناية عن المعنى في طرق الجد ، فلذلك اجتماعا معا في زمان واحد . ويحتمل أنه شاب مع أنه أمرد من كثرة حوادث

وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقتنعون بذلك لو ثروهم بروايته وإتقانه . ومعنى ﴿ قاموا ﴾ وقفوا وثبتوا في مكانهم . ومنه : قامت السوق ، إذا ركبت وقام الماء : جمد . ومفعول ﴿ شاء ﴾ محذوف ، لأن الجواب يدل عليه . والمعنى : ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ، ولقد تكاثر هذا الحذف في « شاء » ، وه أراد ، لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله :

\* فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ \* (١)

وقوله تعالى « لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ، ( لو أراد الله أن يتخذ ولدا ) . وأراد : ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد ، وأبصارهم بوميض البرق . وقرأ ابن أبي عبلة : لأذهب بأسماعهم ، بزيادة الباء كقوله : ( ولا تلقوا بأيديكم ) . والشيء : ما صح أن يعلم ويخبر عنه . قال سيبويه - في ساقاة الباب المترجم بباب مجارى أو آخر الكلم من العربية - : وإنما يخرج التأنيث من التذكير . ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى ؟ . والشيء : مذكر ، وهو أعم العام : كما أن الله أخص الخاص يحرى على الجسم والعرض

== الدهر . والشجي : ما نشب في الخلق لا يبعد ولا ينزل . والمشرق المغرب : الذهاب شرقا وغربا . والمراد التعميم . والترمة : فارسى معرب بمعنى الطريق الصغيرة غير المجادة ، والجمع ترهات وتراربه . ثم استعير للباطل وصار اسما له ، والمعنى : إن أردت مرشدى فهو عقلى ، أو مؤدبى فدهرى . فالاستفهام بمعنى الشرط مجازاً ، ويحتمل أنه توبيخى والفاء تعليلية محذوف ، أى لا يذنبى إرادة إرشادى ولا تأدبى ، فان دهرى وعقلى تكفلا بذلك . وبين ذلك بقوله « هما أظلم ، واستعمال أظلم متعبدا لغة رديئة . وحالى : مفعول . والاضلام استعارة لتغيب العيش وتكدير الحاطر . وأجليا : أزالا وكشفا ظلامهما . والظلامان : استعارة للتكدر والتغيب . وقوله « نجي » يدل من الأمر ، أى كالشجي . وشبه الحوادث بمحوانات لها خلوق على طريق الممكنة والخلوق تخييل لذلك . والمعنى أن الحوادث صارت لا تؤثر فيه ومعنى به عزمه في جميع طرق الهول كما مضى به في الجد ، وبين مشرق مغرب طباق التضاد .

(١) ملكك دموع العين حين رددتها إلى ناظرى والعين كالقلب تدمع

ولو شئت أن أبكى دما لبكيت عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

لابن يعقوب إسحاق بن حسان الحذيفي ، يرثى أبا الهيثم عامر بن عمار أمير عرب الشام . يقول : غلبت دموع عيني وقدرت عليها حين رددتها إلى مكانها . ويروى « ثم رددتها » ، والحال أنها تدمع دموعا كالقلب في الحرة والحركة ، أو تدمع على وجه التبعة للقلب . ويروى « فالعين في القلب » ، مبالغة في فكركه وحزنه المضر فيه . وذكر مفعول المشية مع أنه صار في استعمالهم نسيا مذسياً لأنه شيء مستغرب لحسن ذكره . وضمن « أبكى » معنى أدمع ، فعدها إلى الدم مع أنه لا يتعدى إلا إلى المبكى عليه . وشبه الصبر بكريم أو بيت له ساحة على سبيل الممكنة . والمراد أنه يترك الجزع ويعدل إلى الصبر فيتعصف به .



والقديم . تقول : شيء لا كالأشياء ؛ أى معلوم لا كسائر المعلومات ، وعلى المعلوم والمحال  
فإن قلت : كيف قيل (على كل شيء قدير) وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل (١) وفعل  
قادر آخر (٢) ؟ قلت : مشروط في حد القادر أن لا يكون الفعل مستحيلا ؛ فالمستحيل مستثنى  
في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها ، فكأنه قيل : على كل شيء مستقيم قدير . ونظيره : فلان  
أمير على الناس أى على من وراءه منهم ، ولم يدخل فيهم نفسه وإن كان من جملة الناس . وأما  
الفعل بين قادرين فختلف فيه . فإن قلت : مم اشتقاق القدير ؟ قلت : من التقدير ، لأنه يوقع  
فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)

لما عُدَّ الله تعالى فرق المسكفين من المؤمنين والكفار والمنافقين ، وذكر صفاتهم وأحوالهم  
ومصارف أمورهم ، وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقها ، ويحفظها عند الله ويردها ،  
أقبل عليهم بالخطاب ، وهو من الالتفات المذكور عند قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) ،  
وهو فن من الكلام جزل ، فيه هز وتحريك من السامع ، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا  
عن ثالث لهما : إن فلانا من قصته كيت وكيت ، فقصصت عليه ما فرط منه ، ثم عدلت

(١) قال محمود رحمه الله : دوفى الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل ... الخ . قال أحد رحمه الله : هذا  
الذى أوردته خطأ على الأصل والفرع . أما على الأصل . فلأن الشيء لا يتناول إلا الموجود عند أهل السنة . وأما  
على الفرع . فلأننا وإن فرعنا على معتقد القدرية - والشيء عندهم إنما يتناول الموجود والمعلوم الذى يصح وجوده  
فلا يتناول المستحيل - إذاً على هذا التفرع ما يراده إياه نقضاً غير مستقيم على المذممين . وأما المقدور بين قادرين ،  
فإنها ورطة إنما يستأنق إليها القدرية الذين يعتقدون أن ما تعلقت به قدرة العبد استحالة أن يتعلق به قدرة الرب ،  
إذ قدرة العبد خالقة فيستغنى الفعل بها عن قدرة خالق آخر - تعالى الله عما يشركون علواً كبيراً - وأما أهل السنة  
فالقادر الخالق عندهم واحد ، وهو الله الواحد الأحد ، فتعلق قدرته تعالى بالفعل فيخلقه ، وتعلق به قدرة العبد  
تعلق اقتران لا تأثير ؛ لذلك لم يخاف مقدور بين قادرين على هذا التفسير . وقد حشى الرمحسرى فى أدراج كلامه .  
هذا سلب القدرة القدسية وجعلها ، وجعل الله تعالى قادراً بالذات بالقدرة ، دس ذلك تحت قوله : وفى الأشياء  
ما لا تعلق به لذات القادر ، ولم يقل لقدرة القادر ، فليتقطن لدنائه . وكمن من ضلالة استدسها فى هذه المقالة والله  
الموفق . فإن قيل : أيسر الأشعرية ، إذا كان الشيء عندهم هو الموجود ، فما معنى القدرة عليه بعد وجوده وبقائه ،  
والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين (إن الله على كل شيء قدير) ؟ فلما : القدرة تتعلق بمقدورها فتوجد فيكون  
حيثما شئت ؛ فلما كان مآل ما تعلقت به القدرة إلى الشيء حتماً ، صح إطلاق الشيء عليه ، وهو من وادى : ومن  
قتل قتيلا فله سلبه ، وإذا سموا الشيء باسم ما يؤول إليه غالباً ، فما يؤول إليه حتماً أجدر .

(٢) قوله : وفعل قادر آخر ، الله مبنى على مذهب المعتزلة أن العبد هو الفاعل لأفعاله الاختيارية . ومذهب

أهل السنة أن فاعلها فى الحقيقة هو الله تعالى . (ع)

بخطابك إلى الثالث فقلت : يافلان من حقت أن تلزم الطريقة الحميدة في مجارى أمورك ، وتستوى على جادة السداد في مصادرك ومواردك . نهته بالتفانك نحوه فضل تنبيهه ، واستدعيت إصغاه إلى إرشادك زيادة استدعاء ، وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازأ من طبعه مالا يحده إذا استمررت على لفظ التنبية ، وهكذا الاقتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف ، يستفتح الآذان للاستماع ، ويستشش الانفس للقبول ، وبلغنا بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة : أن كل شيء نزل فيه : (يا أيها الناس) <sup>(١)</sup> فهو مكى ، و (يا أيها الذين آمنوا) فهو مدنى ، فقله : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) خطاب لمشركى مكة ، وديا ، حرف وضع في أصله لنداء البعيد ، صوت يهتف به الرجل بمن يناديه . وأما نداء القريب فله أى والهمزة ، ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب . تنزيلا له منزلة من بعد ، فإذا نودى به القريب المفطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذى يتلوه معنى به جداً . فإن قلت : فما بال الداعى يقول في جزأه : يارب ، <sup>(٢)</sup> ويا الله ، وهو أقرب إليه من جبل الوريد ، وأسمع به وأبصر ؟ قلت : هو استقصار منه لنفسه ، وأستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله ومنازل المقرين ، هضما لنفسه وإقرارا عليها بالتفريط في جنب الله ، مع فرط التهالك على استجابة دعوته والإذن لندائه وابتهاله ، وديا ، وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام ، كما أن ، ذو ، و ، الذى ، وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجل . وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه ، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجرى مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء ، فالذى يعمل فيه حرف النداء هو ديا ، والاسم التابع له صفته ، كقولك : يازيد الظريف ؛ إلا أن ، ديا ، لا يستقل بنفسه استقلال ، زيد ، فلم ينفك من الصفة . وفى هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد . وكلمة التنبية

(١) أخرجه ابن أبى شيبة قال : حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم بهذا . وأخرجه البزار من رواية الأئیس ابن الربيع عن الأعمش موصول بذكر عبد الله بن مسعود فيه . وقال : لأنهم أحدا أسنده لإلأیس واعترض بما رواه الحاكم والبيهقي فى الدلائل عنه . وابن مردويه فى تفسير الحج . كلهم من طريق وكيع أيضا قال : حدثنا أبى عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله . (قائمة) هذا محمول على أن المراد بالملكى ما وقع خطابا لأهل مكة ، والمدنى ما وقع خطابا لأهل المدينة ؛ لأن الغالب على أهل مكة كان الكفر فخطبوا (يا أيها الناس) . وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخطبوا (يا أيها الذين آمنوا) . أفاده الشيخ بهاء الدين ابن عقيل .

(٢) قوله ديقول فى جزأه : يارب ، فى الصحاح : جأر الثور يجأر ، أى صاح . وجأر الرجل إلى الله عزوجل :

أى تضرع . (ع)

المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين : معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ، ووقوعها عوضاً مما يستحقه أى من الإضافة . فإن قلت : لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره ؟ قلت : لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة : لأن كل ما نادى الله له عباده - من أوامره ونواهيه ، وعظائمه وزواجره ووعدته ووعيدته ، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم ، وغير ذلك مما أنطق به كتابه - أمور عظام ، وخطوب جسام ، ومعان - عليهم أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها ، وهم عنها غافلون . فاقضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ . فإن قلت : لا يخلو الأمر بالعبادة من أن يكون متوجهاً إلى المؤمنين والكافرين جميعاً ، أو إلى كفار مكة خاصة ، على ما روى عن علقمة والحسن ، فالؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا بما هم ملتبسون به ؟ وهل هو إلا كقول القائل :

فَلَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كُنْتُ مِنَ تَسَاءُلِهِ وَهُوَ قَائِمٌ أَنْ يَقُومَا <sup>(١)</sup>

وأما الكفار فلا يعرفون الله ، ولا يقرّون به فكيف يعبدونه ؟ قلت : المراد بعبادة المؤمنين : ازديادهم منها وإقبالهم وثباتهم عليها . وأما عبادة الكفار فشروط فيها مالا بد لها منه وهو الإقرار : كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما ومالا بد للفعل منه ، فهو مندرج تحت الأمر به وإن لم يذكر ، حيث لم يفعل إلا به ، وكان من لوازمه . على أن مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ( ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ) . فإن قلت : فقد جعلت قوله ( اعبدوا ) متناولاً شيتين معاً : الأمر بالعبادة ، والأمر بازديادها . قلت : الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئاً آخر . فإن قلت ( ربكم ) ما المراد به ؟ قلت : كان المشركون معتقدين ربوبيتين : ربوبية الله ، وربوبية آلهتهم . فإن خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والأرض والآلهة التي كانوا يسمونها أرباباً وكان قوله ( الذي خلقكم ) صفة موصحة مميزة . وإن كان الخطاب للفرق جميعاً ، فالمراد به « ربكم »

(١) نعمة الله فيك لا أسأل الله إليها نعمي سوى أن تدوم

فلو أني فعلت كنت كن تساءله وهو قائم أن يقوم

النعمة بالكسر ، والنعمى بالضم ، وكذلك النداء بالفتح بمعنى واحد . يقول : نعمة الله علينا فيك كافية لا نطلب من الله نعمة أخرى منضمة إليها ، سوى أن تدوم هي أو أيتها . فلواني - بالنقل للوزن - فعلت ، أى سألت الله غير ما كانت حال مع الله كالك مع من تسأله القيام وهو قائم ، فهو تشبيه مركب ، وإلا فهو سائل ومن تسأله مسؤل . يعني أن السؤال يكون تحصيلاً للاحصل ، لأنه لانهمة سواها أعظم منها في ظنه . وفيه مبالغة في تعظيمها .

على الحقيقة . والذي خلقكم : صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم . ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة ، إلا أن الأول أوضح وأصح . والخلق : إيجاد الشيء على تقدير واستواء . يقال : خلق النعل ، إذا قدرها وسواها بالمقياس . وقرأ أبو عمرو : ( خلقكم ) بالإدغام . وقرأ أبو السميعة : وخلق من قبلكم . وفي قراءة زيد بن علي : ( والذين من قبلكم ) وهي قراءة مشككة ، ووجهها على إشكالها أن يقال : أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيداً ، كما أقحم جرير في قوله :

\* يَأْتِيهِمْ تَيْمٌ عَدِيٌّ لَا أَبَالِكُمْ \* (١)

تيم الثاني بين الأول وما أضيف إليه ، وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه في : لا أبالك : ولعل للترجي أو الإشفاق . تقول : لعل زيدا يكرمني . ولعله يهينني .

(١) يا تيم تيم عدى لا أبالك لا يلقينكم في سوء عمر  
تعرضت تيم لي جهلاً لأجهوها كما تعرض الاست الحارثي الجهر

لجرير ، تعرض له عمر بن لجا ، ويقال بن لجام التيمي بالهجو غطاب قيلته بذلك . وحذف المضاف إليه مع بقاء المضاف على حالة الإضافة مضطرب ، إن افترق بذكر مثله ليدل عليه ؛ وإلا فهو سماعي . ومثل هذا التركيب يجوز فيه ضم الأول فهو مفرد والثاني مضاف لما بعده ، وفتح على أنه مضاف للمذكور ، أو لمحذوف مماثل له ، أو على أنهما مركبان اسماً واحداً مضافاً لما بعدهما ؛ فقيم الأول هنا مضاف لعدى ، والثاني متعجم بينهما مضاف لعدى محذوفاً عند سيوبه أو مضاف للمذكور ، والأول مضاف لمحذوف مثل المذكور عند المبرد وتبعه ابن مالك ، أو هما ما مركبان كخمسة عشر ، مضافان لعدى عند الفراء . وتبعه الأعم . ولو كان الثاني بدلاً أو يائناً أو تأكيداً والأول مفرد ، لضم الأول وهم غير تيم قریش . وقولهم « لا أباله » دعاء بعدم الآب . وقبل محتمل للذم ، أن لا أباله رشيداً ، بل هو ابن زنا . ويحتمل المدح ، أي ليس محتاجاً إلى الآب بل مفاخرة ذاتية ، لكن ما هنا من الأول . وولكم خبر دلاء عند ابن الحاجب . وخبرها محذوف عند غيره ولكم متعلق بمحذوف صفة . أو اللام زائدة « ضمير مضاف إليه » . وأما على الأول مبنى على فتح مقدر وحذف تنوينه للبناء . وعلى الثاني منصوب بفتحة مقدرة وحذف تنوينه لشبه الإضافة . وعلى الثالث منصوب بفتحة مقدرة وحذف تنوينه للإضافة . وهذا كله على لغة قصره كفتي . وأما نصبه بالالف على لغة إعرابه بالحروف فلا يظهر إلا في الثالث ، وفيه أن المضاف معرفة ودلاء لا تعمل إلا في التكرات ، إلا أن يقال زيادة اللام صيرته في صورة الذكرة فعملت فيه . ودلاء يلقينكم ، نهى عن الالتقاء في المسكوة . وروى بالقاء بدل القاف ، من ألني إذا وجد لكن روى « دلاء يلقينكم » وهو يؤيد الأول . والمراد النهي عن إقرار عمر على جهوه الموضع لهم في السوء وهي مجوز جرير لهم . واللام في لآجهوها لام العاقبة . وقد شبه نفسه - بل فقه - بأست الحارثي ، أي دبره . ومهد لذلك التشبيه فيما تقدم بالتعبير بالـ « وة » . ولقد هيأ نفسه من حيث لم يشعر . والاست : من الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فزادوها همزة الوصل .

وقال الله تعالى : ( لعله يتذكر أو يخشى ) ، ( لعل الساعة قريب ) . ألا ترى إلى قوله : ( والذين آمنوا مشفقون منها ) . وقد جاءت على سبيل الإطعام في مواضع من القرآن ، ولكن لأنه إطعام من كريم رحيم ، إذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة ، لجرى إطاعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به . قال من قال : إن « لعل » بمعنى « كي » ، و « لعل » لا تكون بمعنى « كي » ، ولكن الحقيقة ما ألفت إليك . وأيضا فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا : عسى ، و لعل . ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا لإخالة . أو يظفر منهم بالرمزة أو الالبسامة أو النظرة الحلوة ، فإذا عثر على شيء من ذلك منهم ، لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب . فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العز والكبرياء . أو يحىء على طريق الإطعام دون التحقيق لئلا يتكل العباد ، كقوله : ( يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ، عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم . فان قلت : فد « لعل » التي في الآية ما معناها وما موقعها ؟ قلت : ليست مما ذكرناه في شيء ، لأن قوله : ( خلقكم ) ، ( لعلكم تتقون ) ، لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم لأن الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة : وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد أيضا . ولكن « لعل » واقعة في الآية موقع المجاز <sup>(١)</sup> لا الحقيقة ، لأن الله عز وجل خلق عباده ليتعبد بهم بالتكليف ، وركب فيهم العقول والشهوات ، وأزاح العلة في أقدارهم وتمكينهم وهداهم التجدين ، ووضع في أيديهم زمام الاختيار ، وأراد منهم الخير والتقوى <sup>(٢)</sup> . فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم . وهم مختارون بين الطاعة والعصيان . كما ترجحت حال المرتجى بين أن يفعل وأن لا يفعل ، ومصادقه قوله عز وجل : ( ليلوكم أيكم أحسن عملا ) وإنما ييلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ، ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار . فإن قلت : كما خلق المخاطبين لعالمهم يتقون ، فكذلك خالق الذين من قبلهم لذلك ، فلم قصره عليهم

(١) قال محمود رحمه الله : « لعل واقعة في الآية موقع المجاز ... الخ » . قال أحد رجلاه : كلام سديد إلا قوله : وأراد منهم التقوى والخير ؛ فإنه كلام أبرزه على قاعدة القدرية . والصحيح والسنة أن الله تعالى أراد من كل أحد ما وقع منه من خير وغيره ، ولكن طلب الخير والتقوى منهم أجمعين . والطلب والأمر عند أهل السنة مبين للارادة ، ألهمنا الله صواب القول وسداده .

(٢) قوله « وأراد منهم الخير والتقوى » مبنى على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يريد إلا الخير وإن وقع خلافه . ومذهب أهل السنة أنه يريد الخير والشر ، وكل ما أراده يقع ، لاجتماع السلف على أنه ما شاء الله كإزواله عما لم يكن . (ع)

دون من قبلهم ؟ قلت : لم يقصره عليهم ، ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعا . فان قلت : فهلا قيل تعبدون لأجل اعبدوا ؟ <sup>(١)</sup> أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم . قلت : ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك إلى تنافر النظم . وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده . فإذا قال ( اعبدوا ربكم الذى خلقكم ) للاستيلاء على أقصى غايات العبادة كان أبعث على العبادة ، وأشد إلزاما لها ، وأثبت لها فى النفوس . ونحوه أن تقول لعبسك : احمل خريطة الكتب ، فما ملكتك يميني إلا لجز الأتقال . ولو قلت : لحل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع .

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين أولا ؛ لأنه سابقة أصول النعم ومقدمتها ، والسبب فى التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ، ثم خلق الأرض التى هى مكانهم ومستقرهم الذى لا بد لهم منه ، وهى بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ، ثم خلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة المطبئة على هذا القرار ، ثم ماسواه عز وجل من شبه عمد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها . والإخراج به من بطنها - أشباه النسل المنتج من الحيوان - من ألوان الثمار رزقا لبني آدم ، ليكون لهم ذلك معتبرا : ومتسلقا إلى النظر الموصل إلى التوحيد والاعتراف ؛ ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ، ويتفكرون فى خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحته . وأن شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على إيجاد شيء منها ، فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد لها من خالق ليس كمثلها ، حتى لا يجعلوا المخلوقات له أندادا وهم يعلمون أنها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر . والموصول مع صلته إما أن يكون فى محل النصب وصفا كالذى خلقكم ، أو على المدح والتعظيم . وإما أن يكون رفعا على الابتداء وفيه ما فى النصب من المدح . وقرأ يزيد الشامى : بساطا . وقرأ

(١) قال محمود رحمه الله : « فان قلت فهلا قيل تعبدون ... الخ ؟ قال أحمد رحمه الله : كلام حسن إلا قوله خلقكم للاستيلاء على أقصى غاية العبادة ؛ فانه مفرع على تلك التزعة المتقدمة آنفا . والعبارة المحررة فى ذلك على قاعدة السنة أن يقال : اعبدوا ربكم الذى خلقكم على حالة من حقكم معها أن تستولوا على أقصى غاية العبادة وهى التقوى لما ركب فيكم من العقول ، وبينه لكم من البواعث على تقواه ، فكانت جدبرا بكم أن لاتدعوا من جهدكم فى التقوى شيئا .

طلحة : مهادا . ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس : أنهم يقعدون عليها ويتأمنون ويتقبلون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده . فإن قلت : هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكزية ؟ قلت : ليس فيه إلا أن الناس يفتشونها كما يفعلون بالمغارش ، وسواء كانت على شكل السطح . أو شكل الكرة ، فالافتراض غير مستنكر ولا مدفوع ، لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها . وإذا كان متسلا في الجبل وهو وتد من أوتاد الأرض ، فهو في الأرض ذات الطول والعرض أسهل . والبناء مصدر سمي به المبنى - بيتا كان أو قبة أو خباء أو طرافات وأبنية العرب : أخبيتهم ، ومنه بنى على امرأته ، لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا . فإن قلت : ما معنى إخراج الثمرات بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيتته ؟ قلت : المعنى أنه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها ، كما الفحل في خلق الولد ، وهو قادر على أن ينشئ الاجتناس كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ، ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال إلى حال ، وناقلا من مرتبة إلى مرتبة حكما ودواعي يحدد فيها للملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبدا وأفكارا سالحة ، وزيادة طمأنينة ، وسكون إلى عظيم قدرته وغرائب حكمته ، ليس ذلك في إنشائها بفتة من غير تدرج وترتيب . ومنه في ﴿ من الثمرات ﴾ للتبويض بشهادة قوله : ﴿ فأخرجنا به من كل الثمرات ﴾ ، وقوله : ﴿ فأخرجنا به ثمرات ﴾ . ولأن المنكرين أعنى : ماء ، ورزقا . يكتفاه . وقد قصد بتشكيكهما معنى البعضية فكأنه قيل : وأنزلنا من السماء بعض الماء ، فأخرجنا به بعض الثمرات ، ليكون بعض رزقكم . وهذا هو المطابق لصحة المعنى ، لأنه لم ينزل من السماء الماء كله ، ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ، ولا جعل الرزق كله في الثمرات . ويجوز أن تكون للبيان كقولك : أنفقت من الدراهم ألفا . فإن قلت : فيم انتصب ﴿ رزقا ﴾ ؟ قلت : إن كانت « من » للتبويض . كان انتصابه بأنه مفعول له . وإن كانت مبنية ، كان مفعولا لأخرج . فإن قلت : فأنتم المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك : فلان أدركت ثمرة بستانه ، تريد ثماره . ونظيره قولهم : كلبه الخويدرة ، لقصيدته . وقولهم للقرية : المدرة ، وإنما هي مدر متلاحق . والثاني : أن الجمع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية ، كقوله : ﴿ كم تركوا من جنات ﴾ و ﴿ ثلاثة قروء ﴾ . ويعضد الوجه الأول قراءة محمد بن السميع : من الثمرة ، على التوحيد . و ﴿ لكم ﴾ صفة جارية على الرزق إن أريد به العين ، وإن جعل

اسما للحنى فهو مفعول به . كأنه قيل : رزقا إياكم . فإن قلت : بم تعلق ( فلا تجعلوا ) ؟ قلت : فيه ثلاثة أوجه : أن يتعلق بالامر . أى اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له ( أندادا ) لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد ، وأن لا يجعل لله ند ولا شريك . أو بلعل ، على أن ينتصب تجعلوا انتصاب ، فأطلع ، فى قوله عز وجل : ( لعل أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى ) فى رواية حفص عن عاصم ، أى خلقكم لئى تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقهم ، أو بالذى جعل لكم ، إذا رفعته على الابتداء ، أى هو الذى خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل الثيرة الشاهدة بالوحدانية ، فلا تتخذوا له شركاء . والتد : المثل . ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ . قال جرير :

أَتَيْمًا تَجْعَلُونَ إِلِيَّ نِدًّا      وما تَيْمٌ لِّذِي حَسَبٍ نَدِيدًا <sup>(١)</sup>

وناددت الرجل : خالفته ونافرته ، من ند ندوا إذا نفر . ومعنى قولهم : ليس لله ند ولا ضد نفي ما يستد مسده ، ونفي ما ينافيه . فإن قلت : كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب ، وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه . قلت : لما تقرّوا إليها وعظموها وسموها آلهة ، أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله ، قادرة على مخالفته ومضادته فقليل لهم ذلك على سبيل النهم . كما تهكم بهم بلفظ الند ، شنع عليهم واستفطع شأنهم بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط . وفى ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه :

أَرَبًّا وَاحِدًا أَمْ أَلْفُ رَبٍّ      أَدِينُ إِذَا تَقَسَّمَتِ الْأُمُورُ <sup>(٢)</sup>

(١) الاستفهام إنكارى . وتيم : اسم رجل واسم قبيلة ، وهو مفعول مقدم . و «إلى» متعلق بتجعلون على طريق التضمين ، أى تشبهونه إلى أو إلى بمعنى لى . ويجوز تعلقه بندا وهو مفعول ثان . والوار للحال أى وال حال أن تيا ليس ندا لصاحب حسب وماثر ، فكيف يكون ندا لى . ويروى : أتيم تجعلون ، فهو مبتدأ والمعنى ما تقدم وقبل إلى متعلق بمحذوف حال من تيا أو من ندا . والتد : الكفو والعد .

(٢) أربا واحدا أم ألف رب      أدين إذا تقسمت الأمور  
ترك اللات والعزى جميعا      كذلك يفعل الرجل البصير

لعمر بن زيد بن نفيل بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن ربيعة . والهمزة للاستفهام . وفيه ضرب من التعجب وإظهار الخطأ فى عبادة الأرباب وتشنيع على عبادهم . «وربا» مفعول . أدين : أى أطيع . والمراد بالآلف الكثيرة ، لانصوص ذلك العدد . إذا تقسمت الأمور : أى إذا اتخذت كل طائفة ديناً من الأديان . وقوله اللات العزى : أى وغيرهما من الأصنام ؛ لأنه لا فرق بينها . والبصير : المتبصر فى الأمر .



وقرأ محمد بن السميع: فلا تجعلوا لله ندا . فإن قلت : ما معنى ﴿ وأتمّ تعلبون ﴾ . قلت : معناه : وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفساد ، والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال ، والإصابة في التدابير ، والدهاء والفتنة ، بمنزل لا تدفعون عنه . وهكذا كانت العرب ، خصوصاً ساكنو الحرم من قريش وكنانة ، لا يصطلي بنارهم <sup>(١)</sup> في استحكام المعرفة بالأمور وحسن الإحاطة بها . ومفعول ( تعلبون ) متروك كأنه قيل : وأتمّ من أهل العلم والمعرفة . والتويخ فيه أكد ، أى أتمّ العزافون المميزون . ثم إن ما أتمّ عليه في أمر دياتكم من جعل الأصنام لله أندادا ، هو غاية الجمل ونهاية سخافة العقل . ويجوز أن يقدر : وأتمّ تعلبون أنه لا يماثل . أو : وأتمّ تعلبون ما بينه وبينها من التفاوت . أو : وأتمّ تعلبون أنها لا تفعل مثل أفعاله ، كقوله : ( هل من شركائكم من يفعل من ذلکم من شيء ) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صدقين <sup>(٢)</sup>

لما احتج عليهم بما ثبت الوجدانية وحققتها ، ويبطل الإشراك ويهدمه ، وعلم الطريق إلى إثبات ذلك وتصحيحه ، وعرفهم أن من أشرك فقد كابر عقله وغطى على ما أنعم عليه من معرفته وتمييزه . عطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة ، وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعى ، أم هو من عند نفسه كما يدعون . يارشادهم إلى أن يحزروا أنفسهم ويدققوا طباعهم وهم أبناء جنسه وأهل جلده . فان قلت : لم قيل : ( مما نزلنا ) على لفظ التنزيل دون الإنزال ؟ قلت : لأن المراد النزول على سبيل التدرج والتنجيم ، وهو من محاذه لمكان التحدى . وذلك أنهم كانوا يقولون : لو كان هذا من عند الله مخالفاً لما يكون من عند الناس ، لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات ، على حسب النوازل وكفاء الحوادث <sup>(٣)</sup> وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر ، من وجود ما يوجد منهم مفرقا حيناً لحيناً ، وشيئاً فشيئاً حسب ما يعين لهم من الأحوال المتجددة والحاجات السانحة ، لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة ،

(١) قوله « لا يصطلي بنارهم » لعله يصطلي بدون دلا ، أوله : لا يصطلي إلا بنارهم ، بزيادة « إلا » ، فليحرر . ويمكن أن يراد اختصاصهم بكال المعرفة ، وأن غيرهم لا يصل إلى شيء مما لديهم من ذلك . (ع)

(٢) قوله « وكفاء الحوادث » أى مقابلها ومساويها . أفاده الصحاح . (ع)

ولا يرى النائر بمجموع خطبه أو رسائله ضربة ، فلو أنزله الله لأنزله خلاف هذه العادة جملة واحدة : قال الله تعالى : ( وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ) ، فقيل : إن ارتبتم في هذا الذي وقع لإنزاله هكذا على مهل وتدرج ، فهاقوا أتم نوبة واحدة من نوبه ، واهلوا نجما فردا من نجومه : سورة من أصغر السور ، أو آيات شتى مفتريات . وهذه غاية التبكيث ، ومنتهى إزاحة العلل . وقرئ ( على عبادنا ) يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه . والسورة : الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات . وواوها إن كانت أصلا ، فيما أن تسمى بسورة المدينة وهي حائطها ، لأنها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حياها ، كالبلد المسور ، أو لأنها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد ، كاحتواء سورة المدينة على ما فيها . وإما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة . قال النابغة :

وَلَرَهْطٍ حَرَّابٍ وَقَدْ سُورَةٌ فِي الْمَجْدِ لَيْسَ غُرَابُهَا بِمُطَارٍ (١)

لأحد معنيين ، لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ : وهي أيضاً في أنفسها مترتبة : طوال وأوساط وقصار ، أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين . وإن جعلت واوها منقلبة عن همزة ، فلأنها قطعة وطائفة من القرآن ، كالسورة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه . فان قلت : ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً ؟ قلت : ليست الفائدة في ذلك واحدة . ولأمر ما أنزل الله التوراة والإنجيل والزيور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور . وبوب المصنفون في كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم . ومن فوائده : أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع ، واشتمل على أصناف ، كان

(١) ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار  
يوم إذا كثرا الصباح رأيهم وقرا غداة الروح والانفار

للابغة الذياني . والسورة - بالضم - : الرتبة . يقول : ولقوم حراب بن زهير وفد بن مالك درجة في الشرف دأمة العز . وحراب بالراء . وروى بالزاي . وقد بالمهملة . وروى بالمعجمة . وقد وقد : أخوان . وليس غرابها بمطار استعارة تمثيلية لدوام العز لهم : أو كناية عنه ، لأن أصله : أنه إذا كثرت الشجر والنبات ، يقيم فيه الغراب ولا يطيره شيء لحب الحصب وعدم الجذب . والأوجه أن السورة أصلها المرتبة الحسية ، فاستعيرت للعنوية ، ثم جرت فيها الممكنية حيث شئت بمكان الحصب ، وإثبات الغراب والاحارة تخيل لذلك التشبيه . ثم قال : هم قوم إذا كثرت الصباح في الحرب رأيهم وقرا أي صبا ، فهو من الوقر أي ثقل الأذن ، بمعنى أن كثرة الصباح لاتزعجهم كأنهم صم وقيل من الوقار والسكينة . وغداة الروح والانفار : صبيحة الخوف والانفراع . وقيل : أصله أن الغراب يقع على رأس البعير يتلطف منها الهوام ، فلا يحرك رأسه إلا ينفر الغراب فنشبه مرتبتهم برأس البعير على طريق الممكنية . وقيل لارتفاعها لا يصلها الغراب حتى ينار من فوقها . فالملق لاغراب فوقها فيطار .

أحسن وأنبل وأغرم<sup>(١)</sup> من أن يكون بيانا واحدا . ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأهز لعطفه ، وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله . ومثله المسافر ، إذا علم أنه قطع ميلا ، أو طوى فرسخا ، أو انتهى إلى رأس بريد : نفس ذلك منه ونشيطه للسير . ومن ثم جزأ القراء القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا . ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة<sup>(٢)</sup> ، اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة ، فيعظم عنده ما حفظه ، ويجل في نفسه ويغتنب به . ومنه حديث أنس رضي الله عنه : « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران ، جد فينا<sup>(٣)</sup> ، ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة أفضل . ومنها أن التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض . وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم ، إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع » (من مثله) متعلق بسورة صفة لها أى بسورة كائنة من مثله . والضمير لما نزلنا<sup>(٤)</sup> ، أو لعبدنا . ويجوز أن يتعلق بقوله ( فأتوا ) والضمير للعبد . فإن قلت : وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل ؟ قلت : معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم . أو فأتوا بمن هو على حاله من كونه بشرا عربيا أو أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ، ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك . ولكنه نحو قول القبعري للحجاج - وقد قال له : لأحملك على الأدهم - : مثل الأمير حمل على الأدهم والأشهب . أراد

(١) قوله « وأنبل وأغرم » ، أى أفضل وأعظم . أفاده الصحاح . (ع)

(٢) قوله « إذا حذق السورة » ، حذق الشيء ، أى مهر فيه . أفاده الصحاح . (ع)

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه أحمد وابن أبي شبة قال : حدثنا يزيد بن هارون عن حميد عن أنس رضي الله عنه « أن رجلا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا - أى عظم : الحديث - . وأخرجه ابن حبان من هذا الوجه بلفظ « جد فينا ذو شأن » ، وقد ذكره الجوهري في الصحاح من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ المصنف . وأصله عند البخاري من رواية عبد العزيز ابن صهيب . وعند مسلم في رواية ثابت ، كلاهما عن أنس دون القدر الذي اقتصر عليه المصنف . ولم يصب الطبري في عزوه له إلى الصحيحين . وعزه الزمخشري في تفسير الجن إلى رواية عمر رضي الله عنه أيضا كما سيأتي .

(٤) قال محمود رحمه الله : « الضمير يحتمل عوده لما نزلناه ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : ومعنى هذا الترجيع أن المتحدى عليهم في التفسير الأوجه جملة المخاطبين ، أى أنهم باجتماعهم ومظاهرة بعضهم بعضا ، عجرة عن الاتيان بطائفة منه . وأما على التفسير المرجوح ، فهم مخاطبون بأن يعينوا واحدا منهم يكون معارضا للمتحدى بأنه يأتي بمثل ما أتى به أو ببعضه . ولا شك أن عجز الخلق أجمعين أبهى من عجز واحد منهم . ويشهد لرجحان الأول قوله تعالى : ( قل لن اجتمعن الناس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا )

من كان على صفة الأمير من السلطان والقدرة وبسطة اليد . ولم يقصد أحدا يجعله مثلاً للحجاج . ورد الضمير إلى المنزل أوجه ، لقوله تعالى ( فأتوا بسورة من مثله ) . ( فأتوا بعشر سور مثله ) ، ( على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ) ، ولأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب ، والكلام مع رد الضمير إلى المنزل أحسن ترتيباً . وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه ، وهو مسوق إليه ومربوط به ، فحقه أن لا يفك عنه برد الضمير إلى غيره . ألا ترى أن المعنى : وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله . فها تواتم نبذاً عما يماثله ويجانسه . وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال : وإن ارتبتم في أن محمداً منزل عليه فها تواتم قرآنا من مثله . ولأنهم إذا خوطبوا جميعاً - وهم الجمل الغفير - بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم ، كان أبلغ في التحدى من أن يقال لهم : ليأتى واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد ، ولأن هذا التفسير هو الملائم لقوله : ( وادعوا شهداءكم ) والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة . ومعنى ( دون ) أدنى مكان من الشيء . ومنه الشيء الدون ، وهو الدنى الحقيق ، ودون الكتب ، إذا جمعها ، لأن جمع الأشياء إنداء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها . يقال : هذا دون ذاك ، إذا كان أحط منه قليلاً . ودونك هذا : أصله خذه من دونك . أى من أدنى مكان منك فاختصر واستعبر للتفاوت في الأحوال والرتب فقليل زيد دون عمرو في الشرف والعلم . ومنه قول من قال لعدوه <sup>(١)</sup> وقد را آه بالثناء عليه : أنا دون هذا وفوق ما في نفسك ، واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتحطى حكم إلى حكم . قال الله تعالى : ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ) أى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين . وقال أمية :

\* يَا نَفْسُ مَا لَكَ دُونَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ \* <sup>(٢)</sup>

(١) أخرجه البزار من رواية على بن أبي ربيعة قال : « جاء رجل إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فجعل يثني عليه . وكان يلقه عنه خلاف ذلك . فقال : أنا دون هذا الذى تقوله ولكنى فوق ما في نفسك » .

(٢) يا نفس مالك دون الله من واق ولا للبع بنات الدهر من راق

لامية بن أبي الصلت يقول : يا نفس ليس لك حافظ دون الله ، أى متجاوز الله ، أو متجاوزة الله ، فهو حال من الواق أو من النفس . واستعار البنات للحوادث بجامع خلازمة كل منشئه على طريق التصريحية ، ثم شبه الحوادث بالأفاعى بجامع إيذاء كل لغيره على طريق المكنية ولسمها تخييل . ويجوز أنه استعار اللسع للإصابة على طريق التصريحية . ولراق طيب اللسع ، ومن زائدة في الموضعين لتوكيد الاستغراق : أى لا حافظ لك إلا الله ، ولا جابر لك إلا هو .

أى إذا تجاوزت وقاية الله ولم تنالها لم يقك غيره . و ( من دون الله ) متعلق بادعوا أو بشهادكم . فإن علقته بشهادكم فعناه : ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق . أو ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الأعمش :

\* تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونُهُ \* (١)

أى تريك القذى قدامها وهى قدام القذى ، لرقتها وصفائها . وفى أمرهم أن يستظفروا بالجماد الذى لا ينطق فى معارضة القرآن بفصاحته : غاية التهم بهم . وادعوا شهداءكم من دون الله ، أى من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ، ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله . وهذا من المساهلة وإرخاء العنان والإشعار بأن شهداءهم وهم مدارة القوم ، (٢) الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقابلة والمناقلة ، تأبى عليهم الطباع وتجمع بهم الإنسانية والألفة أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلى فى عتمولهم إحالته ، وتعليقه بالدعاء فى هذا الوجه جائز . وإن علقته بالدعاء فعناه : ادعوا من دون الله شهداءكم ، يعنى لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا : الله يشهد أن ما ندعيه حق ، كما يقوله العاجز عن إقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام . وهذا تعجيز لهم وبيان لا تقطاعهم واتخاذهم . وأن الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبهاً غير قولهم : الله يشهد أنا صادقون . وقولهم هذا : تسجيل منهم على أنفسهم بيقينهم العجز وسقوط القدرة .

(١) وساق إذا شئنا كيش بمعشر وصهباء زباد إذا ماترقق

ترك القذى من دونها وهى دونه إذا ذاقها من ذاقها يتمطق

للأعمش فى مدح الملق عبد الرحيم بن خيثم بن شداد . والكيش : السريع . وماضى العزم : أى سريع فى سقى الناس ولو كثروا . والزباد : كرماء - : رغبة اللبن ونحوه . والترقيق : التثريب والانصباب . وترقيق : أصله ترقيق ، لحذف منه إحدى التامين ، أى تتحرك . ترك : أى الصهباء وهى الخمر ، لأن فيها لون الصبغة . والقذى ما يتساقط فى الشراب والعين . دونها : أى قدمها حائلا بينها وبينك ، والحال أنها دونه أى قدمه حائلة بينها وبينك إذا ذاقها : أى الخمر ، من ذاقها : من أراد ذوقها ، يتمطق : أى يصوت بفتح فه ومص لسانه وشفته ، أو يطبق فه ويفتحه لتذوقها فيها فيصوت . وقيل إن ضمير «ترك» عائد للرجاجة يصفها بالصفاء ، فلعله أطلق الصهباء عليه لتلونها بلون الخمرة . وضمير «ذاقها» عائد لها بمعنى الخمرة ، فيكون فى الكلام استخدام . وروى دوهى فوّه ، بدل «دونه» وفيه نوع تأييد لعود الضمير على الخمرة .

(٢) قوله «مدارة القوم» الإدارة جليدار ويخرج على هيئة الدلو ، لكنها تكون واسعة الجوف قصيرة الجوانب

اتنمى فى الماء وإن كان قليلا فتمتلئ منه . أفاده الصحاح فهى هنا مجاز . (ع)

وعز بعض العرب أنه سئل عن نسبه فقال : قرشي والحمد لله . فقيل له : قولك الحمد لله ، في هذا المقام ريبة . أو ادعوا من دون الله شهداءكم : يعنى أن الله شاهدكم لأنه أقرب إليكم من جبل الوريد ، وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم . والجن والإنس شاهدكم فادعوا كل من يشهدكم واستظفروا به من الجن والإنس إلا الله تعالى ، لأنه القادر وحده على أن يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم ، فهو في معنى قوله ( قل لئن اجتمعت الإنس والجن ... الآية ) .

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرفون أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسرته وامتياز حقه من باطله . قال لهم فإذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبأن لكم أنه معجز عنه ، فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق ؛ فأمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب . وفيه دليلان على إثبات النبوة : صحة كون المتحدث به معجزاً ، والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله . فإن قلت : انتفاء إتيانهم بالسورة واجب ، فما جاء به إذا ، الذي للوجوب دون ، إن ، الذي للشك . قلت : فيه وجهان : أحدهما أن يساق القول معهم على حسب حساباتهم وطمعهم ، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكاملهم على فصاحتهم واقتدارهم على السلام . والثاني : أن يتهم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغبلة على من يقاويه : إن غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكما به . فإن قلت : لم عبر عن الإتيان بالفعل وأى فائدة في تركه إليه ؟ قلت : لأنه فعل من الأفعال . تقول : أتيت فلانا ، فيتمالك : نعم ما فعلت . والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصاراً ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه . ألا ترى أن الرجل يقول : ضربت زيداً في موضع كذا على صفة كذا ، وشتمته ونسكت به ، ويعد كيفيات وأفعالا ، فتقول : بشما فعلت . ولو ذكرت ما أنبته عنه ، لطلال عليك ، وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل ، لاستطيل أن يقال : فإن لم تأتوا بسورة من مثله . ولن تأتوا بسورة من مثله . فإن قلت : ﴿ ولن تفعلوا ﴾ ما محملاً ؟ قلت : لا محل لها لأنها جملة اعتراضية . فإن قلت : ما حقيقة لن ، في باب النفي ؟ قلت : ولا ، ودل ، أختان في نفي المستقبل ، إلا أن في دل ، توكيداً وتشديداً . تقول لصاحبك : لا أقيم غداً ، فإن أنكر عليك قلت : لن أقيم غداً ؛ كما تفعل في : أنا مقيم ، وإنى مقيم . وهي عند الخليل في إحدى الروايتين عنه

أصلها ، لا أن ، وعند الفراء ، لا ، أبدلت ألفها نونا . وعند سيبويه وإحدى الروايتين عن الخليل : حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل . فإن قلت : من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة ؟ قلت : لأنهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقضوه ، إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال ، لاسيما والطاعنون فيه أكثف عدداً من الذابين عنه ، فحين لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة . فإن قلت : ما معنى اشتراطه في انتفاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله ؟ قلت : إنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة ، صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم يتقادوا ولم يشايعوا ، استوجبوا العقاب بالنار ؛ فقيل لهم : إن استبتم العجز فأتوا العناد ؛ فوضع ﴿ فاتقوا النار ﴾ موضعه ، لأن انتفاء النار لصيقه وضميمة ترك العناد ، من حيث أنه من نتائجه ؛ لأن من اتقى النار ترك المعاندة . ونظيره أن يقول الملك لحشمه : إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي . يريد : فأطيعوني واتبعوا أمرى ، وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط . وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة . وفائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن ، وتهويل شأن العناد بإنباء انتفاء النار منابه وإبرازه في صورته ، مشيعاً ذلك بتهويل صفة النار وتقطيع أمرها .

والوقود : ما ترفع به النار . وأما المصدر فمضموم ، وقد جاء فيه الفتح . قال سيبويه : وسمعنا من العرب من يقول : وقدت النار وقوداً عالياً . ثم قال : والوقود أكثر ، والوقود الحطب . وقرأ عيسى بن عمر الهمداني - بالضم - تسمية بالمصدر ، كما يقال : فلان غفر قومه وزين بلده . ويجوز أن يكون مثل قولك : حياة المصباح السليط ، أى ليست حياته إلا به ؛ فكأن نفس السليط حياته ، فإن قلت : صلة ، الذى ، و . التى ، يجب أن تكون قصة معلومة ، للمخاطب ، فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة ؟ قلت : لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب ، أو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم ( ناراً وقودها الناس والحجارة ) فإن قلت : فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم ، وههنا معرفة ؟ قلت : تلك الآية نزلت بمكة ، فعفرها منها ناراً موصوفة بهذه الصفة . ثم نزلت هذه بالمدينة <sup>(١)</sup> مشاربها إلى ما عرفوه أولاً .

(١) قال محمود رحمه الله : هذه الآية نزلت بالمدينة بعد نزول آية التحريم بمكة ... الخ . . قال أحمد رحمه الله  
يعنى بالآية قوله تعالى : ( قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ) لكننى لم أتف على خلاف بين المفسرين =

فإن قلت : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ ؟ قلت : معناه أنها نار متمتزة عن غيرها من النيران ، بأنها لا تنقصد إلا بالناس والحجارة ، وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أو قدت أولاً بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه ، وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة - توقد بنفس ما يحرق ويحوى بالنار ، وبأنها لإفراط حرها وشدة ذكائها إذا اتصلت بما لا تشتعل به نار ، اشتعلت وارتفع لها . فإن قلت : أنار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ، أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة ؟ قلت : بل هي نيران شتى ، منها نار توقد بالناس والحجارة ، يدل على ذلك تنكيرها في قوله تعالى : ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ ، ﴿ فأذرتكم نارا تلظى ﴾ . واعمل لكفار الجن وشیاطينهم نارا وقودها الشياطين ، كما أن لكفرة الإنس نارا وقودها هم ، جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب . فإن قلت : لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقوداً . قلت : لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا ، حيث نحتوها أصناما وجعلوها لله أنداداً أو عبدوها من دونه : قال الله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه . فقوله ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله ﴾ في معنى الناس والحجارة ، و ﴿ حصب جهنم ﴾ في معنى وقودها . ولما اعتقد الكفار في حجارته المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم ، جعلها الله عذابهم ، فقرنهم بها محماة في نار جهنم ، لإبلاغنا في إيلاهم وإعراقنا في تحسيرهم <sup>(١)</sup> ، ونحوهم ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهابهم وفضتهم عتة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق ، حيث يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم . وقيل : هي حجارة الكبريت ، وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل ﴿ أعدت ﴾ هيئت لهم وجعلت عتة لعذابهم . وقرأ عبدالله ، أعدت ، من العتاد بمعنى الغدة .

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهٖ مُنَشَبًا  
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

== أن سورة التحريم مدنية وما اشتملت عليه من القصة المشهورة أصدق شاهد على ذلك . فالظاهر أن الزمخشري وهم في نقله أنها مكية .

(١) قوله : وإعراقا في تحسيرهم ، لعله : وإغراقا ، بالغين المعجمة . (ع)



من عاداته عز وجل في كتابه أن يذكر الرغبة مع التهيب ، ويشفع البشارة بالإنذار  
إرادة التنشيط ، لا اكتساب ما يزلف ، والتنشيط عن اقتراف ما يتلف . فلما ذكر الكفار  
وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب ، قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من  
فعل الطاعات وترك المعاصي ، وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب . فإن قلت :  
من المأمور بقوله تعالى : ( وبشر ) ؟ قلت : يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
وأن يكون كل أحد . كما قال عليه الصلاة والسلام : « بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور  
التام يوم القيامة »<sup>(١)</sup> ، لم يأمر بذلك واحداً بعينه . وإنما كل أحد مأمور به ، وهذا الوجه  
أحسن وأجزل ؛ لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه ونخامة شأنه محقق بأن يبشر به كل من قدر  
على البشارة به . فإن قلت : علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهى يصح عطفه عليه ؟  
قلت : ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهى يعطف  
عليه ؛ إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ، فهي معطوفة على جملة وصف  
عقاب الكافرين ، كما تقول : زيد يعاقب بالقيد والإرهاق ، وبشر عمراً بالعبودية والإطلاق .  
ولك أن تقول : هو معطوف على قوله ( فاتقوا ) كما تقول : يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم ،  
وبشر يا فلان بنى أسد بإحسانى إليهم . وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه : ( وبشر ) على  
لفظ المبنى للفعول عطفاً على ( أعدت ) . والبشارة : الإخبار مما يظهر سرور المخبر به . ومن  
ثم قال العلماء : إذا قال لعيده : أياكم بشرني بقدم فلان فهو حز ، فبشروه فرادى ، عتق أولهم ،  
لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقيين . ولو قال مكان : بشرني ، « أخبرني » ، عتقوا  
جميعاً ، لأنهم جميعاً أخبروه . ومنه : البشارة لظاهر الجلد . وتباشير الصبح : مظهر من أوائل  
ضوئه . وأما ( فبشرهم بعذاب أليم ) فن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في  
غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه ، كما يقول الرجل لعدوه : أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك . ومنه قوله :

(١) أخرجه أبو داود . والترمذي والبراز . من طريق إسماعيل بن سليمان عن عبد الله بن أوس عن بريدة  
وقال الدارقطني : تفرد به إسماعيل . وله شاهد من رواية ثابت عن أنس وسهل بن سعد رضي الله عنهما ، أخرجه  
ابن ماجه والحاكم . وأخرجه ابن حبان عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، والطبراني من رواية ابن عباس وابن عمر  
وزيد بن حارثة وأبي موسى وأبي أمامة رضي الله عنهم بأسانيد ضعيفة . وحديث زيد في الكامل لابن عدى . وحديث  
أبي موسى عند البراز . ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة في ترجمة أحمد بن محمد بن صدقة . وقال : تفرد  
به قتادة بن الفضل عن الحسن بن علي البيروني . ورواه الطيالسي وأبو يعلى من حديث أبي سعيد وإسناده ضعيف  
أيضاً . ورواه عمر بن شامير في الترغيب له من حديث حارثة بن وهب الخزاعي .

\* فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلِ \* (١)

والصالحة نحو الحسنه في جريها مجرى الاسم . قال الخطيئة :

كَيْفَ الْهَجَاءُ وَمَا تَنَفَّكَ صَالِحَةٌ مِنْ آلِ لَامٍ بظُهُرِ الْغَيْبِ تَأْتِينِي (٢)

والصالحات : كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة ، واللام للجنس . فإن قلت : أى فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد ، وبينها داخلة على المجموع ؟ قلت : إذا دخلت على المفرد كان صالحاً لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به ، وأن يراد به بعضه إلى الواحد منه . وإذا دخلت على المجموع ، صلح أن يراد به جميع الجنس ، وأن يراد به بعضه لا إلى الواحد منه ؛ لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية ، والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه . فإن قلت : فما المراد بهذا المجموع مع اللام ؟ قلت : الجملة من الأعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف . والجنة : البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه . قال زهير :

\* تَسْقِي جَنَّةً سَحْحًا \* (٣)

(١) غضبت تميم أن تقتل عامراً يوم النصار فأعتبوا بالصيلم لبشر بن أبي حازم الأسدي . وقيم ، وعامر : قبيلتان . وهل : استفهام إنكاري . أى ليس المجرب للأمر مثلها كمن لم يجربها . ويجوز أنه أمره بالسؤال لأن الذى يسأل ويعلم ليس كمن لم يعلم . وأن تقتل : أى من أن تقتل . وروى : تقتل عامر ، بالياء للجهول . والنصار اسم ماء لبني عامر ، أى غضبت علينا تميم من قتل حلقهم فكأنها عتبت علينا لضعفها . فأعتبناهم ، أى أزلنا عنايتهم بالصيلم : وهو السيف الكثير القطع ، من صله إذا قطعه . وشبه إجابتهم بالمحاربة بالسيف باجابه من يزيل الغتاب على سبيل التصريحية التهكية . لأن الأول مكروه والثاني محبوب . (٢) للخطيئة واسمه جرول بن أوس بن حومة بن مخدوم بن مالك النطفاني ، حين وفدت العرب على التمان بن المنذر فأحضر حلالاً عظيمة وقال : إني ملتبسها غداً لمن شئت ، فلما كان الغد تخلف ابن سمدى خوف إلياسها غيره وهو حاضر فطلبه الملك وألبسه الحلال ، لحسدته سادات العرب من قومه ، وضخوا للخطيئة مائة بعير لوجهه ، فقال : كيف الهجاء له ، والحال أنت لا تنفك ففلة صالحة تأتيني من آل لأم حال كوني ملتبساً بظهر الغيب ، أو حال كونهم ملتبسين بظهر الغيب . وأقم الظهر لأن الغائب كأنه وراء الظهر ، أو لتقوية الغيب ، لأنهم إذا أرادوا تقوية شيء أسندوا له الظهر لقوته ، وكثيراً ما يجرون الصفة مجرى الاسم ، إما لعدم الاحتياج إلى ذكره كما في صالحة ، أو لأنها كافية في تعيين الموصوف إن احتيج إليه .

(٣) إن الخليط أجدوا البين فافترقا وعلق القلب من أسماء ما علقا

وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فأسمى الرهن قد غلقا

كأن عيني في غربي مقتلة من التواضع تسقى جنة سححا

زهير بن أبي سلى . والخليط المعاشر . والبين : الانفصال والبعد ، وأسماء : اسم محبوبته . وأصله من الوسامه وهى ==

أى نخلا طوالا . والتركيـب دائـر على معـنى السـتر ، وكأـنها لتكـاثفها وتظليـلها سميت بالجـنة التي هـي المـزة ، من مصـدر جنـه إذا سـتره ، كأـنها سـترة واحـدة لفرط التـفافها . وسميت دار الثواب وجـنة ، لما فيها من الجنان . فإن قلت : الجنـة مخلوقة أم لا ؟ قلت : قد اختلف في ذلك . والذي يقول إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنـة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام ، كالنبي والرسول والكتاب ونحوها . فإن قلت : ما معنى جمع الجنـة وتنكيرها ؟ قلت : الجنـة اسم لدار الثواب كلها ، وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين ، لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان . فإن قلت : أما يشترط فى استحقاق الثواب بالإيمان والعمل الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر ؛ وأن لا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية ؟ فهلا شرط ذلك ؟ قلت : لما جعل الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح ، والبشارة مختصة بمن يتولاهما ، وركز فى العقول أن الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء ، إذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه ، وأنه لا يبق مع وجود مفسده إحساناً ، وأعلم بقوله تعالى لئن لم يتعقبه صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الناس عليه وأعزهم : ( لئن أشركت ليحبطن عملك ) ، وقال تعالى للمؤمنين : ( ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم ) كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالدخل تحت الذكر . فإن قلت : كيف صورة جرى الأنهار من تحتها ؟ قلت : كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية . وعن مسروق : أن أنهار الجنة تجري فى غير أخدود . وأنزله البساتين وأكرمها منظراً ما كانت أشجاره مظلمة ، والأنهار فى خلالها مطردة . ولولا أن الماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى ، وأن الجنان والرياض وإن كانت آتق شئ وأحسنه لاتروق النواظر ولا تهج الأنفس ولا تجلب الأريحة

والنشاط حتى يجرى فيها الماء ، وإلا كان الانس الأعظم فائتاً ، والسرور الأوفر مفقوداً ، وكانت كتماثيل لا أرواح فيها ، وصور لأحياة لها ، لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قرن واحد كالشبيين لأبد لأحدهما من صاحبه ، ولما قدمه على سائر نعوتها . والنهر : المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر . يقال لبردى : نهر دمشق ، وللتيسل : نهر مصر . واللغة العالية : النهر ، بفتح الهاء . ومدار التركيب على السعة ، وإسناد الجرى إلى الأنهار من الإسناد المجازى كقولهم : بنو فلان يطوهم الطريق ، وصيد عليه يومان . فإن قلت : لم نكرت الجنات وعزفت الأنهار . قلت : أما تنكير الجنات فقد ذكر . وأما تعريف الأنهار فإن يراد الجنس ، كما تقول : لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب وألوان الفواكه ، تشير إلى الأجناس التى فى علم المخاطب . أو يراد أنهارها ، فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله : ( واشتعل الرأس شيباً ) . أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة فى قوله : ( فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه - الآية ) .

وقوله ﴿ كلوا رزقوا ﴾ لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أو جملة مستأنفة ؛ لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا ، أم أجناس آخر لا تشابه هذه الأجناس ؟ ف قيل إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا ، أى أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله . فإن قلت : ما موقع ﴿ من ثمرة ﴾ ؟ قلت : هو كقولك : كلوا أكلت من بستانك من الرمان شيئا حدثك . فوقع ﴿ من ثمرة ﴾ موقع قولك من الرمان ، كأنه قيل : كلوا رزقوا من الجنات من أى ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غيرها ذلك رزقا قالوا ذلك . فمن الأولى والثانية كلتاها لا ابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات ، والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة . وتنزيله تنزيل أن تقول : رزقنى فلان ، فيقال لك : من أين ؟ فتقول : من بستانه ، فيقال : من أى ثمرة رزقك من بستانه ؟ فتقول : من رمان . وتحريره أن « رزقوا » جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ، ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات ، مبتدأ من ثمرة ، وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفضة على هذا التفسير ، وإنما المراد النوع من أنواع الثمار . ووجه آخر : وهو أن يكون ﴿ من ثمرة ﴾ بيانا على منهاج قولك : رأيت منك أسدا . تريد

أنت أسد . وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار ، والجنات الواحدة . فإن قلت : كيف قيل ( هذا الذى رزقنا من قبل ) وكيف تكون ذات الحاضر عندهم فى الجنة هى ذات الذى رزقوه فى الدنيا ؟ قلت : معناه هذا مثل الذى رزقناه من قبل (١) وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابها ، وهذا كقولك : أبو يوسف أبو حنيفة ، تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته . فإن قلت : لإلام يرجع الضمير فى قوله : ( وأتوا به ) ؟ قلت : إلى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعاً ؛ لأن قوله : ( هذا الذى رزقنا من قبل ) انطوى تحته ذكر مارزقوه فى الدارين . ونظيره قوله تعالى : ( إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ) أى بجنسى الغنى والفقير لدلالة قوله : غنياً أو فقيراً على الجنسين . ولو رجع الضمير إلى المتكلم به لقيس أولى به على التوحيد . فإن قلت : لآى غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة ، وما بال ثمر الجنة لم يكن أجناساً آخر ؟ قلت : لأن الإنسان بالمألوف آنس ، وإلى المعهود أميل ، وإذا رأى مالم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ، ولأنه إذا ظفر بشيء من جنس ماسلف له به عهد وتقدم له معه ألف ، ورأى فيه مزية ظاهرة ، وفضيلة بينة ، وتفاوتاً بينه وبين ماعهد بليغاً ، أفرط ابتهاجه واغتيباطه ، وطال استعجابه واستغرابه ، وتبين كنه النعمة فيه ، وتحقق مقدار الغبطة به . ولو كان جنساً لم يعهده وإن كان فائقاً ، حسب أن ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك ، فلا يتبين موقع النعمة حق التبين . فحين أبصروا الرمان من رمان الدنيا ومبلغها فى الحجم ، وأن الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ، ثم يبصرون رقانة الجنة تشيع السكن . والنبقة من نبق الدنيا فى حجم الفلكة ، ثم يرون نبق الجنة كقلال فخر ، كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ، ثم يرون الشجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، كان ذلك أبين للفضل ، وأظهر للزينة ، وأجلب للسرور ، وأزيد فى التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما . وترديد هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها ، دليل على تناهى الأمر وتمسك الحال فى ظهور المزية وتمام الفضيلة ، وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذى يستملى تعجبهم ، ويستدعى تبجحهم فى كل أوان . عن مسروق : « نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها ، وثمرها أمثال القلال ، كلما نزع ثمرة عادت مكانها أخرى ، وأنهارها تجري فى غير أخدود ، والعنقود اثنتا عشرة

(١) قال محمود رحمه الله : ومعناه هذا مثل الذى رزقناه من قبل ... الخ . قال أحمد رحمه الله : وهذا من التشبيه

بغير الآداة ، وهو أبلغ مراتب التشبيه ، كقولهم : أبو يوسف أبو حنيفة .

ذراعا . ويجوز أن يرجع الضمير في (أتوا به) إلى الرزق ، كما أن هذا إشارة إليه ، ويكون المعنى : أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانساً في نفسه ، كما يحكى عن الحسن : يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها . ثم يؤتى بالآخرى فيقول : هذا الذى أتينا به من قبل ، فيقول الملك : كل ، فاللون واحد والطعم مختلف . وعنه صلى الله عليه وسلم : «والذى نفس محمد بيده» (١) ، إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة لياً كلها فاهى بواصلة إلى فيه حتى يبذل الله مكانها مثلها ، فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك . والتفسير الأول هو هو . فإن قلت : كيف موقع قوله : (وأتوا به متشابهاً) . من نظم الكلام ؟ قلت : هو كقولك : فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل . ورأى من رأى كذا وكان صواباً . ومنه قوله تعالى : (وجعلوا أعزّة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) وما أشبه ذلك من الجمل التى تساق فى الكلام معترضة للتقرير . والمراد بتطهير الأزواج : أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة ، وما لا يختص بهن من الأفذار والأدناس . ويجوز لجيشه مطلقاً : أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذى عليه نساء الدنيا ، مما يكتسبن بأنفسهن ، ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ، ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثن وكيدهن . فإن قلت : فهلا جاءت الصفة بمجموعة كما فى الموصوف ؟ قلت : هما لغتان فصيحتان . يقال : النساء فعلى ، وهن فاعلات وفواعل ، والنساء فعلت ، وهى فاعلة . ومنه بيت الحماسة :

وَإِذَا الْعَذَارَى بِالْذُّخَانِ تَفَنَّنَتْ      وَاسْتَعْجَلَتْ نَعْبَ الْقُدُورِ فَلَّتْ (٢)

(١) أخرجه الطبرانى والبرار والحاكم من حديث ثوبان بلفظ «لا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمرها شيئاً إلا أخاف الله مكانها مثلها» ، ولفظ البرار : «إلا أعيد فى مكانها مثلها» ، على التثنية . وسيأتى فى آخر الزخرف .

(٢) وإذا العذارى بالذخان تفننت      واستعجلت نعب القدور فلتت  
دارت بأرذاق العناة مفاق      يبدى من قع العشار الجلة  
ولقد رابت نأى العشرة بينها      وكفيت جانبها اللثا والى

لسمى بن ربيعة بن جفنة الضبي وشبه استتار الأبقار بالذخان أسوداهن به باستتارهن بالقناع على طريق التصریح أو شبه الذخان به على طريق المكينة . ومات : شوت الليل بأن تضع اللحم أو الخبز على الحجر فيضج . ويروى «درت» بدل «دارت» ، أى كثر بذلك . والغاة : حلاب الرزق . والمفاق : سهام الميسراتى تغلق الخطر وتلبته للغالب . والقمع : قطع السنام جمع قع . والعشار : النوق التى معنى على حملها عشرة أشهر . والجلة : السهام العظيمة السنام ، جمع جليل كصية جمع صبي ، أى إذا جذب الزمان ، حتى أن الأبقار مع فرط حيائهن وصونهن ، يقبلن على الذخان ويشتون على الحجر ، ويأكلن ولا يصبرن لنضج القدور من الجوع بذلت للناس بكثرة . ويعتدل أن غدواته تباشر تصيح قرى الضيفان بأنفسهن فيبذله لهم والأول أبلغ . ورابت : أصلحت . والثأى الفساد وكفيت =

والمعنى وجماعة أزواج مطهرة<sup>(١)</sup> . وقرأ زيد بن علي (مطهرات) وقرأ عبيد بن عمير : مطهرة ، بمعنى متطهرة . وفي كلام بعض العرب : ما أحوجني إلى بيت الله . فأطهر به أطهرة . أى فأتطهر به تطهرة . فإن قلت : هلا قيل طاهرة ؟ قلت : في «مطهرة» غمامة لصفتهن ليست في طاهرة ، وهى الإشعار بأن مطهراً طهرهن . وليس ذلك إلا الله عز وجل المرید بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم .

والخلد : الثبات الدائم والبقاء اللازم الذى لا ينقطع . قال الله تعالى : ( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفون مت فهم الخالدون ) . وقال امرؤ القيس :

أَلَا أَنْعَمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الظَّلُّ الْبَالِي      وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي  
وَهَلْ يَنْعَمَنَّ إِلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ      قَلِيلُ الْهُمُومِ مَا بَيَّيْتُ بِأَوْجَالِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ أَنْ يُضْرَبَ مَثَلًا مَا بُعِثَ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا

== من جنى منها . وروى دجانباء بالموحدة الداهية الصغيرة والكبيرة . واللتيا : تصغير التى كغيرها من الموصولات التى سمع تصغيرها ، وزيدت الألف فى آخرها عوضاً عن ضم التصغير ، وهى بفتح اللام . وقال الأخفش بضمها على قياس التصغير وإن كان شاذاً فى الأسماء المبنية كما هنا . واستغنت عن الصلة لثقلها بالتصغير عن معنى الموصولية وحمل عليها ، التى ، لأنها لما ذكرت فى مقابلتها كان معناها الداهية العظيمة فلم يكن قصد إلى معنى الموصولية أيضاً . وقيل يجوز حذف الصلة للدليل ، فيقدر هنا : اللتيا صغرت ، والتى عظمت . ثم إن هذا من قبيل الأمثال السائرة . وأصله أن رجلاً تزوج امرأة قصيرة فقامى منها العداوند ، ثم زوج طويلة أيضاً فقامى ضحك ذلك ، فطلقهما وقال : بعد اللتيا والتى لا أتزوج أبداً .

(١) قوله « وجماعة أزواج مطهرة » لعل الواو مزيدة من الناسخ ، أو لعل أصله ولهم فيها جماعة أزواج . (ع)

(٢) لا مرى القيس . وألا استفحاجية . وأنعم صباحاً : تحية الجاهلية ، أى طاب عيشك . ويخفف فيقال نعم ، كما روى هنا . وكذلك «يعمن» روى هنا أيضاً . ونعم ينعم كضرب يضرب : ونعم ينعم كعمل سهل . ونعم ينعم كعلم يعلم . ونعم ينعم بكسر عيها وهو قليل ، بمعنى صار ناعماً لنا . وخص الصباح لأنه وقت الفارات . والظلل : ما بقى من آثار الديار . والبالى : الفانى . والمراد تحية أهل الظلل ثم تذكر الخطأ فى تحيتهم فقال : لا يتنعم من كان فى الزمن الماضى وهو اليوم فان ، فلا استفهام إنكارى : والخلد : طويل العمر بحيث لا يفنى . والأوجال : جمع وجل وهو الخوف ، والباء للبابسة . ويجوز أنها للظرفية تحيلاً .

يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْعُوعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾

سبقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغروه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضر وبأبها المثل ، ليس بموضع للاستنكار والاستغراب ، من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب ، وإدناء المتوهم من المشاهد . فان كان الممثل له عظيماً كان الممثل به مثله ، وإن كان حقيراً كان الممثل به كذلك . فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذاً إلا أمراً تستدعيه حال الممثل له وتستجرحه إلى نفسها ، فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية . ألا ترى إلى الحق لما كان واضحاً جلياً أبلغ ، كيف تمثل له بالضياء والنور ؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته ، كيف تمثل له بالظلمة ؟ ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً لله تعالى لاحال أحقر منها وأقل ، ولذلك جعل بيت المنكوبات مثلها في الضعف والوهن ، وجعلت أقل من الذباب وأخس قدراً ، وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلام يستنكر ولم يستبدع ، ولم يقل للممثل : استحي من تمثيلها بالبعوضة ، لأنه مصيب في تمثيله ، محق في قوله . سائق للمثل على قضية مضربه ، محتذ على مثال ما يحتمكه ويستدعيه ، وليبان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بنظر العقل ، إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا يمتز الشبهة بساحته ، والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله . وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم ، وغضبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم ، أو عرفوا أنه الحق إلا أن حب الرياسة وهوى الآف والعادة لا يخلجهم أن ينصفوا ، فإذا سمعوه عاندوا <sup>(١)</sup> وكابروا وقضوا عليه بالبطلان ، وقابلوه بالإنكار ، وأن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وإنهم ماك الفاسقين في غيهم وضلالهم . والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والحوام ، وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء

(١) قوله « فإذا سمعوه عاندوا » لعل زيادة الفاء في خبر أن لشبه اسمها بالشرط . (ع)



فقالوا : أجمع من ذرة ، وأجرأ من الذباب ، وأسمع من قراد ، وأصرد من جرادة <sup>(١)</sup> ، وأضعف من فراشة ، وآكل من الدوس . وقالوا في البعوضة : أضعف من بعوضة ، وأعز من مخ البعوض . وكلفتني مخ البعوض . ولقد ضربت الأمثال في الإنجيل بالاشياء المحقرة ، كالزوان والنخالة <sup>(٢)</sup> وحب الخردل ، والحصاة ، والارضه ، والدود ، والزناير . والتمثيل بهذه الاشياء بأحقق منها مما لا تغنى استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ، ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذى لا يبق له متمسك بدليل ولا متشبث بأماره ولا إقناع ، أن يرمى لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة إذا لم يجد سوى ذلك معقولا . وعن الحسن وقتادة : لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للبشر كين به المثل ، ضحكتم اليهود وقالوا : ما يشبه هذا كلام الله . فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم . واشتقاقه من الحياة . يقال : حي الرجل ، كما يقال : نسي وحشي وشطى الفرس ، إذا اعتلت هذه الأعضاء <sup>(٣)</sup> جعل الحي لما يعتريه من الانكسار والتغير ، منتكس القوة منتقص الحياة ، كما قالوا : هلك فلان حياء من كذا ، ومات حياء ، ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء . وذاب حياء ، وجد في مكانه خجلا . فإن قلت : كيف جاز وصف القديم سبحانه به <sup>(٤)</sup> ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم ، وذلك في حديث سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله حي كريم <sup>(٥)</sup> يستحي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا » . قلت :

(١) قوله « وأصرد من جرادة » في الصحاح : صرد الرجل بالكسر فهو صرد ومصراد : يجد البرد سريعا (غ)

(٢) قوله « كالزوان والنخالة » في الصحاح : الزوان حب يخاط البر (ع)

(٣) قوله « إذا اعتلت هذه الأعضاء » عرق النسا والحشا والشطى . وفي الصحاح : اشطى عظم مستدق ملزق

بالذراع ، فإذا تحرك في موضعه قيل : قد شطى الفرس (ع)

(٤) قال محمود رحمه الله : « إن قلت كيف جاز وصف الله تعالى بالاستحيائية ... الخ ، قال أحمد رحمه الله : ولقائل أن يقول : ما الذى دعاه إلى تأويل الآية مع أن الحياء الذى يخشى نسبة ظاهره إلى الله تعالى مسلوب في الآية كقولنا : الله ليس بحيم ولا مجوهر في معرض التنزيه والتقديس . وأما تأويل الحديث فستقيم ، لأن الحياء فيه ثبت لله تعالى . وللعنشى أن يجب بأن السلب في مثل هذا إنما يطرأ على ما يمكن نسبته إلى المسلوب عنه . إذ مفهوم نفي الاستحياء عنه في شيء خاص ، ثبوت الاستحياء في غيره ، فالحاجة داعية إلى تأويله لما أفنى إليه مفهومه . وإنما يتوجه السؤال لو كان الاستحياء مساوبا مطلقا ، كقولنا : الله لا يحول ولا يزول ؛ فإن ذلك لا يثبت ومحال ، بل يقال : هو مقدس منزه مطلقا ،

(٥) أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديثه بلفظ « إن ربكم حي كريم يستحي »

هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخيب العبد وأنه لا يردّ يديه صفراً من عطائه لكرمه بترك من يترك ردّ المحتاج إليه حياء منه . وكذلك معنى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ﴾ أى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يتمثل بها لحقارتها . ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة ، فقالوا : أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت لجأته على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال . وهو فن من كلامهم بديع ، وطراز عجيب ، منه قول أبي تمام :

مَنْ مُبْلَغُ أَفْنَاءٍ يَعْرُبُ كُلَّهَا      أَيْ بَنِيَتْ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ ؟ <sup>(١)</sup>

وشهد رجل عند شرح . فقال : إنك لسبط الشهادة . فقال الرجل : إنها لم تجعدي . فقال : لله بلادك ، وقبل شهادته . فالذى سوغ بناء الجار وتجديد الشهادة هو مراعاة المشاكلة . ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار . وسبوطه الشهادة لا تمتنع تجعديها . والله دَرَّ أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها ، لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسدّ مدارجه . وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه :

إِذَا مَا اسْتَحْيَيْنَ الْمَاءَ يَعْزِضُ نَفْسَهُ      كَرَعْنِ بِسَبْتٍ <sup>(٢)</sup> فِي إِنْاءٍ مِنَ الْوَرْدِ <sup>(٣)</sup>

== من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صفراً « قال الترمذى : حسن غريب . ورواه بعضهم ولم يرفعه . وفي الباب عن أنس رضى الله عنه . أخرجه عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبان عنه . وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق أبان . وأخرجه الحاكم من طريق حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة قال : حدثني أنس بن مالك رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله رحيم حتى كريم يستحي من عبده أن يرفع يديه ثم لا يضع فيهما خيراً ، وعن جابر أخرجه أبو يعلى . وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر وهو متروك . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أخرجه الطبرانى .

(١) لا يتمام . وفناء الدار : دامت من جوانبها ، وجمعه أفنية . ويقال : هو من أفناء الناس ، إذا لم يعلم أى قبيلة هو ، أى من أطرافهم . ويعرب : اسم قبيلة ، وبناء الجار : اتخاذه ، سماء بناء للشاكلة التقديرية حيث قرنه بما يبنى وهو المنزل وموْجَاز بجامع معانٍ الاتخاذ أو علاقته المجاورة الذهنية أو اللفظية ، وهذه العلانة تجرى في كل مشاكلة . ولم يرتفع بعضهم ، واختار أنها إن لم يوجد لها علاقة فهى قسم رابع لاحقيقة ولا مجاز ولا كناية .

(٢) (قوله بسبت في إناء من الورد) في الصحاح : السبت بالكسر جلود البقر المدبوجة بالقرظ اه وهو في البيت مجاز كالإناء من الورد (ع)

(٣) كفانا الربيع العيس من بركاته      لجأته لم تسمع حذاء سوى الرعد

إذا ما استحَيْنَ الْمَاءَ يَعْزِضُ نَفْسَهُ      كَرَعْنِ بِسَبْتٍ فِي إِنْاءٍ مِنَ الْوَرْدِ

للتنبي . والعيس : الابل . والربيع : المطر . والحذاء : الغناء للابل ، والاستثناء متصل على تشبيه الرعد بالحذاء ، وجعله من أفرادها ، أى : كفانا حاجة العيس لكثرة ، حتى كأنه يعرض نفسه على النوق . ويقال : استحي واستحى كأنها ==

وقرأ ابن كثير في رواية شبل ( يستحي ) بياء واحدة . وفيه لغتان : التعدى بالجاز والتعدى بنفسه . يقولون : استحييت منه واستحييته ، وهما محتملتان ههنا .

وضرب المثل : اعتماده وصنعه ، من ضرب اللبن وضرب الخاتم . وفي الحديث : اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهب ، <sup>(١)</sup> و <sup>(٢)</sup> هذه إيهامية <sup>(٣)</sup> وهى التى إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إيهاماً وزادته شياعاً وعموماً ، كقولك : أعطنى كتاباً ما ، تريد أى كتاب كان . أو ضلة للتأكيد ، كالتى فى قوله : ( فيما نقضهم ميثاقهم ) كأنه قيل : لا يستحي أن يضرب مثلاً حقاً أو البتة ، هذا إذا نصبت **(بعوضة)** فإن رفعتها فهى موصولة ، <sup>(٣)</sup> صلتها

== أى إذا خشين من عرض نفسه عليهن ، أو امتنعن منه . وروى « استجبن » بالجمع فالوحدة ، أى أطلعنه فى عرض نفسه عليهن . وجملة « يعرض نفسه » حالية . واستعار السبت بالكسر - وهو الجلد المدبوغ بالقرظ - لمشافه التوق على طريق التصريح . وكذلك استعار الاناء من الورد للبركة التى كثر زهرها ونورها ، وإن لم يكن ذلك الاناء موجوداً و « فى » بمعنى « من » . ويجوز أنه جعل الأرض ظرفاً للشرب .  
(١) أخرجه مسلم من حديث أنس رضى الله عنه .

(٢) قال محمود رحمه الله : « وما هذه إيهامية ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : وفيها وهم لإمام الحرمين فى تقرير نصوصية العموم فى قوله عليه الصلاة والسلام : « أيما امرأة تكهت بغير إذن وليها ... الحديث » فانه قرر العموم والابهام فى أى ، ثم قال : فإذا انضافت إليها ما الشرطية كان ذلك أبلغ فى اقتضاء العموم ، فاعتقد أن المؤكدة هى الشرطية ، وإنما هى حرف مزيد لهذا الغرض . وأما « ما » الشرطية فاسم كمن . والله الموفق .

(٣) قال محمود : « هذا إذا نصبت بعوضة » ، فإن رفعتها فهى موصولة ... إلى قوله : ووجه آخر جميل وهو أن تكون ... الخ » . قال أحمد : حملها على الاستفهامية بالمعنى الذى قرره : فيه نظر ؛ لأن قوله تعالى « فسا فوقها » فى الحفارة فيكون معناه : فسا دونها . وإما أن يراد فسا هو أكبر منها حجاً . وعلى كلا التقديرين يتقدر الاستفهام : لأنه إنما يستعمل فى مثل : ما دينار وديناران ، أى إذا جاد بالكثير فسا القليل . وإذا ذهب فى الآية هذا المذهب لم نجد لصحته مجالاً ، إذ يكون المراد : إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً بالمحققات ، فسا البعوضة وما هو أحقر منها . وقد فرضنا أنها فى أحد الوجهين نهاية فى المحقرات ، وفى الوجه الآخر ليست نهاية ، بل النهاية فى قوله ( فسا فوقها ) أى درتها . فإذا حل ما بعد الاستفهام على النهاية فى الوجهين جميعاً لم ينتظم التنبيه المذكور ، بل يتعكس الغرض فيه ؛ إذ المقصود فى مثل قولنا : فلان لا يزال يعطاء الأولف فسا الدينار الواحد - التنبيه على أن إعطاء القليل منه يحقق يعطائه الكثير بطريق الأولى ، ولا يتحقق فى الآية على هذا التقدير أنه لا يستحي من ضرب المثل بالمحققات انتهى لاتبلغ النهاية ، فكيف يستحي من ضرب المثل بما يبلغ النهاية فى الحفارة كالبعوضة . هذا عكس لنظم الأولوية ، ولو كانت الآية ملاً واردة على غير هذا التكلم كقول القائل : إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً بالبعوضة التى هى نهاية فى الحفارة ، فسا الانعام التى هى أبهى من البعوضة أو أبعد منها عن الحفارة بما لا يخفى ، لكان تقرير الزمخشري متوجهاً ، وما أراه والله أعلم إلا وأما فى هذا الوجه . وما طولت النفس ووسعت العبارة فى الاعتراض عليه ، إلا أنه محل ضيق ومعنى متعاض لا يخلص إلى الفهم إلا بهذا المزيد من البسط . وناهيك بموضع العكس على فهم الزمخشري بل مع تعود فهمه وإصابة نسجه ، خصوصاً فى تنسيق المعانى وتفصيلها والله الموفق . وما توجهه بالشور على الوجه ==

الجملة : لأن التقدير : هو بعوضة ، فحذف صدر الجملة كما حذف في ( تماما على الذى أحسن )  
 ووجه آخر حسن جميل ، وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل  
 الله لأصنامهم بالمحقرات قال : إن الله لا يستحي أن يضرب للأنداد ما شاء من الأشياء المحقرة  
 مثلا ، بله البعوضة فما فوقها ، كما يقال : فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران . والمعنى :  
 أن الله أن يتمثل للأنداد وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه وأقل ، كما لو تمثّل بالجزم الذى  
 لا يتجزأ وبما لا يدركه<sup>(١)</sup> لتناهيه في صغره إلا هو وحده بلفظه ، أو بالمعدوم ، كما تقول العرب :  
 فلان أقل من لا شيء في الغدد . ولقد ألم به قوله تعالى ( إن الله يعلم ما يدعون من دونه من  
 شيء ) وهذه القراءة تعزى إلى رؤية بن العجاج ، وهو أَمْضَغ العرب للشيخ والقيصوم ،  
 والمشهود له بالفصاحة ، وكانوا يشبهون به الحسن ، وما أظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا  
 الوجه ، وهو المطابق لفصاحته . وانتصب ( بعوضة ) بأنها عطف بيان لمثلا . أو مفعول  
 ليضرب ، و ( مثلا ) حال عن النكرة مقدمة عليه . أو انتصبا مفعولين فجري « ضرب »  
 مجرى « جعل » . واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب . يقال : بعضه  
 البعوض . وأنشد :

لِنَعْمَ الْبَيْتُ بَيْتُ أَبِي دِنَارٍ إِذَا مَاخَافَ بَعْضُ الْقَوْمِ بَعْضًا<sup>(٢)</sup>

ومنه : بعض الشيء لأنه قطعه منه . والبعوض في أصله صفة على فِعُولٍ كاقطوع فغلبت ،  
 وكذلك الخوش<sup>(٣)</sup> (فما فرقها) فيه معنيان : أحدهما : فَمَا تَجَاوَزَهَا وَزَادَ عَلَيْهَا فِي الْمَعْنَى الَّذِي  
 ضربت فيه مثلا ، وهو القلة والمقاراة ، نحو قولك - لمن يقول : فلان أسفل الناس وأنذلهم - :

== الذى ظن أن رؤية بن العجاج راعاه في قراءته ، فكلام ريك توهم أن القراءة موكولة إلى رأى القارئ وتوجيه لها  
 ونصرت به بالعربية وفصاحته في اللغة ، وليس الأمر كذلك ، بل القراءة على اختلاف وجوها وبعد حروفها : ستة  
 تنبغ ، وسماع يقضى بقله ، الفصح وغيره على حد سواء ، لا حيلة للفصيح في تعمير شيء منه عما سمعه عليه ، وما  
 يصنع بفصاحته في القرآن الذى بدد كل فصاحة وعزل كل بلاغة . فالصحيح والمعتقد أن كل قارئ معزول إلا عما  
 سمعه فوعاه ، وتلفته من الأنواء ، فأداه إلى أن ينتهى ذلك إلى استماع من أفصح من نطق بالضاد : سيدنا محمد عليه  
 أفضل الصلاة والسلام ، فنأمل هذا الفصل فإن فاهمه قليل

(١) قوله « وبما لا يدركه » لعله : أو بما . (ع)

(٢) المراد بالبيت : الكلمة التي تمنع البعوض ليالي الصيف عن فيها : وأبو دينار : اسم رجل . والدينار :  
 ما يلبس فوق الثياب إذا خاف بعض القوم بعض البعوض ، أى قطعه ولذمه . ويعتدل أن المعنى : نعم السأوى والمليأ  
 بيت أبي دينار ، أخاف بعض الناس من شر بعضهم . ففيه التورية وهي من بديع الكلام .

(٣) قوله « وكذلك الخوش » ، في الصحاح : الخوش - بالفتح - : البعوض . (ع)

هو فوق ذاك ، تريد هو أبلغ وأغرق فيما وصف به من السفالة والندالة . والثاني : فما زاد عليها في الحجم ، كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت ، لأنهما أكبر من البعوضة . كما تقول لصاحبك - وقد ذم من عرفته يشح بأدنى شيء فقال : فلان بخل بالدرهم والدرهمين - : هو لا يبالي أن يبخل بنصف درهم فما فوقه ، تريد بما فوقه ما يبخل فيه وهو الدرهم والدرهمان ، كأنك قلت : فضلا عن الدرهم والدرهمين . ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن إبراهيم عن الأسود قال : دخل شاب من قريش على عائشة رضي الله عنها وهي بمنى وهم يضحكون . فقالت : ما يضحكم ؟ قالوا : فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب . فقالت : لا تضحكوا . إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت بها عنه خطيئة <sup>(١)</sup> . يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة التمرة في قوله عليه الصلاة والسلام : ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياها حتى نخبة التمرة <sup>(٢)</sup> ، وهي عضتها . ويحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع كالخروز على طنب الفسطاط . فإن قلت : كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر ؟ قلت : ليس كذلك ، فإن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات ، وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا <sup>(٣)</sup> ، وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها ، ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجلها للبصر الحاذ إلا تحركها ، فإذا سكنت فالتسكون يواربها ، ثم إذا لوح لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها ، فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقها ويصير بصرها ويطلع على ضميرها ، ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر ( سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون ) وأنشدت لبعضهم :

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبُعُوضِ جَنَاحَهَا      فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْأَلِيلِ  
وَيَرَى عُرُوقَ نِيَابِطِهَا فِي تَحْرِهَا      وَالْأَسْحَ فِي تِلْكَ الْعِظَامِ الثَّجَلِ  
أَغْفِرْ لِعَبْدٍ تَابَ مِنْ قَرَّاطِهِ      مَا كَانَ مِنْهُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ <sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة .

(٢) لم أجده . وأصل الحديث - دون ما في آخره - مروى بطرق كثيرة .

(٣) كأنه يشير إلى حديث مهمل بن سعد مرفوعا ، لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسق كافرا منها

شجرة ماء . . أخرجه الترمذی .

(٤) للزحشرى ، وإن كانت عادته في الكتاب أن لا ينسب شعره لنفسه . يقول : يا الله يا مبصر الخفيات حتى =

و ﴿أما﴾ حرف فيه معنى الشرط ، ولذلك يجاب بالفاء . وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد . تقول : زيد ذاهب . فإذا قصدت توكيد ذاك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت : أما زيد فذاهب . ولذلك قال سيويه في تفسيره : مهما يكن من شيء فزيد ذاهب . وهذا التفسير مدل لفائدتين : بيان كونه توكيداً ، وأنه في معنى الشرط . ففي إيراد الجملتين مصدرتين به - وإن لم يقل : فالذين آمنوا يعلمون ، والذين كفروا يقولون - إحماد عظيم لأمر المؤمنين ، واعتداد بعلمهم أنه الحق ، ونعى على الكافرين إغفالهم حظهم . وعنادهم ورميهم بالكلمة الحقها . و ﴿الحق﴾ الثابت الذي لا يسوغ إنكاره . يقال : حق الأمر ، إذا ثبت ووجب . وحقت كلمة ربك ، وثوب محقق : محكم النسيج : و ﴿ماذا﴾ فيه وجهان : أن يكون ذا اسماً موصولاً بمعنى الذي ، فيكون كلمتين . وأن يكون ( ذا ) مركبة مع ( ما ) مجعولتين اسماً واحداً فيكون كلمة واحدة ، فهو على الوجه الأول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته . وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ( ما ) وحده لو قلت : ما أَرَادَ الله . والأصوب في جوابه أن يحىء على الأول مرفوعاً ، وعلى الثاني منصوباً ، ليطابق الجواب السؤال . وقد جئوا عكس ذلك تقول - في جواب من قال : ما رأيت ؟ - خير ، أى المرفئ خير . وفي جواب ما الذى رأيت ؟ خيراً ، أى رأيت خيراً . وقرئ قوله تعالى : ( يسألونك ماذا ينفقون قل العفو ) بالرفع والنصب على التقديرين . والإرادة تقيض الكراهة ، وهى مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك . وفي حدود المتكلمين : الإرادة معنى يوجب للحي تحالاً لأجلها يقع منه الفعل على وجهه دون وجه . وقد اختلفوا في إرادة الله ، فبعضهم على أن للبارى مثل صفة المريد منا التى هى التصد ، وهو أمر زائد على كونه عالماً غير ساه . وبعضهم على أن معنى إرادته لأفعاله هو أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره . ومعنى إرادته لأفعال غيره أنه أمر بها . والضمير فى ﴿أنه الحق﴾ للذيل ، أو لأن يضرب . وفى قولهم ( ماذا أَرَادَ الله بهذا مثلاً ) استردال واستحتمار كما قالت عائشة رضى الله عنها فى عبد الله بن عمرو بن العاصى <sup>(١)</sup> يا عجبا لابن عمرو

== مد البعوض جناحها فى ظلة الليل . والبهيم : المظلم ، لانهم الأشياء فيه . والآليل : أفعال تفضيل من الليل . وإن كان جامداً - للبالغة فى الظلة . والنباط : عرق غليظ منوط بالقلب تتصل به عروق رقيقة . والنحر : أسفل العنق والمخ : ما فى وسط العظام . والنحل : جمع ناحل ، أى دقيق . والفرطات : ذنوبه التى فرطت منه . و ما كان ، مفعول « أغفر » . والزمان الأول : زمن الشباب .

(١) هو قطعة من حديث أخرجه مسلم فى كتاب الحيض من رواية عبيد بن عمير قال « بلغ عائشة أن عبد الله ابن عمرو بن العاص كان يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رموسهن ، فقالت عائشة : يا عجبا لابن عمرو هذا يأمر النساء . . . الحديث » .

هذا؟ ﴿مثلاً﴾ نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غث : ماذا أردت بهذا جواباً .  
ولمن حمل سلاحاً ردياً . كيف تنتفع بهذا سلاحاً ؟ أو على الحال ، كقوله : ( هذه ناقة الله لكم  
آية ) . وقوله : ﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً﴾ جاز مجرى التفسير والبيان للجملتين  
المصدرتين بأما ، وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف  
بالكثرة ، وأن العلم بكونه حقاً من باب الهدى الذى ازداد به المؤمنون نوراً إلى نورهم ، وأن  
الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التى زادت الجاهلة خطباً في ظلماتهم . فإن قلت : لم وصف  
المهديون بالكثرة - والقلة صفتهم <sup>(١)</sup> ، ( وقليل من عبادة الشكور ) ، ( وقليل مأم ) ، الناس  
كإبل مائة لا تجد فيها راحلة ، وجدت الناس أخبر ثقلة ؟ قلت : أهل الهدى كثير في أنفسهم ،  
وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال . وأيضاً فإن القليل من  
المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة ، فسموا ذهاباً إلى الحقيقة كثيراً :

إِنَّ الْكَرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ قَلُّوا كَمَا غَيْرُهُمْ قَلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا <sup>(٢)</sup>

وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب <sup>(٣)</sup> : لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم

(١) قال محمود رحمه الله : فإن قلت : كيف وصف المهديون بالكثرة ... الخ ؟ قال أحد رحمه الله : جوابه  
صحيح ، وتظيره بالبيت وهم : لأن الشاعر إنما ذهب إلى أن عدد الكرام وإن كان قليلاً في نفسه فالواحد منهم  
لعموم نفعه وأبساط كرمه يقوم مقام ألف من جنسه مثلاً . وعدد اللثام وإن كثروا فالأكثر منهم يعدون بواحد  
من غيرهم ، لعل أيديهم وانقباضها عن الجود ، وعدم تعدى نفع منهم إلى غيرهم ، كقول ابن زيد :

الناس ألف منهم كواحد وواحد كآلف إن أمر عرا

وأما الآية فمضمونها أن عدد المهديين كثير في نفسه ، ومضمون الآيات الأخرى أنه قليل بالنسبة إلى كثرة عدد  
الضالين ، فعبر عنه تارة بالكثرة نظراً إلى ذاته ، وتارة بالقلة نظراً إلى غيره ، فليس معنى البيت من الآية في شيء .  
(٢) القل - بالفتح - : القليل ، وهو المراد . وبالضم : بمعنى القلة ، ويستعمل بمعنى القليل أيضاً . وبالكسر : بالارتعاد  
غضباً . يقول : إن الكرام في الدنيا كثير لكثرة خيرهم ، لأن التكريم يقاوم ألف لثيم ، والحال أنهم قليل في العدد  
كما أن غيرهم - يعنى اللثام - قليل في الخير وإن كثروا في العدد . فوجه الشبه اجتماع الكثرة والقلة في كل على التوزيع .

(٣) قال محمود رحمه الله : . ونسبة الإضلال إلى الله تعالى من إسناد الفعل إلى السبب ... الخ . قال أحد  
رحمه الله : جرى على سنة السببية في اعتقاد أن الاضرار بالله وأنت الإضلال من جملة المخلوقات الخارجة عن عدد  
مخلوقاته عز وجل ، بل من مخلوقات العبد لنفسه على زعم هذه الطائفة - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً -  
وانظر إلى ضيق الخناق ، فغلبة الحكايات لاهلقات المشايخ فرتب عليها حقائق العقائد ، وهذا من ارتكاب الهوى  
واقتران الهللكة . وما أشنع تصريحه بأن الله سبب الإضلال لا خالفه كما أن السلة سبب في وضع الفيود في رجلى  
المجبرس ، وإسناد الفعل لله عز وجل مجاز لا حقيقة ، كما أن إسناد الفعل إلى البلد كذلك ! يا له من تمثيل صار به  
مثلاً ، وتظنير صار به حائداً عن النظر الصحيح ، مردود على التفصيل والجملة . نعم الله تعالى المعصمة من أمثال هذه  
الزلة ، وهو ولي التوفيق .

واهتدى به قوم ، تسبب لضلالهم وهذاهم . وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على محبوبس قد أخذ بمال عليه وقيد ، فقال : يا أبا يحيى ، أما ترى مانحن فيه من القيود ؟ فرفع مالك رأسه فرأى سلة . فقال : لمن هذه السلة ؟ فقال : لى ، فأمر بها تنزل ، فإذا دجاج وأخصة ، فقال مالك : هذه وضعت القيود على رجلك . وقرأ زيد بن على : يَصل به كثير . وكذلك : وما يَصل به إلا الفاسقون . والفسق : الخروج عن القصد . قال رؤبة :

\* قَوَاسِقًا عَن قَصْدِهَا جَوَائِرًا \* (١)

والفاسق فى الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة ، وهو النازل بين المنزلتين (٢) أى بين منزلة المؤمن والكافر ، وقالوا : إن أول من حد له هذا الحد : أبو حذيفة واصل بن عطاء رضى الله عنه وعن أشياعه (٣) . وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن فى أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين . وهو كالكافر فى الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته ، وأن لا تقبل له شهادة . ومذهب مالك بن أنس والزيدية : أن الصلاة لا تجزئ خلفه . ويقال للخلفاء المردة من الكفار : الفسقة . وقد جاء الاستعمالان فى كتاب الله . ( بنس الاسم الفسوق بعد الإيمان ) . يريد اللزم والتنازع ( إن المنافقين هم الفاسقون ) .

النقض : الفسخ وفك التركيب . فإن قلت : من أين ساغ استعمال النقص فى إبطال العهد ؟ قلت : من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة ، لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين . ومنه قول ابن التيهان فى بيعة العقبة : يارسول الله ، إن بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها ، فنخشى إن الله عز وجل أعزك وأظهرك أن ترجع إلى قومك (٤) ، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من

(١) قواسقا عن قصدها جوائرا يذمهم فى نجد وغورا غائرا

لروية بن العجاج ، وقيل لذى الرمة ، يصف توافقي فى المغاوير ، خارجات عن طريق الاستقامة ، مجاوزات حده . وبين ذلك بقوله : يذمهم : يروى : يهين ، أى يسرعن تارة فى مكان مرتفع ، وتارة فى غور : أى فى مكان كثير الانخفاض . فقورا : نصب على الظرفية . وغائرا : وصف مؤكد .

(٢) قوله « وهو النازل بين المنزلتين » ، هذا عند المعتزلة ، وأما عند أهل السنة فهو مؤمن ، والفسق لا يخرج عن الإيمان . (ع)

(٣) قوله « وعن أشياعه » هم المعتزلة . (ع)

(٤) أخرجه ابن إسحاق فى المغازى فى قصة العقبة من رواية كعب بن مالك . فذكر الفصه وفيها « فاعترض القول أبو الهيثم بن التيهان فذكره بطوله . وأخرجه أحمد والطبرانى والبيهقى فى الدلائل ، كلهم من طريقه .



روادفه، فينبهوا بتلك الرزمة على مكانه . ونحوه قواك : شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يعترف منه الناس ، وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها . لم تقل هذا إلا وقد نهيت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر ، وعلى المرأة بأنها فراش <sup>(١)</sup>

والعهد : الموثق . وعهد إليه في كذا : إذا وصاه به ووثقه عليه . واستعد منه : إذا اشترط عليه واستوثق منه : والمراد هؤلاء الناقضين لعهد الله : أحبار اليهود المتعنتون ، أو منافقهم ، أو الكفار جميعاً . فإن قلت : فما المراد بعهد الله ؟ قلت : ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم ، وهو معنى قوله تعالى ( وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ) أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول - يصدقه الله بمعجزاته - صدقوه واتبعوه ، ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم ، كقوله : ( وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ) . وقوله في الإنجيل لعيسى صلوات الله عليه : « سأنزل عليك كتاباً فيه نبأ نبي إسرائيل ، وما أريته إياهم من الآيات ، وما أنعمت عليهم وما يقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به ، وما ضيعوا من عهده إليهم ، وحسن صنعه الذين قاموا بميثاق الله تعالى وأوفوا بعهده ، ونصره إياهم ، وكيف أنزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقهم ولم يوفوا بعهده ، لأن اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليهما وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ، ولا يبغي بعضهم على بعض ، ولا يقطعوا أرحامهم . وقيل : عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود : العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية آدم ، الإقرار بربوبيته <sup>(٢)</sup> وهو قوله تعالى : ( وإذا أخذ ربك ) ، وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة وقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه ، وهو قوله تعالى : ( وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ) ، وعهد خص به العلماء وهو قوله : ( وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليديننهم للناس ولا يكتُمونه ) . والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم . ويجوز أن يكون بمعنى توثيقه ، كما أن الميعاد والميلاد ، بمعنى الوعد والولادة . ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى ، أى من بعد توثيقه عليهم ، أو من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله . ومعنى قطعهم ما أمر الله به أن يوصل : قطعهم الأرحام وموالات المؤمنين ، وقيل قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة

(١) قوله « وعلى المرأة بأنها فراش » بناء على أن الوثارة لبن الفراش خاصة . (ع)

(٢) قوله « الإقرار بربوبيته » لعله من الإقرار . (ع)

والاتحاد والاجتماع على الحق ، في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض . فإن قلت : ما الأمر ؟ قلت : طلب الفعل من هو دونك وبعثه عليه . وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور ؛ لأن الداعي الذي يدعو إليه من يتولاه شبه بأمر يأمره به ، فقليل له : أمر ، تسمية للفعول به بالمصدر كأنه مأمور به ، كما قيل له شأن . والشأن : الطلب والقصد . يقال : شأنت شأنه ، أى قصدت قصده ﴿ هم الخاسرون ﴾ لأنهم استبدلوا النقص بالفناء ، والقطع بالوصل ، والفساد بالصلاح وعقابها بنوابها .

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

معنى الهمزة التي في ﴿ كيف ﴾ مثله في قولك : أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان ، وهو الإنكار والتعجب . ونظيره قولك : أظير بغير جناح ، وكيف ظير بغير جناح ؟ فإن قلت : قولك : أظير بغير جناح إنكار للطيران ، لأنه مستحيل بغير جناح ، وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الإماتة والإحياء . قلت : قد أخرج في صورة المستحيل لما قوى من الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان . فإن قلت : فقد تبين أمر الهمزة وأنها لإنكار الفعل والإيدان باستحالته في نفسه ، أو لقوة الصارف عنه ، فما تقول في « كيف » ، حيث كان إنكاراً للحال التي يقع عليها كفرهم ؟ قلت : حال الشيء تابعة لذاته ، فإذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال ؛ فكان إنكار حال الكفر لأنها تتبع ذات الكفر ورديفها إنكاراً لذات الكفر ، وثباتها على طريق الكناية ، وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ . وتحريره : أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها . وقد علم أن كل موجود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده . ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان إنكاراً لوجوده على الطريق البرهاني .

والواو في قوله ﴿ وكنتم أمواتا ﴾ للحال . فإن قلت : فكيف صح أن يكون حالا وهو ماض ، ولا يقال جئت وقام الأمير ، ولكن وقد قام ، لا أن يضمر قد ؟ قلت : لم تدخل الواو على ( كنتم أمواتا ) وحده ، ولكن على جملة قوله : ( كنتم أمواتا ) إلى ( ترجعون ) . كأنه قيل : كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطقاً في أصلا

آبائكم لجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ، ثم يحييكم بعد الموت ، ثم يحاسبكم . فإن قلت : بعض القصة ماض وبعضها مستقبل ، والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقع أحالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه . فإنا الحاضر الذي وقع حالا ؟ قلت : هو العلم بالقصة ، كأنه قيل : كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها . فإن قلت : فقد آل المعنى إلى قولك : على أى حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته ؟ قلت : قد ذكرنا أن معنى الاستفهام في « كيف » الإنكار . وأن إنكار الحال متضمن لإنكار الذات على سبيل الكناية ، فكأنه قيل : ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه ! فإن قلت : إن اتصل علمهم بأنهم كانوا أمواتا فأحياءهم ثم يميتهم ، فلم يتصل بالإحياء الثاني والرجوع ؟ قلت : قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة إليه ، فكان ذلك بمنزلة حصول العلم . وكثير منهم علموا ثم عاندوا . والأموات : جمع ميت ، كالأقوال في جمع قيل (١) . فإن قلت : كيف قيل لهم أموات في حال كونهم جمادا ، وإنما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى ؟ قلت : بل يقال ذلك لعدم الحياة ، كقوله ( بلدة ميتا ) ، ( وآية لهم الأرض الميتة ) ، ( أموات غير أحياء ) . ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما في أن لا روح ولا إحساس . فإن قلت : ما المراد بالإحياء الثاني ؟ قلت : يجوز أن يراد به الإحياء في القبر ، وبالرجوع : النشور . وأن يراد به النشور ، وبالرجوع : المصير إلى الجزاء . فإن قلت : لم كان العطف الأول بالفاء والإعقاب بـ ثم ؟ قلت : لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بغير تراخ ، وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء . والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت - إن أريد به النشور - تراخيا ظاهرا . وإن أريد به إحياء القبر فنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور . فإن قلت : من أين أنكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الله ، لأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ، أم على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر ؟ قلت : يختمل الأمرين جميعا ، لأن ما عده آيات وهي مع كونها آيات من أعظم النعم . ( لكم ) لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم . أما الانتفاع الدنيوى فظاهر . وأما الانتفاع الدينى فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم ، وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها ، لاشتغالها على أسباب الأنس واللذة

(١) قوله « كالأقوال في جمع قيل » ملك من ملوك حير . وأصله « قيل » بالتشديد . ومن جمعه على أقوال لم يجعل أصله مشددا . كذا في الصحاح . ( ع )

من فنون المطاعم والمشارب والفراخ والمناكب والمناظر الحسنة الهيبة ، وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالثيران والصواقر والسباع والأحناش والسموم والغموم والخواف . وقد استدل بقوله : ( خلق لكم ) على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها <sup>(١)</sup> ولم تجر المحظورات في العقل خلقت في الأصل مباحة مطلقا لكل أحد أن يتناولها ويستمتع بها . فإن قلت : هل لقول من زعم أن المعنى خلق لكم الأرض وما فيها وجه صحة ؟ قلت : إن أراد بالأرض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية : جز ذلك ، فإن الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية . و ( جميعا ) نصب على الحال من الموصول الثاني . والاستواء : الاعتدال والاستقامة . يقال : استوى العود وغيره ، إذا قام واعتدل ، ثم قيل : استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصدا مستويا ، من غير أن يلوى على شيء . ومنه استعير قوله : ( ثم استوى إلى السماء ) ، أى قصد إليها بإرادته ومشيته بعد خلق ما في الأرض ، من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر . والمراد بالسماء : جهات العلو ، كأنه قيل : ثم استوى إلى فوق . والضمير في ( فسواهن ) ضمير مبهم . و ( سبع سموات ) تفسيره ، كقولهم : ربه رجلا . وقيل الضمير راجع إلى السماء . والسماء في معنى الجنس . وقيل جمع سماء ، والوجه العربي هو الأول . ومعنى تسويتن : تعديل خلقن ، وتقديمه ، وإخلاؤه من العوج والقطور ، أو إتمام خلقهن ( وهو بكل شيء عليم ) فن ثم خلقن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت ، مع خلق ما في الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم . فإن قلت : ما فسرته به معنى الاستواء إلى السماء يناقضه ، ثم ، لإعطائه معنى التراخي والمهلة قلت : ثم ، ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السماوات على خلق الأرض ، لا للتراخي في الوقت كقوله : ( ثم كان من الذين آمنوا ) . على أنه لو كان المعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به ، لأن المعنى أنه حين قصد إلى السماء لم يحدث فيما بين ذلك - أى في تضاعيف القصد إليها -

(١) قال محمود رحمه الله تعالى : « وقد استدل بقوله ( خلق لكم ) على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : هذا استدلال فرقة من القدرية ذهب إلى أن حكم الله تعالى الإباحة في ذوات المنافع التي لا يدل العقل على تحريمها قبل ورود الرسل تلقيا من العقل وزعموا أنها اشتملت على مباح وحاجة الخلق داعية إليها ، خلقها مع خطرهما على العباد خلاف مقتضى الحكمة ؛ فوجب عندهم بمقتضى العقل أن يعتقدوا إباحتها في حكم الله عز وجل ، وهذا زلل ناسئ . عن قاعدة التحسين والتفبيح الباطلة . وأما استدلال الزمخشري لهذه الفرقة بالآية فغير مستقيم ، فإن دعواهم أن العقل كاف في إباحة هذه الأشياء . فإن دلت الآية على الإباحة فنحن نقول بوجوبها ويكون إذا إباحة شرعية سمعية . وإن لم تدل على الإباحة لم يبق في الاستدلال بها مطعم .

خلقاً آخر. فإن قلت : أما يناقض هذا قوله : ( والأرض بعد ذلك دحاها ) ؟ قلت : لا : لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء . وأما دحوها فتأخر . وعن الحسن : خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كثية الفهر ، عليها دخان ملتزم بها ، ثم أصدد الدخان وخلق منه السموات ، وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض ، فذلك قوله : ( كانتا رتقا ) وهو الالتزاق .

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

( وإذ ) نصب بإضمار اذكر . ويجوز أن ينصب بقالوا . والملائكة : جمع ملائكة على الأصل ، كالشمال في جمع شمال . وإلحاق التاء لتأنيث الجمع . و ( جاعل ) من جعل الذي له مفعولان ، دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله ( في الأرض خليفة ) فكانا مفعوليه . ومعناه مُصير في الأرض خليفة . والخليفة : من يخلف غيره . والمعنى خليفة منكم ، لأنهم كانوا سكان الأرض يخلفهم فيها آدم وذريته . فإن قلت : فهلا قيل : خلّاف ، أو خلفاء ؟ قلت : أريد بالخليفة آدم ، واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر أبي القبيلة في قولك : مضر وهاشم . أو أريد من يخلفكم ، أو خلفاء يخلفكم فوحد لذلك . وقرئ : خليفة بالقاف ويجوز أن يريد : خليفة مني ، لأن آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي ( إنا جعلناك خليفة في الأرض ) . فإن قلت : لأي غرض أخبرهم بذلك ؟ قلت : ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم ، صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم . وقيل ليعلم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها ، وعرضها على ثقاتهم ونصحاءهم ، وإن كان هو بعله وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة ( أتجعل فيها ) تعجب من أن

يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير <sup>(١)</sup> ولا يريد إلا الخير . فإن قلت : من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وإنما هو غيب ؟ قلت : عرفوه بإخبار من الله ، أو من جهة الروح ، أو ثبت في علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون ، وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم : أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة . وقرئ : يسفك ، بضم الفاء . ويسفك . ويسفك ، من أسفك . وسفك . والواو في ﴿ ونحن ﴾ للحال ، كما تقول : أتحمسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان . والتسبيح : تبعيد الله عن السوء ، وكذلك تقديسه ، من سبج في الأرض والماء . وقُدس في الأرض : إذا ذهب فيها وأبعد . و ﴿ بحمدك ﴾ في موضع الحال ، أى نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك ؛ لأنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق واللفظ لم تتمكن من عبادتك . ﴿ أعلم ما لا تعلمون ﴾ أى أعلم من المصالح في ذلك ما هو خفى عليكم . فإن قلت : هلايين لهم تلك المصالح ؟ قلت : كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة ، وإن خفى عليهم وجه الحسن والحكمة . على أنه قد بين لهم بعض ذلك فيما أتبعه من قوله ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ واشتقاقهم وآدم من الأدمة ، ومن أديم الأرض ، نحو اشتقاقهم ويعقوب ، من العقب ، وإدريس ، من المدرس ، وإبليس ، من الإبلاس . وما آدم إلا اسم أعجمي : وأقرب أمره أن يكون على فاعل ، كآزر ، وعازر ، وعابر وشاخ . وقالغ ، وأشباه ذلك (الأسماء كلها) أى أسماء المسميات <sup>(٢)</sup>

(١) قوله وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير ، هذا وما بعده عند المعتزلة . وأما عند أهل السنة فهو تعالى

يفعل الخير والشر ويريدهما (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله : « أى أسماء المسميات .. الخ » . قال أحد رحمه الله : وهو يفر من اعتقاد أن الاسم هو المسمى ، لأن ذلك معتقد أهل السنة ، فيعمل الحيلة في إبعادة عن مقتضى الآية بقوله ( أنبئهم بأسمائهم ) ويتناقل عن قوله ( ثم عرضهم على الملائكة ) فإن الضمير فيه عائد إلى المسميات اتفاقاً ، ولم يجر إلا ذكر الأسماء ، فدل على أنها المسميات ، ويعرض أيضاً عن « حكمة التعليم » ، وأن تعليقه بنفس الألفاظ لا كبير غرض فيه بل الغرض المهم لتعليمه لدنات المسميات وإطلاعه على حقائقها وما أودع الله تعالى فيها من خواص وأسرار وعلى تسميتها أيضاً فإن طريق التعليم يمر كل حقيقة باسمها فقد ثبت بهاتين النكتتين أن المراد بالأسماء المسميات . وأما استدلاله بقوله ( أنبئهم بأسماء هؤلاء ) فنفايته إضافة الأسماء إلى الدنات ، فلم أن يقولوا لو كانت الأسماء هي الدنات لومت إضافة الثوب إلى نفسه ، وهذا مالا مطمع فيه فإن هذه الإضافة مثلها في قولك : نفس زيد وحقيقته ، فالمراد إذا نبئني بحقائق هؤلاء ، ولا تكبر في هذه الإضافة ؛ فإن الأسماء بمعنى المسميات . والحقائق أهم من هؤلاء المشار إليهم والمضاف إليهم فصحت الإضافة لما بين الأهم والأخص من التباين ، وهذا هو المصحح للإضافة في مثل نفس زيد وأشباهه . فهذه نبذة من مسألة الاسم والمسمى تخص بهذه الآية . وفيها إن شاء الله كفاية على أنها وإن عدما المتكلمون من فن الكلام ، فالغالب عليها أنها مسألة لفظية لا يرجع اختلاف الأشعرية والمعتزلة فيها إلى كثير من حيث الحقيقة ،

حذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولاً عليه بذكر الأسماء ، لأن الاسم لا بدله من مسمى ، وعوض منه اللام كقوله : ( واشتعل الرأس ) . فان قلت : هلا زعمت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ، وأن الأصل : وعلم آدم مسميات الأسماء ؟ قلت : لأن التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات لقوله : ( أنبؤني بأسماء هؤلاء ) ، ( أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ) فكما علق الإنباء بالأسماء لا بالمسميات ولم يقل : أنبؤني هؤلاء ، وأنبئهم بهم ، وجب تعليق التعليم بها . فان قلت : فما معنى تعليمه أسماء المسميات ؟ قلت : أراه الأجناس التي خلقها ، وعلمه أن هذا اسمه فرس ، وهذا اسمه بعير ، وهذا اسمه كذا ، وهذا اسمه كذا ، وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ﴿ ثم عرضهم ﴾ أى عرض المسميات . وإنما ذكر لأن في المسميات العقلاء فغلبهم . وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ يعنى في زعمكم أنى استخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء إرادة الرد عليهم ، وأن فيمن يستخلفه من الفوائد العلية التي هي أصول الفوائد كلها ، ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا . فأراهم بذلك وبين لهم بعض ما أجل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله ( إني أعلم ما لا تعلمون ) . وقوله ( ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض ) استحضر لقوله لهم ( إني أعلم ما لا تعلمون ) ، إلا أنه جاء به على وجه أبسط من ذلك وأشرح . وقرئ : وعلم آدم ، على البناء للفعول . وقرأ عبدالله : عرضهن . وقرأ أبي : عرضها . والمعنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها : لأن العرض لا يصح في الأسماء . وقرئ : أنبيهم ، بقلب الهمزة ياء . وأنبهم ، بحذفها وإلهاء مكسورة فيهما .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾

السجود لله تعالى على سبيل العبادة ، ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة

لآدم ، وأبو يوسف <sup>(١)</sup> وإخوته له ؟ ويجوز أن تختلف الأحوال والأوقات فيه .  
 وقرأ أبو جعفر ﴿للملائكة اسجدوا﴾ بضم التاء للتابع . ولا يجوز استهلاك الحركة  
 الإعرابية بحركة الإتياع إلا في لغة ضعيفة ، كقولهم : (الحمد لله) . ﴿إلا إبليس﴾  
 استثناء متصل ، لأنه كان جنياً واحداً بين أظهر الآلوف من الملائكة مغموراً بهم ، فغلبوا عليه  
 في قوله (فسجدوا) ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم . ويجوز أن يجعل منقطعا ﴿أبي﴾ امتنع  
 بما أمر به ﴿واستكبر﴾ عنه ﴿وكان من الكافرين﴾ من جنس كفر الجن وشياطينهم ،  
 فكذلك أبي واستكبر كقوله : (كان من الجن ففسق عن أمر ربه) . السكنى من السكون  
 لأنها نوع من اللبث والاستقرار . و﴿أنت﴾ تأكيد للستكن في (اسكن) ليصح العطف عليه .  
 و﴿رغداً﴾ وصف للصدر ، أى كلا رغداً واسعاً رافها . و﴿حيث﴾ للكان المبهم ، أى :  
 أى مكان من الجنة ﴿شتما﴾ أطلق لها الأكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة ،  
 حين لم يحظر عليهم بعض الأكل ولا بعض المواضع الجامعة للأكولات من الجنة ، حتى لا  
 يبقى لها عذر في تناول من شجرة واحدة بين أشجارها الفاتحة للحرص ، وكانت الشجرة فيما  
 قيل : الحنطة ، أو الكرم ، أو التينة ، وقرئ ﴿ولا تقربا﴾ بكسر التاء . وهذى ،  
 والشجرة ، بكسر الشين . والشيرة بكسر الشين والياء . وعن أبي عمرو أنه كرهها ، وقال :  
 يقرأ بها برايرة مكة وسودانها . ﴿من الظالمين﴾ من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله ﴿فتكونا﴾  
 جزم عطف على (تقربا) أو نصب جواب للنهى . الضمير في (عنها) للشجرة . أى فخلعها  
 الشيطان على الزلة بسببها . وتحقيقه : فأصدر الشيطان زلتهما عنها . وعن هذه ، مثلها في قوله  
 تعالى : (وما فعلته عن أمرى) . وقوله :

\* يَنْهَوْنَ عَنْ أَكْلِ (٢) وَعَنْ شُرْبِ \* (٣)

وقيل : فأزلهما عن الجنة <sup>(٤)</sup> بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما ، كما تقول : زل عن مرتبة . وزل عنى ذاك :

(١) قوله لآدم وأبو يوسف ، لعله وأبوى يوسف . (ع)

(٢) قوله «وقوله ينهون عن أكل» في الصحاح : جزو نية - على فعلة - : أى ضخمة سمينة .

(٣) يشون رسماً فوق قته ينهون عن أكل وعن شرب

يصف ضيافاً أشبع أضيافه ، فهم يشون ويرسمون رسماً فوق أعلى الجبل . وقنة الجبل وقته : أعلاه ، حال كونهم متناهين في السمن تناهياً ناشئاً عن أكل كثير وشرب كثير .

(٤) قال محمود رحمه الله : «وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما ، كما تقول زل ... الخ» . قال أحمد رحمه الله : ويشهد له قوله تعالى (كما أخرج أبايكم من الجنة) .



إذا ذهب عنك وزن من الشهر كذا . وقرئ : فأزالها . ﴿ بما كانا فيه ﴾ من النعيم والكرامة . أو من الجنة إن كان الضمير للشجرة في عنها . وقرأ عبدالله : فوسوس لها الشيطان عنها . وهذا دليل على أن الضمير للشجرة ، لأن المعنى صدرت وسوسته عنها . فإن قلت : كيف توصل إلى إزلالها ووسوسته لها بعدما قيل له ( اخرج منها فإنك رجيم ) . قلت : يجوز أن يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ، ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء . وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما . وقيل : قام عند الباب فتنادى . وروى أنه أراد الدخول فنفته الخزنة ، فدخل في قم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون . قيل ﴿ اهبطوا ﴾ خطاب لآدم وحواء وإبليس : وقيل والحية . والصحيح أنه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما ، لأنهما لما كانا أصل الإنس ومنشعبهم جعلنا كأنهما الإنس كلهم . والدليل عليه قوله : ( قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو . ويدل على ذلك قوله : فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ) . وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم . ومعنى بعضكم لبعض ﴿ عدو ﴾ ما عليه الناس من التعادى والتباغى وتضليل بعضهم لبعض . والهبوط : النزول إلى الأرض ﴿ مستقر ﴾ موضع استقرار ، أو استقرار ﴿ ومتاع ﴾ وتمتع بالعيش ﴿ إلى حين ﴾ يريد إلى يوم القيامة . وقيل إلى الموت .

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْتَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾  
 قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

معنى تلقى الكلمات استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها . وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات ؛ على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به . فإن قلت : ما هن ؟ قلت : قوله تعالى ( ربنا ظلمنا أنفسنا ... الآية ) . وعن ابن مسعود رضى الله عنه : « إن أحب الكلام إلى الله ما قاله أبونا آدم »<sup>(١)</sup> حين اقترف الخطيئة : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى

(١) موقوف . أخرجه ابن أبى شيبة في أوائل الصلاة من رواية إبراهيم التيمي عن الحارث بن سويد قال : قال ابن مسعود : فذكره ولم يقل « ما قال أبونا آدم حين اقترف الخطيئة » .

جذك ، لا إله إلا أنت ظلمت نفسك فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « يارب ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى . قال : يارب ألم تنفخ في الروح من روحك ؟ قال : بلى . قال : يارب ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى . قال : ألم تسكني جنتك ؟ قال : بلى . قال : يارب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة ؟ قال : نعم <sup>(١)</sup> ، واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء ، لأنها كانت تبعاً له ، كما طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك . وقد ذكرها في قوله ( قلنا ربنا ظلمنا أنفسنا ) . ( فتاب عليه ) فرجع عليه بالرحمة والقبول . فإن قلت : لم كرر : ( قلنا اهبطوا ) ؟ قلت : للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله : ( فإما يأتينكم مني هدى ) . فإن قلت : ما جواب الشرط الأول ؟ قلت : الشرط الثاني مع جوابه كقولك : إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك . والمعنى : فإما يأتينكم مني هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم ؛ بدليل قوله : ( والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ) في مقابلة قوله ( فمن اتبع هداي ) فإن قلت : فلم جيء بكلمة الشك <sup>(٢)</sup> وإتيان الهدى كأن لا محالة لوجوبه ؟ قلت : للإيدان بأن الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب ، وأنه إن لم يبعث رسولا ولم ينزل كتاباً ، كان الإيمان به وتوحيده واجباً ؛ لما ركب فيهم <sup>(٣)</sup> من العقول ونصب لهم من الأدلة ومكنهم من النظر والاستدلال . فإن قلت : الخطيئة التي أهبط بها آدم <sup>(٤)</sup> إن كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء ، وإن كانت

(١) موقوف . أخرجه الحاكم في ترجمة آدم ، من فضائل الأنبياء ، من رواية المنهال بن عمرو عن سعيد بن

جبير عنه .

(٢) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت جيء بكلمة الشك وإتيان الهدى كأن ... الخ ؟ » . قال أحمد رحمه الله : هاتان زلتان زلها فلزها في قرن : الأولى : إيراد السؤال بناء على أن الهدى على الله تعالى واجب . والثانية : بناء الجواب على أن الوجوب الشرعي يثبت بالعقل قبل ورود الشرع . والحق أن الله تعالى لا يجب عليه شيء . تعالى عن الإيجاب رب الأرباب . . وإنما يدخل تحت رتبة التكاليف المربوب لا الرب ، وأما وجوب النظر في آئلة التوحيد ، فالإيمان يثبت بالسمع لا بالعقل ، وإن كان حصول المعرفة بالله وتوحيده غير موقوف على ورود السمع ، بل محض العقل كاف فيه باتفاق .

(٣) قوله « ووجبا لما ركب فيهم » ، هذا عند الممثلة . وأما عند أهل السنة فلا حكم قبل الشرع . (ع)

(٤) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت الخطيئة التي أهبط بها آدم من الجنة ... الخ » . قال أحمد رحمه الله تعالى : مقتضاه تأويل الآية المشعر ظاهرها بوقوع الصغائر من الأنبياء تنزيهاً لهم عنها . على أن تجوز الصغائر عليهم قد قال به طوائف من أهل السنة . وفي طي وقوعها إطفاف وزيادة في الالتجاء إلى الله تعالى والتواضع له والاشفاق على الخطائين والبداء لهم بالتوبة والمنفرة ، كما نقل عن داود أنه كان بعد ابتلاء الله له يدعو للخطائين كثيراً . وعلى الجملة فالقدرى يجوز الصغائر على الأنبياء ويقول : إن اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر في حق الناس =

صغيرة ، فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والإخراج من الجنة والإيهاب من السماء ، كما فعل إبليس ونسبته إلى النقي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة إلى التوبة ؟ قلت : ما كانت إلا صغيرة مغمورة بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار الصالحة التي هي أجل الأعمال وأعظم الطاعات . وإنما جرى عليه ما جرى ، تعظيماً للخطيئة وتفظيلاً لشأنها وتهويلاً ، ليكون ذلك لطفاً له ولذريته في اجتناب الخطايا واتباع المآثم ، والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة ، فكيف يدخلها ذو خطايا جمّة . وقرئ : فمن تبع هُدىً ، على لغة هذيل ، فلا خوف - بالفتح .

يَسْبِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي آتَيْتُ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُونَ ﴿٤٠﴾ وَعَامِنُوا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾

﴿إسرائيل﴾ هو يعقوب عليه السلام لقب له ، ومعناه في لسانهم : صفوة الله ، وقيل عبدالله . وهو بزنة إبراهيم وإسماعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلوية والعجمة . وقرئ إسرائيل ، وإسرائيل . وذكرهم النعمة : أن لا يخلوا بشكرها ، ويمتدوا بها ، ويستعظموها ، ويطيعوا مائتها . وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عتد عليهم : من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الفرق . ومن العفو عن اتخاذ العجل ، والتوبة عليهم ، وغير ذلك ، وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم المبشر به في التوراة والإنجيل . والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهد جميعاً . يقال أوفيت بعهدي ، أي بما عاهدت عليه كقوله : (ومن أوفى بعهده من الله) وأوفيت بعهديك : أي بما عاهدتك عليه . ومعنى ﴿وأوفوا بعهدي﴾ وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي ، كقوله : (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) ، (ومنهم من عاهد الله) ، (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) ، ﴿أوف بعهدي﴾

== فلا جرم التزم الزمخشري ورود السؤال ؛ لأن آدم عليه السلام معصوم من الكبائر باتفاق فيلزم على قاعدة القدورية أن تكون صغيرة واجبة التكفير والحو ، غير مؤاخذ عليها ولا مستوجب بسببها عقوبة ولا شيئاً مما وقع . وهذا لا جواب للزمخشري عنه إلا الانصاف والرجوع عن المعتقدات الباطلة والمذاهب المباحلة ولقد شنع السؤال بقوله إن الذي جرى على آدم عليه السلام كالذي جرى على إبليس عليه اللعنة . ومما إذا الله أن يكون الحالات سواء والعاقبتان كما تعلم : أن آدم عليه السلام خالده في النعيم المقيم ؛ وأن إبليس خالده في العذاب الأليم .

بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم ﴿ وإياي فارهبون ﴾ فلا تنقضوا عهدي . وهو من قولك : زيدا رهبة . وهو أؤكد في إفادة الاختصاص من ( إياك نعبد ) . وقرئ ( أوف ) بالتشديد : أى أبالغ في الوفاء بعهدكم ، كقوله ( من جاء بالحسنة فله خير منها ) . ويجوز أن يريد بقوله ( وأوفوا بعدي ) ما عاهدوا عليه ووعدوه من الإيمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز . ويدل عليه قوله : ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ﴾ أول من كفر به ، أو أول فريق أو فوج كافر به ، أو : ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به ، كقولك : كسانا حلة ، أى كل واحد منا . وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفةهم به وبصفته . ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحى إليه والمستفتحين على الذين كفروا به ، وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم ، فلما بعث كان أمرهم على العكس كقوله ( لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ) إلى قوله : ( وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ) ، ( فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ) . ويجوز أن يراد : ولا تكونوا مثل أول كافر به ، يعنى من أشرك به من أهل مكة . أى : ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا ، مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له . وقيل : الضمير في « به » لما معكم ، لأنهم إذا كفروا بما يصدقهم فقد كفروا به . والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله تعالى ( اشتروا الضلالة بالهدى ) وقوله :

\* كَمَا اشْتَرَى الْمُسْلِمُ إِذْ تَنَصَّرَا \* (١)

وقوله :

\* فَإِنِّي شَرَيْتُ الْحِلْمَ بِعَدْلِكَ بِالْجَهْلِ \* (٢)

(١) مر شرح هذا القاعد صفحة ٦٩ من هذا الجزء فراجعه إن شئت . اه مصححه

(٢) ألا زعمت أسماء أن لا أحبا      فقلت لى لولا يتازعنى شغلى

جريتك ضعف الود لولا اشتكيت      وما إن جواك الضعف من أحد قبلى

فإن تزعمينى كنت أجهل فيكم      فاني شريت الحلم بعديك بالجهل

لابي ذؤيب الهذلي . وزعمت : أى ظننت أنه الحال والشأن لا أحبا ، فقلت لها : لى أحبك لولا يتازعنى : أى وددتك لولا أن يتازعنى شغلى ويصرفنى عن مودتك ، أو لو لم يتازعنى شغلى لوددتك : جريتك ضعف الود : أى وددتك قدر المعتاد مرتين ، أو قدر ودك مرتين ، لولا اشتكيت : أى لولا أن ملته وشغته ، أو لو لم تشتكبه لضاعفته وأكثرت ، فلولا هنا يحتمل أنها كلمة واحدة فيقدر بعدها « أن » المصدرية ، ويحتمل أنها كلمتان بمعنى لولم ، لكنه =

يعنى ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا وإلا فالثمن هو المشتري به . والثن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم ، خافوا عليها القوات لو أصبحوا أتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوا - وهى بدل قليل ومتاع يسير - بآيات الله وبالحق الذى كل كثير إليه قليل ، وكل كبير إليه حقير ، فما بال القليل الحقير . وقيل كانت عاقبتهم يعطون أجبارهم من زروعهم وثمارهم ، ويهدون إليهم الهدايا ، ويرشونهم الرشا على تحريضهم الكلم ، وتسهيلهم لهم ماصعب عليهم من الشرائع . وكان ملوكهم يذرون عليهم الاموال ليكتموا أو يحترقوا .

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا  
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَآرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾

الباء التي في ﴿بالباطل﴾ إن كانت صلة مثلها في قولك : لبست الشيء بالشيء خلطته به ، كأن المعنى : ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق بالمنزل بالباطل الذى كتبتم ، حتى لا يميز بين حقا وباطلكم ، وإن كانت باء الاستعانة كالتى في قولك : كتبت بالقلم ، كان المعنى : ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبا بباطلكم الذى تكتبونه ﴿وتكتبوا﴾ جزم داخل تحت حكم النهى بمعنى : ولا تكتبوا . أو منصوب بإضمار أن ، والواو بمعنى الجمع ، أى ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتان الحق ، كقولك : لا تأكل السمك وتشرب اللبن . فإن قلت : لبسهم وكتانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما ، لأنهم إذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق <sup>(١)</sup> ؟ قلت : بل هما متميزان ، لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرنا

== استعمال نادر . ويجوز في دلالة الثانية أنها حرف تحضيض وتوبيخ كلا ، يفى كان الاحق بالشكوى كثرة المودة الموجبة للهمة ، لا كثرة المجر . و د ما ، نافية ، و د إن ، و د من ، زائدتان . وأجهل : فعل مضارع مرفوع . وقيل : أفعل تفضيل منصوب . فيكم : أى بسببكم ، أو فيما بين قبيلتكم . وعبر بضمير جمع المذكر للتعظيم . فاقى شريت : جواب الشرط ، واشترى الشيء : أخذه بالثمن ، وشراه : باعه به ، فالمراد هنا : استبدلت العقل بعد فراقك بالجهل ، فهو مجاز مرسل علاقته بالاطلاق . والمعنى : أنه اعتذر عن عدم ودها بشغفه وشكواها وعقله .

(١) قال محمود رحمه الله : وإن قلت لبسهم وكتانهم ليسا بفعلين متميزين ... الخ . قال أحمد رحمه الله : السؤال غير موجه ، لأنه ادعى فيه عدم التميز بين الفعلين . وغاية ما قدره تلازمهما . وانتلازمان متغايران متميزان ، إلا أن يعنى بعدم التميز عدم الانفكاك ، فلا نسلم له تعذر جمعهما في النهى إذاً بل النهى عن أحدهما على هذا التقدير مستلزم للنهى عن الآخر ، وإن لم يصرح به .

من كتابتهم في التوراة ما ليس منها . وكتبتهم الحق أن يقولوا : لانجد في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أو حكم كذا . أو يكتبوه على خلاف ما هو عليه . وفي مصحف عبد الله : وتكتمون ، بمعنى كاتمين ﴿ وأتم تعلمون ﴾ في حال علمكم أنكم لا بسون كاتمون ، وهو أقبح لهم ، لأن الجمل بالقيس ربما عذر راكبه ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ يعنى صلاة المسلمين وزكاتهم ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ منهم ، لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم . وقيل : الركوع ، الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله . ويجوز أن يراد بالركوع : الصلاة ، كما يعبر عنها بالسجود ، وأن يكون أمرا بأن يصلى مع المصلين ، يعنى في الجماعة ، كأنه قيل : وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين ، لا منفردين .

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى

الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾

﴿ تأمرون ﴾ الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم . والبر سعة الخير والمعروف . ومنه البر لسعته ، ويتناول كل خير . ومنه قوله : صدقت وبررت . وكان الأحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه . وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون ، وإذا أتوا بصدقات ليفترقوها خانوا فيها . وعن محمد بن واسع : بلغنى أن ناسا من أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار فقالوا لهم : قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنة . قالوا كنا نأمركم بها ونخالف إلى غيرها ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ وتركونها من البر كالمنسيات ﴿ وأتم تملون الكتاب ﴾ تبيكت مثل قوله ( وأتم تعلمون ) يعنى تملون التوراة وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم ، أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول بالعمل ﴿ أفلا تعقلون ﴾ توبيخ عظيم بمعنى : أفلا تفتنون لقبج ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه ، وكأنكم فى ذلك مسلوبو العقول ، لأن العقول تأباه وتدفعه . ونحوه ( أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ) . ﴿ واستعينوا ﴾ على حوائجكم إلى الله ﴿ بالصبر والصلاة ﴾ أى بالجمع بينهما ، وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة ، محتملين لمشاقها وما يجب فيها . من إخلاص القلب ، وحفظ النيات ، ودفع الوسوس

ومراعاة الآداب ، والاحتراس من المسكاره مع الخشية والخشوع ، واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدي جبار السموات ، ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه . ومنه قوله تعالى : ( وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ) أو : واستعينوا على البلايا والتوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، <sup>(١)</sup> وعن ابن عباس أنه نعى إليه أخوه ، قثم ، وهو في سفر ، فاسترجع وتحنى عن الطريق فصلى ركعتين أطلال فيهما الجلوس ، ثم قام يمشى إلى راحلته وهو يقول : واستعينوا بالصبر والصلاة ، <sup>(٢)</sup> وقيل : الصبر الصوم ، لأنه حبس عن المفطرات . ومنه قيل لشهر رمضان : شهر الصبر . ويجوز أن يراد بالصلاة الدعاء ، وأن يستعان على البلايا بالصبر ، والالتجاء إلى الدعاء ، والابتغال إلى الله تعالى في دفعه ﴿ وإنها ﴾ الضمير للصلاة أو للاستعانة . ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونها عنها من قوله ( اذكروا نعمتي ) إلى ( واستعينوا ) . ﴿ لكبيرة ﴾ لشاقة ثقيلة من قولك : كبر على هذا الأمر ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ) . فإن قلت : ما لها لم تنقل على الخاشعين والخشوع في نفسه عما ينقل ؟ قلت : لأنهم يتوقعون ما أذخر للصابرين على متاعها قهون عليهم . ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملائكة ربهم ﴾ أى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ، ويطمعون فيه . وفي مصحف عبد الله : يعلمون . ومعناه : يعلمون أن لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك . ولذلك فسر : يظنون ، يتيقنون . وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب . كانت عليه مشقة خالصة فنقلت عليه كالمثاقفين والمرائين بأعمالهم . ومثاله من وعد على بعض الأعمال والصنائع أجره زائدة على مقدار عمله ، فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه ، كأنه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الطلبة . ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وجعلت قوة عيني في الصلاة ، <sup>(٣)</sup> وكان يقول : يا بلال

(١) أخرجه الطبري في تفسيره من حديث حذيفة بهذا اللفظ . فأخرجه أبو داود وأحمد من رواية عبد العزيز  
أخرى حذيفة عن حذيفة باللفظ وكان إذا حزبه أمر صلى . . وأخرجه البيهقي في الدلائل في قصة الخندق مطولا .  
(٢) موقوف . أخرجه سعيد بن منصور . والطبري من طريق عبيدة بن عبد الرحمن عن أبيه وأن ابن عباس ...  
فذكره . . وأخرجه البيهقي في الشعب من هذا الوجه

(٣) أخرجه النسائي والحاكم وأحمد وابن أبي شيبه والبرار من حديث أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : حب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعلت قوة عيني في الصلاة ، وسيأتي في آل عمران .

رَوْحًا، <sup>(١)</sup> والخشوع . الإخبات والتطامن . ومنه : الخشعة للرملة المتطامنة . وأما الخضوع فاللين والالتقياد . ومنه : خضعت بقولها إذا لينته .

يَنْبِئِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا

شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

( وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ ) نصب عطف على ( نعمتي ) أى اذكروا نعمتي وتفضيلي ( على العالمين ) على الجم الغفير من الناس ، كقوله تعالى ( باركنا فيها للعالمين ) يقال : رأيت عالما من الناس يراد الكثرة ( يوما ) يريد يوم القيامة ( لا تجزى ) لا تقضى عنها شياً من الحقوق . ومنه الحديث في جذعة بن نيار : تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك ، <sup>(٢)</sup> و ( شيئاً ) مفعول به ويجوز أن يكون فى موضع مصدر ، أى قليلاً من الجزاء ، كقوله تعالى ( ولا يظلمون شيئاً ) ومن قرأ ( لا تجزى ) من أجزاء عنه إذا أغنى عنه ، فلا يكون فى قراءته إلا بمعنى شيئاً من الأجزاء . وقرأ أبو السرار الغنوى : لا تجزى نسمة عن نسمة شيئاً . وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما . فإن قلت : فأين العائد منها إلى الموصوف ؟ قلت : هو محذوف تقديره : لا تجزى فيه . ونحوه ما أنشد أبو علي :

\* تَرَوْحِي أَجْدَرُ أَنْ تَقِيلِي \* <sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه أبو داود من رواية سالم بن أبي الجعد . قال : قال رجل من خراعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يا بلال أقم الصلاة وأرحنا بها ، ورجاله ثقات : لكن اختلف فيه على سالم اختلافاً كثيراً . ذكره الدارقطني فى العلل . ورواه أحد من رواية سالم المذكور عن رجل من أسلم به . ورواه أحد أيضاً وأبو داود من وجه آخر عن سالم . أن محمد بن الحنفية قال : دحمت مع أبي على صمر لنا من الأنصار . لحضرت الصلاة ، فذكر قصة . وفيها . أقم يا بلال ، فأرحنا بالصلاة ، أخرجه الدارقطني فى العلل من رواية سالم عن ابن الحنفية عن على رضى الله عنه . وقال : تفرد أبو خالد القرى عن الثورى هكذا ومن طريق حمزة الثمالى عن ابن الحنفية عن بلال . وأخرجه إبراهيم الحربى من رواية سالم عن ابن الحنفية مرسلًا . وقال : معناه : نصلى وتروح إلى منازلنا . وليس من الاستراحة والانتقال وإلا لقال أرحنا منها . انتهى . ويعكز على هذا أن فى رواية أحمد : أن الأنصارى قال يا جارية . إيتينى بوضئى لئلى أصلى فأستريح .

(٢) متفق عليه من حديث البراء رضى الله عنه . قال دضى خال لى يقال له أبو بردة بن نيار . قد كر الحديث ،

(٣) تروحي يا خيرة النسيلى تروحي أجدر أن تقيلي غدا يجني بارد ظليل

لابى على أحببة بن الجلاح . يقول لثافته : بكري بالرواح : أو جدى السير فيه . والفصيل : صنوان النخل . شبه =



أى ماء أجدر بأن تقبيل فيه . ومنهم من ينزل فيقول : اتسع فيه ، فأجرى مجرى المفعول به لحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله : أم مال أصابوا . ومعنى التشكير أن نفساً من الانفس لا تجزى عن نفس منها شيئاً من الأشياء ، وهو الإقنات الكلى القطاع للطعام . وكذلك قوله : ﴿ ولا يقبل منها شفاعه ولا يؤخذ منها عدل ﴾ أى فدية لأنها معادلة للمفدى . ومنه الحديث : لا يقبل منه صرف ولا عدل ، <sup>(١)</sup> أى توبة ولا فدية . وقرأ قتادة : ولا يقبل منها شفاعه ، على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ، ونصب الشفاعه . وقيل : كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا . فإن قلت : هل فيه دليل على أن الشفاعه لا تقبل للعصاة <sup>(٢)</sup> ؟ قلت : نعم ، لأنه نفي أن تقضى نفس عن نفس حقاً أدخلت به من فعل

== ناقته بالبخار منه لمراتها في الكرم وارتفاعها . وكرر الأمر للتوكيد . هذا ويقال : تروح التبت إذا طال . فتروحي : أى امتدى وارتفع . والخطاب لعنار البخل لاللتافه قاله العنبي مخالفاً لجميع الشراح لهذا الرجز . وقد يؤكد أنه روى بدل « تروحي » الأول « تأبرى » والتأبير : وضع طلع الذكور من النخل في الاناث لتنمو ثمرتها ويمكن أن يقال : إنه ترشيع للتشبيه . والظاهر أنه انتقل من رجز إلى آخر لأحجية ، فقد روى عنه :  
تأبرى يا خيرة القسيل تأبرى من حذ فصولي إذ ضن أهل النخل بالفحول

هذا هو خطاب القسيل . وحذ - بالتحريك - موضع قريب من المدينة . وقيل اسم قرية . وقيل اسم ماء . والمعنى : أنت ربح الصبا تهب من جهته فتحمل طلع الذكور منه إلى الاناث فيزنيها عن التأبير الصناعي . وشولى أى ارتفعى وامتدى ، أى تأبرى بنفسك ، حيث بخل أهل النخل بطلع الذكور التي تلقح الاناث . وأجدر : نصب بمحذوف ، أى وآتى مكاناً أجدر وأحق بأن تقبيل فيه وتستريحى من السير . ويجوز نصبه بقرحي ، بتضمينه معنى اطلبي . لحذف باء الجر ولفظ فيه لعلها . وغدا نصب بتقبيل ، بجنى : أى فى جنبي ، فهو بدل من فيه المحذوف ، أى : فى حافى ماء بارد ظليل ، أى مظلل بالأشجار ، أو فى جانبى مكان ذى ظل لا حر فيه . وحجنت فالمنى أجدر أن تقبيل بجانيه ، فأظهر فى محل الاضمار لاهوار صفه المكان . وأفعل التفضيل المجرد إن لم تتصل به « من » ، لفظاً فهي متصلة به تقديرأ ، على أن عمل ذلك إذا أريد به التفضيل على معين . والظاهر أن أجدر هنا ليس كذلك ، فلا حاجة لتقديرها . ويجوز أن يكون أجدر فعلاً ماضياً أى دخل فى الجدارة والحقية « أن تقبيل » أى حققت ووجبت قبولتك ، فلا حذف أصلاً . وقال العيني : يجوز أن يكون بارد ظليل على حذف حرف العطف للضرورة ، أى بجانب بارد وجنب ظليل .

(١) متفق عليه من حديث على رضئ الله عنه رفعه « المدينة حرم ما بين طائر إلى كذا ، فمن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل » الحديث . ورواه عبد الرزاق وقال فى آخره : والصرف والعدل : التطوع والفريضة . واتفقا عليه من حديث أنس نحوه . ولمسلم من حديث أبى صالح عن أبى هريرة رفعه : « المدينة حرم . فمن أحدث - فذكره ، وغفل الطيبي فعزاه لأبى داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، بلفظ : من تعلم صرف الكلام ليسبى به قلوب الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً .

(٢) قال محمود رحمه الله : « هل فيه دليل على أن الشفاعه لا تقبل للعصاة ... الخ » ؟ قال أحمد رحمه الله : أما من جحد الشفاعه فهو جدير أن لا ينالها . وأما من آمن بها وصدقها وهم أهل السنة والجماعة ، فأولئك يرجون رحمة الله . ومعتقدهم أنها تنال العصاة من المؤمنين ، وإنما ادخرت لهم . وليس فى الآية دليل لنكورها ، لأن قوله يوماً ==

أو ترك، ثم نفي أن يقبل منها شفاعته شفيح فعلم أنها لا تقبل للعصاة. فإن قلت: الضمير في (ولا يقبل منها) إلى أى النفسين يرجع؟ قلت: إلى الثانية العاصية غير المجزى عنها، وهى التى لا يؤخذ منها عدل. ومعنى لا يقبل منها شفاعته: إن جاءت بشفاعة شفيح لم يقبل منها. ويجوز أن يرجع إلى النفس الأولى، على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها، كما لا تجزى عنها شيئاً، ولو أعطت عدلاً عنها لم يؤخذ منها ﴿ولا هم ينصرون﴾ أى ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والأناسى، كما تقول: ثلاثة أنفس.

وَإِذْ نَجَّيْنَاهُ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّجُونَ أَبْنَاءَكُمْ

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾

أصل ﴿آل﴾ أهل، ولذلك يصغر بأهليل، فأبدلت هاؤه ألفاً. وخص استعماله بأولى الخطر والشأن كالملوك وأشباههم، فلا يقال آل الإسكاف والحجام. و﴿فرعون﴾ علم لمن ملك العماقة، كقيصر: لملك الروم، وكسرى: لملك الفرس. ولعمرو الفراعنة اشتقوا: تفرعن فلان، إذا عتا وتجبر. وفي ملح بعضهم:

قَدْ جَاءَهُ الْمَوْسَى السَّكُومُ فَرَّادٍ فِي أَقْصَى تَقَرُّعُنِيهِ وَقَرَطِ عُرَامِهِ <sup>(١)</sup>

وقرى: أنجيناكم، ونجيتكم ﴿يسومونكم﴾ من سامه خسفاً إذا أولاه ظلماً. قال عمرو بن كلثوم:

إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسَفًا أَيْبَنَا أَنْ يَقْرَأَ الْخَسْفُ فِينَا <sup>(٢)</sup>

== أخرجه منكر، ولا شك أن القيامة واطن، ويومها معدود بخمسين ألف سنة، فيهض أوقاتها ليس زماناً للشفاعة وبعضها هو الوقت الموعود وفيه المقام المحمود لسيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام. قد وردت أى كثيرة ترشد إلى تعدد أيامها واختلاف أوقاتها. منها قوله تعالى: (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) مع قوله: (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) فيتعين حل الآيتين على يومين مختلفين، متباينين: أحدهما محل للتساؤل؛ والآخر ليس بخلافه، وكذلك الشفاعة، وأدلة ثبوتها لا تحصى كثرة، رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة (١) الضمير لله. وقيل لذكره. والموسى: آله الخلق والختان، من موسى رأسه حلقه. وقال الفراء وغيره

مى فعلى ويؤنث. يقال: رجل ماس مثل مال، أى خفيف طياش. وقيل: هو مفعول. وذلك كناية عن ختانه به، لأنه يورث الفتور والفتوة. وقيل: عن خلق العانة، لأنه زمن بلوغ الأشد. واختار السعد الأول لأنه أنسب بالمقام. والسكوم: كثير الكلام - أى الجرح - والتفرعن: العدو والتجبر، مأخوذ من فرعون لشهرته بالطغيان والظلم والتكبر. والعرام كغراب: الشدة والحدة والخبث. ويمكن أنه من الفرع، لارتفاعه وعلوه على غيره.

(٢) لعمرو بن كلثوم من معلقته. «وما» زائدة. «والمالك» بالسكون: لغة فيه. ويقال: سامه ذلاً، إذا أولاه إياه وألحقه به. وقيل: إذا كلفه ما فيه ذل وأكرهه عليه. والخسف - بفتح الخاء وضماً - الذل. يقول إذا ألحق بالناس الذل منعه إقرار الذل فينا، ولم تنقذ له كسائر الناس، لشجاعتنا على جميع من سوانا.

وأصله من سام السلعة إذا طلبها : كأنه بمعنى يبغونكم ﴿ سوء العذاب ﴾ ويريدونكم عليه .  
والسوء : مصدر السيئ : يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل ، يراد قبحهما . ومعنى  
سوء العذاب - والعذاب كله سيئ - : أشده وأفظمه ، كأنه قبحه بالإضافة إلى سائرته .  
﴿ يذبحون ﴾ : بيان لقوله يسومونكم . ولذلك ترك العاطف كقوله تعالى : ﴿ يضاهون  
قول الذين كفروا ﴾ وقرأ الزهري ( يذبحون ) بالتخفيف كقولك : قطعت الثياب وقطعتها .  
وقرأ عبدالله : يقتلون . وإنما فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أئذروا فرعون بأنه يولد مولود  
يكون على يده هلاكه ، كما أئذر نمرود . فلم يغن عنهما اجتهدهما في التحفظ ، وكان ماشاء الله .  
وبالبلاء المحنة إن أشير بذلك إلى صنيع فرعون . والنعمة إن أشير به إلى الإنجاء .

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ

### تَنْظُرُونَ ٥٠

﴿ فرقنا ﴾ فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم . وقرئ : فرقنا ، بمعنى  
فصلنا . يقال : فرق بين الشيئين ، وفرق بين الأشياء : لأن المسالك كانت اثني عشر على عدد  
الأسباط . فإن قلت : مامعنى ﴿ بكم ﴾ ؟ قلت : فيه أوجه : أن يراد أنهم كانوا يسلكونه ،<sup>(١)</sup>  
ويتفرق الماء عند سلوكهم ، فكأنما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما ، وأن يراد  
فرقناه ببيدكم<sup>(٢)</sup> وبسبب إنجائكم ، وأن يكون في موضع الحال<sup>(٣)</sup> بمعنى فرقناه ملتبساً بكم كقوله :

\* تَدُومُ بِنَا الْجَمَاعِمَ وَالتَّرِيَا \* <sup>(٤)</sup>

(١) قال محمود رحمه الله : « يحتمل أنهم كانوا يسلكون ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : فتكون الباء على هذا  
الوجه استعانة مثلاً في كتبت بالقلم .

(٢) قال محمود رحمه الله : « ويحتمل أن يكون المراد فرقناه ببيدكم » . قال أحمد رحمه الله : وهي على هذا الوجه  
سببية ، كما نقول : أكرمك بإحسانك إلى .

(٣) قال محمود رحمه الله : « ويحتمل أن يكون في موضع الحال ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : وهي على هذا  
الوجه للمصاحبة مثلاً في : أسندت ظهري بالحائط ، والوجه الأول ضعيف من حيث أن مقتضاه أن تفرق البحر  
وقع بيني وإسرائيل . والمنقول بل المنصوص عليه في الكتاب العزيز : أن البحر إنما انفرد بعصا موسى ، يشهد لذلك  
قوله تعالى : ( أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم ) ، فآلة التفرقة العصا ، لا بنو إسرائيل

(٤) كأن خيولنا كانت قد بما تسقى في حقونهم الحلياً

فرت غير نافرة عليهم تدوس بنا الجماعم والترياً

لأن الطيب المتنبئ . وتسقى : بالتضعيف ، والحقوف : جمع قحف بالكسر ، وقيل بالغم : وهو العظم الذي فوق ==

أى تدوسها ونحن راكبوها . وروى أن بنى إسرائيل قالوا لموسى : أين أصحابنا لانراهم ؟ قال : سيروا فإنهم على طريق مثل طريقكم . قالوا : لانرضى حتى نراهم . فقال : اللهم أعنى على أخلاقهم السيئة . فأوحى إليه : أن قل بعصاك هكذا ، فقال بها على الحيطان ، فصارت فيها كوى . فتراموا وتسامعوا كلامهم ﴿ وأتم تنظرون ﴾ إلى ذلك وتشاهدونه لاتشكون فيه .

وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ

ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾

لما دخل بنو إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه ، وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة ، وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة . وقيل ﴿ أربعين ليلة ﴾ لأن الشهور غررها بالليالي . وقرئ ﴿ واعدنا ﴾ لأن الله تعالى وعده الوحي ووعد المجىء . للبيقات إلى الطور ﴿ من بعده ﴾ من بعد مضيه إلى الطور ﴿ وأتم ظالمون ﴾ بإشراككم ﴿ ثم عفونا عنكم ﴾ حين تبتم ﴿ من بعد ذلك ﴾ من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ إرادة أن تشكروا <sup>(١)</sup> النعمة في العفو عنكم .

وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَآلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِنِّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ

الَّتَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

== الدماغ وإتاء صغير من خشب . والحليب : اللبن المحلوب ، أى كأنها كانت معتادة بهم فرت إليهم معلقة . دوس : جاحهم : أى رؤسهم ونحن على ظهورها . والتريب : لغة في التراب . (١) قال محمود : ومعناه إرادة أن تشكروا . قال أحمد رحمه الله : أخطأ في تفسير « لعل » ؛ بالارادة ؛ لأن مراد الله تعالى كان لاعالة . فلو أراد منهم الشكر لشكروا ولا بد . وإنما أجراه الرخشي على قاعدته تقاسدة في اعتقاد أن مراد الرب كراد العبد ، منه ما يقع ومنه ما يعذر - تعالى الله عن ذلك - ، ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . والتفسير الصحيح في « لعل » هو الذى حرره ميبويه رحمه الله في قوله : ( لعله يتذكر أو يغشى ) قال سيويه : الرجاء منصرف إلى مخاطب كأنه قال : كونا على رجائكما في تذكرته وخشيته وكذلك هذه الآية معناها لتكثروا على رجاء الشكر لله عز وجل ونعمه ، فينصرف الرجاء إليهم ويژه الله تعالى .

(الكتاب والفرقان) يعنى الجامع بين كونه كتابا منزلا، وفرقانا يفرق بين الحق والباطل : يعنى التوراة ، كقولك : رأيت الغيث والليث ، تريد الرجل الجامع بين الجود والجرأة . ونحوه قوله تعالى : ( ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا ) يعنى الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكراً : أو التوراة . والبرهان : الفارق بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات ، أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام ، وقيل الفرقان : انفراق البحر . وقيل : النصر الذى فترق بينه وبين عدوه ، كقوله تعالى : ( يوم الفرقان ) يريد به يوم بدر . حمل قوله ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ على الظاهر وهو البخع (١) . وقيل : معناه قتل بعضهم بعضا . وقيل : أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبيدة . وروى أن الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه ، فلم يمكنهم المضى لأمر الله ، فأرسل الله ضيابة وضحابة سوداء لا يتباصرون تحتها ، وأمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم ، ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم ، وقيل لهم : اصبروا ، فلعن الله من مدّ طرفه أو حل حبوته أو اتقى يداً أو رجلاً ، فيقولون : آمين ، فقتلهم إلى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالوا : يارب ، هلكت بنو إسرائيل ، البقية البقية ، فكشفت السحابة ونزلت التوبة . فسقطت الشفار من أيديهم ، وكانت القتلى سبعين ألفاً . فإن قلت : ما الفرق بين العاآت ؟ قلت : الأولى للتسيب لاغير ، لأن الظلم سبب التوبة . والثانية للتعقيب لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم ، من قبل أن الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم . ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم . فيكون المعنى : فتوبوا ، فأتبعوا التوبة القتل تمة لتوبتكم ، والثالثة متعلقة بمحذوف ، ولا يخلو إما أن ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف ، كأنه قال : فإن فعلتم فقد تاب عليكم . وإما أن يكون خطاباً من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات . فيكون التقدير : ففعلتم ما أمركم به موسى فتتاب عليكم بارؤكم . فإن قلت : من أين اختص هذا الموضع بذكر البارئ ؟ قلت : البارئ هو الذى خلق الخلق برئنا من التفاوت ( ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ) ومتميزا بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة ، فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذى برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر ، إلى عباد البقرة التى هى مثل فى الغباوة والبلادة . - فى أمثال العرب : أبلد من ثور - حتى عرضوا أنفسهم لسخط

(١) قوله « وهو البخع » فى الصحاح : مضع نفسه بخعاً ، أي قتلها غماً . ( ع )

الله ونزول أمره بأن يفك ماركبه من خلقهم ، ويشتر ما نظم من صورهم وأشكالهم ، حين لم يشكروا النعمة في ذلك ، وغطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها .

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْغَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٦ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الظُّلُمَاتِ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٥٧

قيل : القائلون السبعون الذين صعقوا . وقيل قاله عشرة آلاف منهم (جهره) عيانا . وهى مصدر من قولك : جهر بالقراءة وبالثناء ، كأن الذى يرى بالعين جاهر بالرؤية ، والذى يرى بالقلب مخافت بها ، وانتصابها على المصدر ، لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس ، أو على الحال بمعنى ذوى جهره . وقرئ (جهره) بفتح الهاء ، وهى إما مصدر كالغلبة . وإما جمع جاهر . وفى هذا السلام دليل على أن موسى عليه الصلاة والسلام رآهم القول وعرفهم أن رؤية مالا يجوز عليه أن يكون فى جهة محال <sup>(١)</sup> وأن من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام <sup>(٢)</sup> أو الاعراض ، فرآه بعد نيلان

(١) قوله « أن يكون فى جهة محال » هذا مذهب المعتزلة . ومن استجاز عليه الرؤية هم أهل السنة ، والجهة ليست شرطا للرؤية عندهم ، فلا يلزم كونه من جملة الاجسام أو الاعراض كما بين فى علم التوحيد : (ع)  
(٢) قال محمود رحمه الله : « فيه دليل على أن موسى عليه السلام رآهم القول ، وعرفهم أن رؤية من لا يجوز عليه .. الخ . قال أحمد رحمه الله : لقد انتهر الزخشري ما اعتقده فرصة من هذه الآية التى لا مطلق له عند التحقيق فى التثبت بها ، فبنى الأمر على أن العقوبة سببها طلب مالا يجوز على الله تعالى من الرؤية على ظنه ، وأنى له ذلك ونم سبب ظاهر فى العقوبة سوى مادعاء هو كل السبب . وذلك أن موسى عليه السلام لما علم جواز رؤيته تعالى طلبها فى آية الاعراف فى دار الدنيا ، فأخبره الله تعالى أنه لا يراه فى الدنيا ، وصار ذلك عنده وعند بنى إسرائيل أصلا مقررأ ، كما هو عندنا الآن معاشر أهل السنة أن الله تعالى لا يرى فى دار الدنيا ، لأنه أخبر أنه لا يرى والخبر واجب الصدق وكما أخبر أنه لا يرى فى دار الدنيا فقد وعد الوعد الصادق عز وجل برؤيته فى الدار الآخرة وتخصيص ذلك بالمؤمنين ، وبعد استقرار هذا المعتقد طلب بنو إسرائيل الرؤية فى الدنيا نعتا أو شكا فى الخبر ، فأرسل الله تعالى بهم تلك العقوبة . وكيف تخيل الزخشري وشيعته أن موسى عليه السلام طلب من الله مالا يجوز عليه . وهل هو لو كان الأسر على ما تخيل إلا كبنى إسرائيل . ومعاذ الله ، لقد برأه من ذلك وكان عند الله وجبها . وأما الأدلة العقلية على جواز رؤيته تعالى عقلا والجمعية على وقوعها فى الدار الآخرة ، فأكثر من أن تحصى وهى مستقصاة فى فن الكلام . وإما غرضنا فى هذا الباب ، بائحة الزخشري والرد عليه من حيث يتسكك على ظنه وأخذه قوما منه . والله الموفق .

الحجة ووضوح البرهان ، ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل ، فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكافرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة . و﴿الصاعقة﴾ ماصعقهم ، أى أمتهم . قيل : نار وقعت من السماء فأحرقتهم . وقيل : صيحة جاءت من السماء . وقيل : أرسل الله جنودا سمعوا بحسبها فغروا صعقين ميتين يوما وليلة . وموسى عليه السلام ، لم تكن صعقته موتا ولكن غشية ، بدليل قوله : فلما أفاق . والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله ﴿وأتم تنظرون﴾ . وقرأ على رضى الله عنه فأخذتكم الصاعقة . ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمة البعث بعد الموت ، أو نعمة الله بعد ما كفرتموها إذا رأيتم بأس الله فى رميكم بالصاعقة وإذا قتكم الموت . ﴿وظللنا﴾ وجعلنا الغمام يظلكم . وذلك فى آتية ، سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلمهم من الشمس ؛ وينزل بالليل عمود من نار يسرون فى ضوئه ، وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى ، وينزل عليهم ﴿المن﴾ وهو الترنجيب مثل الثلج . من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، لكل إنسان صاع ، ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم ﴿السلوى﴾ وهى السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه ﴿كلوا﴾ على إرادة القول ﴿وما ظلمونا﴾ يعنى فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا ، فاختصر الكلام بحذفه لدلالة ﴿وما ظلمونا﴾ عليه .

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا

الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾  
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنْ

السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

﴿القرية﴾ بيت المقدس . وقيل أريحا من قرى الشام ، أمروا بدخولها بعد آتية ﴿الباب﴾ باب القرية . وقيل هو باب القبة التى كانوا يصلون إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه الصلاة والسلام . أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرًا لله وتواضعا . وقيل : السجود ، أن ينحوا ويتطامنوا داخلين ، ليكون دخولهم بخشوع وإخبات . وقيل : طوطى لهم الباب لينخضوا رؤسهم فلم يخفضوها ، ودخلوا مترحفين على أوراكمهم ﴿حطة﴾ فعلة من الحط كالجلسة والركبة ، وهى خبر مبتدأ محذوف ، أى مسألتنا حطة ، وأمرك حطة . والأصل : النصب بمعنى : حط عنا ذنوبنا حطة . وإنما رفعت لتعطى معنى الثبات ، كقوله :

### • صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكَلَانَا مُبْتَلَىٰ ۖ ﴿٦٠﴾

والاصل صبراً ، على : اصبر صبراً . وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الاصل . وقيل معناه : امرنا حطة ، أى أن نخط في هذه القرية ونستقر فيها . فإن قلت : هل يجوز أن تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا ، على معنى : قولوا هذه الكلمة ؟ قلت : لا يبعد . والاجود أن تنصب بإضمار فعلها ، وينصب محل ذلك المضمر بقولوا . وقرئ ﴿ يُغْفِرْ لَكُمْ ﴾ على البناء للفعل بالياء والتاء ﴿ وسيزيد المحسنين ﴾ أى من كان محسناً منكم كانت تلك الكلمة سبباً في زيادة ثوابه ، ومن كان مسيئاً كانت له توبة ومغفرة ﴿ فبذل الذين ظلموا ﴾ أى وضعوا مكان حطة ﴿ قولاً ﴾ غيرها . يعنى أنهم أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار ، فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ، ولم يمتثلوا أمر الله . وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاءوا بلفظ آخر . لأنهم لو جاءوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به ، لم يؤاخذوا به . كما لو قالوا مكان حطة : نستغفرك وتوب إليك . أو اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك . وقيل : قالوا مكان حطة : حطة . وقيل : قالوا بالنبطية : حطاً ستمقائاً أى حنطه حمراء ، استهزاء منهم بما قيل لهم ، وعدولاً عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا . وفى تكرير ﴿ الذين ظلموا ﴾ زيادة في تقييح أمرهم <sup>(١)</sup> وإيدان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم . وقد جله في سورة الأعراف : ( فأرسلنا عليهم ) على الإضمار . والرجز : العذاب . وقرئ - بضم الراء - وروى أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفاً . وقيل : سبعون ألفاً .

وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ  
أُثْدَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ  
وَلَا تَعْوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

(١) شكى إلى جملى طول السرى صبراً جميلاً فكلاننا مبتلى

يقول : اشتكى بعبرى إلى نعمة من طول سير الليل . وصبراً : مصدر قام مقام فعله ، أى اصبر يا عيسى صبراً جميلاً فيه التفات من التقيح إلى الخطاب . أو التقدير : فقلت له اصبر صبراً ، فكل منا مصاب بالبلاء . أو مختبر وممتحن هل يصبر على مشاق السفر أم لا . ويروى : صبر جميل ، أى أحق بنا على حذف الخبر . أو أمرنا صبر ، فيكون من المواضع التى يجب فيها حذف المبتدأ لنبية الخبر عن الفعل . والصبر الجميل : هو مالا شكوى فيه إلى الخلق .

(٢) قال محمود رحمه الله : « وفى تكرير ( الذين ظلموا ) زيادة في تقييح ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : وفيه تهويل لظلمهم من حيث وضع الظاهر موضع المضمر ، وهو مفيد لذلك ، إذ هو من قبيل الاشهار لهذا المعنى مع إمكان الاختصار بالإضمار .



عطشوا في التيه ، فدعا لهم موسى بالسقيا فقبل له ﴿ اضرب بعصاك الحجر ﴾ واللام إما للعهد والإشارة إلى حجر معلوم ، فقد روى أنه حجر طورى حمله معه ، وكان حجراً مربعاً له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين ، لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذى أمر أن يسقيهم ، وكانوا ستمائة ألف ، وسعة المعسكر اثنا عشر ميلاً . وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه ، حتى وقع إلى شعيب ، فدفعه إليه مع العصا . وقيل هو الحجر الذى وضع عليه ثوبه حين اغتسل إذ رموه بالأدرة ، ففتر به ، فقال له جبريل : يقول لك الله تعالى : ارفع هذا الحجر ، فإن لى فيه قدرة ولك فيه معجزة ، فحمله في مخلاته . وإما للجنس ، أى اضرب الشيء الذى يقال له الحجر . وعن الحسن : لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه قال : وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة . وروى أنهم قالوا : كيف بنا لو أفضينا إلى أرض ليست فيها حجارة ، فحمل حجراً في مخلاته فخيماً نزولاً ألقاه . وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ، ويضربه بها فيبیس . فقالوا : إن فقد موسى عصاه متنا عطشاً ، فأوحى إليه : لا تفرح الحجارة ، وكلها قطعك ، لعلمهم يعتبرون . وقيل : كان من رخام وكان ذراعاً في ذراع . وقيل مثل رأس الإنسان . وقيل : كان من آس الجنة <sup>(١)</sup> طوله عشرة أذرع على طول موسى ، وله شعبتان تتقدان في الظلمة ، وكان يحمل على حمار ﴿ فانفجرت ﴾ الفاء متعلقة بمحذوف ، أى فاضرب فانفجرت . أو فإن ضربت فقد انفجرت ، كما ذكرنا في قوله ( فتاب عليكم ) وهى على هذا فاه فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ . وقرئ ( عشرة ) بكسر الشين ويفتحها وهما لغتان ﴿ كل أناس ﴾ كل سبط ﴿ مشربهم ﴾ عيهم التى يشربون منها ﴿ كلوا ﴾ على إرادة القول ﴿ من رزق الله ﴾ بما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون . وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار ، فهو رزق يؤكل منه ويشرب . والعنى : أشد الفساد ، فقيل لهم : لا تتبادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متبادين فيه .

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا سَوَّىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْزِلُ  
الْأَرْضُ مِنْ بَقَلٍهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومٍهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ

(١) قوله « من آس الجنة » : ضبط في بعض النسخ بالضم والتشديد وكتب على هامشه : « كذا بخط جار الله ومعهنا الأساس ، والحدود ضبطه بالفتح والمد والتخفيف أى شجر الآس لأنه صفة العصا بها فيها المصنف كذا بهامشه ، اه عليان . والظاهر أن ضبطه بالضم والتشديد بمعنى الأساس أليق لأن الكلام في وصف الحجر لا العصا . اه مصححه .

بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ  
وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ  
وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

كانوا فلاحه فزعدوا إلى عكرهم فأجوا ما كانوا فيه (١) من النعمة وطلبت أنفسهم الشقاء  
(على طعام واحد) أرادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى. فإن قلت: هما طعامان  
فألم قالوا على طعام واحد؟ قلت: أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل، ولو كان على  
مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يتبدلها، قيل: لا يأكل فلان إلا طعاما واحدا  
يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف. ويجوز أن يريدوا أنهما ضرب واحد، لأنهما معاً من  
طعام أهل التلذذ والتترف، ونحن قوم فلاحه أهل زراعات، فما نريد إلا ما ألقناه وضرينا به  
من الأشياء المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو ذلك. ومعنى (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد  
والبقل ما أنبتته الأرض من الخضر. والمراد به أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع  
والكرفس والكراث وأشباهها. وقرئ (وقثائها) بالضم. والقوم: الحنطة. ومنه قوموا لنا، أى:  
اخبزوا. وقيل الثوم. ويدل عليه قراءة ابن مسعود: وثومها، وهو للعدس والبصل أوفق  
(الذى هو أدنى) الذى هو أقرب منزلة وأدون مقداراً. والدنو والقرب يعبر بهما عن  
قلة المقدار فيقال: هو داني المحل وقريب المنزلة، كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال: هو  
بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو. وقرأ زهير الفرقي: أدناً بالهمزة من الدناءة  
(اهبطوا مصراً) وقرئ اهبطوا، بالضم: أى انحدروا إليه من التيه. يقال: هبط الوادى  
إذا نزل به، وهبط منه، إذا خرج. وبلاد التيه: ما بين بيت المقدس إلى قنسرين، وهى اثنا عشر  
فرسخاً فى ثمانية فراسخ. ويحتمل أن يريد العلم وإنما صرفه مع اجتماع السبيين فيه وهما  
التعريف والتأنيث، لسكون وسطه كقوله: ونوحا ولوطا. وفيهما العجمة والتعريف، وإن  
أريد به البلد فما فيه إلا سبب واحد، وأن يريد مصراً من الأمصار. وفى مصحف عبد الله  
وقرأ به الأعشى: اهبطوا مصر - بغير تنوين - كقوله: ادخلوا مصر. وقيل هو «مصرائيم»،  
فعرّب (وضربت عليهم الذلة) جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كما يكون فى القبة  
من ضربت عليه. أو أُلصقت بهم حتى لزمهم ضربة لازب، كما يضرب الطين على الخائط فيلزمه،

(١) قوله «فأجوا ما كانوا فيه» أى كرهوا. أفاده الصحاح. (ع)

فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة <sup>(١)</sup> إما على الحقيقة ، وإما لتصاغرهم وتفاقرهم ، خيفة أن تضاعف عليهم الجزية ﴿ وبأدوا بغضب من الله ﴾ من قولك : بأ فلان بفلان ، إذا كان حقيقاً بأن يقتل به ، لمساواته له ومكافأته ، أى صاروا أحقاء بغضبه ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب ، أى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وقد قتلت اليهود - لعنوا - شعباً وذكراً ويحياً وغيرهم : فإن قلت : قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق فما فائدة ذكره ؟ قلت : معناه أنهم قتلوه بغير الحق عندهم ، لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا فى الأرض فيقتلوا . وإنما نصحوهم ودعوه إلى ما ينفعهم فقتلوه ، فلو سئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجهاً يستحقون به القتل عندهم . وقرأ على رضى الله عنه ويقتلون بالتشديد ﴿ ذلك ﴾ تكرار للإشارة ﴿ بما عصوا ﴾ بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله فى كل شيء ، مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء . وقيل : هو اعتداؤهم فى السبت . ويجوز أن يشار بذلك إلى الكفر وقتل الأنبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم ، لأنهم انهمكوا فيها وغلوا حتى قست قلوبهم فحسروا على جحود الآيات وقتل الأنبياء ، أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

إن الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون ﴿ والذين هادوا ﴾ والذين تهودوا . يقال : هاد يهود . وتهود إذا دخل فى اليهودية ، وهو هائد . والجمع هود . ﴿ والنصارى ﴾ وهو جمع نصران . يقال : رجل نصران ، وامرأة نصرانة ، قال : نصرانته لم تحنف . والياء فى نصرانى للبالغة كالتى فى أخرى . سموا لأنهم نصرروا المسيح . ﴿ والصابئين ﴾ وهو من صبا إذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة ﴿ من آمن ﴾ من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً ودخل فى ملة الإسلام دخولاً أصيلاً ﴿ وعمل صالحاً فلهم أجرهم ﴾ الذى يستوجبونه بإيمانهم وعملهم . فأن قلت : ما محل من آمن ؟ قلت : الرفع إن جعلته مبتدأ خبره ﴿ فلهم أجرهم ﴾ والنصب إن جعلته بدلاً من اسم إن والمعطوف عليه . فخير إن فى الوجه الاول الجملة كما هى وفى الثانى فلهم أجرهم . والفاء لتضمن ، من ، معنى الشرط .

(١) قوله « أهل مسكنة ومدقعة » أى متربة . أناده الصحاح . ( ع )

وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ  
وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا  
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ  
اعْتَدُوا مِنكُمْ فِي آلَسَبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا  
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ بالعمل على ما في التوراة ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ حتى قبلتم  
وأعطيت الميثاق . وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فأواما فيها من الآصار والتكاليف  
الشاقة ، فكبرت عليهم وأبوا قبولها ، فأمر جبريل فقلع الطور من أصله ، ورفعوه وظلله فوقهم  
وقال لهم موسى : إن قبلتم وإلا ألقى عليكم ، حتى قبلوا . ﴿خذوا﴾ على إرادة القول ﴿ما  
آتيناكم﴾ من الكتاب ﴿بقوة﴾ بجد وعزيمة ﴿واذكروا ما فيه﴾ واحفظوا ما في الكتاب  
وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه ﴿لعلكم تتقون﴾ رجاله منكم أن تكونوا متقين ، أو قلنا  
خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا . ﴿ثم توليتم﴾ ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به ﴿فلولا  
فضل الله عليكم﴾ بتوفيقكم للتوبة لخسرتم . وقرئ : خذوا ما آتيتكم ، وتذكروا ، واذكروا<sup>(١)</sup>  
و ﴿السبت﴾ مصدر سببت اليهود إذا عظمت يوم السبت . وإن ناساً منهم اعتدوا فيه أى  
جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغالوا بالصيد . وذلك أن الله ابتلاه فما  
كان يبقى حوت في البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت ، فإذا مضى تفرقت . كما قال : ( تأتيتهم  
حيثانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لا تأتيتهم كذلك نبلوهم ) فحفروا حياضا عند البحر  
وشرعوا إليها التجداول ، فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد . فذلك الحبس في  
الحياض هو اعتدائهم : ﴿قردة خاسئين﴾ خبر أن أى كونوا جامعين بين القردية والخسوء ،  
وهو الصغار والطراد ﴿لجعلناها﴾ بمعنى المسخة ﴿نكالا﴾ عبرة تنكل من اعتبر بها أى تمنعه . ومنه  
النكل : القيد ﴿لما بين يديها﴾ لما قبلها ﴿وما خلفها﴾ وما بعدها من الأمم والقرون<sup>(٢)</sup> لأن  
مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها ، واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين : أو أريد

(١) قوله . وتذكروا واذكروا ، أى بتشديد الذال والكاف ، وأصله : وتذكروا . (ع)

(٢) قوله . وما بعدها من الأمم والقرون ، لعله : والقرى ، نظير قوله الآتى : من القرى والأمم . (ع)

بما بين يديها : ما بحضرتها من القرى والأمم . وقبل نكالا : عقوبة منكرة لما بين يديها . لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها ( وموعظة للبتقين ) للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم ، أو لكل متق سمعها .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَاتٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئْمَ فِيهَا قَالُوا آلَاَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ قَدْ ذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخْفِى اللَّهُ الْعَوَىٰ وَيُزِيكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

كان فى بنى إسرائيل شيخ موسى فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه ، وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بدينه ، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله ﴿ قالوا أتتخذنا هزوا ﴾ أتعلمنا مكان هزو ، أو أهل هزو ، أو مزوا بنا ، أو الهزو نفسه لفرط الاستهزاء ﴿ من الجاهلين ﴾ لأن الهزو فى مثل هذا من باب الجهل والسفه . وقرئ هزوا ، بضمتين . وهزما ، بسكون الزاى ، نحو كفوا وكفؤا . وقرأ حفص هزوا ، بالضميتين والواو وكذلك كفوا . والعياذ واللياذ من واد واحد .

فى قراءة عبد الله : سل لنا ربك ما هى ؟ سؤال عن حالها وصفتها . وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا ، فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر ، والفارض : المسنة ، وقد فرضت فروضا فى فارض . قال خفاف بن ندبة :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْطَيْتُ ضَيْفَكَ فَارِضًا نُسَاقُ إِلَيْهِ مَا تَقُومُ عَلَى رِجْلٍ <sup>(١)</sup>  
وكانها سميت فارضا لأنها فرضت سنها أى قطعها وبلغت آخرها . والبكر : الفتية .  
والعوان النصف . قال :

\* نَوَاعِمُ بَيْنَ أَبْكَارٍ وَعُونٍ <sup>(٢)</sup> \*

وقد عوّلت <sup>(٣)</sup> . فإن قلت : ﴿ بين ﴾ يقتضى شيئين فصاعدا <sup>(٤)</sup> فمن أين جاز دخوله على  
﴿ ذلك ﴾ : قلت لأنه فى معنى شيئين حيث وقع مشارا به إلى ما ذكر من الفارض والبكر . فإن قلت :  
كيف جاز أن يشار به إلى مؤنثين ، وإنما هو للإشارة إلى واحد مذكر ؟ قلت : جاز ذلك  
على تأويل ما ذكر وما تقدم ، للاختصار فى الكلام ، كما جعلوا فعل ، نائبا عن أفعال جمّة  
تذكر قبله : تقول للرجل : نعم ما فعلت ، وقد ذكر لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة ، كما تقول له :  
ما أحسن ذلك . وقد يجرى الضمير بجرى اسم الإشارة فى هذا . قال أبو عبيدة قلت لرؤبة  
فى قوله :

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلَّيعُ الْبَهَقِ <sup>(٥)</sup>

(١) الخفاف بن ثديه يهجو العباس بن مرداس بالبخل . والفاض : الناقة المسنة تساق إليه ، أى لا تركب ،  
بل تحتاج إلى من يضربها ويسوقها من خلفها . لا تقوم على رجل : أى لا رجل لها قوية تعتمد عليها فى قيامها .

(٢) ظلمات كنت أعهدن قدما . ومن لدى الإقامة غير جون

حصان مواضع القب الأعلى نواعم بين أبكار وعون

للطرماح . والظلمات النساء فى الموادج . والضعائن - بالضاد - المطايا . والضغائن - بالعين - جمع ضغينة ، وهى  
الحقد والميل والاعوجاج . وضغنته : إذا أخذته فى حضنك . وفرس ضاغن : لا يعطى ما عنده من الجرى . وناقاة  
ذات ضغن : أى حنين إلى وطنها . وامرأة ذات ضغن تحب غير زوجها . والجون - بالهم جمع جونا . أى سوداء .  
والحصان - بالفتح - : الحصنة . والقب : جمع نقاب ، ككسب وكتاب . والعون أصله بضم الواو جمع عون ،  
وهى النصف - بفتحين - أى الوسط من النساء والبهائم ، فسكن تخفيفاً . يقول : تلك النساء ظلمات أى مسافرات  
غير لونهن السفر ، وكنت أعهدن فى قديم الزمان حين الإقامة غير سود وهن - غصنات الوجوه ، وإذا حفظت  
حفظن كلهن عادة . والأعلى : صفة للنقب أو المواضع ، وهذا لا يكون إلا فى النساء كما ترى . وروى بعضهم  
د ضغائن ، بدل د ظلمات ، ولعله تحريف . وهن ناعمات ، دأرات بين أبكار صفيرات وعون أواسط .

(٣) قوله : وقد عونت ، فى الصجاح : وتقول منه عونت المرأة تعوننا ، وعانت تعون عونا . (ع)

(٤) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت بين يقتضى شيئين . . . الخ ، قال أحمد رحمه الله : وقد مر نظير هذا عند  
قوله ( فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ) لجدد به عهدا .

(٥) لرؤبة بن المعجاج يصف بقرة وحشية ، وقيل فرساً ، وقيل خيلاً فيها لون السواد ولون البلق - أى البياض -  
وبروى : من بياض وبق ؛ فلعل البياض يبيض يرهقه فترة ، كأنه : أى ذلك المذكور أو المجتمع منهما ، توليع =

إن أردت الخطوط فقل : كأنها . وإن أردت السواد والبلق فقل : كأنهما . فقال : أردت كأن ذاك ، وبذلك ! والذي حسن منه أن أسماء الإشارة تثنيها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات . ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع « ما تؤمرون » أي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله أمرتك الخير أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للفعول به بالمصدر ، كضرب الأمير .

الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنضعه . يقال في التوكيد : أصفر فاقع ووارس ، كما يقال أسود حالك وحالك ، وأبيض يقق ولحق . وأحمر قاني وذرنجي . وأخضر ناض ومدهام . وأورق خطبائي وأرمك رداي . فإن قلت : فاقع ههنا واقع خبرا عن اللون ، فلم يقع توكيداً لصفراء قلت : لم يقع خبرا عن اللون إنما وقع توكيداً لصفراء ، إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها ، فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها . فإن قلت : فهلا قيل صفراء فاقعة ؟ وأي فائدة في ذكر اللون ؟ قلت : الفائدة فيه التوكيد ، لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة ، فكأنه قيل : شديدة الصفرة صفرتها ، فهو من قولك : جد جدته ، وجنوناك مجنون . وعن وهب : إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه . وعن علي رضي الله عنه : « من لبس نعلا صفراء قل هم » (١) لقوله تعالى تسر الناظرين ، وعن الحسن البصري « صفراء فاقع لونها » سوداء شديدة السواد . ولعله مستعار من صفة الإبل : لأن سوادها تعلوه صفرة . وبه فسر قوله تعالى ( جمالات صفر ) . قال الأعشى :

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي      هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهَا كَالزَّيْبِ (٢)

== البقي في الجلد . أو كأنه حال كونه في الجلد توليع البقي ، أي تخطيطه من البياض المشوب بكثرة النashi . من البقي ، وهو داء يتغير منه لون الجلد . روى أن أبا عبيدة قال له : إن أردت الخطوط فقل : كأنها . وإن أردت السواد والبلق فقل : كأنهما . فقال أردت كأن ذاك ، فقد أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة في صفة الإشارة بالمفرد منه إلى المتعدد بتأويله بالمذكور ونحوه .

(١) موقوف لم أجده . (لكن أخرجه العقيلي والطبراني والخطيب من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . قال « من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور مادام لا يساء ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه : فقال كذب . » ووضع .

(٢) إن قيسا قيس الفحال أبا الأشعث مات أمست أصدائه للشعوب

كل عالم يمدني بمحوم      عند وضع اللذان أر بنجيب

تلك خيلي منه وتلك ركابي      هن صفر أولادها كالزيب

للأعشى في أبي الأشعث بن قيس . والفعال - بالفتح - : فعل الخير . والأصداء : جمع صدى ، وهو ذكر اليوم . كانت العرب تزعم أن عظام رأس القاتل تصير بومة وتصيح : أدركوني ، حتى يؤخذ بثأره ، وشعوب : اسم للنبتة ، ==

﴿ماهى﴾ مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها ، واستكشاف زائد ليزدادوا يانا لوصفها . وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتمهم <sup>(١)</sup> . ولكن شددوا فشدد الله عليهم ، والاستقصاء شوم . وعن بعض الخلفاء أنه كتب إلى عامله بأن يذهب إلى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم ، فكتب إليه : بأيهما أبدأ ؟ فقال : إن قلت لك بقطع الشجر سألتني : بأى نوع منها أبدأ ؟ وعن عمر بن عبد العزيز : إذا أمرتك أن تعطى فلانا شاة سألتني : أضاء أم ماعز ؟ فإن بينت لك قلت : أذكر أم أنثى ؟ فإن أخبرتك قلت : أسوداء أم بيضاء ؟ فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني . وفي الحديث : أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسئلته <sup>(٢)</sup> . ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ أى إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح . وقرئ : تشابه ، بمعنى تشابه بطرح التاء وإدغامها فى الشين . وتشابهت ومتشابهة ومتشابه . وقرأ محمد ذو الشامة : إن الباقريشابه ، بالياء والتشديد . جاء فى الحديث ولولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد <sup>(٣)</sup> . أى : لو لم يقولوا إن شاء الله . والمعنى : إننا لمهتدون إلى البقرة المراد ذبحها ، أو إلى ماخفى علينا من أمر القاتل ﴿لاذلول﴾ صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول ، يعنى لم تذلل للكراب <sup>(٤)</sup> وإثارة الأرض ، ولا هى من النواضح التى يسنى عليها لسقى الحروث ، و لا ، الأولى للننى ، والثانية مزيدة لتوكيد الأولى ، لأن المعنى : لاذلول تثير وتسقى . على أن الفعلين صفتان لذلول ، كأنه قيل : لاذلول مثيرة وساقية . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي : لاذلول ، بمعنى لاذلول هناك : أى حيث هى ، وهو نفي لذهابها : ولأن توصف به فيقال : هى ذلول . ونحوه قولك : مررت بقوم لا بخيل ولا جبان . أى فيهم ، أو حيث هم .

== ويمكن أنه جمع شعب بمعنى طريق ، أى أمست متفرقة فى الطرق . وذلك كناية عن قتله . والجمع للتنظيم ، أو اعتبارى . والجمع : جمع جم بتثنية أوله بمعنى الكثير . والتجيب : الكريم من الخيل والابل . والركاب : المطايا . من أى الركاب ، صفر : جمع أصفر أو صفراء ، أولادها يغلّب عليها السواد كالزبيب . والمراد بالصفرة سواد ترفقه صفرة ، لأن هذا أعر ألوان الابل عندهم .

(١) ابن مردويه والبراد وابن أبي حاتم كلهم من طريق الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مرفوعا وفى سننه عباد بن منصور ، وفيه ضعف والطبري من كلام ابن عباس موقوفا . ومن كلام أبي العالية ، درت قوله . والاستقصاء شوم ، فليس هو فى المرفوع ولا الموقوف قلت قوله . والاستقصاء شوم ، من كلام البخارى

(٢) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه .

(٣) قلت : أخرجه ابن جرير من طريق ابن جريج مرفوعا . وهو معضل .

(٤) قوله : لم تذلل للكراب ، فى الصحاح : كربت الأرض إذا قلبتها للحرث . وفى المثل : الكراب على البقر ،

ويقال : الكلاب على البقر . (ع)



وقرئ تسقى بضم التاء من أسقى (مسلة) سلها الله من العيوب أو معفاة من العمل سلها أهلها منه كقوله :

أَوْ مَعْبَرٍ الظَّهِ يُنْبِي عَنْ وَلِيِّهِ مَا حَجَّ رَبُّهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا اعْتَمَرَ <sup>(١)</sup>  
أو مغلطة اللون ، من سلم له كذا إذا خلص له ، لم يشب صفرتها شيء من الألوان  
(لاشية فيها) لا لمعة في نقبتها <sup>(٢)</sup> من لون آخر سوى الصفرة ، فهي صفراء كلها حتى  
قرنها وظلفها . وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية ، إذا خلط بلونه لونا آخر ،  
ومنه ثور موشى القوائم (جئت بالحق) أى بحقيقة وصف البقرة ، وما بقي إشكال في  
أمرها (فذبجوها) أى فخلصوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبجوها . وقوله  
(وما كادوا يفعلون) استئفال لاستقصائهم واستبطاء لهم ، وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة  
استكشافهم ، ما كادوا يذبجونها ، وما كادت تنتهى سؤالاتهم ، وما كاد ينقطع خيط إسبابهم  
فيها وتعمقهم . وقيل : وما كادوا يذبجونها لغلاء ثمنها . وقيل : لخوف الفضيحة في ظهور القاتل .  
وروى أنه كان في بنى إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأقى بها الغيضة <sup>(٣)</sup> وقال : اللهم إني  
أستودعكها لابنى حتى يكبر ، وكان برأ بوالديه ، فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه ،  
فساوموها اليتم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهباً ، وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير

(١) أنشده سيويه . ويقال : أعبرت الشاة فهي معبرة ، إذا كثرت صوفها لتزكها سنة من غير جز ، فالظهر  
المعبر : المتروك من الجز فيكثر وبره ، أو لأنه لا وبر عليه فيجز . ولعل المراد هنا المتروك من الحبل عليه . وقيل :  
المتجرد الشعر . ونبا عنه ينبو : انحرف . وأنيبته : حرقته وأبعدته ، فإنا معناه يمنع غيره عن ركوب وليته .  
وظاهر كلام بعضهم أنه يقال : نبي ينبى ، كرمى يرمى ، إذا انحرف . وأن ما هنا منه ، أى ينفر عن وليته : أى  
برذعته ، لأنها تلى الجلد . وره باختلاس الحركة للوزن ، بمعنى صاحبه . والمعنى : أنه بعد متروك من العمل فهو  
مصعب ينفر من الراكب ، لأنه لم يسافر أصلاً حتى أن صاحبه لاحق ولا اعتمر : وظاهر كلام بعضهم أن «ره»  
هي رب التى هي حرف جر ، فتكون جارة للضمير بلا تمييز لتقدم مرجعه ، ودالة على تحقيق التثنية مجازاً عن معنى  
التكثير وهي اعتراض بين المتعاطفين . وإسناد الفعلين للضمير البعير مجاز عقلي ، لأنه من آلات الحج والاعتبار .  
وقائل ذلك فسرهُ بأنه منجرد الظهر ينفر من برذعته لدره من كثرة الأسفار . ما سافر لحج ولا اعتبار ، وإنما يسافر  
إلى الأعداء . ولو جعل معناه كما تقدم لجاز . فالمعنى أنه مصعب لم يركب ولم يسافر أصلاً ، حتى أنه لم يسافر لحج  
ولا عمرة وهو ظاهر .

(٢) قوله «لا لمعة في نقبتها» في الصحاح : النقبة اللون والوجه . (ع)

(٣) قوله «فأقى بها الغيضة» في الصحاح : الغيضة الأجمة ، وهي مفيض ماء يجتمع فيه فينبت فيه الشجر . (ع)

وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة . فإن قلت : كانت البقرة التي تناولها الأمر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ، ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات ، فذبحوا المخصوصة ، فما فعل الأمر الأول ؟ قلت : رجع منسوخاً لانتقال الحكم إلى البقرة المخصوصة ، والنسخ قبل الفعل جائز . على أن الخطاب كان لإيهامه تناول هذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها . ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امثالاً له ، فكذلك إذا وقع عليها بعد التخصيص ﴿ وإذ قتلتم نفساً ﴾ خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم ﴿ فاذا رأيتم ﴾ فاختلفتم واختصمتم في شأنها ، لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً ، أى يدفعه ويذمه . أو تدافعتم ، بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض ، فدفع المطروح عليه الطراح . أو لأن الطرح في نفسه دفع . أو دفع بعضكم بعضاً عن البراءة واتهمه ﴿ والله مخرج ما كنتم تكتمون ﴾ مظهر لا محالة ما كنتم من أمر القتل لا يتركه مكتوماً . فإن قلت : كيف أعمل مخرج وهو في معنى المضى ؟ قلت : وقد حكى ما كان <sup>(١)</sup> مستقبلاً في وقت التدارؤ . كما حكى الحاضر في قوله : ( باسط ذراعيه ) وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ( ادارأتم ) و ( قتلنا ) والضمير في ﴿ اضربوه ﴾ إما أن يرجع إلى النفس والتذكير على تأويل الشخص والإنسان ، وإما إلى القاتل لما دل عليه من قوله ( ما كنتم تكتمون ) . ﴿ ببعضها ﴾ ببعض البقرة . واختلف في البعض الذى ضرب به ، فقيل : لسانها ، وقيل : نخذها اليمنى ، وقيل : عجبها ، وقيل : العظم الذى يلى الفخروف وهو أصل الأذن ، وقيل : الأذن ، وقيل : البضعة بين الكتفين . والمعنى : فضربوه غي ، لحذف ذلك لدلالة قوله : ( كذلك يحيى الله الموتى ) . وروى أنهم لما ضربوه قام ياذن الله وأوداجه تشخب دماً وقال : قتلتى فلان وفلان لابنى عمه ، ثم سقط ميتاً ، فأخذوا وقتلوا ولم يورث قاتل بعد ذلك . ﴿ كذلك يحيى الله الموتى ﴾ إما أن يكون خطاباً للذين حضروا حياة القاتل بمعنى قتلنا لهم : كذلك يحيى الله الموتى يوم القيامة ﴿ ويربكم آياته ﴾ ودلالته على أنه قادر على كل شئ . ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ تعملون على قضية عقولكم . وأن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تشكروا البعث . وإما أن يكون خطاباً للشكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن قلت : هلا أحياء ابتداء ؟ ولم شرط في إحيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها ؟ قلت : في الأسباب والشروط

(١) قوله : قلت وقد حكى ما كان ، لعله قد ، بدون واو . (ع)

حكم وفرائد . وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكاليف واكتساب الثواب والإشعار بحسن تقديم القرية على الطلب ، وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ، ولآخرين في ترك التشديد والمسارة إلى امتثال أوامر الله تعالى وارتسامها على الفور ، من غير تفتيش وتكثير سؤال ، ونفع اليتيم بالتجارة الراجعة ، والدلالة على بركة البر بالوالدين ، والشفقة على الأولاد ، وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء ، ويبان أن من حق المتقرب إلى ربه أن يتنوق <sup>(١)</sup> في اختيار ما يتقرب به ، وأن يختاره متى السن غير فحم ولا صرع ، حسن اللون برياً من العيوب يونق من ينظر إليه ، وأن يغالى بشعنه ، كما يروى عن عمر رضى الله عنه أنه ضحى بنجبية <sup>(٢)</sup> بثلاثمائة دينار ، وأن الزيادة في الخطاب نسخ له ، وأن النسخ قبل الفعل جائز وإن لم يحز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى البداء ، وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيقه أن المؤثر هو المسبب لا الأسباب ، لأن الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن تولد منهما حياة . فإن قلت : فما للقصة لم نقص على تربيتها ، وكان حقها أن يقدم ذكر القتل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها ، وأن يقال : وإذ قتلتم أنفساً فاذا أترتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها ؟ قلت : كل ما قص من قصص بني إسرائيل إنما قص تعدداً لما وجد منهم من الجنايات ، وتقريعاً لهم عليها ، ولما جدد فيهم من الآيات العظام . وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدثين ، فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك . والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة . وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ، ولذهب الغرض في تثنية التثمير . ولقد روعيت نكتة بعد ما استوفيت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى ، دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله : ( اضربوه ببعضها ) حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها ، وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة .

(١) قوله : أن يتنوق ، في الصحاح : تنوق في الأمر ، أى تأنق فيه . ويفيد أيضاً أن : القنم ، المسن الفانى ، و : الضرع ، بالتحريك الضعيف النحيف . و : الأنق ، الفرح والسرور . (ع)

(٢) أخرجه أبو داود من رواية الجهم بن الجارود عن سالم عن أبيه . قال : « أهدى عمر رضى الله عنه نجبية فأعطى بها ثلاثمائة دينار . فقال يا رسول الله أنا بيعها واشترى بها ؟ قال : لا ، انحرها إياها . »

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

معنى ﴿ثم قست﴾ استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه : (ثم أتمتمترو) وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوتها عن الاعتبار وأن المواعظ لا تؤثر فيها . و ﴿ذلك﴾ إشارة إلى إحياء القليل ، أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة ﴿فهى كالحجارة﴾ فهى فى قسوتها مثل الحجارة ﴿أو أشد قسوة﴾ منها ، وأشد معطوف على الكاف ، إما على معنى أو مثل أشد قسوة ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . وتعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفاً على الحجارة . وإما على : أوهى أنفسها أشد قسوة . والمعنى : أن من عرف حالها شهبها بالحجارة ، أو بجوهر أقى منها وهو الحديد مثلاً . أو من عرفها شهبها بالحجارة ، أو قال : هى أقى من الحجارة . فإِن قلت : لم قيل : أشد قسوة ، وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب <sup>(١)</sup> ؟ قلت : لكونه أبن وأدل على فرط القسوة . ووجه آخر ، وهو أن لا يقصد معنى الأقى ولكن قصد وصف القسوة بالشدّة ، كأنه قيل : اشتدت قسوة الحجارة ، وقلوبهم أشد قسوة . وقرئ : قساوة . وترك ضمير المفضل عليه لعدم الإلباس ، كقولك : زيد كريم وعمرو أكرم . وقوله ﴿وإن من الحجارة﴾ بيان لفضل قلوبهم على الحجارة فى شدّة القسوة ، وتقرير لقوله (أو أشد قسوة) . وقرئ «وإن» بالتخفيف ، وهى «إن» ، المخففة من الثقلية التى تلزمها اللام الفارقة . ومنها قوله تعالى : (وإن كل لما جميع) . وألتنفجر : التفتح بالسعة والكثرة . وقرأ مالك بن دينار (يتفجر) بالنون . ﴿يشقق﴾ يتشقق . وبه قرأ الأعمش . والمعنى إن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتسدفق منها الماء الكثير الغزير ، ومنها ما ينشق انشقاقاً بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضاً ﴿يهبط﴾ يتردى من أعلى الجبل . وقرئ بضم الباء . والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله تعالى ، وأنها

(١) قال محمود رحمه الله : «فإن قلت : لم قيل : أشد قسوة ... الخ ؟ قال أحمد رحمه الله : ولأن سياق هذه الأقسام قصد فيه الاسهاب لزيادة التبريع ، حتى جعلت القصة الواحدة قصتين كما مر الآن . ولا شك أن قوله (أو أشد قسوة) أدخل فى الاسهاب من قول القائل : أو أقى .

لا تمتنع على ما يريد فيها، وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به. وقرئ (يعملون) بالياء والياء، وهو وعيد.

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرٍ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾

(أفتطمعون) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ويستجيبيوا لكم، كقوله (فأمن له لوط) يعني اليهود، (وقد كان فريق) طائفة فيمن سلف منهم (يسمعون كلام الله) وهو ما يتلونه من التوراة (ثم يحرفونه) كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وآية الزجيم، وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى، ثم قالوا: سمعنا الله يقول في آخره: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا فلا بأس. وقرئ: كلم الله، (من بعد ما عقلوه) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته (وهم يعلمون) أنهم كاذبون مفترون. والمعنى: إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك. (ولإذا لقوا) يعني اليهود (قالوا) قال منافقهم (١) (آمنّا) بأنكم على الحق، وأن محمدا هو الرسول المبشر به (ولإذا خلا بعضهم) الذين لم يتناققوا (إلى بعض) الذين ناققوا (قالوا) عاتين عليهم (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما بين لكم في التوراة من صفة محمد. أو قال المنافقون لأعقابهم يرونهم التصلب في دينهم: أتحدثونهم، إنكارا عليهم أن يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فيناققون المؤمنين ويناققون اليهود (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحاجوكم بما أنزل ربكم في

(١) قال محمود رحمه الله: قال منافقهم... الخ. قال أحمد رحمه الله: وصح عود الضمير في اللفظ إلى جهة واحدة مع اختلاف المرجوع إليه، لأنهما صنفان مندرجان في الأول. ونظيره قوله تعالى: (إذا طلقت النساء فليغن أجلهن فلا تعضلوهن) فالضمير الأول للأزواج، والثاني للأولياء. وهو راجع إلى جهة واحدة وهي جهة المخاطبين لاستئصالهم على الصنفين جميعا، والله أعلم.

كتابه ، جعلوا محتاجهم به ، وقولهم هو في كتابكم هكذا حاجة عند الله . ألا تراك تقول : هو في كتاب الله هكذا . وهو عند الله هكذا ، بمعنى واحد ( يعلم ) جميع ( مايسرون وما يعلنون ) ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان .

وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٌّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾  
قَوْلُ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
يَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلُ لَهُمْ مَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا  
يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

( ومنهم أميون ) لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها ( لا يعلمون الكتاب ) التوراة ( إلا أمانى ) إلا ما هم عليه من أمانهم ، وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم ، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وما تمنىهم أجارهم من أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة . وقيل : إلا أكاذيب مختلفة سمعوها من علماءهم فتقبلوها على التقليد . قال أعرابي لابن دأب في شيء حدث به : أهداشىء رويته ، أم تمنيتيه ، أم اختلقته <sup>(١)</sup> . وقيل : إلا ما يقرؤون من قوله :

\* تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ <sup>(٢)</sup> \*

والاشتقاق من منى إذا قدر ، لأن المتمنى يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه ، وكذلك المخلوق والقارئ يقدر أن كلمة كذا بعد كذا . وإلا أمانى : من الاستثناء المنقطع . وقرئ : أمانى ، بالتخفيف . ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ، ثم العوام الذين قلدوهم ، ونبه على أنهم في الضلال سواء ، لأن العالم عليه أن يعمل بعلمه ، وعلى العاوى أن لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم . ( يكتبون الكتاب ) المحرف ( بأيديهم ) <sup>(٣)</sup> تأكيد ، وهو

(١) قوله « أم تمنيتيه أم اختلقته » لعله أى أم الخ (ع)

(٢) تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل

لحسان بن ثابت في مرثية عثمان بن عفان رضى الله عنهما . يقول : تمنى كتاب الله ، أى تلاه وتابع في تلاوته كتبنى داود عليه السلام الزبور : أى كتلاوته الزبور على رسل بالكسر : أى تؤدة وسكنية . وروى بدل الشطر الثاني . وآخرها لاقى حمام المقادر . والحمام : الموت ، لأنه مقدر ، من حم الله الشيء : قدره .

(٣) قال محمود : « إن قلت : ما فائدة قوله بأيديهم ... الخ ، قال أحد رحمه الله : وربما قال الزخشرى في مثل هذا : إن فائدته تصوير الحالة في النفس كما وقعت ، حتى يكاد السامع لذلك أن يكون شاهداً للهيئة .

من محاز التأكد ، كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه : يا هذا كتبه يمينك هذه . ( عما يكسبون ) من الرشا .

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخِذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾

( إلا أياما معدودة ) أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل . وعن مجاهد : كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما لعذب مكان كل ألف سنة يوما . ( فلن يخلف الله ) متعلق بمحذوف تقديره : إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده . و ( أم ) إما أن تكون معادلة بمعنى أى الأمرين كأن على سبيل التقرير ، لأن العلم واقع بكون أحدهما . ويجوز أن تكون منقطعة ( بلى ) إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله ( لن تمسنا النار ) أى بلى تمسكم أبدا ، بدليل قوله ( هم فيها خالدون ) . ( من كسب سيئة ) من السيئات ، معنى كبيرة من الكبائر (١) ( وأحاطت به خطيئته ) تلك واستواك عليه ، كما يحيط العدو ولم يتفص عنها (٢) بالتوبة . وقرئ : خطاياهم ، وخطيئاته . وقيل فى الإحاطة : كان ذنبه أغلب من طاعته . وسأل رجل الحسن عن الخطيئة قال : سبحان الله : ألا أراك ذا لحية وما تدرى ما الخطيئة ، انظر فى المصحف فكل آية نهى فيها الله عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهى الخطيئة المحيطة .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

(١) قوله « معنى كبيرة من الكبائر » فسرنا بذلك لتطبيق الآية على مذهب المعتزلة ، وهو أن فاعل الكبيرة مخلة فى البار ، ومذهب أهل السنة أنه لا يخلد فيها إلا الكافر . وفسروا الخطيئة بالشرك . وفى الخازن قال ابن عباس : هى الشرك يموت عليه صاحبه ام وهو الذى يحيط بفاعله ويسد أبواب الرجاء أمامه فى كل جهة . (ع)

(٢) قوله « ولم يتفص عنها » أى بتفاصيل . (ع)

( لا تعبدون ) إخبار في معنى النهي <sup>(١)</sup> ، كما تقول : تذهب إلى فلان تقول له كذا ، تريد الأمر ، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي ، لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والاتباع ، فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبدالله وأبي ( لا تعبدوا ) ولا بد من إرادة القول ، ويدل عليه أيضاً قوله ( وقولوا ) . وقوله ( وبالوالدين إحسانا ) إما أن يقدر : وتحسنون بالوالدين إحسانا . أو وأحسنوا . وقيل : هو جواب قوله ( أخذنا ميثاق بني إسرائيل ) <sup>(٢)</sup> إجرأ له مجرى القسم ، كأنه قيل : وإذا أقسمنا عليهم لا تعبدون . وقيل : معناه أن لا تعبدوا ، فلما حذفت « أن » ، رفع ، كقوله :

\* أَلَا أَهَذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوَعَى \* <sup>(٣)</sup>

ويدل عليه قراءة عبدالله ( أن لا تعبدوا ) ويحتمل ( أن لا تعبدوا ) أن تكون . إن . فيه مفسرة . وأن تكون أن مع الفعل بدلا عن الميثاق ، كأنه قيل : أخذنا ميثاق بني إسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به ، وبالياء لأنهم غيب . ( حسنا ) قولاً هو حسن في نفسه <sup>(٤)</sup> لإفراط حسنه . وقرئ حسنا . وحسن - على المصدر - كبشرى . ( ثم توليتهم ) على طريقته الالتفات أى توليتهم عن الميثاق ورفضتموه . ( إلا قليلا منكم ) قيل : هم الذين أسلموا منهم ( وأنتم معرضون ) وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن المواعيق ، والتولية .

(١) قال محمود رحمه الله تعالى : « لا تعبدون إخبار في معنى النهي ... الخ » قال أحد رحمه الله : وجه الدليل منه أن الأول لو لم يكن في معنى النهي لما حسن عطف الأمر عليه ، لما بين الأمر والخبر المحض من التنافر . ولا كذلك الأمر والنهي لالتقائهما في معنى الطلب .

(٢) قال محمود رحمه الله : « وقيل هو جواب قوله ( وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل ) ... الخ » . قال أحد رحمه الله : لو قدر القسم مضافا إلى المذكورين لكان أوجه ، فيقول ( وإذا أقسمت لا تعبدون إلا الله ... الخ )

(٣) ألا أهذا الزاجري أحضر الوعى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلد لطرفة بن العبد من معلقته . وألا أداة استفهام . وحرف النداء محذوف . وأى منادى . واسم الإشارة نعت له . والزاجر نعت لاسم الإشارة مضاف لياء التثنية إضافة الوصف لمفعوله . وروى بدله « الأتني » : وروى « أحضر » منصوبا باضمار أن ، ومرفوعا على إهمالها وحسن حذفها ذكرها فيما بعد . يقول : يا أيها الزاجر لي عن حضور الحرب وشهود لذات النصر والظفر والغنيمة ، أو شهود لذات الشراب ومنازلة النساء المستدعين لانتلاف المال ، لست مخلداً لي لو طاعتك . فالاستفهام إنكارى .

(٤) قال محمود : « أى قولاً هو حسن في نفسه ... الخ » . قال أحد : وفيه من التأكيد والتخصيص على إحسان منازلة الناس ، أنه وضع المصدر فيه موضع الاسم . وهذا إنما يستعمل البالغة في تأكيد الوصف ، كرجل عدل ، وصوم وفطر . وقرئ حسنا فهو على هذا من الصفات المشبهة .



وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَبْهَتُونَ عَنْهُمْ بِآلَائِهِمْ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسْرَى تَقْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

(لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم) لا يفعل ذلك بعضكم ببعض . جعل غير الرجل نفسه . إذا اتصل به أصلاً أو ديناً . وقيل : إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه ، لأنه يقتص منه (ثم أقررتكم) بالميثاق واعترفتكم على أنفسكم بلزومه (وأنتم تشهدون) عليها كقولك : فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها . وقيل : وأنتم تشهدون اليوم يامعشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم هؤلاء) استبعاد لما أسند إليهم <sup>(١)</sup> من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم . والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون ، يعنى أنكم قوم آخرون <sup>(٢)</sup> غير أولئك المقرين تنزيلاً . لتغير الصفة منزلة تغير الذات ، كما تقول : رجعت بغير الوجه الذى خرجت به . وقوله (تقتلون) بيان لقوله (ثم أنتم هؤلاء) وقيل : هؤلاء موصول بمعنى الذى . <sup>(٣)</sup> وقرئ (تظاهرون) بحذف التاء وإدغامها ، وتظاهرون بإثباتها ، وتظاهرون بمعنى تظاهرون : أى تتماونون عليهم . وقرئ : تقدوهم ، وتقادوهم . وأسرى ، وأسارى (وهو) ضمير الشأن . ويجوز أن يكون مبهما تفسيره (إخراجهم) أفتؤمنون ببعض الكتاب

(١) قال محمود رحمه الله : أدخلتم استبعاداً ... الخ ؟ قال أحد رحمه الله : وهذا نظير ما تقدم آنفاً في قوله تعالى : (ثم قست قلوبكم) الآية .

(٢) قال محمود رحمه الله : والمعنى : ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون ، يعنى أنكم قوم آخرون غير أولئك ... الخ . قال أحد رحمه الله : هو بيان لتغير الصفة الموجب لتزليهم منزلة المنابر لهم بالذات .

(٣) قوله « موصول بمعنى الذى » لعله الذين . (ع)

الكتاب) أى بالفداء (وتكفرون ببعض) أى بالقتال والإجلاء. وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الأوس، والنضير كانوا خلفاء الخزرج، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه. فغيرتهم العرب وقالت: كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم، فيقولون: أمرنا أن نفديهم وحرّم علينا قتالهم، ولكننا نستحي أن نذل حلفاءنا. والخزى: قتل بنى قريظة وأسرهم وإجلاء بنى النضير. وقيل الجزية. وإنما رد من فعل منهم ذلك إلى أشد العذاب، لأن عصيانه أشد. وقرى: يردون، ويعملون - بالياء والتاء - (فلا يخفف عنهم) عذاب الدنيا بنقصان الجزية، ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم. وكذلك عذاب الآخرة.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذِبُكُمْ وَفَرِقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

(الكتاب) التوراة، آناه إياها جملة واحدة. ويقال: قفاه إذا أتبعه من القفا. نحو ذنبه، من الذنب. وقفاه به: أتبعه إياه، يعنى: وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل، كقوله تعالى (ثم أرسلنا رسلنا تترى) وهم يوشع وأشموبيل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقييل وإلياس واليسع ويونس وذكرا ويحيى وغيرهم. وقيل (عيسى) بالسريانية أي شوع. و(مريم) بمعنى الخادم. وقيل: المريم بالعربية من النساء، كالزير من الرجال<sup>(١)</sup>. وبه فسر قول رؤبة:

\* قُلْتُ لَزِيرٍ لَمْ تَصْلُهُ مَرْيَمَةُ<sup>(٢)</sup> \*

(١) قوله «كالزير من الرجال» في الصحاح: هو الذى يجب محادثة النساء ومجالسهن. (ع)

(٢) قلت لزير لم تصله مريمه ضليل أهواء الصبا تشدده

لرؤية بن العجاج يعاتب أبا جعفر الدوانيقي على البطالة ومغازلة النساء. سمي بذلك لأنه زاد في الخراج دوائق أيام خلافته، كذا في الكشف. والزير من يكثر مودة النساء وزبانهن. والمريم: من تكثر مودة الرجال وزبانهن. =

ووزن «مریم»، عند النحويين «مفعّل»، لأن فعلاً بفتح الفاء لم يثبت في الأبنية كما ثبت نحو  
 عثيروعليب<sup>(١)</sup> (البنات) المعجزات الواضحات والحجج، كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص  
 والإخبار بالمغيبات. وقرئ: «وآيدناه». ومنه: آجده بالجيم<sup>(٢)</sup> إذا قواه. يقال: الحمد لله الذى  
 آجذننى بعد ضعف، وأوجدننى بعد فقر. (روح القدس) بالروح المقدسة، كما تقول: حاتم  
 الجود، ورجل صدق. ووصفها بالقدس كما قال (روح منه) فوصفه بالاختصاص والتقريب  
 للكرامة. وقيل: لأنه لم تضمه الأصلاب، ولا أرحام الطوامث. وقيل بجبريل. وقيل بالإنجيل  
 كما قال في القرآن: (وروحاً من أمرنا) وقيل باسم الله الأعظم الذى كان يحى الموتى بذكره.  
 والمعنى: ولقد آتينا بنى إسرائيل أنبياء كما آتيناهم (أفكلما جاءكم رسول) منهم بالحق (استكبرتم)  
 عن الإيمان به، فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم. ويجوز أن  
 يريد: ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم. ثم وبخهم على ذلك. ودخول الفاء لعطفه على المقدر.  
 فإن قلت: هلا قيل وفريقاً قتلتم؟ (٣). قلت: هو على وجهين: أن تراد الحال الماضية، (٤) لأن  
 الأمر فظيع فأريد استحضاره فى النفوس وتصويره فى القلوب، وأن يراد: وفريقاً تقتلونهم بعد  
 لأنكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أنى أعصمه منكم. ولذلك سحرتهم وسمتم

== قال أبو عمرو: من رام بریم، وهناه بى أوذهب. ورميت السحابة ترماً: دامت، لدوامها على المودة، أو لخروجها  
 من بيتها. والضليل كثير الضلال. والصبأ: الميل إلى الجهل والفتوة. وتندمه: بمعنى ندمه، فهو مصدر مرفوع  
 فاعل ضليل. ولعل معناه أن ندمه ضال ضائع فى أهواء الصبا. وبروى «مندمه» بصيغة اسم الفاعل. وضليل:  
 مرفوع على الابتداء، ومندمه خبره. ولعل معناه أن الرجل كثير الضلال يعنى نفسه هو الذى يندمه ويجهله نادماً،  
 أى يأمره بالندم. وقال عبد الحكيم على البضاوى نقلاً عن الكشاف: أى قلت له من كثر ضلاله يكون مندماً نفسه  
 وموقعها فى الندامة. واللام فى قوله لير للتعليل: أى قلت ذلك القول لأجله، هذا توجيه ما قيل فيه. ولو جعلت  
 ضليل صفة زير كالوجه الأول، وتندمه فعل أمر مقول القول، حرك بالضم لانتقائه ساكناً مع هاء السكت والمناسبة  
 للغاية لجاز: أى قلت له تندم وتب، لكن فيه تكلف شاذ.

- (١) قوله «عثيروعليب» العثير: الغبار. وعليب: اسم واد. (ع)
- (٢) قوله «ومنه آجده بالجيم» وأصله ما يقال: نافعة أجده، أى قوية موثقة الخلق أماده الصحاح. (ع)
- (٣) قال محمود رحمه الله: «إن قلت هلا قيل وفريقاً قتلتم... الخ» قال أحمد رحمه الله: والتعبير بالمضارع  
 يفيد ذلك دون الماضى، كقوله تعالى: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) فعبّر بالماضى ثم قال: فتصبح الأرض  
 مخضرة، فعدل عنه إلى المضارع لإرادة لتصوير اخضرارها فى النفس. وعليه قوله ابن مديكر بى صور شجاعته وجرأته:

فانى قد لقيت القرن أسمى بسبب كالصحيفة صحصحات

فأخذ فاضربه فيموى صريعا للدين وللجنان

- (٤) قوله «أن تراد الحال الماضية» لعله: أن تراد حكاية الحال. (ع)

له الشاة . وقال صلى الله عليه وسلم عند موته ، ما زالت أكلة خيبر تعادني ، فهذا أوان قطعت أبهرى ، <sup>(١)</sup> (غلف) جمع أغلف ، أى هى خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه ، مستعار من الأغلف الذى لم يختن ،

(١) أخرجه البزار وأبو نعيم فى الطب وابن عدى فى الكامل . من طريق سعيد بن محمد الوراق عن محمد بن عمرو عن أبي سلة عن أبي هريرة رضى الله عنه . وسعيد ضعيف ، لكن رواه الحاكم من طريق حماد بن سلة عن محمد بن عمر بسنده « أن امرأة يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مصلية - فذكر القصة - وفيها : أن هذه الشاة مسمومة ، وأن بشر بن البراء مات منها . فقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم . » وأخرج هذا القدر أبو داود من رواية خالد الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي سلة مرسل . ورواه الطبري من حديث بريدة قال « خرجنا إلى خيبر - فذكر القصة - قال : فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى بخيبر - أهدت زينب بنت الحارث إليه شاة - فذكر القصة فيه وقال : يا أم بشر ، ما زالت أكلة خيبر التى أكلت مع ابنك تعادني . فهذا أوان قطعت أبهرى » قلت : من قوله « فلما اطمان الخ » ليس هو فى حديث بريدة ، وإنما هو من كلام الطبري . وهو فى معازي ابن إسحاق بهذا اللفظ الأول . وفيه قال ابن إسحق : لحدثني مروان بن عثمان عن أبي سعيد بن المدي « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأم بشر - وقد دخلت عليه : يا أم بشر إن هذا لأوان وجدت انقطاع أبهرى - الحديث » وكذا أخرجه الطبراني وأبو نعيم فى الدلائل من رواية أبي الأسود عن عروة مختصراً . وذكره الواقدي فى المنازى مطولاً بغير سند . وذكره ابن سعد فى الطبقات عنه بأسانيد وفيه : ورفعها إلى ولاية بشر بن البراء فقتلوها . وروى أبو عبيدة والحري فى غريهما من حديث أبي جعفر الباقى نحو الأول مرسل . قال الأصمعي : تعادني من العداد . وهو الشيء الذى يأتى لوقت دون وقت وذكره البخارى تعليقا من رواية عيينة عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ورواه البزار والحاكم من هذا الوجه وانفق الشيخان على حديث أنس رضى الله عنه « أن امرأة يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة » فأكل منها الحديث وفيه : فقال : ما زالت أعرفها فى لموات النبي صلى الله عليه وسلم » وروى أحمد والحاكم من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن أم بشر قالت « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه الذى قبض فيه ، فقلت : ما يتم نفسك ، فأتى لا أنهم بابى إلا الطعام الذى أكله معك بخيبر . قال : وأنا لا أنهم غيرما . فهذا أوان انقطع أبهرى » وأخرج البيهقي فى الدلائل هذه القصة عن الزهري وفيها قال الزهري : قال جابر : « واحتج يومئذ على الكاهل وثقى ثلاث سنين حتى كان وجهه الذى توفى فيه . قال : ما زلت أجد من الأكلة التى أكلت من الشاة يوم خيبر عددا حتى كان هذا أوان انقطاع الأهر منى » وأخرج أبو داود من رواية الزهري عن جابر كذلك . وروى الطبراني والدارقطني من رواية يحيى بن عبد الرحمن بن لبيبة عن أبيه عن جده لبيبة الأنصاري رضى الله عنه قال « أهدت يهودية إلى النبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية مسمومة . فأكل منها هو وبشر ابن البراء بن معمر » فمروا مرضا شديداً - فذكر القصة . وفيها : ثم أمر بها فصابت » وروى معمر عن الزهري أنه قال : أسلت . فتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال معمر : هكذا قال . والناس يقولون : أنها لم تسلم وإنما قتلت . قال البيهقي : ثم السبيل : يجمع بينهما بأنه صفع عنها فلم يقتلها ، لأنه كان لا ينتقم لنفسه . فلما مات بشر من تلك الأكلة قتلها به قصاصاً .

كقولهم: قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه. ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة (١) كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق، بأن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم، فهم الذين خلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائع عن الفطرة وتسيبوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للتوقع إيمانهم وللمؤمنين ﴿قل قليلا ما يؤمنون﴾ فإيماننا قليلا يؤمنون. وما مزيدة، وهو إيمانهم ببعض الكتاب. ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم. وقيل: غلف، تخفيف، غلف، جمع غلاف، أي قلوبنا أوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره. وروى عن أبي عمرو: قلوبنا غلف، بضمين ﴿كتاب من عند الله﴾ هو القرآن ﴿مصدق لما معهم﴾ من كتابهم لا يخالفه. وقرئ: مصدقا، على الحال. فإن قلت: كيف جاز نصبها عن النكرة؟ قلت: إذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه، وقد وصف كتابه بقوله: من عند الله، وجواب لما محذوف وهو نحو: كذبوا به، واستهانوا بمجيئه، وما أشبه ذلك ﴿يستفتحون على الذين كفروا﴾ يستنصرون على المشركين، إذا قاتلهم قالوا: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعمته وصفته في التوراة، ويقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم: وقيل معنى (يستفتحون) يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه. والسين للبالغة، أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم، كالسين في استعجب واستسخر، أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم ﴿فلما جاءهم ماعرفوا﴾ من الحق ﴿كفروا به﴾ بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة. ﴿على الكافرين﴾ أي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن

(١) قال محمود رحمه الله: «ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة... الخ». قال أحمد رحمه الله: وهذا من بواب الغشوى على تنزيل الآيات على عقائدهم الباطلة، وأنى له ذلك في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ألا تراه كيف أخذ من رد الله على هذه الطائفة أن تكون قلوبهم مخلوقة على الكفر، أن الكفر والاشتماع من قبول الحق هم خلقه لأنفسهم، تمهيدا لقاعدته الفاسدة في خلق الأعمال. وسبيل الرد عليه: أن الله تعالى إنما كذبهم ورد عليهم في ادعائهم عدم الاستطاعة للإيمان وسلب التمكن وعللوا ذلك بأن قلوبهم غلف وصدق الله ورسوله في أنه إنما خلقهم على الفطرة والتمكن من الإيمان والتأني والتيسر له. وإيمانهم اختاروا الكفر على الإيمان فوقع اختيارهم الكفر مقارا لخلق الله تعالى إياه في قلوبهم بعد ما أنشأهم على الفطرة، فقيام حجة الله تعالى عليهم: بأنه خلقهم متمكنين من الإيمان غير مقسورين على الكفر، وذلك لا ينافي توجيه أهل السنة في اعتقاد أن الله تعالى خالق ذلك في قلوبهم على وفق اختيارهم. هذا هو الحق الأبلج والعرط الإبهج والله الموفق. وقول الغشوى: إن كفرهم إنما خلقه لأنفسهم بسبب منع اللطاف الله تعالى التي تسبب المؤمنين في حصولها لهم وكانت سببا في خلقهم الإيمان في قلوبهم: كل هذا تستر من الأشراك واعتقاد آلهة غير الله تخلق لنفسها مشاهاة من إيمان وكفر تعالى الله عما يشركون علوا كبيرا..

اللعنة لحقهم لكفرهم . واللام للعهد . ويجوز أن تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا .

بِشْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَنِيَّ أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ  
عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبْلَهُ وَبَغْضٍ عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ٩٠ وَإِذَا  
قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحِيدٌ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا  
رَأَوْهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ  
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٩١

( ما ) نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بش بمعنى بش شيئا ( اشتروا به أنفسهم )  
والمخصوص بالذم ( أن يكفروا ) واشتروا بمعنى باعوا ( بنيا ) حسدا وطلبا لما ليس لهم ،  
وهو علة اشتروا ( أن ينزل ) لأن ينزل أو على أن ينزل ، أى حسدوه على أن ينزل الله ( من  
فضله ) الذى هو الوحى ( على من يشاء ) وتقضى حكمته إرساله ( فباؤا بغضب على غضب )  
فصاروا أحقاء بغضب مترادف ، لأنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه . وقيل كفروا بمحمد بعد  
عيسى . وقيل بعد قولهم : عزير ابن الله ، وقولهم : يد الله مغولة ، وغير ذلك من أنواع كفرهم  
( بما أنزل الله ) مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب ( قالوا تؤمن بما أنزل علينا ) مقيد بالتوراة  
( ويكفرون بما ورأه ) أى قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة ( وهو الحق  
مصدق لما معهم ) منها غير مخالف له ، وفيه رد لمقاتلتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد  
كفروا بها<sup>(١)</sup> ثم اعترض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الأنبياء  
وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ آلِهَاجِلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ  
ظَالِمُونَ ٩٢ وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ  
بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْكُفْرَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ  
يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٩٣

(١) قال محمد رحمه الله : وأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة ... الخ . قال أحمد رحمه الله : وهذه النكتة  
بعينها هي الموجب لكفر القدرية على أحد قول مالك والشافعي والقاضي رضى الله عنهم ، فإن العقائد الصحيحة السنية  
متلازمة متوافقة يصدق بعضها بعضاً ، لجحد أحدها كفر به ثم كفر بالجميع ، نسأل الله تعالى العصمة .

(وأنتم ظالمون) يجوز أن يكون حالا ، أى عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها . وأن يكون اعتراضا بمعنى : وأنتم قوم عادتكم الظلم . وكثر رفع الطور لما نيظ به من زيادة ليست مع الأول مع ما فيه من التوكيد (واسمعوا) ما أمرتم به في التوراة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك . فإن قلت : كيف طابق قوله جوابهم ؟ قلت : طابقه من حيث أنه قال لهم : اسمعوا ، وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة ، فقالوا : سمعنا ، ولكن لاسماع طاعة (وأشربوا في قلوبهم العجل) أى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصنغ . وقوله (في قلوبهم) بيان لمكان الإشراب كقوله : (إنما يأكلون في بطونهم نارا) . (بكفرهم) بسبب كفرهم (بئس ما يأمركم به إيمانكم) بالتوراة ، لأنه ليس في التوراة عبادة العجاجيل . وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم ، كما قال قوم شعيب (أصلاتك تأمرك) وكذلك إضافة الإيمان إليهم . وقوله (إن كنتم مؤمنين) تشكيك في إيمانهم وقدح في صحة دعواهم له .

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ **الْأَذَارُ** **الْآخِرَةُ** **عِنْدَ اللَّهِ** **خَالِصَةً** **مِّنْ دُونِ النَّاسِ** **فَتَمَنُّوا** **الْمَوْتَ** **إِنْ كُنْتُمْ** **صَادِقِينَ** **٩٤** وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا **بِمَا قَدَّمْت** **أَيْدِيَهُمْ** **وَاللَّهُ** **عَلِيمٌ** **بِالظَّالِمِينَ** **٩٥** وَلَتَجِدَنَّهُمْ **أَحْرَصَ** **النَّاسِ** **عَلَىٰ حَيَاةٍ** **وَمِنَ الَّذِينَ** **أَمْرَكُوا** **يَوْمَ أَحَدُهُمْ** **لَوْ يُعْمَرُ** **أَلْفَ سَنَةٍ** **وَمَا هُوَ** **بِمُزَحَّزِحٍ** **مِّنَ الْعَذَابِ** **أَنْ يُعْمَرَ** **وَاللَّهُ** **يَصِيرُ** **بِمَا يَعْمَلُونَ** **٩٦**

(خالصة) نصب على الحال من الدار الآخرة . والمراد الجنة ، أى سالمة لكم ، خاصة بكم ، ليس لأحد سواكم فيها حق . يعنى إن صح قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً . و (الناس) للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون (فتمنوا الموت) لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب ، كما روى عن المبشرين بالجنة ما روى . كان على رضى الله عنه يطوف بين الصفيين في غلالة ، فقال له ابنه الحسن : ما هذا بزي المحاربين . فقال : يا بنى لا يبالي أبوك على الموت سقط ، أم عليه سقط الموت . وعن حذيفة رضى الله عنه أنه كان يتمنى الموت ، فلما احتضر قال : حبيب جاء على فاقة ، لا أفلح من ندم<sup>(١)</sup> . يعنى

(١) أخرجه الحاكم من طريق زيد بن سلام عن أبيه عن جده ، وأن حذيفة لما احتضر قال : حبيب جاء على فاقة ، .

على التنى . وقال عمار بصفين : «الآن ألاقى الاحبة محمداً وحزبه» .<sup>(١)</sup> وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحنّ إليه . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : «لو تمنوا الموت لنص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الأرض يهودى» .<sup>(٢)</sup> «بما قدمت أيديهم» بما أسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به ، وتحريف كتاب الله ، وسائر أنواع الكفر والعصيان . وقوله «ولن يتمنوه أبداً» من المعجزات ، لأنه إخبار بالغيب ، وكان كما أخبر به ، كقوله : (ولن تفعلوا) فإن قلت : ما أدراك أنهم لم يتمنوا ؟ قلت : لأنهم لو تمنوا لنقل ذلك كما تنقل سائر الحوادث ، ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولى المطاعن في الاسلام أكثر من الذر ، وليس أحد منهم نقل ذلك . فإن قلت : التنى من أعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد ، فمن أين علمت أنهم لم يتمنوا ؟ قلت : ليس التنى من أعمال القلوب ، إنما هو قول الإنسان بلسانه : ليت لى كذا ، فإذا قاله قالوا : تمنى ، وليت : كلمة التنى ، ومحال أن يقع التحدى بما في الضمائر والقلوب ولو كان التنى بالقلوب وتمنوا لقالوا : قد تمنينا الموت في قلوبنا ، ولم ينقل أنهم قالوا ذلك فإن قلت : لم يقولوه لأنهم علموا أنهم لا يصدقون . قلت : كم حكى عنهم من أشياء قالوها المسلمون من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين فيه ولا يحمل له إلا الكذب البحت ولم يبالوا ، فكيف يمتنعون من أن يقولوا إن التنى من أفعال القلوب وقد فعلناه ، مع احتمال أن يكونوا صادقين في قولهم وإخبارهم عن ضمائرهم ، وكان الرجل يخبر عن نفسه بالإيمان فيصدق مع احتمال أن يكون كاذباً لأنه أمر خاف لا سبيل إلى الاطلاع عليه «والله عليم بالظالمين» تهديد لهم «ولتجدنهم» هو من وجد بمعنى علم المتعدى إلى مفعولين في قولهم : وجدت زيدا

(١) أخرجه الطبراني والبخاري من رواية ربيعة بن ناجد قال قال لي عمار يوم صفين : «اليوم ألاقى الاحبة : محمداً وحزبه» ورواه أبو نعيم في الحلية . من رواية أبي سنان قال «رأيت عمار بن ياسر يوم صفين دعا بشراب فأتى بقدح من لبن فشرب منه ، ثم قال : صدق الله ورسوله : اليوم ألاقى الاحبة : محمداً وحزبه»

(٢) لم يخرج به . وقد أخرجه الطبري من حديث ابن عباس رضى الله عنهما موقوفاً . وأخرج البيهقي في الدلائل من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما : «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود دان كنتم صادقين في مقاتلتكم فقولوا : اللهم أمنا ، فوالذي نفسى بيده ، لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه ومات مكانه . قالوا : فأمر الله (ولن يتمنوه أبداً) وفي البخاري من رواية عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال أبو جهل : «إن رأيت محمداً عند الكعبة لأتينه حتى أطأ على عنقه» فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لو فعل لأخذته الملائكة» زاد الاسماعيلي : - عيانا . قال ابن عباس : ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا . ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالا . وأخرجه ابن مردويه من هذا الوجه مثله . وزاد بعد قوله «ولماتوا» «ورأوا مقاعدهم من النار» .



ذا الحفاظ<sup>(١)</sup> ومفعولاه هم أحرص ، . فإن قلت : لم قال : ﴿ على حياة ﴾ بالتنكير ؟ قلت : لأنه أراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ، ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أُنَى (على الحياة) ﴿ ومن الذين أشركوا ﴾ محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس : أحرص من الناس . فإن قلت : ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس ؟ قلت : بلى ، ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد . ويجوز أن يراد : وأحرص من الذين أشركوا ، لحذف لدلالة أحرص الناس عليه . وفيه توبيخ عظيم : لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا ، فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم ، فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقاً بأعظم التوبيخ . فإن قلت : لم زاد حرصهم على حرص المشركين ؟ قلت : لأنهم علوا - لعلمهم بحالهم - أنهم صائرُونَ إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك . وقيل : أراد بالذين أشركوا المجوس ، لأنهم كانوا يقولون للو كههم : عش ألف نيزوز وألف مهرجان . وعن ابن عباس رضى الله عنه : هو قول الأعاجم : زى هزار سال .<sup>(٢)</sup> وقيل (ومن الذين أشركوا) كلام مبتدأ ، أى ومنهم ناس ﴿ يود أحدهم ﴾ على حذف الموصوف كقوله : (وما منا إلا له مقام معلوم) والذين أشركوا - على هذا - : مشاربُهُ إلى اليهود ، لأنهم قالوا : عزير ابن الله . والضمير في ﴿ وما هو ﴾ لأحدهم و ﴿ أن يعمر ﴾ فاعل بمزحزحه ، أى : وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره . وقيل : الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره ، وأن يعمر بدل منه . ويجوز أن يكون هو ، مهما ، و أن يعمر ، موضحة . والزحزحة : التبعيد والإنحاء . فإن قلت ( يود أحدهم ) ما موقعه ؟ قلت : هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف . فإن قلت : كيف اتصل لو يعمر يود أحدهم ؟ قلت : هو حكاية لودادتهم . و « لو » فى معنى التمتي ، وكان القياس : لو أعر ، إلا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله ( يود أحدهم ) كقولك : حلف بالله ليفعلن .

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾

(١) قوله . وجدت زبداً ذا الحفاظ ، فى الصحاح : يقال إنه لنور حفاظ ، وذو محافظة ، إذا كانت له ألفة . (ع)

(٢) قوله زى هزار سال ، زى بالفارسية بمعنى : عش . وهزار بمعنى : ألف . وسال بمعنى : عام . (ع)

روى أن عبد الله بن سوريا من أحبار فذك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأله عن مهبط عليه بالوحى ، فقال : جبريل ، فقال : ذاك عدونا ، ولو كان غيره لآمنا بك ، وقد عادانا مرارا ، وأشدّها أنه أنزل على نبينا أن يبيت المقدس سيخر به بختصر ، فبعثنا من يقتله فلقبه بيا بل غلاما مسكينا ، فدفع عنه جبريل وقال : إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه ، وإن لم يكن إياه فعلى أى حق تقتلونه <sup>(١)</sup> . وقيل : أمره الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا . وروى أنه كان لعمر رضى الله عنه أرض بأعلى المدينة ، وكان يتره على مدارس اليهود ، فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم ، فقالوا يا عمر ، قد أحببناك ، وإننا لنطمع فيك فقال : والله ما أجيشكم لحبكم ، ولا أسألكم لأنى شاك في ديني ، وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وأرى آثاره في كتابكم ، ثم سأله عن جبريل فقالوا : ذاك عدونا يطلع محمداً على أسرارنا ، وهو صاحب كل خسف وعذاب ، وإن ميكائيل يحجى بالخصب والسلام . فقال لهم : وما منزلهما من الله تعالى قالوا : أقرب منزلة ، جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره . وميكائيل عدو لجبريل . فقال عمر : لئن كانا كما تقولون فسا هما بعدوين ، ولأنتم أكفر من الخير ، ومن كان عدواً لأحدهما كان عدواً للآخر ، ومن كان عدواً لهما كان عدواً لله . ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد وافقك ربك يا عمر . فقال عمر : لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر <sup>(٢)</sup> . وقرئ : جبرئيل ، بوزن قفشليل <sup>(٣)</sup> وجبرئيل بحذف الياء ، وجبريل بحذف الهمزة ، وجبرئيل بوزن قنديل ، وجبرائيل بلام شديدة . وجبرائيل بوزن جبراعيل ، وجبرائيل بوزن جبراعل . ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة . وقيل معناه : عبد الله . الضمير في ﴿نزله﴾ للقرآن . ونحو هذا الإضمار - أعنى إضمار ما لم يسبق ذكره - فيه غفامة لشأن صاحبه ، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ، ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته ﴿على قلبك﴾ أى حفظه إياك وفهمك ﴿ياذن الله﴾ بتيسيره

(١) مكذبا ذكره الثعلبى والواحدى والنفوى فقالوا روى ابن عباس ، أن حبرا من أحبار اليهود من فذك بقال له عبد الله بن سوريا فذكره ، ولم أقف له على سند . ولعله من تفسير الكلبي عن أبي صالح عنه .  
(٢) أخرجه الواحدى في الأسباب من رواية داود بن أبي هند عن الشعبي ، قال كان لعمر ، فذكره سواء ، وأخرجه الطبري من طريق أسباط عن السدى . قال في قوله ( قل من كان عدوا لجبريل ) الآية قال كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أرض بأعلى المدينة - إلى آخره - إلا أنه قال فقال عمر : والذي بعثك بالحق لقد جئتكم وما أريد إلا أن أخبركم .

(٣) قوله وبوزن قفشليل ، في الصحاح : القفشليل المنرفة ، فارسي معرب . (ع)

وتسهيله . فإن قلت : كان حق الكلام أن يقال : على قلبي <sup>(١)</sup> . قلت : جاءت على حكاية كلام الله تعالى كما تكلم به ، كأنه قيل : قل ما تكلمت به من قولي : من كان عدواً لجبريل فإنه نزل على قلبك . فإن قلت : كيف استقام قوله ( فإنه نزل ) جزاء للشرط <sup>(٢)</sup> ؟ قلت : فيه وجهان : أحدهما إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتاباً مصداقاً للكتب بين يديه ، فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم . والثاني : إن عاداه أحد فالسبب في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصداقاً لكتابهم وموافقاً له ، وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ، ولذلك كانوا يحرفونه ويحددون موافقته له ، كقولك : إن عاداك فلان فقد أذيته وأسأت إليه . أفرد الملائكة بالذكر لفصاحتهما كأنهما من جنس آخر ، وهو مما ذكر أن التنابير في الوصف ينزل منزلة التنابير في الذات . وقرئ : ميكال ، بوزن قنطار . وميكائيل كميكايل . وميكائيل كميكايل . وميكل كميكل . وميكييل كميكييل . قال ابن جني : العرب إذا نطقت بالأجمعى خلطت فيه . ( «عدو للكافرين» ) أراد عدو لهم جاء بالظاهر ، ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم ، وأن عداوة الملائكة كفر ، وإذا كانت عداوة الأنبياء كفراً فما بال الملائكة وهم أشرف <sup>(٣)</sup> والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب .

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾

(١) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت : كان حق الكلام أن يقال على قلبي ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : الحكاية مرة تكون مع التزام اللفظ ، ومرة تكون بالمعنى غير متبعة للفظ ، فلعل الأمر في هذه الآية توجه على النى عليه السلام أن يحكي معنى قول الله تعالى له ( من كان عدواً لجبريل فإنه نزل على قلبك ) بلفظ المتكلم ونظير هذا قوله تعالى ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهداً إلى قوله ( والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشأنا به بلدة ميتاً ) فانظر ما وقع بعد القول المنسوب إليهم مما يفهم أنه قول الله عز وجل لا على سبيل الحكاية عنهم ، إذ هم لا يقولون : فأنشأنا ، وإنما يقولون : فأنشأنا ، على لفظ الغيبة ولكن جاء الكلام حكاية على المعنى ، لأن معنى قولهم : فأنشأنا الله ، هو معنى قول الله عن ذاته : فأنشأنا ، ولا يستتب لك أن يجعل هذا من باب الخروج من الغيبة إلى التكلم الذي يسمى التثاقنا ، فإن في هذا مزيداً . ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ( قال عليها عند ربى في كتاب لا يضل ربى ولا يفسى ، الذي جعل لكم الأرض ) إلى قوله ( فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ) فأول الكلام يفهم قول موسى وآخره يفهم قول الله تعالى . والطريق الجامع في ذلك ما قرره والله أعلم .

(٢) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت كيف استقام قوله فإنه نزل جزاء للشرط ... الخ » ؟ قال أحمد رحمه الله : ويكون دخول الفاء في الجزاء على هذا الوجه مستحقاً لسببين : أحدهما أنه جملة إسمية . والآخر أنه ماض صحيح .

(٣) قوله « فما بال الملائكة وهم أشرف » هذا عند المعتزلة . أما عند أهل السنة فالأنبياء أشرف . (ع)

أَوْ كُفُّوا عَاهِدُوا نَبْدَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾  
وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ آتَوْا  
الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُم لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠١﴾

﴿إلا الفاسقون﴾ إلا المتمردون من الكفرة . وعن الحسن : إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره . وعن ابن عباس رضى الله عنه : قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فتنبعك لها <sup>(١)</sup> فنزلت . واللام في (الفاسقون) للجنس والاحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب ﴿أو كُفُّوا﴾ الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات اليينات وكلما عاهدوا . وقرأ أبو السمال بسكون الواو على أن الفاسقون بمعنى الذين فسقوا ، فكأنه قيل : وما يكفر بها إلا الذين فسقوا ، أو نقضوا عهد الله سراراً كثيرة . وقرئ عاهدوا وعهدوا اليهود موسومون بالغدر ونقض العهود ، وكما أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا . وكما عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) . والنبد الرمي بالذمام <sup>(٢)</sup> ورفضه . وقرأ عبد الله نقضه ﴿فريق منهم﴾ وقال فريق منهم ، لأن منهم من لم ينقض ﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ بالتوراة وليسوا من الدين في شيء ، فلا يعدون نقض المواثيق ذنباً ولا يبالون به ﴿كتاب الله﴾ يعنى التوراة ، لأنهم بكفركم برسول الله المصدق لما معهم كافرونها ناذون لها . وقيل : كتاب الله القرآن ، نبذوه بعد ما لمهم تلقيه بالقبول . ﴿كانهم لا يعلمون﴾ أنه كتاب الله لا يدخلهم فيه شك <sup>(٣)</sup> . يعنى أن علمهم بذلك رصين ، ولكنهم كذبوا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم ، مثل تركهم وإعراضهم عنه ، مثل بما يرى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه . وعن الشعبي : هو بين أيديهم يقرؤنه ، ولكنهم نبذوا العمل به . وعن سفيان : أدرجوه في الديباج والحريز وحلوه بالذهب ، ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه .

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشُّرَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٌ وَلَكِنَّ

(١) أخرجه الطبري من طريق ابن اسحاق . حدثني محمد بن أبي محمد حدثني سعيد بن جبير عنه بهذا .

(٢) قوله « بالذمام » في الصحاح : الذمام الحرمة . (ع)

(٣) قوله « لا يدخلهم فيه شك » لعله علما لا يدخلهم فيه شك . (ع)

الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُوتَ  
وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ  
مِنْهُمَا مَا يَفِرَّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ  
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ  
خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿واتبعوا﴾ أى نبذوا كتاب الله واتبعوا ﴿ماتلو الشياطين﴾ يعنى واتبعوا كتب  
السحر والشعوذة التى كانت تقرأها ﴿على ملك سليمان﴾ أى على عهد ملكه وفى زمانه . وذلك  
أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمنون إلى ماسمعوا أكاذيب يلققونها ويلقونها إلى الكهنة  
وقد دونوها فى كتب يقرؤها ويعلمونها الناس ، وفشا ذلك فى زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا :  
إن الجن تعلم الغيب ، وكانوا يقولون : هذا علم سليمان ، وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم ، وبه  
تسخر الإنس والجن والريح التى تجرى بأمره ﴿وما كفر سليمان﴾ تكذيب للشياطين ودفع لما  
بهتت به <sup>(١)</sup> سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفراً ﴿ولكن الشياطين﴾ هم الذين ﴿كفروا﴾  
باستعمال السحر وتدوينه ﴿يعلمون الناس السحر﴾ يقصدون به إغواءهم وإضلالهم ﴿وما أنزل  
على الملكين﴾ عطف على السحر ، أى ويعلمونهم ما أنزل على الملكين . وقيل : هو عطف على  
ما تتلو ، أى واتبعوا ما أنزل . ﴿هاروت وماروت﴾ عطف بيان للملكين عليهما ، والذى  
أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس . من تعلمه منهم وعمل به كان كافراً ، ومن تجنبه أو  
تعلمه لا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمناً :

\* عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقُّيهِ \* (٢)

(١) قوله « لما بهتت به » أى قالت عليه ما لم يفعله . أفاده الصحاح . (ع)

(٢) عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

فنى لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

لابى نواس . ومعنى « لكن » هنا . للاضراب الانتقالي . ويمكن أن يتوهم من قوله « لا للشر » أنه لم يعرف  
الشر لأجل شيء من متعلقاته رأساً فدفع هذا التوهم بقوله : لكن عرفته لتوقيه ، فهى للاستدراك ، أى عرفته لأجل  
التحفظ منه . و « من الناس » بيان لنؤكد للعموم ، ويقع جزم فى جواب الشرط ، أى من جهل الشر وقع  
فيه . كالمسلم إذا جهل البر لمخطاة طريقه . واسترحوا بذلك لجواز تعلم نحو السحر للتمكن من تجنبه . ويجوز أن  
« من الناس » صفة للشر ، و « من » يائية أو ابتدائية . ويروى « من الخير » أى من لم يبر الشر من الخير يقع فى الشر .

كما ابتلى قوم طالوت بالنهر ، ( فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني . وقرأ الحسن :  
 ( على الملكين ) بكسر اللام ، على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين يبايل . وما يعلم  
 الملكان أحدا حتى ينباه وينصحا ويقولا له ﴿ إنما نحن فتنه ﴾ أي ابتلاء واختبار من الله  
 ﴿ فلا تكفر ﴾ فلا تتعلم معتقداً أنه حق فتكفر ﴿ فيتعلون ﴾ الضمير لمبادل عليه من أحد .  
 أي فيتعلم الناس من الملكين ﴿ ما يفزقون به بين المرء وزوجه ﴾ أي علم السحر الذي يكون  
 سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه ، كالنفث في العقد ، ونحو ذلك مما يحدث الله  
 عنده الفرق والنشوز والخلاف <sup>(١)</sup> ابتلاء منه ، لا أن السحر له في نفسه دليل قوله تعالى :  
 ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ لأنه ربما أحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما  
 لم يحدث ﴿ ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴾ لأنهم يقصدون به الشر . وفيه أن اجتنابه أصلح  
 كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجز إلى الغواية . ولقد علم هؤلاء اليهود أن من اشتراه أي استبدل  
 ما تتلو الشياطين من كتاب الله ﴿ ماله في الآخرة من خلاق ﴾ من نصيب ﴿ ولبئس ما شروا  
 به أنفسهم ﴾ أي باعوها . وقرأ الحسن : الشياطين . وعن بعض العرب : بستان فلان حوله  
 بساتون . وقد ذكر وجه فيما بعد . وقرأ الزهري ( هاروت وماروت ) بالرفع على : هما  
 هاروت وماروت . وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف ، ولو كانا من الهرت والمرت -  
 وهو الكسر كما زعم بعضهم - لانصرفا . وقرأ طلحة ( وما يعلنان ) من أعلم ، وقرئ ( بين  
 المرء ) بضم الميم وكسرها مع الهمز . والمز ، بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف ، <sup>(٢)</sup>  
 كقولهم : فرج ، وإجراء الوصل مجرى الوقف . وقرأ الأعشى : وماهم بضاري ، بطرح النون  
 والإضافة إلى أحد والفضل بينهما بالظرف . فإن قلت : كيف يضاف إلى أحد وهو مجرور  
 بمن ؟ قلت : جعل الجار جزءاً <sup>(٣)</sup> من المجرور . فإن قلت : كيف أثبت لهم العلم أولا في قوله  
 ( ولقد علوا ) على سبيل التوكيد القسبي ثم نفاه عنهم في قوله ( لو كانوا يعلمون ) ؟ قلت :  
 معناه لو كانوا يعملون بعلمهم ، جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه .

(١) قوله « الفرق والنشوز » في الصحاح الفرق بالكسر البض ولا يستعمل إلا بين الزوجين وقوله لا أن  
 السحر الخ : مبنى على مذهب المعتزلة من أن السحر لاحقيقة له ولا تأثير له . وذهب أهل السنة إلى إثباته وإثبات تأثيره وإن  
 كان تأثير كل شيء في غيره لا يكون إلا بإذنه تعالى وهذا هو ظاهر الكتاب وظاهر السنة . (ع)

(٢) قوله « على تقدير التخفيف والوقف » أي في لغة من وقف بالتضعيف (ع)

(٣) قوله « قلت جعل الجار جزءاً » ونظيره لا أبالك . (ع)

وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَنُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ  
عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

### العظيم ﴿١٠٥﴾

﴿ولو أنهم آمنوا﴾ برسول الله والقرآن ﴿وانتقوا﴾ الله فتركوا ما هم عليه من نهي كتاب الله  
وابتاع كتب الشياطين ﴿لمنوبة من عند الله خير﴾ وقرئ: لمنوبة ، كمشورة ومشورة ﴿لو  
كانوا يعلمون﴾ أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا ، ولكنه جهلهم لترك العمل بالعلم .  
فإن قلت : كيف أثرت الجملة الإسمية على الفعلية في جواب لو ؟ قلت : لما في ذلك من الدلالة  
على ثبات المنوبة واستقرارها كما عدل عن النصب إلى الرفع في سلام عليكم لذلك ، فإن قلت :  
فهلا قيل لمنوبة الله خير ؟ قلت : لأن المعنى : لشيء من الثواب خير لهم . ويجوز أن يكون قوله  
( ولو أنهم آمنوا ) تمنيا <sup>(١)</sup> لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله لإيمانهم واختيارهم له ،  
كأنه قيل : وليتهم آمنوا : ، ثم ابتدئ لمنوبة من عند الله خير . كان المسلمون يقولون لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم إذا ألقى عليهم شيئا من العلم : راعنا يا رسول الله ، أى راقبنا وانتظرنا  
وتأن بنا حتى نفهمه ونفقه . وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهى راعينا ،  
فلما سمعوا بقول المؤمنين : راعنا ، افترصوه وخاطبوا به الرسول صلى الله عليه وسلم وهم  
يمنون به تلك المسبة ، فهى المؤمنون عنها وأمرؤا بما هو فى معناها وهو ﴿انظرونا﴾ من نظره  
إذا انتظره . وقرأ أبى : أنظرونا من النظرة ، أى أهملنا حتى نلفظ وقرأ عبدالله بن مسعود :  
راعونا ، على أنهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير : وقرأ الحسن : راعنا ، بالنون من  
الرعن وهو الهوج ، أى لا تقولوا قولاً راعنا منسوباً إلى الرعن بمعنى راعنا ، كدارع ولا بن  
لأنه لما أشبه قولهم : راعينا ، وكان سبياً فى السب اتصف بالرعن ﴿واسمعوا﴾ وأحسنوا  
سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل بأذان واعية وأذهان

(١) قال محمود رحمه الله : « ويجوز أن يكون قوله تعالى ( ولو أنهم آمنوا ) تمنيا ... الخ » قال أحمد رحمه الله :  
انتهى مجاز عن إرادة الله تعالى لإيمانهم وتقوام من طراز تفسيره للعل بالإرادة والرد عليه على سبيل تم .

حاضرة ، حتى لا تحتاجوا إلى الاستعانة وطلب المراجعة ، أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ، ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا : سمعنا وعصينا ، أو واسمعوا ما أمرتم به بجد حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتهم عنه ، تأكيداً عليهم ترك تلك الكلمة . وروى أن سعد بن معاذ سمعها منهم فقال : يا أعداء الله ، عليكم لعنة الله ، والذي نفسى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه . فقالوا : أولستم تقولونها<sup>(١)</sup> فنزلت . ﴿ وللكافرين ﴾ وللإهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه ﴿ عذاب أليم ﴾ من الأولى للبيان لأن الذين كفروا جنس تحت نوعان : أهل الكتاب ، والمشركون ؛ كقوله تعالى ( لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ) والثانية مزيدة لاستغراق الخير ، والثالثة لا بداء الغاية . والخير الوحي ، وكذلك الرحمة كقوله تعالى : ( أ هم يسمون رحمة ربك ) والمعنى : أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي ﴿ والله يختص بالنبوة ﴾ ( من يشاء ) ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله تعالى : ( إن فضله كان عليك كبيراً ) .

مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا فَأْتِ بَخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَذَكَرْنَا لَكُمْ كَثِيرًا مِّنَ الْأَمْثَلِ وَلَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّن بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاصْفَحُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا وَلَا تُؤَخِّرُوا مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل من رواية محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . في قوله تعالى ( لا تقولوا راعنا ) قال « راعنا » بلسان اليهود السب القبيح - فكانت اليهود تقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم سراً . فلما سمعها أصحابه أعلنوا بها . فكانوا يقولونها ويضحكون منها : فسمعها سعد بن معاذ منهم . قال فذكره . والسدي هذا الصغير متروك . وكذا شيخه .



روى أنهم طعنوا في النسخ فقالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر، ثم ينههم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً؟ فزلت. وقرئ ﴿ما ننسخ من آية﴾ وما ننسخ: بضم النون، من أنسخ. أو نساها. وقرئ (ننساها) وننساها بالتشديد. وتنسها وتنسها، على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقرأ عبد الله. ما ننسك من آية أو ننسخها وقرأ حذيفة: ما ننسخ من آية أو ننسكها. ونسخ الآية: إزالتها بإبدال أخرى مكانها وإنساخها. الأمر بنسخها، وهو أن يأمر جبريل عليه السلام بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها. ونسوها، تأخيرها وإذهابها. لا إلى بدل. وإنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب. والمعنى أن كل آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معاً، أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل ﴿نأت﴾ بآية خير منها للعباد، أى بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلاً في ذلك ﴿على كل شيء قدير﴾ فهو يقدر على الخير، وما هو خير منه. وعلى مثله في الخير ﴿له ملك السموات والأرض﴾ فهو يملك أموركم ويدبرها ويحريها على حسب ما يصلحكم، وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ. لما بين لهم أنه مالك أمورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره، وقررهم على ذلك بقوله (ألم تعلم) أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدكم به وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى عليه السلام من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالاً عليهم كقولهم: اجعل لنا إلهاً، أرنا الله جهرة، وغير ذلك ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان﴾ ومن ترك الثقة بالآيات المنزلّة، وشك فيها، واقترح غيرها ﴿فقد ضلّ سواء السبيل﴾ روى أن فتاح بن عازوراء وزيد بن قيس ونفراً من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: ألم يروا ما أصابكم. ولو كنتم على الحق ما هزمت، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل، ونحن أهدى منكم سبيلاً فقال عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا شديد. قال: فإنني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت: فقالت اليهود: أما هذا فقد صعباً. وقال حذيفة: وأما أنا فقد رضيت بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالمقرآن إماماً، وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخواناً. ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه فقال: أصبتما خيراً وأفلحتما<sup>(١)</sup>. فزلت. فإن قلت: هم تعلق قوله: ﴿من عند أنفسهم﴾؟<sup>(٢)</sup> قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يتعلق بؤد، على معنى أنهم تمنوا

(١) لم أجده مستنداً. وهو في تفسير التعلبي كذلك بلا سند ولا راو.

(٢) قال محمود رحمه الله: «إن قلت: هم تعلق قوله من عند أنفسهم... الخ؟ قال أحمد رحمه الله: يبعد الوجه الثاني دخول عند. ويقرب الأول قوله تعالى (تلك أمانهم)».

أن تردوا عن دينكم وتمنهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم ، لا من قبل الدين والميل مع الحق ، لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق ، فكيف يكون تمنهم من قبل الحق ؟ وإما أن يتعلق بحسدا ، أى حسدا متبالغا منبعثا من أصل أنفسهم ﴿ فاعفوا واصفحوا ﴾ فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة ﴿ حتى يأتى الله بأمره ﴾ الذى هو قتل بنى قريظة وإجلاء بنى النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم ﴿ إن الله على كل شئ قدير ﴾ فهو يقدر على الانتقام منهم ﴿ من خير ﴾ من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما ﴿ تجودوه عند الله ﴾ تجدوا ثوابه عند الله ﴿ إن الله بما تعملون بصير ﴾ عالم لا يضيع عنده عمل عامل .

وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

الضمير فى ﴿ وقالوا ﴾ لأهل الكتاب من اليهود والنصارى . والمعنى : وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله ، وأما من الإلباس لماعلم من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه . ونحوه ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ﴾ ، والهود : جمع هائد ، كما تذكروا ، وبازل وبزل . فإن قلت : كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر ؟ قلت : حمل الاسم على لفظ ومنه ، والخبر على معناه ، كقراءة الحسن إلا من هو صالو الجحيم . وقوله : ﴿ فإن له نار جهنم خالدين فيها ﴾ . وقرأ أبى بن كعب : إلا من كان يهوديا أو نصرانيا . فإن قلت : لم قيل ﴿ تلك أمانيتهم ﴾ وقولهم ﴿ لن يدخل الجنة ﴾ أمنية واحدة (١) ؟ قلت :

(١) قال محمود رحمه الله : « فان قلت : لم قيل تلك أمانيتهم وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة ... الخ » ؟ قال أحد رحمته الله : يبعد هذا الجواب قوله تعالى عقيب ذلك : ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ ، بل من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ فان البرهان المطلوب منهم ههنا إنما هو على صحة دعواهم أن الجنة لا يدخلها غيرهم . وبحق هذا قوله ﴿ بل من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ﴾ فانما يعنى الجنة ونعيمها ، رداً عليهم فى نفي غيرهم عن دخولها ففى هذا دليل بين على أن الأمانى المشار إليها ليس إلا ما طربوا بأقامة البرهان على صحته وهو أمنية واحدة والله أعلم . والجواب القريب : بأنهم لشدة تمنهم لهذه الأمانة ومعاودتهم لها وتأكيدها فى نفوسهم بجمعت ، ليفيد جمعها أنها متأكدة فى قلوبهم ، بالغة منهم كل مبلغ ، والجمع يفيد ذلك وإن كان مؤداة واحداً . ونظيره قولهم : معاً جياح ، لجمعوا الصفة ومؤداة واحد ، لأن موصوفها واحد تأكيداً لثبوتها وتمسكها . وهذا المعنى أحد ما روى فى قوله تعالى ﴿ إن هؤلاء لشردمة قليلون ﴾ فانه جمع قليل وقد كان الأصل إفراده ، فيقال لشردمة قليلة كقوله تعالى : ﴿ كم من فئة قليلة ﴾ لو لا ما قصد إليه من تأكيد معنى القلة بجمعها ، ووجه إفادة الجمع فى مثل هذا للتأكيد أن الجمع يفيد بوضعه الزيادة فى الآحاد ، فنقل إلى تأكيد الواحد ، وإبانة زيادته على نظرائه نقلاً مجازياً بديعاً ، فتدبر هذا الفصل فانه من نفائس صناعة البيان والله الموفق .

أشير بها إلى الأمانى المذكورة وهو أمنيته<sup>(١)</sup> أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم ، وأمنيته أن يرتدوا كفاراً ، وأمنيته أن لا يدخل الجنة غيرهم : أى تلك الأمانى الباطلة أمانيتهم . وقوله ( قل هاتوا برهانكم ) متصل بقولهم : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى . وتلك أمانيتهم : اعتراض ، أو أريد أمثال تلك الأمانية أمانيتهم ، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . يريد أن أمانيتهم جميعاً في البطلان مثل أمنيته هذه . والأمانية أفعولة من التنى ، مثل الاضحوكة والاعجوبة ( هاتوا برهانكم ) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ( إن كنتم صادقين ) في دعواكم ، وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين . وأن كل قول لادليل عليه فهو باطل غير ثابت . ووهات ، صوت بمنزلة هاء ، بمعنى أحضر ( بلى ) إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة ( من أسلم وجهه لله ) من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره ( وهو محسن ) في عمله ( فله أجره ) الذى يستوجبه . فإن قلت : من أسلم وجهه كيف موقعه ؟ قلت : يجوز أن يكون ( بلى ) ردّاً لقولهم ، ثم يتبع ( من أسلم ) كلاماً مبتدأ ، ويكون ( من ) متضمنة للمعنى الشرط ، وجوابه ( فله أجره ) ، وأن يكون ( من أسلم ) فاعلاً لفعل محذوف ، أى بلى يدخلها من أسلم ، ويكون قوله ( فله أجره ) كلاماً معطوفاً على يدخلها من أسلم .

وَقَالَتِ الْيَهُودُ النَّصْرِيُّ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ <sup>(١١٣)</sup> وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ <sup>(١١٤)</sup>

(على شيء) أى على شيء يصح ويعتد به . وهذه مبالغة عظيمة ، لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء<sup>(٢)</sup> ، فإذا نفي إطلاق اسم الشيء عليه ، فقد بولغ في ترك الاعتداد به إلى ما ليس بعده<sup>(٣)</sup> . وهذا كقولهم : أقل من لا شيء ( وهم يتلون الكتاب ) الواو للحال . والكتاب

(١) قوله « وهو أمنيته » لعله : وهى . (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله : هذه مبالغة عظيمة لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء... الخ . . قال أحد رحمه الله : وتفسيره الشيء مخالفاً لفريق أهل السنة والبدعة ، فإنه عند أهل السنة قاصر على الموجود وعند المعتزلة يطلق على الموجود وعلى المعدوم الذى يصح وجوده ، فليس متنازلاً للحال بحال عندهما ، وقد تقدم له مثله .

(٣) قوله « إلى ما ليس بعده » لعل المعنى : إلى حد ليس بعده حد . (ع)

للجنس . أى قالوا ذلك ، وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب . وحق من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن لا يكفر بالباقي ؛ لأن كل واحد من الكتائين مصدق للشانى شاهد بصحته ، وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق بعضها بعضا ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك الذى سمعت به على ذلك المنهاج ﴿ قال ﴾ الجملة ﴿ الذين ﴾ لاعلم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعلقة ونجوم قالوا لأهل كل دين : ليسوا على شيء . وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع عليهم فى سلك من لا يعلم . وروى أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم أخبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم ، فقالت اليهود : ما أتم على شيء من الدين ، وكفروا بيسى والإنجيل . وقالت النصارى لهم نحوه ، وكفروا بموسى والتوراة <sup>(١)</sup> ﴿ فإله يحكم ﴾ بين اليهود والنصارى ﴿ يوم القيامة ﴾ بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذى استحقه . وعن الحسن : حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار ﴿ أن يذكر ﴾ ثانى مفعولى منع . لأنك تقول : منعه كذا . ومثله (وامنعنا أن نرسل) ، (وامنع الناس أن يؤمنوا) ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن ، ولك أن تنصبه مفعولا له بمعنى كراهة أن يذكر ، وهو حكم عام للجنس مساجد الله ، وأن مانعها من ذكر الله مفرط فى الظلم ، والسبب فيه أن النصارى كانوا يطرحون فى بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه ، وأن الروم غزوا أهله فغربوه وأحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا . وقيل أراد به منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية . فإن قلت : فكيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام ؟ قلت : لا بأس أن يحصى الحكم عاما وإن كان السبب خاصا ، كما تقول لمن أذى صالحا واحدا : ومن أظلم من أذى الصالحين . وكما قال الله عز وجل (ويل لكل همزة لمزة) والمنزول فيه الأخنس بن شريق (وسعى فى خرابها) بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان . وينبغى أن يراد به من ، منع العموم كما أريد بمساجد الله ، ولا يراد الذين منعوا بأعيانهم من أولئك النصارى أو المشركين ﴿ أولئك ﴾ المانعون ﴿ ما كان لهم أن يدخلوها ﴾ أى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوا مساجد الله ﴿ إلا خائفين ﴾ على حال التهيؤ وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم ، فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها . والمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم . وقيل ما كان لهم فى حكم الله ، يعنى أن الله قد حكم وكتب فى اللوح أنه ينصر المؤمنين ويقتلهم حتى

(١) أخرجه الطبرى من رواية ابن إسحاق حدثنى محمد بن أبى محمد حدثنى سعيد أو عكرمة عن ابن عباس به وفيه « أن قائل اليهود اسمه رافع بن حرملة » .

لا يدخلوها إلا خائفين . روى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متكرراً مسارقة . وقال قتادة : لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا أنهك ضرباً وأبلغ إليه في العقوبة . وقيل : نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا لا يحجج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان<sup>(١)</sup> ، وقرأ عبدالله : إلا خيفاً ، وهو مثل صيم<sup>(٢)</sup> . وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد : فحوزه أبو حنيفة رحمه الله ، ولم يجوزه مالك ، وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره . وقيل : معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخليفة بينهم وبينه ، كقوله : ( وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ) . ( خزي ) قتل نوسبي<sup>٣</sup> ، أو ذلة بضرب الجزية . وقيل : فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية .

وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾  
 ( والله المشرق والمغرب ) أى بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها لله هو مالكمها ومتولياها ( فأينما تولوا ) فى أى مكان فعلتم التولية ، يعنى تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى : ( فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ) . ( فثم وجه الله ) أى جهته التى أمر بها ررضها . والمعنى أنكم إذا منعت أن تصلوا فى المسجد الحرام أو فى بيت المقدس ، فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها ، وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة فى كل مكان لا يختص إسكانها فى مسجد دون مسجد ولا فى مكان دون مكان ( إن الله واسع ) الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم ( عليم ) بمصالحهم . وعن ابن عمر نزلت فى صلاة المسافرين على الراحلة أينما توجهت . وعن عطاء : عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة ، فلما أصبحوا تينوا خطأهم فعذروا . وقيل : معناه فأينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة . وقرأ الحسن : فأينما تولوا ، بفتح التاء من التولى يريد : فأينما توجهوا القبلة .

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ

### قَاتِنُونَ ﴿١١٦﴾

( وقالوا ) وقرئ بغير واو ، يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله . ( سبحانه ) تنزيه له عن ذلك وتبعيد ( بل له ما فى السموات والأرض ) هو خالقه ومالكم ، ومن جملة الملائكة وعزير والمسيح ( كل له قاتنون ) منقادون ، لا يتمتع شئ منه على

(١) متفق عليه من رواية حميد بن عبد الرحمن : عن أبي هريرة رضى الله عنه .

(٢) قوله : وهو مثل صيم ، فى الصحاح : قوم صوم وصيم . ( ع )

تكوينه وتقديره ومشيتته، ومن كان بهذه الصفة لم يجانس، ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد. والتنوين في (كل) عوض من المضاف إليه، أي كل ما في السموات والأرض. ويجوز أن يراد كل من جعلوه لله ولداً له قاتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم. فإن قلت: كيف جاء بما التي لغير أولى العلم مع قوله قاتنون؟ قلت: هو كقوله: سبحان ما سخركن لنا. وكأنه جاء بـ «ما» دون «من» تحقيراً لهم وتصغيراً لشأنهم، كقوله: (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً).

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

يقال بدع الشيء فهو بديع، كقولك: بزع الرجل <sup>(١)</sup> فهو بزيع. و (بديع السموات) من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي بديع سمواته وأرضه. وقيل البديع بمعنى المبدع، كما أن السميع في قول عمرو:

\* أَمِنْ رَيْحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ \* <sup>(٢)</sup>

بمعنى السميع وفيه نظر (كن فيكون) من كان التامة، أي أحدث فيحدث. وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم، كما لا قول في قوله:

\* إِذْ قَالَتِ الْأَنْسَاءُ لِلْبُطْنِ الْحَقِّ \* <sup>(٣)</sup>

وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه، فإنما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف، كما أن المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الإباء.

(١) قوله «بزع الرجل» بزع بالزاي كظرف وزنا ومعنى. أفاده الصحاح وصرح كقولك بأنه لا يوصف به الأحداث. (ع)

(٢) مر شرح هذا الشاهد صفحة ٦٠ من هذا الجزء فراجع إن شئت اه مصححه.

(٣) إذا قالت الأنساع البطن الحق قدوما فأضحت كالفنيق الحق

لأبي التعم المجلي. والنسج - بالكسر - : حزام عريض يشده وسط الدابة وستر المودج. والحق: فعل أمر، أي التصق يا بطن بالظهر وانضم. وقدوما: نصب على المصدر مجذوف أو بما قبله على أنه مفعول له. وآض يبيض أيضاً: إذا صار يصير، أو رجع يرجع، أي صارت الناقة كالفنيق. ويروي: فأضحت، أي حقدت واغتاضت الناقة، وأصله بكسر الحاء فسكن تخفيفاً كما تقدم في ضجر ودير. والفنيق: الفحل المنعم المكرم. يقال: أفنقه، إذا نممه. وجارية فقة: ناعمة. والمحنق: المنفيظ، من الحنق وهو الحقد والمنفيظ. ويروي «إذ قالت» بدل «إذا قالت». والحق: بوصل الهمة وقطعها. والمحنق يسكون الحاء، فيكون من الرجز، لا من الطويل. وقدم قدما، كعصر نصراً، إذا تقدم. والظاهر أن هذه الرواية هي الصواب لكثرة رجز أبي التعم. وإثبات القول للأنساع وغايتها البطن من باب التمثيل. والتمنى أنه شد عليها أدراج السفر واغتاضت غيظاً شديداً، كالفحل المكرم الذي غاظه غيره.

أكد بهذا استبعاد الولادة لأن من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مبينة لأحوال الأجسام في توأدها. وقرئ (بديع السموات) مجروراً على أنه بدل من الضمير في له. وقرأ المنصور بالنصب على المدح.

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ يَتَيْنَا الْآيَاتِ لَقَوْمٍ يُوقُونَ ﴿١١٨﴾  
 (وقال الذين لا يعلمون) وقال الجاهلة من المشركين، وقيل من أهل الكتاب، ونفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به: (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى؟ استكباراً منهم وعتوا (أو تأتينا آية) جحوداً لأن يكون ما أتاهم من آيات الله آيات، واستهانة بها (تشابهت قلوبهم) أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى، كقوله (أتواصوا به). (قد بينا الآيات لقوم) ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها.

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾  
 (إنا أرسلناك) لأن تبشر وتنذر لا لتجبر على الإيمان، وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه، لأنه كان يغم ويضيق صدره لإصرارهم وتصميمهم على الكفر. ولا نسألك (عن أصحاب الجحيم) ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم، كتموله (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقرئ: (ولا تسأل) على النهي. روى أنه قال: ليت شعري ما فعل أبواي، فهى عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله. وقيل: معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما نقول: كيف فلان؟ سائلاً عن الواقع في بلية، فيقال لك: لا تسأل عنه. ووجه التعظيم أن المستخبر يرجع أن يجرى على لسانه ما هو فيه لفظاعته، فلا تسأله ولا تكلفه ما يضره، أو أنت يامستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره، فلا تسأل. وتعصد القراءة الأولى قراءة عبد الله: ولن تسأل، وقراءة أبي: وما تسأل.

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ لَهُدْيٌ وَإِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ

وَلِيٍّ وَلَا تَصْبِرْ ﴿١٢٠﴾

كانهم قالوا: لن نرضى عنك وإن أبلغت في طلب رضا ناحتي تتبع ملتنا. إقناطاً منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم في الإسلام، فحكي الله عز وجل كلامهم، ولذلك قال: (قل).

إِنَّ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ ﴿١٢١﴾ عَلَىٰ طَرِيقَةٍ إِيَّابَتِّهِمْ عَنْ قَوْلِهِمْ ، يَعْنِي أَنَّ هَدَىٰ اللَّهُ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ هُوَ الْهَدَىٰ بِالْحَقِّ وَالَّذِي يَصِحُّ أَنْ يُسَمَّى هَدَىٰ ، وَهُوَ الْهَدَىٰ كُلُّهُ لَيْسَ وَرَاءَهُ هَدَىٰ ، وَمَا تَدْعُونَ إِلَىٰ اتِّبَاعِهِ مَا هُوَ بِهِدَىٰ إِنَّمَا هُوَ هَوَىٰ . أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَنْ اتَّبِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ أَيُّ أَقْوَالِهِمُ الَّتِي هِيَ أَهْوَاءُ وَبَدَعَ ﴿ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ أَيُّ مِنَ الدِّينِ الْمَعْلُومِ صَحَّتْهُ بِالْبَرَاهِينِ الصَّحِيحَةِ .

الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ كَتَبَ يَتْلُوهُ حَقًّا تِلَاوَتُهُ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ كُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ ﴾ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴿ يَتْلُوهُ حَقًّا تِلَاوَتُهُ ﴾ لَا يَحْرِفُونَهُ وَلَا يَغَيِّرُونَ مَا فِيهِ مِنْ نِعْمَتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ ﴾ بِكِتَابِهِمْ دُونَ الْخَرَفِ ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ﴾ مِنَ الْخَرَفِ ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ حَيْثُ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا بَنَالَ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُبَلِّغِينَ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

﴿ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ اخْتَبَرَهُ بِأَوْامِرٍ وَنَوَاهٍ . وَاخْتَبَارَ اللَّهُ عَبْدَهُ بِحَاجَازٍ عَنْ تَمَكُّنِهِ عَنْ اخْتِيَارِ (١) أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ : مَا يَرِيدُ اللَّهُ ، وَمَا يَشْتَبِهُهُ الْعَبْدُ ، كَأَنَّهُ يَمْتَحِنُهُ مَا يَكُونُ مِنْهُ حَتَّىٰ يَحَاجِزَهُ عَلَىٰ حَسَبِ ذَلِكَ . وَقَرَأَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إِبْرَاهِيمُ رَبُّهُ) رَفَعَ إِبْرَاهِيمَ وَنَصَبَ رَبَّهُ . وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ دَعَاهُ بِكَلِمَاتٍ مِنَ الدَّعَاءِ فَعَلَّ الْخُتْبَةَ هَلْ يَجِيبُهُ إِلَيْهِنَّ أَمْ لَا ؟ فَإِنْ قُلْتُ : الْفَاعِلُ فِي الْقِرَاءَةِ الْمَشْهُورَةُ بِإِلَى الْفَعْلِ فِي التَّقْدِيرِ ، فَتَعْلِيقُ الضَّمِيرِ بِهِ إِضْمَارُ قَبْلِ الذِّكْرِ . قُلْتُ : الْإِضْمَارُ قَبْلَ الذِّكْرِ أَنْ يُقَالَ : ابْتَلَىٰ رَبُّهُ إِبْرَاهِيمَ . فَأَمَّا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ، أَوْ ابْتَلَىٰ رَبُّهُ إِبْرَاهِيمَ ، فَلَيْسَ وَاحِدًا مِنْهُمَا بِإِضْمَارٍ قَبْلَ الذِّكْرِ . أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ ذَكَرْتُهُ صَاحِبُ الضَّمِيرِ قَبْلَ الضَّمِيرِ ذَكَرًا ظَاهِرًا . وَأَمَّا الثَّانِي فإِبْرَاهِيمَ فِيهِ مُقَدِّمٌ فِي الْمَعْنَى ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ : ابْتَلَىٰ رَبُّهُ إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّ الضَّمِيرَ فِيهِ قَدْ تَقَدَّمَ لَفْظًا وَمَعْنَى فَلَا سَبِيلَ إِلَى

(١) قَوْلُهُ وَتَمَكُّنُهُ عَنْ اخْتِيَارِ ، لَعَلَّ مِنْ .



صحته . والمستكن في ﴿ فَاْتَمَنَ ﴾ في إحدى القراءتين لإبراهيم بمعنى : فقام بهن حق القيام وأذهن أحسن التأدية من غير تقييد وتران . ونحوه ( وإبراهيم الذي وفي ) وفي الأخرى لله تعالى بمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئاً . ويعضده ما روى عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه في قوله : ﴿ رَب اجعل هذا بلداً آمناً ﴾ ، ( واجعلنا مسلمين لك ) ، ( وابعث فيهم رسولا منهم ) . ( ربنا تقبل منا ) فإن قلت : ما العامل في إذ ؟ قلت : إمام مضمون نحو : واذكر إذ ابتلى أو وإذا ابتلاه كان كبت وكيت ، وإما ﴿ قال إني جاعلك ﴾ . فإن قلت : فما موقع قال ؟ قلت : هو على الأول استئناف ، كأنه قيل : فإذا قال له ربه حين أتم الكلمات ؟ فقيل : قال إني جاعلك للناس إماماً . وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها . ويجوز أن يكون يانا لقوله ( ابتلى ) وتفسيراً له فيراد بالكلمات ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده . والإسلام قبل ذلك في قوله ( إذ قال له ربه أسلم ) وقيل في الكلمات : هن خمس في الرأس : الفرق ، وقص الشارب ، والسواك ، والمضمضة والاستنشاق . وخمس في البدن : الحتان ، والاستحداد ، والاستنجاء ، وتقليم الأظفار ، ونف الإبط . وقيل ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سهماً : عشر في برامة ( الثابتون العابدون ) ، وعشر في الأحزاب ( إن المسلمين والمسلمات ) ؛ وعشر في المؤمنون وسأل سائل إلى قوله ( والذين هم على صلاتهم يحافظون ) وقيل هي مناسك الحج ، كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف وغيره . وقيل : ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والحسان وذبح ابنه والنار والهجرة . والإمام اسم من يؤتم به على زنة الآلة ، كالإزار لما يؤتز به ، أى يأتمون بك في دينهم ﴿ ومن ذريتي ﴾ عطف على الكاف ، كأنه قال : وجاعل بعض ذريتي ، كما يقال لك : سأكرمك ، فتقول : وزيدا ﴿ لا ينال عهدى الظالمين ﴾ وقرئ : الظالمون ، أى من كان ظالماً من ذريتك . لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة ، وإنما ينال من كان عادلاً بريئاً من الظلم . وقالوا : في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة . وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته . ولا تجب طاعته ؛ ولا يقبل خبره ، ولا يقدم للصلاة . وكان أبو حنيفة رحمه الله يفتي سراً بوجوب نصره زيد بن علي رضي الله عنهما ، وحمل المال إليه ، والخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالإمام والخليفة ، كالدوانيق وأشباهه . وقالت له امرأة : أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل . فقال : ليتني مكان ابنك . وكان يقول في المنصور وأشياعه : لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عذآجره لما فعلت . وعن ابن عينة : لا يكون الظالم إماماً قط . وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة ، والإمام إنما هو لكف الظلمة . فإذا نصب من كان ظالماً في نفسه فقد جاء المثل السائر : من استرعى الذئب ظلم . و﴿ البيت ﴾

اسم غالب للسكبة ، كالنجم للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار ، يفرقون عنه ثم يثوبون إليه أى يثوب إليه أعيان الذين يزورونه أو أمثالهم (وأمننا) موضع أمن ، كقوله (حرما آمننا ويتخطف الناس من حولهم) ولأن الجاني يأوى إليه فلا يتعرض له حتى يخرج .  
 وقرئ : مثابات ، لأنه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم (سواء العاكف فيه والباد) (واتخذوا) على إرادة القول ، أى وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه . وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب . وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه أخذ بيد عمر فقال : هذا مقام إبراهيم ، فقال عمر أفلا تتخذة مصلى - يريد أفلا تؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم إبراهيم - فقال : لم أؤمر بذلك ، فلم تغب الشمس حتى نزلت .<sup>(١)</sup> وعن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة ، حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) <sup>(٢)</sup> وقيل : مصلى مدعى . ومقام إبراهيم : الحجر الذى فيه أثر قدميه ، والموضع الذى كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه ، وهو الموضع الذى يسمى مقام إبراهيم . وعن عمر رضى الله عنه أنه سأل المطلب بن أبى وداعة : هل تدري أين كان موضعه الأول ؟ قال : نعم ، فأراه موضعه اليوم . وعن عطاء (مقام إبراهيم) عرفة والمزدلفة والجمار ، لأنه قام في هذه المواضع ودعا فيها . وعن النخعي : الحرم كله مقام إبراهيم . وقرئ (واتخذوا) بلفظ الماضى عطفا على (جعلنا) أى واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذى وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها (عهدنا) أمرناهما (أن تطهرا يتي) بأن تطهرا ، أو أى تطهرا . والمعنى طهرا من الأوثان والأنجاس وطواف الجنب والحائض والحائض كلها ، أو أخلصاء هؤلاء لا يشبه غيرهم (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا عنده ، أى أقاموا لا يرحلون ، أو المعتكفين . ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعنى القائمين فى الصلاة ، كما قال : (للقائمين والقائمين والركع السجود) ، والمعنى : للقائمين والمصلين ، لأن القيام والركوع والسجود هيأت المصلى .

(١) أخرجه أبو نعيم من رواية مجاهد عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عمر رضى الله عنه فمر على المقام فقال له : يا بني الله هذا مقام إبراهيم ؟ قال نعم . قال ألا تتخذة مصلى ؟ فأمر الله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى - الآية) وقال : غريب من رواية - مجاهد . تفرد به جعفر بن محمد المدايني عن أبيه عن هارون الأعور عن أبان بن تغلب عن الحكم عن مجاهد . وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه قال : قال عمر رضى الله عنه دافقنى ربي فى ثلاث - فذكر الحديث ، وفيه وقلت يا رسول الله ، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى - فتركنا .

(٢) هكذا ذكره . والذي فى صحيح مسلم فى الحديث الطويل فى صفة الحج ، أنه قرأ الآية لما فرغ من الطواف ثم صلى .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ  
آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ  
النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

أى اجعل هذا البلد أو هذا المكان (بلدا آمنا) ذا أمن، كقوله (عيشة راضية). أو آمنا  
من فيه، كقوله: ليل نائم. و(من آمن منهم) بدل من أهله، يعنى وارزق المؤمنين من أهله  
خاصة. (ومن كفر) عطف على من آمن كما عطف (ومن ذرئى) على الكاف فى جاعلك  
فإن قلت: لم خص إبراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه؟ قلت: قاس الرزق على الإمامة  
فعرّف الفرق بينهما، لأنّ الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للرعى، وأبعد الناس عن  
النصيحة الظالم، بخلاف الرزق فإنه قد يكون استدراجا للرزوق وإلزاما للحجة له. والمعنى:  
وارزق من كفر فأمتعه. ويجوز أن يكون (ومن كفر) مبتدأ متضمنا معنى الشرط. وقوله  
(فأمتعه) جوابا للشرط، أى ومن كفر فأنا أمتعه. وقرئ فأمتعه فأضطره (١) فألزه إلى عذاب  
النار لأنّ المضطر الذى لا يملك الامتناع عما اضطر إليه، وقرأ أى: فتمتعه قليلا ثم نضطره.  
وقرأ يحيى بن وثاب: فأضطره، بكسر الهمزة. وقرأ ابن عباس فأمتعه قليلا ثم اضطره. على  
لفظ الأمر. والمراد الدعاء من إبراهيم دعاء ربه بذلك. فإن قلت: فكيف تقدير الكلام على  
هذه القراءة؟ قلت: فى (قال) ضمير إبراهيم، أى قال إبراهيم بعد مسئلته اختصاص المؤمنين  
بالرزق: ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره. وقرأ ابن محيصن: فأطره، يادغام الضاد فى الطاء  
كما قالوا: اطجع، وهى لغة مرذولة، لأنّ الضاد من الحروف الخمسة التى يدغم فيها ما يجاورها  
ولا تدغم هى فيما يجاورها، وهى حروف دغم شفر، .

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا  
مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا  
مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

(١) قوله: فأضطره، التلاوة: ثم اضطره (ع)

(يرفع) حكاية حال ماضية . و (القواعد) جمع قاعدة وهي الأساس والأصل لما فوقه ، وهي صفة غالبة ، ومعناها الثابتة . ومنه قعدك الله ، أى أسأل الله أن يقعدك أى يثبتك . ورفع الأساس : البناء<sup>(١)</sup> عليها لأنها إذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاوالت بعد التقاصر . ويجوز أن يكون المراد هاسافات البناء<sup>(٢)</sup> لأن كل ساف قاعدة للذى يبنى عليه ويوضع فوقه . ومعنى رفع القواعد : رفعها بالبناء لأنه إذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات . ويجوز أن يكون المعنى : وإذا رفع إبراهيم ما قعد من البيت - أى استوطأ - يعنى جعل هيئته القاعدة المستوطنة مرتفعة عالية بالبناء ، وروى أنه كان مؤسساً قبل إبراهيم فبنى على الأساس . وروى أن الله تعالى أنزل البيت ياقوته من يواقيت الجنة له بابان من زمرد : شرقى وغربى ، وقال لآدم عليه السلام : أهبط لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشى ، فتوجه آدم من أرض الهند إليه ماشياً ، وتلقته الملائكة فقالوا : برحمتك يا آدم ، لقد حججنا هذا البيت قبلك بالثى عام<sup>(٣)</sup> وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند إلى مكة على رجله ، فكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيام الطوفان إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه . وقيل بعث الله سبحانه أطلته : ونودى : أن ابن على ظلها لا تزدد ولا تنقص . وقيل : بناء من خمسة أجبل طور سيناء ، وطور زيتا ، ولبنان ، والجودى ، وأسس من حراء . وجاءه جبريل بالحجر الأسود من السماء . وقيل : تمتحض أبو قبيس فانشق عنه ، وقد خي في أيام الطوفان وكان ياقوته يضاء من الجنة ، فلما لمسته الخيض فى الجاهلية اسود . وقيل كان إبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة (ربنا) أى يقولان ربنا . وهذا الفعل فى محل النصب على الحال ، وقد أظهره عبد الله فى قراءته ،

(١) قوله و رفع الأساس البناء ، لعله الأسس - بضمتين . (ع)

(٢) قوله والمراد بها سافات البناء ، قوله وسافات ، عبارة أبى السعود . والنسخ : سافات ، بالقاف بدل الفاء .

والصواب أنه بالفاء كما فى الصحاح فى باب الفاء : الساف : كل غرق من الحائط . (ع)

(٣) أخرجه الفاكهى فى كتاب مكة من رواية الضحاك هو ابن مزاحم . قال : قال حذيفة : وسلبان الفارسى و سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله أنزل البيت من ياقوته حراء نزلت به الملائكة مع آدم ، فنزلت به فى الحرم ونزل آدم فى الهند فى جبل يقال له واشب بأرض الهند ونزل إبليس بالحرم لحول الله إبليس إلى أرض الهند وحول آدم إلى الحرم . الحديث . وفى إسناده ضعف وانقطاع . ورواه أيضاً من طريق ابن إدريس عن أبيه عن عطاء أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل كعباً قال : أخبرنى عن بناء هذا البيت ما كان أمره ؟ فقال : إن هذا البيت ، أنزله الله من السماء ياقوته حراء مجوفة مع آدم ، وفى رواية الهاس بن قهم : سمعت عطاء يقول د قال آدم يارب أين توجهنى ؟ قال تبنى لى بهتامة بيتاً مما بلى البحر يطاف حوله ، كما تطوف الملائكة حول عرشى . ويصلى عنده كما تصلى الملائكة عند عرشى . فأقبل نحو البيت . مما بلى الصفا . فطاف بالبيت وصلى عنده . قال الهاس : وحدثنى عقيل على بن سفيان . حدثنا عطاء عن عبد الله بن عمرو بن نبله وقال الماكهى فى كتاب مكة أيضاً : حدثنا ابن عمرو . حدثنا سفيان عن ابن أبى ليلى قال د حج آدم فتلقت الملائكة فقالوا : أبر نسلك . فقد حججنا هذا البيت فلك بالثى عام ، وهكذا هو فى جامع سفيان بن عيينة .

ومعناه : يرفعنا قائلين ربنا (إنا أنت السميع) لدعائنا (العليم) بضمائرنا ونياتنا . فإن قلت : هلا قيل : قواعد البيت ، وأى فرق بين العبارتين ؟ قلت : في إيهام القواعد وتبيينها بعد الإيهام ما ليس في إضافتها لما في الإيضاح بعد الإيهام من تفخيم لشأن المبين (مسلمين لك) مخلصين لك أو جهننا ، من قوله (أسلم وجهه لله) أو مستسلمين . يقال : أسلم له وسلم واستسلم ، إذا خضع وأذعن . والمعنى : زدنا إخلاصاً أو إذعاناً لك . وقرئ (مسلمين) على الجمع ، كأنهما أرادا أنفسهما وهاجر ، أو أجريا التثنية على حكم الجمع لأنها منه (ومن ذريتنا) واجعل من ذريتنا (أمة مسلمة لك) و (من) للتبعيض أو للتبيين ، كقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم) . فإن قلت : لم خصا ذريتهما بالدعاء ؟ قلت : لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) ، ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعهم على الخير . ألا ترى أن المقدمين من العلماء والكبراء إذا كانوا على السداد ، كيف يتسبون لسداد من وراءهم ؟ وقيل : أراد بالآمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وأرنا) منقول من رأى بمعنى أبصر أو عترف . ولذلك لم يتجاوز مفعولين ، أى وبصرنا متعبداتنا في الحج ، أو وعرفناها . وقيل : مذابحنا . وقرئ : وأرنا ، بسكون الراء قياساً على نخذ في نخذ . وقد استردت ، لأن الكسرة منقولة من الهززة الساقطة دليل عليها ، فاسقاطها لإجحاف . وقرأ أبو عمرو بإشمام الكسرة . وقرأ عبد الله : وأرهم مناسكهم . (وتب علينا) ما فرط منا <sup>(١)</sup> من الصغار أو استتابا لذريتهما (وابعث فيهم) في الأمة المسلمة (رسولاً منهم) من أنفسهم . وروى أنه قيل له : قد استجيب لك وهو في آخر الزمان ، فبعث الله فيهم محمداً صلى الله عليه وسلم . قال عليه الصلاة والسلام : أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى وروياً <sup>(٢)</sup>

(١) قوله «تب علينا ما فرط منا» لعله على تضمين تب معنى اغفر . (ع)

(٢) أخرجه أحمد والبخاري وابن حبان . والطبراني والحاكم من حديث العرياض بن سارية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إني عبد الله وخاتم النبيين ، وأبى آدم منجد في طينته وأخبركم عن ذلك . دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ، وروياً أى التى رأت . الحديث ، ولأحد من حديث أبي أمامة رضى الله عنه وقلت : يا رسول الله . ما كان يدؤ أمرك قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أى أنه خرج منها نور أضاءت به قصور الشام . ورواه البيهقي في الشعب . ثم قال : أما دعوة إبراهيم فهى قوله (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) وأما بشارة عيسى فهى قوله تعالى (يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد) . قال : وأما روياً أنه فذكر ابن إسحاق في السيرة قال : كانت أمة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث أنها أتيت ، ولأبى يملئ عن شداد بن أوس رفته : أما دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ابن مريم ، وأنت أى رأت في المنام نوراً قالت : لجلعت أتبع بصرى النور لجعل النور يسبق بصرى حتى أضاء لي مشرق الأرض ومنازلها ، وللحاكم في المستدرک من طريق ابن إسحاق عن ثور بن زيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال : دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ، ورأت أى أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام .

(يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) الشريعة وبيان الأحكام (ويزكهم) ويطهرهم من الشرك وسائر الأراجاس، كقوله: (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث).

وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِ مَا نَسَمْتُ

لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١)

(ومن يرغب) إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبراهيم. و (من سفه) في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب، وصح البدل لأن من يرغب غير موجب، كقولك: هل جارك أحد إلا زيد (سفه نفسه) امتها واستخف بها. وأصل السفه: الخفة. ومنه زمام سفیه. وقيل انتصاب النفس على التميز، نحو: غبن رأيه وألم رأسه. ويجوز أن يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله:

\* وَلَا بِفَزَارَةِ الشَّعْرِ الرَّقَابَا \* (١)

\*\*\*

\* أَجَبَ لِلظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ \* (٢)

(١) فاقوى ثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا

وقوى - إن سألت - بنو لؤي بمكة علوا مضر الصوابا

لحارث بن ظالم المري، يدعى أنه من قريش، وأن أمه خرجت به إلى مرة وهو صغير، فذهب إليهم. وثعلبة وفزارة ومضر: أسماء قبائل، ووصف ثعلبة بأن لها للأصل فانه اسم أبي القبيلة. والشعر: جمع أشعر كحمر وأحمر. والرقاب: تمييز معرفة على رأى الكوفيين. وأشعر الرقبة يطلق على الأسد، وعلى أغم القفا - وهو المراد. يقول: ليس قوى هؤلاء الأخسة، وإنما أنا من بني لؤي. وإن سألت: اعتراض بين المبتدأ وخبره. ومضر، والصواب: مفعولان لعلوا.

(٢) فان يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشعر الحرام

ونأخذ بعده بذياب عيش أجاب الظهر ليس له سنم

للتأنيب الذي يأتي برئى النعمان المعافى بن الحارث الأصغر ملك العرب. وقيل لجبرير، وليس بذلك. يقول: فان يتبين هلاك النعمان يتبين هلاك ربيع الناس. شبه بالربيع وهو المطر، أو النهر، أو فصل الربيع. أو الخصب، في أن كلا يعمر خيره الناس. وشبه بالشعر الحرام في أن كلا أمان للناس من الحروب والخواف. وروى: والبلد الحرام. أى مكة. شبه بها في الأمان أيضا. ويجوز أن المعنى إن يهلك هو يهلك تبعاً له عطاؤه وجامه الشبهات بالربيع وبالشعر الحرام في النفع والأمان، وكل ذلك على سبيل الاستمارة التصريحية. ويجوز أنه كان يحفظهم ربيعهم عن =

وقيل معناه: سفه في نفسه ، فحذف الجار، كقولهم : زيد ظني مقيم ، أى في ظني . والوجه هو الأول . وكفى شاهداً له بما جاء في الحديث <sup>(١)</sup> : «الكبر أن تسفه الحق وتغصص الناس <sup>(٢)</sup>» ، وذلك أنه إذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في إذالة نفسه <sup>(٣)</sup> وتعجيزها ، حيث خالف بها كل نفس عاقلة (ولقد اصطفيناه) بيان لخطأ رأى من رغب عن ملته ، لأن من جمع

== رعى غريم وحرمة شهره من هتكها ، بأن يفار عليهم فيه ، فلا استعارة إلا في هلاك الشهر . وروى نأخذ : بالحركات الثلاث ، وكذلك كل مضارع معطوف على جواب الشرط ، فالجزم على العطف ، والرفع على الاستئناف . والنصب باختيار إن لشبه الشرط بالثني ، لكنه قليل . والذئاب - بالكسر - : ذنب البعير والفرس ، وعقب كل شيء . وشبه العيش الضيق الناقص بغير مهزول على طريق الممكنية . والذئاب ، والظهر ، والسنام - بالفتح - تخيل . وأجب الظهر : منقطعه ، أى رتتمسك بعده بطرف عيش وبقيته منه ضيقة قليلة ، كالبعير المقطوع الظهر . وبين ذلك بقوله : ليس له سنام . وأجب : صفة مشبهة بنوع من الصرف ، فيجر بالفتحة على الصفة لعيش . وقيل نصب على الحال . وروى بالرفع على الخبرية لحذف . وروى الظهر بالرفع ، فاعلا للصفة ، أو بدلا من الضمير فيها وفتحته التحاة ، وبالنصب تفعيها بالمفعول أو تميزاً على مذهب من ميز بالمعرفة وضعفوه وبالجر باضافة أجب إليه فيجر أجب بالكسرة ، وحسنوا هذا .

(١) أخرجه البزار من رواية ابن إسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عمر : قيل : يا رسول الله ، أمن الكبر أن يتخذ الرجل الطعام فيكون عليه الجماعة ، ويلبس القميص النظيف ، قال : ليس ذلك بالكبر . وإنما الكبر أن تسفه الحق وتغصص الناس ، وذكر فيه قصة . وقال : لا نعلم رواه عن عمرو عن ابن عمر إلا ابن إسحاق اه . وأخرجه الطبراني من رواية ابن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قلت يا رسول الله أمن الكبر أن ألبس الثوب الحسن ؟ قال : لا . قلت : فما الكبر ؟ فذكره ، ورواه البخاري في الأدب المفرد . من طريق الصعب بن زهير عن زيد بن أسلم قال لانهله إلا عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل فقال يا رسول الله : الكبر أن يكون لأحدنا حلة يلبسها ؟ قال : لا... الحديث ، وأخرجه أيضاً من رواية عبد العزيز ابن محمد . وأخرجه البزار من رواية أبي بكر بن أبي سبرة . وأخرجه أحمد في الزهد من رواية هشام بن سعد كلهم عن زيد به . وقال عبد بن حميد في مسنده : أخبرنا عبد الله بن موسى عن موسى بن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر فذكر حديثاً وفيه : فقال معاذ : يا رسول الله أمن الكبر أن يكون لأحدنا الدابة فيركبها ، أو الثعلب ، أو الثياب يلبسها ، أو الطعام يجمع عليه أصحابه ؟ قال : لا . ولكن الكبر أن يسفه الحق ويغصص المؤمنين ، وموسى ضعيف . وفي الطبراني من رواية عبد الحميد بن سليمان . عن حمارة بن غزيرة عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها . أن عبد الله ابن عمرو قال : يا رسول الله ، أمن الكبر أن ألبس الحلة الحسنة ؟ الحديث ، وأخرجه الطبراني في الأوسط . ومسنده الثامنين عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر نحوه . وفي الباب عن أبي هريرة : أخرجه ابن حبان وإسحاق من طريق ابن سيرين عنه . وعن ابن مسعود . أخرجه إسحاق وأبو يعلى والحاكم : أن مالك بن مرارة الرمادي . قال : يا رسول الله إن لي من الجلال مائتي ، وإن لا أحب أحداً أن يفصلني بشركين فما فوقهما . أفهذا من البغي ؟ قال : لا . الحديث ، وعن أبي ريمانة . أخرجه أحمد والطبراني . وعن ثابت بن قيس . أخرجه الدارمي والطبراني . وعن سوداء بن عمرو والحسين بن علي أخرجهما الطبراني . وعن ابن عباس . أخرجه عبد بن حميد وعن عتبة بن عامر أخرجه أبو مسلم في الجامع من السنان له .

(٢) قوله : وتغصص الناس ، أى تستصغروهم وتعيهم . أفاده الصحاح (ع)

(٣) قوله : في إذالة نفسه ، أى إهانتها . أفاده الصحاح (ع)

الكرامة عند الله في الدارين ، بأن كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهوداً له بالاستقامة على الخير في الآخرة ، لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه ﴿إذ قال﴾ ظرف لاصطفيناه ، أى : اخترناه في ذلك الوقت . أو انتصب بإظهاره اذكره استشهاداً على ما ذكر من حاله . كأنه قيل : اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملة مثله . ومعنى قال له : أسلم ، أخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية إلى المعرفة والإسلام ﴿قال أسلمت﴾ أى فنظر وعرف . وقيل أسلم : أى أذعن وأطع . وروى أن عبد الله بن سلام دعا ابنى أخيه سلبه ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما : قد علمنا أن الله تعالى قال في التوراة : إني باعث من ولد إسماعيل نبيا اسمه أحمد ، فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ، ومن لم يؤمن به فهو ملعون . فأسلم سلبه وأبى مهاجر أن يسلم ، فنزلت .

وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

قرئ : وأوصى ، وهى فى مصاحف أهل الحجاز والشام . والضمير فى ﴿بها﴾ لقوله أسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ، ونحوه رجوع الضمير فى قوله (وجعلها كلمة باقية) إلى قوله (إنتى برأء مما تعبدون إلا الذى فطرنى) وقوله : كلمة باقية ، دليل على أن التائيد على تأويل الكلمة (ويعقوب) عطف على إبراهيم ، داخل فى حكمه . والمعنى : ووصى بها يعقوب بنيه أيضا . وقرئ : ويعقوب ، بالنصب عطفاً على بنيه . ومعناه : ووصى بها إبراهيم بنيه وناقلته يعقوب ﴿يا بنى﴾ على إضمار القول عند البصريين . وعند الكوفيين يتعلق بوصى ، لأنه فى معنى القول . ونحوه قول القائل :

رَجُلَانِ مِنْ ضَبَّةٍ أَخْبَرَانَا إِنَّا رَأَيْنَا رَجُلًا عُرْيَانًا (١)

بكسر الهمزة : فهو بتقدير القول عندنا ، وعندهم يتعلق بفعل الإخبار . وفى قراءة أبى وابن مسعود : أن يابنى ﴿اصطفى لكم الدين﴾ أعطاكم الدين الذى هو صفوة الأديان وهودين الإسلام . ووقفكم للأخذ به ﴿فلا تموتن﴾ معناه فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام ، فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا ، كقولك : لاتصل إلا وأنت

(١) رجلان بالسكون للتخفيف والوزن ، كما يسكن عضد . وضبة : اسم قبيلة . وروى بدله من مكة ، والاخبار فيه معنى القول ، فلذلك كسرت بعده إن على الحكاية ، أى قالوا لنا ذلك القول وهو : أنا رأينا . ومذهب الكوفيين أن الجملة المحكية فى محل نصب بالفعل المذكور ، ومذهب البصريين بقول مقدر . وقال بعضهم : الظاهر أنها مفسرة فلا محل لها . وروى بالفتح على حذف الجار ، أى بأنا رأينا .



خاشع ، فلا تنهاه عن الصلاة ، ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته . فإن قلت : فأى نكتة في إدخال حرف النهي على الصلاة وليس بمنهي عنها ؟ قلت : النكتة فيه إظهار أن الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة ، فكأنه قال : أنهاك عنها إذا لم تصلها على هذه الحالة . ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام ولا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد <sup>(١)</sup> فإنه كالتصريح بقولك لجار المسجد : لا تصل إلا في المسجد : وكذلك المعنى في الآية إظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه ، وأنه ليس بموت السعداء ، وأن من حق هذا الموت أن لا يحمل فيهم . وتقول في الأمر أيضا : مت وأنت شهيد . وليس مرادك الأمر بالموت . ولكن بالكوفة على صفة الشهداء إذا مات ؛ وإنما أمرته بالموت اعتداداً منك بميته ، وإظهاراً لفضلها على غيرها ، وأنها حقيقة بأن يحث عليها .

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٣﴾

(أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ) هي أم المنقطعة . <sup>(١)</sup> ومعنى الهمزة فيها الإنكار . والشهداء جمع شهيد ، بمعنى الحاضر : أي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام إذ حضره الموت ، أي حين احتضر والخطاب للؤمنين بمعنى : ما شاهدتم ذلك <sup>(٢)</sup> وإنما حصل لكم العلم به من طريق الوحي . وقيل

(١) أخرجه الدارقطني والحاكم من رواية أبي سارة . عن أبي هريرة وفيه سليمان بن داود النخعي . وهو ضعيف . والدارقطني وابن عدى . والعقيلي من حديث جابر . وفيه محمد بن مسكين . وهو ضعيف . وأخرجه ابن حبان في الضعفاء في ترجمة عمر بن راشد عن ابن أبي ذئب عن الزهري عن عمرو بن عائشة ، وقال كان عمر بن راشد يضع الحديث . وقد صح موقوفاً عن علي رضي الله عنه . أخرجه ابن أبي شيبة

(٢) قوله وهي أم المنقطعة ، هي تفسر بـل والهمزة . (ع)

(٣) قال محمود رحمه الله : والخطاب فيه للؤمنين بمعنى ما شاهدتم ... الخ . قال أحمد رحمه الله : وإنما اختار على هذا التفسير أن تكون مثقلة ، لأنه لو جعلها منقطعة كالأول ، لكان مضمون الكلام نفي شهود المخاطبين وهم اليهود على هذا التفسير الثاني ، لوفاة يعقوب والوصية بالإسلام ، وحينئذ يكون ذلك كقائمة حجبتهم على جحد الإسلام وإنكار أن يكون الأنبياء مسلمين والقرض ضد ذلك . وإنما كان الكلام يقتضي النفي حينئذ ، لأن الاستفهام من الله تعالى لا يحمل على ظاهره ، فتمين صرفه إلى الإنكار ، لأن السياق يقتضيه . ولهذا كان نفياً لشهود المسلمين وفاة يعقوب ووصيته على التفسير الأول ، لاسيما والمعتاد خطاب اليهود المعاصرين للنبي عليه الصلاة والسلام بما يخاطب به أوائلهم ، تزيلاً لقلوبهم ورضاهم منزلة حضورهم وتعاظمهم ، كقوله تعالى : ( وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا ) . ( وَإِذْ قُلْتُمْ يَا نُوسَى ) إلى أشباه ذلك ، فإذا كانت أم متصلة والخطاب لليهود فقد جرى الأمر في خطابهم على المعتاد ، وإذا كانت منقطعة انعكس الأمر .

الخطاب لليهود، لأنهم كانوا يقولون: ما مات نبي إلا على اليهودية، إلا أنهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه، لظهر لهم حرصه على ملة الإسلام، ولما ادعوا عليه اليهودية. فالآية منافية لقولهم، فكيف يقال لهم: أم كنتم شهداء؟ ولكن الوجه أن تكون أم متصلة على أن يقدر قبلها مخدوف، كأنه قيل: أتدعون على الأنبياء اليهودية؟ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، يعني أن أوائلكم من بني إسرائيل كانوا مشاهدين له إذ أراد بنيه على التوحيد وملة الإسلام، وقد علمت ذلك، فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه برآء؟ وقرئ (حضر) بكسر الضاد وهي لغة. ﴿ما تعبدون﴾ أي شيء تعبدون؟ و(ما) عام في كل شيء فإذا علم فرق بما ومن، وكفاك دليلاً قول العلماء ومن، لما يعقل. ولو قيل: من تعبدون، لم يعم إلا أولى العلم وحدهم. ويجوز أن يقال (ما تعبدون) سؤال عن صفة المعبود. كما تقول: ما زيد؟ تريد: أفعيه أم طيب أم غير ذلك من الصفات؟ و﴿إبراهيم وإسماعيل وإسحق﴾ عطف بيان لآبائك. وجعل إسماعيل وهو عمه من جملة آبائه، لأن العم أب والخالة أم، لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهما. ومنه قوله عليه السلام: «عم الرجل صنو أبيه»<sup>(١)</sup> أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة. وقال عليه الصلاة والسلام في العباس وهذا بقية<sup>(٢)</sup> آباءي، وقال: ردوا على أبي، فإنني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود<sup>(٣)</sup> وقرأ أبي: وإله إبراهيم، بطرح آباءك. وقرئ: أيك. وفيه وجهان: أن يكون واحداً وإبراهيم وحده عطف بيان له، وأن يكون جمعاً بالواو والنون. قال: ﴿وَقَدْ يَذَنَّا بِالْأَيْدِنَا﴾<sup>(٤)</sup>

﴿إلهاً واحداً﴾ بدل من إله آباءك، كقوله تعالى (بالنصية ناصية كاذبة) أو على

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة. في قصة العباس وخالد بن الوليد وابن جيل لما امتنعوا من إعطاء الصدقة.  
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة. حدثنا ابن عيينة عن داود بن سابور عن مجاهد. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احفظوني في العباس فانه بقية آباءي». وإن عم الرجل صنو أبيه، ورواه الطبراني في الأوسط من رواية موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن أبيه عن جده عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احفظوني». فذكر مثله، ورواه في الكبير من حديث ابن عباس من وجهين.

(٣) قال ابن أبي شيبة في المغازي في مصنفه: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب. عن عكرمة. قال: «لما وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة الحديث، إلى أن قال: فانطلق العباس فركب بغلة النبي صلى الله عليه وسلم الشهباء وانطلق إلى قريش ليدعوه إلى الله فأبطأ عليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ردوا على أبي فان عم الرجل صنو أبيه. إلى أعاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود: دعاهم إلى الله فقتلوه. أما والله لئن ركبوها منه لأضرهنا عليهم ناراً».

(٤) فلما تبين أصواتنا بكين وفديننا بالأيدينا

يقول لما تبين النساء أصواتنا في الحرب وعرفنا، بكين شفقة علينا ورحمة لنا، وفديننا: أي كل واحدة تقول: فداكم أبي، أو تقول لصاحبتها: فداك أبي. والأيدينا: جمع أب معرب لإعراب جمع التصحيح.

الاختصاص ، أى نريد بإله آبائك إلهاً واحداً ﴿ونحن له مسلمون﴾ حال من فاعل نعبد ، أو من مفعوله ، لرجوع الهاء إليه فى له . ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد ، وأن تكون جملة اعتراضية مؤكدة ، أى ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مدعونون .

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

﴿تلك﴾ إشارة إلى الأمة المذكورة التى هى إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون . والمعنى : أن أحداً لا ينفعه كسب غيره متقدماً كان أو متأخراً ، فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا ، فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم . وذلك أنهم افتخروا بأبائهم . ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا بنى هاشم ، لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسائكم» (١) ، ﴿ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ ولا تؤاخذون بسيائهم كما لا تنفعكم حسناتهم .

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

﴿بل ملة إبراهيم﴾ بل تكون ملة إبراهيم أى أهل ملته كقول عدى بن حاتم . إني من دين (٢) ، يريد من أهل دين . وقيل : بل تتبع ملة إبراهيم . وقرئ : (ملة إبراهيم) بالرفع ، أى ملته ملتنا ، أو أمرنا ملته ، أو نحن ملته بمعنى أهل ملته . و﴿حنيفاً﴾ حال من المضاف إليه ، كقولك : رأيت وجه هند قائمة . والحنيف : المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق . والحنف : الميل فى القدمين . وتحنف إذا مال . وأنشد :

وَلِكُنَّا خُلُقِنَا إِذْ خُلِقْنَا حَنِيفًا دِينُنَا عَنْ كُلِّ دِينٍ (٣)

﴿وما كان من المشركين﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلا منهم يدعى اتباع إبراهيم

(١) لم أجده .

(٢) أخرجه ابن سعد من رواية ابن سيرين عن أبي عبيدة بن حذيفة . قال : قال عدى بن حاتم . فذكر قصة إسلامه . وفيه فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم «يا عدى ، أسلمت . قال : إني من دين . قال أنا أعلم بدينك منك .

(٣) الحنف والحنف : الميل . والحنيف : المائل عن الباطل إلى الحق . يقول : خلقنا حال كوننا مثلاً ديننا عن الأديان الباطلة كلها إلى دين أبينا إبراهيم ، لأن العرب اتفقت على أنه حق ، وذلك من وقت ابتداء خلقنا ، فإذا : ظريف للخلق الأول بعد تقييده بالحال بعده .

وهو على الشرك ﴿قولوا﴾ خطاب للمؤمنين . ويجوز أن يكون خطاباً للكافرين ، أى قولوا لتكونوا على الحق ، وإلا فأنتم على الباطل وكذلك قوله ( بل ملة إبراهيم ) يجوز أن يكون على : بل اتبعوا أنتم ملة إبراهيم ، أو كونوا أهل ملته .

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

والسبط : الحافد . وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿والأسباط﴾ حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثنى عشر ﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾ لا تؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى . و (أحد) في معنى الجماعة <sup>(١)</sup> . ولذلك صح دخول (بين) عليه ﴿بمثل ما آمنتم به﴾ من باب التبكيت . لأن دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الإسلام (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) فلا يوجد إذاً دين آخر يماثل دين الإسلام في كونه حقاً ، حتى إن آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين ، فقيل : فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير ، أى : فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مساوياً له في الصحة والسادق فقد اهتدوا . وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل ، لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال . ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه . هذا هو رأى الصواب ، فإن كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به ، وقد علمت أن لا أصوب من رأيك . ولكنك تريد تبكيت صاحبك ، وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأى وراه . ويجوز أن لا تكون الباء صلة وتكون بام الاستعانة ، كقولك : كتبت بالقلم ، وعملت بالقدم أى فإن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتك التي آمنتم بها . وقرأ ابن عباس وابن مسعود : بما آمنتم به ، وقرأ أبى : بالذي آمنتم به . ﴿وإن تولوا﴾ عما تقولون لهم ولم ينصفوا فهاهم إلا

(١) قال محمود رحمه الله : «وَأَحَدٌ فِي مَعْنَى الْجَمَاعَةِ ... الخ» . قال أحمد رحمه الله : وفيه دليل على أن النكرة الواقعة في سياق النفي تفيد العموم لفظاً حتى يتنزل المفرد فيها منزلة الجمع في تناوله الآحاد مطابقة ، لا كما ظنه بعض الأصوليين من أن مدلولها بطريق المطابقة في النفي كدلولها في الإثبات . وذلك الدلالة على المعامعة . وإنما لزم فيها العموم من حيث أن سلب المشابهة يستوجب سلب الأفراد لما بين الأعم والأخص من التلازم في جانب النفي ، إذ سلب الأعم أخص من سلب الأخص فيستلزمه ، فلو كان لفظاً مالا إشعاره بالتعدد والعموم وضعاً لما جاز دخول بين عليها .

﴿ في شقاق ﴾ أى فى مناوأة ومعاودة <sup>(١)</sup> لا غير ، وليسوا من طلب الحق فى شىء . أو : وإن تولوا عن الشهادة والدخول فى الإيمان بها ﴿ فسيكفيكم الله ﴾ ضمان من الله لإظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ، وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بنى النضير . ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين ﴿ وهو السميع العليم ﴾ وعيد لهم ، أى يسمع ما ينطقون به ، ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه . أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى : يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق ، وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك . .

صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾

﴿ صبغة الله ﴾ مصدر مؤكد منتصب على قوله ( آمنا بالله ) كما انتصب ( وعد الله ) عما تقدمه ، وهى « فعلة » من صبغ ، كالجلسة من جلس ، وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ والمعنى : تطهير الله ، لأن الإيمان يطهر النفوس . والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ، ويقولون : هو تطهير لهم ، وإذا فمل الواحد منهم بولده ذلك قال : الآن صار نصرانيا حقا ، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم : قولوا آمنا بالله ، وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا ، وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا . أو يقول المسلمون . صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتهم . وإنما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة ، كما تقول لمن يغرس الأشجار : اغرس كما يغرس فلان ، تريد رجلاً يصطنع الكرم ﴿ ومن أحسن من الله صبغة ﴾ يعنى أنه يصبغ عباده بالإيمان ، ويطهرهم به من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته . وقوله ﴿ ونحن له عابدون ﴾ عطف على آمنا بالله . وهذا العطف يرد قول من زعم أن ( صبغة الله ) بدل من ( ملة إبراهيم ) أو نصب على الإغراء بمعنى : عليكم صبغة الله ، لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التمامه واتساقه ، <sup>(٢)</sup> وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذى ذكره سيبويه ، والقول ما قالت حذام

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ  
وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

(١) قوله : « فى مناوأة ومعاودة » فى الصحاح : ناوأت الرجل مناوأة ونواه ، عاديته . وربما لم يميز . وأصله المميز . (ع)

(٢) قوله « واتساقه » فى الصحاح : الاتساق الانتظام . وفيه أيضاً : التنسيق التنظيم . (ع)

وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ مَا أَنْتُمْ أَكْثَرُ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ  
شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا  
مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

قرأ زيد بن ثابت ﴿أتحاجونا﴾ بإدغام النون . والمعنى : أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه  
النبى من العرب دونكم ، وتقولون : لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا ، وترونكم أحق بالنبوة  
منا ﴿ وهو ربنا وربكم ﴾ نشترك جميعا في أننا عباده ، وهو ربنا ، وهو يصيب برحمته وكرامته  
من يشاء من عباده ، هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي إذا كان أهلا للكرامة  
﴿ ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ يعنى أن العمل هو أساس الأمر وبه العبرة ، وكما أن لكم  
أعمالا يعتبرها الله في إعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك . ثم قال ﴿ ونحن له مخلصون ﴾ فجاء  
بما هو سبب الكرامة ، أى ونحن له موحدون نخلصه بالإيمان فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل  
إخلاصه لكرامته بالنبوة ، وكانوا يقولون : نحن أحق بأن تكون النبوة فينا ، لانا أهل  
كتاب والعرب عبدة أو ثان ﴿ أم تقولون ﴾ يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون أم معادلة  
للهمزة في ﴿أتحاجونا﴾ بمعنى أى الأمرين تأتون : الحاجة في حكمة الله أم ادعاء اليهودية  
والنصرانية على الأنبياء ؟ والمراد بالاستفهام عنهما إنكارهما معاً ، وأن تكون منقطعة بمعنى :  
بل أتقولون ، والهمزة للإنكار أيضا ، وفيمن قرأ بالياء لا تكون إلا منقطعة ﴿ قل أأنتم أعلم  
أم الله ﴾ يعنى أن الله شهد لهم بملة الإسلام في قوله ( ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن  
كان حنيفا مسلما ) . ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ أى كتم شهادة الله التى عنده  
أنه شهد بها وهى شهادته لإبراهيم بالحنيفية . ويحتمل معنيين : أحدهما أن أهل الكتاب  
لا أحد أظلم منهم ، لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها . والثانى : أنا لو كتمنا هذه  
الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها . وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله  
عليه وسلم بالنبوة فى كتبهم وسائر شهاداته . ( ومن ) فى قوله ( شهادة عنده من الله ) مثلها فى  
قولك : هذه شهادة منى لفلان إذا شهدت له ، ومثله ( براءة من الله ورسوله )

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهِمَا قُلْ لِلَّهِ  
الْمَشْرِيقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ  
أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

وَمَا جَعَلْنَا آيَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرُّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَافِرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَّا يَتَّبِعُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

﴿سيقول السفهاء﴾ الخفاف الأحلام وهم اليهود لكراهم التوجه إلى الكعبة ، وأنهم لا يرون النسخ . وقيل : المنافقون ، لحرصهم على الطعن والاستهزاء . وقيل : المشركون ، قالوا أرغب عن قبله آياته ثم رجع إليها ، والله ليرجعن إلى دينهم . فإن قلت : أى فائدة في الإخبار بقولهم قبل وقوعه <sup>(١)</sup> ؟ قلت : فائدته أن مفاجأة المكروه أشد ، والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس ، وأن الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه ، وقبل الرمي يراش السهم ﴿ماولاهم﴾ ماصرفهم ﴿عن قبلتهم﴾ وهى بيت المقدس ﴿لله المشرق والمغرب﴾ أى بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها ﴿يهدى من يشاء﴾ من أهلها ﴿إلى صراط مستقيم﴾ وهو ما توجه الحكمة والمصلحة ، من توجيههم تارة إلى بيت المقدس ، وأخرى إلى الكعبة ﴿وكذلك جعلناكم﴾ ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم ﴿أمة وسطا﴾ خيارا ، وهى صفة بالاسم الذى هو وسط الشيء . ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث . ونحوه قوله عليه السلام : « وأنظروا <sup>(٢)</sup> الشجرة <sup>(٣)</sup> » ، يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالشج وهو وسط الظهر ، لإلانة الحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف . وقيل : للخيار : وسط <sup>(٤)</sup> لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل ، والأعوار والأوساط محمية بحقوة . ومنه قول الطائي :  
كَانَتْ هِيَ الْوَسَطُ الْمَحْمِيَّ فَكَتَنَفَتْ بِهَا الْحَوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرَفًا <sup>(٥)</sup>

(١) قال محمود رحمه الله تعالى : « أى فائدة في الإخبار بقولهم قبل وقوعه ... الخ » ؟ قال أحمد رحمه الله تعالى : ولهذا النكتة أجرى من حذف الظاهر في إدراج مناظرهم السمل بمقتضى الذى هو كذا ، السالم عن معارضة كذا ، فيقول : درء المعارض قبل ذكر الخصم له ، وهى نكتة بديعة أحسن ما يستدل على صحتها بهذه الآية ، فنطق لها فانها من الملح .

(٢) قوله « وأنظروا الشجرة » لغة في أعطوا . (ع)

(٣) يأتى في الكوثر

(٤) قال محمود رحمه الله : « وقيل للخيار وسط ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : وهذا بما اقتضى المجاز فيه التعميم

(٥) وغضبة الموت أعنى البذ قدت لها غرما لحرق الأرض معتسفا

كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

لأنى تمام ، يخاطب المعتصم ، والغيضة : غيضة الماء ، يجتمع فيه ثم يغيب ويذهب فينبت فيه الشجر والثبات . والمراد =

وقد اكرت بمكة جل أعرابي للحج فقال : أعطني من سطاته ، أراد من خيار الدنانير . أو عدولا . لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض ﴿ لتكنوا شهداء على الناس ﴾ روى ، أن الأمم يوم القيامة يححدون ببلغ الأنبياء ، فيطالب الله الأنبياء بالبيئة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم ، فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون ، فتقول الأمم : من أين عرفتم ؟ فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق ، فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته ، فيزكهم ويشهد بعد التهم <sup>(١)</sup> ، وذلك قوله تعالى ( فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ) . فإن قلت : فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم <sup>(٢)</sup> ؟ قلت : لما كان الشهيد كالرقيب والمهيم على المشهود له ، جرى بكلمة الاستعلاء . ومنه قوله تعالى : ( والله على كل شيء شهيد ) ، ( كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ) . وقيل : لتكنوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار ﴿ ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ يزكهم ويعلم بعد التكم . فإن قلت : لم أخرت صلة الشهادة أولا وقد تمت آخر <sup>(٣)</sup> ؟ قلت : لأن الغرض في

== هنا : موضع العسكر . والبد : اسم قلعة لبابك الخرمي . والعمرم : الجيش الكثير . وخروقي الأرض : طراتها . والمعتسف : الحائد عن الطريق أكثرته . شبه ذلك الموضع بالقبضة على سبيل التهم بأحبابه ، لأنها تضاف للواء ، فأضافها للوت . وشبه الجيش في الاقياد بالابل على طريق المكينة وقودهم تخيل ، وكنت بالوسط عن التي لا يصل إليها الخلل لأنها محمية بالأطراف فاكتفت وأحاطت بها الحوادث ، يعني جيوش المعتصم ، حتى أصبحت تلك القبضة طرفا فلقها الخلل ومكارة الجيش .

(١) موقف : أخرجه الطبري عن زيد بن أسلم موقفا . وأخرجه في تفسير النسائي من قول السدي أيضا . وفي البخاري من حديث أبي سعيد الخدري . قال : يدعى نوح يوم القيامة فيقول ليبيك وسعديك يا رب فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم . فيقال لأمته : هل بلغت ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير . فيقول : من يشهدك ؟ فيقول : محمدا وأمته . فيشهدون أنه بلغ ثم قرأ ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا - الآية ) ورواه البيهقي في البعث والنشور من رواية أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى النبي يوم القيامة ومعه الثلاثة والأربعة والرجلان ، حتى يحيى النبي وليس معه أحد ، فدعى أمة محمد فيشهدون أنهم بلغوا . فيقال لهم : وما عليكم أنهم بلغوا فيقولون : جاءنا رسولنا بكتاب أخبرنا فيه أنهم قد بلغوا فصدقنا . قال فيقال : صدقتم . وذلك قوله تعالى ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا ) .

(٢) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت : فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم ... الخ ؟ قال أحمد رحمه الله : وجه الاستدلال بالآية أنه وصف الله تعالى في أولها بالرقيب وفي آخرها بالشهيد على وجه التخصيص أولا ثم التعميم ثانيا : وإنما ينظم التعميم والتخصيص مع اتحاد مؤدى الرقيب والشهيد ، إذ الآية في مثل قول القائل لمن شكره : كنت محسنا إلى وأنت كل أحد محسن . وكأنه لما قال ( كنت أنت الرقيب عليهم ) وكان ذلك مخصصا لرقيبته تعالى على نبي إسرائيل ، أراد أن يصفه بما هو أمه حتى ينفى وهم الخصوصية فقال في التقدير : وأنت على كل شيء . كذلك ، فوضع « شهيدا » موضع « كذلك » المشار به إلى رقيبته ، فلا يتم الاستدلال بها إلا على هذا الوجه . وفيه غرض على كثير من الأفهام والله الموفق .

(٣) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت : لم أخرت صلة الشهادة أولا وقد تمت آخر ... الخ ؟ قال أحمد رحمه الله : ==



الأول إثبات شهادتهم على الأمم . وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم ﴿كنت عليها﴾ ليست بصفة للقبلة إنما هي ثانی مفعولى جعل . يريد : وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة إلى الكعبة ، ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ، ثم حوّل إلى الكعبة فيقول : وما جعلنا القبلة التي يجب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولا بمكة ، يعنى : وما ردّدناك إليها إلا امتحانا للناس وابتلاء ﴿لنعلم﴾ الثابت على الإسلام الصادق فيه ، من هو على حرف ينكص ﴿على عقبه﴾ لقلقه فيرتد ، كقوله : (وما جعلنا عدّتهم إلا فتنة للذين كفروا - الآية) ويجوز أن يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته . يعنى أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة ، وأن استقبالك بيت المقدس كان أمرا عارضا لغرض . وإنما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا - وهي بيت المقدس ، لنتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه . وعن ابن عباس رضى الله عنه : ، كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه <sup>(١)</sup> . فإن قلت : كيف قال (لنعلم) ولم يزل عالما بذلك ؟ قلت : معناه : لنعلبه علما يتعلق به الجزاء ، وهو أن يعلمه موجوداً حاصلا ونحوه : (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) . وقيل : ليعلم رسول الله والمؤمنون . وإنما أسند عليهم إلى ذاته ، لأنهم خواصه وأهل الزلفى عنده . وقيل : معناه لتمييز التابع من الناكص ، كما قال : (لتمييز الله الخبيث من الطيب) فوضع العلم موضع التمييز لأن العلم به يقع التمييز به ﴿وإن كانت لكبيرة﴾ هي إن المخفة التي تلزمها اللام الفارقة . والضمير في (كانت) لماسدال عليه قوله : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) من الردة ، أو التحوية ، أو الجملة . ويجوز أن يكون للقبلة (لكبيرة) لفيلة شاقة ﴿إلا على الذين هدى الله﴾ إلا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا أهلا للطفه ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ أى ثباتكم على الإيمان وأنكم لم تزلوا ولم ترتابوا ، بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب العظيم . ويجوز أن يراد : وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه أن تركه مفسدة وإضاعة لإيمانكم . وقيل : من كان صلى إلى بيت المقدس قبل

== لأن المنة عليهم في الطرفين ، ففي الأول بثبوت كونهم شهداء وفي الثاني بثبوت كونهم مشهوداً لهم بالتركة خصوصاً من هذا الرسول المعظم ولوقدم شهيداً لا تنتقل الغرض إلى الامتنان على النبي عليه الصلاة والسلام بأنه شهيد . وسياق الخطاب لهم والامتنان عليهم يأباه . وإنما أخذ الزخشرى الاختصاص من التقديم لأن فيه إشعار بالاهمية والعناية ، وكثيراً ما يجرى أى ذلك في أثناء كلامه ، وفيه نظر .

(١) أخرجه إمامحق وابن سعد والبخاري والطبراني من رواية مجاهد عن ابن عباس : قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بمكة نحو بيت المقدس . والكعبة بين يديه . وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً قال البخاري لا يعلم رواه عنه إلا الأعمش ولا عنه إلا أبو عروانة .

التحويل فصلاته غير ضائعة<sup>(١)</sup>. عن ابن عباس رضى الله عنه : لما وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكعبة<sup>(٢)</sup> قالوا : كيف بمن مات قبل التحويل من إخواننا فنزلت . ﴿لرؤف رحيم﴾ لا يضيع أجورهم ولا يترك ما يصلحهم . ويحكى عن الحجاج أنه قال للحسن : ما رأيك في أبي تراب ، فقرأ قوله : ﴿إلا على الذين هدى الله﴾ ثم قال : وعلى منهم ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخنته على ابنته ، وأقرب الناس إليه ، وأحبهم . وقرئ : إلا ليعلم على البناء للفعول . ومعنى العلم : المعرفة . ويجوز أن يكون «من» متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم ، كقولك : علمت أزيد في الدار أم عمرو . وقرأ ابن أبي إسحق (على عتميه) بسكون القاف . وقرأ اليزيدى (لكبيرة) بالرفع . ووجهها أن تكون مكان ، مزيدة ، كما في قوله :

﴿وَجِيرَانٍ لَّنَا كَانُوا كِرَامٍ﴾<sup>(٣)</sup>

والأصل : وإن هي لكبيرة ، كقولك : إن زيد لمنطلق ثم ، وإن كانت لكبيرة وقرئ : ليضيع بالتشديد . قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَفْعَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ آتَيْتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴿قَدْ نَرَى﴾ ربما نرى ، ومعناه : كثرة الرؤية .<sup>(٤)</sup> كقوله :

(١) أخرجه أبو داود والترمذي . وصححه الحاكم من رواية سماك عن عكرمة عنه .

(٢) هو في الذي بعده .

(٣) فكيف إذا مرت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام

للقرظي . يقول : فكيف يكون الحال إذا مرت بدار قوم وجيران لنا كرام ، فكانوا : زائدة للدلالة على المضى ، وأن الجيران كانوا ثم انقرضوا . وكرام - بالجر - : صفة جيران .

(٤) قال محمود رحمه الله : « معناه كثرة الرؤية ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : وهذا من المواضع التي تبالغ العرب فيها بالتعبير عن المعنى بعنصرية . ومنه : ( ربما يود الذين كفروا ) والمراد كثرة مودتهم للإسلام في القيامة وعند معاينة جزائه وثوابه ، وكذلك : ( وقد تعلمون أني رسول الله إليكم ) ومراده إظهار عنادهم بأن عليهم رسالته يقينى مؤكد ، ومع ذلك يكفرون به .

﴿ قَدْ أَتَرَكُ الْقِرْنَ مُصْفَرًّا أَنَامِلُهُ ﴾ <sup>(١)</sup>

﴿قلب وجهك﴾ تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة، لأنها قبله أبيه إبراهيم، وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفرختهم ومزارهم ومطافهم، ولتحالفة اليهود فكان يراعى نزول جبريل عليه السلام والوحى بالتحويل ﴿فلنولينك﴾ فلنعطيك ونمكثتك من استقبالتها، من قولك: وليته كذا. إذ جعلته واليآله، أو فلنجعلك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ﴿ترضاها﴾ تحبها وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التي أضرمتها ووافقت مشيئة الله وحكمته ﴿شطر المسجد الحرام﴾ نحوه. قال:

﴿ وَأَظْعَنُ بِالْقَوْمِ شَطْرَ الْمَلُوكِ ﴾

وقرأ أنى: تلقاء المسجد الحرام. وعن البراء بن عازب قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم وجه إلى الكعبة <sup>(٢)</sup> وقيل: كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بنى سلفة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحوّل في الصلاة واستقبل الميزاب، وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال، فسمى المسجد مسجداً القبليتين <sup>(٣)</sup>. و﴿شطر المسجد﴾ نصب على الظرف، أى اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أى في جهته وسمته <sup>(٤)</sup> لأن

(١) قد أترك القرن مصفراً أنامله كأن أثوابه مجت بفرصاد

أوجرته ونواصى الخيل معلية سمر أعاملها من خلفها نادى

للهرلى. وقيل لعبيد بن الأبرص. وقد للتكثير والترك بمعنى للتصير. واصفار الأنامل: كناية عن الموت. والفرصاد: ماء التوت، وهو أحر. والايجار: السقي كرها. ونواصى الخيل: شعور رؤسها. والمعلقة: المشهورة بإعلامات. والسمراء: القناة. وعاملها في الأصل: هو مايل السنان منها، فاستعاره لما يأتى مبالغة. ويقال: نأته الداهية ناداً، إذا فدحته وبلغت منه، وخفف الناد هنا بإبدال الهمزة ألفاً، أى كثيراً ما أترك قرينى في الشجاعة قليلاً ملطخة أثوابه بدمه أسقيته ربحاً عاملها من خلفها شدة ضربي. وبروى: نادى، بالثلثة. والناد: بالهمز وقد يخفف: الندى والمطر. وأما النادى - اسم فاعل - فهو السحاب الكثير المطر، أى سقيته، والحال أن نواصى الخيل مسومة ربحاً عاملها من خلفها شدة ضربي الشبهة بالندى أو بالسحاب، وذلك مناسب للإيجاز. وبروى: سمر، كحمر، فهو خير ثان. وأعاملها: مضارع. وناد: مفعول وأوجرته وفيه نوع التكميم. وروى لوهير تكميل البيت الأول بقوله: يبيد في الرمح ميد المسائح الأسن. أى المتن. يقال: أسن الماء فهو أسن، بالذ وتركه، إذا أتن.

(٢) متفق عليه من طريق أبى إسحاق عنه. وفيه وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت - الحديث، وفي رواية لابن حبان - وكان يحب أن يحول نحو البيت،

(٣) أخرجه الواقدي في المذاوى ونقله عن ابن سعد ثم أبو الفتح اليعمرى

(٤) قال محمود رحمه الله: « الشطر النجو والسمت... الخ ». قال أحمد رحمه الله: « وقد نقل أصحابنا المالكية »

استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد . وذكر المسجد الحرام دون الكعبة : دليل في أن الواجب مراعاة الجهة دون العين ﴿ ليعلمون أنه الحق ﴾ أن التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله أنه يصلى إلى القبلتين ﴿ يعملون ﴾ قرئ بالياء والتاء ﴿ ما تبعوا ﴾ جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط . ﴿ بكل آية ﴾ بكل برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق ، ما تبعوا ﴿ قبلتك ﴾ لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة ، إنما هو عن مكابرة وعناد مع عليهم بما في كتبهم من نعمتك أنك على الحق ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم ﴾ حسم لأطاعهم إذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا : لو ثبت على قبلتنا لكننا نرجو أن يكون صاحبنا الذى ننظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم . وقرئ ( بتابع قبلتهم ) على الإضافة ﴿ وما بعضهم بتابع قبة بعض ﴾ يعنى أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم ، كما لا ترجى موافقتهم لك . وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس ، والنصارى مطلع الشمس . أخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه ، فالحق منهم لا يزل عن مذهبه تمسكه بالبرهان ، والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمة في عناده . وقوله ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾ بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما أنت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير ، بمعنى : ولئن اتبعتم مثلاً بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر ﴿ إنك إذا لمن الظالمين ﴾ المرتكبين للظلم الفاحش . وفى ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير . واستفطاع لحال من يترك الدليل بعد إمارته ويتبع الهوى ، وتهيسج وإلهاب للشباب على الحق . فإن قلت : كيف قال ( وما أنت بتابع ) قبلتهم ولهم قبلتان

== خلافاً عن المذهب في الواجب فقيل : الجهة . وقيل : العين ، هذا مع البعد . وأما حيث تشاهد الكعبة في المسجد الحرام فنخرج عن سمت ثم لم تصح صلاته قولاً واحداً ، ثم لم على كل واحد من القبلتين إشكال . أما على قول العين فيلزم أن تصح صلاة الصف المستقيم المستطيل زيادة على مساواة الكعبة شرفها الله تعالى ، لأننا نعلم بالضرورة - وإن لم نضاه - أن بعضهم يصلى إلى غير ههنا ، إذ لا يبي سمتها بذلك على هذا التقدير ، لكن الجواز في مثل هذا مع البعد متفق عليه . وأما على قول الجهة فيلزم تجويز صلاة الكائن في الشمال مثلاً إلى الجهات الثلاث ، لأنها كلها جهات الكعبة ، والسمت غير مراعى على هذا المذهب ، وإنما جاء هذا الخط من عدم التمييز بين مراعاة الجهة والسمت ، ولقد ميزهما أبو حامد بنثال هندسى في كتاب الاحياء فلا تطول بذكره . والتحقق عند الفتوى : أن المعتبر مع البعد الجهة لا السمت .

(١) قال محمود رحمه الله : وإن قلت لم جاء على التوحيد وهما قبلتان . . . الخ ، قال أحمد رحمه الله : ومثل هذا ما أوجب به عن قوله تعالى ( لن نصبر على طعام واحد ) مع أنه متعدد وهو المن والسلوى ، فقيل لأنهم أرادوا أنهم من طعام الترفه ، وآثروا طعام الفلاحة والأجلاف ، فلما اتحد الطعامان المذكوران في الرفاهية جعلوهما طعاماً واحداً . وهذا المعنى في إنكار الطعام أبلغ ، لأنهم لم يكتفوا في إنكاره بقولهم ( لن نصبر على طعام ) حتى أكدوه بقولهم ( واحد ) وللزحزحى عنه جواب آخر سلف بمكانه .



على الإبدال من الأول، أى يكتمون الحق، الحق من ربك، ﴿فلا تكثرن من المتن﴾ الشاكين فى كتابهم الحق مع علمهم، أوفى أنه من ربك ﴿ولكل﴾ من أهل الأديان المختلفة ﴿وجهة﴾ قبله. وفى قراءة أبى: ولكل قبله ﴿هو موليا﴾ وجهه، لحذف أحد المفعولين. وقيل هو الله تعالى، أى الله موليا إياه. وقرئ: ﴿ولكل وجهة﴾ على الإضافة. والمعنى وكل وجهة الله موليا، فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك: لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه. وقرأ ابن عامر: هو مولاها، أى هو مولى تلك الجهة وقد وليها. والمعنى: لكل أمة قبله تتوجه إليها، منكم ومن غيركم ﴿فاستبقوا﴾ أنتم ﴿الخيرات﴾ واستبقوا إليها <sup>(١)</sup> غيركم من أمر القبلة وغيره. ومعنى آخر: وهو أن يراد: ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أى جهة يصلى إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرات ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا﴾ للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه. ويجوز أن يكون المعنى: فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهى الجهات المسامحة للكعبة وإن اختلفت، أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة، وكأنكم تصلون حاضرى المسجد الحرام.

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ <sup>(١٤٩)</sup> وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأْتِمُنَّ بِعَمَلِكُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ <sup>(١٥٠)</sup> كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ <sup>(١٥١)</sup> فَادْكُرُونِي أذكركم واشكروا لى ولا تكفروا <sup>(١٥٢)</sup> يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ <sup>(١٥٣)</sup> وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أحياء وَلَكِنَّ لَا تَشْعُرُونَ <sup>(١٥٤)</sup>

﴿ومن حيث خرجت﴾ أى ومن أى بلد خرجت للسفر ﴿قول وجهك شطر المسجد﴾

الحرام) إذا صليت (وإنه) وإن هذا المأمور به . وقرئ (يعملون) بالتاء والياء . وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده ، لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة إلى التفصلة بينه وبين البداء ، فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويحددوا ، ولأنه ينط بكل واحد مالم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (إلا الذين ظلموا) استثناء من الناس ، ومعناه ، لتلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم القائلين : ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحباً لبلده ، ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء . فإن قلت : أى حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين ؟ قلت : كانوا يقولون ماله لا يحول إلى قبلة أيه إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة ؟ فإن قلت : كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين ؟ قلت : لأنهم يسوقونه سياق الحجة . ويجوز أن يكون المعنى : لتلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل أبي العرب ، إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون : بداله فرجع إلى قبلة آبائه ، ويوشك أن يرجع إلى دينهم . وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما : ألا الذين ظلموا منهم ، على أن ألا للتنبيه ووقف على حجة ، ثم استأنف منها (فلا تخشوهم) فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فإنهم لا يضرونكم (واخشوني) فلا تخالفوا أمرى وما رأيته مصلحة لكم . ومتعلق اللام محذوف ، معناه : ولإتمامي النعمة عليكم وإرادتي اهتدائكم أمرتكم بذلك : أو يعطف على علة مقدرة ، كأنه قيل . واخشوني لأوقفكم ولأتم نعمتي عليكم . وقيل : هو معطوف على (لتلا يكون) . وفي الحديث : تمام النعمة دخول الجنة ، <sup>(١)</sup> وعن علي رضي الله عنه : تمام النعمة الموت على الإسلام ، (كما أرسلنا) إما أن يتعلق بما قبله ، أى : ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول ، أو بما بعده : أى كما ذكرتكم بإرسال الرسول (فاذكروني) بالطاعة (أذكركم) بالثواب (واشكروا لي) ما أنعمت به عليكم (ولا تكفروا) ولا تجحدوا نعمائي . (أموات بل أحياء) هم أموات بل هم أحياء (ولكن لا تشعرون) كيف حالهم في حياتهم . وعن الحسن : أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرواحهم على أرواحهم ، فيصل إليهم الروح والفرح ، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا ، فيصل إليهم الوجع . وعن مجاهد : يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها . وقالوا : يجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل إليها النعيم وإن كانت في حجم الذرة . وقيل : نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر .

(١) أخرجه أحمد والترمذي والبزار من حديث معاذ وسيأتي في سورة الرحمن .

وَلَتَبْلَوَنَكُمُ بَشِيْءً مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ  
وَالشَّمْرِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا  
إِلَيْهِ رَاْجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿ولنبأونكم﴾ ولنصينكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم ، هل تصبرون وتثبتون  
على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلبون لأمر الله وحكمه أم لا ؟ ﴿بشيء﴾ بقليل من كل واحد من  
هذه البلايا وطرف منه ﴿وبشر الصابرين﴾ المسترجعين عند البلاء ؛ لأن الاسترجاع تسليم  
وإذعان . وعن النبي صلى الله عليه وسلم ومن استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتها وأحسن عقابه  
وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه <sup>(١)</sup> . وروى أنه طفيء سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال  
«إنا لله وإنا إليه راجعون» فقيل : أمصيبة هي ؟ قال : نعم كل شيء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة <sup>(٢)</sup> ،  
ولإنما قل في قوله ﴿بشيء﴾ ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل فقوة ما يقل إليه ،  
وليخفف عليهم ويريمهم أن رحمته معهم في كل حال لا تزالهم وإنما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا  
عليه نفوسهم . (ونقص) عطف على (شيء) أو على الخوف ، بمعنى : وشيء من نقص الأموال .  
والخطاب في (وبشر) لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لكل من يتأق منه البشارة . وعن الشافعي  
رحمه الله في الخوف : خوف الله . والجوع : صيام شهر رمضان ؛ والنقص من الأموال : الزكوات  
والصدقات ، ومن الأنفس : الأمراض ، ومن الثمرات : موت الأولاد <sup>(٣)</sup> . وعن النبي صلى الله

(١) أخرجه الطبري والطبراني والبيهقي في الشعب من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، قال في قوله  
تعالى ( الذين إذا أصابتهم مصيبة ) الآية : إن المؤمن إذا ألم لأمر الله واسترجع عند المصيبة أحرز ثلاث خصال  
من الخير : الصلاة من الله ، والرحمة . وتحقيق سبيل الهدى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من استرجع ...  
فذكره .

(٢) أخرجه أبو داود في المراسيل من حديث عمران القصير قال طفيء مصباح النبي صلى الله عليه وسلم فاسترجع  
فقالت عائشة رضي الله عنها : إنما هذا مصباح . فقال : كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة .

(٣) قال محمود رحمه الله : وعن الشافعي رضي الله عنه : الخوف خوف الله ، والجوع : صيام شهر رمضان ، والنقص  
من الأموال : الزكوات ، ومن الأنفس : الأمراض ، ومن الثمرات : موت الأولاد ، قال أحمد : وفي تفسيره  
هذا نظر ، لأن هذا الابتلاء موعود به في المستقبل ، مذكور قبل وقوعه توطئاً عليه عند الوقوع ، ولعله ما من بآية  
ذكرها إلا وقد تقدمت لهم قبل نزول الآية ، إذ الخوف من الله تعالى لم يزل متدحونا في قلوب المؤمنين ، وبيعد  
أن يعبر عن الصدقة بالنقص وقد عبر عنها الشرع بالزكاة التي هي التوخذ والنقص وورد به ما نقص مال من صدقة ، ويمكن أن يقال  
هي نقص حساً ؛ وإنما سميت زكاة باعتبار ما يؤول إليه حال القيام بها من التو فالعوض المرجو من كرم الله خلف



عليه وسلم، إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة : أقبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : أقبضتم ثمرة قلبه ؟ فيقولون : نعم ، فيقول الله تعالى : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد <sup>(١)</sup> . والصلاة : الخنو والتعطف ، فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة . كقوله تعالى : (رأفة ورحمة) (رؤف رحيم) . والمعنى : عليهم رأفة بعد رأفة . ورحمة أى رحمة . (وأولئك هم المهتدون) لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلوا الأمر الله .

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

والصفا والمروة : علبان للجبلين ، كالصمان والمقطم ، والشعائر : جمع شعيرة وهى العلامة ، أى من أعلام مناسكهم ومعبداته : والحج : القصد . والاعتمار : الزيارة ، فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين ، وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الأعيان . وأصل (يطوف) يتطوف فأدغم . وقرئ (أن يطوف) من طاف . فإن قلت : كيف قيل إنهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه أن يطوف بهما ؟ قلت : كان على الصفا أساف ، وعلى المروة نائلة ، وهما صنمان ، يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا فى الكعبة ، فسخا حجرين فرضعا عليهما ليعتبر بهما ، فلما طالبت المدة عبدا من دون الله . فكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوا بهما ، فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية وأن لا يكون عليهم جناح فى ذلك ، فرفع عنهم الجناح . واختلف فى السعى ، فمن قائل : هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك ، كقوله : (فلا جناح عليهما أن يترابعا) وغير ذلك . ولقوله (ومن تطوع خيراً) كقوله (فمن تطوع خيراً فهو خير له) . ويروى ذلك عن أنس وابن عباس وابن الزبير ، وتنصره قراءة ابن مسعود : فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما . وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم . وعند الأقرين لاشئ عليه . وعند مالك والثياقي : هو ركن ، لقوله عليه السلام واسعوا فإن الله كتب عليكم السعى <sup>(٢)</sup> وقرئ : ومن يطوع بمعنى : ومن يتطوع ، فأدغم .

== فلما ذكرنا الله تعالى فى سياق الابتلاء الموعود بها عبر عنها بالزكاة تسبيلا لإخراجها على المكلف لأنه إذا استشعر العوض من الله تعالى ونعم ماله بذلك ، هان عليه بذلها وصمحت نفسه لذلك .

(١) أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب . وأخرجه أحمد وغيره من حديث . وصححه ابن حبان . ورواه البيهقى فى الشعب مرفوعاً وموقوفاً .

(٢) أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حج عن ==

وفي قراءة عبدالله: ومن يتطوع بخير .

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ من أحبار اليهود ﴿ما أنزلنا في التوراة من البينات﴾ من الآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم ﴿والهدى﴾ والهداية بوصفه إلى اتباعه والإيمان به ﴿من بعد ما بيناه﴾ ولخصناه ﴿للناس في الكتاب﴾ في التوراة، لم ندع فيه موضع إشكال ولا اشتباه على أحد منهم، فعمدوا إلى ذلك المبين المخلص فكتموه ولبسوا على الناس ﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين .

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

﴿وأصلحوا﴾ ما أفسدوا من أحوالهم، وتداركوا ما فرط منهم ﴿وبينوا﴾ ما بينه الله في كتابهم فكتموه، أو ينسوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليحوا سمة الكفر عنهم، ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به، ويقنطد بهم غيرهم من المفسدين .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ وَالْعَلَّائِكَ

وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعنى الذين ماتوا من هؤلاء السكاتين ولم يتوبوا، ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتاً . وقرأ الحسن: والملائكة والناس أجمعون، بالرفع عطفاً على محل اسم الله، لأنه

== الرمل فذكره . رواه الشافعي وأحمد وإسحاق والطبراني والدارقطني والحاكم من رواية عبد الله بن المؤمل عن حمرب عن عبد الرحمن بن عيسى عن عطاء بن أبي رباح عن حبيبة بنت أبي تجمرة قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه ، وهو وراهم يسمى حتى إلى لآرى ركبتيه من شدة السعى ، وهو يقول « اسعوا فان الله كتب عليكم السعى » وعبيد الله ضعيف . وأخرجه الحاكم من طريق آخر عن عبدالله بن شبيه عن جدته صفية بنت شبيه عن حبيبة بنت أبي تجمرة . قالت : اطلعت بكرة بين الصفا والمروة فأشرفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا هو يسمي ، ويقول لأصحابه « اسعوا فان الله كتب عليكم السعى » وأخرجه الطبراني والبيهقي من رواية ابن عيينة عن المثني بن الصباح عن المغيرة بن حكيم ، عن صفية عن تملك العبدية قالت نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في غرفة لى بين الصفا والمروة هو يقول : « أيها الناس إن الله كتب عليكم السعى فاسعوا » والمثني ضعيف . وأخرجه الطبراني من رواية حميد بن عبد الرحمن عن المثني بن الصباح فلم يذكر تملك .

فاعل في التدبير ، كقولك : عجبت من ضرب زيد وعمرو ، تريد من أن ضرب زيد وعمرو ، كآله  
 قيل : أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة . فإن قلت : ما معنى قوله ﴿ والناس أجمعين ﴾ وفي الناس  
 المسلم والكافر . قلت : أراد بالناس من يعتد ببعثه وهم المؤمنون . وقيل : يوم القيامة يلعن بعضهم  
 بعضاً ﴿ خالدين فيها ﴾ في العنة . وقيل في النار إلا أنها أضمرت تفخيلاً لشأنها وتهويلاً ﴿ ولا هم  
 ينظرون ﴾ من الإظهار أي لا يميلون ولا يؤجلون ، أو لا ينتظرون ليعتذروا . ولا ينظر إليهم  
 نظر رحمة .

وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

﴿ إله واحد ﴾ فرد في الإلهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلهاً . و ﴿ لا إله إلا  
 هو ﴾ تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ،  
 ولا شيء سواه بهذه الصفة ، فإن كل ما سواه إما نعمة وإما منعم عليه . وقيل كان للشركين حول  
 السكبة ثلثمائة وستون صنماً ، فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا : إن كنت صادقة فأت بآية  
 نعرف بها صدقك فنزلت .

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي  
 فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ  
 بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ  
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ﴾ واعتقابهما لأن كل واحد منهما  
 يعقب الآخر ، كقوله : ( جعل الليل والنهار خلفه ) ﴿ بما ينفع الناس ﴾ بالذي ينفعهم مما يحمل فيها  
 أو ينفع الناس . فإن قلت : قوله ﴿ وبث فيها ﴾ عطف على أنزل أم أحيا ؟ قلت : الظاهر أنه عطف  
 على أنزل داخل تحت حكم الصلة ، لأن قوله ﴿ فأحيا به الأرض ﴾ عطف على أنزل ، فاتصل به  
 وصارا جميعاً كالشيء الواحد ، فكأنه قيل : وما أنزل في الأرض من ماء وبث فيها من كل دابة .  
 ويجوز عطفه على أحيا على معنى فأحيا بالمطر الأرض وبث فيها من كل دابة ؛ لأنهم يسمون بالخصب  
 ويعيشون بالحيا . <sup>(١)</sup> ﴿ وتصريف الرياح ﴾ في مهاها : قبولا ، ودبورا ، وجنوبا ، وشمالا . وفي

(١) قوله : ويعيشون بالحيا ، في الصحاح : الحيا - مقصور - : المطر والخصب . (ع)

أحوالها : حارة ، وباردة ، وعاصفة ، وليئة ، وعقما ، ولواقح . وقيل تارة بالرحمة ، وتارة بالعذاب ( والسحاب المسخر ) سخر للرياح قلبه في الجو بمشيئة الله يطر حيث شاء ( آيات لقوم يعقلون ) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون ، لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة . وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ويل لمن قرأ هذه الآية فنج بها ، أى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها . وقرئ : والفلك ، بضمين . وتصريف الريح ، على الأفراد

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً فَتَنَبَّرْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِبَارِحِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)

(أندادا) أمثالا من الأصنام . وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويعطونهم وينزلون على أوامرهم ويواهبهم . واستدل بقوله ( إذ تبرأ الذين اتبعوا ) . ومعنى : ( يحبونهم ) يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب ( كحب الله ) كتعظيم الله (١) والخضوع له ، أى كما يحب الله تعالى ، على أنه مصدر من المبني للفعول . وإنما استغنى عن ذكر من يحبه لأنه غير ملبس . وقيل : كحبهم الله ، أى يستون بينه وبينهم في محبتهم ، لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه ، فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ( أشد حبا لله ) لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره ؛ بخلاف المشركين فإنهم يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه ، فيقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، ويعبدون الصم زمانا ثم يرفضونه إلى غيره ، أو يأكلونه كما أكلت باهلة إلهها من حيس عام الجماعة ( الذين ظللوا ) إشارة إلى متخذي الأنداد أى لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة ، لكان منهم

(١) قال محمود رحمه الله : « يحبونهم كحب الله : يعظمونهم كما يعظم الله ... الخ ، قال أحمد : فالصدر على هذا مضاف إلى المفعول كالأول ، ولكن هذا الفاعل مسمى وفعله مبنى للفاعل عند فكه من السبك .

مالا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم ، فحذف الجواب كما في قوله ( ولو ترى إذ وقفوا ) ، وقولهم : لو رأيت فلانا والسياط تأخذه . وقرئ : ولو ترى ، بالتاء على خطاب الرسول أو كل مخاطب ، أى ولو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً . وقرئ : إذ يرون ، على البناء للفعول . وإذ في المستقبل كقوله : ( ونادى أصحاب الجنة ) . ( إذ تبرأ ) بدل من ( إذ يرون العذاب ) أى تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الأنبياء . وقرأ مجاهد الأول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول ، أى تبرأ الأنبياء من الرؤساء ( ورأوا العذاب ) الواو للحال ، أى تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب ( وتقطعت ) عطف على تبرأ . و ( الأسباب ) الوصل التي كانت بينهم : من الاتفاق على دين واحد ، ومن الأنساب ، والمحاب ، والأنبياء ، والاستنباع ، كقوله : ( لقد تقطع بينكم ) ( لو ) في معنى التمني . ولذلك أجيب بالفاء الذي يجاب به التمني ، كأنه قيل : ليت لنا كزرة فتبرأ منهم ( كذلك ) مثل ذلك الإراء الفظيع ( يريهم الله أعمالهم حسرات ) أى ندابات وحسرات ، ثالث مفاعيل أرى : ومعناه أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم ( وما هم بخارجين ) هم بمنزلته في قوله :

\* هُمْ يَفْرُسُونَ اللَّيْلَ كُلَّ طَيْرَةٍ \* (١)

في دلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالشُّعْرِ وَالْأَفْحَاشِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩)

(١) قال محمود رحمه الله : دهم ههنا بمنزلة في قوله هم يفرسون . الخ ، قال أحمد رحمه الله : أشد ما أخفى في هذه الكلمات متقدماً ورب صدره كلمات فهو يتفلس عن نفسه خائف الكتان بما يفهمه منه في بعض الأحيان ، وكشف ذلك أن يقال : لما استشر دالة الآية لأهل السنة على أنه لا يخفى في النار إلا الكفار . وأما العاصي - وإن أصر على الكبار - فتوجيه يخرج منه ولا بد وفاء بالوعد . ووجه الدلالة منها على ذلك أنه صدر الجملة بضمير مبتدأ ، ومثل هذا النظم يقتضي الاختصاص والحصر لغة . واستمر للزخشرى مواضع يستدل فيها على الحصر بذلك ، فقد قال في قوله تعالى : ( أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ) أن معناه لا ينشر إلا هم ، وأن المنكر عليهم ما يلزمهم من حصر الألوهية فيهم . وكذلك يقول في أمثال قولهم ( وهم بالآخرة هم يوقنون ) أن معناه الحصر أنه لا يوقن بالآخرة إلا هم ، فإذا ابقى الأمر على ذلك لزم حصر نفي الخروج من النار في هؤلاء الكفار دون غيرهم من الموحدين . لكن الزخشرى يأبى ذلك ، فيعمل الخال من معارضة هذه الفائدة بفائدة تتم له على القاعدة ، فيجعل الضمير المذكور يفيد تأكيد نسبة الخلود إليهم لاختصاصهم بهم ، وهم عنده بهذه المثابة ، لأن العصاة وإن خلدوا على زعمه إلا أن الكفار أحق بالخلود وأدخل في استحقاقهم منهم . فسبحان من امتحنه بهذه المحنة على حذفه وفطنته . والله ولي التوفيق .

(حلالاً) مفعول كلوا، أو حال مما في الأرض (طيباً) طاهراً من كل شبهة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فتدخلوا في حرام، أو شبهة، أو تحريم حلال، أو تحليل حرام. ومنه، للتبعية؛ لأن كل ما في الأرض ليس بما كُول. وقرئ خطوات بضمين، وخطوات بضممة وسكون، وخطوات بضمين وهمة جعلت الضمة على الطاء كأنها على الواو؛ وخطوات بفتحين، وخطوات بفتح وسكون. والخطوة: المرة من الخطو. والخطوة: ما بين قدمي الخاطي. وهما كالغرفة والغرفة، والقبضة والقبضة. يقال: اتبع خطواته، ووطئ على عقبه. إذا اقتدى به واستن بسنته (مبين) ظاهر العداوة لاختفاء به (إنما يأمركم) بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته. أي لا يأمركم بخير قط إنما يأمركم (بالسوء) بالقيح (والفحشاء) وما يتجاوز الحد في القبح من العظام، وقيل: السوء ما لا حد فيه. والفحشاء: ما يجب الحد فيه (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وهو قولكم: هذا حلال وهذا حرام، بغير علم. ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله تعالى بما لا يجوز عليه. فإن قلت: كيف كان الشيطان أمراً مع قوله: (ليس لك عليهم سلطان)؟ قلت: شبه تزيينه وبعثه على الشر بأمر الأمر، كما تقول: أمرتني نفسي بكذا. وتحتنه رمز إلى أنكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وسأوسه؛ ولذلك قال: (ولآمرهم فليستكن آذان الأنعام ولآمرهم فليغيرن خلق الله) وقال الله تعالى: (إن النفس لأمارة بالسوء) لما كان الإنسان يطيعها فيعطى ما اشتته.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آتِبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا  
أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)

(لهم) الضمير للناس. وعُدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم، لأنه لأضال أضل من المقلد، كأنه يقول للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحق ماذا يقولون. قيل: هم المشركون. وقيل: هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فقالوا: (بل نتبع ما ألقينا عليه آبائنا) فإنهم كانوا خيراً منا وأعلم. وألقينا: بمعنى وجدنا، بدليل قوله: (بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا). (أو لو كان آبائهم) الواو للحال، والهمزة بمعنى الرد والتعجيب، معناه: أيتبعونهم ولو كان آبائهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون للصواب.

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً  
مُّمٌّ بِكُمْ عَنْ يَمِينٍ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٧١)

لابد من مضاف محذوف تقديره . ومثل داعي الذين كفروا ﴿كثل الذي ينطق﴾ أو : ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينطق . والمعنى : ومثل داعيهم إلى الإيمان - في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النعمة ودوى الصوت ، من غير إلقاء أذهان ولا استبصار - كثل الناقع بالبهائم ، التي لا تسمع إلا الدعاء الناقع ونذاه الذي هو تصويت بها وزجر لها ، ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي ، كما يفهم العقلاء ويعون . ويجوز أن يراد بما لا يسمع : الأصم الأصلخ ، الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا النداء والتصويت لا غير ، من غير فهم للحروف . وقيل معناه : ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليد هم لهم ، كثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ماتحته ، فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم باطل ؟ وقيل معناه : ومثلهم في دعائهم الأصنام كثل الناقع بما لا يسمع ، إلا أن قوله ﴿الإدعاء ونداء﴾ لا يساعد عليه ، لأن الأصنام لا تسمع شيئا . والنطق : التصويت . يقال : نطق المؤذن ، ونطق الراعي بالضأن . قال الأخطل :

فَانِطِقْ بِضَا نِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا (١)

وأما نفق الغراب ، فبالعين المعجمة ﴿صم﴾ هم صم ، وهو رفع على الذم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)

﴿من طيبات ما رزقناكم﴾ من مستلذاته ، لأن كل ما رزقه الله لا يكون إلا حلالا (٢) ﴿واشكروا لله﴾ الذي رزقكموها ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ إن صح أنكم تخصونه بالعبادة . وتقرون أنه مولى النعم . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : إني والجن والإنس في نبي أعظم ، أخلق ويُعبد غيري وأرزق ويُشكر غيري (٣) .

(١) الأخطل . ونفق ينطق نفيقا - بالعين المهملة - إذا صوت بغضه . ونفق الغراب نفاقا - بالمعجمة - إذا صاح . أي : صوت لغنمك يا جرير ، واكتف بذلك عن المفاخر فلست من أهلها ، إنما أنت راعي غنم . منتك : حدثتك نفسك ووعدتك ووسوت لك في القضاء الخالي عن الناس ضلالا وكذبا . لا هدى وصدقا كما تزعم ، وذمه جرير بقوله : والتغلب إذا تنجح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا ورد عليه الأخطل بقوله :

قوم إذا استنجح الأضياف كلهم قالوا لأهمهم بولى على النار

(٢) قوله دكل ما رزقه الله لا يكون إلا حلالا ، هذا عند المعتزلة . أما عند أهل السنة فقد يكون حراما ،

كما بين في موضعه . (ع)

(٣) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من رواية بقرية ، حديثا صفوان ابن عمرو . حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير . وشريح بن عبيد عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : قال الله عز وجل « إني والجن والإنس ... » فذكره سواء .

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَاللَّحْمَ الْحَنِزِيرِ وَمَا أَهْلُ بِهِ لِنَعِيرِ اللَّهِ  
فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

قريء (حزم) على البناء للفاعل، وحُرم على البناء للمفعول، وحُرم بوزن كرم (أهل به  
لغير الله) أى رفع به الصوت للصنم، وذلك قول أهل الجاهلية: باسم اللات والعزى (غير باغ)  
على مضطر آخر بالاستيثار عليه (ولاعاد) سدا لجوعة. فإن قلت: فى الميتات ما يحل وهو السمك  
والجراد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأحللت لنا ميتتان ودمان. (١) قلت: قصد  
ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه فى العادة. ألا ترى أن القائل إذا قال: أكل فلان ميتة، لم يسبق الوهم  
إلى السمك والجراد، كما لو قال: أكل دما، لم يسبق إلى الكبد والطحال. ولا اعتبار العادة  
والتعارف قالوا: من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحث. وإن أكل لحما فى الحقيقة، قال الله  
تعالى: (لنأكلوا منه لحما طريا) وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحث. وإن سماه  
الله تعالى دابة فى قوله: (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا). فإن قلت: فما له ذكر لحم  
الحنزير دون شحمه؟ قلت: لأن الشحم داخل فى ذكر اللحم، لكونه تابعا له وصفة فيه، بدليل  
قولهم: لحم سمين، يريدون أنه شحم.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا  
أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا  
يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ  
وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾  
(فى بطونهم) ملاء بطونهم. يقال: أكل فلان فى بطنه، وأكل فى بعض بطنه (إلا النار)  
لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه، فكأنه أكل النار. ومنه قولهم: أكل فلان  
الدم، إذا أكل الدية التى هى بدل منه. قال:

\* أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرُعْكَ بَصْرَةً \* (٢)

(١) أخرجه أحمد والشافعى. وابن ماجه والدارقطنى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما،

(٢) دمشق خذها واسلمى أن ليلة تمر بهودى نعشها ليلة القدر

أكلت دما إن لم أرعك بصرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر



وقال : (١)

\* يَا أَكْفَنَ كُلِّ لَيْلَةٍ إِكْفًا \* (٢)

أراد ثمن الإكاف ، فسماه إكفا لتلبسه بكونه ثمنا له (ولا يكلمهم الله) تعريض بحرماتهم حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم . وقيل : نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه . وقيل : لا يكلمهم بما يحبون ، ولكن بنحو قوله : (اخشوا فيها ولا تسلمون) . (فما أصبرهم على النار) تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم ، كما تقول لمن يتعزض لما يوجب غضب السلطان : ما أصبرك على القيد والسجن ، تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب . وقيل : فما أصبرهم ، فأى شيء صبرهم . يقال : أصبره على كذا وصبره بمعنى .

== لأعرابي تزوج امرأة فلم توافقه ، فقيل له : إن حي دمشق سريعة في موت النساء ، لحملها إليها وقال لها ذلك ، ونزل دمشق - وهي مدينة بالشام - منزلة العاقل فناداها . والظاهر أن هذا التنزيل من باب الاستعارة المكنية والنداء تخيل ، وكذلك الأمر بالعلم ، والمرور : المشى ، فاستاده لليلة مجاز عقلى من الاستناد للزمان ، وهو في الحقيقة لحلة النعش ، أو بمعنى المضي فهو حقيقة والياء للبالغة ، وهو كناية عن موتها . والعودان : طرفا النعش . وجعل تلك الليلة كلية القدر عنده لشدة ترقبها وتمنيها والتشوق إليها ، ثم التفت إلى خطابها ودعا على نفسه بقوله : أكلت دما ، أى دية ، لأنها بدل الدم وأخذها عار عند العرب ، لدلائها على الجبن وحب المال دون الثأر . وإن لم أرعك : من راعه يروعه إذا أخافه . والمراد أنه يشيظها بتزوج ضرة عليها جملة طويلة العنق . فبعد مهوى القرط : كناية عن ذلك . والقرط : حل الأذن . ومهواه : مسقطه من المنكب . والنشر : الرائحة الطيبة . ويحتمل أنه دعا على نفسه بالجدب حتى يحتاج لفصد النوق وأكل دما ، وكذلك كانت تفعل الجاهلية في الجدب . ويحتمل أن المراد : شربت دما ، فهو تعليق على الممتنع عنده دلالة على تحقيق التزوج ، لأنه يرجع إلى أن عدم التزوج ممنوع كما أن شرب الدم ممنوع . ونظيره ما أنشدته أبو إياس :

أمالك عمر إنما أنت حية      إذا هي لم تقتل نعش آخر العمر  
ثلاثين حولا لا أرى منك راحة      لهنك في الدنيا لباقية العمر  
دمشق خذبيها لا تفنك قليلة      تمر بعودى نعشها ليلة القدر  
فان أنفلت من عمر صعبة سالما      تكن من نساء الناس ليضة العقر

ولعل ، العمر ، في القافية الأولى بمعنى الدهر . ولهنك هاؤه بدل من همزة إن عند البصريين ، وعند غيرهم أصله : لله إنك . وبيضة العقر : زعموا أنها بيضة الديك لا يبيض في عمره غيرها . وقيل : هي مثل لما لا وجود له أصلا . فالمعنى : أنه يتزوج جملة لا يتزوج غيرها ، أو أنه لا يتزوج أصلا . وصعبة هي امرأته .

(١) إن لنا أحره عجافا      يأكلن كل ليلة إكفا

الأحره : الحير . والعجاف : المهازيل . والآكاف : البرذعة ، فالمراد : يأكلن كل ليلة علفا يشتري بثمان إكاف ، بأن يباع الآكاف ثم يشتري بثمانه علفا لها ، فأوقع الأكل على الآكاف بواسطتين ، ولعل بيع براذعها لضعفها عن العمل . ويمكن أنه مجرد تقديم ، وإنما خص الآكاف لاختصاصه بالحير .

(٢) قوله دكل ليلة إكفا ، هو ما يوضع على ظهر الحمار عند ركوبه أو تحميله . أفاده الصحاح . (ع)

وهذا أصل معنى فعل التعجب . والذي روى عن الكسائي أنه قال : قال لي قاعني اليمين بمكة . اختصم إلى رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له : ما أصبرك على الله ، فعناه : ما أصبرك على عذاب الله ﴿ ذلك بأن الله نزل ﴾ أى ذلك العذاب بسبب أن الله نزل مازل من الكتب بالحق ﴿ وإن الذين اختلفوا ﴾ فى كتب الله فقالوا فى بعضها حق وفى بعضها باطل وهم أهل الكتاب ﴿ لنى شقاق ﴾ لنى خلاف ﴿ بعيد ﴾ عن الحق ، والكتاب للجنس . أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون ، وإن الذين اختلفوا فيه من المشركين - فقال بعضهم : سحر ، وبعضهم : شعر ، وبعضهم : أساطير - لنى شقاق بعيد . يعنى أن أولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء أن يكفروا .

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالْفُرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

﴿ البر ﴾ اسم للخير ولكل فعل مرضى ﴿ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ الخطاب لأهل الكتاب <sup>(١)</sup> لأن اليهود تصلى قبل المغرب إلى بيت المقدس ، والنصارى قبل المشرق . وذلك أنهم أكثروا الخوض فى أمر القبلة حين حوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة ، وزعم كل واحد من الفريقين أن البرّ التوجه إلى قبلته ، فردّ عليهم . وقيل : ليس البرّ فيما أتم عليه فإنه منسوخ خارج من البرّ ، ولكن البرّ ما نيينه . وقيل : كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب فى أمر

(١) قال محمود رحمه الله : « الخطاب فيه لليهود والنصارى ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : هذا منقول عن المبرد ، مسمى بسهام الرد ، فإن فيه إسهاما بأن اختلاف وجوه القراءة موكل إلى الاجتهاد ، وأنه مهما اقتضاه قياس اللغة جازت القراءة به لمن يعد أهلا للاجتهاد فى العربية واللغة . وهذا خطأ محض ، فالقرآت سنة متبعة لا مجال فيها للدراية . على أن مقاله وقدر أنه الأوجه ليس يبالغ ذروة فصاحة الآية إلا على القرآت المستفيضة ، لأن الكلام مصدر بذكر البر الذى هو المصدر قولاً واحداً ، فلو عدل إلى ذكر البر الذى هو الوصف لايفك المطابقة ومعنى النظام . ولذلك كان تأويل الآية بحذف المضاف من الثانى على تأويل : بر من آمن ، أوجه وأحسن وأبقى على السياق . ومن ظن أنه يشق غباراً أو يتعلق بأذيال فصاحة المعجز للقصصاء ، فقد سولت له نفسه بحالومته ضلالاً .

القبلة ، فقيل : ليس البرّ العظيم الذى يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البرّ أمر القبلة ، ولكن البرّ الذى يجب الاهتمام به وصرف الهمة برّ من آمن وقام بهذه الأعمال . وقرئ : وليس البرّ - بالنصب على أنه خبر مقدم - وقرأ عبد الله : بأن تولوا ، على إدخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك : ليس المنطلق يزيد ﴿ ولكن البرّ من آمن بالله ﴾ على تأويل حذف المضاف ، أى برّ من آمن ، أو يتأول البرّ بمعنى ذى البرّ ، أو كما قالت :

\* فَأَيَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ \* (١)

وعن المبرد : لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت : ولكن البرّ ، بفتح الباء . وقرئ : ولكن البارّ . وقرأ ابن عامر ونافع : ولكن البرّ بالتخفيف ﴿ والكتاب ﴾ جنس كتب الله ، أو القرآن ﴿ على حبه ﴾ مع حب المال والشفع به ، كما قال ابن مسعود ، وأن تؤتيه وأنت صحيح شحيح ، تأمل العيش وتخشى الفقر ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا (٢) . وقيل :

(١) فاعول على بو تطيف به لها حنينان إصغار وإكبار  
لاتسام الدهر منه كلما ذكرت فأنما هي إقبال وإدبار  
يوما بأوجد متى حين فارقتى صخر وللدهر إحلاء وإمرار

للخنساء ترى أخاها صخراً . والمعول : الناقة التى أسقطت حملها قبل تمام شهرين ، والتي فقدت ولدها ينحر أو موت والبو : جلد محبو ندر الناقة لأجله . وقيل : ولد الناقة . وطاف به يطوف طوافاً وطوافاً وطوافاً ، إذا دار حوله وطاف عليه يطيف طيفاً ، إذا أقبل عليه . وقد يستعمل كل موضع الآخر ، أى تحوم حوله . ويروى : تحن له . وإصغار وإكبار : بدل من حنينان . ويروى : إعلان وإمرار . والمعنى واحد ، غير أن فيه تقدماً وتأخيراً . أو الاصغار الحنين على الولد الصغير ، والاكبار على الكبير ، كذا قيل ، لكن خير ما فسرت به بالوارد . والدهر : نصب بقسام أى : لا تمهل طول الدهر عما ذكر من الحنين ورجوعه للبو ، تأباه جزالة المعنى . ويمكن عوده على الطيف المعلوم من تطيف . ويروى بدل هذا القطر ترتع مارتت حتى إذا ادرت . وأصله اذتكرت أى تذكرت . ويروى : ترتع ما غفلت حتى إذا ذكرت . أى ترى مدة غفلتها عنه ، فإذا تذكرته فأنما هي ذات إقبال وذات إدبار ، أو مقبلة ومدبرة ، أو هي نفس الإقبال والادبار مبالغة . أى تلتفت نارة أمامها ونارة خلفها وتتلهى عن الرعى . وقيل المراد إقبال النهار وإدبار الليل وعكسه . ويمكن أن وجهه استقلال المدة ، أى فأنما مدة الدهر إقبال وإدبار دائرين بين الليل والنهار ، بالضمير عائد على معلوم من السياق ، لكن لا يظهر على الرواية الثانية . ويوما : نصب بأوجد وجاز تقدمه على أفعل التفضيل ، لأنه ظرف ، وكذلك تنبيهاً على أن المراد باليوم مطلق الزمن غالباً . وبأوجد : خبر عول . ويروى « بأوجع » أى ليست أشد حزناً متى حين فارقتى أخى ، وحين نصب بأوجد أيضاً . ووجه أنه فى معنى عاملين ، أى ليس وجدها يوماً أشد من وجدى حين الفراق ، فالأول للأول ، والثانى للثانى ، ثم تسلمت بقولها : وللدهر إحلاء وإمرار . ويقال : أحلى الشيء وأمر ، صار حلواً وصار مرأ . ويجوز أنهما متعديان . والمراد : أن الدهر ينعم العيش تارة ويهسه أخرى . فالإحلاء والإمرار استعارتان لذلك .

(٢) موقوف ، كذا أخرجه عبد الرزاق عن الثورى عن زيد عن مرة عنه . قال فى قوله تعالى : (وآتى المال على حبه ذوى القربى) قال : أن يؤتيه ، فذكره إلى قوله : ويخشى الفقر ، ولم يذكر ما بعده . ومن طريقه أخرجه الطبرانى والحاكم وذكره أبو نعيم فى الحلية . فى ترجمة مسعر فأخرجه من طريقه عن زيد به . وقال مكذراواه =

على حب الله . وقيل : على حب الإيتاء ، يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه . وقدم ذوى القربى لأنهم أحق . قال عليه الصلاة والسلام : « صدقتك على المسكين صدقة . وعلى ذى رحمك اثنتان لأنها صدقة وصلة »<sup>(١)</sup> ، وقال عليه الصلاة والسلام<sup>(٢)</sup> : « أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح »<sup>(٣)</sup> . وأطلق « ذوى القربى واليتامى » والمراد الفقراء منهم لعدم الإلباس . والمسكين : الدائم السكون إلى الناس ، لأنه لا يئى له ، كالمسكين : للدائم السكر « وابن السبيل » المسافر المنقطع . وجعل ابناً للسبيل لملازمته له ، كما يقال للص القاطع : ابن الطريق . وقيل : هو الضيف ، لأن السبيل يعرف به<sup>(٤)</sup> « والسائلين » المستطعمين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للسائل حق وإن جاء على ظهر فرسه<sup>(٥)</sup> « وفى الرقاب » وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم . وقيل

== مسعر والناس . عن زيد موقوفاً رواه محمد بن يزيد عن الثوري مرفوعاً . وتفرد برفعه ثم مائة . وأخرجه البيهقي من رواية شعبة عن زيد موقوفاً ومن طريق سلام بن سليم المدائني عن محمد بن طلحة عن زيد مرفوعاً : وسلام ضعيف رواه الطبري من ثلاثة طرق عن زيد موقوفاً . ولم يذكر أحد منهم ولا يهمل وإنما هو في حديث أبي هريرة . اثنى الشيخان عليه بلفظ « قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ، أى الصدقة أفضل ؟ قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر ولا تهمل حتى إذا بلغت الخلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان » .

(١) أخرجه النسائي والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وأحمد وابن أبي شيبة والداري كلهم من حديث سلمان بن عامر بلفظ « الصدقة على المسكين حسنة » الترمذي . وفى الباب عن ابن طلحة وأبي أمامة . أخرجهما الطبراني .

(٢) أخرجه عبد الرزاق والحاكم والبيهقي والطبراني من رواية ابن عيينة عن الزهري . عن حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة . ورواه أبو عبيد في كتاب الأموال من رواية إبراهيم بن يزيد المكي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة . وأخرجه من طريق عقيل عن الزهري مرسلاً . لم يذكر أباه هريرة ورواه أحمد من رواية سفيان بن حسين عن الزهري عن أيوب بن بشير عن حكيم بن حزام ورواه أيضاً هو وإسحاق والطبراني من طريق الحجاج بن أرطاة عنه عن حكيم بن بشير عن أبي أيوب . فهذه الطرق كلها تدور على الزهري ، مع اختلاف عليه ، وأحفظهم سفيان بن عتبة ، وعقيل أحفظ منه . وروايته أشبه بالصواب .

(٣) قوله « ذى الرحم الكاشح » فى الصحاح : تقول طوى فلان عن كشحه ، إذا قطعك . والكاشح الذى يضر لك العداوة . (ع)

(٤) قوله « لأن السبيل يعرف به » أى يتقدم به ويبرزه للقيمين ، كما يعرف الألف بدم الرعاف . أفاده الصحاح . (ع)

(٥) أخرجه أبو داود من رواية فاطمة بنت الحسين بن علي عن أبيها عن علي رضوان الله عليه . ومن رواية الحسين بن علي ، من غير ذكر أبيه . فى إسنادهما يحيى بن أبي يعلى وقيل : يعلى بن أبي يحيى : وهو مجهول . وقد رواه إسحاق بن راهويه من طريقه لجله من رواية فاطمة بنت الحسين عن فاطمة ، ورواه الطبراني من حديث الهرماس بن زياد . وفيه عثمان بن فايد . وهو ضعيف : وقال مالك فى الموطأ : أخبرنا زيد بن أسلم أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكره ووصله ابن عدى من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة . وعبد الله ضعيف . ورواه أيضاً من طريق عمر بن يزيد المدائني عن عطاء عن أبي هريرة . وهو ضعيف .

في ابتياع الرقاب وإعتاقها. وقيل في فك الأسارى. فإن قلت: قد ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بإيتاء الزكاة فهل دل ذلك على أن في المال حقاً سوى الزكاة؟ قلت: يحتمل ذلك. وعن الشعبي: أن في المال حقاً سوى الزكاة، وتلا هذه الآية. ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكاة، أو يكون حثاً على نوافل الصدقات والمباخر. وفي الحديث: نسخت الزكاة كل صدقة،<sup>(١)</sup> يعني وجوبها. وروى: ليس في المال حق سوى الزكاة،<sup>(٢)</sup> (والموفون) عطف على من آمن. وأخرج (الصابرين) منصوباً على الاختصاص والمدح، إظهاراً لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال. وقرئ: والصابرون. وقرئ: والموفين، والصابرين. و(البأساء) الفقر والشدّة (والضراء) المرض والزمانة (صدقوا) كانوا صادقين جادين في الدين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَا إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)

عن عمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، وعطاء، وعكرمة، وهو مذهب مالك والشافعي<sup>(٣)</sup> رحمة الله عليهم: أن الحر لا يقتل بالعبد، والذكر لا يقتل بالأنثى، أخذاً بهذه الآية. ويقولون: هي مفسرة لما أبهم في قوله (النفس بالنفس) ولأن تلك الواردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها، وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها. وعن سعيد ابن المسيب، والشعبي، والنخعي، وقاتدة، والثوري، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه: أنها منسوخة بقوله (النفس بالنفس) والقصاص ثابت بين العبد والحر، والذكر والأنثى. ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه الدارقطني والبيهقي، من حديث علي رضي الله عنه. وإسناده ضعيف. وأخرجه عبد الرزاق من قول علي موقوفاً

(٢) أخرجه ابن ماجه من رواية أبي حمزة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس بهذا. وترجم عليه. باب ما أدى زكاته فليس بكنز. وقال البيهقي: والذي يرويه أصحابنا في فتايلهم، ليس في المال حق سوى الزكاة، لا أحفظ له إسناداً وقد رواه الترمذي وأبو يعلى والطبراني من هذا الوجه، بلفظ وإن في المال حقاً سوى الزكاة، قال الترمذي: ليس إسناده بذلك. وقد رواه بيان وإسماعيل عن الشعبي قال: وهو أصح.

(٣) قال محمود رحمه الله: «مذهب مالك والشافعي رضي الله عنهما أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالأنثى... الخ» قال أحمد رحمه الله: وهذا من الزخشرى وهم على الامامين، فانهما يقتضيان من الذكر للأنثى بلا خلاف عنهما. وأما الحر والعبد عندهما فهو الذي وهم الزخشرى عنهما.

والمسلمون تتكافأ دماؤهم<sup>(١)</sup>، وبأن التفاضل غير مغتبر في الأنفس، بدليل أن جماعة لو قتلوا واحداً قتلوا به. وروى: أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية، وكان لأحدهما طول على الآخر، فأقسموا لقتلن الحزمنكم بالعبد منا، والذكر بالأنثى، والاثنتين بالواحد، فتحاكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالإسلام فنزلت، وأمرهم أن يتباؤوا<sup>(٢)</sup>، (فمن عفى له من أخيه شيء) معناه: فمن عفى له من جهة أخيه<sup>(٣)</sup> شيء من العفو. على أنه كقولك: سير يزيد بعض السير، وطائفة من السير. ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول به، لأن عفا، لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة. وأخوه: هو ولي المقتول، وقيل له أخوه، لأنه لا بس، من قبل أنه ولي الدم ومطالبه به، كما تقول للرجل: قل لصاحبك كذا، لمن بينه وبينه أدنى ملاسة أو ذكره بلفظ الأخوة، ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام فإن قلت: إن عفى يتعدى بمن لا باللام، فما وجه قوله (فمن عفى له)؟ قلت: يتعدى بمن إلى الجاني وإلى الذنب، فيقال: عفوت عن فلان وعن ذنبه. قال الله تعالى: (عفا الله عنك) وقال: (عفا

(١) أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم من طريق قيس بن عباد عن علي في قصة. ورواه أبو داود وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وزاد: ويسمى بذمتهم أدناهم، ويحبر عليهم أقصام. وهم يد على من سواهم، وفي الباب عن عائشة: روى البخاري في تاريخه والدارقطني. وعن ابن عباس ومعلق بن يسار في ابن ماجه وعن جابر في المعجم الأوسط للطبراني.

(٢) لم أجده.

(٣) قال محمود رحمه الله: معنى الآية: فمن عفى له من جهة أخيه. الخ. قال أحمد رحمه الله: ويقوى هذا التأويل القول بأن موجب العمد أحد الأمرين من القصاص أو الدية، والخيار إلى الولي. وهو أحد القولين في مذهب مالك رضي الله عنه ومشهورهما. إذ لو جملنا موجب العمد القود على القول الآخر، لكان في ذلك تضيق على الولي. والآية مشمرة بالتخفيف والسعة. وتحتمل الآية وجهاً آخر، وهو عود الضميرين جميعاً إلى الولي، وقالوا على هذا الوجه يكون العفو إعطاء البدل، كأنه قال: فمن أعطى شيئاً من أخيه أي بدلاً من أخيه. ويكون «من» مثلها في قوله تعالى: (ولو شاء لجعلنا منكم ملأنتكم في الأرض مخلوقون). ونظيره استعمال العفو في العطاء عندى قوله تعالى: (إلا أن يعقون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) إذا حل الذى بيده العقدة على الزوج. وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه. ويقول أصحابه: عفوه على أحد وجهين: إما من استرجاع النصف الواجب إن كان قد سلم جميع المهر، وإما على دفع النصف الآخر الذى سقط عنه إن كان لم يسلبه، فيسكت العفو على هذا مستعملاً في الاعطاء. ويقوى هذا الوجه في أنه لا قصاص قوله (فاتباع بالمعروف) لأن المخاطب بالاتباع بالمعروف إنما هو الولي، فإذا جملنا الضميرين له انساق الكلام سياقة واحدة إلى جهة واحدة، وصار المعنى: فمن أعطى من الأولياء بدلاً من أخيه، فليتبع بالمعروف في طلب ما أعطى. وإما خالفه الولي عن انتقاض غاطب القاتل بحسن الأداء، فليتظم الكلام موجهاً إلى وجهة واحدة. وأما على الوجه الذى قرره الزمخشري، فالضميران جميعاً راجعان إلى القاتل وتقدير الكلام: فمن عفى له من القاتلين عن جنايته شيء من العفو فليتبع الولي هذا القاتل المعفو عنه بالمعروف، فيكون المخاطب أول الآية القاتل، وآخرها الولي، بخلاف الوجه الذى قرره والله أعلم. وكلا الوجهين حسن جيد.

الله عنها) فإذا تعدى إلى الذنب والجاني معا قيل : عفوت لفلان عما جنى ، كما تقول : غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه . وعلى هذا ما في الآية ، كأنه قيل : فمن عفى له عند جنائته ، فاستغنى عن ذكر الجنائية . فإن قلت : هلا فسرت عفى بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به ؟ قلت : لأن عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ، ولكن أعفاه . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « وأعفوا للحي » (١) فإن قلت : فقد ثبت قولهم : عفا أثره إذا محاه وأزاله ، فهلا جعلت معناه : فمن محى له من أخيه شيء ؟ قلت : عبارة قلقلة في مكانها ، والعفو في باب الجنائيات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس ، فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقلة نائية عن مكانها ، وترى كثيراً ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ - إذا أعرض عليه تخريج وجه للشكل من كلام الله - على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه ، وهذه جرأة يستعاذ بالله منها . فإن قلت ؟ لم قيل : شيء من العفو ؟ قلت : للإشعار بأنه إذا عفى له طرف من العفو وبعض منه بأن يعنى عن بعض الدم ، أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب إلا الدية (فاتباع بالمعروف) فليكن اتباع ، أو فالأمر اتباع . وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعاً . يعنى فليتبّع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة ، وليؤدّ إليه القاتل بدل الدم أداءً بإحسان ، بأن لا يعطله ولا يبخسه (ذلك) الحكم المذكور من العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة) لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية ، وعلى أهل الإنجيل العفو وحرم القصاص والدية ، وخيرت هذه الأمة بين الثلاث : القصاص والدية والعفو ، توسعة عليهم وتيسيراً (فمن اعتدى بعد ذلك) التخفيف ، فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل (٢) ، أو القتل بعد أخذ الدية . فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ، ثم يظفر به فيقتله (فله عذاب أليم) نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة . وعن قتادة : العذاب الأليم أن يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية ، لقوله عليه السلام « لأعافى أحداً قتل بعد أخذه الدية » (ولكم في القصاص حياة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة (٣) ، وهو أن القصاص قتل وتقويت للحياة ، وقد جعل مكاناً وظرفاً للحياة ، ومن إصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة ؛ لأنّ المعنى : ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة ، وذلك أنهم كانوا

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

(٢) قوله « من قتل غير القاتل ، بيان للتجاوز والاعتداء . » (ع)

(٣) قال محمود رحمه الله : « كلام فصيح لما فيه من الغرابة . . . الخ » . قال أحمد رحمه الله : قوله جعل أحد الضدين محلاً للآخر : كلام إمامهم فيه أو تأسخ ، لأن شرط تضاد الحياة والموت اجتماعهما في محل واحد تقديرًا ، ولا تضاد بين حياة غير المقتض منه وموت المقتض ، والبلاغة التي أوضهها في الآية بينة بدون هذا الإطلاق .

يقتلون بالواحد الجماعة ، وكم قتل مهمل بأخيه كليب حتى كاد يفنى بكر بن وائل ، وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتشور الفتنة ويقع بينهم التناحر ، فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أى حياة ، أو نوع من الحياة ، وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل ، لأنه إذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص فازتدع منه سلم صاحبه من القتل ، وسلم هو من القود ، فكان القصاص سبب حياة نفسين . وقرأ أبو الجوزاء : ولكم فى القصاص حياة : أى فيما قصص عليكم من حكم القتل . والقصاص . وقيل القصص : القرآن ، أى ولكم فى القرآن حياة للقلوب : كقوله تعالى : (روحا من أمرنا) ، (ويحيى من حى عن بينة) . (لعلكم تتقون) أى أريتكم ما فى القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس (لعلكم تتقون) تعملون عمل أهل التقوى فى المحافظة على القصاص والحكم به . وهو خطاب له فضل اختصاص بالآئمة .

كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأُولَادَيْنِ  
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَسْمِعِهِ فَأِنَّمَا  
إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا  
أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢)

(إذا حضر أحدكم الموت) إذا دنا منه وظهرت أماراته (خيراً) مالا كثيراً . عن عائشة رضى الله عنها أن رجلاً أراد الوصية وله عيال وأربعائة دينار ، فقالت : ما أرى فيه فضلاً .<sup>(١)</sup> وأراد آخر أن يوصى فسالته : كم مالك ؟ فقال : ثلاثة آلاف . قالت : كم عيالك ؟ قال : أربعة . قالت : إنما قال الله (إن ترك خيراً) وإن هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك<sup>(٢)</sup> ، وعن على رضى الله عنه : أن مولى له أراد أن يوصى وله سبعمائة فنعه<sup>(٣)</sup> . وقال : قال الله تعالى

(١) أخرجه عبد الرزاق عن الثوري عن منصور بن صفية حدثنا عبد الله بن عبيد بن حمير وأن عائشة سئلت عن رجل مات وله أربعائة دينار . وله عدة من الولد . فقالت عائشة : ما فى هذا فضل عن ولده وعن ابن جريج عن منصور بن عبد الرحمن عن أمه عن عائشة مثله . وزاد : فلامته عائشة ، وقالت : إن ذلك قليل ، قلت : منصور ابن عبد الرحمن هو ابن صفية . فكأنه سمعه من أمه ومن عبد الله كلاهما عن عائشة رضى الله عنها .  
(٢) أخرجه ابن أبى شيبة حدثنا أبو معاوية عن محمد بن شريك عن ابن أبى مليكة عن عائشة د أن رجلاً قال لها : إني أريد أن أوصى - فذكره .

(٣) أخرجه عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن هشام عن أبيه قال ودخل على رضى الله عنه على مولى له فى الموت فقال : ألا أوصى ؟ فقال له على : إنما قال الله تعالى (إن ترك خيراً) وليس لك كثير مال . قال : وكان له سبعمائة درهم ، ورواه ابن أبى شيبة عن أبي خاله الأحمر عن هشام به .



(إن ترك خيراً) والخير هو المال ، وليس لك مال . والوصية فاعل كتب ، وذكر فعلها للفاصل ، ولأنها بمعنى أن يوصى ، ولذلك ذكر الراجع في قوله : (فمن بدله بعد ماسمعه) والوصية للوارث كانت في بدء الإسلام فنسخت بآية الموارث ، وبقوله عليه السلام وإن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث<sup>(١)</sup> ، وبتلقي الامة إياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وإن كان من الآحاد ، لأنهم لا يتلقون بالقبول إلا الثبوت الذي صحت روايته . وقيل : لم تنسخ ، والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين . وقيل : ماهي بمخالفة لآية الموارث . ومعناها : كتب عليكم ما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين<sup>(٢)</sup> من قوله تعالى : (يوصيكم الله في أولادكم) أو كتب على المحتضر أن يوصى للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصى به الله لهم عليهم ، وأن لا ينقص من أنصبتهم (بالمعروف) بالعدل ، وهو أن لا يوصى للفقير ويدع الغني ولا يتجاوز الثلث (حقاً) مصدر مؤكد ، أى حق ذلك حقاً (فمن بدله) فمن غير الإيضاء عن وجهه إن كان موافقاً للشرع من الأوصياء والشهود (بعد ماسمعه) وتحقيقه (فإنما إثمهم على الذين يبدلونه) فإثم الإيضاء المغير أو التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم من الموصى والموصى له ، لأنهما بريان من الحيف (إن الله سميع عليم) وعيد المبدل (فمن خاف) فمن توقع وعلم ، وهذا في كلامهم شائع يقولون : أخاف أن ترسل السماء ، يريدون التوقع والظن الغالب الجارى مجرى العلم (جنفاً) ميلاً عن الحق بالخطأ في الوصية (أو إنما) أو تعمداً للحيف (فأصلح بينهم) بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع (فلا إثم عليه) حيثئذ ، لأن تبديله تبديل باطل إلى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم<sup>(٣)</sup> .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

(١) أخرجه أبو داود والترمذي : وحسنه ، وابن ماجه من حديث أبي أمامة ، والترمذي أيضاً وحسنه ، والنسائي وابن ماجه من حديث عمرو بن غارجه ، وابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سعيد بن أبي سعيد أنه حدثه عن أس بن مالك به .

(٢) قوله من توريث الوالدين والأقربين من ، لعله في . (ع)

(٣) قوله أن كل تبديل لا يؤثم ، لعل المعنى أن ليس كل تبديل يؤثم (ع)

﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم . قال عليّ رضي الله عنه : أولهم آدم ، يعني أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أدخل الله أمة من اقتراضها عليهم ، لم يفرضها عليكم وحدكم ﴿ لعلمكم تتقون ﴾ بالمحافظة عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها ، أو لعلمكم تتقون المعاصي ، لأن الصائم أظلف لنفسه<sup>(١)</sup> وأردع لها من مواضع السوء . قال عليه السلام : « فعلية بالصوم<sup>(٢)</sup> فإن الصوم له وجاء<sup>(٣)</sup> » ، أو لعلمكم تنتظمون في زمرة المتقين ، لأن الصوم شعارهم . وقيل معناه : أنه كصومهم في عدد الأيام وهو شهر رمضان ، كتب على أهل الإنجيل فأصابعهم موتان ، فزادوا عشراً قبله وعشرأ بعده . فجعلوه خمسين يوماً . وقيل : كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد ، فشقّ عليهم في أسفارهم ومعاشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع ، وزادوا عشرين يوماً كفارة لتحويله عن وقته . وقيل : الأيام المحدودات : عاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر . كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر . ثم نسخت بشهر رمضان . وقيل : كتب عليكم كما كتب عليهم أن يتقوا المفطر بعد أن يصلوا العشاء وبعد أن يناموا ، ثم نسخ ذلك بقوله ﴿ أحلّ لكم ليلة الصيام... الآية ﴾ . ومعنى ﴿ معدودات ﴾ موقتات بعدد معلوم . أو قلائل ، كقوله (دراهم معدودة) وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد ويتحرك فيه . والكثير يهال هيلاً ويحى حياً . وانتصاب أياماً بالصيام ، كقوله : نويت الخروج يوم الجمعة ﴿ أو على سفر ﴾ أو راكب سفر ﴿ فعدة ﴾ فعلية عدة . وقرئ بالنصب بمعنى : فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة . وقيل : مكتوب عليهما أن يفطرا ويصوما عدة ﴿ من أيام آخر ﴾ واختلف في المرض المبيح للإفطار ، فمن قائل : كل مرض ، لأن الله تعالى لم يخص مرضاً دون مرض كالم يخص سفرأ دون سفر ، فكأن لكل مسافر أن يفطر ، فكذلك كل مريض . وعن ابن سيرين أنه دخل عليه في رمضان وهو يأكل فاعتلّ بوجع أصبعه . وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يضجعه ، فقال : إنه في سعة من الإفطار . وقائل : هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويند فيه ، لقوله تعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ﴾ وعن الشافعي : لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل . واختلف أيضاً في القضاء فعمامة العلماء على التخيير . وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : « إن الله لم يرخس لكم في

(١) قوله « لأن الصائم أظلف لنفسه » ، في الصحاح : ظلف نفسه عن الشيء ، منعه عنه . وظلّفت نفسي عن كذا

ـ بالكسر ـ : كلمت (ع)

(٢) قوله « قال عليه السلام فعلية بالصوم » ، صدره : يا معشر الكتاب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن

لم يستطع فعلية بالصوم إلخ . (ع)

(٣) متفق عليه من حديث ابن مسعود

فطره وهو يريد أن يشق عليكم في قضائه ، إن شئت فواتر ، وإن شئت ففرق<sup>(١)</sup> وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم أنه يقضى كما فات متتابعاً<sup>(٢)</sup> . وفي قراءة أبي : فعدة من أيام آخر متابعات . فإن قلت : فكيف قيل (فعدة) على التذكير ولم يقل : فعذتها ، أى فعدة الأيام المعدودات ؟ قلت : لما قيل : فعدة ، والعدة بمعنى المعدود فأمر بأن يصوم أياماً معدودة مكانها ، علم أنه لا يؤثر عدد على عددها ، فأغنى ذلك عن التعريف بالإضافة (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيعين للصيام الذين لا عذر بهم إن أفطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند أهل العراق ، وعند أهل الحجاز مده ، وكان ذلك في بدء الإسلام : فرض عليهم الصوم ولم يتعذروه فاشتد عليهم ، فرخص لهم في الإفطار والفدية . وقرأ ابن عباس : يطوقونه ، تفعيل من الطوق إما بمعنى الطاقة أو الفلادة ، أى يكلفونه أو يقلدونه ويقال لهم صوموا . وعنه : يتطوقونه بمعنى يتكلفونه أو يتقلدونه . ويطوقونه بإدغام التاء في الطاء . ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطوقونه ، وأصلهما يطيقونه ويتطيقونه ، على أنهما من فيعل وتفعيل من الطوق ، فأدغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم : تدير المكان وما بها ديار . وفيه وجهان : أحدهما نحو معنى يطيقونه . والثاني يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز ، وحكم هؤلاء الإفطار والفدية . وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ . ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه ، أى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم (فمن تطوع خيراً) فزاد على ممداد الفدية (فهو خير له) فالتطوع أخير له أو الخير . وقرئ فمن تطوع ، بمعنى يتطوع (وأن تصوموا) أيها المطيعون أو المطوقون وحلم على أنفسكم وجهدهم طاعتكم (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير . ويجوز أن ينتظم في الخطاب المريض والمسافر أيضاً . وفي قراءة أبي : والصيام خير لكم .

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى  
وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ  
أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ  
وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

الرمضان : مصدر رمض إذا احترق - من الرمضاء - فأضيف إليه الشهر وجعل علماً ، ومنع الصرف للتعريف والالاف والنون كما قيل ، ابن داية ، للغراب بإضافة الابن إلى داية البعير ،

(١) موقوف : الدارقطبي من روايته . (٢) أخرجه عبد الرزاق عنهما قالوا : يقضيه تباعاً ،

لكثرة وقوعه عليها إذا دبرت . فإن قلت : لم سمي (شهر رمضان) ؟ قلت : الصوم فيه عبادة قديمة ، فكأنهم سموه بذلك لارتباطهم فيه من حرّ الجوع ومقاساة شدته ، كما سموه ناتقاً لأنه كان ينتقمهم أي يزجهم إضجاراً بشدته عليهم . وقيل لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالآزمنة التي وقعت فيها ، فوافق هذا الشهر أيام مرض الحر . فإن قلت : فإذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعاً ، فما وجه ما جاء في الأحاديث من نحوه قوله عليه الصلاة والسلام : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً »<sup>(١)</sup> ، « من أدرك رمضان فلم يغفر له »<sup>(٢)</sup> . قلت : هو من باب الحذف لأن الإلباس كما قال : \* بما أعيا النظامي حذيمًا \*<sup>(٣)</sup> أراد ابن حذيم ، وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره (الذي أنزل فيه القرآن) أو على أنه بدل من الصيام في قوله (كتب عليكم الصيام) أو على أنه خبر مبتدأ محذوف . وقرئ بالنصب على : صوموا شهر رمضان ، أو على الإبدال من (أياماً معدودات) ، أو على أنه مفعول (وأن تصوموا) . ومعنى (أنزل فيه القرآن) ابتدئ فيه إنزاله ، وكان ذلك في ليلة القدر . وقيل : أنزل جملة إلى سماء الدنيا ، ثم نزل إلى الأرض نجوماً . وقيل : أنزل في شأنه القرآن ، وهو قوله (كتب عليكم الصيام) كما تقول أنزل في عمر كذا ، وفي على كذا . وعن النبي عليه السلام « نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين ، والإنجيل لثلاث عشرة ، والقرآن لأربع وعشرين مضين »<sup>(٤)</sup> . (هدى للناس وبينات) نصب على الحال ، أي أنزل وهو هداية للناس إلى الحق ، وهو آيات واضحات مكشوفات بما يهدي إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل . فإن قلت : ما معنى قوله (وبينات من الهدى) بعد قوله (هدى للناس) ؟ قلت : ذكر أولاً أنه هدى ، ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله ، وفرق به بين الحق والباطل من وجه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن كان

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) أخرجه الترمذي من رواية عبد الرحمن بن إسماعيل عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رفعه . رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له - الحديث - قلت : ليس هذا موافقاً للفظ المصنف . والموافق له ما أخرجه ابن حبان .

(٣) فهل لكم فيما ألقى فاني بصير بما أعيا النظامي حذيمًا

يقول : فهل لكم رغبة فيما ينسب إلى من إصابة الرأي ، فاني بصير بحل الأمور المعضلة . وكنت عن ذلك بقوله : بما أعيا حذيمًا النظامي ، وهو طبيب ماهر حاذق . وحذيم - بكسر فسكون - أراد به ابن حذيم ، لأنه كنيته ، لحذف جزء الاسم لأن اللبس . والنظامي نسبة للنظام وزان القرباس ، وهو في لغة الروم بمعنى الحاذق الماهر في الطب . وتخفيفه هنا إما من تصرف العرب ، وإما لأجل الوزن . وقيل معناه : فهل لكم رأي وتبصر فيما يرجع نفعه إلى ، ثم أعرض عن مشاورتهم بقوله : فاني أعلم وأعرف منكم بما أعيا النظامي ، ولا يخفى أنه لا موقع للقاء حينئذ ، إلا أن يكون المعنى بأنه يطلب منهم الرشوة .

(٤) أخرجه أحمد والطبراني من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً به . وفي الباب عند أبي داود . وأخرجه الثعلبي في تفسيره . وعن جابر أخرجه أبو يعلى .

شاهداً، أى حاضراً مقبلاً غير مسافر في الشهر، فليصم فيه ولا يفطر. والشهر: منصوب على الظرف وكذلك الهاء في (فليصمه) ولا يكون مفعولاً به كقولك: شهدت الجمعة، لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر ﴿يريد الله﴾ أن ييسر عليكم ولا يعسر، وقد نفى عنكم الحرج في الدين، وأمركم بالخفيفية السمحة التي لا إصر فيها، وجملة ذلك ما رخص لكم فيه من إباحة الفطر في السفر والمرض. ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر، حتى زعم أن من صام منهما فعليه الإعادة. وقرئ: اليسر، والعسر - بضمين. الفعل المعلن محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره <sup>(١)</sup> ﴿ولتكموا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر، فقوله (لتكموا) علة الأمر بمراعاة العدة (ولتكبروا) علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر (ولعلكم تشكرون) علة الترخيص والتيسير، وهذا نوع من ألف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبينه إلا التقاب المحدث من علماء البيان. وإنما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمناً معنى الحمد، كأنه قيل: ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم. ومعنى (ولعلكم تشكرون) وإرادة أن تشكروا. وقرئ (ولتكموا) بالتشديد. فإن قلت: هل يصح أن يكون (ولتكموا) معطوفاً على علة مقدرة، كأنه قيل لتعملوا ما تعملون، ولتكموا العدة. أو على اليسر، كأنه قيل: يريد الله بكم اليسر، ويريد بكم لتكموا، كقوله: (يريدون ليطفؤا)؟ قلت: لا يبعد ذلك والأول أوجه. فإن قلت: ما المراد بالتكبير؟ قلت: تعظيم الله والثناء عليه. وقيل: هو تكبير يوم الفطر. وقيل: هو التكبير عند الإهلال <sup>(٢)</sup>.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

وَأَلِمْؤُمْنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

﴿فإنني قريب﴾ تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأل به بحال من قرب مكانه، فإذا دعى أسرع تلبية، ونحوه (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقوله عليه الصلاة والسلام: «هو بينكم وبين أعناق رواحلكم» <sup>(٣)</sup>، وروى أن أعرابياً قال لرسول الله

(١) قال محمود رحمه الله: «الفعل المعلن محذوف تقديره شرع ذلك... الخ». قال أحد رحمه الله: «واقبه الخاص به في صناعة البديع: رد أعجاز الكلام إلى حدوده». و«أحسن أحسن الزعمى في التفتيح عنه فهو منظوم في سلك حسنة».

(٢) قوله «عند الإهلال» أي الإحرام بالنسك. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة. فلما قلنا أشرقت على المدينة، فكبر الناس، ورفعوا أصواتهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن ربكم ليس بأصم ولا غائب، هو بينكم وبين رموس رواحلكم، ورواه الترمذي».

صلى الله عليه وسلم : أقرب ربنا فتناديه ، أم بعيد فتناديه <sup>(١)</sup> ؟ فنزلت . ( فليستجيبوا لي ) إذا دعوتهم للإيمان والطاعة ، كما أنى أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم . وقرئ يرسدون ويرسدون ، بفتح الشين وكسرها .

أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ آزَفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ  
لَهُنَّ عِلْمٌ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَنْكُمْ  
فَالآنَ بَشِّرُوهُمْ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ  
لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصَّيَامَ إِلَى  
اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا  
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب <sup>(٢)</sup> والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد ، فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة ، ثم إن عمر رضى الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة ، فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله ، إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسى هذه الخاطئة وأخبره بما فعل ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما كنت جديرا بذلك يا عمر . <sup>(٣)</sup> فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء ، فنزلت . وقرئ : أحل لكم ليلة الصيام الرفث ، أى أحل الله . وقرأ عبد الله :

(١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم والدارقطني في المؤلف من رواية الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده « أن أعرابيا - فذكره - وزاد » بعد قوله « فتناديه » « فسكت عنه »  
(٢) قال محمود رحمه الله : « كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل . . . الخ » قال أحمد رحمه الله : ويشهد لصحة هذا الجواب أنه لما استقرت الإباحة فيه قال ( فالآن بشاروهن ) فكفى عنه الكناية المألوفة في الكتاب العزيز . وبشكل بقوله ( فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ) فإن هذه العبارة استعملت ولم ينقل في الحج ما نقل في الصوم من سبب نزول الآية وهو موافقة المكروه . ويمكن أن يجاب عنه لما وقع في آية الحج منهيًا عنه أريد للشعبة عندهم كيلا يقموا فيه ، فعبر عنه بما يجنبه لكون ذلك منفراً لهم عن التورط .

(٣) رواه الطبري من طريق عطية عن ابن عباس في قوله تعالى ( أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ) الآية ، قال : كان الناس أول ما أسلبوا إذا صاموا يطعمون من الطعام فيما بين المساء والعتمة . فإذا صلا النعمة حرم عليهم الطعام حتى يسوا من الليلة القابلة وإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينما هو نائم إذ سوت له نفسه فأتى أهله فذكره . ليس فيه « فقام رجال فاعترفوا » وروى الطبري من طريق السدي قال « كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقع على جارية له في ناس من المسلمين لم يملكوا أنفسهم فأتى النبي صلى الله عليه وسلم » .

الرفث ، وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه ، كلفظ النيك ، وقد أرفث الرجل . وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه أنشد وهو محرم :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَيْسَا      إِنَّ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَذْرُكَ لَيْسَا <sup>(١)</sup>

ف قيل له : أرفثت ؟ فقال : إنما الرفث ما كان عند النساء . <sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى : فلا رفث ولا فسوق ، فكنى به عن الجماع ، لأنه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك . فإن قلت : لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله : ( وقد أفضى بعضهم إلى بعض ) ، ( فلما تغشاها ) ، ( باشروهن ) ، ( أو لامستم النساء ) ، ( دخلتم بهن ) ، ( فأتوا حرثكم ) ، ( من قبل أن تمسوهن ) ، ( فما استمتعتم به منهن ) ، ( ولا تقر بهن ) ؟ قلت : استهجانا لما وجد منهم قبل الإباحة ، كما سماه اختيانا لأنفسهم . فإن قلت : لم عدى الرفث يالى ؟ قلت : لتضمنينه معنى الإفشاء . لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه ، شبه باللباس المشتمل عليه . قال الجعدى :

إِذَا مَا الصَّبِيعُ كَتَى عِظْفَهَا      تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسَا <sup>(٣)</sup>

فإن قلت : ما موقع قوله ( هن لباس لكم ) ؟ قلت : هو استئناف كاليان لسبب الإحلال ، وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنباهن ، فلذلك رخص لكم فى مباشرتهن ( تختانون أنفسكم ) تظلمونها وتقصونها حظها من الخير . والاختيان من الخيانة ، كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة ( فتأب عليكم ) حين تبتم مما ارتكبتم من المحذور ( واثبتوا ما كتب الله لكم ) واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت فى اللوح من الولد بالمباشرة ، أى لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لا ابتغاء ما وضع الله له للتكاثر من التناسل .

(١) أنشده ابن عباس فى الحج ، فقال له أبو المالبية : أترثت وأنت محرم ؟ فقال إنما الرفث ما كان عند النساء . وقال بعضهم : قال حصين بن قيس : أخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحمدو ويقول : وهن . . . البيت . فقلت له : أترثت وأنت محرم ؟ فقال : إنما الرفث ما قيل عند النساء . وهن ، أى النوق « يمشين بنا » أى معنا . والهميس : نوع من السير لا صوت له ، نصب يمشين . وإن تصدق الطير ، أى التى تفاءلنا بها حيث طارت جهة الدين ، وشبه الطير بمخبر على طريق المكينة والصدق تخييل . وروى : إن يصدق الظن ، والفعل بعده جواب الشرط ولفظ « النيك » هو الحقيقة فى إدخال الذكر فى الفرج ، وما عداه - كالوطء والجماع والملامسة - مجاز فى الأصل أو كناية ، ولذلك قبح النطق بها دون غيرها . وليس : اسم امرأة ، ولعل ابن عباس ضربه مثلا للظفر بما كان يقصده (٢) أخرجه الحاكم فى المستدرک من طريق زياد بن الحسين عن أبي العالية « أترثت وأنت محرم ؟ فقال : إنما الرفث ما روجع به النساء » وأخرجه ابن أبى شيبه والطبرى من هذا الوجه . والهميس : يفتح الماء وآخره مهملة : طرب من السير ، لا يسمع له وقع . ذكره ثابت المرسطى .

(٣) للنايفة الجعدى . و « ما » زائدة . والصبيح : المضاجع . والعطف - بالكسر - : الجانب . تثنت : بالتث فى مطلوبه من التمتع فكانت مشتملة عليه كاللباس ، فهو تشبيه بليغ . ويروى : ثنى جيدها ، أى عنقها

وقيل : هو نهى عن العزل لأنه في الحرائر . وقيل : وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وحله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم . وعن قتادة : وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر . وقرأ ابن عباس ( واتبعوا ) وقرأ الأعمش ( وأتوا ) وقيل معناه : واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب إن أصبتموها وقتموها ، وهو قريب من بدع التفاسير ( الخيط الأبيض ) هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود . و ( الخيط الأسود ) ما يمتد معه من غيش الليل ، شها بخيطين أبيض وأسود . قال أبو داود (١) :

قَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنَا سَدَقَةٌ وَلَاحَ مِنَ الصُّبْحِ خَيْطٌ أَنَارَا (٢)

وقوله ( من الفجر ) بيان للخيط الأبيض ، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود . لأن بيان أحدهما بيان للثاني . ويجوز أن تكون « من » للتبعيض : لأنه بعض الفجر وأوله . فإن قلت : أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه ؟ قلت : قوله ( من الفجر ) أخرجه من باب الاستعارة ، كما أن قولك : رأيت أسداً مجاز . فإذا زدت « من فلان » رجع تشبيهاً . فإن قلت : فلم زيد ( من الفجر ) حتى كان تشبيهاً ؟ وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة ؟ قلت : لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام ، ولو لم يذكر ( من الفجر ) لم يعلم أن الخيطين مستعاران ، فزيد ( من الفجر ) فكان تشبيهاً بليغاً وخرج من أن يكون استعارة . فإن قلت : فكيف التبس على عدى بن حاتم مع هذا البيان حتى قال : عمدت إلى عقالين أبيض وأسود (٣) فجعلتهما تحت وسادتي فكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما فلا يتبين لي الأبيض من الأسود ، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فضحك وقال : وإن كان وسادك لعريضا ، وروى : « إنك لعريض القفا » (٤) إنما ذاك يياض النهار وسواد الليل ؟ قلت : غفل عن البيان ، ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه ، لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته . وأنشدتني بعض البدويات لبدوى :

(١) قوله « قال أبو داود » لعله : دؤاد . (ع)

(٢) لابي داود . وأضاء ، وأنار ، يجئان لازمان كما هنا ومتعديين . والسدقة يياض الفجر يشوبه قليل ظلام . وفي لغة نجد : الظلة . وأسدف المارة القناع : أرسلته . وأسدف الليل : أظلم . وعند غيرهم هي الاضاءة والصبح . وأسدف الصبح . أضاء . وأسدف الباب فتحه . وشبه يياض بعض الصبح بالخيط في امتداده . ويجوز أن « من » يائية ، وجملة أنار صفة خيط ، وجواب الشرط فيما بعده .

(٣) متفق عليه من حديث الشعبي عن عدى بن حاتم .

(٤) هذه الرواية في البخارى أيضا من طريق الشعبي عن عدى بن حاتم أيضا



عَرِيضُ الْفَقَا مِيزَانُهُ فِي شِمَالِهِ قَدْ أَنْحَصَ مِنْ حَسْبِ الْقَرَارِيطِ شَارِبُهُ<sup>(١)</sup>  
 فإن قلت : فما تقول فيما روى عن سهل بن سعد الساعدي<sup>(٢)</sup> : أنها نزلت ولم ينزل (من الفجر)  
 فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الحيط الأبيض والحيط الأسود ، فلا  
 يزال يأكل ويشرب حتى يتبيناه ، فنزل بعد ذلك (من الفجر) فعلوا أنه إنما يعني بذلك  
 الليل والنهار ؟ وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث ، حيث لا يفهم منه المراد ، إذ ليس  
 باستعارة لفقد الدلالة ، ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر ، فلا يفهم منه إذن إلا الحقيقة وهي غير  
 مرادة ؟ قلت : أما من لم يجوز تأخير البيان - وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين ، وهو مذهب أبي  
 علي وأبي هاشم - فلم يصح عندهم هذا الحديث . وأما من يجوز فيقول : ليس بعبث . لأن  
 المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله إذا استوضح المراد منه ﴿ ثم أتموا  
 الصيام إلى الليل ﴾ قالوا : فيه دليل على جواز النية بالنهار<sup>(٣)</sup> في صوم رمضان ، وعلى جواز  
 تأخير الغسل إلى الفجر ، وعلى نفي صوم الوصال ﴿ عاكفون في المساجد ﴾ معتكفون فيها .  
 والاعتكاف أن يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه . والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله  
 (أحل لكم ليلة السيام الرفث إلى نسائكم) ، (فالآن باشروهن) وقيل معناه : ولا تلامسوهن  
 بشهوة ، والجماع يفسد الاعتكاف ، وكذلك إذا لمس أو قبل فأنزل . وعن قتادة كان الرجل  
 إذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع إلى المسجد ، فنهاهم الله عن ذلك . وقالوا : فيه  
 دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد ، وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد . وقيل :  
 لا يجوز إلا في مسجد نبي وهو أحد المساجد الثلاثة . وقيل : في مسجد جامع . والعامّة على

(١) يعرف رجلاً بالغباوة على طريق الكناية . فعرض الفقهاء كناية عن الحق . وكون ميزانه في شماله : كناية  
 عن البله . وانحص : أي انحصر شاربه ، لكثرة ما يعرض على شفته عند الحسب ، كناية عن البلادة .

(٢) متفق عليه من رواية أبي حازم عنه .

(٣) قال محمود رحمه الله : « قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار . . . الخ » . قال أحمد : وجه : استدلالهم من  
 الآية على الحكم الأول متعذر ، لأن إقران النية بأول الصوم وجوداً غير معتبر باتفاق ، وتقديرها من الليل وتستحب  
 معتبر باتفاق ، فإذا لا تنافي بين الأكل والشرب إلى الفجر وبين نية الصوم المستقبل من الليل . ووجودها من الليل متقدمة  
 على الصوم مستفاد من دليل دل عليه ، وإنما لم يتم لهم الاستدلال بالآية على اعتبار النية في النهار - لو كان الأكل والشرب  
 ليلاً إلى الفجر - بنافي صحة استحباب النية ، وكان اقتضاء الآية لجواز الأكل والشرب إلى الفجر يمنع من اعتبار النية من  
 الليل إلى الفجر لوجود المنافي لها ولا بد منها ، فيتمين أن يقع بعد الفجر على هذا التقدير . وذلك التقدير كما علمت متفق  
 على بطلانه . وأما الاستدلال بها على الحكمين الآخرين فصحيح مستند والله أعلم . ولتفطن الزحشري لبطلان  
 الاستدلال بالآية على الحكم المذكور - لك سبيل النقل عنهم فقال : قالوا ، لا يقولوا إلا في مثل هذا المعنى ، ولم يعمه  
 التنبيه على بطلان الاستدلال لأنه على وفق مذهبه .

أنه في مسجد جماعة . وقرأ مجاهد : في المسجد ﴿تلك﴾ الأحكام التي ذكرت ﴿حدود الله فلا تقربوها﴾ فلا تغشوها فإن قلت : كيف قيل <sup>(١)</sup> ﴿فلا تقربوها﴾ مع قوله ( فلا تغشوها ومن يتعد حدود الله ) ؟ قلت : من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهى أن يتعداه لأن من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهى أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لتلايداني الباطل ، وأن يكون في الواسطة متباعداً عن الطرف فضلاً عن أن يتخطاه ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل ملك حمى ، وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه » <sup>(٢)</sup> ، فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد . ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصاً ، لقوله ( ولا تباشروهن ) وهي حدود لا تقرب .

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا

فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

ولا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بالباطل﴾ بالوجه الذي لم يبيحه الله ولم يشرعه . ولا ﴿تدلو﴾ بها ﴿ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام﴾ ﴿لتأكلوا﴾ بالتحاكم ﴿فريقاً﴾ طائفة (من أموال الناس بالإثم) بشهادة الزور ، أو باليمين الكاذبة ، أو بالصلح ، مع العلم بأن المقضى له ظالم . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للخصمين . « إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً ، فإن ما أفضى <sup>(٣)</sup> له قطعة من نار ، فبكيا وقال كل واحد منهما : حق لصاحبي . فقال « اذهبا فتوخيا ، ثم استهما ، ثم ليحل كل واحد منكما صاحبه » <sup>(٤)</sup> وقيل ( وتدلوا بها ) وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة . وتدلوا : يجزوم داخل في حكم النهي ، أو منصوب بإضمار أن ، كقوله ( وتكتموا الحق ) . ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنكم على الباطل ، وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح ، وصاحبه أحق بالتوبيخ .

(١) قال محمود رحمه الله تعالى : « إن قلت كيف قال فلا تقربوها . . . الخ . قال أحمد رحمه الله تعالى : وفي هذه الآية دليل بين للذهب مالك رضي الله تعالى عنه في سد الذرائع والاحتياط للحرمات لا يدافع عنه .

(٢) متفق عليه . وله ألفاظ .

(٣) قوله « فان ما أفضى » لعله : فانما . (ع)

(٤) أخرجه أبو داود ، والدارقطني ، والحاكم ، وأحمد ، وإسحاق ، وابن أبي شيبة ، وأبو يعلى ، كلهم من رواية أبيه بن زيد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أم سلمة . وأصله في الصحيحين بدون الإضافة .

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآهِلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا  
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ  
كَلِمَةً كُفِّلَتْ لَكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

وروى أن معاذ بن جبل وثلعة بن غنم الأنصاري قالا : يا رسول الله ، ما بال الهلال يبدو  
دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على  
حالة واحدة ؟ فنزلت <sup>(١)</sup> ﴿مواقيت﴾ معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم  
وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ، ومعلم للحج يعرف بها  
وقته . كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا داراً ولا فسطاطاً من  
باب ، فإذا كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته منه يدخل ويخرج ، أو يتخذ سلماً يصعد فيه ؛  
وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الحباء فقبل لهم : ﴿ليس البر﴾ بتحرّجكم من دخول الباب  
﴿ولكن البر﴾ برّ ﴿من اتقى﴾ ما حرّم الله . فإن قلت : ما وجه اتصالهما بقوله <sup>(٢)</sup> ؟ قلت : كأنه  
قيل لهم عند سؤالهم عن الآهله وعن الحكمة في نقصانها - وتماها معلوم - : أن كل ما يفعله الله  
عز وجل لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده ، فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة  
تفعلونها أتم مما ليس من البر في شيء وأتم تحسبونها برّاً . ويجوز أن يجري ذلك على طريق  
الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج ، لأنه كان من أفعالهم في الحج . ويحتمل أن يكون هذا  
لتعكيسهم في سؤالهم ، وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره . والمعنى : ليس  
البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم ، ولكن البرّ برّ من اتقى ذلك وتجنّبه

(١) عزاء الواحدى في الأسباب إلى ابن الكلبي مختصراً وذكره الشعبي ، كما ذكره المصنف .

(٢) قال محمود رحمه الله : « فإن قلت ما وجه إصال هذا الكلام ... الخ » قال أحد رحمته الله : ومثل  
هذا من الاستطراد في كتاب الله تعالى قوله : ( وما يستوى البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج  
ومن كل تأكلون لحماً طرياً ... إلى آخر الآية ) فانه تعالى بين عدم الاستواء بينهما إلى قوله ( أجاج ) وبذلك تم  
القص في تمثيل عدم استواء الكافر والمسلم ، ثم قوله ( ومن كل تأكلون ) لا يقرر به عدم الاستواء ، بل المقاد به  
استواؤهما فيما ذكر ، فهو من إجراء الله الكلام بطريق الاستطراد المذكور . وإنما مثل هذا النوع الذي نه عليه  
الوغيثى لأنه مفرد عن الاستطراد الذى يوب عليه أهل صناعة البديع والمطابق لما بوبوا عليه سواء قوله تعالى :  
( لاتولوا قوما غضب الله عليهم قد يذسوا من الآخرة كما يذس الكفار من أصحاب القبور ) . فانه ذم اليهود واستطرد  
بذلك ذم المشركين المنكرين للبعث على نوع من التشبيه لطيف المنزع وفي البديع التثليل بقوله :  
إذا ما اتقى الله التقى وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم

وسأني فيه مزيد تقرير إن شاء الله .

ولم يحسر على مثله . ثم قال ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ أى وباشروا الأمور من وجوها التى يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا . والمراد وجوب توطئ النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب ، من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك فى ذلك حتى لا يسأل عنه ؛ لما فى السؤال من الانهم بمقارفة الشك ( لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ) .

وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُعْتَدِينَ ١٩٠ ﴿ ١٩٠ ﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ  
وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ  
فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ١٩١ ﴿ ١٩١ ﴾ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
رَّحِيمٌ ١٩٢ ﴿ ١٩٢ ﴾ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا

فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ١٩٣ ﴿ ١٩٣ ﴾

المقاتلة فى سبيل الله : هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين ﴿ الذين يقاتلونكم ﴾ الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين . وعلى هذا يكون منسوخا بقوله ( وقاتلوا المشركين كافة ) . وعن الربيع بن أنس رضى الله عنه : هى أول آية نزلت فى القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يقاتل من قاتل ويكف عن كف . أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصب من الشيوخ والصبيان الرهبان والنساء . أو الكفرة كلهم لأنهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم ، فهم فى حكم المقاتلة ، قاتلوا أو لم يقاتلوا . وقيل : لما صد المشركون رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء ، خاف المسلمون أن لا ينى لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم فى الحرم وفى الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزل وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم فى الحرم والشهر الحرام ، ورفع عنهم الجناح فى ذلك ﴿ ولا تعتدوا ﴾ بابتداء القتال أو بقتال من نهيت عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين <sup>(١)</sup> بينكم وبينهم عهد أو بالمثلة أو بالمفاجأة من غير دعوة ﴿ حيث تقتلهم ﴾

(١) قوله « والذين » لعله أو الذين . (ع)

حيث وجدتموهم في حل أو حرم . والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة . ومنه : رجل ثقف ، سريع الاخذ لاقرانه . قال :

فَإِمَّا تَثَقَّفُونِي فَاقْتُلُونِي فَمَنْ أَثَقَّفَ فَلَيْسَ إِلَى خُلُودٍ (١)

(من حيث أخرجوكم) أى من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح (والفتنة أشد من القتل) أى المحنة والبلاء الذى ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل . وقيل لبعض الحكماء : ما أشد من الموت ؟ قال : الذى يتمنى فيه الموت ، جعل الإخراج من الوطن من الفتنة والمحنة التى يتمنى عندها الموت . ومنه قول القائل :

لَقَتَلْتُ بِحَدِّ السَّيْفِ أَهْوَنُ مَوْقِعًا عَلَى النَّفْسِ مِنْ قَتْلِ بِحَدِّ فِرَاقٍ (٢)

وقيل (الفتنة) عذاب الآخرة (ذوقوا فتنتكم) وقيل : الشرك أعظم من القتل في الحرم ، وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيرون به المسلمين ، ف قيل : والشرك الذى هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه . ويجوز أن يراد : وفتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلهم إياهم في الحرم ، أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم . وقرئ : ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم ، فإن قتلوكم : جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم . يقال : قتلنا بنو فلان . وقال : فإن تمتلونا نقتلكم (فإن انتهوا) عن الشرك والقتال ، كقوله (إن يتنوها ينفر لهم ما قد سلف) . (حتى لا تكون فتنة) أى شرك (ويكون الدين لله) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب (فإن انتهوا) عن الشرك (فلا عدوان إلا على الظالمين) فلا تعدوا على المنتهين لأن مقابلة المنتهين عدوان وظلم ، فوضع قوله (إلا على الظالمين) موضع على المنتهين . أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين ، سمى جزاء الظالمين ظلما للبشاكلة ، كقوله تعالى (فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) أو أريد أنكم إن تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم .

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا

عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)

(١) « إما » هى « أن » الشرطية أدغمت نونها فى « ما » الزائدة للتخصيص على إلتعميم . والثقف : القبض والضغط . ومنه « الثفاف » وهو الآلة التى تعض الرماح وتقبضها لتقويمها . يقول : إن تدركونى فى أى وقت وتبلغونى فاقتلونى ، فإن من أدركنى منكم ليس مجابا أو منتها إلى خلود ، بل لابد من قتله . وهذا من الاشاحة والجد فى القتال ، وقطع أطاع الصالح من البال .

(٢) يقول : تاله إن القتل بالسيف أهون على النفس وقوعا من القتل بالفراق . وشبهه بالسيف على طريق الممكنية ، وإضافة الحد إليه تخيل ، وحسن الاستعارة مشاكلته لما قبله .

قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة ، فقل لهم عند خروجهم لعمره القضاء وكرهتهم القتال وذلك في ذى القعدة : ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ أى هذا الشهر بذلك الشهر وهتك بهتكم ، يعنى تهتكون حرمة عليهم كما هتكوا حرمة عليكم ﴿والحرما ت قصاص﴾ أى وكل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة أى حرمة كانت ، اقتص منه بأن تهتك له حرمة ، فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا ، وأكد ذلك بقوله ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله﴾ في حال كونكم منتصرين من اعتدى عليكم ، فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم .

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ

### مُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٩٥

الباء في ﴿بأيديكم﴾ مزيدة مثلها في أعطى بيده للبتقاد . والمعنى : ولا تقبضوا التهلكة أيديكم ، أى لا تجعلوها آخذة بأيديكم ماله لكم . وقيل (بأيديكم) بأنفسكم : وقيل تقديره : ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم ، كما يقال : أهلك فلان نفسه بيده ، إذا تسبب لهلاكها . والمعنى : النهى عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك ، أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله . أو عن الاستقتال والإخطار بالنفس ، أو عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو . وروى أن رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس : ألقى بيده إلى التهلكة . فقال أبو أيوب الأنصارى : نحن أعلم بهذه الآية ، وإنما أنزلت فينا ، صخبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه . وشهدنا معه المشاهد ، وآثرناه على أهاليها وأموالنا وأولادنا ، فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها ، رجعنا إلى أهاليها وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها ، فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد <sup>(١)</sup> . وحكى أبو على في الحلييات عن أبي عبيدة ، التهلكة والهلاك والهلك واحد . قال : فدل هذا من قول أبي عبيدة على أن

(١) أخرجه الثعلبى من طريق عثمان الدارمى أخبرنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم بن عمران - فذكره سواء - وأصله عند أبي داود والنسائى والترمذى من رواية أسلم المذكور . قال « خرجنا من المدينة نريد القسطنطينية . وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فخرج من المدينة صف عظيم من الروم وصفقتنا لهم صفاً عظيماً من المسلمين لحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم . فصاح الناس : ألقى بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب : يا أيها الناس ، الحديث - وفي رواية الترمذى « وعلى الناس فضالة بن عبيد » وفي رواية النسائى « وعلى أهل مصر عقبة بن خالد » « وعلى أهل الشام فضالة » وكذا أخرجه أحمد وإسحاق ، وأبو يعلى ، والطبرى ، وعبد بن حيد ، وابن أبي حاتم ، وغيرهم .

التهلكة مصدر. ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الأعيان : التضبة والتنفلة. ويجوز أن يقال : أصلها التهلكة كال تجربه والتبصرة ونحوهما ، على أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة ، كما جاء الجوار في الجوار .

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا  
رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ  
فَنِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ  
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ  
تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

وَأَتُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)

﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ اتسوا بهما تأمين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا تقصص يقع منكم فيهما . قال :

تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءَ وَاضِعَةَ الثَّامِ (١)

جعل الوقوف عليها كـ بعض مناسك الحج الذي لا يتم إلا به . وقيل : إتمامها أن تحرّم بهما من  
دويرة أهك ، روى ذلك عن عليّ وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم . وقيل : أن تفرد  
لكل واحد منها سفراً كما قال محمد : حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل . وقيل : أن تكون النفقة  
حلالاً . وقيل : أن تخلصوها للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والأغراض الدنيوية .  
فإن قلت : هل فيه دليل على وجوب العمرة ؟ قلت : ما هو إلا أمر بإتمامها ، ولا دليل في  
ذلك على كونها واجبة أو تطوعية : فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعاً ، إلا أن تقول :  
الأمر بإتمامها أمر بأدائها ، بدليل قراءة من قرأ : وأقيموا الحج والعمرة . والأمر للوجوب  
في أصله ، إلا أن يدل دليل على خلاف الوجوب ، كما دلّ في قوله ( فاصطادوا ) ، ( فانتشروا )

(١) لدى الرمة . وخرقاء : اسم محبوبة له من بنى عامر ، لأنه لما شغف بها خرق أدواته وقال : إن تمام  
حجنا أن نزرع خرقاء فتقف مطايا رجل مسافر ، فأصلح لي أدواتي . فقالت : والله لا أحسن العمل وإنّي لخرقاء  
أى حمقاء ، حولها حال كونها واضعة الثام عن وجهها حتى أراد . وإضافة الوصف إلى مفعوله لفظية لا تنفيذ  
للتعريف فصحح حالا . وحكى أن بعض السلف الصالح قال لصاحبه : هل تتم حجنا كما قال ذو الرمة ، وأنشد البيت .  
قيل وحقيقة مراده أنه ينبغي كما قطعنا البراري ووصلنا إلى حرمة ، أن نقطع أهواء النفس حتى نشاهد آثار كرمه ،  
فيكون استعماله البيت من باب التثليل .

ونحو ذلك ، فيقال لك : فقد دلّ الدليل على نفي الوجوب ، وهو ما روى أنه قيل : يا رسول الله : العمرة واجبة مثل الحج ؟ قال : لا ، ولكن أن تعتمر خير لك <sup>(١)</sup> ، وعنه : الحج جهاد والعمرة تطوع <sup>(٢)</sup> . فإن قلت : فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : إن العمرة لقربة الحج <sup>(٣)</sup> . وعن عمر رضي الله عنه أن رجلا قال له : إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين عليّ ، أهلكتهما جميعاً فقال : هديت لسنة نبيك <sup>(٤)</sup> . وقد نظمت مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج ؟ قلت : كونها قربة للحج أن القارن يقرن بينهما ، وأنهما يقرنان في الذكر فيقال : حجّ فلان واعتمر والحجاج والعمار ، ولأنها الحج الأصغر ، ولا دليل في ذلك على كونها قربة له في الوجوب . وأما حديث عمر رضي الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله : أهلكتهما ، وإذا أهلك بالعمرة وجبت عليه كما إذا كبر بالتطوع من الصلاة . والدليل الذي ذكرناه أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقى الحج وحده فيها ، فَمَا يَنْزِلُ قَوْلُكَ : صَمَّ شَهْرَ رَمَضَانَ وَسِتَّةَ مِنْ شَوَّالٍ ، فِي أَنَّكَ تَأْمُرُهُ بِفَرْضٍ وَتَطَوُّعٍ . وقرأ عليّ وابن مسعود والشعبي رضي الله عنهم (والعمرة لله) بالرفع ، كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب ﴿ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ ﴾ يقال : أحصر فلان ، إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز . قال الله تعالى (الذين أحصروا في سبيل الله) . وقال ابن ميادة :

وَمَا هَجْرٌ لَيْمَلِي أَنْ تَكُونَ تَبَاعَدَتْ عَلَيْكَ وَلَا أَنْ أَحْصَرْتَكَ شَغُولٌ <sup>(٥)</sup>

(١) أخرجه الترمذي من رواية حجاج بن أرطاة عن ابن المنكدر « أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة : أواجبة هي ؟ قال : لا . وأن تعتمر هو أفضل » ورواه الطبراني من رواية عبيد الله بن المغيرة عن أبي الزبير عن جابر ، بلفظ « وأن تعتمر خير لك » ورواه الدارقطني من الوجهين . وضعفه .

(٢) أخرجه ابن ماجه من رواية إسحاق بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه بهذا . ورواه الطبراني من حديث ابن عباس بنحوه وفيه محمد بن الفضل بن عطية . وهو ضعيف . ورواه ابن أبي داود في المصاحف من رواية عمر بن قيس عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عمه عن مسعود . قال الدارقطني في العلل : هذا خطأ . ولعله أراد إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عمه عيسى بن طلحة . وإنما يعرف هذا الحديث من رواية معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة . ورواه الحفاظ من أصحاب شعبة عن معاوية بن إسحاق عن أبي صالح عن ماهان مرسل . وكذلك رواه ابن أبي شيبة عن جرير عن معاوية بن إسحاق . وقال البيهقي : روى عن شعبة هذا الاسناد موصولا . لكن الطريق فيه إلى شعبة ضعيف .

(٣) أخرجه البخاري تعليقا . والشافعي موصولا . من رواية عمرو بن دينار عن طاوس عنه .

(٤) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان ، من رواية أبي وائل عن الضبي بن مغبله .

(٥) لتوبة بن حمير ، يقول لنفسه : ليس هجر ليلى الأختيلة محبوبتك لتباعدا عنك ولا لأشغال منعك عنها . بل الخوف الرقاء والوشاة هجرتها . ويجوز أن المعنى : ليس هجرها لك بسبب ، وإنما هو لا يذالك واحترق قلبك .



وُحْصِرَ : إذا حبسه عدو عن المضى ، أو سجن . ومنه قيل للحبس : الحصر . وللبلك ، الحصر ، لأنه محجوب . هذا هو إلا كثر في كلامهم ، وهما بمعنى المنع في كل شيء ، مثل صدّه وأصدّه . وكذلك قال الفراء وأبو عمرو الشيباني ، وعليه قول أبي حنيفة رحمهم الله تعالى ، كل منع عنده من عدو كان أو مرض أو غيرهما معتبر في إثبات حكم الإحصار . وعند مالك والشافعي منع العدو وحده . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : من كسر أو عرج فقد حلّ وعليه الحج من قابل ، <sup>(١)</sup> ﴿ فما استيسر من الهدى ﴾ فما تيسر منه . يقال : يسر الأمر واستيسر ، كما يقال : صعب واستصعب . والهدى جمع هدية ، كما يقال في جدية السرج <sup>(٢)</sup> جدى . وقرئ (من الهدى) بالتشديد جمع هدية كطية ومطى . يعنى فإن منعتهم من المضى إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة ، فبليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير أو بقرة أو شاة ، فإن قلت : أين ومتى ينحر هدى المحصر ؟ قلت : إن كان حاجا فبالحرم متى شاء عند أبي حنيفة يبعث به ، ويجعل للبعوث على يده يوم أمار <sup>(٣)</sup> وعندهما في أيام النحر وإن كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعاً . و « ما استيسر » رفع بالابتداء ، أى فعليه ما استيسر . أو نصب على : فاهدوا ما استيسر ﴿ ولا تحلقوا رؤسكم ﴾ الخطاب للمحصرين : أى لا تحلقوا حتى تعلموا أن الهدى الذى بعثتموه إلى الحرم بلغ ﴿ محله ﴾ أى مكانه الذى يجب نحره فيه . ومحل الدين وقت وجوب قضائه ، وهو ظاهر على مذهب أبي حنيفة رحمه الله . فإن قلت : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحر هديه حيث أحصر <sup>(٤)</sup> ؟ قلت : كان محصره طرف الحديدية الذى إلى أسفل مكة وهو من الحرم ، وعن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم . وقال الواقدي : الحديدية هي طرف الحرم على تسعة أميال

(١) أخرجه أصحاب السنن وأحمد ، وإسحاق ، وابن أبي شيبة ، والطبراني من حديث عكرمة عن ابن عمرو ابن غزية الأنصارى .

(٢) قوله « في جدية السرج » في الصحاح « الجدية » بتسكين الدال : نية . عشر يجعل تحت دفتى السرج والرحل . ثم قال : وكذلك الجدية على فعيلة . (ع)

(٣) قوله « على يده يوم أمار » عبارة البيضاوى : يوم أماره ، فإذا جاء اليوم وظن أنه ذبح تحلل . وفي الصحاح : قال الأصمعي : الأمار ولأماره . الوقت والعلامة . (ع)

(٤) أما نحر الهدى حين حصر ففي البخارى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما « أنه صلى الله عليه وسلم خرج معتمراً . لحال كمار قریش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديدية » وأما كونه أسفل مكة فرواه (٥) وأما حديث الزهري فلم أجده لكن روى الطبري من حديث ناجية بن جندب الأسلمي ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم حين صد عن البيت . فقلت : يا رسول الله ابعث من الهدى فينحر بالحرم . قال : كيف تصنع به ؟ قال : أنحدره في أودية فلا يقدر على . فأنطلقت به حتى نحرته في الحرم .

من مكة ﴿فمن كان منكم مريضاً﴾ فمن كان به مرض يحوجه إلى الحلق ﴿أو به أذى من رأسه﴾ وهو القمل أو الجراحة ، فعليه إذا احتلق فدية ﴿من صيام﴾ ثلاثة أيام ﴿أو صدقة﴾ على ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع من بز ﴿أو نسل﴾ وهو شاة . وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ، لعلك أذاك هو أمك ؟ قال : نعم يا رسول الله . قال : « احلق رأسك وصم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين ، أو أنسل شاة <sup>(١)</sup> » ، وكان كعب يقول : في نزلت هذه الآية ، وروى أنه مر به وقد قرح رأسه <sup>(٢)</sup> فقال : « كفى بهذا أذى » <sup>(٣)</sup> وأمره أن يحلق ويطعم ، أو يصوم . والنسل مصدر ، وقيل جمع نسيكة . وقرأ الحسن : أو نسل ، بالتخفيف ﴿ فإذا أنتم ﴾ الإحصار ، يعني فإذا لم تحضروا وكنتم في أمن وسعة ﴿ فمن تمتع ﴾ أى استمتع ﴿ بالعمرة إلى الحج ﴾ واستمتع بالعمرة إلى وقت الحج : انتفاعه بالتقرب بها إلى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج . وقيل : إذا حلّ من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرماً عليه إلى أن يحرم من الحج ﴿ فما استيسر من الهدى ﴾ هو ، هدى المتعة ، وهو نسل عند أبي حنيفة ويأكل منه . وعند الشافعى يجرى بجرى الجنائيات ولا يأكل منه . ويذبحه يوم النحر عندنا . وعنده يجوز ذبحه إذا أحرم بحجته ﴿ فمن لم يجد ﴾ الهدى ﴿ فد ﴾ عليه ﴿ صيام ثلاثة أيام في الحج ﴾ أى في وقته وهو أشهره ما بين الإحرامين لإحرام العمرة وإحرام الحج ، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله . والافضل أن يصوم يوم التروية وعرفة ويوماً قبلهما ، وإن مضى هذا الوقت لم يجزه إلا الدم . وعند الشافعى : لا تصام إلا بعد الإحرام بالحج تمسكاً بظاهر قوله : ﴿ في الحج ﴾ (وسبعة إذا رجعتن) بمعنى إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج عند أبي حنيفة ، وعند الشافعى : هو الرجوع إلى أهاليهم . وقرأ ابن أبي عتبة (وسبعة) بالنصب عطفاً على محل ثلاثة أيام ، وكأنه قيل : فصيام ثلاثة أيام ، كقوله (أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً) فإن قلت فما فائدة الفذلة ؟ قلت : الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك : جالس الحسن وابن سيرين . ألا ترى أنه لو جالسهما جميعاً أو واحداً منهما كان ممثلاً ففذلكت نفياً لتوهم الإباحة . وأيضاً ففائدة الفذلة في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً ليحاط به ، ومن جهتين ، فيتأكد العلم . وفي أمثال العرب : علما ن خير من علم ، وكذلك ﴿ كاملة ﴾ تأكيد آخر . وفيه

(١) متفق عليه . وله طريق وألفاظ في الكتب الستة وغيرها . والأقرب للفظ المصنف ما رواه مالك .

(٢) قوله « وقد قرح رأسه » في الصحاح : قرح جلده - بالكسر - خرجت به القروح . (ع)

(٣) أخرجه إمام في مسنده والطبراني والدارقطني من رواية الزبير بن عدى عن أبي وائل عن كعب بن عجرة قال « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففسح رأسي فتناثر القمل . فقال : كفى بهذا أذى ، انطلق فاحلق وأصدق على ستة مساكين » وفي رواية إمام ، قال : « إن هذا لأذى » وأمره أن يحلق وأن ينسل أو يصوم أو يطعم »

زيادة توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها ، كما تقول للرجل إذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزل : الله الله لا تقصر . وقيل : كاملة في وقوعها بدلا من الهدى . وفي قراءة أبي : فصيام ثلاثة أيام متتابعات ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى التمتع ، عند أبي حنيفة وأصحابه . لا تمتعة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عندهم ، ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم وهو دم جنابة لا يأكل منه ؛ وأما القارن والمتمتع من أهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه . وعند الشافعى : إشارة إلى الحكم الذى هو وجوب الهدى أو الصيام ولم يوجب عليهم شيئا <sup>(١)</sup> . وحاضرو المسجد الحرام : أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة عند أبي حنيفة . وعند الشافعى : أهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة ﴿ واتقوا الله ﴾ فى المحافظة على حدوده وما أمركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ لمن خالف ليكون عليكم بشدة عقابه لطفاً لكم فى التقوى .

الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ

يَأُولَى الْأَنْبِيَاءِ ١٩٧

أى وقت الحج ﴿ أشهر ﴾ كقولك : البرد شهران . والأشهر المعلومات : شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة <sup>(٢)</sup> عند أبي حنيفة . وعند الشافعى : تسع ذى الحجة وليلة يوم النحر . وعند مالك : ذى الحجة كله . فإن قلت : ما فائدة توقيت الحج بهذه الأشهر ؟ قلت : فائدته أن شيئا من أفعال الحج لا يصح إلا فيها ، والإحرام بالحج لا ينعقد أيضا عند الشافعى فى غيرها . وعند أبي حنيفة ينعقد إلا أنه مكروه . فإن قلت : فكيف كان الشهران وبعض الثالث أشهر ؟ قلت : اسم الجمع

(١) قوله « ولم يوجب عليهم شيئا » أى على حاضرى المسجد الحرام . (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله : « هى شوال وذو القعدة ... الخ » . قال أحد : الذى نقله عن مالك أحد قوليه وليس بانتهور عنه . وأما استدلاله لهذا القول براهية عمر الاعتبار إلى أن يهل الحرم فلا يهض دليلا لمالك ، لأنه يقول : لا تمتعه للعمرة فى أيام منى خاصة لمن حج ، مالم يتم الرمي ويحل بالأفاضة فتنعقد . وجميع السنة ماعدا ما ذكره ميثاق للعمرة ، ولا تظهر فائدة هذا القول عند مالك إلا فى إسقاط الدم عن مؤخر طواف الأفاضة إلى آخر ذى الحجة لا غير ، وهى الفائدة التى نقلها الزخشرى عن عروة ، ولعمري إن هذا القول حسن دليلا ، فلا يحتاج إلى مزيد . ولكن ظاهر الآية ومقتضاها : أن جملة الأشهر هى زمان الحج . ألا ترى أن من قال : وعشر من ذى الحجة يحتاج فى تنزيل الآية على مذهبه إلى تقرير أن بعض الشهر ينزل منزلة جميعه ، ويستشهد على ذلك بقوله : « ثلاثون شهرا فى ثلاثة أحوال » . وإنما أحوجه إلى الاستشهاد ، خروج مقالته عن ظاهر الآية : فالتمسك بها على ظاهرها فى كمال الأشهر الثلاثة واقف مع اقتضاها غير مضطر إلى مزيد عليه .

يشترك فيه ما وراء الواحد . بدليل قوله تعالى ( فقد صغت قلوبكما ) فلا سؤال فيه إذن ، وإنما كان يكون موضعاً للسؤال لوقيل : ثلاثة أشهر معلومات . وقيل : نزل بعض الشهر منزلة كله ، كما يقال : رأيتك سنة كذا ، أو على عهد فلان ، ولعل العهد عشرون سنة أو أكثر ، وإنما رآه في ساعة منها . فإن قلت : ما وجه مذهب مالك وهو مروى عن عروة بن الزبير ؟ قلت : قالوا إن العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر ؛ فكأنها مخصصة للحج لا مجال فيها للعمرة . وعن عمر رضي الله عنه : أنه كان يخفق الناس بالذرة وينهاهم عن الاعتبار فيهن . وعن عمر<sup>(١)</sup> رضي الله عنه قال لرجل : إن أظعتني انتظرت حتى إذا أهلت الحرم<sup>(٢)</sup> خرجت إلى ذات عرق فأهلت منها بعمرة . وقالوا : لعل من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة إلى آخر الشهر ( معلومات ) معروفات عند الناس لا يشككن عليهم . وفيه أن الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه ، وإنما جاء مقزراً له ( فمن فرض فيهن الحج ) فمن ألزمه نفسه بالتلبية أو بتقليد الهدى وسوقه عند أبي حنيفة وعند الشافعي بالنية ( فلا رفث ) فلا جماع ؛ لأنه يفسده . أو فلا فحش من الكلام ( ولا فسوق ) ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل . هو السباب والتنازع بالألقاب ( ولا جدال ) ولا مراة مع الرفقاء والخدم والمكارين<sup>(٣)</sup> . وإنما أمر باجتناب ذلك . وهو واجب الاجتناب في كل حال<sup>(٤)</sup> لأنه مع الحج أسمع كلبس الحرير في الصلاة ؛ والتطريب في قراءة القرآن . والمراد بالنفي وجوب انتفاها ، وأنها حقيقة بأن لا تكون . وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع . وقرأ أبو عمرو وابن كثير الآتين بالرفع ؛ والآخر بالنصب ؛ لأنهما حملا الآتين على معنى النهي ، كأنه قيل : فلا يكونن رفث ولا فسوق ، والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل : ولا شك

(١) قوله « وعن عمر » لعله ابن عمر . (ع)

(٢) قوله « حتى إذا أهلت الحرم » في الصحاح : أهل الهلال واستهل ، على ما لم يسم فاعله . (ع)

(٣) قوله « والمكارين » في الصحاح : الكراء ممدود ، لأنه مصدر كارت . والدليل على ذلك أنك تقول : رجل مكار . ومفاعل : إنما هو من فاعلت اه فالمكارين في عبارة المفسر . جمع للكاري ، على زنة المفاعلين جمعاً للمفاعل . (ع)

(٤) قال محمود رحمه الله : « إنما أمر باجتناب ذلك في الحج واجتنابه واجب ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : وفيه نكتة تتعلق بعلم البيان ، وهي أن تخصيص الحج بالنهي عن الرفث فيه والفسوق والجدال يشعر بأنها في غير الحج وإن كانت منها عنها وقيحة ، إلا أن ذلك القبح الثابت لها في غير الحج كالتجسس بالنسبة إلى وقوعها في الحج فاشتمل هذا التخصيص على هذا النوع من المبالغة البليغة والله أعلم . على أن الرفث إن كان التحدث في أمر الجماع خاصة ، فالنهي عنه خاص بالحج وهو جائز في غيره على الوجه الشرعي . وقد نهى مالك رضي الله عنه على أنه لا بأس للحاج بالسمي في أمور النساء ، إلا أن ذلك قد يقع في الوهم أنه يؤدي إلى ترك المحظور ، وهذا يدل على تشديد مالك في حظر الرفث للحاج وما يتعلق به والله أعلم . وسمعت أئمة أئمة يلهجون بالاعتراض على إسحق في قوله من التنبيه : وتحريم الغيبة على الصائم . فيقولون : وعلى المفطر . فلا فائدة في تخصيص الصائم ، ويدعون ذلك وهما منهوهم يعزول عن هذه الآية وأمثالها ، فقد أوسعت عذراً في عبارته تلك ؛ إذ الكتاب العزيز به تتمتع الفصاحة وحمّة العبارات .

ولا خلاف في الحج وذلك أن قريشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام ، وسائر العرب يقفون بعرفة ؛ وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء ، فزد إلى وقت واحد وردة الوقوف إلى عرفة ، فأخبر الله تعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج . واستدل على أن المنهى عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم : من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيته يوم<sup>(١)</sup> ولدته أمه<sup>(٢)</sup> ، وأنه لم يذكر الجدال ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ حدث على الخير عقيب النهي عن الشر ؛ وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ، ومكان الفسوق البر والتقوى ؛ ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة . أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم مانعها عنه ، وينصره قوله تعالى ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ أى اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح فإن خير الزاد اتقاؤها . وقيل : كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون : نحن متوكلون ، ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كلاً على الناس ، فزلت فيهم . ومعناه : وتزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس<sup>(٣)</sup> والتثقل عليهم ، فإن خير الزاد التقوى ﴿ واتقون ﴾ وخافوا عقابي ﴿ يا أولى الألباب ﴾ يعنى أن قضية اللب تقوى الله ، ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لالب له .

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَقْتُمْ فَإذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ سِكِّكُمْ فَإذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آمَنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ٢٠٠ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آمَنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ٢٠١ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ

### مَبْرِعُ الْحِسَابِ ٢٠٢

(١) قوله « خرج كهيته يوم ، لعله « كهيته » بدون « يوم » . (ع)

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة .

(٣) قوله « وإبرام الناس » في الصحاح : أبرمه ، أى أمه وأضرجه . (ع)

(فضلا من ربكم) عطاء منه وتفضلا، وهو النفع والريح بالتجارة، وكان ناس من العرب يتأمنون أن يتجروا أيام الحج، وإذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق، ويسمون من يخرج بالتجارة الداج<sup>(١)</sup>. ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج. وقيل: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في أيام الموسم. وكانت معاشهم منها، فلما جاء الإسلام تأمنوا، فرفع عنهم الجناح في ذلك وأبيع لهم، وإنما يباح ما لم يشغل عن العبادة، وعن ابن عمر رضي الله عنه: أن رجلا قال له: إنا قوم نكرى في هذا الوجه وإن قومنا يزعمون أن لا حج لنا، فقال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه، حتى نزل (ليس عليكم جناح) فدعا به فقال: أتمم حجاج<sup>(٢)</sup>. وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له: هل كنتم تكرهون التجارة في الحج؟ فقال: وهل كانت معاشنا إلا من التجارة في الحج<sup>(٣)</sup>. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: فضلا من ربكم في مواسم الحج. إن تبتغوا في أن تبتغوا<sup>(٤)</sup> (أفضمتم) دفعتم بكثرة، وهو من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة، وأصله أفضمتم أنفسكم، قرك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا. وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>: صب في دقران، وهو ينخرش<sup>(٦)</sup> بعيره بمحجنه، ويقال: أفاضوا في الحديث وهضبوا فيه<sup>(٧)</sup>. و(عرفات) علم للوقوف سمي بجمع كأذرعات. فإن قلت: هلا منعت الصرف وفيها السييان: التعريف والتأنيث؟<sup>(٨)</sup>

- (١) قوله «الداج، الدجيج: الديب في السير وقالوا: الحاج والداج، فالداج: الأعوان والمكارون كذا في الصحاح. والمكارون: جمع المكاري، كالمغازين جمع المغازي. (ع)  
(٢) أخرجه أبو داود وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم من طريق العلاء بن المسيب: حدثنا أبو أمامة التيمي قال: «كنت أكرى في هذا الوجه وكان قوم يقولون: إنه ليس لك حج، فلقيت ابن عمر، فقال: أأنت بمحرم، ولكن - الحديث»  
(٣) أخرجه الطبري من طريق عبد الرحمن بن مهاجر عن أبي صالح مولى عمر. قال: قلت: يا أمير المؤمنين - فذكره، وفي إسناده مندل بن علي. وهو ضعيف.

- (٤) قوله «أن تبتغوا» كان الأوجه تقديم هذا على تفسير قوله تعالى (فضلا من ربكم). (ع)  
(٥) لم أجده. والذي في الغرائب لأبي عبيد الجرمي. وفي مسند الشافعي وطبقات ابن سعد كلهم من حديث ابن عينة عن ابن المشكور، وعن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن جابر بن الحويرث قال: «رأيت أبا بكر على قزح. وهو ينخرش بعيره بمحجنه»: زاد الجرمي عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن عينة: «كأن أنظر إلى نخذه وقد انكشفت»

- (٦) قوله «دقران» في بعض النسخ: ذفران، بالذال المعجمة والفاء. ولعل الأول بالذال المهملة والفاء، من الذفر بمعنى الثن خاصة. والذفر - بالمعجمة والفاء - محرك - ذكاء الرائحة طيبة أو خبيثة، كما في الصحاح. أما الذفر بالهملة والفاء فيمعنى الشدة والكذب والفحش والقيمة. أفاده الصحاح. وفيه - الخرش مثل الخدش. (ع)  
(٧) قوله «وهضبوا فيه»، في الصحاح: الهضبة المطرة. وهضب القوم في الحديث وهضبوا أى أفاضوا فيه. (ع)  
(٨) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت هلا منعت عرفات الصرف... الخ؟ قال أحمد رحمه الله: يلزمه إذا =

قلت : لا يخلو من التأنيث إما أن يكون بالتاء التي في لفظها ، وإما بتاء مقدرة كما في سعاد ؛ فالتى في لفظها ليست للتأنيث ، وإنما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها ، لأن هذه التاء لا اختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التأنيث في بنت ، لأن التاء التي هي بدل من الواو لا اختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها . وقالوا : سميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام فلما أبصرها عرفها . وقيل إن جبريل حين كان يدور به في المشاعر أراه إياها فقال : قد عرفت . وقيل : التقى فيها آدم وحواء فتعارفا . وقيل : لأن الناس يتعارفون فيها والله أعلم بحقيقة ذلك ، وهى من الاسماء المرتجلة لأن العرفة لا تعرف في أسماء الاجناس إلا أن تكون جمع عارف . وقيل : فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده . وعن النبي صلى الله عليه وسلم والحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج<sup>(١)</sup> ﴿ فاذكروا الله ﴾ بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات . وقيل : بصلاة المغرب والعشاء . و ﴿ المشعر الحرام ﴾ قرح ، وهو الجبل الذى يقف عليه الإمام وعليه الميمنة . وقيل المشعر الحرام : ما بين جبل المزدلفة من مأزى عرفة<sup>(٢)</sup> إلى وادى محسر ، وليس المأزمان ولا وادى محسر من المشعر الحرام . والصحيح أنه الجبل ، لما روى جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعنى بالمزدلفة بغلس ، ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ، ولم يزل واقفا حتى أسفر<sup>(٣)</sup> . وقوله تعالى (عند المشعر الحرام) معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه ، وذلك الفضل ، كالتقرب من جبل الرحمة ، وإلا فالمزدلفة كلها موقف إلا وادى محسر . أو جعلت أعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر . والمشعر : المعلم ، لأنه معلم العبادة . ووصف بالحرم لحرمته . وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال : لقد أدركت الناس هذه الليلة لا يتأمنون . وقيل : سميت المزدلفة وجعا ؛ لأن آدم صلوات الله عليه اجتمع فيها مع حواء وأزدلف إليها ، أى دنا منها . وعن قتادة : لأنه يجمع فيها بين الصلاتين . ويجوز أن يقال : وصفت بفعل أهلها ، لأنهم يزدلفون إلى الله أى يتقربون بالوقوف فيها ﴿ كما هذاكم ﴾

== سمي امرأة بمسلمات أن لا يصرفه فيقول : هذا مسلمات بغير تنوين ، وهو قول ردى . بل الأصح الصحيح في مسلمات إذا سمي به أن يتون . وإنما بنى الزجاج على كلامه هذا على أن تنوين عرفات للتمكين لا المقابلة ، ولذلك أسقط تنوين المقابلة من أنواع التنوين التي عدما في مفصله ، على أنه راجع إلى تنوين التمكن .

(١) رواه أصحاب السنن والحاكم . واللفظ للنسائي . وزاد « قبل أن يطلع الفجر » كظم من حديث عبد الرحمن ابن يعمر الديلي رضى الله عنه

(٢) قوله « من مأزى عرفة » في الصحاح : المأزم المضيق ، وموضع الحرب أيضا . (ع)

(٣) أخرجه مسلم في صفة الحج في الحديث الطويل .

ما مصدرية أو كافة . والمعنى : واذكروه ذكرأ حسناً كما هذا كم هداية حسنة واذكروه كما علمكم كيف تذكروه ، لاتعدلوا عنه ﴿ وإن كنتم من قبله ﴾ من قبل الهدى ﴿ لمن الضالين ﴾ الجاهلين ، لاتعرفون كيف تذكروه وتعبدونه . وإن هي مخفة من الثقلة واللام هي الفارقة ﴿ ثم أفيضوا ﴾ ثم لتكن إفاضتكم ﴿ من حيث أفاض الناس ﴾ ولاتكن من المزدلفة ، وذلك لما كان عليه الحس من الترفع <sup>(١)</sup> على الناس والتعالى عليهم وتعظمهم عن أن يساوهم في الموقف . وقولهم : نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه ، فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ؟ فإن قلت : فكيف موقع ثم ؟ قلت : نحو موقعها في قولك : أحسن إلى الناس ثم لاتحسن إلى غير كريم ، تأتي ثم لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره وبعده ما بينهما ؛ فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات قال : ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين ، وأن إحداهما صواب والثانية خطأ . وقيل : ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحس ، أى من المزدلفة إلى من بعد الإفاضة من عرفات . وقرئ : من حيث أفاض الناس - بكسر السين - أى الناسى وهو آدم ، من قوله ( ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ) يعنى أن الإفاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه ﴿ واستغفروا الله ﴾ من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم ﴿ فإذا قضيتُم مناسككم ﴾ أى فإذا فرغتم من عباداتكم الحسية ونفرتهم ﴿ فاذكروا الله كذكركم آباءكم ﴾ فأكثرُوا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آباءكم ومفاخرهم وأيامهم . وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل . فيعدّدون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم . ﴿ أو أشدّ ذكراً ﴾ في موضع جز عطف على ما أضيف إليه الذكر <sup>(٢)</sup> في قوله ( كذكركم ) كما

(١) قال محمود رحمه الله : « وذلك لما كان عليه الحس من الترفع على الناس . . الخ » . قال أحمد رحمه الله : وقد اشتملت الآية على تكتين :

إحداها : عطف الإفاضتين إحداها على الأخرى ومرجهما واحد وهو الإفاضة المسماة بها ، فربما يتوهم متوهم أنه من باب عطف الشيء على نفسه ، فبإزالة هذا الوم بأن بينهما من التباين ما بين العام والخاص ، والمخبر عنه أولاً الإفاضة من حيث هي غير مقيدة ، والمأمور به ثانياً الإفاضة مخصوصة بمساراة الناس .

والثانية : بعد وضوح استقامة اللطف كونه وقع بحرف المهملة وذلك يستدعى التراخي مضاعفاً إلى التباين ، وليس بين الإضافة المطلقة والمقيدة تراخ . فالجواب على ذلك : أن التراخي كما يكون باعتبار الزمان قد يكون باعتبار علو المرتبة وبعدها في العلو بالنسبة إلى غيرها ، وهو الذى أجاب به بعد مزيد تقييد وإيضاح

(٢) قال محمود رحمه الله : « أشدّ معطوف على ما أضيف إليه الذكر . . الخ » . قال أحمد رحمه الله : فعلى الأول يكون ( أشد ) واقعاً على المذكور المذموم . ومثاله على الأول : أن يضرب اثنان زيداً مثلاً ، فيقول أيهما أشد ضرباً زيد ؟ فيوقعه على الضارب . ومثال الثانى أن يضرب زيد اثنين مثلاً فتقول : أيهما أشد ضرباً ؟ فتوقعه على المضروب . وعلى الوجه الأول يكون التفضيل على الفاعل وهو القياس . وعلى الثانى يكون التفضيل على المفعول وهو خلاف القياس . وقد ذكر العنشى في مقوله أنه شاذ بقولهم : أتصل امرأة التحسين وأنا أسر منك ، هذا في



تقول كذا ذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكراً. أو في موضع نصب عطف على آباءكم ، بمعنى أو أشد ذكراً من آبائكم ، على أن ذكراً من فعل المذكور ( فمن الناس من يقول ) معناه أكثر أو ذكر الله ودعاه . فإن الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أعراض الدنيا ، ومكثر يطلب خير الدارين ، فكونوا من المكثرين ( آتينا في الدنيا ) اجعل إيتاءنا أي إعطاءنا في الدنيا خاصة ( وماله في الآخرة من خلاق ) أي من طلب خلاق وهو النصيب . أو مالهذا الداعي في الآخرة من نصيب ، لأن همه مقصور على الدنيا .

والحسنتان ماهو طلبه الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير ، وطلبتهم في الآخرة من الثواب . وعن علي رضي الله عنه : الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة ، وفي الآخرة الحوراء . وعذاب النار : امرأة السوء : ( أولئك ) الداعون بالحسنتين ( لهم نصيب مما كسبوا ) أي نصيب من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة ، وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة . أو من أجل ما كسبوا ، كقوله : ( بما خطيئاتهم أغرقوا ) . أو لهم نصيب بما دعوا به نعطيهم ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة . وسعى الدعاء كسبا لأنه من الأعمال ، والأعمال موصوفة بالكسب : بما كسبت أيديكم . ويجوز أن يكون ( أولئك ) للفریقین جميعاً ، وأن لكل فريق نصيباً من جنس ما كسبوا ( والله سريع الحساب ) يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد . فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة ، أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلاق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه .

== أمثلة عددها ، فليت شعري كيف حمل الآية عليه وقد وجد غير ذلك سبيلاً ، وفي الوجهين جميعاً يفر من عطف أشد على الذكر الأول ، لتلا يكون واقعاً على الذكر وقد انتصب الذكر تمييزاً عنه ، فيكون الذكر ذاكراً وهو محال ، لكن أبا الفتح صحح هذا الوجه وألحقه باب قولهم : شعر شاعر ، وجن جنونه ، ونحوه بما بالفت العرب فيه حتى جعلت للصفة صفة مثلها تمكيناً لثبوتها . ووضع ذلك أن انتصاب الذكر تمييزاً يوجب أن لا يقع أشد عليه ، ويعين خروجه منه إما بأن يقع على الجملة الذاكرة بتأويل جملة ذاكراً ، على ما صار إليه أبو الفتح أنك لو قلت : زيد أكرم أبا ، لكان زيد من الأبناء . ولو قلت : زيد أكرم أب ، لكان من الآباء . ويحتمل عطفه على الذكر أعنى وجهها آخر سوى ما ذهب إليه أبو الفتح ، وهو أن يكون من باب ما ذكره سيدي به . قال : ويقولون هو أشجع الناس رجلاً ، وهما خير الناس رجلاً ، وهما خير الناس اثنين ، فالجور هنا بمنزلة التثنية ، وانتصب الرجل والاثنين ، كما انتصب الوجه في قولك : هو أحسن منه وجهاً ، ولا يكون إلا نكرة ، كما لا تكون الحال إلا نكرة ، والرجل هو الاسم المبتدأ ؛ فانما أراد بذلك أن هذا ليس بمنابة : هو أشجع الناس غلاماً ، فإن هذا يجوز أن يكون غلاماً هو الاسم المبتدأ كما في المثال الأول ، ويجوز أن يكون غيره : فالآية على هذا الوجه الذي أوصحته منزلة على المثال الأول ، فيكون ذكر المنصوب واقعاً على أشد كما كان الرجل المنصوب واقعاً على أشع ؛ فكأنه قال : أو أشد الأذكار ذكراً ، فهذه وجوه أربعة كلها مطروقة ، إلا هذا الوجه الذي زدته ، فإن خاطري أبو عذرة ( كخشيته الله أو أشد خشيته ) ولم أقف على كلام المفسر فيها بعد .

(ذلك) التولى والإعراض بسبب تسهيلهم<sup>(١)</sup> على أنفسهم أمر العقاب وطعمهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية<sup>(٢)</sup> (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) من أن آباءهم هم الأنبياء يشفعون لهم كما غرت أولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كبارهم (فكيف إذا جمعناهم) فكيف يصنعون فكيف<sup>(٣)</sup> تكون خالطهم ، وهو استعظام لما أعتب لهم وتهويل لهم ، وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه والمخلص منه ، وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعمل بباطل وتطمع بما لا يكون . وروى أن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود ، فيفضحهم الله على رؤس الأشهاد ، ثم يأمرهم إلى النار (وهم لا يظلمون) يرجع إلى كل نفس على المعنى ، لأنه في معنى كل الناس كما تقول : ثلاثة أنفس ، تريد ثلاثة أناس .

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾  
تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

الميم في (اللهم) عوض من يا ، ولذلك لا يجتمعان . وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم ، وبدخول حرف النداء عليه ، وفيه لام التعريف ، وبقطع همزته في يا الله ، وبغير ذلك (مالك الملك) أى تملك جنس الملك فتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكه (تؤتي الملك من تشاء) تعطى من تشاء النصيب الذى قسمت له واقتضته حكمتك من الملك (وتنزع الملك ممن تشاء) النصيب الذى أعطيته منه ، فالملك الأول عام شامل ، والمملكان

(١) قال محمود : ذلك التولى والاعراض بسبب طمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت الحشوية والمجبرة وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ، قال أحمد رحمه الله : هذا أيضا تعريض بأهل السنة في اعتقادهم تفويض العفو عن كبار المؤمنين الموحد إلى مشيئة الله تعالى وإن مات مصرا عليها إيمانا بقوله تعالى ( إن الله لا يغير أن يشرك به ويغير ما دون ذلك لمن يشاء ) وأصدقا بالشفاعة لأهل الكبار ويقم عليهم ذلك - حتى يجعلهم أصلا يقدر عليهم اليهود الفاتلين (لن نمتنا البار إلا أياما معدودات) فانظر اليه كيف أشحن قلبه بغضا لأهل السنة وشقاقا ، وكيف ملأ الأرض من هذه التزغات نفاقا ، فالجدة التى أهدى الفقير إلى التورك عليه ، لأن أخذ من أهل البدعة بأثر السنة ، فأصمى أفئدتهم من نواطع البراهين بمقومات الآسنة .

(٢) قوله : كما طمعت المجبرة والحشوية ، تورك على أهل السنة ، حيث ذهبوا الى أن من دخل النار من أهل الكبار المؤمنين يخرج بالشفاعة أو بعفو الله ، كما نطقت به الأحاديث . (ع)

(٣) قوله : فكيف تكون ، لعله أو فكيف . (ع)

لا يجوز. فإن قلت: كيف قال ﴿ فلا إثم عليه ﴾ عند التعجل والتأخر جميعاً؟ قلت: دلالة على أن التعجل والتأخر بخير فيما، كأنه قيل: فتعجلوا أو تأخروا. فإن قلت: أليس التأخر بأفضل؟ قلت: بلى، ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خیر المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل<sup>(١)</sup> وقيل: إن أهل الجاهلية كانوا فريقين: منهم من جعل المتعجل آثماً، ومنهم من جعل المتأخر آثماً فورد القرآن بنى المأثم عنهما جميعاً ﴿ لمن اتقى ﴾ أى ذلك التخيير. ونفى الإثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقى: لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب أن أحدهما يرهق صاحبه آثام في الإقدام عليه، لأن ذا التقوى حذر متحيز من كل ما يريبه، ولأنه هو الحاج على الحقيقة عند الله. ثم قال ﴿ واتقوا الله ﴾ ليعبأ بكم. ويجوز أن يراد ذلك الذى مر ذكره من أحكام الحج وغيره لمن اتقى، لأنه هو المنتفع به دون من سواه، كقوله: (ذلك خير للذين يريدون وجه الله).

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَآثِيهِ قَلْبِهِ وَهُوَ اللَّهُ الْخَصَمُ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)

﴿ من يعجبك قوله ﴾ أى يروك ويَعْظَم في قلبك. ومنه: الشيء العجيب الذى يعظم في النفس. وهو الأخنس بن شريق كان رجلاً حلو المنطق، إذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال: يعلم الله أنى صادق. وقيل: هو عام في المنافقين، كانت تحلولى أسننتهم، وقلوبهم أمر من الصبر، فإن قلت: بهم يتعلق قوله ﴿ في الحياة الدنيا ﴾؟ قلت:

(١) قال محمود رحمه الله: « إنما نفي الإثم في الطرفين جميعاً ليدل على التخيير بين الأمرين الفاضل والأفضل، كما خیر المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل ». قال أحمد رحمه الله: قوله - إن التخيير يقع بين الفاضل والأفضل - غير مستقيم، فإن التخيير يوجب التساوى في غرض الخير، وينافى طلب أحد الطرفين والأمر به. وكيف يستقيم اجتماع ما يوجب الطلب والترجيح وما يوجب التساوى والتخيير. وقد وقع لامام الحرمين قريب من هذا، فإنه ميز الوجوب من الندب بأن الندب يشتمل على افتراق الأمر بخيرة الترك ولا كذلك الوجوب، ولم يرصه عقوة الفن وإنما أخل الزمخشري في تفسيره الآية فلم يزل يورد ذلك المزال. والوارد عليه. وبيان عدم التطابق بين تفخيره والآية، أى مضمونها نفي الإثم عن الطرفين جميعاً، وهذا القدر مشترك بين الندب والكراهة والإباحة، لكن يتميز الندب بترجيح الفعل على الترك، وتتميز الكراهة والإباحة بالتخيير بينهما؛ فلا تنافي إذاً بين الندب إلى التأخير وأنه أفضل، وبين نفي الإثم عن تاركه إلى التعجل. وحديث لا يرد السؤال الذى لزمه فأجاب عنه.

بالقول ، أى يعجبك ما يقوله فى معنى الدنيا ؛ لأن أتعامه المحبة بالباطل يطلب به حظاً من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة ، كما تراد بالإيمان الحقيقى والمحبة الصادقة للرسول ؛ فكلامه إذاً فى الدنيا لا فى الآخرة . ويجوز أن يتعلق يعجبك ، أى قوله حلو فصيح فى الدنيا فهو يعجبك ، ولا يعجبك فى الآخرة لما يرهقه فى الموقف من الحسبة والسكينة ، أو لأنه لا يؤذن له فى الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ﴿ ويشهد الله على ما فى قلبه ﴾ أى يحلف ويقول : الله شاهد على ما فى قلبى من محبتك ومن الإسلام . وقرئ : ويشهد الله . وفى مصحف أبى : ويستشهد الله ؛ ﴿ وهو الذل الحصام ﴾ وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين . وقيل : كان بينه وبين ثقيف <sup>(١)</sup> خصومة فيبتهم ليلاً وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم . والخصام : المحاصمة . وإضافة الألف لـ «بمعنى فى» ، كقولهم : ثبت الغدر . أو جعل الخصام ألد على المبالغة . وقيل الخصام : جمع خصم ، كصعب وصعاب ، بمعنى وهو أشد الخصوم خصومة ﴿ وإذا تولى ﴾ عنك وذهب بعد إلاتة القول وإحلاء المنطق ﴿ سعى فى الأرض ليفسد فيها ﴾ كما فعل بثقيف . وقيل ﴿ وإذا تولى ﴾ وإذا كان والبا فـ «لما يفعله» ولاية السوء من الفساد فى الأرض بإهلاك الحرث والنسل . وقيل : يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل . وقرئ : ويهلك الحرث والنسل ، على أن الفصل للحرث والنسل ، والرفع للعطف على سعى . وقرأ الحسن بفتح اللام ، وهى لغة . نحو : أبى يابى . وروى عنه : ويهلك ، على البناء للفعول ﴿ أخذته العزة بالإثم ﴾ من قولك : أخذته بكذا ، إذا حملته عليه وألزمته إياه ، أى حملته العزة التى فيه وحمة الجاهلية على الإثم الذى ينهى عنه ، وألزمته ارتكابه ، وأن لا يخلى عنه ضاراً ولجأ . أو على رد قول الواعظ .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)

﴿ يشرى نفسه ﴾ يبيعها أى يبذلها فى الجهاد . وقيل : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ، وقيل : نزلت فى صهيب بن سنان : أرادته المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرًا كانوا معه ، فقال لهم : أنا شيخ كبير ، إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم ، فخلونى وما أنا عليه وخذوا منى . فقبلوا منه ماله وأتى المدينة ﴿ والله رؤوف بالعباد ﴾ حيث كفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ

(١) قوله « وقيل كان بينه وبين ثقيف » الضمير للأخضر بن شريق (ع)

لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾

(السلم) بكسر السين وفتحها . وقرأ الأعمش بفتح السين واللام ، وهو : الاستسلام والطاعة ، أى استسلموا لله وأطيعوه (كافة) لإخراج أحد منكم يده عن طاعته . وقيل هو الإسلام . والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم ، أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم . ويجوز أن يكون كافة حالاً من السلم ، لأنها تؤثت كما تؤثت الحرب . قال :

السَّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ

وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعٌ <sup>(١)</sup>

على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا فى الطاعات كلها . وأن لا يدخلوا فى طاعة دون طاعة . أو فى شعب الإسلام وشرائعه كلها ، وأن لا يخلوا بشيء منها . وعن عبد الله بن سلام أنه استأذن رسول الله

(١) أباً خراشة أما أنت ذا نفر      فان قومي لم تأكلهم الضيع  
إن تلك جلود بصر لا أؤبسه      أوقد عليه فأحبه فينصع  
السلم تأخذ منها ما رضيت به      والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

للعباس بن مرداس يخاطب خفاف بن نذبة . وأما أنت : أصله لأن كنت ، لحذفت لام التعليل وكان النافسة ، فأنفصل ضميراً ونابت عنها ما ، وأدغمت فيها أن المصدرية . وقال الكوفيون تأتى « أن » بالفتح شرطية كان بالكسر ، وعلى هذا فلا حاجة لتقدير لام التعليل ، والمعنى على الشرط والجواب . والضيع : السنة المجذبة ، أو الحيوان المعروف . والبصر : حجارة تضرب إلى بياض ، واحده بصرة . وقيل هى بمعناه ، وأبسه تأييساً : ذلله وكسره . يقول يا أباً خراشة ، لأن كنت صاحب جيش افتخرت على ، لا تفعل ذلك فان قومي موجودون كثيرون . وكنى عن ذلك بدمم أكل الضيع لإيham . ويحتمل أن فيه تعريضاً أيضاً ، ثم قال : إن تكن كصخر من الحجارة لا أؤدر على تأييسه وتكسيه لصلابه ، أوقد عليه نار الحرب بمعاونة الفرسان فى أحرقه فينشق وينكسر ؛ فالإيقاد استعارة مصرحة ، والاحاء ترشيع . أو إن لم أغلبك على العادة تحيات حتى أغلبك ، كما يتحلى بكسر الحجر بالنار . وأتى بضمير الغيبة نظراً للخير ، ورفع أحبه وينصع بعد الشرط المضارع قليل ضعيف ، سيما مع عطفهما على المجزوم ، ولعله توهم جزمه . والسلم بالفتح وبالكسر : الصلح تأخذ منها ما يكفيك من طول المدة ، أو تأخذ منها بسببها . وأما الحرب فيكفيك منها القليل ، فتتكبر جرع للقليل . وشبه الحرب بنار منجبة فى ظرف ذى منافذ تخرج منها أنفاس ، وشبه الأنفاس بماء على طريق المسكنية والأنفاس تخييل للأولى والجرع تخييل للثانية ، وفيها نوع تهكم حيث شبه الحار بالبارد ، كأنه يستقيه من أنفاسها . ويروى « فى السلم تأخذ منها ما رضيت به » أى تأخذ منها شيئاً كثيراً فى زمن الصلح ، ولانطبق من حربنا إلا قليلاً ؛ لكن هذه الرواية إنما تدل على تأنيث السلم ، بطريق المقابلة للحرب .

صلى الله عليه وسلم أن يقيم على السبت<sup>(١)</sup> وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل<sup>(٢)</sup> وكافة من الكف، كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم ﴿فإن زلتم﴾ عن الدخول في السلم ﴿من بعد ما جاءكم البينات﴾ أى الحج والشواهد على أن مادعيتهم إلى الدخول فيه هو الحق ﴿فاعلموا أن الله عزيز﴾ غالب لا يعجزه الانتقام منكم ﴿حكيم﴾ لا ينتقم إلا بحق. وروى أن قارثاً قرأ غفور رحيم، فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم، لا يذكر الغفران عند الزل، لأنه إغراء عليه. وقرأ أبو السمال: زلتم بكسر اللام وهما لغتان، نحو: ظللت وظللت.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

إتيان الله إتيان أمره وبأسه كقوله (أو يأتى أمر ربك)، (لجاءهم بأسنا) ويجوز أن يكون المأتى به محذوفاً، بمعنى أن يأتهم الله بئاسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله (فإن الله عزيز). ﴿في ظلل﴾ جمع ظلة وهي ما أظلك. وقرئ: ظلال وهي جمع ظلة، كقوله وقلال أو جمع ظل. وقرئ ﴿والملائكة﴾ بالرفع كقوله: (هل ينظرون إلا أن تأتيم الملائكة) وبالجر عطف على ظلال أو على العمام. فإن قلت: لم يأتهم العذاب في العمام؟ قلت: لأن العمام مظنة الرحمة، فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول، لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم، كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر، فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير، ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظة لجيئها من حيث يتوقع الغيث. ومن ثمة اشتد على المتفكرين في

(١) رواه عبد القى بن سعيد التقي في تفسيره عن موسى بن عبد الرحمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه. وذلك أنهم حين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم آمنوا بشريعتهم وشريعة موسى، فغطوا السبت وكرهوا لحات الأبل وألبانها بعد ما أسلوا. فأنكر ذلك عليهم المسلمون: فقالوا: إما نفوى على هذا وهذا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم في التوراة كتاب الله تعالى: وفي هذا فلنعمل بهما (٥). فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) وهي نسخة موضوعة. وقد أخرجه الطبري من رواية حجاج بن محمد عن ابن جريج عن عكرمة. وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة الآية) قال: نزلت في أناس من اليهود أسلوا كعبد الله بن سلام، وثعلبة، وابن يامين وأسد بن كعب. وطائفة من يهود، استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديتوا وأن يقوموا بالتوراة ليلاً. فأمرهم الله بأقامة شعائر الإسلام والرغبة عما عداها. قال فذكر الآية. فهذا أولى. وابن جريج لم يسمع عن عكرمة.

(٢) قوله ﴿في صلاته من الليل﴾ لعل بعده سقطاً تقديره: فنزلت. (ع)

(٥) في نسخة «إن التوراة كتاب الله. فدعا فلنعمل بها.

كتاب الله قوله تعالى (وبدأهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون). (وقضى الأمر) وأتم أمر إهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه. وقرأ معاذ بن جبل رضى الله عنه : وقضاء الأمر، على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة . وقرئ : ترجع ، وترجع ، على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير فيهما .

سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ

مَآجِدَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١)

(سَلِّ) أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد : وهذا السؤال سؤال تقرير كما تسئل الكفرة يوم القيامة ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم ، أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام ، و﴿نعمة الله﴾ آياته ، وهي أجل نعمة من الله ، لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة . وتبدلهم إياها : أن الله أظهرها لتكون أسباب هدايتهم ، فجعلوها أسباب ضلالهم . كقوله (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) أو حرفوا آيات الكتب (١) الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم . فإن قلت : كم استفهامية أم خبرية ؟ قلت . تحتمل الأمرين . ومعنى الاستفهام فيها للتقرير . فإن قلت : ما معنى ﴿من بعد ما جاءته﴾ . قلت : معناه من بعد ما تمسكن من معرفتها أو عرفها ، كقوله : ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ؟ لأنه إذالم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها ، فكأنها غائبة عنه : وقرئ : ﴿ومن يبدل﴾ بالتخفيف .

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ

اتَّقَوْا قَوْفَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)

المزين هو الشيطان (٢) زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحبها إليهم فلا يريدون غيرها . ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسوها وأحبوها ، أو جعل إهمال المزين له تزيينا ، ويدل عليه قراءة من قرأ ﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾ على البناء للفاعل ﴿ويسخرون

(١) قوله «أو حرفوا آيات الكتب» لعله عطوف على المعنى ، أى أنهم جعلوا المعجزات أسباب ضلالهم ، وقد جعلها الله أسباب هدايتهم . أو حرفوا آيات الكتب ... الخ . (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله المزين هو الشيطان ... الخ ، قال أحمد رحمه الله : وردت إضافة التزيين إلى الله تعالى وإضافته إلى غيره في مواضع من الكتاب العزيز وهذه الآية تحتل الوجهين ، لكن الإضافة إلى قدرة الله تعالى حقيقة ، والإضافة إلى غيره مجاز ، على قواعد السنة . والزمخشري يعمل على عكس هذا ، فإن أضاف لله فعلا من أفعاله إلى قدرته جعله مجازا وإن أضاعه إلى بعض مخلوقاته جعله حقيقة . وسبب هذا هو التعميس باتباع الهوى فى القواعد الفاسدة .

من الذين آمنوا) كانت الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لاحظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم ، أى لا يريدون غيرها . وهم يسخرون ممن لاحظ له فيها ، أو ممن يطلب غيرها) والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) لأنهم فى عليين من السماء ، وهم فى سجين من الأرض<sup>(١)</sup> أو حالهم عالية لحالهم ؛ لأنهم فى كرامة وهم فى هوان . أو هم عالون بحالهم متناولون يضحكون منهم كما يتناول هؤلاء عليهم فى الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم ، (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) . (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير ، يعنى أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره ، فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهى استدراجكم بالنعمة . ولو كانت كرامة لكان أو لياؤه المؤمنون أحق بها منكم . فبن قلت : لم قال (من الذين آمنوا) ثم قال (والذين اتقوا) ؟ قلت : ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقى ، وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك .

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَنْهَاهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)

(كان الناس أمة واحدة) متفقين على دين الإسلام (فبعث الله النبيين) يريد : فاختلّفوا فبعث الله . وإنما حذف دلالة قوله (ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) عليه . وفى قراءة عبد الله : كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا فبعث الله . والدليل عليه قوله عزّ وجلّ (وما كان الناس

(١) قال محمود رحمه الله : دلّناهم فى عليين من السماء ، وهم فى سجين ... الخ . قال أحمد رحمه الله : وهذا من وضع الظاهر موضع المضمر بصفة أخرى ومثله فى كتاب الله كثير ، قال الله تعالى (إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأولادهم يوم القيامة ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم) وكانت الأصل : ألا إنهم ... الآية ، فوضع الظاهر موضع المضمر بصفة أخرى ، وخصه ذكر صفته الظلم بتلو صفة الخسران . وفى كلام الزمخشري طالع إلى قاعدته فى وجوب وعيد العصاة . ألا تراه يقول : ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقى ، إشارة إلى أن غير المتقى وهو المصر على الكبرائر شقى حتّى كهؤلاء الذين يسخرون من الذين آمنوا ، ومنهم من يتمحل فيقول : لأنه جعل المؤمن عين المتقى ومقتضى قاعدته الفاسدة : أن الإيمان يستلزم التقوى حتّى لا يفرض مؤمن إلا متقيا ، إذ الإيمان فيما فسره هو فى تفسيره هذا وفيما فسره أهل بدعته فى كتبهم هو تصديق الاعتقاد الصحيح والنطق به بالعمل الصالح ، والمخل عندهم بالعمل إما بالاصرار على كبيرة أو بترك مهم من الواجبات ما-تى ليس بمؤمن ولا كافر . ففتضى هذا التقرير على ما ترى أن كل مؤمن متقى ، وقد علمت من كلامه على هذه الآية ما يأتى ذلك وينفضه .



إلا أمة واحدة فاختلفوا) وقيل : كان الناس أمة واحدة كفاراً ، فبعث الله النبيين ، فاختلفوا عليهم . والأول الوجه . فإن قلت : متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق ؟ قلت : عن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا . وقيل : هم نوح ومن كان معه في السفينة ( وأنزل معهم الكتاب ) يريد الجنس ، أو مع كل واحد منهم كتابه ( ليحكم ) الله ، أو الكتاب ، أو النبي المنزل عليه ( فيما اختلفوا فيه ) في الحق ودين الإسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق ( وما اختلف فيه ) في الحق ( إلا الذين أوتوه ) إلا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف ، أى ازدادوا في الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب ، وجعلوا نزول الكتاب سبباً في شدة الاختلاف واستحكامه ( بغيا بينهم ) حسداً بينهم وظلماً لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم . و ( من الحق ) بيان لما اختلفوا فيه ، أى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف .

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ  
مُسْتَهْمُ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى  
نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

(أم) منقطعة ، ومعنى الهمزة <sup>(١)</sup> فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده . ولما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات - تشجيعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له - قال لهم على طريقة الالتفات التى هى أبلغ : أم حسبتم (ولما) فيها معنى التوقع ، وهى فى النفي نظيرة وقد ، فى الإثبات . والمعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) حالهم التى هى مثل فى الشدة . و (مستهم) بيان للمثل وهو استئناء ، كأن قاتلاً قال : كيف كان ذلك المثل ؟ فقيل : مستهم البأساء (وزلوا) وأزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزع (حتى يقول الرسول) إلى الغاية التى قال الرسول ومن معه فيها (متى نصر الله) أى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك . ومعناه طلب الصبر وتمنيه ، واستطالة زمان الشهدة . وفى هذه الغاية دليل على تناهى الأمر فى الشدة وتماديهِ فى العظم ، لأن الرسل لا يتأمد قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم ، فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان

(١) قوله « أم منقطعة ومعنى الهمزة » تفسر بمعنى بل والهمزة . (ع)

ذلك الغاية في الشدة التي لامطمح ورامها ﴿الإن نصر الله قريب﴾ على إرادة القول ، يعنى فقيل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر . وقرئ (حتى يقول) بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال ؛ لأن ، أن ، علم له . وبالرفع على أنه في معنى الحال ، كقولك : شربت الإبل حتى يجىء البعير يحز بطنه . إلا أنها حال ماضية محكية .

بَسَّأَلُوكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينَ وَالْآقِرِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥)

فإن قلت : كيف طابق الجواب السؤال في قوله : ﴿قل ما أنفقتم﴾ وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجبوا ببيان المصروف ؟ قلت : قد تضمن قوله ما أنفقتم ﴿من خير﴾ بيان ما ينفقونه وهو كل خير ، وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصروف ؛ لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها . قال الشاعر :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمُصْنَعِ (١)  
وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه جله عمرو بن الجوح وهو شيخهم (٢) وله مال عظيم فقال : ماذا تنفق من أموالنا ؟ وأين نضعها ؟ فنزلت . وعن السدى : هى منسوخة بفرض الزكاة . وعن الحسن : هى فى التطلع .

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)  
﴿وهو كره لكم﴾ من الكراهة بدليل قوله ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا﴾ ثم إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ، كقولها :  
\* فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ \* (٣)

- (١) إن الصنعة لا تكون صنعة حتى يصاب بها طريق المصنع .  
فإذا صنعت صنعة فاعمد بها لله أو لذوى القربى أو دعه .  
يقول : إن العطية لا تكون عطية حقيقة حتى تكون فى موضعها ، فكفى بإصابة الطريق عن إيصالها إلى المقصد ، وهو من يستحقها . وقوله « فاعمد بها » أى أقصد بها . وضئته معنى اذهب بها ، فعداه باللام . ويرى : لذوى القرائب فلعل معناه لا يحب القرائب القرائب . وقوله « أو دعه » أى اترك ، لأنه ليس بعد هذين إلا الفخر .  
(٢) قوله « وهو شيخهم وله مال » فى الصحاح الم - بالكسر - : الشيخ الفانى . (ع)  
(٣) مر شرح هذا الشاهد بهذا الجزء صفحة ٢١٨ فراجع إن شئت اه مصححه

كأنه في نفسه لفرط كراهتهم له . وإما أن يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى الخبز ، أى وهو مكروه لكم . وقرأ السلى - بالفتح - على أن يكون بمعنى المضموم . كالضعف والضعف ، ويجوز أن يكون بمعنى الإكراه على طريق المجاز ، كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم . ومنه قوله تعالى (حملته أمه كرها ووضعته كرها) <sup>(١)</sup> ، وعلى قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا) جميع ما كلفوه ، فإن النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه (والله يعلم) ما يصلحكم وما هو خير لكم (وأنتم لا تعلمون ذلك) .

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا بَرَأُونَ يَفْتَلُونَكُمْ حَتَّى بَرِّدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ <sup>(٢١٧)</sup> إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ <sup>(٢١٨)</sup>

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة <sup>(١)</sup> قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبدالله الحضرمي وثلاثة معه ، فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف ، وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونونه من جمادى الآخرة ، فقالت قريش : قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبدعو <sup>(٢)</sup> فيه الناس إلى معاشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير ، وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا : ما نبرح حتى تنزل توبتنا ، ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى ، وعن ابن عباس رضى الله عنه : لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة . والمعنى : يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام . و(قتال فيه) بدل الاشتغال من الشهر . وفي

(١) قوله « ووضعت كرها وعلى قوله تعالى » أى جميع ما كلفوه جار على قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا ...

الخ) فإن النفوس تكرهه وهو خير لهم ، وتحب خلافه وهو شر لهم . (ع)

(٢) أخرجه ابن إسحاق في المنازى ، قال : حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير بطلوه ، ومن طريقه رواه البيهقي في الدلائل ، وكذا ذكره ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة . ومن طريقه الواحدى . وأخرجه الطبراني من حديث جندب بن عبد الله البجلي موصولا .

(٣) قوله « ويبدعو فيه الناس » أى يفرقون فيه . أفاده الصحاح . (ع)

قراءة عبدالله : عن قتال فيه ، على تكرير العامل ، كقوله (الذين استضعفوا لمن آمن منهم) وقرأ  
عكرمة : قتل فيه قل قتل فيه كبير . أى إثم كبير . وعن عطاء : أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام ؟  
خلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه ، وما نسخت .  
وأكثر الأفاويل على أنها منسوخة بقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) . (وصد عن سبيل  
الله) مبتدأ وأكبر خبره ، يعنى وكبار قريش من صدمهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، وكفرهم  
بالله وإخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون (أكبر عند الله) مما فعلته السرية من  
القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن (والفتنة) الإخراج أو الشرك . والمسجد  
الحرام : عطف على سبيل الله ، ولا يجوز أن يعطف على الهاء في (به) . (ولا يزالون يقاتلونكم) إخبار  
عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم ، وحتى معناها  
التعليل كقولك : فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة ، أى يقاتلونكم كي يردوكم . (إن استطاعوا)  
استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه : إن ظفرت بي فلا تبقي عليّ ، وهو واثق بأنه لا يظفر  
به (ومن يردد منكم) ومن رجع عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على رده إليه (فيمت) على  
الردة (فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في  
الدنيا من ثمرات الإسلام ، وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة . وبها احتج الشافعي على  
أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت عليها . وعند أبي حنيفة أنها تحبطها وإن رجع مسلماً . (إن الذين  
آمَنُوا والذين هاجروا) روى أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ، ظن قوم  
أنهم إن سلخوا من الإثم فليس لهم أجر ، فنزلت (أولئك يرجون رحمة الله) وعن قتادة : هؤلاء  
خيار هذه الأمة ، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون . وإنه من رجاء طلب ، ومن خاف هرب .

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا  
أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَنَاءُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى  
قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَابْخُونُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ  
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)

نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة (١) : (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه

(١) قال محمود رحمه الله : نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة .. الخ . قال أحمد : ويظهر لى سر واقع  
ما ذكره في هذا النص ، وذلك أن السؤال الأول من الأسئلة المقررة بالواو عين السؤال الأول من الأسئلة =

سكرأ) فكان المسلمون يشربونها. وهي لهم حلال. ثم إن عمر ومعاذاً ونفراً من الصحابة قالوا : يا رسول الله ، أفتنا في الخمر فإنها مذهب للعقل مسلبة للسلام ، فنزلت : ( فيهما إثم كبير ومنافع للناس ) فشربها قوم وتركها آخرون . ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوا وسكروا فأثم بعضهم فقراً : قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون فنزلت : « لا تقربوا الصلاة وأتوا سكارى ، فقل من يشربها . ثم دعا عتب بن مالك قوماً فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحى بعير فشججه موضحة ، فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت ( إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أتمم متهمون ) فقال عمر رضي الله عنه : انتهينا يارب <sup>(١)</sup> . وعن علي رضي الله عنه : لو وقعت قطرة في بحر فينبت مكانها منارة لم أؤذن عليها <sup>(٢)</sup> ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلال

== المجردة عن الوار . ولكن وقع جوابه أولاً بالمصرف لأنه الأهم وإن كان المسؤول عنه إنما هو المنفق لا وجه مصرفه ، ثم لما لم يكن في الجواب الأول تصريح بالمسؤول عنه أعيد السؤال ليجابوا عن المسؤول عنه صريحاً ، فقبل العفو أى الفاضل من النفقة الواجبة على العيال ، أو نحو ذلك حيثما ورد في تفسيره ، فتعين إذاً إقران هذا السؤال بالوار ليرتبط بالاول . ويحتمل أنهم لما أجيبوا أولاً ببيان جهة المصرف ولم يصرح لهم بالجواب على عين المنفق مامو ، أعاد السؤال لكي يتلقوا جوابه صريحاً ، فتعين دخول الوار . وأما السؤال الثاني من الأسئلة المقررة بالوار ، فقد وقع عن أحرارهم مع اليتامى وهل يجوز لهم مخالطتهم في النفقة والكسوة والسكنى وقد كانوا يتخرجون من ذلك في الجاهلية ؟ فلما كان مناسباً للسؤال عن الانفاق باعتبار المنفق وباعتبار جهة المصرف ، عطف عليه ليكمل لهم بيان المشروعية في النفقة وآدابها الدينية بياناً شافياً ، لأنه قد اجتمع في علمهم ما يتفقون ، وفيهم ينفقون ، وعلى أى حالة يتفقون من مخالطة اليتيم والانفراد عنه . وأما السؤال الثالث منها وهو الواقع عن النساء الحيض ، فقد ورد أنهم في الجاهلية كانوا يعتزلون الحيض في المواكلة والمساكنة يقتدون في ذلك باليهود ، فسألوا السؤال المذكور ، كما كانوا يعتزلون اليتامى في المساكنة والمواكلة تحرجاً جاهلياً ، وكان بين هذين السؤالين تناسب كما ترى ، لحسن أن يعطف الآخر على ما قبله تنبيهاً على ما بينهما من المشاكلة والله أعلم . وإذا اعتبرت الأسئلة المجردة عن الوار لم تجد بينها مدانة ولا مناسبة البتة ، إذ الأول منها عن النفقة ، والثاني عن القتال في الشهر الحرام ، والثالث عن الخمر والميسر . فبين هذه الأسئلة من التباين والتقاطع ما لا يخفى ، فذكرت كذلك رسالة متعاطفة غير مربوطة بعضها ببعض ، فنبت لهذا السر فانه بديع لا يجده يراعى إلا في الكتاب العزيز ، لاستيلائه على أمرار البلاغة وفكت النصاحة ، ولا استفاد منه إلا بالتقريب في صناعة البيان وعلم اللسان . وقد اشتمل جواب الزمخشري المقدم على وهم أنه عليه ، وذلك أنه قال : الأسئلة الثلاثة الأخيرة وقعت في وقت واحد وكانت في حكم السؤال الواحد ، فربط بعضها ببعض بالوار ، وهذا يقتضى كما ترى أن يقتصر السؤال الثاني والثالث بالوار خاصة دون الأول ، إذ الوار إنما يربط ما بعدهما بما قبلها ، فاقترانها بالاول لا يربطه بالثاني وإنما يربطه بما قبله ، وعلى هذا تكون الأسئلة التي وقعت في وقت واحد أربعة أسئلة لثلاثة خاصة ، وقد قال : إن الأسئلة المرتبطة الواقعة في وقت واحد هي الثلاثة الأخيرة ، فهو واهم بلا شك وكل أحد مأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم .

(١) هكذا ذكره الثعلبي في تفسيره بغير إسناد وسياق في تفسير سورة النساء من حديث أبي هريرة معناه .

(٢) لم أجده عنه .

لم أرعه . وعن ابن عمر رضى الله عنهما : لو أدخلت أصبعي فيه لم تتبعني <sup>(١)</sup> . وهذا هو الإيمان حقاً ، وهم الذين اتقوا الله حق تقاته . والخمر : ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب ، وهو حرام ، وكذلك نقيع الزبيب أو التمر الذي لم يطبخ ، فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلى واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان ، وحل شربه مادون السكر إذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند أبي حنيفة . وعن بعض أصحابه : لأن أقول مراراً هو حلال ، أحب إلى من أن أقول مرة هو حرام ، ولأن آخر من الساء فأقطع قطعاً أحب إلى من أن أتناول منه قطرة . وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر ، وكذلك كل ما أسكر من كل شراب . وسميت خمرًا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرًا لأنها تسكرهما ، أى تحجزهما ، وكأنها سميت بالمصدر من « خمره خمرًا » إذا ستره للبالغة . والميسر : القمار ، مصدر من يسر ، كالموعد والمرجع من فعلهما . يقال : يسره ، إذا قرته ، واشتقاه من اليسر ، لأنه أخذ مال الرجل ييسر وسهولة من غير كد ولا تعب ، أو من اليسار . لأنه سلب يساره . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله قال :

**\* أَقُولُ لَهُمْ بِالشَّعْبِ إِذْ يَبْسُرُونَنِي \*** <sup>(٢)</sup>

أى يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور . فإن قلت : كيف صفة الميسر ؟ قلت : كانت لهم عشرة أقداح ، وهى : الأزلام والأقلام ، والفد ، والتوأم ، والرقيب ، والحلس ، والثاقس ، والمسبل ، والمعلى والمنيع والسفيح ، والوغد . لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويمجزونها عشرة أجزاء . وقيل : ثمانية وعشرين إلا لثلاثة ، وهى المنيع والسفيح والوغد . ول بعضهم :

**لِي فِي الدُّنْيَا سِهَامٌ \* لَيْسَ فِيهِمْ رَيْحٌ \* وَأَسَامِينٌ وَغَدٌ \* وَسَفِيحٌ وَمَنِيحٌ** <sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه ابن أبى شيبة عن ابن المبارك عن الأوزاعي عن سليمان بن حبيب أن ابن عمر قال : لو أدخلت أصبعي في خمر ما أحببت أن ترجع إلى .

(٢) أقول لهم بالشعب إذ ييسروننى ألم تأسوا أنى ابن فارس زهدم لسحيم بن وثيل الرياحي . والشعب : اسم مكان . ويقال : يسره ، إذا غلبه في لعب الميسر وهو القمار . والياس هنا بمعنى العلم . وزهدم في الأصل فرخ البازي يسمى به الفرس لسرعته . أى أقول لهم في هذا الموقع وقت أن غلبوني في الميسر وضربوني بسهامه : ألم تعلموا أنى ابن الرجل الشجاع فارس تلك الفرس . والاستفهام للتقرير والتقريع . وروى : إذ يأسروننى ، أى يأخذونى أسيراً عندهم . ويجوز أن المعنى : ألم تأسوا وتقطعوا أطعاعكم كما تريدون بي لأن ابن ذلك الفارس المشهور ، فالاستفهام للتوبيخ والحث على اليأس من ذلك .

(٣) الاسماء الثلاثة لأقلام الميسر التى لا نصيب لها من الجزور كل اسم لعلم ، والوغد في الأصل : الحاد ، والدنى . وثمر الباذنجان : بخلاف السبعة الباقية فلها أنصاء . والكلام من باب التمثيل ، شبه حاله في الدنيا بحال من خرجت له تلك السهام في الميسر لادم الظفر بالمرام . ويعد كونه كناية عن السكر ، حيث يعطى ولا يأخذ . ويروى بدل « وأسامين » « وإنما سهمي » أى سهامى ، بدليل : سهام قبله .

للفذ سهم ، وللتوأم سهمان ، وللقريب ثلاثة ، وللحلس أربعة ، وللنفس خمسة ، وللسبل ستة ؛ وللعل سبعة يجعلونها في الرابة وهي خريطة ، ويضعونها على يدى عدل ، ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها . فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح . ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله . وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكون منها . ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ، ويسمونه البرم . وفي حكم الميسر : أنواع القمار ، من النرد والشطرنج وغيرهما . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يأك وهاتين اللعبتين المشؤمتين فإنهما من ميسر العجم »<sup>(١)</sup> ، وعن علي رضي الله عنه : أن النرد والشطرنج من الميسر .<sup>(٢)</sup> وعن ابن سيرين : كل شيء فيه خطر فهو من الميسر . والمعنى : يسألونك عما في تعاطيها ، بدليل قوله تعالى ﴿ قل فيها إثم كبير ﴾ ، ﴿ وإثمها ﴾ وعقاب الإثم في تعاطيها ﴿ أكبر من نفعها ﴾ وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار ، والطرب فيهما ، والتوصل بهما إلى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم ، والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وأعطياتهم ، وسلب الأموال بالقمار ، والافتخار على الأبرام<sup>(٣)</sup> . وقرئ : إثم كثير - بالثاء - وفي قراءة أخرى : وإثمها أقرب . ومعنى الكثرة : أن أصحاب الشرب والقمار يقتربون فيهما الآثام من وجوه كثيرة ﴿ العفو ﴾ نقيض الجهد ؛ وهو أن ينفق مالا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع ، قال :  
\* خُذِيَ الْعَفْوُ مِنِّي تَسْتَدِي مَوَدَّتِي \*<sup>(٤)</sup>

ويقال للأرض السهلة : العفو . وقرئ بالرفع والنصب . وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رجلا أتاه بليضة من ذهب أصابها في بعض المغازى فقال : خذها منى صدقة ، فأعرض عنه رسول الله صلى

(١) أخرجه ابن مردويه من حديث سمرة بن جندب ، ومن حديث أبي موسى الأشعري نحوه ، ورواه أحمد ، والبخارى في الأدب المفرد من وجهين عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود بلفظ « اتقوا هاتين اللعبتين المشؤمتين اللتين يزجران زجرا فإنهما من ميسر العجم » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي والشماع عن طريق حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه « وأن عليا قال في النرد والشطرنج : هما من الميسر ، وهو منقطع » .

(٣) قوله « والافتخار على الأبرام » جمع للبرم بالتحريك ، وهو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر . كذا في الصحاح . (ع)

(٤) خذى العفو منى تستدبي مودتي ولا تنطق في سورتي حين أغضب  
فاني رأيت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب  
ولا تضرني مرة بعد مرة فانك لا تدري كيف المغيب

لأسماء بن خازجة التزاري أحد حكماء العرب يخاطب زوجته حين نبى عليها . والعفو : السهل اليسير . والسورة : شدة الغضب . واجتمعا : شارفا الاجتماع . ويذهب : استئناف وقع جواب سؤال المقدر ، والضرب مجاز عن الإيذاء ، والمغيب عاقبة الأمر ، أي خذى السهل من أخلاقك لئلا يذهب حبك إياك ويذهب فيه رائحة الاضراب ، أي بل يذهب .

الله عليه وسلم : فأتاه من الجانب الأيمن فقال مثله فأعرض عنه ، ثم أتاه من الجانب الأيسر فأعرض عنه ؛ فقال : هاتها مغضبا ، فأخذها خذفها خذفا لو أصابه لشجه أو عقره ، ثم قال : ويحيى . أحذركم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى<sup>(١)</sup> ، ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ إما أن يتعلق بتفكرون ، فيكون المعنى : لعلمكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين ؛ فتأخذون بما هو أصلح لكم ؛ كما ينبت لكم أن العفو أصلح من الجهد في التفقة ، و تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع . ويجوز أن يكون إشارة إلى قوله ( وإثمهما أكبر من نفعهما ) لتفكروا<sup>(٢)</sup> في عقاب الإثم في الآخرة والنفع في الدنيا . حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم . وإما أن يتعلق بيبين على معنى : يبين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلمكم تتفكرون ، لما نزلت ( إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ) اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام بمصالحهم ، فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج ، فقيل ﴿ إصلاح لهم خير ﴾ أى مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خيرا من مجانبتهم ﴿ وإن تخالطوهم ﴾ وتعاشروهم ولم تجانبوهم ﴿ هـ ﴾ هم ﴿ إخوانكم ﴾ في الدين ، ومن حق الأخ أن يخاطب أخاه ، وقد حملت المخالطة على المصاهرة ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ﴾ أى لا يخفى على الله من داخلهم يافساد وإصلاح فيجازه به على حسب مداخلته ، فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح ﴿ ولو شاء الله لاعتكم ﴾ لحلمكم على العنت وهو المشقة وأخرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم . وقرأ طاوس : قل إصلاح إليهم . ومعناه إيصال الصلاح وقرئ : لعنتكم ، بطرح الهمة وإلقاء حركتها على اللام ، وكذلك ( فلا إثم عليه )<sup>(٣)</sup> . ﴿ إن الله عزيز ﴾ غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم ولكنه ﴿ حكيم ﴾ لا يكلف إلا ما تنسع فيه طاقته .

وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ  
وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ

(١) أخرجه أبو داود وابن حبان والبخاري ، وأبو يعلى ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حديد ، وإسحاق في مسانيدهم : كلهم من رواية محمود بن لبيد عن جابر . ورواه ابن سعد في ترجمة أبي حصين السلمي من رواية عمر ابن الحكم بن ثوبان عن جابر ، قال « قدم أبو حصين السلمي بذهب أصابه من معدنهم ففقه منه ديننا كان عليه » فذكر الحديث مثل سياق أبي داود . وفي إسناده الواقدي .

(٢) قوله « أكبر من نفعهما لتفكروا » لعله فيكون المعنى : لتتفكروا . (ع)

(٣) قوله « وكذلك فلا إثم عليه » لعله : كذلك في طرح الهمة ، لا في نقل الحركة ، وتطرح ألف المد

لالتقاء الساكنين . فليحذر . (ع)



مُشْرِكٍ وَلَوْ أَنَّجَبَكُمْ أَوْلَيْكُمْ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ  
بِإِذْنِهِ وَيُبينُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

(ولا تنكحوا) وقرئ بضم التاء، أى لا تزوجوهن أو لا تزوجوهن. و(المشركات) الحريات، والآية ثابتة. وقيل المشركات الحريات والكتابات جميعاً، لأن أهل الكتاب من أهل الشرك، لقوله تعالى (وقالت اليهود عزيز ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله) إلى قوله تعالى (سبحانه عما يشركون)، وهى منسوخة بقوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم). وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط. وهو قول ابن عباس والأوزاعي. وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوى إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين وكان يهوى امرأة فى الجاهلية اسمها عناق، فأثته وقالت: ألا نخلو؟ فقال: ويحك! إن الإسلام قد حال بيننا. فقالت: فهل لك أن تزوج بي؟ قال: نعم، ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره، فاستأمره<sup>(١)</sup> فنزلت (ولامة مؤمنة خير) ولا امرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة، وكذلك (ولعبد مؤمن) لأن الناس كلهم عبيد الله وإماؤه (ولو أعجبكم) ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها، فإن المؤمنة خير منها مع ذلك (أولئك) إشارة إلى المشركات والمشركين، أى يدعون إلى الكفر فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين إلا المناصبة والقتال (والله يدعو إلى الجنة) يعنى وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة (والمغفرة) وما يوصل إليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم، وأن يؤثروا على غيرهم (بإذنه) بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذى تستحق به الجنة والمغفرة. وقرأ الحسن: والمغفرة بإذنه - بالرفع - أى والمغفرة حاصلة بتيسيره.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَظْهَرْنَ فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُبْ

(١) أورده الواحدى من تفسير الكلبي عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً يقال له: مرثد بن أبي مرثد فذكره » ونزولها فى هذه القصة ليس بصحيح فقد رواه أبو داود والترمذى والنسائى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال « كان رجل يقال له: مرثد بن أبي مرثد الغنوى. وكان رجلاً شديداً يعمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة - الحديث بطوله - وفيه حتى نزلت (الزانية لا ينكح) إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأها على. وقال لا تنكحها وكذا أخرجه أحمد وإسحاق والبخارى. وقال لا تعلم أسند مرثد بن أبي مرثد إلا هذا الحديث.

التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

﴿الحيض﴾ مصدر . يقال : حاضت محضاً ، كقولك : جاء مجيئاً وبات ميتاً ﴿ قل هو أذى ﴾ أى الحيض شيء يستقذر ويؤذى من يقربه نفرة منه وكراهة له ﴿ فاعتزلوا النساء ﴾ فاجتنبوهن ؛ يعنى فاجتنبوا مجامعتن . روى أن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس ، فلما نزل أخذ المسلمون بظاهرها اعتزلن فأخرجوهن من بيوتهم ، فقال ناس من الأعراب : يارسول الله البرد شديد والثياب قليلة ، فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت ؛ وإن استأثرنا بها هلكت الحيض : فقال عليه الصلاة والسلام : إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتن إذا حضن ، ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم <sup>(١)</sup> . وقيل : إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض ، واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء ، فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين ، وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال ، فأبو حنيفة وأبو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الإزار ، ومحمد بن الحسن لا يوجب إلا اعتزال الفرج ، وروى محمد حديث عائشة رضى الله عنها : أن عبد الله بن عمر سألها : هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض ؟ فقالت : تشد إزارها على سفلتها ، ثم ليباشرها إن شاء <sup>(٢)</sup> . وما روى زيد بن أسلم أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم : ما يحل لى من امرأتى وهي حائض ؟ قال : لتشد عليها إزارها ثم شأنك بأعلاها <sup>(٣)</sup> ، ثم قال : وهذا قول أبى حنيفة . وقد جاء ما هو أخص من هذا عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : يحتب شعار الدم وله ماسوى ذلك <sup>(٤)</sup> . وقرئ ﴿ يطهرن ﴾ بالتشديد ، أى يتطهرن ، بدليل قوله ﴿ فإذا تطهرن ﴾ وقرأ عبد الله : حتى يتطهرن . ويطهرن بالفتح . والتطهر : الاغتسال . والطهر : انقطاع دم الحيض . وكلتا

(١) لم أجده

(٢) مو فى الموطأ من رواية محمد بن الحسن : عن . لك عن نافع . وأن عبد الله بن عمر أرسل إلى عائشة يسألها . فذكره . وكذا أخرجه رواية الموطأ عن مالك والشافعي وغيره . وأخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج عن سليمان ابن موسى عن نافع نحوه

(٣) رواه مالك فى الموطأ عنه بهذا مرسل . ووصله الطبرانى من رواية الدراوردي عن زيد بن أسلم وصفوان ابن مسلم عن عطاء بن يسار مرسل . وفى الباب عن حزام بن حكيم عن حماد بن عبد الله بن سعد . وأنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يحل لى من امرأتى وهي حائض ؟ قال : لك ما فوق الإزار ، أخرجه أبو داود . وعن معاذ بن جبل قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه . وزاد : والتعفف عن ذلك أفضل وإنشاده ضعيف . أخرجه الدرايم من رواية أبي بن عبيد عن رجل عن عائشة أنها قالت لانسان « اجتنب شعار الدم ولك ما عواه » .

القراءتين مما يجب العمل به ، فذهب أبو حنيفة إلى أن له أن يتربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل ، وفي أقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة . وذهب الشافعي إلى أنه لا يقربها حتى تطهر وتطهر ، فتجمع بين الأمرين ، وهو قول واضح . ويعضده قوله ( فإذا تطهرون ) . ( من حيث أمركم الله ) من المأتى الذى أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل ( إن الله يحب التوابين ) معاصي يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ( ويجب المتطهرين ) المتزهرين عن الفواحش . أو إن الله يحب التوابين الذين يطهرون أنفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ، ويجب المتطهرين من جميع الأقدار : كجماعة الحائض والطاهر قبل الغسل ، وإتيان ما ليس بمباح ، وغير ذلك ( حرث لكم ) مواضع الحرث لكم . وهذا مجاز ، شبهن بالمحارث تشبيها لما يليق في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور . وقوله ( فأتوا حرثكم أنى شئتم ) تمثيل ، أى فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أى جهة شئتم ، لا تحظر عليكم جهة دون جهة ، والمعنى : جامعوهن من أى شق أردتم بعد أن يكون المأتى واحداً وهو موضع الحرث . وقوله ( هو أذى ، فاعتزلوا النساء ) ، ( من حيث أمركم الله ) ، ( فأتوا حرثكم أنى شئتم ) من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة . وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكفوا مثلها في محاورتهم ومكاتبتهم . وروى أن اليهود كانوا يقولون : من جامع امرأته وهى بحية من دبرها في قبلها كان ولدها أحول ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال كذبت اليهود <sup>(١)</sup> ونزلت . ( وقدموا لأنفسكم ) ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه . وقيل : هو طلب الولد ، وقيل : التسمية على الوطء ( واتقوا الله ) فلا تجترأوا على المذاهب ( واعلموا أنكم ملاقوه ) فتزودوا ما لا تفتضحون به ( وبشر المؤمنين ) المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات . فإن قلت : ما موقع قوله ( نسأوكم حرث لكم ) بما قبله ؟ قلت : موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله ( فأتوهن من حيث أمركم الله ) يعنى أن المأتى الذى أمركم الله به هو مكان الحرث ، ترجمة له وتفسيراً ، أو إزالة للشبهة ، ودلالة على أن الغرض الأصيل في الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة ، فلا تأتوهن إلا من المأتى الذى يتعلق به هذا الغرض . فإن قلت : ما بال ( يسألونك ) جملة بغير واو ثلاث مرات ، ثم مع الواو ثلاثاً ؟

(١) متفق عليه من طرق عن ابن المنكدر عن جابر : والتقييد لمسلم فقط . ولمسلم من رواية الزهري « إن شاء بحية وإن شاء غير بحية . غير أن ذلك في صمام واحد ، وهو من قول الزهري . وأخرجه أصحاب السنن والبخاري وابن حبان . وليس عند أحد منهم قول « فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم » وأخرجه البخاري عن طريق خفيف عن ابن المنكدر . وزاد فيه « وإنما الحرث من حيث يخرج الولد » فترد به خفيف . وهو ضعيف .

قلت : كان سؤا لهم عن تلك الحوادث الاول وقع في أحوال متفرقة ، فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ . وسألوا عن الحوادث الآخر في وقت واحد ، فجاء بحرف الجمع لذلك ، كأنه قيل : يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر ، والسؤال عن الإنفاق ، والسؤال عن كذا وكذا .

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْآثِمِينَ إِنَّمَا يَأْخُذُ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

العرضة : فعلة بمعنى مفعول ، كالقبضة والغرفة ، وهى اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الإيلاء فيعترض دونه ويصير حاجزاً ومانعاً منه . تقول : فلان عرضة دون الخير . والعرضة أيضاً : المعرض للأمر . قال :

\* فَلَا تَجْعَلُونِي عُرْضَةً لِلْوَائِمِ \* (١)

ومعنى الآية على الأولى : أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات ، من صلة رحم ، أو إصلاح ذات بين ، أو إحسان إلى أحد ، أو عبادة ، ثم يقول : أخاف الله أن أحث في يميني ، فيترك البرّ إرادة البرّ في يمينه ، فقليل لهم : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ أى حاجزاً لما حلفتكم عليه . وسعى المحلوف عليه يميناً لتلبسه باليمين ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة : . إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك ، (٢) أى على شيء مما يحلف عليه . وقوله : ﴿ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا ﴾ عطف بيان لأيمانكم ، أى للأمور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والإصلاح بين الناس . فإذن قالت : بهم تعلقت ألام في لأيمانكم ؟ قلت : بالفعل ، أى ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخاً وحجراً . ويجوز أن يتعاقب ب ( عرضة ) لما فيها

(١) دعوني أنح وجدا كروح الحائم ولا تجعلوني عرضة للوائم

قيل هو لأبي تمام . يقول : انركوني أنح لما بي من الوجد وحرقة العشق مثل نوح الحائم . ويرى : لنوح الحائم ، فهو علة للعلل مع علته . والعرضة : المعرض للأمر ، أى : ولا تجعلوني عرضاً للوم اللوائم . أو المراد باللوائم : أنواع اللوم مبالغة ، على حد : جد جده ، لأن اللائم حقيقة فاعل اللوم .  
(٢) أخرجه الأئمة الخمسة من رواية الحسن البصري عن عبد الرحمن بن سمرة .

من معنى الاعتراض، بمعنى لاتجعلوه شيئاً يعترض البر، من اعترضنى كذا. ويجوز أن يكون اللام للتعليل، ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة، أى ولا تجعلوا الله لاجل أيمانكم به عرضة لأن تبروا. ومعناها على الأخرى: ولا تجعلوا الله معرضاً لأيمانكم فتبتذله بكثرة الحلف به، ولذلك ذم من أنزل فيه (ولا تطع كل حلاف مهين) بأشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها. وأن تبروا علة للنهى، أى إرادة أن تبروا وتنقوا وتصلحوا، لأن الحلاف يجترئ على الله، غير معظم له، فلا يكون براً متقياً، ولا يثق به الناس فلا يدخلونه فى وساطاتهم وإصلاح ذات بينهم. اللغو: الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره. ولذلك قيل لما لا يعتد به فى الدية من أولاد الإبل ولغو، واللغو من اليمين: الساقط الذى لا يعتد به فى الأيمان، وهو الذى لا عقد معه. والدليل عليه (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان)، (بما كسبت قلوبكم) واختلف الفقهاء فيه، فعند أبى حنيفة وأصحابه هو أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه، ثم يظهر خلافه. وعند الشافعى: هو قول العرب: لا والله، وبلى والله، بما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف. ولو قيل لواحد منهم: سمعتك اليوم تحلف فى المسجد الحرام لأنكر ذلك، ولعله قال: لا والله ألف مرة. وفيه معنيان: أحدهما (لا يؤاخذكم) أى لا يعاقبكم بلغوا اليمين الذى يحلفه أحدكم بالظن، ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم، أى اقترفته من إثم القصد إلى الكذب فى اليمين، وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهى اليمين الغموس. والثانى (لا يؤاخذكم) أى لا يلزمكم الكفارة بلغوا اليمين الذى لا قصد معه، ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم، أى بما نوت قلوبكم وقصدت من الأيمان، ولم يكن كسب اللسان وحده ﴿والله غفور رحيم﴾ حيث لم يؤاخذكم باللغو فى أيمانكم.

لَّذِينَ يُؤْؤُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٢٦ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٢٧ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨

قرأ عبد الله: آلو من نسائهم. وقرأ ابن عباس: يقسمون من نسائهم: فإن قلت: كيف عدى بمن، وهو معدى بعل؟ قلت: قد ضمن فى هذا القسم المخصوص معنى البعد، فكأنه قيل: يبعدون

من نسائهم مؤلين أو مقسمين . ويجوز أن يراد لهم ﴿ من نسائهم تربص أربعة أشهر ﴾ كقوله :  
 لي منك كذا . والإيلاء من المرأة أن يقول : والله لأقربك أربعة أشهر فصاعداً على التلميد  
 بالاشهر . أولاً أقربك على الإطلاق . ولا يكون في مادون أربعة أشهر ، إلا ما يحكى عن إبراهيم  
 النخعي . وحكم ذلك : أنه إذا فاء إليها في المدة <sup>(١)</sup> بالوطء إن أمكنه أو بالقول إن عجز : صح  
 النفي ، وحنث القادر ، ولزمته كفارة اليمين ، ولا كفارة على العاجز . وإن مضت الأربعة بانث  
 بتطليقة عند أي حنيفة . وعند الشافعي : لا يصح الإيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر ثم يوقف  
 المولى ، فإذا أن يقى . وإما أن يطلق وإن أبى طلق عليه الحاكم . ومعنى قوله ﴿ فإن فاؤا ﴾ فإن  
 فاؤا في الأشهر ، بدليل قراءة عبد الله : ﴿ فإن فاؤا فيهن ﴾ فإن الله غفور رحيم ﴾ يغفر للمولين  
 ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالإيلاء وهو الغالب ، وإن كان يجوز أن يكون  
 على رضا منهن إشفاقاً منهن على الولد من الغيل <sup>(٢)</sup> ، أو لبعض الأسباب لأجل الفية التي هي مثل  
 التوبة ﴿ وإن عزموا الطلاق ﴾ قربصوا إلى مضي المدة ﴿ فإن الله سميع عليم ﴾ وعيد على  
 إصرارهم وتركهم الفية ، وعلى قول الشافعي رحمه الله معناه : فإن فاؤا ، وإن عزموا <sup>(٣)</sup> بعد مضي  
 المدة . فإن قلت : كيف موقع الفاء إذا كانت الفية قبل انتهاء مدة التربص ؟ <sup>(٤)</sup> قلت : موقع صحيح  
 لأن قوله ﴿ فإن فاؤا ﴾ ، ( وإن عزموا ) تفصيل لقوله : ( للذين يؤلون من نسائهم ) والتفصيل

(١) قال محمود رحمه الله : وحكم ذلك أنه إذا فاء إليها في المدة ... إلخ . قال أحمد رحمه الله وهذا التفسير  
 منزل على مذهب أبي حنيفة لأنه لا يرى الفية بعد انقضاء الأربعة الأشهر مفيدة إذا وقع الطلاق بنفس مضياً فلا  
 تسكون الفية معتبرة عنده إلا في أربعة الأشهر خاصة .

(٢) قوله . على الولد من الغيل . في الصحاح : اخترت الغيلة - بالكسر - بولد فلان ، إذا أتيت أمه وهي ترضعه ،  
 أو حملت وهي ترضعه . والغيل - بالفتح - اسم ذلك الابن . (ع)

(٣) قوله وفان فاؤا وإن عزموا يعني أن كلا من الشرطين عند الشافعي بعد مضي المدة . (ح)

(٤) قال محمود رحمه الله : وفان قلت كيف موقع الفاء إذا كانت الفية قبل انقضاء مدة التربص إلخ . قال أحمد رحمه  
 الله : هذا جواب عن سؤال موجه على أبي حنيفة رضي الله عنه لأنه إذا رأى الفية في الأشهر الأربعة خاصة لأفها  
 بعدما والله تعالى عطف الفية على تربص أربعة أشهر بالفاء ومقتضاها كما نلت وقوع ما عطفه بعدما عطفه عليه  
 فيلزم وقوع الفية المعبرة بعد انقضاء الأشهر الأربعة ، وأبو حنيفة يأباه فلذلك أجاب عنه الزحشرى بجوابه المتقدم  
 والسؤال عندي يندفع بطريق آخر وهو أن المعطوف عليه التربص وهو حاصل من أول المدة لوقوع الفية في المدة  
 بعد التربص فلا يحتاج إلى الجواب بالمثال المذكور وإنما أوقع الزحشرى في التزام السؤال تسليحه لتقديم الفية في  
 الأربعة الأشهر على تربصها بها . منه على أنه لا يصدق قول القائل قد تربصت بفلان أربعة أشهر إلا إذا انقضت المدة  
 وليس الأمر كذلك فإنه يصدق من الحاكم أن يقول عند ضرب أجل المولى قد تربصت لك أربعة أشهر كما قال الله  
 تعالى لينظر أبني أم لا ، ويصدق رب الدين في أن يقول لمديانه حالة القرض قد أجملت بهذا الدين سنة وإن كان  
 المقتضى منها حيث تدققة واحدة . لذلك التربص المعطوف عليه في الآية واقع عند ضرب الأجل المذكور فالفية  
 الواقعة في الأجل إنما يقع بعده ، فالفاء على بابها المعروف .

يعقب المفصل ، كما تقول : أنا نزيلكم هذا الشهر ، فإن أحدثكم أقت عندكم إلى آخره ، وإلا لم أقم إلا ريثما أتحوّل . فإن قلت : ما تقول في قوله : ( فإن الله سميع عليم ) <sup>(١)</sup> وعزمهم الطلاق بما يعلم ولا يسمع ؟ قلت : الغالب أن العازم للطلاق وترك الفينة والضرار ، لا يخلو من مقالة ودمدمة <sup>(٢)</sup> ولا بد له من أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك ، وذلك حديث لا يسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة الشيطان ﴿ والمطلقات ﴾ أراد المدخول بهن من ذوات الأقرام . فإن قلت : كيف جازت إرادتهن خاصة واللفظ يقتضى العموم ؟ قلت : بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه ، فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك ، فإن قلت : فما معنى الإخبار عنهن بالتربص ؟ قلت : هو خبر في معنى الأمر . وأصل الكلام : وليربص المطلقات ، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر ، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى أمثاله . فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص ، فهو يخبر عنه موجوداً . ونحوه قولهم في الدعاء : رحمك الله . أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة ، كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها ، وبناءؤه على المبتدأ مما زاده أيضاً فضلاً تأكيداً . ولو قيل : ويربص المطلقات ، لم يكن بتلك الوكادة . فإن قلت : هلا قيل : يربصن ثلاثة قروء ، كما قيل

(١) قال محمد رحمه الله : « وفان قلت : ما القول في قوله فإن الله سميع عليم ... الخ » ؟ قال أحد رحمه الله : في هذا الجواب إسلاف جواب عن سؤال آخر يتوجه على أبي حنيفة رضى الله عنه يقال له : إذا كان معنى الأربعة الأشهر يوجب عندك وقوع الطلاق بنفسه غير موقوف على إيقاع من أحد ، فما الذى يسمع إذا ؟ وهو أمكن من السؤال الذى قدره الزخشرى ، فان لفاً أن يقول : عبر بالعزم عن الإيقاع لأنه يستلزمه غالباً ، وفي أثناء كلامه نكتة تحتاج إلى التنبه عند قوله : والعزم بما يعلم ولا يسمع . والذى تنبه عليه أن قاعدة أهل السنة أن كل موجود يجوز أن يسمع ، حتى الجواهر والألوان والمعاني بحملتها ، وكذلك يعتقد أن موسى عليه السلام سمع الكلام القديم وليس بحرف ولا صوت ، فلا يتوقف السمع عندهم على أن يكون المسموع صوتاً ولا نطقاً ، غير أن الممتد انقسام الموجودات إلى مسموع ومرئى وملبوس ومشوم ومدقوق وهو المعلوم بالحوس ، وإلى معلوم بغير ذلك . وعلى هذا المعتاد جرت عادة خطاب الله تعالى لعبده ، وإن كان الزخشرى ثابتاً فيما قاله على الأمر العرفى معتقداً ما ذكرناه من حيث المعروف . وما أراه كذلك . فالأمر سهل . وإن كان أخرج كلامه المذكور على قاعدة الاعتزال . وهو الظاهر من حاله في اعتقاد أن ما عدا الأصوات لا يجوز أن يسمع عقلاً . فالخذر الخذر من هذه القاعدة القاسدة والله المستعان . ثم لا بد لنا في مسألة الإيلاء من البصر لما يعتقد من مذهب مالك رضى الله عنه ، ومذهب مالك رضى الله عنه هو الذى اقتفاه الشافعى رضى الله عنه في المسئلة فنقول : معنى أربعة الأشهر مجرد لا يوجب وقوع الطلاق على الزوج ، لأن الأصل بقاء العصمة ، وقد جعل الله له الفينة بعد تربص الأجل المذكور ، ونحن وإن بينا أولاً أن الآية لا تأتى وقوع الفينة في الأجل وهى أيضاً تأتى وقوعها بعد الأجل ، فينظم من أصله ، أعنى بقاء العصمة . والسلامة من معارضة الآية ، وقوع الفينة المعتبرة بعد الأجل ، وبقاء العصمة بعد الأجل ، استحباباً للأصل غير معارض بالآية ، وهو المطلوب .

(٢) قوله « لا يخلو من مقالة ودمدمة » في الصحاح : دمدمت الشيء إذا ألزقته بالأرض ، لكنه غير مناسب هنا ، فلعله زمزمة بالزاي . وفي الصحاح : الزمزمة صرت الرعد . والزمزمة : كلام الجوس عند أكلهم . أو زمزمة بالراء ، وفي الصحاح : ترمم ، إذا حرك فاه للكلام اه . وهذا أنسب . (ع)

تربص أربعة أشهر؟ وما معنى ذكر الأنفس؟ قلت: في ذكر الأنفس تبيح لمن على التربص وزيادة بعث، لأن فيه ما يستنكف منه فيحمله على أن يتربص، وذلك أن أنفس النساء طواح إلى الرجال، فأمرن أن يقمن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص. والقروء: جمع قرء أو قرء، وهو الحيض، بذليل قوله عليه الصلاة والسلام: «دعى الصلاة أيام أفرائك»<sup>(١)</sup> وقوله: «طلاق الأمة تطليقتان، وعدتها حيضتان»<sup>(٢)</sup> ولم يقل طهران. وقوله تعالى ﴿واللأني يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر﴾ فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأظهار، ولأن الغرض الأصيل في العدة استبراء الرحم، والحيض هو الذي تستبرأ به الأرحام دون الطهر، ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة. ويقال: أقرأت المرأة، إذا حاضت. وامرأة مقرئ. وقال أبو عمرو بن العلاء: دفع فلان جاريته إلى فلانة تهرثها، أي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء. فإن قلت: فما تقول في قوله تعالى: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ والطلاق الشرعي، إنما هو في الطهر؟ قلت: معناه: مستقبلات لعدتهن، كما تقول: لقيته لثلاث بقين من الشهر، تريد مستقبلا لثلاث، وعدتهن الحيض الثلاث. فإن قلت: فما تقول في قول الأعشى:

\* لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرْوٍ نِسَائِكَ؟ \*<sup>(٣)</sup>

قلت: أراد: لما ضاع فيها من عدة نسائك، لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن، أي من مدة طويلة كالمدة التي تعتمد فيها النساء، استطال مدة غيبته عن أهله كل عام لاقترامه في الحروب والغارات، وأنه تميز على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعن فيها، أو أراد من أوقات نسائك،

(١) أخرجه الطحاوي والدارقطني من حديث فاطمة بنت أبي حبيش دأنها قالت: يا رسول الله إني امرأة استحاض فلا أظهر. قال: دعى الصلاة أيام أفرائك ثم اغتسلي وصلي.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية مظاهر بن أسلم عن القاسم عن عائشة بهذا. ومظاهر ضعيف. ورواه ابن ماجه والدارقطني من رواية عطية عن ابن عمر نحوه: وفيه عمر بن شبيب وهو ضعيف.

(٣) أفي كل عام أنت جائم غزوة تشد لأقصاها عزم عرائك  
مؤلة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيهن قروء نسائك

الأعشى، يقول لجاره: أيقضي أن تتجشم وتكلف نفسك في كل عام دخول غزوة واقتحام مكارها، تشد وتوثق عزيمة صبرك، لأقصاما: أي أبعدهما وأعلاها أو غايتها ومنتها. ومؤلة أي مقصلة على اسم الفاعل. ويرى موزنة، أي تورثك تلك الغزوة مالا كثيرا بنائها، ورفع لك في الحي لأجل ما ضاع فيها أي في الأعيان المملوكة من ذكر كل عام، واللام للعاقبة، شبه ضياع القروء المترتب على خروجه للغزو بأمر مرغوب على طريق المصلحة ولام العلة تخجيل، أو شبه ترتب المرغوب عنه بترتب المرغوب فيه، واستعار له اللام على طريق التصريح، وفيها نوع توبيخ. ويجوز أن ذلك الاستفهام للتعجب، فقوله «لما ضاع فيها» من تمام العجب. والأفراء التي تضع على الزوج هي الأظهار، لأنها التي يوثان فيها، لا الحيض، وضياع ذلك يؤدي إلى انقطاع النسل.



فإن القروء والقارئ جاءا في معنى الوقت، ولم يرد لاحتضاً ولا طهراً. فإن قلت: فعلام انتصب (ثلاثة قروء)؟ قلت: على أنه مفعول به كقولك: المحتكر يتربص الغلام، أى يتربص مضى ثلاثة قروء، أو على أنه ظرف، أى يتربص مدة ثلاثة قروء. فإن قلت: لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء؟ قلت: يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لا اشتراكهما في الجمعية. ألا ترى إلى قوله (بأنفسهن) وما هي إلا نفوس كثيرة، ولعل القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قروء من الأقراء، فأثر عليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل، فيكون مثل قولهم: ثلاثة شسوع. وقرأ الزهري: ثلاثة قروء، بغير همزة. (ما خلق الله في أرحامهن) من الولد أو من دم الحيض. وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لتلا ينتظر بطلاقها أن تضع، ولتلا يشفق على الولد فيترك تسريحها، أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض: قد طهرت، استعجالاً للطلاق. ويجوز أن يراد اللاتي يبعين إسقاط مافي بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويحججهن لذلك، فجعل كتمان مافي أرحامهن كناية عن إسقاطه (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) تعظيم لفعالين، وأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظامم. والبعولة: جمع بعول، والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة. ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك: بعول حسن البعولة، يعنى: وأهل بعولتهن (أحق برذهن) برجعتهن. وفي قراءة أبي: برذهن (في ذلك) في مدة ذلك التربص. فإن قلت: كيف جعلوا أحق بالرجعة، كأن للنساء حقاً فيها؟ قلت: المعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها، إلا أن لها حقاً في الرجعة (إن أرادوا) بالرجعة (إصلاحاً) لما بينهم وبينهن وإحساناً إليهن ولم يريدوا مضارتهن (ولهن مثل الذي عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهن عليهن (بالمعروف) بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفهن ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهن ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه. والمراد بالمائة مائة الواجب الواجب في كونه حسنة، لافي جنس الفعل، فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك، ولكن يقابله بما يليق بالرجال (درجة) زيادة في الحق وفضيلة. قيل المرأة تنال من اللذة ما ينال الرجل، وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها.

الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا

يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحِلَّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

(الطلاق) بمعنى التطلق كالسلام بمعنى التسليم، أى التطلق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة، ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير، كقوله (ثم ارجع البصر كرتين) أى كرتة بعد كرتة، لا كرتين اثنتين. ونحو ذلك من الثانى التى يراد بها التكرير قولهم: لبيك وسعديك وحنانيك وهذا ذيك ودوايك. وقوله تعالى ﴿فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون، بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن، وبين أن يسرحوهن السراح الجليل الذى عليهم. وقيل: معناه الطلاق الرجعى مرتان، لأنه لا رجعة بعد الثلاث، فإمسك بمعروف أى برجعة، أو تسريح بإحسان أى بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة، أو بأن لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها. وقيل: بأن يطلقها الثالثة فى الطهر الثالث. وروى أن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين الثالثة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أو تسريح بإحسان»<sup>(١)</sup> وعند أبي حنيفة وأصحابه: الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة، والسنة أن لا يوقع عليها إلا واحدة فى طهر لم يجامعها فيه، لما روى فى حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة»<sup>(٢)</sup>، وعند الشافعى: لا بأس بإرسال الثلاث، لحديث العجلانى الذى

(١) أخرجه الدارقطنى من رواية عبد الواحد بن زياد عن إسماعيل بن سميع عن أنس به. وقال فى الملل: وهم فيه ليث بن حماد رواية عن عبد الواحد. والمحفوظ عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين مرسلا. وقد أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي معاوية. وعبد الرزاق عن الثورى كلاهما عن إسماعيل بن سميع. ورواه الدارقطنى أيضا من رواية حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إني أسمع الله يقول: الطلاق مرتان فأين الثالثة؟» قال: إمسك بمعروف أو تسريح بإحسان، هي الثالثة.

(٢) أخرجه الدارقطنى والطبرانى من رواية شعيب بن رزين أن عطاء الخراساني حدثهم عن الحسن قال: حدثنا عبد العزيز بن عمير «أنه طلق امرأته تطليقة وهى حائض، ثم أراد أن يتبها بتطليقتين أخرتين عند فقر ابن فلان ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم». فقال: يا ابن عمير، ما هكذا أمرك الله. قد أخطأت السنة، والسنة أن تستقبل الطهر فتطلق لكل قرء. فأمرنى بمراجعتها. فقال: إذا طهرت فطلق عند ذلك أو أمسك. الحديث.

لا عن امرأته فطلقها ثلاثاً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يشكر عليه<sup>(١)</sup>. روى أن جميلة بنت عبد الله بن أبي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها. فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، لا أنا ولا ثابت، لا يجمع رأسي ورأسه شيء، والله ما أعيب عليه في دين ولا خلق، ولكني أكره الكفر في الإسلام، ما أطيعه بغضاً، إذ رفعت جانب الحياء فرأيتُه أقبِل في عدة فإذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً. فنزلت، وكان قد أصدقها حديقة فاختلفت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام<sup>(٢)</sup>. فبن قلت: لمن الخطاب في قوله ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا﴾؟ إن قلت للأزواج لم يطابقه قوله (فإن خفتم ألا يقيما حدود الله) وإن قلت للأئمة والحكام فهو لا ليسوا بأخذين منهن ولا بمؤتئين؟ قلت: يجوز الأمران جميعاً: أن يكون أول الخطاب للأزواج، وآخره للأئمة والحكام، ونحو ذلك غير عزي في القرآن وغيره، وأن يكون الخطاب كله للأئمة والحكام، لأنهم الذين يأمرون بالآخذ والإيتاء عند الترافع إليهم، فكانهم الآخذون والمؤتون ﴿مما آتيتموهن﴾ مما أعطيتموهن من الصدقات ﴿إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله﴾ إلا أن يخاف الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية، لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها ﴿فلا جناح عليهما﴾

(١) متفق عليه من حديث سهل بن سعد لكن قيل: إن قوله «فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره النبي صلى الله عليه وسلم بطلاقها» من كلام الزهري رواية عن سهل (تبيينه) قال عبد الحق في الأحكام: لم يصح اللفظ بالثلاث إلا في حديث الملاعن. وتلقب بما في مسلم عن فاطمة بنت قيس قالت «طلقني زوجي ثلاثاً غاصته... الحديث».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا معتمر بن سليمان قال: فرأت علي فضيل عن أبي جري أنه سأل عكرمة «هل كان للخلع أصل؟ قال: كان ابن عباس يقول: إن أول خلع كان في الإسلام في أخت عبد الله بن أبي بن سلول، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره «ولم يسمها» وقد سماها البخاري من رواية حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة «أن جميلة» فذكره «ولابن ماجه من رواية أخرى عن عكرمة عن ابن عباس وأن جميلة بنت سلول، وكذا أخرجه عبد الرزاق من وجه آخر «أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم، وهي جميلة بنت عبد الله بن أبي، وعند الدارقطني من طريق ابن جريج أخبرنا أبو الزبير وأن ثابت بن قيس كانت عنده زينب بنت عبد الله بن أبي. وكان أصدقها حديقة، فكرهته - إلى آخره، فإن كان محفوفاً فيحتمل أن يكون لها اسمان. وقد رويت القصة لغيرها. وفي الموطأ عن يحيى بن سعيد عن عمرو عن حبيبة بنت سهل «أنها كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الصبح فوجدها عند بابها في الفلج. فقال من هذه؟ قالت: أنا حبيبة بنت سهل. قال: ما شأنك؟ قالت: لا أنا ولا ثابت بن قيس. ومن طريقه أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد، وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «كانت حبيبة بنت هل تحت ثابت ابن قيس بن شماس، وكان رجلاً دميماً. فقالت: يا رسول الله لولا مخافة الله لبرقت في وجهه: فقال: أنزدين عليه حديثه؟ قالت: نعم. فردت عليه حديثه. وفرق بينهما «ولاحد من حديث سهل بن أبي حشمة قال «كانت بنت سهل - الحديث».

فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت ﴿ فيما افدت به ﴾ فيما فدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر . والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم . وروى أن امرأة نشزت على زوجها فرفعت إلى عمر رضى الله عنه ، فأباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال : كيف وجدت مبيتك ؟ قالت : ما بت منذ كنت عنده أقز لعيني منهن . فقال لزوجها : اخلعها ولو بقرطها <sup>(١)</sup> . قال قتادة : يعنى بما لها كله ، هذا إذا كان النشوز منها ، فإن كان منه كره له أن يأخذ منها شيئا . وقرئ إلا أن يخافا ، على البناء للفعول وإبدال أن لا يقيما من ألف الضمير ، وهو من بدل الاشتغال كقولك : خيف زيد تركه إقامة حدود الله . ونحوه ( وأسروا النجوى الذين ظلموا ) ويعضده قراءة عبد الله ( إلا أن تخافوا ) وفي قراءة أخرى : إلا أن يظننا . ويجوز أن يكون الخوف بمعنى الظن . يقولون : أخاف أن يكون كذا ، وأفرق أن يكون ، يريدون أظن ﴿ فإن طلقها ﴾ الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله تعالى ( الطلاق مرتان ) واستوفى نصابه . أو فإن طلقها مرة ثالثة بعد المراتين ﴿ فلا تحل له من بعد ﴾ من بعد ذلك التطبيق ﴿ حتى تنكح زوجا غيره ﴾ حتى تتزوج غيره ، والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كما التزوج . ويقال : فلانة ناكح في بنى فلان . وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد ابن المسيب . والذي عليه الجمهور أنه لا بد من الإصابة . لما روى عروة عن عائشة رضى الله عنها أن امرأة رفاعة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن رفاعة طلقني فبت طلاق وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني ، وإنما معه مثل هدية الثوب وإنه طلقني قبل أن يمسي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزيدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا ، حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك <sup>(٢)</sup> . وروى أنها لبثت ماشاء الله ، ثم رجعت فقالت : إنه كان قد مسني ، فقال لها : كذبت في قولك الأول ، فلن أصدقك في الآخر ، فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> فأنت أبا بكر رضى الله عنه فقالت : أأرجع إلى زوجي الأول ، فقال : قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال ، فلا ترجعي إليه ، فلما قبض أبو بكر رضى الله عنه قالت مثله لعمر رضى الله عنه فقال : إن أتيتيني بعد مترك هذه لأرجعنك ، فنعما . فإن قلت :

(١) أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة والطبري وإبراهيم الحربي في أواخر الفريب له كلهم من رواية أبي ب عن كثير مولى سمرة « أن عمر أتى بامرأة ناشرة فذكره » قال إبراهيم : الناشرة التي أسمى زوجها .

(٢) متفق عليه من هذا الوجه .

(٣) قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة - فذكر الحديث . وفيه « ففقدت ماشاء الله . ثم جاءت فأخبرته أنه قد مسها ، فنعما أن ترجع إلى زوجها الأول ، وقال : اللهم إن كان إنما بها أن يعملها لفاعه فلا يتم لها نكاحه مرة أخرى . ثم أنت أبا بكر وعمر في خلافتها فنعماها . »

فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل ؟ قلت : ذهب سفيان والأوزاعي وأبو عبيد ومالك وغيرهم إلى أنه غير جائز ، وهو جائز عند أبي حنيفة مع الكراهة . وعنه أنهما إن أضمر التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه لعن المحلل والمحلل له <sup>(١)</sup> . وعن عمر رضي الله عنه : لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجعتما <sup>(٢)</sup> . وعن عثمان رضي الله عنه : لا إلا نكاح رغبة غير مدالسة <sup>(٣)</sup> . ( فإن طلقها ) الزوج الثاني . ( أن يتراجعا ) أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالزواج ( إن ظنا ) إن كان في ظنهما أنهما يقمان حقوق الزوجية . ولم يقل : إن علما أنهما يقمان ، لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله عز وجل . ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى ، لأنك لا تقول : علمت أن يقوم زيد ، ولكن : علمت أنه يقوم ، ولأن الإنسان لا يعلم ما في الغد ، وإنما يظن ظناً .

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا تَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ مَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا تَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْصِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

(١) روى عن ابن مسعود وعلى وجابر وعقبة بن عامر ، وأبي هريرة . وابن عباس . قلت . أحال بها على تفريج الهداية وحديث ابن مسعود أخرجه الترمذي والنسائي وصححه ابن دقيق العيد على شرط البخاري . وحديث ابن عباس أخرجه ابن ماجه . وحديث على أخرجه أحمد وأبو داود . وحديث أبي هريرة رواه أحمد والبيهقي وحديث عقبة بن عامر أخرجه ابن ماجه . وحديث جابر ذكره الترمذي .

(٢) أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة ، من رواية المسيب بن رافع عن قبيصة بن جابر عن عمر فذكره . (٣) لم أجده عن عثمان بل وجدته عن ابن عمر . أخرجه الحاكم من رواية عمر بن نافع عن أبيه أنه قال دجاء رجل إلى ابن عمر : فساله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتروجها أخ له من غير مؤامرة منه ليحلها لأخيه ، هل تحل للأول ؟ قال : لا إلا نكاح رغبة . كئنا بعد هذا سفاها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد روى مرفوعاً أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المحلل . فقال : لا ، إلا نكاح رغبة غير دلالة ، ولا مستهزئ . بكتاب الله تعالى لم يذق العسيلة . وفي إسناده إبراهيم بن إسماعيل ابن أبي حنيفة وهو ضعيف .

﴿ فبلغن أجلهن ﴾ أى آخر عدتهن وشارفن منتهاهن . والاجل يقع على المدة كلها ، وعلى آخرها ، يقال لعمر الإنسان : أجل ، وللموت الذى ينتهى به : أجل ، وكذلك الغاية والأمد ، يقول النحويون : من ، لا ابتداء الغاية ، وإلى ، لا انتهاء الغاية . وقال :

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ مُدَّةَ الْعُمُرِ وَمُؤَدٍّ إِذَا آتَتْهُ أَمَدُهُ (١)

ويتسع فى البلوغ أيضاً فيقال : بلغ البلد إذا شارف دناؤه . ويقال : قد وصلت ، ولم يصل وإنما شارف ، ولأنه قد علم أن الإمساك بعد تقضى الأجل لا وجه له ، لأنها بعد تقضيه غير زوجة له فى غير عدة منه ، فلا سبيل له عليها ﴿ فأمسكوهن بمعروف ﴾ فإما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمرجعة ﴿ أو سرحوهن بمعروف ﴾ وإما أن يخليها حتى تنقضى عدتها وتبين من غير ضرار ﴿ ولا تمسكوهن ضراراً ﴾ كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ، ثم يراجعها لاعتن حاجته ، وإسكن ليطول العدة عليها ، فهو الإمساك ضراراً ﴿ لتعتدوا ﴾ لتظلموهن . وقيل : لتلجئوهن إلى الافتداء ﴿ فقد ظلم نفسه ﴾ بتعريضها لعقاب الله ﴿ ولا تتخذوا آيات الله هزواً ﴾ أى جدوا فى الأخذ بها والعمل بما فيها ، وأرعوها حق رعايتها ، وإلا فقد اتخذتموها هزواً ولعباً . ويقال لمن لم يجتد فى الأمر : إنما أنت لاعب وهازئ . ويقال : كن يهودياً وإلا فلا تلعب بالتوراة . وقيل : كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول : كنت لاعباً . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : ثلاث جذهن جده وهزلهن جده : الطلاق (٢) والنكاح والرجعة (٣) ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ بالإسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة ﴾ من القرآن والسنة وذكركم بمقابلتها بالشكر والقيام بحقوقها ﴿ يعظكم به ﴾ بما أنزل عليكم ﴿ فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ﴾ إما أن يخاطب به الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلماً وقسراً ، ولحمة الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج . والمعنى : أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن ، وإما أن يخاطب به الأولياء فى عضلن أن يرجعن إلى أزواجهن . روى أنها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأول . وقيل : فى جابر

(١) يقال : أودى إذا هلك ، وأودى به السبل ونحوه أهلكه وذهب به . والودى كالنقى : الهلاك . وروى أجله . والأمد والأجل يطلقان على جميع مدة الشئ . وعلى منتهاهن ، كما تطلق الغاية على جميع المسافة وعلى آخرها . يقول : كل حى لابد أنه يستكمل مدة عمره ويهلك إذا انتهت مدته وتسكين العمر لغة فيه .

(٢) قوله : وهزلهن جده الطلاق والنكاح والرجعة ، فى أبى السعود : النكاح والطلاق والمناق . (ع)

(٣) أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم والدارقطنى والبيهقى ، من حديث أبى هريرة . وفى إسناده ضعف .

ابن عبد الله حين عضل بنت عم له . والوجه أن يكون خطاباً للناس ، أى لا يوجد فيما بينكم عضل ، لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين . والعضل : الحبس والتضييق . ومنه : عضلت الدجاجة إذا نشب يعضها فلم تخرج . وأنشد لابن هرمة :

وَإِنْ قَصَائِدِي لَكَ فَاصْطَنِعِي عَقَائِلُ قَدْ عَضَلْنَ عَنِ النِّسْكَاحِ (١)

وبلوغ الأجل على الحقيقة . وعن الشافعي رحمه الله : دل سياق الكلامين على افتراق البلوغ (إذا تراضوا) إذا تراضى الخطاب والنساء (بالمعروف) بما يحسن بالدين والمرومة من الشرائط وقيل : بمر المثل . ومن مذهب أبي حنيفة رحمه الله أنها إذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فلا ولياء أن يعترضوا . فإن قلت : لمن الخطاب في قوله (ذلك يعظه به) ؟ قلت : يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد . ونحوه (ذلك خير لكم وأطهر) . (أزكى لكم وأطهر) من أدنيس الآثام : وقيل (أزكى وأطهر) أفضل وأطيب (والله يعلم) ما في ذلك من الزكاة والطهر (وأتم لاتعلمونه) هـ ، أو والله يعلم ما تستصلحون به من الأحكام والشرائع وأتم تجهلونه .

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا فِصَالَهُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً تَنِمُّ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

بِمَا تَعْمَلُونَ يَبْصِرُ ﴿٢٣٣﴾

(يرضعن) مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد (كاملين) تأكيد كقوله (تلك عشرة كاملة) لأنه مما يتسامح فيه فتقول : أقمت عند فلان حولين ، ولم تستكملها . وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما : أن يكمل الرضاعة : وقرئ الرضاعة . بكسر الراء . والرضعة . وأن تم الرضاعة وأن يتم الرضاعة ، برفع الفعل تشبيهاً له ، أن ، بـ « ما » لتأخيرهما في التساويل . فإن قلت : كيف

(١) العقائل : جمع عقيلة ، وهى المعقولة فى خدوها من النساء . يقول : إن قصائدى لك مثل الخدرات ، فك : حال من القصائد أو العقائل . وقوله « فاصطنعنى » اعتراض ، أى فاتخذنى مادحا وكافئنى على مدحى إياك بما لا أمدح به غيرك من القصائد . ولما شبه القصائد بالنساء رشح ذلك بالعضل ، وهو المنع من النكاح الخاص بالنساء .

اتصل قوله ﴿لَمَنْ أَرَادَ﴾ بما قبله ؟ قلت : هو بيان لمن توجه إليه الحكم ، كقوله تعالى ( هيت لك ) لك بيان للهيئت به ، أى هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع . وعن قتادة : حولين كاملين ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرضاعة﴾ أراد أنه يجوز النقصان ، وعن الحسن : ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون فى الفطام ضرر . وقيل : اللام متعلقة بيرضعن ، كما تقول : أرضعت فلانة لفلان ولده ، أى يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء ، لأن الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم ، وعليه أن يتخذ له ظمراً إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه ، وهى مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه . ولا يجوز استئجار الأم عند أبى حنيفة رحمه الله مادامت زوجة أو معتدة من نكاح . وعند الشافعى يجوز . فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق . فان قلت : فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن ؟ قلت : إما أن يكون أمراً على وجه التندب ، وإما على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدى أمه ، أو لم توجد له ظمير ، أو كان الأب عاجزاً عن الاستئجار . وقيل : أراد الوالدات المطلقات ، وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع ﴿وعلى المولود له﴾ وعلى الذى يولد له وهو الوالد . و(له) فى محل الرفع على الفاعلية ، نحو (عليهم) فى (المغضوب عليهم) فإن قلت لم قيل (المولود) له دون الوالد . قلت : ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم ، لأن الأولاد للآباء ، ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات . وأنشد للمامون بن الرشيد :

فَإِنَّمَا أُمَهَاتُ النَّاسِ أَوْعِيَّةٌ مُسْتَوَدَّعَاتُ وَلِلْآبَاءِ أُنْبَاءُ (١)

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم ، كالأطوار . ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى ، وهو قوله تعالى (واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً) ، (بالمعروف) تفسيره ما يعقبه ، وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولا يتضاراً . وقرئ (لا تكلف) بفتح التاء ، و(لا تكلف) بالنون . وقرئ : ﴿لا تضار﴾ بالرفع على

(١) لا تزدين بقى من أن يكون له أم من الروم أو سوداء عجماء .

فإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء أنباء .

للمامون بن الرشيد حين كتب إليه أخوه الأمين يومئذ على الخلافة بغير استحقاق ، وفى آخره : ابن الأمة ما الأله : فأجابه بذلك . وأزرى به : إذا أوقعه الغيب ورماه به . والثون فى الفعل للتوكيد . وبروى : لا تزدين قتي ، على خطاب المؤثثة ، وكأنه أراد به إسماع أخيه . وزرى عليه : إذا عاب عليه . والازدراء : افتعال منه ، أى لا تعبى ، والثون ثابتة بعد التثنية شذوذاً . والعجماء : التى لا تفصح فى كلامها . وشبه النساء بالأوعية التى تودع فيها الأشياء تشبيهاً بليتها ، أو على طريق التصريح على رأى السرد فى كل تشبيه بليغ . وروى : وللابناء آباء . والمعنى أن الرقة والضعة من جهة الآباء لا من جهة الأمهات ، لأنها كالأوعية للآباء . لكن هذا التشبيه مبنى على الظاهر . ثم كتب المامون أيضاً فى جواب أخيه : القلم بحد ، والسيف بحد ، والمرء بسعده ، لا بأبيه ولا بمجده .



الإخبار، وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول، وأن يكون الأصل : تضارر بكسر الراء ، وتضارر بفتحها . وقرأ ( لا تضار ) بالفتح أكثر القراء . وقرأ الحسن بالكسر على النهي ، وهو محتمل للبناءين أيضاً . وبين ذلك أنه قرئ لا تضارر ، ولا تضارر ، بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها . وقرأ أبو جعفر : لا تضار ، بالسكون مع التشديد على نية الوقف . وعن الأعرج ( لا تضار ) بالسكون والتخفيف ، وهو من ضاربه يضيره . ونوى الوقف كما نواه أبو جعفر ، أو اختلس الضمة فظنه الراوى سكونا . وعن كاتب عمر بن الخطاب : لا تضرر . والمعنى : لا تضار والدته زوجها بسبب ولدها ، وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة ، وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد ، وأن تقول بعد ما ألفها الصبي : اطلب له ظئراً ، وما أشبه ذلك ؛ ولا يضار مولوده امرأته بسبب ولده ، بأن يمنعها شيئاً مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ؛ ولا يأخذ منها وهي تريد إرضاعه ، ولا يكرها على الإرضاع . وكذلك إذا كان مبنياً للمفعول فهو نهى عن أن يلحق بها الضرر من قبل الزوج ، وعن أن يلحق بها الضرر بالزوج من قبلها بسبب الولد : ويجوز أن يكون ( تضار ) بمعنى تضر ، وأن تكون البناء من صلته ، أى لا تضر والدته بولدها ، فلا تسيء غذاءه وتعده ، ولا تفرط فيما ينبغي له ، ولا تدفعه إلى الأب بعد ما ألفها . ولا يضر الوالد به بأن ينزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد . فان قلت : كيف قيل بولدها وبولده ؟ قلت : لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافاً لها عليه وأنه ليس بأجنبي منها ، فن حقا أن تشفق عليه وكذلك الوالد ( وعلى الوارث ) عطف على قوله ( وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ) ، وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه . فكان المعنى : وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة ، أى إن مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه في أن يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرر . وقيل : هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه . واختلفوا ، فعند ابن أبي ليلى كل من ورثه ، وعند أبي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه . وعند الشافعي : لا نفقة فيما عدا الولاد . وقيل من ورثه من عصيته مثل الجد والأخ وابن الأخ والعمة وابن العم . وقيل : المراد وارث الأب وهو الصبي نفسه ، وأنه إن مات أبوه وورثه وجبت عليه أجرة رضاعه في ماله إن كان له مال ، فإن لم يكن له مال أجبرت الأم على إرضاعه . وقيل ( على الوارث ) على الباقي من الأبوين من قوله : « واجعله الوارث منا » <sup>(١)</sup> ( فإن أرادوا فصلاً ) صادراً ( عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ) في ذلك ، زاد على الحولين أو نقصا ، وهذه توسعة بعد التحديد . وقيل : هو في غاية الحولين لا يتجاوز ، وإنما اعتبر تراضيهما

(١) قوله « واجعله الوارث منا » الرواية المشهورة : منى . (ع)

في الفصال وتشاورهما : أما الأب فلا كلام فيه ، وأما الأم فلاها أحق بالتربية وهي أعلم بحال الصبي . وقرئ ( فإن أراد ) . استرضع : منقول من أرضع . يقال : أرضعت المرأة الصبي ، واسترضعتها الصبي ، لتعديه إلى مفعولين ، كما تقول : أنجح الحاجة ، واستنجنحت الحاجة . والمعنى : أن تسترضعوا المراضع أولادكم ، لحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه ، كما تقول : استنجنحت الحاجة ولا تذكر من استنجنحته ، وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الأول ﴿ إذا سلمتم ﴾ إلى المراضع ﴿ ما آتيتن ﴾ ما أردتم إتيانه ، كقوله تعالى ( إذا قمتم إلى الصلاة ) وقرئ : ما آتيتن ، من أتى إليه إحساناً إذا فعله . ومنه قوله تعالى ( إنه كان وعده ما تياً ) أى مفعولاً . وروى شيبان عن عاصم : ما آوتيتن ، أى ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة ، ونحوه ( وأنفقوا بما جعلكم مستخلفين فيه ) وليس التسليم بشرط للجواز والصحة ، وإنما هو نذب إلى الأولى . ويجوز أن يكون بعثاً على أن يكون الشيء الذى تعطاه الموضع من أهني ما يكون ، لتكون طيبة النفس راضية ، فيعود ذلك إصلاحاً لشأن الصبي واحتياطاً فى أمره ، فأمرنا بإتيانه ناجزاً يداً بيد ، كأنه قيل : إذا آتيتن إليهن يداً بيد ما أعطينوهن ﴿ بالمعروف ﴾ متعلق بسلمتم ، أمروا أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشرين الوجوه ، ناطقين بالقول الجميل ، مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن ، حتى يؤمن تفریطهن بقطع معاذيرهن .

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٥﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا أَوْ لَّا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

﴿ والذين يتوفون منكم ﴾ على تقدير حذف المضاف ، أراد : وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن . وقيل : معناه يتربصن بعدهم ، كقولهم : السمن منوان بدرهم . وقرئ : يتوفون بفتح الياء <sup>(١)</sup>

(١) قال محمود رحمه الله : « قرأما علي رضي الله عنه بفتح الياء ... الخ » ، قال أحد رحمه الله : ولعل السائل =

أى يستوفون آجالهم ، وهى قراءة على رضى الله عنه . والذى يحكى أن أبا الأسود الدؤلى كان يمشى خلف جنازة ، فقال له رجل : من المتوفى - بكسر الفاء ، فقال الله تعالى . وكان أحد الأسباب الباعثة لعلى رضى الله عنه على أن أمره بأن يضع كتابا فى النحو ، تناقضه هذه القراءة ﴿ يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴾ يعتدّن هذه المدة وهى أربعة أشهر وعشرة أيام ، وقيل عشراً ذهابا إلى الليالى والأيام داخلة معها ، ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين إلى الأيام . تقول : صمت عشراً<sup>(١)</sup> ، ولو ذكرت خرجت من كلامهم . ومن البين فيه قوله تعالى ( إن لبئتم إلا عشراً ) ثم ( إن لبئتم إلا يوما ) ﴿ فإذا بلغن أجلهن ﴾ فإذا انقضت عدتهن ﴿ فلا جناح عليكم ﴾ أيها الأئمة وجماعة المسلمين ﴿ فيما فعلن فى أنفسهن ﴾ من التعرّض للخطاب ﴿ بالمعروف ﴾ بالوجه الذى لا ينكره الشرع . والمعنى أنهن لو فعلن ما هو منكركان على الأئمة أن يكفوهن . وإن فزطوا كان عليهم الجناح ﴿ فيما عرضتم به ﴾ هو أن يقول لها إنك لجميلة أو صالحة أو نافقة ومن غرضى أن أتزوج ، وعسى الله أن ييسر لى امرأة صالحة ، ونحو ذلك من الكلام الموهوم أنه يريد نكاحا حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ، ولا يصرح بالنكاح ، فلا يقول : إني أريد أن أنكحك ، أو أتزوجك ، أو أخطبك . وروى ابن المبارك عن عبد الله بن سليمان عن خالته قالت : دخل على أبو جعفر محمد بن على وأنا فى عدتي فقال : قد علت قرايتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الإسلام ، فقلت : غفر الله لك ! أنخطبني فى عدتي وأنت يؤخذ عنك ؟ فقال : أوقد فعلت ! إنما أخبرتك بقرايتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى ، قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبى سلمة فتوفى عنها ، فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصر فى يده من شدة تحامله عليها ، فما كانت تلك خطبة<sup>(٢)</sup> . فإن قلت : أى فرق بين الكناية والتعريض ؟ قلت : الكناية أن تذكر الشئ بغير لفظه الموضوع له ، كقولك : طویل النجاد والحائل لطول القامة<sup>(٣)</sup>

== لأن الأسود كان ممن يفهم عنه أنه لافرق عنده بين الكسر والفتح وهو الظاهر ، وعلى ذلك أجابه أبو الأسود ، فلا تناقض حينئذ .

(١) قال محمود رحمه الله : « تقول : صمت عشراً . . الخ » قال أحمد رحمه الله : ومنه ومن صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر ، فغلب الليالى أو كان الصوم غير متصور فيها حتى قالوا : إن شرطه النية وزمانها الليل ، فهذا جعل لها حظاً فى الصوم وغلبها .

(٢) هكذا هو فى كتاب النكاح لابن المبارك ورواه الدارقطني من رواية محمد بن الصلت عن عبد الرحمن بن سليمان - وهو ابن الفسيل - نحوه بنحوه .

(٣) قوله دلطول القامة، لعله : لطويل . (ع)

وكثير الرماد للضياف . والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره ، كما يقول المحتاج للحتاج إليه : جئتكم لأسلم عليكم ، ولا نظر إلى وجهك الكريم . ولذلك قالوا :

\* وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقْضِيًّا \*

وكانه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريد (أو أكنتم في أنفسكم) أو سترتم وأخضرت في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لامعرضين ولا مصرحين (علم الله أنكم ستذكروهن) لاحالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه ، وفيه طرف من التوبيخ كقوله : (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) . فإني قلت : أين المستدرك بقوله <sup>(١)</sup> (ولكن لاتواعدوهن) ؟ قلت : هو محذوف لدلالة ستذكروهن عليه ، تقديره : علم الله أنكم ستذكروهن فاذكروهن ، ولكن لاتواعدوهن سراً . والسرو وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء ، لأنه مما يسر . قال الأعشى :

وَلَا تَقْرَبَنَّ مِنْ جَارَةٍ إِنْ سَرَّهَا عَلَيْكَ حَرَامٌ فَإِنْ كُنَّ أَوْ تَأْبَدَا <sup>(٢)</sup>

ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لأنه سبب فيه كما فعل بالنكاح (إلا أن تقولوا قولاً

(١) قال محمود رحمه الله : إن قلت أين المستدرك بقوله ولكن ... الخ . قال أحمد رحمه الله : وقويت دلالة هذا المذكور على ما حذف ، لأن المعتاد في مثل هذه الصيغة ورود الإباحة عقيباً . ونظير هذا النظم قوله تعالى (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن) الآية . ولهذا الحذف سر والله أعلم ، وهو أنه اجتناب لأن الإباحة لم تنسحب على الذكر مطلقاً ، بل اختصت بوجه واحد من وجوهه وذلك الوجه المباح عصر التبرع عما لم يبيح ، فذكرت مستثناة بقوله (إلا أن تقولوا قولاً معروفاً) تنبيهاً على أن المحل ضيق والأمر فيه عصر والأصل فيه الحظر ، ولا كذلك الوطء في زمن ليل الصوم فإنه أبيع مطلقاً غير مقيد ، فلذلك صدر الكلام بالإباحة والتوسعة ، وجاء التبي عن مباشرة المعتكفة والمسجد تلوا للإباحة وتبعاً في الذكر ، لأنها حالة فاذة والمنع فيها لم يكن لأجل الصوم ، ولكن الأمر يتعلق به من حيث المصاحب وهو الاعتكاف ، فتفظن لهذا السر فإنه من غرائب النكت .

(٢) ولا تمسحون من يأس ذي ضرارة ولا تمسحون المال للبره مغلدا  
ولا تقربن من جارة إن سرها عليك حرام فانكحن أو تأبدا

للأعشى يميون بن قيس . والبائس : البقير المحتاج . والضرارة : الدعي . وإسناد الاخلاص إلى المال مجاز ، لأنه سببه على التوهم . وتقرب - بفتح الراء - بمعنى تفعل ، فن زائدة . وجارة : مفعول ، ويضمها بمعنى تدنو ، فن أصلية . وروى : ولا تقربن جارة - بتشديد النون - وعلى كل فهو كناية عن التهي عن الوطء . والسر : ضد الجهر ، واستعمل هنا في الموطن مجازاً لأنه يقع فيه ، أو لأنه مما يسر . والنكاح : عقد الزوجية . ويقال : أيد الوحشي أبودا ، وتأيد تأبدا : نفر عن الأئیس ، وألفه هنا متقلبة عن نون التوكيد في الوقف ، والمراد منه التباعد مجازاً ، والمخاطب بذلك ليس معينا . ونهاه عن الدنو منها لأنه أبلغ من تبينه عن وطئها ، ثم قال : فزوج أو اعتزل النساء كالوحش .

معروفاً) وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا . فإن قلت : هم يتعلق حرف الاستثناء ؟ قلت : بلا . تواعدوهن ، أى لا تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة . أى لا تواعدوهن إلا بأن تقولوا ، أى لا تواعدوهن إلا بالتعريض . ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعاً من (سراً) لأدائه إلى قولك لا تواعدوهن إلا التعريض . وقيل معناه : لا تواعدوهن جماعاً ، وهو أن يقول لها إن نكحتك كان كيت وكيت ، يريد ما جرى بينهما تحت اللحاف . إلا أن تقولوا قولاً معروفاً يعنى من غير رقت ولا إغشاش في الكلام . وقيل لا تواعدوهن سراً : أى في السر على أن المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن ، لأن مسارتهم في الغالب بما يستحيا من المجاهرة به . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ( إلا أن تقولوا قولاً معروفاً ) ، هو أن يتوائفاً لا يتزوج غيره ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح ﴾ من عزم الأمر وعزم عليه ، وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح في العدة . لأن العزم على الفعل يتقدمه ، فإذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه : ولا تعزموا عقد عقدة النكاح . وقيل : معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح : وحقيقة العزم : القطع ، بدليل قوله عليه السلام : لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل ، وروى « لمن لم يبيت الصيام » (١) ، ﴿ حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ يعنى ما كتب وما فرض من العدة ﴿ يعلم ما فى أنفسكم ﴾ من العزم على ما لا يجوز ﴿ فاحذروه ﴾ ولا تعزموا عليه . ﴿ غفور حلیم ﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة .

لأَجْنَحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بِيَدِكُمْ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)

( لا جناح عليكم ) لا تبعه عليكم من إيجاب مهر ( إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ) ما لم تجمعهن ( أو تفرضوا لهن فريضة ) إلا أن تفرضوا لهن فريضة ، أو حتى تفرضوا ، وفرض الفريضة : تسمية المهر . وذلك أن المطلقة غير المدخول بها إن سعى لها مهر فلها نصف المسمى ، وإن لم يسع لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة . والدليل على أن الجناح تبعه المهر قوله :

(١) أخرجه أصحاب الدين من حديث حفصة بالفظ ، لمن لم يجمع ، وقوله : وروى « لمن لم يبيت » ، هي عند السائق .

(وإن طلقتموهن) إلى قوله (فنصف ما فرضتم) فقوله: فنصف ما فرضتم: إثبات للجنح المنقبة، والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند أبي حنيفة، إلا أن يكون مهر مثلها أقل من ذلك. فلها الأقل من نصف مهر المثل ومن المتعة، ولا ينقص من خمسة دراهم؛ لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها. و﴿الموسع﴾ الذي له سعة. و﴿المقتر﴾ الضيق الحال. و﴿وقدره﴾ مقداره الذي يطيقه، لأن ما يطيقه هو الذي يختص به. وقرئ بفتح الدال. والقدر والقدر لغتان. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل من الأنصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرأ، ثم طلقها قبل أن يمسه: «أمتعتها؟» قال: لم يكن عندي شيء. قال: «متعها بقلنسوتك»<sup>(١)</sup>. وعند أصحابنا لا تجب المتعة إلا لهذه وحدها، وتستحب لساائر المطلقات ولا تجب. «متاعا» تأكيد لمتعهن، بمعنى تمتيعا «بالمعروف» بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة «حقا» صفة لمتاعا، أي متاعا واجبا عليهم. أو حق ذلك حقا «على المحسنين» على الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتع، وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وسلم: من قتل قتيلًا فله سلبه<sup>(٢)</sup>، «إلا أن يعفون» يريد المطلقات. فون قلت: أي فرق بين قولك: الرجال يعفون، والنساء يعفون؟ قلت: الواو في الأول ضميرهم، والنون علم الرفع. والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن، والفعل مبنى لا أثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب، ويعفو: عطف على محله. و﴿الذي بيده عقدة النكاح﴾ الولي<sup>(٣)</sup>

(١) لم أجده.

(٢) تقدم في صفحة ٣٥ من هذا الجزء.

(٣) قال محمود رحمه الله: «والذي بيده عقدة النكاح الولي... الخ» قال أحمد رحمه الله: هذا النقل وهم فيه الزعشري عن الثامني رضى الله عنه، فإن مذهبه موافق لمذهب أبي حنيفة رضى الله عنه في أن المراد به الزوج. وإنما ذهب إلى أن المراد الولي الإمام مالك رضى الله عنه، وصدق الزعشري أنه قول ظاهر الصحة، عليه رونق الحق وظلاوة الصواب لوجه:

الأول: أن الذي بيده عقدة النكاح ثابتة مستقرة هو الولي، وأما الزوج فله ذلك حالة العقد المتقدم خاصة، ثم هو بعد الطلاق، والكلام حينئذ ليس من عقدة النكاح في شيء البتة، فإن قيل: أطلق عليه ذلك بعد الطلاق بتأويل «كان» مقدرة، فلا يخفى على المتصف ما في ذلك من البعد والخروج من حد إطلاق الكلام وأصله.

الثاني: أن الخطاب الأول للزوجات اتفاقا بقوله (إلا أن يعفون) وفيهن من لا عفو لها البتة كالأمه والبيكر، فلولا استتمام التقسيم بصرف الثاني إلى الولي على ابنته البكر أو أمته، وإلا لزم الخروج عن ظاهر عموم الأول، وحيث حل الكلام على الولي صار الكلام بمعنى: إلا أن يعفون كن أهلا للعفو، أو يعفو لمن إن لم يكن أهلا، ولهذا كان الولي الذي يعفو ويعتبر عفوهُ عند مالك: هو الأب في ابنته البكر، والسيد في أمته خاصة.

الثالث: أن الكتاب العزيز جدير بتناسب الأقسام وانتظام أطراف الكلام، والأمر فيه على هذا المحمل بهذه المثابة، فإن الآية حينئذ مشتملة على خطاب الزوجات ثم الأولياء ثم الأزواج بقوله (ولا تنسوا الفضل بينكم) فتكون على هذا الوجه ملية بالفوائد جامعة للقاصد.

يعنى إلا أن تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبهن بنصف المهر ، وتقول المرأة : مارأتى ولاخدمته ولااستمتع بى فكيف آخذ منه شيئا ، أو يعفو الولي الذى يلى عقد نكاحهن ، وهو مذهب الشافعى . وقيل هو الزوج ، وعفوه أن يسوق إليها المهر كاملا ، وهو مذهب أبى حنيفة والأقول ظاهر الصحة . وتسمية الزيادة على الحق عفواً فيها نظر ، إلا أن يقال كان الغالب عندهم أن يسوق إليها المهر عند التزوج ، فإذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ماساق إليها ، فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها . أو سماه عفواً على طريق المشاكلة . وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها فأكمل لها الصداق وقال : أنا أحتق بالعفو . وعنه أنه دخل على سعد بن أبى وقاص فعرض عليه بنتاً له فتزوجها ، فلما خرج طلقها وبعث إليها بالصداق كاملا ، فقيل له : لم تزوجتها ؟ فقال : عرضها على فكرهت رده ، قيل : فلم بعث بالصداق ؟ قال : فأين الفضل ؟ <sup>(١)</sup> و﴿الفضل﴾ التفضل . أى ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض وتتمروا ولا تستقصوا : وقرأ الحسن : أن يعفو الذى ، بسكون الواو . وإسكان الواو والياء فى موضع النصب تشبيه لهما بالآلاف لأنهما أختاها . وقرأ أبو نهيك : وأن يعفو ، بالياء . وقرئ : ولا تنسو الفضل ، بكسر الواو .

== الرابع : أن المضاف إلى صاحب عقدة النكاح العفو كما هو مضاف إلى الزوجات ، والعفو : الاسقاط لغة وهو المراد فى الأول اتفاقا ، إذ انضاف إلى الزوجات هو الاسقاط بلا ريب ، ولو كان المراد بصاحب العقدة الزوج لثنين حمل العفو على تكميل المهر وإعطائه مالا يستحق عليه ، وهذا إنما يطابقه من الأسماء التفضل . ومن ثم قال فى خطاب الأزواج ( ولا تنسوا الفضل بينكم ) لأن البذل من جهته غير مستحق عليه فهو فضل لا عفو . ولا يقال : لعل الزوج تعجل المهر كاملا قبل الطلاق وطلق فيجب استرجاع النصف فيسقطه ويدفو عنه حينئذ يبقى العفو من جانب الزوج على ظاهره وحقيقته ، لأننا نقول : حسبنا فرد هذا الوجه ما فيه من الكفاية وتقدير ما الأصل خلافه .

الخامس : أن صدر الآية خطاب للأزواج فى قوله : ( وإن طلقتموهن ) إلى قوله ( فرضتم ) فلو جاء قوله ( أو يدفو الذى يده عقدة النكاح ) مراداً به الزوج لكان عدولا واتفاقا من الخطاب إلى الغيبة ، وليس هذا من مواضعه ، ولأجل هذا جاء قوله ( ولا تنسوا الفضل بينكم ) على صيغة الخطاب ، لأن المراد به الأزواج لخطابهم أولا

السادس : أن قوله ( إلا أن يعفون ) وما عطف عليه استثناء من قوله ( فنصف ما فرضتم ) وأصل الكلام : فنصف ما فرضتم واجب عليكم إلا أن يدفو عنه الزوجات فليس بواجب عليكم إذا ، فإذا حمل الكلام على الولي استقام ، إذ هم لو كملوا المهر لمن فالنصف واجب عليهم ولا يتغير ولا يخالف الحالة المستثناة عما وقع منه الاستثناء ، فلا يجرى الاستثناء على حقيقته فى المخالفة بين الأول والثانى ، إلا أن يقال : مقتضى قوله ( فنصف ما فرضتم ) واجب عليكم : أن النصف الآخر غير مؤدى إليهن لأنه ساقط عن الزوج ، ناذ عفا بمعنى كمل المهر فقد صار النصف الآخر مؤدى إليهن ، فى هذا التأويل من الكفاية ما يسقط مؤنة رده .

(١) أخرجه الطبري من طريق ابن أبى ذئب عن سعيد بن محمد بن جبير عن جده جبير بن مطعم به سواء .

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

(الصلاة الوسطى) أي الوسطى بين الصلوات ، أو الفضلى ، من قولهم للأفضل : الأوسط . وإنما أفردت وعطفت على الصلاة <sup>(١)</sup> لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الأحزاب ، شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملائكة الله يوتهم ناراً <sup>(٢)</sup> ، وقال عليه السلام : إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب <sup>(٣)</sup> ، وعن حفصة أنها قالت لمن كتب لها المصحف : إذا بلغت هذه الآية فلا تكن بها حتى تأمليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها ، فأملت عليه : والصلاة الوسطى صلاة العصر <sup>(٤)</sup> . وروى عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم : والصلاة الوسطى وصلاة العصر <sup>(٥)</sup> ؛ بالواو .

(١) قوله « وعطف على الصلاة » لعله : على الصلوات . (ع)

(٢) أخرجه مسلم من رواية شتير بن شكل عن علي بنه . والحديث في الكتب الستة ، إلا أن قوله « صلاة العصر » عند مسلم وحده . وأخرجه البخاري في المنازى والجهاد والتفسير وفي الباب عن ابن مسعود رفعه « الصلاة الوسطى صلاة العصر » أخرجه الترمذى . وعنده عن سمرة نحوه .

(٣) أخرجه ابن عدى في الكامل عن علي مرفوعاً . قال وصلاة الوسطى صلاة العصر التي غفل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب ، وفي إسناده مقاتل بن سليمان . وهو ساقط ، ورواه ابن أبي شيبة من رواية أبي إسحاق عن الحرث ابن علي مرفوعاً ، وهو أشبه بالصواب . وفي الباب عن ابن عباس موقوفاً عند الطبري .

(٤) أخرجه الطبري من طريق أبي بشر عن سالم عن حفصة أنها أمرت رجلاً فكتب لها مصحفاً . فقالت : إذا بلغت هذا المكان فأعطني . فلما بلغ (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) قالت : اكتب : صلاة العصر . وفي رواية له : فقالت له واكتب فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، هكذا عند الطبري . والمشهور عن حفصة أنها أملت على الكاتب : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر . كذلك رواه مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم عن عمرو بن رافع أنه قال : كنت أكتب مصحفاً لحفصة فذكره . ورواه ابن حبان من رواية ابن إسحاق : حدثني أبو جعفر محمد بن دلي ونافع بن عمرو بن نافع مولى عمر بن الخطاب حديثهما أنه كان يكتب المصاحف في عهد أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فاستكتبتي حفصة مصحفاً وقالت : إذا بلغت هذه الآية من هذه السورة - البقرة - فلا تكن بها حتى تأتيني بها فأملها عليك كما حفظتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فلما بلغت جنتها بالورقة التي أكتبها : فقالت لي : اكتب حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر . وهذا الوجه أخرجه أبو يعلى وطيحاوي . ورواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن نافع عن حفصة نحوه وكذا رواه الطبري من طريق عبد الله بن عمر عن نافع : أن حفصة أمرت مولى لها : وأخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف من نحو عشرين طريقاً فيها كلها وصلاة العصر بالواو .

(٥) أما عائشة فروى مسلم من طريق أبي يونس مولى عائشة قال : أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت إذا بلغت هذه الآية فأذني . فلما بلغت أذنتها فأملت على : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر ، وقالت ==



فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين : إحداهما الصلاة الوسطى ، إما الظهر ، وإما الفجر وإما المغرب ، على اختلاف الروايات فيها ، والثانية : العصر ، وقيل : فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعاشهم . وعن ابن عمر رضى الله عنهما : هى صلاة الظهر <sup>(١)</sup> ، لأنها في وسط النهار ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلها بالهاجرة ، ولم تكن صلاة أشد على أصحابه منها . وعن مجاهد : هى الفجر لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل . وعن قبيصة بن ذؤيب : هى المغرب ، لأنها وتر النهار ولا تنقص في السفر من الثلاث <sup>(٢)</sup> : وقرأ عبد الله : وعلى الصلاة الوسطى : وقرأت عائشة رضى الله عنها ( والصلاة الوسطى ) بالنصب على المدح والاختصاص . وقرأ نافع : الوسطى ، بالصاد ﴿ وقوموا لله ﴾ في الصلاة ﴿ قاتنين ﴾ ذا كرين لله في قيامكم . والقنوت : أن تذكر الله قائما . وعن عكرمة : كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا . وعن مجاهد : هو الركود وكف الأيدي والبصر . وروى أنهم كانوا إذا قام أحدهم إلى الصلاة هاب الرحمن أن يمدّ بصره أو يلتفت ، أو يقلب الحصا ، أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا ﴿ فإن خفتم ﴾ فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره ﴿ فرجالا ﴾ فصلوا راجلين ، وهو جمع راجل كقائم وقيام ، أو رجل . يقال : رجل رجل ، أى راجل . وقرئ : فرجالا . بضم الراء ، ورجالا . بالتشديد ، ورجلا . وعند أبي حنيفة رحمه الله : لا يصلون في حال المشي والمسابقة مالم يمكن الوقوف : وعند الشافعى رحمه الله : يصلون في كل حال ، والراكب يومئ ويسقط عنه التوجه إلى القبلة ﴿ فإذا أمتتم ﴾ فإذا زال خوفكم ﴿ فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ من صلاة الأمان ، أو فإذا أمتتم فاشكروا الله على الأمان ، واذكروه بالعبادة ، كما أحسن إليكم بما عليكم من الشرائع ، وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الأمان .

وَالَّذِينَ يُتَوَقَّؤْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ

== سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذا أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى ومالك والشافعى وأحمد من هذا الوجه . وأما ابن عباس فرواه الطبرى وابن أبى داود فى المصاحف من رواية أبى إسحاق عمر بن مريم عن ابن عباس د أنه كان يقرأها كذلك .

(١) أخرجه الطبرى من رواية أبى عقيل زهرة بن معبد أن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وإبراهيم بن طاحه سألوا ابن عمر عن الصلاة الوسطى . فقال : هى الظهر .

(٢) أخرجه الطبرى من رواية إسحق بن أبى فردة عن رسل عن قبيصة بن ذؤيب قال : الصلاة الوسطى صلاة المغرب . ألا ترى أنها ليست بأقلها ولا أكثرها ، ولا تقصر في السفر ؟ وإسحق متروك ، وشيخه مجهول .

غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا مِنْ مَّعْرُوفٍ  
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

تقديره فيمن قرأ وصية بالرفع : ووصية الذين يتوفون ، أو وحكم الذين يتوفون وصية لأزواجهم ، أو والذين يتوفون أهل وصية لأزواجهم . وفيمن قرأ بالنصب : والذين يتوفون يوصون وصية ، كقولك : إنما أنت سير البريد ، يا ضمار تسير . أو والزم الذين يتوفون وصية . وتدل عليه قراءة عبدالله : كتب عليكم الوصية لأزواجكم متاعاً إلى الحول ، مكان قوله ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول ﴾ وقرأ أبي : متاع لأزواجهم متاعاً . وروى عنه : فتاع لأزواجهم . ومتاعاً فنصب بالوصية ، إلا إذا أضمرت يوصون ، فإنه نصب بالفعل . وعلى قراءة أبي متاعاً نصب بمتاع ، لأنه في معنى التمتع ؛ كقولك : الحمد لله حمد الشاكرين ، وأعجبني ضرب لك زيداً ضرباً شديداً . و﴿ غير إخراج ﴾ مصدر مؤكد ، كقولك : هذا القول غير ما تقول . أو بدل من متاعاً . أو حال من الأزواج ، أى غير مخرجات . والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملاً ، أى ينفق عليهم من تركته ولا يخرج من مساكنهم ، وكان ذلك في أول الإسلام ، ثم نسخت المدة بقوله ( أربعة أشهر وعشراً ) وقيل : نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ، ونسخت النفقة بالإرث الذى هو الربع والثمن . واختلف في السكنى ، فعند أبي حنيفة وأصحابه : لا سكنى لمن ﴿ فيما فعلن في أنفسهن ﴾ من التزين والتعرض للخطاب ﴿ من معروف ﴾ مما ليس بمنكر شرعاً . فإن قلت : كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة ؟ قلت : قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهى متأخرة في التنزيل ، كقوله تعالى ( سيقول السفهاء ) مع قوله ( قد نرى قلب وجهك في السماء ) .

وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
مَا بَيَّنَّهَ لَكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

﴿ والمطلقات متاع ﴾ عم المطلقات بإيجاب المتعة لمن بعد ما أوجبها لواحدة منهن وهى المطلقة غير المدخول بها ، وقال ﴿ حقاً على المتقين ﴾ كما قال ثمة : حقاً على المحسنين . وعن سعيد بن جبير وأبي العالية والزهرى : أنها واجبة لكل مطلقة . وقيل قد تناولت التمتع الواجب والمستحب جميعاً . وقيل : المراد بالمتاع نفقة العدة .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ  
مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾

(ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين ، وتعجيب من شأنهم . ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع ، لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب . روى أن أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هارين ، فأماهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه . وقيل . مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابه تعجبا بما رأى ، فأوحى إليه : ناد فيهم أن قوموا ياذن الله ، فنادى ، فنظر إليهم قياما يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت . وقيل : هم قوم من بنى إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرا من الموت ، فأماهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم ﴿ وهم أُلُوف ﴾ فيه دليل على الألوف الكثيرة . واختلف في ذلك ، فقيل عشرة ، وقيل ثلاثون ، وقيل سبعون . ومن بدع التفسير ( أُلُوف ) متألفون ، جمع آلف كقاعد وقعود . فإن قلت : ما معنى قوله ﴿ فقال لهم الله موتوا ﴾ ؟ قلت : معناه فأماهم ، وإنما جرى به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا مائة رجل واحد بأمر الله ومشيئته ، وتلك مائة خارجة عن العادة ، كأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير إباء ولا توقف ، كقوله تعالى ( إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ) وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة ، وأن الموت إذا لم يكن منه بدٌ ولم ينفع منه مفر ، فأولى أن يكون في سبيل الله ﴿ لذو فضل على الناس ﴾ حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون ، كما بصر أولئك ، وكما بصركم باقتصاص خبرهم . أولذو فضل على الناس حيث أحيى أولئك ليعتبروا ويفوزوا ، ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم البعث . والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد : ما أتبعه من الأمر بالتقاتل في سبيل الله ﴿ واعلموا أن الله شامع ﴾ يسمع ما يقوله المتخلفون والسايقون ﴿ عليم ﴾ بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء .

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ

يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

إقراض الله : مثل لتقديم العجل الذى يطلب به ثوابه . والقرض الحسن : إما المجاهدة في نفسها ،

ولما النفقة في سبيل الله ﴿أضعافا كثيرة﴾ قيل: الواحد بسبعائة. وعن السدي: كثيرة لا يعلم كنهها إلا الله ﴿والله يقبض ويبسط﴾ يوسع على عباده ويقتر، فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدل لكم الضيقة بالسعة ﴿والله ترجعون﴾ فيجازيكم على ما قدمتم.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ  
أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِثَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ  
الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ  
دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

﴿لنبيهم﴾ هو يوشع أو شمعون أو اشمويل ﴿أبعث لنا ملكا﴾ أنهض للقتال معنا أميراً  
نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره، طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها، ومن أمرهم بطاعته وامتنال أو امره.  
وروى أنه أمر الناس إذا سافروا أن يجعلوا أحدهم أميراً عليهم ﴿نقاتل﴾ قرئ بالنون والجزم  
على الجواب. وبالنون والرفع على أنه حال، أي ابعث لنا مقدرين القتال. أو استئناف كأنه قال  
لهم: ما تصنعون بالملك؟ فقالوا: نقاتل. وقرئ: يقاتل بالياء والجزم على الجواب، وبالرفع  
على أنه صفة للملك. وخبر عسيتم ﴿ألا تقاتلوا﴾ والشرط فاصل بينهما. والمعنى: هل قادرت  
أن لا تقاتلوا؟ يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون؟ أراد أن يقول: عسيتم أن لا تقاتلوا،  
بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال، فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون. وأراد بالاستفهام  
التقرير، وتثبيت أن المتوقع كائن، وأنه صائب في توقعه <sup>(١)</sup>، كقوله تعالى (هل أتى على الإنسان)  
معناه التقرير. وقرئ (عسيتم) بكسر السين وهي ضعيفة ﴿وما لنا ألا نقاتل﴾ وأي داع لنا  
إلى ترك القتال، وأي غرض لنا فيه ﴿وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ وذلك أن قوم جالوت  
كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، فأسروا من أبناء ملوكهم أربعائة وأربعين  
﴿إلا قليلا منهم﴾ قيل كان القليل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر ﴿والله عليم بالظالمين﴾ وعيد  
لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد.

(١) قوله دأته صائب في توقعه، في الصحاح: صاب السهم القرطاس يصيبه، لغة في أصابه. (ع)

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ  
الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ  
اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ  
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

﴿طالوت﴾ اسم أعجمي كجالت وداود. وإنما امتنع من الصرف لتعريفه ومجتمه، وزعموا أنه من الطوال لما وصف به من البسطة في الجسم. ووزنه إن كان من الطول ففعلوت، منه، أصله طولوت، إلا أن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه، إلا أن يقال: هو اسم عبراني وافق عرياً، كما وافق حنطاً حنطة، وبشالا هارخمانا رخيماً بسم الله الرحمن الرحيم، فهو من الطول كما لو كان عرياً، وكان أحد سببيه العجمة لكونه عبرانياً ﴿أنى﴾ كيف ومن أين، وهو إنكار لتلكه عليهم واستبعاد له. فإن قلت: ما الفرق بين الواوين في (ونحن أحق)، (ولم يؤت)؟ قلت: الأولى للحال، والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالاً، قد انتظمتهما معاً في حكم واو الحال. والمعنى: كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك، وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به. وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط لاوى بن يعقوب والملك في سبطيهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين، ولأنه كان رجلاً سقاماً أو دباغاً فقيراً. وروى أن نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكاً، فأتى بعضاً يقاس بها من يملك عليهم، فلم يساوها إلا طالوت ﴿قال إن الله اصطفاه عليكم﴾ يريد أن الله هو الذي اختاره عليكم، وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله. ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكرنا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة. والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لأجله من أمر الحرب. ويجوز أن يكون عالماً بالديانات وبغيرها. وقيل: قد أوحى إليه ونبي، وذلك أن الملك لا بد أن يكون من أهل العلم، فإن الجاهل مزدرى غير منتفع به، وأن يكون جسيماً يملأ العين جهازة لأنه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب. والبسطة: السعة والامتداد. وروى أن الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه ﴿يؤتي ملكه من يشاء﴾ أى الملك له غير منازع فيه، فهو يؤتيه من يشاء: من يستصلحه للملك ﴿والله واسع﴾

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت ما الفرق بين الواوين... الخ، قال أحد رحمه الله: وحاصل هذا أن الواو الأولى أفادت جاتها الحالية بنفسها وأفادت الجملة الثانية الحالية أيضاً لكن بواسطة الواو العاطفة. وهذا النظر من السهل الممتنع.

الفضل والعطاء ، يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر ﴿عليم﴾ بن يصطفيه للملك .

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

﴿التابوت﴾ صندوق التوراة . وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفترقون . والسكينة : السكون والطمأنينة ، وقيل : هي صورة كانت فيه من زجر جد أو ياقوت ، لها رأس كراس الهر وذنوب كذنبه وجناحان ، فتن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمشون معه ، فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر ، وعن علي رضي الله عنه : كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح هفاقة ﴿وبقية﴾ هي رصاص الألواح وعصى موسى وثيابه وشيء من التوراة ، وكان رفعه الله تعالى بعد موسى عليه السلام فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه ، فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت . وقيل : كان مع موسى ومع أنبياء بني إسرائيل بعده يستفتحون به ، فلما غيرت بنو إسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في أرض جالوت ، فلما أراد الله أن يملك طالوت أصحابهم بيلا حتى هلكت خمس مدائن ، فقالوا : هذا بسبب التابوت بين أظهرنا ، فوضعه على ثورين ، فساقهما الملائكة إلى طالوت . وقيل كان من خشب الشمشام ممقوها بالذهب . نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين . وقرأ أي وزيد بن ثابت : التابوت بالهاء وهي لغة الأنصار . فإن قلت : ما وزن التابوت ؟ قلت : لا يخلو من أن يكون فعلوتا<sup>(١)</sup> أو فاعولا ، فلا يكون فاعولا ، لقلته ، نحو : سلس وقلق ، ولأنه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف إليه . فهو إذاً فعلوت ، من التوب ، وهو الرجوع ؛ لأنه ظرف توضع فيه الأشياء وتودعه ، فلا يزال يرجع إليه ما يخرج منه ، وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاج إليه من مودعاته . وأما من قرأ بالهاء فهو فاعول ، عنده ، إلا فيمن جعل هاء بدلا من التاء ، لاجتماعهما في الهمس وأنهما من حروف الزيادة . ولذلك أبدلت من تاء التأنيث . وقرأ أبو السمال : سَكِينَةٌ ، بفتح السين والتشديد وهو غريب . وقرئ : يحمله ، بالياء . فإن قلت : من ﴿آل موسى وآل هرون﴾ ؟ قلت : الأنبياء من بني يعقوب بعدهما .

(١) قال محمود رحمه الله : «وزن التابوت فعلوت ... الخ ، قال أحد رحمه الله : يريد لأن الفاء تاء واللام

كذلك والعرب تستعمل ما فاؤه ولامه حرف واحد لأنه توأم التكرار .

لأن عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان أولاد يعقوب آلها . ويجوز أن يراد : مما تركه موسى وهرون . والآل مقسم لتفخيم شأنهما .

فَلَمَّا قَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّكَلَّفُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

(فصل) عن موضع كذا : إذا انفصل عنه وجاوزه ، وأصله : فصل نفسه ، ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدى كالفصل . وقيل : فصل عن البلد فصولا . ويجوز أن يكون : فصله فصلا ، وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما . والمعنى : انفصل عن بلده (بالجنود) روى أنه قال لقومه : لا يخرج معي رجل بني بناء لم يفرغ منه ، ولا تاجر مشغول بالتجارة ، ولا رجل متزوج بامرأة لم يبن عليها ، ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ . فاجتمع إليه مما اختاره ثمانون ألفا ، وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة ، فسألوا أن يجرى الله لهم نهرا ، ف(قال إن الله مبتليكم) بما اقترحتموه من النهر (فمن شرب منه) فمن ابتداء شربه من النهر بأن كرع فيه (فليس مني) فليس بمنصل بي ومتحد معي ، من قولهم : فلان مني ، كأنه بعضه ؛ لاختلاطهما واتحادهما . ويجوز أن يراد فليس من جملتي وأشياعي (ومن لم يطعمه) ومن لم يذقه ، من طعم الشيء ، إذا ذاقه . ومنه طعم الشيء ، لمذاقه . قال :

\* وَإِنْ شِئْتَ لَمْ أَطْعَمْ نَقَاحًا <sup>(١)</sup> وَلَا بَرْدًا \* <sup>(٢)</sup>

ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم . ويقال : ما ذقت غمماضا . ونحوه من الابتلاء :

(١) قوله لم أطعم نقاحا ، هو الماء المذب الذي يتفخ الفؤاد ببرده . والنفخ : النفث . وهو كسر الرأس عن الدماغ . (ع)

(٢) فإني شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاحا ولا بردا . للرجي . وتاء شئت يحتمل أنها المتكلم ، وأنها للنخاطبة وهو أبلغ . وغاطب الواحدة بلفظ جمع المذكر تعظيما . ولم أطعم : أي لم أتناول . والنقاح : بالفاء والخاء المعجمة - : الماء المذب البارد . والبرد : النوم ، وعن بعض العرب : منع البرد البرد ، وهو من باب الجناس التام ، والرجي : هو عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، نسبة لمرج الطائف .

ما ابتلى الله به أهل آية من ترك الصيد مع إتيان الحيتان شرعاً، بل هو أشد منه وأصعب. وإنما عرف ذلك طالوت بإخبار من النبي. وإن كان نبياً - كما يروى عن بعضهم - فبالوحى. وقرئ (بهر) بالسكون. فإن قلت: ثم استثنى قوله ﴿إلا من اغترف﴾؟ قلت: من قوله (فمن شرب منه فليس مني) <sup>(١)</sup> والجملة الثانية في حكم المتأخرة، إلا أنها قدمت للعناية كما قدم (والصابئون) في قوله (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون) ومعناه: الرخصة في اغتراف الغرقة باليد دون الكروع، والدليل عليه قوله ﴿فشربوا منه﴾ أى فكرعوا فيه ﴿إلا قليلاً منهم﴾ وقرئ (غرفة) بالفتح بمعنى المصدر، وبالضم بمعنى المغروف. وقرأ أبى والأعشى: إلا قليل، بالرفع. وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانباً، وهو باب جليل من علم العربية. فلما كان معنى (فشربوا منه) في معنى فلم يطيعوه، حمل عليه، كأنه قيل: فلم يطيعوه إلا قليل منهم. ونحوه قول الفرزدق:

... .. لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف <sup>(٢)</sup>

كأنه قال: لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف. وقيل: لم يبق مع طالوت إلا ثلثمائة وثلاثة عشر

(١) قال محمود رحمه الله: «استثنى من قوله (فمن شرب منه فليس مني) ... الخ،: قال أحد رحمه الله: وفي هذه الآية تقوية لمن ذهب إلى أن الاستثناء المتعقب للجمال لا يتعين عوده إلى الأخيرة لاحتمال عوده إلى ما قبلها. ورد على من منع ذلك محتجاً بامتناع الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بإجتناب من الاستثناء. ولذلك حقق عوده إلى الأخيرة، وتوقف في انصافه على ما تقدمها، فيجوز عنده أن يعود على الجميع مع الأخيرة. وأما عوده على ما قبل الأخيرة دونها فتعذر عند هذا القائل فلم يصف في العود إلى الأخيرة هذه الشبهة. وقد بين القاضي أبو بكر صلاحية عوده إلى ما قبل الأخيرة دونها رداً على هذا القائل، واستشهد بقوله تعالى (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعله الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً) ووجه استشهاده: أن المعنى يأبى انصاف هذا الاستثناء إلى الجملة الأخيرة ويعين عوده إلى ما قبلها وسيأتى بيان ذلك عند الكلام على الآية.

(٢) إليك أمير المؤمنين رمت بنا شعوب النوى والموجل المتعسف

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف

للفرزدق. يقول: يا أمير المؤمنين، قذفنا إليك طرق البعد، لكن الرأى به في الحقيقة دواعي النفس، فاستناد الرأى إلى الشعوب مجاز عقلي: أوشبه الطرق بمن يصح منه الرأى على سبيل المكينة، والمراد بالرأى البعث مجازاً، والموجل: الطويل الأحمق، أى البعير المتعسف الحائد عن سنن الطريق، أو الطريق الطويل المعوج، فهو عطف خاص على عام. وشبه الزمان المجذب يذى ناب على طريق المكينة، واستناد النص له تخييل. والمسحت: البقية القليلة من الشيء، يقال سحته وأسحته إذا استأمله، والأولى لغة الحجاز، والثانية لغة نجد. والمجلف: المنقرض من جوازه، يقال جلفه كضربه إذا قشره أو فطمه. والجائفة أبلغ من الجالفة، وقبل: المسحت والمجلف، الذى أخذ منه ماله أو ذلك منه، وكان الواجب نصب الاستثناء: لأنه لا وجه للرفع، لكن روعى فيه معنى التثنية فرفع، أى لم يبق من المال إلا هما. وروى: إلا مسحتاً أو مجلف، فرفع الثاني عطفاً على المعنى. روى أنه سئل: لم خالفت بينهما فقال: قلت ذلك لتشقي به النحويون. ونداء عبد الملك بن مروان في الموضوعين للتعظيم والاستعطاف.



رجلاً (والذين آمنوا) يعني القليل (قال الذين يظنون) يعني الخالص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه. أو الذين يتقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلتقون الله، والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوح البصيرة. وقيل: الضمير في (قالوا لا طاقة لنا) للكثير الذين اتخذوا، والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه، كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما. يظهر أولئك عذرهم في الانخزال، ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به. وروى أن الغرفة كانت تسكني الرجل لشربه وإداوته. والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلهم العطش.

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبِيعًا وَبُتُّ أَقْدَامَنَا  
وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ  
وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ  
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾

و (جالوت) جبار من العالقة من أولاد عمليق بن عاد، وكانت يبضته فيها ثلثة رطل (و ثبت أقدامنا) وهب لنا ما ثبت به في مداحض الحرم قوة القلوب وإلقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الأسباب. كان أيشي أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيهِ، وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم، فأوحى إلى اشمويل أن داود بن أيشي هو الذي يقتل جالوت، فطلبه من أبيه، فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يخمله وقالت له: إنك تقتل بنا جالوت، فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله، وزوجه طالوت بنته. وروى أنه حسده وأراد قتله ثم تاب (وأتاه الله الملك) في مشارق الأرض المقدسة ومغارها، وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود (والحكمة) والنبوة (وعلمه مما يشاء) من صنعة الدروع، وكلام الطير والدواب وغير ذلك (ولولا دفع الله الناس) ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكفهم فسادهم، لغلّب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض. وقيل: ولولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الأرض بحيث الكفار فيها وقتل المسلمين. أو لو لم يدفعهم بهم لعمّ الكفر ونزلت السخطة فاستوصل أهل الأرض.

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

(تلك آيات الله) يعني القصص التي اقتضها، من حديث الآلوف وإماتهم وإحيائهم،

وتملك طالوت وإظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء ، وغلبة الحبارة على يد صبي (بالحق) باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك (وإنك لمن المرسلين) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار .

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ  
دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ  
مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَيَنْهَضُ مِنْ  
ءَامِنٍ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقْنَعُوا بِمَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا  
خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)

(تلك الرسل) إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة ، أو التي ثبت عليها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (فضلنا بعضهم على بعض) لما أوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات (منهم من كلم الله) منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام . وقرئ (كلم الله) بالنصب . وقرأ الباقى : كلم الله ، من المكمله ، ويدل عليه قولهم : كلم الله ، بمعنى مكلمه (ورفع بعضهم درجات) أى ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء ، فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم درجات كثيرة . والظاهر أنه أراد محمداً صلى الله عليه وسلم (١) لأنه هو المفضل عليهم ، حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر . ولولم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلاً منيفاً على سائر ما أوتي الأنبياء ، لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات . وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى ، لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذى لا يشبهه ، والمتميز الذى لا يلبس . ويقال للرجل : من فعل هذا ؟ فيقول :

(١) قال محمود رحمه الله : والظاهر أنه أراد محمداً عليه الصلاة والسلام ... الخ ، قال أحد رحمه الله : وإنما أوردت هذا الفصل من كلامه استحضاراً له لفظاً ومعنى ، وتركاً بإعطاء المصطفى عليه الصلاة والسلام من الفضل بعض حقه . وأصاب الزمخشري في قوله : حيث أوتي النبي عليه الصلاة والسلام من الفضل المنيف على سائر ما أوتي الأنبياء ، على الجميع الصلاة والسلام . وليس كما يقال عن بعض أهل العصر من تفضيل النبي عليه الصلاة والسلام على كل واحد واحد من آحاد الأنبياء . ويبنى الوقوف عن نسبته له ، فإنه من العلماء الأعلام وعهد دين الاسلام ، والوجه التوريك بالغلط على النقلة عنه .

أحدكم أو بعضكم ، يريد به الذى تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال ، فيكون أنعم من التصريح به وأنوه بصاحبه . وسئل الخطيئة عن أشعر الناس ؟ فذكر زهيراً والناطقة ثم قال : ولو شئت لذكرت الثالث ، أراد نفسه ، ولو قال : ولو شئت لذكرت نفسى ، لم يفهم أمره . ويجوز أن يريد : إبراهيم ومحمداً وغيرهما من أولى العزم من الرسل . وعن ابن عباس رضى الله عنه : كنا فى المسجد نتذاكر فضل الأنبياء ، فذكرنا نوحاً بطول عبادته ، وإبراهيم بخلته ، وموسى بتكليم الله إياه ، وعيسى برفعه إلى السماء ، وقلنا : رسول الله أفضل منهم ، بعث إلى الناس كافة ؛ وغفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الأنبياء . فدخل عليه السلام فقال : فيم أتم ؟ فذكر ناله . فقال : لا ينبغي لأحد أن يكون خيراً من يحيى بن زكريا ، فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهيم بها <sup>(١)</sup> . فإن قلت : فلم خص موسى وعيسى من بين الأنبياء بالذكر ؟ قلت : لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة . ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات ، فلما كان هذان النبيان قد أوتيا ما أوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر فى باب التفضيل . وهذا دليل بين أن من زيد تفضيلاً بالآيات منهم فقد فضل على غيره . ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذى أوتى منها ما لم يوت أحد فى كثرتها وعظمتها . كان هو المشهود له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع ، اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ﴿ ولو شاء الله ﴾ مشيئة إلهاء وقسر <sup>(٢)</sup> ﴿ ما قتل الذين ﴾ من بعد الرسل ، لاختلافهم فى الدين ، وتشعب مذاهبهم ، وتكفير بعضهم بعضاً ﴿ ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ﴾ لالتزامه دين الأنبياء ﴿ ومنهم من كفر ﴾ لإعراضه عنه ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ﴾ كثره للتأكيد <sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه إسماعيل بن راهويه : أخبرنا أبو عاصم العبادى أخبرنا علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عنه به . ورواه البزار والطبراني وابن مردويه من حديث ابن عاصم العبادى به . وهو ضعيف وشيخه مجهول .

(٢) قوله ومشية إلهاء وقسر ، يعنى أنه أراد عدم الاقتال ، لكن لا إرادة قسر ، ولذلك تخلف المراد عنها ، وهذا مذهب المعتزلة . وأما عند أهل السنة فليس هناك إرادة يتخلف عنها المراد ، بل كل ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، كما بين فى محله . (ع)

(٣) قال محمود رحمه الله : وكرر ولو شاء الله للتأكيد ، قال أحد رحمه الله : ورواه التأكيد سر أخص منه ، وهو أن العرب متى بنت أول كلامها على مقصد ثم اعترضها مقصد آخر وأرادت الرجوع إلى الأول ، فصدت ذكره إما بتلك العبارة أو بقریب منها ، وذلك عندهم بهيج من القضاة مسلوك ، وطريق معتد . وكان جدى لأمى أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير يمد فى كتاب الله تعالى مواضع فى هذا المعنى : منها قوله تعالى ( من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً ) ومنها قوله تعالى ( ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموا أن تظنهم فتصديقهم منهم معرفة بغير علم ) إلى قوله ( لوتزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم ) وهذه الآية من هذا الخط ، لما صدر الكلام بأن اقتتلهم كان على وفق المشيئة . ثم طال الكلام ، وأريد بيان أن مشيئة الله تعالى كما نفذت فى هذا الأمر الخاص وهو اقتتال هؤلاء فهى نافذة فى كل فعل واقع ، وهو المعنى المعبر عنه فى قوله ( ولكن الله يفعل ما يريد ) طراً ذكر تعلق المشيئة بالاقتتال لتلوه عموم تعلق المشيئة لتناسب

﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ من الخذلان والعصمة ﴿أنفقوا مما رزقناكم﴾ أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ لا تقدرُونَ فيه على تدارك ما فاتكم من الاتفاق لأنه ﴿لا يبيع فيه﴾ حتى تتابعوا ما تنفقونه ﴿ولا خلة﴾ حتى يساعكم أخلاؤكم به . وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب <sup>(١)</sup> لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حط الواجبات ، لأن الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير <sup>(٢)</sup> ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ أراد والشاركون الزكاة هم الظالمون ، فقال (والكافرون) للتغليظ ، كما قال في آخر آية الحج (ومن كفر) مكان : ومن لم يحج ، ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله (وويل للشركين الذين لا يؤتون الزكاة) وقرئ لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، بالرفع .

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ <sup>(٢٥٥)</sup>

﴿الحى﴾ الباقي الذى لا سبيل عليه للفناء ، <sup>(٣)</sup> وهو على اصطلاح المتكلمين الذى يصح أن يعلم

== الكلام ونعرف كل بـشكله . فهذا سر ينشرح لبيانه الصدر ويرتاح السر ، والله الموافق . وأى قدم يثبت للاعتزال قباله هذا ؟ لأنه الدائرة القاطعة لدابره ، الكافلة بالرد على متحلته وناصره . ولذلك جوزها الزمخشري لاغتصاصها على تأويله ، واعتصاصها بالنصوصية من حبله ونحوه .

(١) قال محمود رحمه الله : «ومعناه : إن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم ... الخ ، قال أحمد رحمه الله : أما القدرية ، فقد وطنوا أنفسهم على حرمان الشفاعة وهم جدير أن يحرموا . وأدلة أهل السنة على إثباتها للعصاة من المؤمنين أوسع من أن تحصى . وما أنكرها القدرية إلا لا يجابههم مجازاة الله تعالى للطبع على الطاعة والمعاصي على المعصية إيجاباً عقلياً على زعمهم . فهذه الحالة في إنكار الشفاعة نتيجة تلك الضلالة . وقد تقدم جواب عن التسك بطلاق مثل هذه الآية في نفي الشفاعة ، ونعده فنقول : أيام القيامة متعددة والشفاعة في بعضها ثابتة ، فكل ماورد مفهماً لتنفها حل على الأيام الخالية منها جميعاً الأدلة ، كما ورد قوله تعالى : (ناذانخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وورد (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) وورد (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) وورد (وقفهم أنهم مسؤولون) ولا تخلف في أمثال هذه الآى باتفاق إلا الحمل على تمدد أوقات القيامة واختلاف أحوالها وأيامها ، وكذلك أمر الشفاعة سواء . رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في زمرة السنة والجماعة .

(٢) قوله «لأن الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير» هذا مذهب المعتزلة ، وعند أهل السنة قد تكونت في تخفيف العذاب أيضاً . (ع)

(٣) قوله «الحى الباقي الذى لا سبيل عليه .. الخ» المعتزلة يفرون من أن يثبتوا لله صفة وجودية كالحياة التى تنافى الموت فلذا فسر الحى بما قال . (ع)

ويقدر. و﴿القيوم﴾ الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه. وقرئ: القيام، والقيم. والسنة: ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس. قال ابن الرقاق العامل:

وَسَنَانٌ أَقْصَدُهُ النَّعَاسُ فَرَنْقَتْ فِي عَيْنَيْهِ سِنَةً وَلَيْسَ بِنَائِمٍ (١)

أى لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم؛ لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً. ومنه حديث موسى: أنه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية: أينام ربنا؟ فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلاثاً ولا يتركوه ينسام، ثم قال: خذ بيدك قارورتين مملوءتين، فأخذهما، وألقى الله عليه النعاس فضرب إحداهما على الأخرى فانكسرتا، ثم أوحى إليه: قل لهؤلاء إني أمسك السموات والأرض بقدرتي، فلو أخذني نوم أو نعاس لزلتا (٢) (من ذا الذي يشفع عنده) يبان

(١) لولا الحياء وإن رأى قد عني فيه المشيب لورت أم القاسم  
وكانها بين النساء أعارها عينه أحور من جآذر جاسم  
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

لعدى بن الرقاق في تشييب مدح الوليد بن عبد الملك. وعن الأصمعي: أنه لاخذ بن الرقاق. وعنى يعنى كسبي يسمى، وعاك يعبث كماش يعيش: سار على وجه الانساد. وروى «عسى» بالسین أى ظهر وانتشر واشتد، فمضى هنا تامة لانافسة. وأم القاسم: كنية محبوبة. وبين النساء: أى دون النساء، وقد روى كذلك أيضاً. و«أحور» فاعل «أعار» والجور: صفاء سواد العين وبياضها. والجآذر: جمع جؤذر وهو ولد الظبية. وجاسم: موضع بعينه. وسنان: نعت أحور. وأقصدت الرجل: إذا طعنته فلم تحظى بمقتله، أى أصابه النعاس وهو ما يتقدم النوم من الفتور والغفلات. ورتق الماء: كدر. وترنق: تنكدر. ورتقه وأرتقه: كدوره ورتق الطائر ترنيقا، إذا وقف في الهواء صافاً جناحه يريد الوقوع. فالعنى: وقفت في عينه سنة. ويجوز أن المعنى: رنقت عينه سنة، أى كدرتها. وأقم «في» لأنه جعل العين ظرفاً للترنق، وهذا يشمر بتشبيه العين بالماء في شدة الصفاء. والسنة من وسن فهو وسنان، فهي من باب عدة. وسبب النوم: ربح يقوم في أغشية الدماغ، فاذا وصل إلى العين فترت، وهذا هو الوسن، وإذا وصل إلى القلب وتمسك منه زال إدراك الحواس، وهذا هو النوم؛ فذلك نفاه مع إثبات السنة.

(٢) قلت قوله «وذلك» من قومه كطلب الرؤية، من كلام الزخشرى، أدرجه في الخبر. فقد رواه عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (لأنأخذه سنة ولا نوم) أن موسى سأل الملائكة: هل ينام الله عز وجل؟ فذكره، وقد رواه أبو يعلى والطبري والدارقطني الأفراد وابن مردويه والبيهقي في الصفات، كلهم من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل عن هشام بن يوسف عن أمية بن سبل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى عليه السلام قال دوقع في نفس موسى: هل ينام ربنا؟ فأرسل إليه ملكاً فأرقه، ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما. قال: فجعل ينام ويكاد يده يلتصقان فيستيقظ فيحس إحداهما على الأخرى حتى نام نومة. فاصطفت يده فانكسرت القارورتان. قال: ضرب الله له مثلاً: إن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض، ورواه البيهقي موقوفاً وقال: هذا هو الأشج. وقال الدارقطني تفرد به الحاكم عن عكرمة وأمه عن الحكم وهشام عن أمية. وقال الخطيب: رواه معمر عن الحكم عن عكرمة من قوله. ولم يذكر أباه هريرة. ولا النبي صلى الله عليه وسلم. قلت: ورواية =

للكونه وكبريائه ، وأن أحدا لا يتكلم أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام ، كقوله تعالى ( لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ) ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ ما كان قبلهم وما يكون بعدهم . والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء ، أو لما دل عليه ﴿ من ذا ﴾ من الملائكة والأنبياء ﴿ من عليه ﴾ من معلوماته ﴿ إلا بما شاء ﴾ إلا بما علم . الكرسي : ما يجلس عليه ، ولا يفضل عن مقعد القاعد . وفي قوله ﴿ وسع كرسيه ﴾ أربعة أوجه <sup>(١)</sup> : أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته ، وما هو إلا تصوير لعظمته وتخيل فقط ، ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد ، كقوله ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ من غير تصور قبضة وطى ويمين ، وإنما هو تخيل لعظمة شأنه وتمثيل حسي . ألا ترى إلى قوله ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ . والثاني : وسع عليه وسعى العلم كرسيه تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم . والثالث : وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع : ما روى أنه خلق كرسيه هو بين يدي العرش دون السموات والأرض ، وهو إلى العرش كأصغر شيء . وعن الحسن : الكرسي هو العرش ﴿ ولا يؤوده ﴾ ولا يثقله ولا يشق عليه ﴿ حفظه ﴾ حفظ السموات والأرض ﴿ وهو العلى ﴾ الشأن ﴿ العظيم ﴾ الملك والفدرة . فإن قلت : كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي <sup>(٢)</sup> من غير حرف عطف ؟ قلت : ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل

== عبد الرزاق ترد عليه . لكنها موقوفة . وقد ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية وقال : يشبه أن يكون عكرمة تلقاه عن كتب أهل الكتاب . قال : وقد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة له عن سعيد بن جبير « أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام : هل ينام ربنا ، قال : وهذا هو الصحيح .

(١) قال محمود رحمه الله : « وفي قوله تعالى « وسع كرسيه السموات والأرض » أربعة أوجه . . . الخ . قال أحمد رحمه الله : قوله في الوجه الأول أن ذلك تخيل للعظمة سوء أدب في الإطلاق وبعد في الإضرار ، فالتخيل إنما يستعمل في الأباطيل وما ليست له حقيقة صدق ، فإن يكن معنى ما قاله صحيحا فقد أخطأ في التعبير عنه بعبارة موهمة لا تدخل لها في الأدب الشرعي ، وسيأتي له أمثالها مما يوجب الأدب أن يجنب .

(٢) عاد كلامه قال : « فإن قلت : كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي وما بالها لم تعطف بالواو ؟ قلت : لأنها كلها في حكم البيان والبيان متعده بالمبين فدخل الواو بينهما - كما تقول العرب - دخول بين العسا ولحائها ، فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه ، والثانية لكونه سالكا لتدبيره ، والثالثة لكبريائه شأنه ، والرابعة للاحاطة بأحوال الخلق ، والخامسة لسمعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها . وقد وردت آثار في تفضيلها . منها قوله عليه السلام « ما فرئت هذه الآية في دار إلا اجتفتها الشياطين ثلاثين يوما ، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة ، يا علي عليها ولدك وأهلك وجيرانك فإني نزلت آية أعظم منها » وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على أعراد المبر يقول « من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنه من دخول الجنة إلا الموت ، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد . ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمانه الله على نفسه وجاراه وجاراه والآيات حوله » وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فدل على أين أنتم من آية الكرسي ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا علي ، سيد البشر آدم ، وسيد العرب محمد ولا نظر ، وسيد الفرس سلمان ، وسيد الروم صهيبي ، وسيد ==

البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين ، فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب : بين العصا<sup>(١)</sup> ولحائها ، فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيئاً عليه غير ساه عنه. والثانية لكونه مالكا لما يدبره . والثالثة لكبرياء شأنه . والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق ، وعليه بالمراضى منهم المستوجب للشفاعة ، وغير المرتضى . والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها ، أو لجلاله وعظم قدره . فان قلت : لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله صلى الله عليه وسلم : ما قرئت هذه الآية في دار إلا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة ، يا عليّ عليها ولدك وأهلك وجيرانك ، فما نزلت آية أعظم منها<sup>(٢)</sup> وعن عليّ رضي الله عنه : سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم على أعواد المنبر وهو يقول : « من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ، ومن قرأها إذا

== الحبشة بلال ، وسيد الجبال طور سيناء ، وسيد الأيام يوم الجمعة ، وسيد الكلام القرآن ، وسيد القرآن البقرة ، وسيد البقرة آية الكرسي » . وإنما فضلت لما فضلت له سورة الاخلاص ، من اشتغالها على توحيد الله وتظيمه وتمجيد صفاته العظيم . قال أحد : وكان جدى رحمه الله عليه يقول : اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل عليه آية من أسماء الله عز وجل وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ، ظاهرا في بعضها ومستكنا في بعض ، ويظهر لكثير من العادين منها ستة عشر إلا على بصير حاد البصيرة لدقة استخراجها . الأول الله ، الثاني هو ، الثالث الحى ، الرابع القيوم ، الخامس ضمير لأنأخذه ، السادس ضمير له ، السابع ضمير عنده ، الثامن ضمير إلا بأذنه ، التاسع ضمير يعلم ، العاشر ضمير عليه ، الحادى عشر ضمير شاء ، الثانى عشر ضمير كرسبه ، الثالث عشر ضمير ولا يؤده ، الرابع عشر وهو ، الخامس عشر العلى ، السادس عشر العظيم . فهذه عدة الأسماء البينة . وأما الحنى فالضمير الذى اشتمل عليه المصدر فى قوله (حفظهما) فانه مصدر مضاف إلى المفعول ، وهو الضمير البارز ، ولا بد له من فاعل وهو الله ، ويظهر عند ذلك المصدر فيقول : ولا يؤده أن يحفظهما هو . وكان الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل المرمى قد رام الزيادة على هذا العدد لما أخبرته به عن الجد رحمه الله فقال : يمكن أن يعد ما فى الآية من الأسماء المشتقة كل واحد منها بأيتين . لأن كل واحد يتحمل ضميراً ضرورة كونه مشتقا . وذلك الضمير إنما يعود إلى الله تعالى ، وهى باعتبار ظهورها اسم وقد اشتملت على آخر مضمر ، فيكون جملة العدد على هذا النظر أحداً وعشرين اسما ، وكنت قد أجزيت معه فى تعدد الزيادة المذكورة وجها لطيفا ، وهو أن الاسم المشتق لا يتحمل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علما على الأصح ، وهذه الصفات كلها أسماء الله تعالى ، ثم ولو فرضناها متحملة للضماير بعد التسمية على سبيل التنزيل ، فالمشتق إنما يقع على موصوفه باعتبار تحمله ضميره . ألا تراك إذا قلت : زيد كريم ، وجدت كريماً ، إنما يقع على زيد ، لأن فيه ضميره ، حتى لو جردت النظر إليه لم تجده مختصا بزيد ، بل لك أن توقعه على كل موصوف بالكريم من الناس ، ولا تجده مختصا بزيد إلا باعتبار اشتغاله على ضميره ، فليس المشتق إذاً مستقلا بوقوعه على موصوفه إلا بضميمة الضمير إليه ، فلا يمكن أن يجعل له حكم الانفراد عن الضمير مع الحكم برجوعه إلى معين البتة ، فرضى الشيخ المذكور عن هذا البحث وصوبه والله الموفق للصواب .

(١) قوله « بين العصا ولحائها » فى الصحاح : اللحاء - ممدود - قشر الشجر . وفى المثل : لاتدخل بين العصا ولحائها . (ع)

(٢) لم أجده .

أخذ مضجعه أمته الله على نفسه وجاره وجار جاره والآيات حوله <sup>(١)</sup> وتذاكر الصحابة رضوان الله عليهم أفضّل ما في القرآن ، فقال لهم على رضى الله عنه : أين أتم عن آية الكرسي ، ثم قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا على ، سيد البشر آدم ، وسيد العرب محمد ولا غير ، وسيد الفرس سلمان ، وسيد الروم صهيب ، وسيد الحبشة بلال ، وسيد الجبال الطور ، وسيد الأيام يوم الجمعة ، وسيد الكلام القرآن ، وسيد القرآن البقرة ، وسيد البقرة آية الكرسي <sup>(٢)</sup> » ، قلت : لما فضلت له سورة الإخلاص لاشتغالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ، ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكره له كان أفضل من سائر الأذكار . وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله علم أهل العدل والتوحيد <sup>(٣)</sup> ولا يمتزك عنه كثرة أعدائه :

فَإِنَّ الْعَرَّانِينَ تَلَقَّاهَا مُحَسَّدَةً وَلَا تَرَى لِلنَّاسِ حُسَادًا <sup>(٤)</sup>

\*\*\*

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَبُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ <sup>(٥)</sup>

﴿ لا إكراه في الدين ﴾ أى لم يجبر الله على الإيمان على الإيجاب والقسر ، ولكن على التمكن والاختيار . ونحوه قوله تعالى ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تذكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ أى لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل ، وبني الأمر على الاختيار ﴿ قد تبين الرشد من الغي ﴾ قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ﴾

(١) أخرجه البيهقي في الشعب من طريق ابن إسحاق عن حبة بن جوين العرفي ، سمعت على بن أبي طالب يقول : فذكره دون قوله « ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد » : وذكره مائمه . وفي إسناده نهشل بن سعيد وهو متروك . وكذلك حبة العرفي ، وأخرجه أيضاً من حديث أنس بلفظ « من قرأ في دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي حفظ إلى الصلاة ، ولا يحافظ عليها إلا بنى أو صديق أو شهيد » وإسناده ضعيف وصدر الحديث أخرجه النسائي وابن حبان . من حديث أبي أمامة ، وإسناده صحيح ، وله شاهد عن المغيرة بن شعبه عند أبي نعيم في الحلية من رواية محمد بن كعب القرظي عنه ، وغفل ابن الجوزي فأخرجه في الموضوعات .

(٢) لم أجده . وقد ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج ابنه .

(٣) قوله « علم أهل العدل والتوحيد » المعتزلة سمو أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، وعلم التوحيد أشرف العلوم في نفسه لا بقيد إضافته إلى فرقة من أهله ، اللهم إلا عند المتعصب . (ع)

(٤) للمغيرة شاعر آل المهلب . وقيل للهلوية : ما أكثر حسادكم ، أشدوه . والعرائن : الخيار الأشراف ودلن ، لتوكيد النفي . ويروى : ولا ترى . ويروى : ما ترى . والتثيم : الخسيس ، والنام جمعه . وحساد : بضم الحاء . جمع حاسد . أى ليس للتثيم الناس حاسداً ، فهو من مقابلة الجمع بالجمع . وفتحها على أنه مفرد أبلغ من حيث المعنى ، حيث نفى الواحد عن الجمع نفياً شمولياً .



فمن اختار الكفر بالشیطان أو الأصنام والإيمان بالله ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ من الحبل الوثيق المحكم ، المأمون انفصامها ، أى انقطاعها . وهذا تمثيل للعلوم بالنظر ، والاستدلال بالمشاهد المحسوس ، حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه ، فيحكم اعتقاده واليقن به . وقيل : هو إخبار فى معنى الهى ، أى لا تتكرهوا فى الدين . ثم قال بعضهم : هو منسوخ بقوله ﴿ جاهد الكفار والمنافقين واغلاظ عليهم ﴾ وقيل : هو فى أهل الكتاب خاصة لأنهم حصنوا أنفسهم بأداء الجزية . وروى أنه كان لأنصارى من بنى سالم بن عرف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال : والله لأدعكما حتى تسلبا ، فأيا ، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأنصارى : يا رسول الله أيدخل بعضى النار وأنا أنظر ؟ فنزلت ، فغلاهما (١)

اللَّهُ وَلِىُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

﴿ الله ولى الذين آمنوا ﴾ أى أرادوا أن يؤمنوا يطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأيده من الكفر إلى الإيمان . ﴿ والذين كفروا ﴾ أى صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك . أو الله ولى المؤمنين يخرجهم من الشبه فى الدين - إن وقعت لهم - بما يهديهم ويوفقهم له من حلها ، حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين ﴿ والذين كفروا أولياؤهم ﴾ الشياطين ﴿ يخرجونهم ﴾ من نور البينات التى تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُبْحِى وَيُمِْيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِى

(١) أخرجه الراحدى فى أسبابه من قول مسروق ، وكذلك البغوى ، وقد أخرج الطبرى من رواية أبى إسحاق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : نزلت فى رجل من الأنصار من بنى سالم بن عرف يقال له . الحصين : كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلما ، فقال : يا رسول الله ، ألا أستكرهما فأنزله الله تعالى (لا إكراه فى الدين ... الآية) .

يُنْجِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ  
أَبَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ  
لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ  
نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

(الم تر) تعجيب من محاجة نمرود في الله وكفره به ﴿أن آتاه الله الملك﴾ متعلق بحاج  
على وجهين <sup>(١)</sup> :

أحدهما حاج لأن آتاه الله الملك ، على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعقو لحاج  
لذلك ، أو على أنه <sup>(٢)</sup> وضع المحاجة في ربه موضع ماوجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك ،  
فسكان المحاجة كانت لذلك ، كما تقول : عاداني فلان لأنني أحسنت إليه ، تريد أنه عكس ما كان  
يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان . ونحوه قوله تعالى : ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ .  
والثاني : حاج وقت أن آتاه الله الملك . فإن قلت : كيف جاز أن يوثق الله الملك الكافر ؟ قلت : فيه  
قولان : آتاه ماغلب به وتسלט من المال والخدم والاتباع ، وأما التغليب والتسليط فلا . وقيل :  
ملكه امتحانا لعباده <sup>(٣)</sup> . و﴿إذ قال﴾ نصب بحاج أو بدل من آتاه إذ جعل بمعنى الوقت ﴿أنا

(١) قال محمود : د إن آتاه متعلق بحاج على وجهين ... الخ ، قال أحمد : عفا الله عنه ، والوجهان قريبان من  
حيث المعنى ، إلا أن بينهما في الصناعة فرقا ، وهو إنما استعمل المصدر في الأول مفعولا من أجله ، وفي الثاني ظرفا .  
وقد وقعت المصادر ظرفا في مثل : خفوق النجم ، ومقدم الحاج ، وأمثال ذلك . وإنما وقعت حاجته بهذا الظرف  
لاشتياله على إيتاء الملك الحامل له على البطر ، أو على وضع كفر النعمة فيه مكان شكرها . وهذان المعنيان هما المذكوران  
في الوجه الأول بينهما ؛ فلماذا نهيت على أن الفرق بين الوجهين صناعى لا معنوى . والله الموفق لمعانى كلامه .

(٢) قوله د أو على أنه ، لعله : أو على معنى أنه . (ع)

(٣) قال محمود : د فإن قلت كيف جاز أن يوثق الله الملك الكافر ؟ قلت : ذلك على وجهين : أحدهما آتاه  
ماغلب به وتسלט من المال والخدم والاتباع ، فأما التغليب والتسليط فلا . الثاني أن يكون ملكه امتحانا لعباده ،  
قال أحمد : السؤال مبنى وروده على قاعدة فاسدة ، وهى اعتقاد وجوب مراعاة ما يتوهمه القدرية صلاحا أو أصلا  
على الله تعالى في أفعاله ، وكل ذلك من أصول القدرية التى اجتنبها البرهان القاطع فلما من قرار . وأما إيراد السؤال  
على صيغة : لم آتاه الله الملك وهو كافر ؟ أو لم أفعل كذا وكذا ؟ لجواب رده على الاطلاق في قوله تعالى (لا يستل  
عما يفعل وهم يستلون) لو سمع الصم البكم . والله ولى التوفيق . (عاد كلامه) قال ومعنى قوله أنا أحى وأبى :  
أستقر عن القتل وأقتل ، وكان الاعتراض عنيدا ولكن إبراهيم عليه السلام لما سمع جوابه الاحق لم يحاجه فيه  
ولكنه انتقل إلى ما لا يقدر فيه على مثل ذلك لبيته أولشى . وهذا دليل على جواز الانتقال للجدال من حجة =

أحي وأميت) يريد أعفو عن القتل<sup>(١)</sup> وأقتل. وكان الاعتراض عتيداً ولكن إبراهيم لم يسمع جوابه الا حق لم يحاجه فيه، ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليهته أول شيء.. وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة. وقرئ: (فبهِت الذي كفر) أي فغلب إبراهيم الكافر. وقرأ أبو حيوة: فبهِت، بوزن قرب. وقيل: كانت هذه المحااجة حين كسر الأصنام وبجته نمرود، ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له: من ربك الذي تدعو إليه؟ فقال: ربى الذي يحيي ويميت. (أو كالذى) معناه: أو أ رأيت مثل الذى مر<sup>(٢)</sup> نحذف لدلالة (ألم تر) عليه: لأن كليهما كلمة تعجيب. ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ، كأنه قيل: أ رأيت كالذى حاج إبراهيم أو كالذى مر على قرية. والمآزر كان كافراً<sup>(٣)</sup> بالبعث، وهو الظاهر لا انتظامه مع نمرود في سلك

== إلى حجة. قال أحد: وقد التزم غير واحد من العلماء أن هذا الذى صدر من الخليل عليه الصلاة والسلام ليس بانتقال من الحجة، ولكن من المثال. وأما الحجة فهي استدلاله على ألوهية الله تعالى بتعلق قدرته بما لا يجوز تعلق قدرة الحادث به، ثم هذا له أئمة منها الأحياء والاماتة، ومنها: الاتيان بالشمس من المشرق. والدول بعد قيام الحجة وتمهيد الفاءة من مثال إلى مثال ليس يبدع عند أهل الجدل والله أعلم.

(١) قوله ويريد أعفو عن القتل، في الصحاح عفوت عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه. وفيه: أعفنى من الخروج معك أى دعنى منه. (ع)

(٢) قال محمود: ومعناه أو أ رأيت مثل الذى مر... الخ، قال أحد: ومثل هذا النظم يحذف منه فعل الرؤية كثيراً، كقوله: قال لما كلاً لم أسرعى كال يوم مطلوباً ولا طالباً يريد لم أ رأ كال يوم نحذف الفعل وحرف النى. والظاهر حمل الآية على الوجه الأول لوجود نظيره، والله أعلم.

(٣) (عاد كلامه) قال والمآزر كان كافراً بالبعث وهو الظاهر لا انتظامه مع نمرود في سلك واحد. وقيل: كان مؤمناً وهو عزيز أو المخضر، وأراد أن يماين الأحياء كالطلب إبراهيم. وقوله يوماً، بناء على الظن. روى أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيوبة الشمس فقال - قبل النظر إلى الشمس - يوماً، ثم التفت فرأى بقية منها فقال: أو بعض يوم، انتهى كلامه. قال أحد: أما استدلال الزمخشري على أن المآزر كان كافراً بانتظامه مع نمرود في سلك واحد، فعارض بأنه نظام، قصته مع قصة إبراهيم عليه السلام في نسق واحد، فليس الاستدلال على كفره باقتراح قصته مع قصة نمرود، أولى من الاستدلال على إيمانه بانتظامه أيضاً مع قصة إبراهيم، إلا أن يقول: إن قصة هذا المآزر معطوفة على قصة نمرود عطفت تشريك في الفعل، منطوقاً به في الأولى ومحدوفاً من الثانية، مدلولاً عليه بذلك أولاً، ولا كذلك عطفت قصة إبراهيم فانها مصدرية بالواو التى لا تدخل في كثير من أحوالها للتشريك، ولكن لتحسين النظم حتى تتوسط بين الجمل التى يعلم تماثلها لذلك الغرض، ولا كذلك عطفتها في قصة نمرود، فانه بأو التى لا تستعمل إلا مشركة، إذ عطفت التحسين اللفظي خاص بالوارف فتقول: إذا انتهى الترجيع إلى هذا التدقيق فهو معارض بما بين قصة المآزر وقصة إبراهيم من التناسب المعنوى، لأن طلبتهما واحدة، إذ المآزر سأل معاينة الأحياء، وكذلك طلب إبراهيم ثم التناسب المعنوى أرجح من التعلق بأمور لفظية ترد إلى أنحاء مختلفة ويؤيد القول بأن المآزر كان مؤمناً بتحريه في قوله تعالى ( يوماً أو بعض يوم ) فان ظاهره الاحتراز من التحريف في القول حتى لا يعبر عن جل اليوم باليوم حذراً من إيهام طلبته بجملة اليوم. ومثل هذا التحرى لا يصدر عن معطل، والله أعلم. ولا يقال إنما صدر منه هذا التحرى بعد أن حي وآمن، لأننا نقول إنما آمن على القول بكفره بعد ظهور الآيات، يدل عليه قوله تعالى ( فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ) وأما التحرى المذكور فكان أول القصة قبل ==

ولكلمة الاستبعاد التي هي: أتى يحيى. وقيل هو عزيز أو الخضر، أراد أن يعاين إحياء الموق  
ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم عليه السلام. وقوله: ﴿أتى يحيى﴾ اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة  
الإحياء، واستعظام لقدرة المحي. والقرية: بيت المقدس حين خربه بختنصر. وقيل: هي التي خرج  
منها الألوف ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ تفسيره فيما بعد. ﴿يوماً أو بعض يوم﴾ بناء على الظن.  
روى أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيوبة الشمس، فقال قبل النظر إلى الشمس: يوماً،  
ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال: أو بعض يوم. وروى أن طعامه كان تينا وعنبا. وشرابه  
عصيراً أو لبناً، فوجد التين والعنب كما جنيا، والشراب على حاله ﴿لم يتسنه﴾ لم يتغير، والهاء  
أصلية أو هاء سكت. واشتقاقه من السنة على الوجهين، لأن لامها هاء أو واو، وذلك أن  
الشيء يتغير بمرور الزمان. وقيل: أصله يتسنن، من الحما المسنون، فقلبت نونه حرف علة،  
كتقضى البازي. ويجوز أن يكون معنى ﴿لم يتسنه﴾ لم تمر عليه السنون التي مرت عليه، يعنى هو  
بحاله كما كان كأنه لم يلبث مائة سنة. وفي قراءة عبد الله: فانظر إلى طعامك وهذا شرابك لم  
يتسن. وقرأ أبى: لم يسنه، بإدغام التاء في السين ﴿وانظر إلى حمارك﴾ كيف تفرقت عظامه  
ونخرت، وكان له حمار قد ربطه. ويجوز أن يراد: وانظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته، وذلك  
من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء، كما حفظ طعامه وشرابه من التغير  
﴿ولنجعلك آية للناس﴾ فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ مامعه. وقيل: أتى قومه  
راكب حماره وقال: أنا عزيز، فكذبوه، فقال: هاتوا التوراة فأخذ يهذهها هذا<sup>(١)</sup> عن ظهر  
قلبه وهم ينظرون في الكتاب، فما خرم حرفاً، فقالوا: هو ابن الله. ولم يقرأ التوراة ظاهراً  
أحد قبل عزيز، فذلك كونه آية. وقيل: رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخاً وهو شاب،  
فاذا حدثهم بحديث قالوا: حديث مائة سنة ﴿وانظر إلى العظام﴾ هي عظام الحمار أو عظام الموق  
الذين تعجب من إحيائهم ﴿كيف ننشروها﴾ كيف نحياها. وقرأ الحسن: ننشرها، من نشر

==الایمان وما قدرت هذا السؤال إلا لنكتة يذكرها المفسر الآن نشعر بإرادته على الترجيح المذكور. ثم هذه  
الجزء التي نقلها الزحشرى في خلال كلامه من أنه إنما قال: أو بعض يوم لما رأى بقية من الشمس لم يكن رأياً  
أول كلامه فاستدرك الأمر، فيما نظر دقيق لم أفق عليه لأحد من أورد الحكاية في تفسيره. وذلك أن الأمر إذا  
كان على ما تضمنته، وكلام المار المذكور بنى أولاً على الجزم بأنه لبث يوماً ثم جزم آخر أن لبث إنما كان بعض يوم  
لرؤية بقية من الشمس، وكان مقتضى التعبير عن حاله أن يقول: بل بعض يوم، مضرباً عن جزمه الأول إلى جزمه  
الثاني، لأن دأبه، إنما تدخل في الخبر إذا انتهى أوله على الجزم ثم عرض في آخره شك، ولا جزم بالنقيض،  
فالحكاية المذكورة توجب أن يكون الموضع د بل، لا د أو، إذ موضع د بل، جزم بنقيض الأول، فإذا  
استقر ذلك فالظاهر من حال المار أنه كان أولاً جازماً ثم شك لا غير اتباعاً لمقتضى الآية، وعدولاً عن الحكاية  
التي لا تثبت إلا بأسناد قاطع، فيضطر إلى تأويل، فتأمل هذا النظر فإنه من لطيف النكت، والله الموفق.

(١) قوله د فأخذ يهذهها، أى يسرع بها، أفاده الصحاح. (ع)

الله الموتى، بمعنى: أنشرهم فنشروا، وقرئ بالزاي، بمعنى نحرزها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب، وفاعل (تبين) مضمرة تقديره: فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير (قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) لحذف الأول لدلالة الثاني عليه، كما في قولهم: ضربني وضربت زيداً. ويجوز: فلما تبين له ما أشكل عليه، يعني أمر إحياء الموتى. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: فلما تبين له على البناء للمفعول. وقرئ: قال اعلم، على لفظ الأمر: وقرأ عبد الله: قيل اعلم. فإن قلت: فإن كان المار كافرأ فكيف يسوغ أن يكلمه الله؟ (١) قلت: كان الكلام بعد البعث ولم يكن إذ ذاك كافراً.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنَّ لَيْطَمِينَ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) (أرني) بصرني، فإن قلت: كيف قال له (أولم تؤمن) وقد علم أنه أثبت الناس إيماناً (٢)؟

(١) (عاد كلامه) قال: «فإن قلت إذا كان المار كافراً... الخ»، قال أحد: وهذا سؤال عجيب، والجواب عنه أعجب منه، ومن سلم لهذا السائل أن الله تعالى لا يسوغ أن يكلم الكافر؟ وهل هذا إلا خطب بلا أصل؟ ليس أن إبليس رأس الكفر ومعدته ومع هذا قال الله تعالى (أخرج منها فانك رجيم... إلى آخر الآية) ويقول تعالى للكفار وهم بين أطباقها يعذبون (أخسثوا فيها ولا تكلمون) ولأن هذا الأمر متيقن وقوته فضلاً عن جوازه أول العباد قوله تعالى (ولا يكلمهم الله) بمعنى ولا يكلمهم بما يسرهم وينفعهم. هذا وجه تعجي من السؤال. وأما الجواب فقد أسلفت آتفاً رده بأن إيمان هذا المار على القول بأنه كان كافراً إنما حصل في آخر القصة بعد أن تبين له الآيات. وأما كلام الله تعالى فن أول القصة. قلت: الرمحشري كفانا مؤنة هذا الفصل سؤالاً وجواباً والله المستعان.

(٢) قال محمود: «إن قلت كيف قال له (أولم تؤمن) وقد علم... الخ»؟ قال أحد: الأولى في هذه الآية أن يذكر فيها المختار في تفسيرها من المحتجة بالفكر المحرر، والنكت المفصحة بالرأى المخمرفا وافق من كلام المصنف ما يذكره فالجده لله، وما خالفه فالحق فيما ذكرناه والله الموفق. فنقول: أما سؤال الخليل عليه السلام بقوله له (كيف تنجي الموتى) فليس عن شك والعياذ بالله في قدرة الله عن الأحياء، ولكنه سؤال عن كيفية الأحياء، ولا يشترط في الإيمان الاحاطة بصورتها، فأنما هي طلب علم ما لا يتوقف الايمان على علمه، ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة كيف، وموضوعها السؤال عن الحال، ونظير هذا السؤال أن يقول القائل: كيف يحكم زيد في الناس؟ فهو لا يشك أنه يحكم فيهم، ولكنه سأل عن كيفية حكمه لا بثبوته، ولو كان الوم قد يتلاعب ببعض الخواطر فيطرق إلى إبراهيم شكاً من هذه الآية. وقد قطع النبي عليه الصلاة والسلام دابر هذا الوم بقوله: نحن أحق بالشك من إبراهيم، أي ونحن لم نشك، فلأن لا يشك إبراهيم أخرى وأولى. فإن قلت: إذا كان السؤال مهروفاً إلى الكيفية التي لا يضر عدم تصورهما ومشاهدتهما بالإيمان ولا تخل به، فما موقع قوله تعالى (أولم تؤمن)؟ قلت: قد وقعت لبعض الحذاق فيه على لطيفة وهي أن هذه الصيغة تستعمل ظاهراً في السؤال عن الكيفية كما مر، وقد تستعمل في الاستعجاز. مثاله: أن يدعى مدح أنه يحمل ثقلاً من الأثقال وأنت جازم بمجزئه عن حمله، فنقول له: =

قلت : ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين . و﴿ بلى ﴾ إيجاب لما بعد النفي ، معناه بلى آمنت ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ﴾ ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ، ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري ، فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك . فإن قلت : بم تعلقت اللام في ﴿ ليطمئن ﴾ ؟ قلت : بمحذوف تقديره : ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب ﴿ فخذ أربعة من الطير ﴾ قيل طالوسا وديكا وغراباً وحمامة ﴿ فصرهن إليك ﴾ بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممن إليك قال :

﴿ وَلَكِنْ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ تُصَوِّرُهَا ﴾ (١)

وقال :

وَفَرَعٍ يَصِيرُ الْجِيدَ وَخَفٍ كَأَنَّهُ عَلَى اللَّيْلِ قَنَوانُ الْكُرُومِ الدَّوَالِحِ (٢)

== أرني كيف يحل هذا ، فلما كانت هذه الصيغة قد يعرض لها هذا الاستعمال الذي أحاط علم الله تعالى بأن إبراهيم مبرأ منه ، أراد بقوله : ( أو لم تؤمن ) أن ينطق إبراهيم بقوله : بلى آمنت ، ليدفع عنه ذلك الاحتمال اللفظي في العبارة الأولى : ليكون إيمانه مخلصاً نصرة عليه بعبارة يفهما كل من يسمعا فهما لا يلحقه فيه شك . فأقلت : قد تبين لي وجه الربط بين الكلام على التقدير المبين ، فما موقع قول إبراهيم ( ولكن ليطمئن قلبي ) وذلك يشعر ظاهراً بأنه كان عند السؤال فاقداً للطمأنينة ؟ قلت : معناه ولكن ليحول عن قلبي الفكر في كيفية الحياة ، لأنني إذا شاهدتها سكن قلبي عن الجولان في كفياتها المتخيلة ، وتعينت عندي بالتصوير المشاهد وجاءت الآية مطابقة لسؤاله ، لأنه شاهد صورة حياة الموتى ، تقديره : الذي يحيى ويميت ، فهذا أحسن ما يجري لي في تفسير هذه الآية وربك الفتح العليم . وأما قول الزخشرى : « إن علم الاستدلال يتطرق إليه التشكيك بخلاف العلم الضروري ، فكلام لم يصدر عن رأى متور ولا فكر محرر ، وذلك أن العلم الموقوف عن سبب لا يتصور فيه تشكيك ، ما دام سببه مذكوراً في نفس العالم ، وإنما الذي يقبل التشكيك قبولاً مطلقاً هو الاعتقاد وإن كان صحيحاً وسببه باق في الذكر ، وبهذا ينحط الاعتقاد الصحيح عن ذروة العلم ، ولكن للقدماء من التقديرية خبط طويل في تميز العلم عن الاعتقاد ، حتى غالى أبوهم فقل العلم بالشئ والجهل به مثلاً . وهذا على الحقيقة جهل حتى لحقيقة الجهل ، والزخشرى في قواعد العقائد يقفون آثار هذا القائل أية سلك فامله من ثم طرق إلى العلم النظري الشك حسب تفرقه إلى الاعتقاد الذي يكون مرة جهلاً ومرة مطابقاً ، والله الموفق .

(١) وما صيد الأعناق فيهم جيلة ولكن أطراف الرماح تصورها

الصير - بالتحريك - اعوجاج العنق . ويقال صاره يصوره ويصيره ، بمعنى أماله وقطعه . أى ليس ميل الأعناق طبيعة فيهم ولكن أطراف الرماح لكثرتها فوق رؤسهم تميل أعناقهم . وإسناد الإمالة للأطراف مجاز عتلى من الاسناد للسبب . ويجوز أن « فيهم » حال من الصيد لا من جيلة ، أى حال كونه فيهم .

(٢) صاره يصيره ويصوره ، إذا أماله أو قطعه : وروى : يزين الجيد . والجيد : العنق : والوحد : الكشف الأسود . والليت : صفحة العنق . والدوالج : المثقلات بالحمل ، يصف شعر محبوبته بأنه يميل عنقها لثقله عليه ، وشبه غداثره على جانب جيدها بعناقيد السكروم المثقلات بالحل .

وقرأ ابن عباس رضى الله عنه (فصرّهن) بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء ، من صره يصره ويصره إذا جمعه ، نحو ضره ويضره ويضره . وعنه (فصرّهن) من التصرية وهى الجمع أيضاً (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) يريد : ثم جزّهن وافرّق أجزاءهن على الجبال . والمعنى : على كل جبل من الجبال التى بحضرتك وفى أرضك . وقيل : كانت أربعة أجبل . وعن السدى : سبعة (ثم ادعهن) وقل لمن : تعالين ياذن الله (يا تينك سعيّا) ساعيات مسرعات فى طيرانهن أو فى مشيهن على أرجلهن : فإن قلت : ما معنى أمره بضمها إلى نفسه بعد أن يأخذها (١) ؟ قلت : ليتأملها ويعرف أشكالها وهياتها وحلاها (٢) لئلا تتلبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ولذلك قال : يا تينك سعيّا . وروى أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ، وأن يمسك رموسها ، ثم أمر أن يجعل بأجزاءها على الجبال ، على كل جبل ربعاً من كل طائر ، ثم يصيح بها : تعالين ياذن الله ، فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثاً ثم أقبلن فانضممن إلى رؤسهن ، كل جثة إلى رأسها . وقرئ (جزاً) بضمّتين . وجزاً ، بالتشديد . ووجهه أنه خفف بطرح همزته ، ثم شدد كما يشدد فى الوقف ، إجراء للوصل مجرى الوقف .

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)

(مثل الذين ينفقون) لا بد من حذف مضاف ، أى مثل نفقتهم كمثّل حبة ، أو مثلهم كمثل باذر حبة . والمنبت هو الله ، ولكن الحبة لما كانت سبياً أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء . ومعنى إنباتها سبع سنابل ، أن تخرج ساقاً يتشعب منها سبع شعب ، لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للإضاعاف ، كأنها مائة بين عيني الناظر : فإن قلت : كيف صحّ هذا التمثيل والممثل به غير موجود ؟ قلت : بل هو موجود فى الدخن والذرة وغيرهما ، وربما فرخت ساق البرة فى الأرض القوية المقلّة فيبلغ حبها هذا المبلغ ، ولولم يوجد لكان صحيحاً على سبيل الفرض والتقدير : فإن قلت : هلا قيل : سبع سنبلات ، على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال (وسبع سنبلات خضر) ؟ قلت : هذا لما قدمت عند قوله (ثلاثة قروء) من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها (والله يضاعف لمن يشاء) أى يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء ، لا لكل منفق ،

(١) قال محمود رحمه الله : إن قلت ما معنى أمره بضمها ... الخ ؟ قال أحمد : يريد : ولم يقل طيرانا لأنه إذا كانت ساعة كان أنبت لنظره عليها من أن تكون طائراً ، والله أعلم .

(٢) قوله «وهياتها وحلاها» جمع حلية بالكسر أى صفاتها . أفاده الصحاح . (ع)

لنفاوت أحوال المنفقين . أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن يستوجب ذلك .

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ يَنْبَغُوا مَأْتَقُوا مِنَّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨٢﴾

المن أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ، ويريد أنه اصطنعه وأوجب عليه حقاً له : وكانوا يقولون : إذا صنعتهم صنعة فأنسوها . ولبعضهم :

وَأِنْ أَمْرًا أَسَدَى إِلَى صَنِيعَةٍ وَذَكَرْنِيهَا مَرَّةً كَلِّسِي (١)

وفي نوايغ الكلم : صنوان (٢) من منح سائله ومن ، ومن منع نائله وضمن . وفيها : طعم الآلاء (٣) أحلى من المن وهي أمر من الآلاء مع المن . والآذى : أن يتناول عليه بسبب ما أزال إليه : ومعنى دهم ، إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والآذى ، وأن تركهما خير من نفس

(١) يقول : وإن رجلاً أعطاني عطية وذكرني بها مرة واحدة ، للثيم . أى بليغ في الثوم والخسة .

(٢) قال محمود : « في نوايغ الكلم صنوان ... الخ » قال أحد : « ثم » في أصل وضعها أشعر بترأخي المعطوف بها عن المعطوف عليه في الزمان وبعد ما بينهما ، والزخشرى يحملها على التفاوت في المراتب والتباعد بينهما ، حيث لا يمكنه حملها على التراخي في الزمان لسياق يأبى ذلك كهذه الآية : وحاصله : أنها استعيرت من تباعد الأزمنة لتباعد المرتبة ، وعندي فيها وجه آخر محتمل في هذه الآية ونحوها : وهو الدلالة على دوام الفعل المعطوف بها وإرخاء الطول في استصحابه ، فهي على هذا لم تخرج عن الإشمار ببعد الزمن . ولكن معناها الأصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه ، ومنعها المستعارة إليه دوام وجود الفعل وتراخي زمن بقائه : وعليه حل قوله تعالى (ثم استقاموا) أى داموا على الاستقامة دواماً متراخياً بمتد الأمد ، وتلك الاستقامة هي المعتبرة ، لا ما هو منقطع إلى ضده من الحيد إلى الهوى والشهوات . وكذلك قوله (ثم لا يتبعون ما أففقوا منا ولا أذى) أى يدومون على تناسي الإحسان وعلى ترك الاعتداد به والامتنان ، ليسوا بتاركيه في أزمة إلى الإذابة وتقليد المن بسببه ، ثم يتوبون ، والله أعلم . وقريب من هذا أو مثله أن الدين يصحب الفعل لتنفيس زمان وقوعه وتراخيه ، ثم ورد قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام : (إني ذاهب إلى ربي سيهدين) . وقد حكى الله تعالى في مثل هذه الآية (الذي خلقتني فهو يهدين) فليس إلى حل الدين على تراخي زمان وقوع الهداية له من سبيل ، فيتبين المصير إلى حلها على تنفس دوام الهداية الحاصلة له وتراخي بقائها وتمسك أمدتها . وأمل الزخشرى وأشار إلى هذا المعنى في آية إبراهيم عليه السلام ، فأمل هذا الوجه ، فهو أرجح مما حمل الزخشرى عليه آية البقرة . وهذه الآية أبقي على الحقيقة وأقرب إلى الوضع على أحسن طريقة والله الموفق .

(٣) قوله « وفيها طعم الآلاء » في الصحاح : الآلاء النعم ، واحدها وآلاء بالفتح . وفيه أيضاً : الآلاء - بالفتح - شجر حسن المنظر مر الطعم له . واسم النعم على زنة أسباب . والظاهر أن اسم الشجر على زنة محاب ، فليحذر ما في النوايغ . (ع)



الإِنْفَاقَ ، كما جعل الاستقامة على الإيمان خيراً من الدخول فيه بقوله ( ثم استقاموا ) . فإن قلت : أى فرق بين قوله : ﴿ لهم أجرهم ﴾ وقوله فيما بعد : ( فلهم أجرهم ) ؟ قلت : الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط . وضمنه ثمة . والفرق بينهما من جهة المعنى أن الفاء فيها دلالة على أن الإنفاق به استحق الأجر ، وطرحها عار عن تلك الدلالة .

قَوْلُ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَٱللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ . بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَالَّذى يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَٱللَّهُ لَٱلْهَادِى

ٱلْقَوْمِ ٱلْكٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

﴿ قول معروف ﴾ رد جميل ﴿ ومغفرة ﴾ وعفو عن السائل إذا وجد منه ما ينقل على المسؤل أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل ، أو عفو من جهة السائل لأنه إذا رده ردا جميلا عذره ﴿ خير من صدقة يتبعها أذى ﴾ وصح الإخبار عن المبتدئ النكرة لاختصاصه بالصفة ﴿ والله غنى ﴾ لا حاجة به إلى منفق يمن ويؤذى ﴿ حلیم ﴾ عن معاجلتها بالعقوبة ، وهذا يحط منه ووعيد له ، ثم بالغ في ذلك بما أتبعه ﴿ كالذى ينفق ماله ﴾ أى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كإبطال المناق الذى ينفق ماله ﴿ رثاء الناس ﴾ لا يريد بإفناقه رضاء الله ولا ثواب الآخرة ﴿ فمثله كمثل صفوان ﴾ مثله ونفقته التى لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر أملس عليه تراب . وقرأ سعيد بن المسيب : صفوان بوزن كروان ﴿ فأصابه وابل ﴾ مطر عظيم القطر ﴿ فتركه صلدا ﴾ أجرد نقيما من التراب الذى كان عليه . ومنه صلد جبين الأصلع إذا برق ﴿ لا يقدرُونَ على شىء مما كسبوا ﴾ كقوله ( فجعلناه هباء منثورا ) ويجوز أن تكون الكاف فى محل النصب على الحال : أى لا تبطلوا صدقاتكم مائتين الذى ينفق . فإن قلت : كيف قال ( لا يقدرُونَ ) بعد قوله ( كالذى ينفق ) ؟ قلت : أراد بالذى ينفق الجنس أو الفريق الذى ينفق ، ولأن من . و . الذى ، يتعاقبان ، فكأنه قيل : كمن ينفق .

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَٱتَتْ أَكْطُلُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ ٔ ٱٔ قَطَلُ  
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

﴿وتثبينا من أنفسهم﴾ وليثبتوا منها ببذل المال الذى هو شقيق الروح . وبذله أشق شئ . على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الإيمان ؛ لأن النفس إذا ربيضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها ، وبالعكس ، فكان لإنفاق المال تثبيتها لها على الإيمان واليقين . ويجوز أن يراد : وتصديتنا للإسلام ، وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم ؛ لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله ، علم أن تصديته وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه . « ومن » على التفسير الأول للتبويض ، مثلها في قولهم : هز من عطفه ، وحرك من نشاطه . وعلى الثانى لا ابتداء الغاية ، كقوله تعالى ( حسداً من عند أنفسهم ) . ويحتمل أن يكون المعنى : وتثبينا من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخرصة فيه . وتعضده قراءة مجاهد : وتثبينا من أنفسهم . فإن قلت : فما معنى التبويض ؟ قلت : معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ، ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذى ثبتها كلها ( وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ) والمعنى : ومثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله ﴿ كمثل الجنة ﴾ وهى البستان ﴿ ربوة ﴾ بمكان مرتفع . وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمراً ﴿ أصابها وابل ﴾ مطر عظيم القطر ﴿ فأتت أكلها ﴾ ثمرتها ﴿ ضعفين ﴾ مثل ما كانت تثمر بسبب الوابل ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل ﴾ قطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها . أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل ، وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة ، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أوقليلة - بعد أن يطلب بها وجه الله ويبدل فيها الوسع - زاكية عند الله ، زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده . وقرئ : كمثل حبة ، وبربوة - بالحرركات الثلاث - وأكلها بضمتين .

أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ  
فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ

تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

الهمزة فى ﴿أيود﴾ للإنكار . وقرئ : له جنات ، وذرية ضعاف . والإعصار : الريح التى تستدير فى الأرض ، ثم تسطع نحو السماء كالعمود . وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يتفكر بها وجه الله . فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة ، فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر ، وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومتعشهم ، فهلك

بالصاعقة . وعن عمر رضى الله عنه أنه سأل عنها الصحابة فقالوا : الله أعلم ، فغضب وقال : قولوا نعلم أولانعلم ، فقال ابن عباس رضى الله عنه : فى نفسى منها شئ . يأمر المؤمنين <sup>(١)</sup> . قال : قل يا ابن اخى ولا تحقر نفسك . قال : ضربت مثلاً لعمل . قال : لآى عمل ؟ قال : لرجل غنى يعمل الحسنات ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله كلها <sup>(٢)</sup> . وعن الحسن رضى الله عنه : هذا مثل قلّ والله من يعقله من الناس : شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صيانه أفقر ما كان إلى جنته ، وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا . فإن قلت : كيف قال (جنة من نخيل وأعناب) ثم قال (له فيها من كل الثمرات) <sup>(٣)</sup> قلت : النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع ، خصهما بالذكر ، وجعل الجنة منهما . وإن كانت محتوية على سائر الأشجار - تليها لهما على غيرهما ، ثم أردفهما ذكر كل الثمرات . ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها كقوله (وكان له ثمر) بعد قوله (جنتين من أعناب وحققناهما بنخل) . فإن قلت : علام عطف قوله (وأصابه الكبر) ؟ قلت : الوالوالحال للعطف . ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر . وقيل يقال : وددت أن يكون كذا ووددت لو كان كذا ، لحمل العطف على المعنى ، كأنه قيل : أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغِشُّوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ حَمِيدٌ <sup>(٢٦٧)</sup>

(من طيبات ما كسبتم) من جياذ مكسوباتكم (ومما أخرجنا لكم) من الحب والثمر والمعادن وغيرها . فإن قلت : فهلا قيل : وما أخرجنا لكم ، عطفا على (ما كسبتم) حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الأرض ؟ قلت : معناه : ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات (ولا تيمموا الخبيث) ولا تقصدوا المسال الردى (منه تنفقون) تحصونه بالإففاق ، وهو فى محل الحال . وقرأ عبد الله : ولا تأموا . وقرأ ابن عباس : ولا تيمموا ، بضم التاء . وبمعه

(١) أخرجه البخارى من حديث عبيد بن عمير : أن عمر سأل ... فذكره .

(٢) قوله «أغرق أعماله كلها» فى بعض نسخ الجلال : أحرق ، بالحاء ، وكذلك عبارة النسفى . (ع)

(٣) قال محمود رحمه الله : «إن قلت : لم ذكر النخيل والأعناب أولا ... الخ» ؟ قال أحد رحمته الله : وهذا من باب تشية ذكر ما يقع الاهتمام به مرتين عموما وخصوصا ومثله (فهيما فاكهة ونخل ورمان) إلا أنه فى تلك الآية بدأ بالتعميم وفى هذه الآية بدأ بالتخصيص والمقصود هو ما نهينا عليه ، والله أعلم .

وتيممه وتأمله ، سواء في معنى قصده ﴿ولستم بأخذيه﴾ وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾ إلا بأن تتأخروا في أخذه وترخصوا فيه من قولك : أغمض فلان عن بعض حقه ، إذا غمض بصره . ويقال للبائع : أغمض ، أى لا تستقص ، كأنك لا تبصر . وقال الطرماح :

لَمْ يَفْتَنَّا بِالْوِثْرِ <sup>(١)</sup> قَوْمٌ وَلِلَّصِيْمِ رِجَالٌ يَرَضُونَ بِالْإِغْمَاضِ <sup>(٢)</sup>

وقرأ الزهري : تغمضوا . وأغمض وأغمض بمعنى . وعنه : تغمضوا ، بضم الميم وكسر ها . من غمض يغمض ويغمض . وقرأ قتادة : تغمضوا ، على البناء للمفعول ، بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه . وقيل : إلا أن توجدوا مغمضين . وعن الحسن رضى الله عنه : لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه .

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَقَضَاءً

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ <sup>(٢٦٨)</sup>

أى يعدكم فى الإنفاق ﴿الْفقر﴾ ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا . وقرئ : الفقر ، بالضم . والفقر - بفتحين - والوعد يستعمل فى الخير والشر . قال الله تعالى (النار وعدّها الله الذين كفروا) . ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الأمر للمأثور . والفاحش عند العرب : البخيل <sup>(٣)</sup> ﴿والله يعدكم﴾ فى الإنفاق ﴿مغفرة﴾ لذنوبكم وكفارة لها ﴿وقضاً﴾ وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم ، أو وثأباً عليه فى الآخرة

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا

يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلًا <sup>(٢٦٩)</sup>

(١) قوله «لم يفتنا بالوتر قوم» فى الصحاح «الموتور» الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه . تقول منه : وتره وترأ وتره . وكذلك وتره حقه أى نقصه . (ع)

(٢) الباء لللابسة أو بمعنى مع . والوتر - بالكسر - الظلم ونقص بعض الحق ، ومثله الترة . والفعل وتر كوعد . والضم : الظلم ، والاعراض : ترك بعض الحق والاعراض عنه ، كأنه لا يراه . يقول : لم يسبقنا قوم بالوتر ويظفروا مناه . وقوله : وللصميم رجال : استئناف ، يعنى إنا لا نعرض عن حقنا كثيراً لاجتماعنا دونهم ، أو حال ، أى والحال أن الظلم ناس يرضون بترك حقوقهم لعجزهم ، ويؤول إلى الأول .

(٣) قوله «والفاحش عند العرب البخيل» قال :

أرى الموت يعمتكم الكرام ويصطفى مقيلة مال الفاحش المتشدد (ع)

﴿يُوتَى الْحِكْمَةَ﴾ يوفق للعلم والعمل به . والحكيم عند الله : هو العالم العامل . وقرئ ﴿ومن يوتى الحكمة﴾ بمعنى ومن يؤته الله الحكمة . وهكذا قرأ الأعمش . و﴿خيراً كثيراً﴾ تنكير تعظيم ، كأنه قال : فقد أوتى أى خير كثير ﴿وما يذكر إلا أولو الأبواب﴾ يريد الحكماء العلام العمال . والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق .

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ

مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾

﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ في سبيل الله ، أو في سبيل الشيطان ﴿أو نذرتم من نذر﴾ في طاعة الله ، أو في معصيته ﴿فإن الله يعلمه﴾ لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه ﴿وما للظالمين﴾ الذين يمتنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي ، أو لا يفون بالنذور ، أو يندرون في المعاصي ﴿من أنصار﴾ من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه .

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ

وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

وما في (نعما) نكرة غير موصولة ولا موصوفة . ومعنى ﴿فنعما هي﴾ فنعم شيئاً إبدؤها . وقرئ بكسر النون وفتحها ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء﴾ وتصيوا بها مصارفها مع الإخفاء ﴿فهو خير لكم﴾ فالإخفاء خير لكم . والمراد الصدقات المتطوع بها ، فإن الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً ، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً ، <sup>(١)</sup> وإنما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل ، لنفي التهمة ، حتى إذا كان المزكى بمن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل ، والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل ﴾ (نكفر) وقرئ بالنون مرفوعاً عطفاً على محل ما بعد الفاء ، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى ونحن نكفر . أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأ ، ومجزوما عطفاً على محل الفاء وما بعده ، لأنه جواب الشرط . وقرئ : ويكفر ، بالياء مرفوعاً ، والفعل لله أو للإخفاء . وتكفر بالتاء ، مرفوعاً ومجزوماً ، والفعل للصدقات . وقرأ الحسن رضي الله عنه بالياء والنصب بإضمار أن . ومعناه : إن تخفوها يكن خيراً لكم ، وأن يكفر عنكم .

(١) أخرجه الطبري من رواية ابن عباس ، قال « جعل الله صدقة السر التطوع تفضل علانيها سبعين ضعفاً وجعل صدقة الفريضة علانيها تفضل سرها خمسة وعشرين ضعفاً ، وكذا جميع الفرائض والتوافل في الأشياء كلها . »

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ  
فَلَا تُنْفِقُوا إِلَّا آتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ  
وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ﴿٢٧٢﴾

(ليس عليك هداهم) لا يجب عليك أن تجعلهم<sup>(١)</sup> مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والإتفاق من الخيىث وغير ذلك ، وما عليك إلا أن تبلغهم النواهى فحسب (ولكن الله يهذى من يشاء) يلفظ بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهى عما نهى عنه (وما تنفقوا من خير) من مال (فلا أنفسكم) فهو لا أنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وما تنفقون) وليست نفقتكم إلا لابتغاء وجه الله ولطلب ماعنده ، فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخيىث الذى لا يوجه مثله إلى الله؟ (وما تنفقوا من خير يوفى إليكم) ثوابه أضعافا مضاعفة ، فلا عذر لكم فى أن ترغبوا عن إنفاقه ، وأن يكون على أحسن الوجوه وأجلها . وقيل : حجت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما فأتتها أمها تسألها وهى مشركة ، فأبت أن تعطىها ، فنزلت . وعن سعيد بن جبى رضى الله عنه : كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين . وروى أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار فى اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام ، فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوهم<sup>(٢)</sup> . وعن بعض العلماء : لو كان شر خلق الله ، لكان لك ثواب نفقتك . واختلف فى الواجب ، فجوز أبو حنيفة رضى الله عنه صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة ، وأباه غيره .

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ  
الْجَاهِلُ أَغْنَاءَ مِنَ التَّعْقُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا  
مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾

(١) قال محمود رحمه الله « لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين ... الخ » . قال أحمد رحمه الله : المعتقد الصحيح أن الله هو الذى يخلق الهدى لمن يشاء هدا ، وذاك هو اللطف ، لا كما يزعم الزمخشري أن الهدى ليس خلق الله وإنما العبد يخلفه لنفسه . وإن أطلق الله تعالى إضافة الهدى إليه كما فى هذه الآية ، فهو مؤول على زعم الزمخشري بلطف الله الحامل للعبد على أن يخلق هدا . إن هذا إلا اختلاق ، وهذه النزعة من توابع معتقدهم السيئ فى خلق الأعمال وليس علينا هداهم ، ولكن الله يهذى من يشاء ، وهو المسئول أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ،

(٢) قوله « كرهوا أن ينفقوهم » لعله على تضمين الفعل معنى الاعطاء . أو لعله عرف وأصله ينفعهم من النفع . (ع)

الجار متعلق بمحذوف . والمعنى : اعمدوا الفقراء ، واجعلوا ما تنفقون للفقراء ، كقوله تعالى ( في تسع آيات ) ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، أى صدقاتكم للفقراء . و ﴿ الذين أحصروا في سبيل الله ﴾ هم الذين أحصرهم الجهاد ﴿ لا يستطيعون ﴾ لا شغلهم به ﴿ ضرباً في الأرض ﴾ للكسب . وقيل هم أصحاب الصفة ، وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر ، فكانوا في صفة المسجد . وهى سقيفته . يتعلمون القرآن بالليل ، ويرضخون النوى <sup>(١)</sup> بالهار . وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن كان عنده فضل أتاها به إذا أمسى . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ، « أبشروا يا أصحاب الصفة ، فمن بقى من أمتى على النعت الذى أتم عليه راضياً بما فيه فإنه من رفقائى في الجنة » <sup>(٢)</sup> ﴿ يحسبهم الجاهل ﴾ بحالهم ﴿ أغنياء من التعفف ﴾ مستثنين من أجل تعففهم عن المسألة ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾ من صفرة الوجه وورثاة الحال . والإلخاف : الإلحاح ، وهو اللزوم ، وأن لا يفارق إلا بشئ يعطاه . من قولهم : لحفى من فضل لحافه ، أى أعطانى من فضل ما عنده . وعن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يحب الحي الحليم المتعفف ، ويبغض البذى السئال الملحف » <sup>(٣)</sup> ومعناه : أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل : هو نفي للسؤال والإلخاف جميعاً ، كقوله :

\* عَلَى لَاحِبٍ <sup>(٤)</sup> لَا يَهْتَدَى بِمَنَارِهِ \* <sup>(٥)</sup>

يريد نفي المنار والاهتداء به .

(١) قوله « ويرضخون النوى » في الصحاح : رضخت الحصى والنوى : كسرت ، ورضخت له رضخاً ، وهو العطاء . ليس بالكثير اه . (ع)

(٢) لم أجده

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة في الأدب من رواية ميمون بن أبى شبيب عن النبي صلى الله عليه وسلم مراسلاً إلا أنه قال « ويبغض الفاحش البذى » وقد روى موصولاً ، والبزار من طريق محمد بن كثير الملائى عن ليث عن مجاهد عن أبى هريرة به . في حديث أوله « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقال : لانهله عن أبى هريرة إلا بهذا الإسناد وإسناده ضعيف . وقد رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود به ، وأتم منه وفي إسناده سوار بن مصعب ، وهو ضعيف وله طريق أخرى عن أبى هريرة أخرجه إسحاق في مسنده ، والطبرانى في مسنده الشاميين من طريقه قال : أخبرنا كلثوم بن محمد قال حدثنا عطاء بن أبى مسلم الخراسانى عن أبى هريرة - فذكره مقتضراً على ما ذكره المصنف بمعناه . وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصمان وحمزة الذهبي في تاريخ جرجان ، كلاهما من طريق عيسى بن خالد البلخي عن ورقاء عن الأعشى عن أبى صالح عن أبى هريرة بلفظ « إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثر نعمته عليه ، ويكره البؤس والتبؤس ويبغض السائل الملحف ، ويبغض العفيف المتعفف » .

(٤) قوله « على لاحب » أى طريق واضح . أفاده الصحاح . (ع)

(٥) وإلى زعيم إن رجعت ملكاً يسير ترى منه الفراق أزدوا

على لاحب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود الباطي جرجرا

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

﴿بالليل والنهار سراً وعلانية﴾ يعملون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير، فكما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعملوا بوقت ولا حال. وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار، عشرة بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرة في السر، وعشرة في العلانية. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية. وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، كان إذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية.

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا فَلَهُ مَاسَلَفٌ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

﴿الربوا﴾ كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكاة وزيدت الألف بعدها

== لا رمى القيس . والزعيم الكفيل . والفراق - بضم الفاء - : رسول يوصل خبر الخوف . والأزور : المائل : يقول : إن ملكوتي عليهم كما كتبت فاني متكفل بسفر صعب . واللتج واللاحب : الطريق الواسع ، من لجه إذا وطئه ومر فيه ، فأصله ملجوب . والمنار أعلام الطريق . وسافه يسوفه سوفاً إذا شمه شماً . ومنه السافة . والعود : الجمل المسن . ويطلق على الطريق القديم . والسودد : القديم . والباطي : نسبة للبط ، وهم قوم يحملون البطاح بين العرافين يستنبطون منها المبدأ ، كيماني نسبة لليمن . ويروي : العود الديافي . وداف يدوف إذا خلط ، ودياف : موضع بالجزائر فيه نبط الشام . والديافي نسبة إليه . والجرجرة : صوت يردده البعير في تنجسته ، يعني أنه طريق واسع لا منار فيه يهتدى به ، وفيه نوع من البديع يسمونه نقي الشيء بإيجابه ، ويفسرونه بأن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشيء وباطنه نفيه ، بأن ينقضي ما هو من سببه وهو المنقضي في الباطن . وفي البيت نقي الاهتمام بالمنار ، والمنقصود نقي المنار كما ذكره السيوطي في شرح عقود الجنان ، إذا شمه الجمل المسن عرف أنه طريق وعمر لتجربته الطرق ، وجرجر خوفاً منه لصعوبته عليه مع تمرنه على السفر ، سيما إذا كان من إبل النبط لكثرة رحيلهم . هذا ويحتمل أن السير مجاز عن السياسة كما يشعر به طلب الملك ؛ فيكون ما بعده ترشيح للجزاز .



تشبيهاً بواو الجمع ﴿لا يقومون﴾ إذا بعثوا من قبورهم<sup>(١)</sup> ﴿إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان﴾ أى المصروع . وتخبط الشيطان من زعمات العرب ، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع . والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء ، فورد على ما كانوا يعتقدون . والمس : الجنون . ورجل ممسوس ، وهذا أيضاً من زعماتهم ، وأن الجنى يمسسه فيختلط عقله ، وكذلك جن الرجل : معناه ضربته الجن ، ورأيتهم لهم فى الجن قصص وأخبار وعجائب ، وإنكار ذلك عندهم كما إنكار المشاهدات . فإن قلت : بهم يتعلق قوله ﴿من المس﴾ ؟ قلت : بلا يقومون ، أى لا يقومون من المس الذى بهم إلا كما يقوم المصروع . ويجوز أن يتعلق بيقوم ، أى كما يقوم المصروع من جنونه . والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخيلين كالمصروعين ، تلك سيئاتهم يعرفون بها عند أهل الموقف . وقيل الذين يخرجون من الأجداث يرفضون ، إلا أكلة الربا فإنهم ينفضون ويستقطنون كالمصروعين ، لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله فى بطونهم حتى أنقلهم ، فلا يقدرّون على الإففاض ﴿ذلك﴾ العقاب بسبب قولهم ﴿إنما البيع مثل الربوا﴾ . فإن قلت : هلا قيل إنما الربا مثل البيع لأن الكلام فى الربا لا فى البيع<sup>(٢)</sup> ، فوجب أن يقال إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه ، وكانت شبهتهم

(١) قال محمود رحمه الله : « يعنى إذا بعثوا من قبورهم ... الخ » قال أحمد : قوله وتخبط الشيطان من زعمات العرب ، أى كذباتهم وزعماتهم التى لا حقيقة لها ، كما يقال فى الغول والعنقاء ونحو ذلك . وهذا القول على الحقيقة من تخبط الشيطان بالقدرية فى زعماتهم المردودة بقواطع الشرع ، فقد ورد « ما من مولود يولد إلا يمسسه الشيطان فيستهل صارغاً » وفى بعض الطرق « لا طعن الشيطان فى خاصرته » ومن ذلك يستهل صارغاً إلا مريم وابنها ، لقول أمها : إني أعيدكما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم . وقوله عليه السلام « التلطوا صبيانكم أول العشاء فإنه وقت انتشار الشياطين » وفى حديث مكحول : أنه مر برجل نائم بعد العصر فركضه برجله وقال : لقد دفع عنك الشياطين ، أو لقد عوفيت ، إنها ساعة خرجهم وفيها ينتشرون وفيها يكون الخبيثة . قال بشر : كان فى لسان مكحول لكنته ، وإنما أراد الخبيثة من الشيطان ، أى إصابة مس أو جنون . وقد ورد فى حديث أنس بن مالك الذى اختطفته الشياطين وردته فى زمنه عليه الصلاة والسلام أنه حدث عن شأنه معهم قال : لجأت طائر كأنه جمل ، فتعشيتى ، فاحتملتى على خافية من خوافيه ، إلى غير ذلك مما يطول الكتاب بذكره . واعتقاد السلف وأهل السنة أن هذه أمور على حقة فيها واقعة ، كما أخبر الشرع عنها . وإنما القدرية خصها بالعلاية فلا جرم أنهم ينسكرون كثيراً بما يزعمونه مخالفاً لقواعدهم ، من ذلك : السحر ، وخبيطة الشيطان ، ومعظم أحوال الجن . وإن اعترفوا بشئ من ذلك ، ففى غير الوجه الذى يعترف به أهل السنة وبني عنه ظاهر الشرع ، فى خبط طویل لهم فأحذرهم ، قائلهم الله أنى يؤفكون .

(٢) قال محمود : « إن قلت لم لم يقولوا : إنما الربا مثل البيع ... الخ » قال أحمد : وعندى وجه فى الجواب عن السؤال الذى أورده غير ما ذكر ، وهو أنه متى كان المطلوب التسوية بين المحلين فى ثبوت الحكم ، فللقائل أن يسوى بينهما طرداً ، فيقول مثلاً : الربا مثل البيع ، وغرضه من ذلك أن يقول : والبيع حلال فالربا حلال . وله أن يسوى بينهما فى العكس فيقول : البيع مثل الربا ، فلو كان الربا حراماً كان البيع حراماً ضرورة المائنة . وتبجته التى دلت قوة الكلام عليها أن يقول : ولما كان البيع حلالاً اتفاقاً غير حرام ، وجب أن يكون الربا مثله ، والأول على طريقة قياس الطرد ، والثانى على طريقة قياس العكس ، ومآلها إلى مقصد واحد ، فلا حاجة على هذا التقرير =

أنهم قالوا : لو اشترى الرجل ما لا يساوى إلا درهما بدرهمين جاز ، فكذلك إذا باع درهما بدرهمين ؟ قلت : جىء به على طريق المبالغة ، وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلاً وقانوناً في الحل حتى شبهوا به البيع . وقوله ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربوا ﴾ إنكار لتسويتهم بينهما ، ودلالة على أن القياس يهدمه النص ، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم لإحلال الله وتحريمه ﴿ فمن جاءه موعظة ﴾ فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا ﴿ فاتهى ﴾ فتمتع النهى وامتنع ﴿ فله ما سلف ﴾ فلا يؤخذ بما مضى منه ، لأنه أخذ قبل نزول التحريم ﴿ وأمره إلى الله ﴾ يحكم في شأنه يوم القيامة ، وليس من أمره إليك شيء فلا تطالبوه به ﴿ ومن عاد ﴾ إلى الربا ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ وهذا دليل بين <sup>(١)</sup> على تخليد الفساق <sup>(٢)</sup> . وذكر فعل الموعظة لأن تأنيثها غير حقيقى ، ولأنها في معنى الوعظ . وقرأ أبى والحسن : فمن جاءته . ﴿ يمحى الله الربوا ﴾ يذهب ببركته ويهلك المال الذى يدخل فيه . وعن ابن مسعود رضى الله عنه : الربا وإن كثر إلى قل . ﴿ ويرى الصدقات ﴾ ما يتصدق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذى أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه . وفى الحديث : ما نقصت زكاة من مال قط ، <sup>(٣)</sup> ﴿ كل كفار أثيم ﴾ تغليظ في أمر الربا وإيدان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين .

== إلى خروج عن الظاهر لغذر المبالغة أو غيره ، وليس الفرض من هذا كله إلا بيان هذا الذى تخيلوه على أنموذج النظم الصحيح وإن كان قياساً فاسد الوضع ، لاستعماله على مناقضة المعلوم من حكم الله أيضاً في تحريم الربا وتحليل البيع وقطع القياس بينهما ، ولكن إذا استعملت الطريقتين المذكورتين استعمالاً صحيحاً قل في الأولى : التنيذ مثل الخبز في علة التحريم ، وهو الاسكار ، والخر حرام فالنيذ حرام . وفى الثانية : إنما الخبز مثل التنيذ فلو كان التنيذ حلالاً لكان الخبز حلالاً ، وليست حلالاً اتفاقاً فالنيذ كذلك ضرورة المماثلة المذكورة ، فهذا التوجيه أولى أن تحمل الآية عليه ، والله أعلم .

- (١) قوله دلى تخليد الفساق ، وهو مذهب المعتزلة ولا يخلدون عند أهل السنة كما بين في محله (ع)  
 (٢) قال محمود رحمه الله : د فى هذه الآية دليل على تخليد الفساق ... الخ . قال أحمد رحمه الله : وهو يبنى على أن المتوعد عليه بالخلود العود إلى فعل الربا خاصة ، ولا يساعده على ذلك الظاهر الذى استدل به ، فإن الذى وقع العود إليه مسكوت عنه فى الآية . ألا تراه قال ( ومن عاد ) فلم يذكر المعود إليه ، فيحمل على ما تقدم كأنه قال : ومن عاد إلى ما سلف ذكره فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذى سلف ذكره فعل الربا واعتقاد جوازه ، والاحتجاج عليه بقياسه على البيع . ولا شك عندنا - أهل السنة والجماعة - أن من تعاطى معاملة الربا مستحلاً لها مكابراً فى تحريمها مستنداً لإحلالها إلى معارضة آيات الله البينات بما يتوهمه من الخيالات فقد كفر ثم ازداد كفراً ، وإذا ذلك يكون الموعود بالخلود فى الآية من يقال إنه كافر مكذب غير مؤمن ، وهذا لا خلاف فيه ، فلا دليل للزخشرى إذاً على اعتزاله فى هذه الآية ، والله الموفق . وإنما هو موكل بتحميل الآيات من المعتقدات الباطلة ما لا تحتمله ، وأنى له ذلك فى الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .  
 (٣) من رواية العلامة عن أبيه عن أبى هريرة بلفظ : ما نقصت صدقة من مال ... الحديث ، ورواه البزار من هذا الوجه ، فزاد فيه : قط .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا، فأمرُوا أن يتركوها ولا يطلبا بها. وروى أنها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا. وقرأ الحسن رضى الله عنه : ما بقى ، بقلب الياء ألفا على لغة طيء : وعنه ما بقى بياء ساكنة . ومنه قول جرير :

هُوَ الْخَلِيفَةُ فَارْضُوا مَا رَضَى لَكُمْ مَاضِ الْعَزِيمَةِ مَا فِى حُكْمِهِ جَنْفٌ <sup>(١)</sup>  
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن صح إيمانكم ، يعنى أن دليل صحة الإيمان وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك ﴿فَأَذَنُوا بِحَرْبٍ﴾ فاعلموا بها ، من أذن بالشئ إذا علم به . وقرئ : فَأَذَنُوا ، فاعلموا بها غيركم ، وهو من الإذن وهو الاستماع ، لأنه من طرق العلم . وقرأ الحسن : فأيقنوا ، وهو دليل لقراءة العادة . فإن قلت : هلا قيل بحرب الله ورسوله ؟ قلت : كان هذا أبلغ ، لأن المعنى : فَأَذَنُوا بنوع من الحرب عظيم عند الله ورسوله . وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف : لا يدى لنا بحرب الله ورسوله . ﴿وَإِن تَبْتُمْ﴾ من الارتباء ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ المديونين <sup>(٢)</sup> بطلب الزيادة عليها ﴿وَلَا تَظْلِمُونَ﴾ بالنقصان منها . فإن قلت : هذا حكمهم إن تابوا ، فاحكمهم لولم يتوبوا قلت : قالوا : يكون ما لهم فينا للسلبيين ، وروى المفضل عن عاصم : لا تظلمون ولا تظلمون ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ وإن وقع غريم من غرمانكم ذو عسرة أو ذو إعسار : وقرأ عثمان رضى الله عنه :

(١) أى هو المعروف بالعدل . أو هو الخليفة الكامل فارضوا ما رضى لكم من الأحكام . وتسكين آخر ورضى ، ونحوه : لغة شاذة . ماضى العزيمة : نافذ الحكم ، ليس فى حكمه جنف : أى ميل عن الحق إلى غيره .

(٢) قوله والمديونين بطلب الزيادة ، القياس المدينين ، ففعل هذا مسموع شذوذاً ، وسيعبر به فيما يمد أيضا . (ع)

ذا عسرة على : وإن كان الغريم ذا عسرة . وقرئ : ومن كان ذا عسرة ( فنظرة ) أى فالحكم أو فالامر نظرة وهى الإنظار . وقرئ : فنظرة بسكون الظاء . وقرأ عطاء : فناظره . بمعنى فصاحب الحق ناظره : أى منتظره ، أو صاحب نظرتة على طريقة النسب كقولهم : مكان عاشب وباقل ، أى ذو عشب وذو بقل . وعنه : فناظره ، على الامر بمعنى فساحه بالنظرة وبأسره بها ( إلى ميسرة ) إلى يسار . وقرئ بضم السين ، كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة . وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله :

\* وَأَخْلَفُواكَ عِدَا الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا \* (١)

وقوله تعالى ( وإقام الصلاة ) . ( وأن تصدقوا خير لكم ) تدب إلى أن يتصدقوا برؤس أموالهم على من أعسر من غرماهم أو يبيضاها ، كقوله تعالى ( وأن تعفوا أقرب للتقوى ) وقيل : أريد بالتصدق الإنظار لقوله صلى الله عليه وسلم : لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة ، (٢) ( إن كنتم تعلمون ) أنه خير لكم فتعملوا به ، جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعمل به . وقرئ ( تصدقوا ) بتخفيف الصاد على حذف التاء ( ترجعون ) قرئ على البناء للفاعل والمفعول : وقرئ : يرجعون بالياء على طريقة الالتفات . وقرأ عبد الله : تردون : وقرأ أبى : تصيرون . وعن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال : ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة . وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما . وقيل أحدا وثمانين . وقيل سبعة أيام . وقيل ثلاث ساعات .

(١) إن الخليط أجدوا البين وانجردوا وأخلفوك عدا الامر الذى وعدوا

لأبى أمية الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب . وقيل : لزيد . والخليط : المخالط في العشرة ، وهو كالعشير . يقال للراحد والمتعدد . وأجدوا البين : اجتمعوا في الفراق . وانجردوا . مضوا . وعدا الامر : أصله عدا الامر ، وأصلها وعد ، فعوضت التاء عن الواو ، ثم حذفت التاء للإضافة كالتنوين على لغة ، واختلف فقيل إنها سماعية . وقيل إنها قياسية . واشترطهم للحذف عدم اللبس - فيمتنع في شجرة زيد للبس بشجر زيد - يزيد كونها قياسية . وفي المراح : أن حذف تاء التعويض جائز هنا اتفاقا . أما عند سيدييه فلا في التعويض عنده من الأمور الجائزة . وأما عند الفراء فلا أنه لا يوجب التاء إلا عند عدم الإضافة ، وهى هنا متحققة فتقوم مقام العوض ، وعائد الموصول محذوف ، أى الأمر الذى وعدوه إياك .

(٢) رواه ابن ماجه من رواية الأعمش عن أبى داود نفع عن بريدة رفعه : من أنظر معسرا كان له بكل يوم صدقة . ومن أنظره بعد حله كان له منله في كل يوم صدقة ، وأبو داود ضعيف وقد اختلف عليه فيه ، فرواه عبد الله ابن نمير عن الأعمش هكذا ، وخالفه أبو بكر بن عياش فرواه عن الأعمش عن أبى داود عن عمران بن حصين ، أخرجه أحد الطبراني وقد أخرجه أحد وابن أبى شيبه وأبو يعلى والطبراني والحاكم والبيهقي في آخر الشعب كلهم من رواية عبد الوارث عن محمد بن جعدة عن ابن بريدة عن أبىه نحوه وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ  
وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ  
فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا  
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِئَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ  
وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاصْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ  
وَأَمْرَتَانِ يَمْنَنَ تَرْصُونِ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ يُضِلَّ أَحَدَاهَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى  
وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى  
أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِشَهَادَةٍ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ  
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا  
إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَاِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَيَعْلَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ  
تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ  
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

(إِذَا تَدَايَنْتُمْ) إِذَا دَايَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. يُقَالُ: دَايَنَتِ الرَّجُلَ عَامِلَتُهُ (بِدِينٍ) مُعْطِيًا أَوْ آخِذًا  
كَأَقُولُ: بَايَعْتَهُ إِذَا بَعْتَهُ أَوْ بَاعَكَ. قَالَ رُوَيْبَةُ:

دَايَنْتُ أَرْوَى وَالذُّيُونُ تُقَضَّى فَمَطَلَتْ بَعْضًا وَأَدَّتْ بَعْضًا (١)

(١) لرؤية . يقول : عاملت محبوبتي أروى بدین لی علیها من لوازم المودة ، فعلت : أى أخبرت بعضا منه  
وأطالت مدة تأخيرها ، وقضت بعضا منه . وقوله « والدیون تقضى » جملة حالیه أو اعتراضیه مبینه لظلالها فی المثل  
وأصل المثل : المثل والمثل .

والمعنى : إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه . فإن قلت : هلا قيل : إذا تداينتم إلى أجل مسمى <sup>(١)</sup> وأى حاجة إلى ذكر الدين كما قال : داينت أروى ، ولم يقل : بدين ؟ قلت : ذكر ليرجع الضمير إليه في قوله ﴿ فاكتبوه ﴾ إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال : فاكتبوا الدين ، فلم يكن النظم بذلك الحسن . ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال . فإن قلت : فما فائدة قوله ﴿ مسمى ﴾ . قلت : ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوما كاللوقت بالسنة والأشهر والأيام ، ولو قال : إلى الحصاد ، أو الدياس ، أو رجوع الحاج ، لم يجز لعدم التسمية . وإنما أمر بكتابة الدين ، لأن ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود ، والأمر للتدب . وعن ابن عباس أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الزبا أباح السلف . وعنه : أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية <sup>(٢)</sup> . ﴿ بالعدل ﴾ متعلق بكاتب صفة له ، أى كاتب مأمون على ما يكتب ، يكتب بالسوية والاحتياط . لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص . وفيه : أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يحجى مكتوبه معدلا بالشرع . وهو أمر للمتدائنين بتخير الكاتب ، وأن لا يستكتبوا إلا فقيها دينيا ﴿ ولا ياب كاتب ﴾ ولا يتمتع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير الكاتب ﴿ أن يكتب كما علمه الله ﴾ مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير . وقيل هو قوله تعالى ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ أى ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها . وعن الشعبي : هى فرض كفاية ، وكما علمه الله : يجوز أن يتعلق بأن يكتب ، وبقوله فليكتب . فإن قلت : أى فرق بين الوجهين ؟ قلت : إن علقته بأن يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ، ثم قيل له ﴿ فليكتب ﴾ يعنى فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد ، وإن علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق ، ثم أمر بها مقيدة ﴿ وليلل الذى عليه الحق ﴾ ولا يكن المملى إلا من وجب عليه الحق ، لأنه هو المشهود على ثباته فى ذمته وإقراره به . والإملاء والإملال لغتان قد نطق بهما القرآن ﴿ فىهى تملى عليه ﴾ . ﴿ ولا يبخس منه ﴾ من الحق ﴿ شيئا ﴾ والبخس : النقص . وقرئ شيئا ، بطرح الهمزة : وشيئا ، بالتشديد ﴿ سفيها ﴾ محجورا عليه لتبذيره

(١) قال محمود : ه إن قلت هلا قيل إذا تداينتم ... الخ ، قال أحد : الأجل المسمى هو المعلوم انتهاءه ، ولعلم الانتهاء طرق منها التحديد بنفس الزمان كالسنة والشهر . ومنها التحديد بما يمتد وقوعه فى زمن مخصوص مضبوط بالعرف . كالحصاد ، ومقدم الحاج . وكيفما علم الأجل صح ضربه ، فمن ثم أجاز ملك البيع إلى الحصاد لأنه معلوم عندهم ، ثم اعتبر زمان وقوع هذه المسميات لا نفس وقوعها حتى لو حل زمن قدوم الحاج فزعمه مانع من القدوم مثلا لم يكن به عبرة وحكنا بحلول أجل الدين ، والله أعلم .

(٢) أخرجه الحاكم من رواية أبى حيان الأعرج عن الأعشى عن ابن عباس ، قال : أشهد أن السلم المضمون إلى أجل مسمى أن الله أجله فى الكتاب وأذن فيه ، وقرأ هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ) .

وجهه بالتصرف ﴿أو ضعيفا﴾ صيبا أو شيخا مختلا ﴿أو لا يستطيع أن يمل هو﴾ أو غير  
مستطيع للإملاء بنفسه لعمى به أو خرس ﴿فليمل وليه﴾ الذي يلى أمره من وصى إن كان سفيها أو  
صيبا، أو وكيل إن كان غير مستطيع، أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه. وقوله تعالى ﴿أن يمل هو﴾  
فيه أنه غير مستطيع ولكن بغيره، وهو الذى يترجم عنه ﴿واستشهدوا شهيدين﴾ واطلبوا أن  
يشهد لكم شهيذان على الدين ﴿من رجالكم﴾ من رجال المؤمنين. والحرية والبلوغ شرط مع  
الإسلام عند عامة العلماء. وعن علي رضي الله عنه: لا تجوز شهادة العبد في شيء. وعند شرح  
وابن سيرين وعثمان البتي أنها جائزة، ويجوز عند أبي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على  
اختلاف الملل ﴿فإن لم يكونا﴾ فإن لم يكن الشهيذان ﴿رجلين فرجل وامرأتان﴾ فليشهد رجل  
وامرأتان، وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ﴿من  
ترضون﴾ من تعرفون عدالتهم ﴿أن تضل إحداهما﴾ أن لا تهتدي إحداهما للشهادة بأن تنساها،  
من ضل الطريق إذا لم يهتد له. واتصاه على أنه مفعول له أى إرادة أن تضل. فإن قلت: كيف  
يكون ضلالها مراد الله تعالى؟ قلت لما كان الضلال سببا للإذكار، والإذكار مسيئا عنه، وهم  
ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لا لتباسهما واتصاهما، كانت إرادة الضلال  
المسبب عنه الإذكار لإذكار، فسكانه قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت.  
ونظيره قولهم: أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعته، وأعددت السلاح أن يحمي عدو فأدفعه.  
وقرى ﴿فتذكر﴾ بالتخفيف والتشديد، وهما لثنتان وقتذاكر. وقرأ حمزة: إن تضل إحداهما،  
على الشرط. فتذكر: بالرفع والتشديد، كقوله (ومن عاد فينتقم الله منه) وقرئ أن تضل إحداهما  
على البناء للمفعول والتأنيث. ومن بدع التفاسير: فتذكر، فتجعل إحداهما الأخرى ذكرا، يعنى  
أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ﴿إذا مادعوا﴾ ليقموا الشهادة. وقيل: ليستشهدوا. وقيل  
لهم شهداء قبل التحمل، تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن. وعن قتادة: كان الرجل يطوف الحواء<sup>(١)</sup>  
العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم أحد، فزلت. كنى بالسأم عن الكسل، لأن الكسل صفة  
المنافق. ومنه الحديث: لا يقول المؤمن كسلت<sup>(٢)</sup> ويجوز أن يراد من كثرت مدايناته؛ فاحتاج  
أن يكسب لكل دين صغير أو كبير كتابا، فربما مل كثرة الكتب. والضمير في ﴿تكتبوه﴾  
للدين أو الحق ﴿صغيرا أو كبيرا﴾ على أى حال كان الحق من صغر أو كبير. ويجوز أن يكون الضمير  
للكتاب؛ وأن يكتبوه مختصراً أو مشبعاً لا يخلوا بكتابته ﴿إلى أجله﴾ إلى وقته الذى اتفق

(١) قوله: يطوف في الحواء، في الصحاح: الحواء جماعة بيوت من الناس مجتمعة. (ع)

(٢) يأتي في براءة

الغريمان غلى تسميته ﴿ذلك﴾ إشارة إلى أن تكتبوه ، لأنه في معنى المصدر ، أى ذلكم الكتب  
 ﴿أقسط﴾ أعدل من القسط ﴿وأقوم للشهادة﴾ وأعون على إقامة الشهادة ﴿وأدنى ألا تتابوا﴾  
 وأقرب من انتفاء الريب . فإن قلت : ممّ بنى أفعلا التفضيل ، أعنى : أقسط ، وأقوم ؟ قلت : يجوز  
 على مذهب سيبويه أن يكونا مبنيين من أقسط وأقام ، وأن يتكون أقسط من قاسط على طريقة  
 النسب بمعنى ذى قسط ، وأقوم من قويم . وقرئ : ولا يسأموا أن يكتبوه بالياء فيهما . فإن قلت :  
 مامعنى ﴿تجارة حائرة﴾ وسواء أكانت المبايعة بدين أو بعين فالتجارة حائرة ؟ ومامعنى إدارتها  
 بينهم ؟ قلت . أريد بالتجارة ما يتجر فيه من الأبدال . ومعنى إدارتها بينهم تعاطيهم إياها يدا بيد .  
 والمعنى : إلا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوه ، لأنه لا يترجم فيه ما يترجم في  
 التداين . وقرئ : تجارة حائرة بالرفع على كان التامة . وقيل : هى الناقصة على أن الاسم وتجارة  
 حاضرة ، والخبر وتديرونها ، وبالنصب على : إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب :

بَنِي أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بَلَاءَنَا إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ أَشْنَعًا (١)

أى إذا كان اليوم يوما ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ أمر بالإشهاد على التبايع مطلقاً ، ناجزا أو كالنا  
 لأنه أحوط وأبعد مما عسى يقع من الاختلاف . ويجوز أن يراد : وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع  
 يعنى التجارة الحاضرة ، على أن الإشهاد كاف فيه دون الكتابة . وعن الحسن : إن شاء أشهد  
 وإن شاء لم يشهد . وعن الضحاك : هى عزيمة من الله ولوعلى باقة بقل (٢) ﴿ولا يضار﴾ يحتمل البناء  
 للفاعل والمفعول . والدليل عليه قراءة عمر رضى الله عنه : ولا يضارر ، بالإظهار والكسر . وقراءة  
 ابن عباس رضى الله عنه : ولا يضارر ، بالإظهار والفتح . والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك  
 الإجابة إلى ما يطلب منهما . وعن التحريف والزيادة والنقصان ، أو النهى عن الضرار بهما بأن  
 يعجلا عن مهم ، ويلزا ، أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل ، أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد (٣) .  
 وقرأ الحسن : ولا يضار ، بالكسر ﴿وإن تفعلوا﴾ وإن تضاروا ﴿فإنه﴾ فإن الضرار ﴿فسوق

(١) من آيات الكتاب . والمراد من هذا الاستفهام الوعيد والتهديد وتذكير ما سبق أو التقرير ، أو هل  
 معنى قد . والبلاء : الحرب وكل مكروه . أى يابئ أسد ، هل تعلمون حربنا إذا كان اليوم يوما صاحب كواكب ،  
 فاسم كان محذوف . ويجوز أن اسم كان ضمير البلاء ، ويوما ظرف متعلق بالخبر المحذوف . وكنى بذي الكواكب  
 عن المظلم ، لأن الكواكب المتعددة لا تظهر إلا ليلا ، فالمعنى : إذا كان اليوم يشبه الليل فى الظلمة من اشتداد الحرب  
 وإثارة الغبار فيحجب الشمس ، فكأن النجوم ترى فيه . وأقرب من ذلك أنه استعار الكواكب لأطراف الرياح ،  
 والسيوف للبعات وانفجارها ذلك اليوم كالنجوم على طرق النصرية ، والأشنع : القبيح .

(٢) قوله «على باقة بقل» حزمة منه . أفاده الصلاح . (ع)

(٣) قوله «مؤنة مجيئه من بلد» لعله من بلد بعيد ، (ع)



بكم) وقيل: وإن تفعلوا شيئاً مما نهيتهم عنه (على سفر) مسافرين. وقرأ ابن عباس وأبى رضى الله عنهما كتاباً. وقال ابن عباس: رأيت إن وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة. وقرأ أبو العالية: كتباً. وقرأ الحسن: كتاباً، جمع كاتب (فرهن) فالذى يستوثق به رهن. وقرئ فرهن بضمة الهاء وسكونها، وهو جمع رهن، كسقف وسقف. وفرهان. فإن قلت: لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر<sup>(١)</sup> وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر<sup>(٢)</sup>. قلت: ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة، ولكن السفر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد، أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر، بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والإشهاد. وعن مجاهد والضحاك أنهما لم يجوزاه إلا في حال السفر أخذاً بظاهر الآية. وأما القبض فلا بد من اعتباره<sup>(٣)</sup>. وعند مالك يصح الارتهان

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت: لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر ... الخ» قال أحمد رحمه الله: فالخصيص بالسفر على هذا جرى على وفق الغالب فلا مفهوم له. وفي هذه الآية دليل بين لمذهب مالك رضى الله عنه في إقامة الرهن عند التنازع في قدر الدين مقام شاهد للمرتن إلى تمام قيمته، حتى لو تنازعا فقال الراهن: رهنتك بمائة، وقال المرتن: بل الرهن بمائتين، لكان الرهن شاهداً بقيمته. خلافاً لما رضى الله عنه فإنه يرى القول قول الراهن مطلقاً، لأنه غارم، ووجه الدليل لمالك رضى الله عنه من الآية: أن الله تعالى جعل الرهن في التوثق عوضاً من الأشهاد والكتابة، وخصه بالسفر لإعوازاها حينئذ، ولو كان القول قول الراهن شرعاً لم يكن قائماً مقام الأشهاد ولا مفيداً فائدته بوجه، إذ لو لم يكن الرهن لكان القول قول المديان في قدر الدين فلم يزد وجود الرهن فائدة على عدمه باعتبار نيابة عن الأشهاد، ولا يقال: إن فائدته الامتياز به على الغرماء، لأن تلك فائدة الأشهاد حتى يكون نائباً عنه عند تعذره، ولا فائدة إذ ذاك إلا جعل القول قول المرتن في قدر الدين عند التخالف وهو مذهب مالك المتقدم ذكره. ومن ثم لم يجعله شاهداً إلا في قيمته لا فيما زاد عليها، معتصداً بالعادة في أن رب الدين لا يقبل في دينه إلا الموفى بقيمته. فدعوه أن الدين أكثر من القيمة مردودة بالعادة، والمديان أيضاً لا يسمع بتسليم ما قيمته أكثر فيما هو أقل، فدعواه أن الدين أقل من القيمة مردودة بالعادة، ولا يبقى إلا النظر في أمر واحد، وهو أن المعتبر عند مالك في القيمة يوم الحكم، حتى لو تصادقا على أن القيمة كانت يوم الرهن أكثر أو أقل لم يلتفت إلى ذلك زادت أو نقصت، وإنما يعتبر يوم القضاء. ولما قلنا أن يقول: إذا جعلتم الرهن مقام القاعد عند عدمه لأن العادة تقتضى أن الناس إنما يرهنون في الديون المساوى قيمته لها، فينبغي أن تعتبر القيمة يوم الرهن غير مرجح على زيادتها ونقصانها يوم القضاء، وعند ذلك يتجاذب أطراف الكلام في أن المقتضى لأقامته مقام الشاهد هو المعنى المتقدم أو غيره. وليس غرضنا إلا أن الآية ترشد إلى إقامته مقام الشهادة في الجملة. وأما تفاصيل المسألة فذلك من حظ الفقه.

(٢) منقذ عليه من رواية الأسود بن يزيد عن عائشة وأن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودى ما علمنا إلى أجل ورهنه درعاً من حديد، وللبخارى من رواية قتادة عن أنس. قال: «ولقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعاً له بالمدينة عند يهودى، وأخذ منه شعيراً لأهله» اهـ.

(٣) قال محمود: «وأما القبض فلا بد من اعتباره ... الخ» قال أحمد رحمه الله: ليس بين مالك والثانبي خلاف في صحة الارتهان بالإيجاب والقبول دون القبض، ولكنه عند مالك رضى الله عنه يصح بذلك، ويلزم الراهن بالعقد تسليمه للمرتن. وعند الشافعى لا يلزم بالعقد ولكن للقبض عند مالك اعتبار في الابتداء والتمام، ولا يشترط =

بالإيجاب والقبول بدون القبض (فإن أمن بعضكم بعضاً) فإن أمن بعض الدائنين بعض المدينين<sup>(١)</sup> لحسن ظنه به . وقرأ أي : فإن أو من ، أي آمنه الناس<sup>(٢)</sup> ووصفوا المدينون بالأمانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله (فليؤد الذي أؤتمن أمانته) حث المدينون على أن يكون عند ظن الدائن به وأمنه منه واثمته له ، وأن يؤدى إليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه . وسمى الدين أمانة وهو مضمون لاثمته عليه بترك الارتهان منه . والقراءة أن تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال أو ياء ، فتقول : الذي أؤتمن ، أو الذي تؤتمن . وعن عاصم أنه قرأ : الذي أؤتمن ، بإدغام الياء في التاء ، قياساً على اتسر في الافتعال من اليسر ، وليس بصحيح ، لأن الياء منقلبة عن الهمزة ، فهي في حكم الهمزة وواتزرها عامي<sup>(٣)</sup> ، وكذلك رياء في روياء (آثم) خبر إن . و(قلبه) رفع بآثم على الفاعلية ، كأنه قيل : فإنه يآثم قلبه . ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء . وآثم خبر مقدم ، والجملة خبر إن . فإن قلت : هلا اقتصر على قوله (فإنه آثم) ؟ وما فائدة ذكر القلب . والجملة هي الآثمة لا القلب وحده . ؟ قلت : كتمان الشهادة : هو أن يضمرها ولا يتكلم بها ، فلما كان إثماً مقترفاً بالقلب أسند إليه ، لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ . ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد : هذا ما أبصرته عيني ، وما سمعته أذني ، وما عرفه قلبي ، ولأن القلب هو رئيس الأعضاء

== الشافعي كثيراً من أحكامه عند مالك ، وذلك أنها لو تقرر على القبض ثم قام الغرماء انتفع بالرهن عند الشافعي وامتناز به ، ولم ينتفع به عند مالك وكان أسوة الغرماء فيه ، حتى ينضاف إلى الشهادة عليهما بالقبض مائة البينة لذلك ، لأنه يهتمهما بالتواطؤ على إسقاط حق الغرماء فلا يعتبر إقرارهما إلا بانضمام المعاني ، فالقبض من هذا الوجه أدخل في الاعتبار على رأى مالك منه على رأى الشافعي ، هذا في الابتداء . وأما في الدوام فمالك رضى الله عنه يشترط بقاءه في يد المرتهن حتى لو عاد إلى يد الراهن بأن أودعه المرتهن إياه أو أجره منه أو أعاره إياه بإجارة مطلقاً فقد خرج من الرهن ، ولو قام الغرماء وهو يد الراهن بوجه من الوجوه المذكورة كان أسوة الغرماء فيه ، والشافعي رضى الله عنه لا يشترط دوام القبض على هذا الوجه ، بل الراهن عند الشافعي أن ينتفع بالرهن ولو كره المرتهن إذا لم يكن الانتفاع مضراً بالرهن ، كسكى الدار ، واستخدام العبد . وله أن يستوفي منافعه بنفسه على الصحيح عنده المنصوص عليه في الأم . ولا يؤثر ذلك في الرهن بطلاناً ولا خلاً ، فقد علمت أن القبض أدخل في الاعتبار على مذهب مالك ابتداءً ودواماً ، والآية تشهد بأن الرهن في اللغة هو الدوام . أنشد أبو علي :

« فالحيز واللحم لهم رهن وقهوة راووقها ساكب »

وأجل القائل باشتراط دوام الرهن في يد المرتهن تمسك بما في لفظ الرهن من اقتضاء الدوام ، وله في ذلك متمسك . وما طولت في حكاية مذهب مالك في القبض ، إلا لأن المفهوم من كلام الزعشرى إطراح القبض عند مالك لأنه فهم من قول أصحابه أن القبض لا يشترط في صحة الرهن ، ولا في لزومه أنه غير معتبر عنده بالكلية ، والله أعلم ،

(١) قوله « المدينون لحسن ظنه به » له مسموع شاذ ، والقياس المدينين ، وكذا المدينون قياسه المدين (ع)

(٢) قوله « أى آمنه الناس » الظاهر أنه من الأفعال بالكسر ، لأن المفاعلة ، أى جعل الناس البعض وهو

الدائن بحيث يأمن البعض الآخر وهو المدين ، وذلك بأن وصفوا له المدين بالأمانة الخ ، فصار الدائن بحيث يأمن المدين . (ع)

والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ، فكأنه قيل : فقد تمكن الإثم في أصل نفسه ، ومالك أشرف مكان فيه . وثلاثا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط ، وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه ، واللسان ترجمان عنه . ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهي لها كالأصول التي تنشعب منها . ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر ، وهما من أفعال القلوب ، فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاصم الذنوب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أ كبر الكبائر الإشراك بالله لقوله تعالى ( فقد حرم الله عليه الجنة ) وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة . وقرئ : قلبه ، بالنصب ، كقوله ( سفه نفسه ) وقرأ ابن أبي عبلة : أثم قلبه ، أى جعله آثما <sup>(١)</sup>

لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَإِنْ تُبٰدُوْا مَا فِىْ اَنْفُسِكُمْ اَوْ تُخَفَوْهُ  
يَحٰسِبْكُمْ بِهٖ اللّٰهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿٢٨٤﴾

(وإن تبادوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) لمن استوجب المغفرة بالتوبة بما أظهر منه أو أضمره (ويعذب من يشاء) ممن استوجب العقوبة بالإصرار . ولا يدخل فيما يخفيه الإنسان : الوسوس وحديث النفس ، لأن ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ، ولكن ما اعتقده وعزم عليه . وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه تلاها فقال : لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن <sup>(٢)</sup> ، ثم بكى حتى سمع نشيجه <sup>(٣)</sup> . فذكر لابن عباس فقال : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ، قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فزل (لا يكلف الله) وقرئ : فيغفر ويعذب ، مجزومين عطفاً على جواب الشرط ، ومرفوعين على : فهو يغفر ويعذب . فإن قلت : كيف يقرأ الجازم ؟ قلت : يظهر الراء ويدغم الباء . ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشاً . وراويها عن أبي عمرو ومخطئ مرتين ، لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم . والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة ، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو . وقرأ الأعمش : يغفر ، بغير فاء مجزوماً على البدل من يحاسبكم ، كقوله :

(١) قوله «أثم قلبه» أى جعله آثماً ، يحتمل أنه بمدحمة من الافعال ، وأنه بتشديد التاء من التفعيل ، فليحرر . (ع)

(٢) أخرجه العياشى عن طريق الزهرى عن سعيد بن مرجانة عن ابن عمر به . وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن ابن عمر

(٣) قوله «حتى سمع نشيجه» في الصحاح : نشيج الباكي شهجاً ونشيجاً ، إذا غص بالبكاء في حلقه من غير احتجاب . (ع)

مَتَى تَأْتَانَا تُتْلِمُ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَحْمِدُ حَطَبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْتِجَا <sup>(١)</sup>

ومعنى هذا البديل التفصيل لجملة الحساب، لأن التفصيل أوضح من المفصل، فهو جار مجرى بديل البعض من الكل أو بديل الاشتغال، كقولك: ضربت زيداً رأسه، وأحب زيداً عقله. وهذا البديل واقع في الأفعال وقوعه في الاسماء لحاجة التيسيلين إلى البيان.

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا  
غُفِرَ لَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ <sup>(٢٨٥)</sup>

﴿والمؤمنون﴾ إن عطف على الرسول كان الضمير - الذى التنوين نائب عنه فى كل - راجعاً إلى الرسول والمؤمنين، أى كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين <sup>(١)</sup>. ووقف عليه. وإن كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين. ووجد ضمير كل فى آمن على معنى: كل واحد منهم آمن، وكان يجوز أن يجمع، كقوله (وكلُّ أتوه داخرين). وقرأ ابن عباس: وكتابه، يريد القرآن أو الجنس <sup>(٢)</sup> وعنه: الكتاب أكثر من الكتب. فإن قلت: كيف يكون الواحد أكثر من الجمع؟ قلت: لأنه إذا أريد بالواحد الجنس - والجنسية قائمة فى وحدان الجنس كلها - لم يخرج منه شيء. فأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من المجموع ﴿لا يفرق﴾ يقولون لا يفرق. وعن أبى عمرو: يفرق بالياء، على أن الفعل لكل. وقرأ عبدالله: لا يفرقون. و﴿أحد﴾ فى معنى الجمع، كقوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) ولذلك دخل عليه بين. ﴿سمعنا﴾ أجبنا ﴿غفرانك﴾ منصوب بإضمار فعله. يقال: غفرانك لا كفرانك، أى نستغفرك ولا ننكر ركب. وقرئ (وكتبه ورسله) بالسكون.

(١) د تلم ، بديل ما قبله ، أى متى ننزل عندنا تجدنا موقدين النار بحطب غليظ ، وهذا كناية عن كرمهم . وتأججا : مستند لضمير الحطب والنار ، أى اشتغلا . واستدل بهما . وإسناده للنار حقيقى ، ولحطب من باب الاستناد للسبب ، فهو مجاز عقلى وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز فى الاستناد .

(٢) قوله د ورسله من المذكورين ، لعل قبله سقطاً تقديره : أى كل من المذكورين . (ع)

(٣) قال محمود : ونقل عن ابن عباس أنه قرأ وكتابه ... الخ . قال أحد : وقد قال مالك : إن القرأ أخرى باستغراق الجنس من القور ، فإن القرأ استرسل على الجنس لا بصيغة لفظية ، والقور يرده إلى تخيل الوجدان ، ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع وفى صيغة الجمع مضطرب . وهذا الكلام من الامام لو ظفر له بقول ابن عباس هذا لأشهر الفرضية فى الاستشهاد به على صحة مقالته هذه فلا نعيده .

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

الوسع : ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يخرج فيه ، أى لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه . ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود . وهذا إخبار عن عدله ورحمته كقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر) لأنه كان فى إمكان الإنسان وطاقته أن يصلى أكثر من الخمس ، ويصوم أكثر من الشهر ، ويحج أكثر من حجة . وقرأ ابن أبى عملة وسعها بالفتح (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر ، لا يؤاخذ بذنوبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها . فإن قلت : لم خص الخير بالكسب ، والشر بالاكتساب ؟ قلت : فى الاكتساب اعتمال ، فلما كان الشر مما تشبهه النفس وهى منجذبة إليه وأثارة به ، كانت فى تحصيله أعمل وأجد ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه . ولما لم تكن كذلك فى باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال . أى لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطأ إن فرط منا . فإن قلت : النسيان والخطأ متجاوز عنهما ، فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما ؟ <sup>(١)</sup> قلت : ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسيبان عنه من التفريط والإغفال . ألا ترى إلى قوله (وما أنسانيه إلا الشيطان) والشيطان لا يقدر على فعل النسيان ، وإنما يوسوس فتكون وسوسته سبباً للتفريط الذى منه النسيان ، ولأنهم كانوا متقين الله حق تقاته ، فما كانت تفرط منهم فرطة إلا على وجه النسيان والخطأ ، فكان وصفهم بالدعاء بذلك إيذاناً ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به ، كأنه قيل : إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به ، فما فهم سبب مؤاخذة إلا الخطأ والنسيان . ويجوز أن يدعو الإنسان بما

(١) قال محمود : « فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما ... الخ ، قال أحمد : ولا ورود لهذا السؤال على قواعد أهل السنة ، لأننا نقول : إنما ارتفعت المؤاخذة بهذين بالسمع كقوله عليه الصلاة والسلام : «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» ، وإذا كان كذلك فلعل رفع المؤاخذة بهما كان إجابة لهذه الدعوة . فقد نقل أن الله تعالى قال عند كل دعوة منها : قد فعلت . وإنما ألزم الزمخشري ورود السؤال على قواعد التقديرية الداميين إلى استحالة المؤاخذة بالخطأ والنسيان عقلاً ، لأنه من تكليف مالا يطيق ، وهو المستحيل عندهم تفريعاً على قاعدة التحسين والتفريط ، وكلها قواعد باطلة ومذاهب ماحلة . فالتعالى يحمل لنا من إجابة هذه الدعوات أوامر نصيب ، ويهلنا الممتنع من الحق والقول المصيب ، إنه سميع عليم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه. والإصر : العبء الذى يأصر حامله أى يحبس مكانه لا يستقل به لثقله ، استعير للتكليف الشاق ، من نحو قتل الأنفس ، وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك . وقرئ : آصاراً على الجمع . وفي قراءة أبي : ولا تحمل علينا بالتشديد . فإن قلت : أى فرق بين هذه التشديدات التى فى ( ولا تحملنا ) ؟ قلت : هذه للمبالغة فى حمل عليه ، وتلك لنقل حمله من مفعول واحد إلى مفعولين ﴿ ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ من العقوبات النازلة بمن قبلنا ، طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة التى كلفها من قبلهم ، ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفریطهم فى المحافظة عليها . وقيل : المراد به الشاق الذى لا يكاد يستطيع من التكليف . وهذا تكرير لقوله ( ولا تحمل علينا إصرأ ) . ﴿ مولانا ﴾ سيدنا ونحن عبيدك . أو ناصرنا . أو متولى أمورنا ﴿ فأنصرنا ﴾ فمن حق المولى أن ينصر عبيده . أو فإن ذلك عادتك . أو فإن ذلك من أمورنا التى عليك توليها . وعن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات ، قيل له عند كل كلمة : قد فعلت ،<sup>(١)</sup> وعنه عليه السلام : من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه ،<sup>(٢)</sup> وعنه عليه السلام : وأتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتتهن نبى قبلى ،<sup>(٣)</sup> وعنه عليه السلام : أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفى سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأته عن قيام الليل ،<sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه مسلم من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس : لما نزلت هذه الآية (إن تبدوا ما فى أنفسكم - الآية) قال : دخل قلوبهم منها شئ لم يدخل قلوبهم . فقال : قولوا : سمعنا وأطعنا - الحديث ، وفيه : قد فعلت . فى مواضع ، وغفل الحاكم فاستدركه .

(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود . واختلف فى معناه . فقيل : كفتاه : أجزأته عن قيام الليل كما فى الذى قبله ، وقيل : كفتاه أجزأ وفضلاً ، وقيل : كفتاه من كل شيطان أو من كل آفة .

(٣) هذا طرف من حديث ، أوله عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضلنا على الناس بثلاث : جعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً ، وجعلت صفوفنا كهفوف الملائكة ، وأوتيت هؤلاء الآيات آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش ، لم يعط منه أحد قبلى ، ولا يعطى منه أحد بعدى : أخرجه الترمذى وأحمد والبرزى وابن أبى شيبة وابن خزيمة وابن حبان من رواية أبى مالك الأشجعى عن ربى بن خراش عن حذيفة ، وقد أخرجه مسلم ، لكن قال فى الثالثة وذكر خصلة أخرى : فأبهمها ، وذكرها أصحاب المستخرجات وغيرهم من طريق شيخه بإسناده فيه ، وغفل الحاكم فذكر فى فضائل القرآن فى المستدرك : بأن مسلماً أخرجه هذه الجملة ، ولعل مسلماً إنما أبهمها للاختلاف على ربى فيها ، فقد رواه أحمد وإسحاق من رواية جرير عن منصور عن ربى عن خراش عن زيد بن ظبيان عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لكن تابع أباً مالك نعيم بن أبى هند ، أخرجه الطبرانى فى الأوسط فى المحدثين منه من طريقه .

(٤) أخرجه ابن عدى من حديث ابن مسعود ، وفى إسناده الوليد بن عباد وهو مجهول عن أبان بن أبى عياش ، وهو متروك .

فإن قلت : هل يجوز أن يقال : قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة . قلت : لا بأس بذلك . وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم « من آخر سورة البقرة » و « خواتيم سورة البقرة » و « خواتيم البقرة » .<sup>(١)</sup>

وعن علي رضي الله عنه ، و « خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش » .  
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنه رمى الحجر ثم قال « من ههنا » والذي لا إله غيره - رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة ،<sup>(٢)</sup>

ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة وسورة المجادلة . وإذا قيل : قرأت البقرة ، لم يشكل أن المراد سورة البقرة كقوله ( واسأل القرية ) . وعن بعضهم أنه كره ذلك وقال : يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة . قيل : وما البطلة ؟ قال : السحرة »<sup>(٣)</sup>

(١) تقدما جميعا قريبا ، ولمسلم من حديث مرة بن ثراحيل الطبيب عن ابن مسعود : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : الصلوات الخمس ، وخواتيم سورة البقرة - الحديث . وله عن ابن عباس : بينما جبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزل ملك - الحديث وفيه : فاتموا الكتاب وخواتيم سورة البقرة .

(٢) متفق عليه من رواية الأعمش : سمعت الحجاج بن يوسف على المنبر يقول : السورة التي يذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران . والسورة التي يذكر فيها النساء . قال : فذكرته لابراهيم فقال : حدثني عبد الرحمن ابن يزيد أنه كان مع ابن مسعود حين رمى بحجر العقبة ... الحديث .

(٣) ذكر أبو شجاع الديلمي في الفردوس . من حديث أبي سعيد الخدري : والمسألة في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة مرفوعاً : « اقرأوا سورة البقرة فأخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة » . قال معاوية أحد رواة : المعنى أن البطلة السحرة . وفي الباب عن بريدة عند الثعلبي والبيهقي .

(تنبيه) المصنف ذكر حديث أبي سعيد مستدلاً به أن قال : السورة التي يذكر فيها كذا . ولما قبله على الجواز . فإنه من المرفوع ما رواه الطبراني في الأوسط والمحدثين وابن مردويه في تفسيره من حديث موسى بن أنس بن مالك عن أبيه رفته : « لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ، وكذا القرآن كله ، ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها آل عمران ، وكذا القرآن كله ، وفي إسناد عيسى بن ميمون أبو سلة الخواص ، وهو ساقط .

## سورة آل عمران

مدينة وهي مائتا آية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ① اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ② نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ③ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ④

(م) حقها أن يوقف عليها كما وقف على ألف ولام، وأن يبدأ ما بعدها كما تقول : واحد اثنان : وهي قراءة عاصم . وأما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف . فإن قلت : كيف جاز إلقاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لأن ثبات حركتها كنهانها ؟ قلت : هذا ليس بدرج ، لأن (م) في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت . وإنما حذفنا تخفيفاً وألقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها . ونظيره قولهم : واحد اثنان ، بإلقاء حركة الهمزة على الدال . فإن قلت : هل ازعمت أنها حركة لالتقاء الساكنين ؟ قلت : لأن التقاء الساكنين لا يبالي به في باب الوقف ، وذلك قولك : هذا إبراهيم وداود وإسحق . ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميم في ألف لام ميم ، لالتقاء الساكنين . ولما انتظر ساكن آخر . فإن قلت : إنما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم ، لأنهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق بساكنين ، فإذا جاء ساكن ثالث لم يمكن إلا التحريك فحركوا . قلت : الدليل على أن الحركة ليست لملاقاة الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا : واحد اثنان ، بسكون الدال مع طرح الهمزة ، فيجمعوا بين ساكنين ، كما قالوا : أصم ، ومديق . فلما حركوا الدال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين . فإن قلت : فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر ؟ قلت : هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقولة . و﴿ التوراة والإنجيل ﴾ اسمان أعجميان . وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وأفعل ، إنما يصح بعد كونهما عربيين . وقرأ الحسن : الإنجيل ، بفتح الهمزة ،



وهو دليل على العجمة ، لأن أفعيل - بفتح الهزمة - عديم في أوزان العرب . فإن قلت : لم قيل (نزل الكتاب) <sup>(١)</sup> (وأُنزل التوراة والإنجيل) ؟ قلت : لأن القرآن نزل منجماً ، ونزل الكتابان جملة . وقرأ الأعمش : نَزَن عليك الكتابُ بالتخفيف ورفع الكتاب (هدى للناس) أى لقوم موسى وعيسى . وقال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسرّه على العموم . فإن قلت : ما المراد بالفرقان ؟ قلت : جنس الكتب السماوية <sup>(٢)</sup> ، لأن كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل ، أو الكتب التي ذكرها ، كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة : وأُنزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه ، أو من هذه الكتب ، أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور ، كما قال (وآتينا داود زبوراً) وهو ظاهر . أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقاً بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس ، تعظيماً لشأنه وإظهاراً لفضله (بآيات الله) من كتبه المنزل وغيرها (ذوات انتقام) له انتقام شديد <sup>(٣)</sup> لا يقدر على مثله منتقم .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۚ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ

(لا يخفى عليه شيء) في العالم فعبّر عنه بالسماء والأرض ، فهو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن ، وهو مجازيهم عليه (كيف يشاء) من الصور المختلفة المتفاوتة . وقرأ طاوس : تصوركُم ،

(١) قال محمود : وإن قلت : لم قيل في القرآن نزل ... الخ ، قال أحد : يريد لأن «فعل» بصيغة مبالغة وتكثير ، فلما كان نزول القرآن منجماً كان أكثر تنزيلاً من غيره لفرقه في مرار عديدة ، فعبّر عنه بصيغة مطابقة لكثرة تنزيلاته ، وعبر عن الكتابين بصيغة خلية عن المبالغة والتكثير والله أعلم .

(٢) (عاد كلامه) قال : والمرقان يحتمل أن يراد به جميع الكتب السماوية لأنها تفرق بين الحق والباطل ، أو الكتب التي ذكرها أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور . كما أفردّه وأخر ذكره في قوله (وآتينا داود زبوراً) أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقاً بين الحق والباطل ، بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيماً لشأنه وإظهاراً لفضله والله أعلم . قال أحد : وقد جعل الزمخشري سر التعبير عن نزول القرآن بصيغة «فعل» تفريقه في التنزيل كما تقدم آنفاً ، ثم حمل الفرقان على أحد تأويلاته على القرآن والتعبير عنه بأفعل كغيره ، فإن يكن هذا - والله أعلم - فالوجه أنه لما عبّر أولاً عن نزوله الخاص به ، أتى بمباراة مطابقة لقصد الخصوصية ، فلما جرى ذكره ثانياً لينعت بصيغة زائدة على اسم الجنس ، عبّر عن نزوله من حيث الاطلاق اكتفاءً بتميزه أولاً وإجمالاً لذلك في غير مقصوده ، ومن العبارة السائرة عن هذا المعنى : الكلام بمحمل في غير مقصوده ، ويفصل في مقصوده .

(٣) قال محمود : «معناه له انتقام شديد ... الخ» . قال أحد : وإنما يأتي هذا التفعيض من التكثير وهو من علاماته مثله في قوله (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) .

أى صوركم لنفسه ولتعبده ، كقولك : أثلت مالا ، إذا جعلته أثلة ، أى أصلا . وتأثلته ، إذا أثلته لنفسك . وعن سعيد بن جبير : هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان ربا ، كأنه نبه بكونه مصورا فى الرحم ، على أنه عبد كغيره ، وكان يخفى عليه مالا يخفى على الله .

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ  
وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ  
وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ  
كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾

(محكمات) أحكمت عبارتها<sup>(١)</sup> بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه (متشابهات) مشتبهات

(١) قال محمود : والمحكمات التى أحكمت عبارتها ... الخ ، قال أحد : هذا كما قدمته عنه من تكلفه لتزليل الآى على وفق ما يعتقده ، وأعوذ بالله من جعل القرآن تمبا لل رأى . وذلك أن معتقده إحالة رؤية الله تعالى بناء على زعم القدرية من أن الرؤية تستلزم الجسمية والجهة ، فإذا ورد عليهم النص القاطع الدال على وقوع الرؤية كقوله ( إلى ربها ناظرة ) مالوا إلى جملة من المتشابه حتى يردوه بزعمهم إلى الآية التى يدعون أن ظاهرها يوافق رأيهم . والآية قوله تعالى ( لا تدركه الأبصار ) وغرضنا الآن بيان وجوب الجمع بين الآيتين على الوجه الحق ، فنقول : يحمل قوله ( لا تدركه الأبصار ) فى دار الدنيا . ويحمل الرؤية على الدار الآخرة جمعا بين الأدلة . أو نقول : الأبصار وإن كانت ظاهرة المعلوم إلا أن المراد بها الخصوص ، أى لا تدركه أبصار الكفار كقوله ( كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) ونقول : لا تمارض بين الآيتين ، فنقر كل واحدة منها فى نصابها . وبيان ذلك : أن الأبصار عام بالآلف واللام الجنسيتين ، ولا يتم غرض القدرية على زعمهم إلا بالموافقة على عمومها ، وحيث يكون فى المعلوم مرادفة لدخول كل ، لأن كليهما أعنى المعرف والجنسى ، وكلا يفيد الشمول والاطاعة ، وإذا أثبت ذلك فالسلب داخل على السكينة . والقواعد مستقرة على أن سلب السكينة جزئى لغة وتعقلا . ألا ترى أن القائل إذا قال : لا تنفق كل الدرهم ، كان المفهوم من ذلك الاذن فى إنفاق البعض والنهى عن إنفاق البعض ، ومن حيث المعقول أن السكينة تسلب بسلب بعض الأفراد ولو واحدا ، وحيث يكون مقتضى الآية سلب الرؤية عن بعض الأبصار وثبوتها لبعض الأبصار ، وهذا عين مذهب أهل السنة ، لأنهم يثبتونها للموحدين ويسلبونها عن الكفار كما أنبأ عنه قوله تعالى ( كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) فقد ثبت أن هذه الآية إما محمولة على إثبات الرؤية ، وإما باقية على ظاهرها . دليلا على ثبوتها على وفق السنة . ولا يقال قد ثبت الفرق بين دخول كل على المعرف تعريف الجنس وبين عدم دخولها . ألا ترى أنهم يقولون إن قولنا : الإنسان كاتب ، مهمل فى قوة الجزئية ، وإن قولنا دكل إنسان حيوان ، كللى لا جزئى ، لأننا نقول إنما جاريها الندرية على ما يلزمهم الموافقة فيه ، وهم قد وافقوا على تناول الأبصار لكل واحد واحد من أفراد الجنس ، ولولا ذلك لما تم لهم مرام ، ولكفونا مؤنة البحث فى ذلك ، وهذا القدر من السكينة المتفق عليها بين الفريقين لا يثبت لما سماه أهل ذلك الفن مهمل ، بل هذا هو السكلى عندهم والله الموفق . وأما الآيتان الأخريان اللتان إحداهما قوله تعالى ( إن الله لا يأمر بالفحشاء ) والأخرى التى هى قوله تعالى ( أمرنا مترفيا ففسقوا فيها ) فلا ينازع الزمخشري فى تمثيل المحكم والمتشابه بهما .

محتملات ﴿من أم الكتاب﴾ أى أصل الكتاب تحمل التشابهات عليها وترد إليها ، ومثال ذلك (لا تدركه الأبصار) ، (إلى ربها ناظرة) ، (لا يأمر بالفحشاء) . (أمرنا مترفها) . فإني قلت : فهلا كان القرآن كله محكما ؟ قلت : لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذى لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به ، ولما فى التشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ، ولما فى تقادح العلماء وإتصافهم القرائح فى استخراج معانيه وردّه إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الحجة ونيل الدرجات عند الله ، ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة فى كلام الله ولا اختلاف ، إذا رأى فيه ما يتناقض فى ظاهره ، وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ، ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة التشابه المحكم ، ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوة إيمانه ﴿الذين فى قلوبهم زيغ﴾ هم أهل البدع ﴿فيتبعون ما تشابه منه﴾ فيتعلقون بالتشابه الذى يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق ﴿ابتغاء الفتنة﴾ طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويعضلوه ﴿وابتغاء تأويله﴾ وطلب أن يأقوله التأويل الذى يشتهونه ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم﴾ أى لا يهتدى إلى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه إلا الله <sup>(١)</sup> وعباده الذين رسخوا فى العلم ، أى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرر قاطع . ومنهم من يقف على قوله إلا الله ، ويبتدئ والراسخون فى العلم يقولون . ويفسرون التشابه بما استأثر الله بعلبه ، وبمعرفة الحكمة فيه من آياته ، كعدد الزبانية ونحوه : والأول هو الوجه . ويقولون : كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل ﴿يقولون آمنا به﴾ أى بالتشابه ﴿كل من عند ربنا﴾ أى كل واحد منه ومن المحكم من عنده ، أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذى لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل . ويجوز أن يكون

(١) قال محمود : معناه لا يهتدى إلى تأويله ... الخ ، قال أحد رحمته الله : وقوله لا يهتدى إليه إلا الله ، عبارة فظة ، ولم يرد إطلاق الاهتداء على علم الله تعالى ، مع أن فى هذه اللفظة إيهاما إذ الاهتداء لا يكون فى الإطلاق إلا عن جبل وضلال - جل الله وعز - حتى إن الكافر إذا أسلم أطلق أهل العرف عليه : فلان المهتدى ، ذلك مقتضى اللغة فيه فانه مطاوع هدى . يقال : هديته فاهتدى ، والاجماع منعقد على أن مالم يرد إطلاقه وكان موها لا يجوز إطلاقه على الله عز وجل . ولذا أنكر على القاضى إطلاقه المعرفة على علم الله تعالى حيث حد مطلق العلم بأنه معرفة المعلوم على ما هو عليه . فلان ينكر على الزحشرى إطلاق الاهتداء على علم الله تعالى أجدر . وما أراها صدرت منه إلا وهما حيث أضاف العلم إلى الله تعالى وإلى الراسخين فى العلم ، فأطلق الاهتداء على الراسخين ، أو نقل عن كونه ذكرهم مضامين إلى الله تعالى فى الفعل المذكور والله أعلم .

( يقولون ) حالا من الراشخين . وقرأ عبد الله : إن تأويله إلا عند الله . وقرأ أبي : ويقول الراشحون .

رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ

لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

( لا تزغ قلوبنا ) لا تبلىنا بيلايا تزيع فيها قلوبنا <sup>(١)</sup> ( بعد إذ هديتنا ) وأرشدتنا لدينك . أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا ( من لدنك رحمة ) من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة . وقرئ لا تزغ قلوبنا ، بالتاء والياء ورفع القلوب ( جامع الناس ليوم ) أى تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم ، كقوله تعالى ( يوم يجمعكم ليوم الجمع ) : وقرئ : جامع الناس ، على الأصل ( إن الله لا يخلف الميعاد ) معناه أن الإلهية تنافى خلف الميعاد كقولك : \* إن الجواد لا يخيب سائله \* والميعاد : الموعد . قرأ على رضى الله عنه . لن تغنى بسكون الياء ، وهذا من الجد فى استتقال الحركة على حروف اللين .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُغْنِيَنَّ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَزَهُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

سُتُغْلَبُونَ وَيُنْخَسِرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾

( من ) فى قوله ( من الله ) مثله فى قوله ( وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا ) والمعنى : لن تغنى عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله ( شيئا ) أى بدل رحمته وطاعته وبدل الحق : ومنه ولا ينفع ذا الجذ منك الجد ، أى لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بذلك ، أى بدل طاعتك وعبادتك وما عندك

(١) قال محمود : « معناه ربنا لا تبلىنا بيلايا ... الخ ، قال أحد : أما أهل السنة فيدعون الله بهذه الدعوة غير معرفة ، لأنهم يوحّدون حق التوحيد ، فيعتقدون أن كل حادث من هدى وزيغ مخلوق لله تعالى . وأما القدريّة فتقدم أن الزيغ لا يخلقه الله تعالى وإنما يخلقه العبد لنفسه ، فلا يدعون الله تعالى بهذه الدعوة إلا معرفة إلى غير المراد بها كما أرطا المصنف به ، وإن كنا ندعو الله تعالى مضافا إلى هذه الدعوة بأن لا يبتلىنا ولا يمنعنا لطفه آمين ، لأن الكل فعله وخلقه ، ولا موجود إلا هو وأفعاله ، التى نحن وأفعالنا منها .

وفي معناه قوله تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقتربكم عندنا زلفى) وقرئ: وقود، بالضم بمعنى أهل وقودها. والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن ابن عباس: هم قريظة والنضير. الدأب: مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله، والكاف مرفوع المحل تقديره: دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم. ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلى تغنى، أو بالوقود. أى لن تغنى عنهم مثل ما لم تغنى عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم، تقول: إنك لتظلم الناس كدأب أيك تريد كظلم أيك ومثل ما كان يظلمهم، وإن فلانا لمخارف كدأب<sup>(١)</sup> أيه، تريد كما حورف أبوه ﴿كذبوا بآياتنا﴾ تفسير لدأبهم ما فعلوا وفعل بهم، على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم ﴿قل للذين كفروا﴾ هم مشركو مكة ﴿ستغلبون﴾ يعنى يوم بدر. وقيل: هم اليهود. ولما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر قالوا: هذا والله النبي الأسمى الذى بشرنا به موسى، وهما باتباعه، فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى، فلما كان يوم أحد شكوا. وقيل: جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر فى سوق بنى قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش<sup>(٢)</sup> وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، فقد عرفتم أنى نبي مرسل، فقالوا لا يفترنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبحت منهم فرصة، لأن قاتلتنا لعبت أنا نحن الناس، فنزلت وقرئ: سيغلبون ويحشرون، بالياء، كقوله تعالى (قل للذين كفروا إن يذموا يغفر لهم) على قل لهم قولى لك سيغلبون. فإن قلت: أى فرق بين القراءتين من حيث المعنى؟ قلت: معنى القراءة بالياء الأمر بأن يخبرهم بما سيجرى عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم. فهو إخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذى يدل عليه اللفظ: ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكى لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه، كأنه قال: أذ إليهم هذا أقول الذى هو قولى لك سيغلبون ويحشرون.

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى  
كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مُمْلِكِينَ رَأَى الْمُؤْمِنُونَ اللَّهَ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ بَشَاهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣)

(١) قوله: وإن فلانا لمخارف كدأب أيه، فى الصجاح: رجل عارف - بفتح الراء - أى محدود محروم، وهو خلاف قولك: مبارك. (ع)

(٢) أخرجه أبو داود والطبرى، من رواية ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير، وعكرمة عن ابن عباس قال: لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر وقدم المدينة جمع اليهود - الحديث،

﴿قد كان لكم آية﴾ الخطاب لمشركي قريش ﴿في فتنين التقتا﴾ يوم بدر ﴿يرونهم مثلهم﴾ يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين <sup>(١)</sup> قريباً من ألفين . أو مثلي عدد المسلمين ستائة ونيفاً وعشرين ، أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم لهابوهم ويجنبوا عن قتالهم ، وكان ذلك مدداً لهم من الله كما أمذهم بالملائكة . والدليل عليه قراءة نافع : ترونهم ، بالتاء أى ترون يامشركي قريش المسلمين مثلي فتتكم الكافرة ، أو مثلي أنفسهم . فإن قلت : فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال (ويقول لكم في أعينهم) . قلت : قللوا أو لا في أعينهم حتى اجتروا عليهم ، فلما لا قوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا ، فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين . ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى (فيومئذ لا يستل عن ذنبه إنس ولا جان) وقوله تعالى (وقفوه لهم منهم مستولون) وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية . وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين <sup>(٢)</sup> على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) بعد ما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله تعالى (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) ولذلك وصف ضعفهم <sup>(٣)</sup> بالقلّة لأنه قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم . وقراءة نافع لا تساعد عليه . وقرأ ابن مصرف : يرونهم ، على البناء للفعول بالياء والتاء ، أى يريهم الله ذلك بقدرته . وقرئ : فتنة تقاتل وأخرى كافرة ، بالجر على البدل من فتنين ، وبالنصب على الاختصاص . أو على الحال من الضمير في التقتا ﴿رأى العين﴾ بمعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لللبس فيها ، معاينة كسائر المعاينات ﴿والله يؤيد بنصره﴾ كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدو .

(١) قال محمود : «معناه يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين ... الخ» قال أحمد : وكذلك آيات الشفاعة المقدمة على رأى أهل السنة .

(٢) (عاد كلامه) قال : «وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين ... الخ» قال أحمد : إنما قال ذلك لأن الخطاب على قراءة نافع يكون للمسلمين ، أى ترونهم يامسلمون ، ويكون ضمير اثنين أيضاً للمسلمين . وقد جاء على لفظ الغيبة فيلزم الخروج في جملة واحدة من الحضور إلى الغيبة والانتفاء وإن كان سائفاً فصيحاً ، إلا أنه إنما يأتي في الأغلب في جملتين . وقد جاء ههنا الكلام جملة واحدة ، لأن مثلهم مفعول ثان للرؤية ، ولو قال القائل : ظننتك يقوم ، على لفظ الغيبة بعد الخطاب ، لم يكن بذلك ، فهذا هو الوجه الذي اعد الزخشرى به بين قراءة نافع وبين هذا التأويل ، إلا أنه يلزم مثله على أحد وجهيه المتقدمين آنفاً ، لأنه قال : معناه على قراءة نافع : ترون يامشركون المسلمين مثلي عددهم أو مثلي فتتكم الكافرة ، فعلى هذا الوجه الثاني يلزم الخروج من الخطاب إلى الغيبة في الجملة بعينها ، كما ألزمه هو على ذلك الوجه والله أعلم .

(٣) قوله «ولذلك وصف ضعفهم» لعل هذا في قوله تعالى (وإذ يريكمهم إذ التقيتهم في أعينكم قليلاً) أى وصف ضعف المسلمين وهو الستائة بالقلّة ، مع أن ضعف الشيء أكثر منه ، فتدبر . (ع)

زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ  
وَالْفِضَّةِ وَالْخَمَلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ  
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاكِ (١٤) قُلْ أُوذِيْتُكُمْ بَخْصِيرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ  
رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ  
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِمَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا عَامِنُونَ فَاعْفُ عَنَّا  
ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقُنُوتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ  
وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧)

﴿زين للناس﴾ المزين هو الله سبحانه وتعالى <sup>(١)</sup> للابتلاء، كقوله (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم) ويدل عليه قراءة مجاهد: زين للناس، على تسمية الفاعل. وعن الحسن: الشيطان. والله زينها لهم، لأننا لا نعلم أحداً أذم لها من خالقها ﴿حب الشهوات﴾ جعل الأعيان التي ذكرها شهوات <sup>(٢)</sup> مبالغة في كونها مشتهة محروصاً على الاستمتاع بها. والوجه أن يقصد تخصيصها فيسميها شهوات، لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتباعها شاهد على نفسه بالهمية، وقال (زين للناس حب الشهوات) ثم جملة بالتفسير، ليقرر أولاً في النفوس أن المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير، ثم يفسره بهذه الأجناس، فيكون أقوى لتخصيصها، وأدل على ذم من يستعظمها ويتهاك عليها ويرجع طلبها على طلب ما عند الله. والقنطار: المال الكثير. قيل: ملء مسك ثور. وعن سعيد بن جبير: مائة ألف دينار. ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا.

(١) قال محمود: د المزين هو الله تعالى... الخ، قال أحمد: التزيين للشهوات يطلق ويراد به خلق حبا في القلوب، وهو هذا المعنى مضاف إلى الله تعالى حقيقة، لأنه لا خالق إلا هو خالق كل شيء، من جوهر، ومن عرض قائم بالجواهر، حب أو غيره. محمود في الشرع أولاً. ويطلق التزيين ويراد به الحظ على تعاطي الشهوات والأمر بها، فهو بهذا الاعتبار لا يضاف إلى الله تعالى منه إلا الحظ على بعض الشهوات المنصوص عليها شرعاً كالنكاح المقتزن بقصد التناسل واتباع السنة فيه وما يجري مجراه. وأما الشهوات المحظورة فتزيينها بهذا المعنى الثاني مضاف إلى الشيطان، تنزيلاً لوسوسته وتحسينه منزلة الأمر بها والحظ على تعاطيها. وكلام الحسن رضى الله عنه يحول على التزيين بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول، فإنه يحاشي أن ينسب خلق الله إلى غير الله. وإنما الزمخشري كثيراً ما يورد أمثال هذه العبارة الملتبسة تنزيلاً لها على قواعد القدرة الفاسدة، فتعطف لها ويرى قائلها من السلف الصالح عما يزعم الزمخشري النقل عنه، والله الموفق.

(٢) (عاد كلامه) قال: د جعل الأعيان التي ذكرها شهوات... الخ، قال أحمد: يريد إلحاقها بإياب: رجل صوم وفطر، عما يوضع فيه المعنى موضع الاسم مبالغة.

و﴿المقنطرة﴾ مبنية من لفظ الفنطار للتوكيد كقولهم: ألف مؤلفة، وبدرة مبدرة. و﴿المسومة﴾ المعلىة، من السومة وهي العلامة. أو المظومة أو المرعية من أسام الدابة وسومها ﴿والانعام﴾ الأزواج الثمانية ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿متاع الحياة﴾.

﴿الذين اتقوا عند ربهم جنات﴾ كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم، كما تقول: هل أدلك على رجل عالم؟ عندي رجل من صفته كيت وكيت. ويجوز أن يتعلق اللام بخير. واختص المتقين، لأنهم هم المنتفعون به. وترتفع (جنات) على: هو جنات. وتنصره قراءة من قرأ (جنات) بالجزء على البدل من خير ﴿والله بصير بالعباد﴾ يثيب ويعاقب على الاستحقاق، أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم، فلذلك أعد لهم الجنات

﴿الذين يقولون﴾ نصب على المدح، أو رفع. ويجوز الجزء صفة للمتقين أو للعباد. والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها. وقدم الكلام في ذلك. وخصوا الأسرار لأنهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وعن الحسن: كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار، هذا نهارهم، وهذا ليلهم.

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْإِسْلَامِ وَمَا اخْتَلَفَ  
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَبِغْتُهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ  
بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره، وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما يشهادة الشاهد في البيان والكشف، وكذلك إقرار الملائكة وأولى العلم بذلك واحتجاجهم عليه ﴿قائماً بالقسط﴾ مقياً للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال، ويثيب ويعاقب، وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم. وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله (وهو الحق مصداقاً). فإن قلت: لم جاز لإفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه؟ ولو قلت جازي زيد وعمر وراكباً لم يجوز؟ قلت: إنما جاز هذا لعدم الإلباس كما جاز في قوله (ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة) أن انتصب نافلة حالاً

(٣) قوله «أو المظومة أو المرعية» عبارة أبي السعود. أو المظومة التامة الخلق اه. وفي الفخر: قال القفال:

المظومة المرأة الجميلة المرتبة اه. (ع)



عن يعقوب . ولو قلت : جاءني زيد وهند راكباً جاز لتيّره بالذكورة ، أو على المدح . فإن قلت : أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك : الحمد لله الحميد . وإنما عسر الانبياء لانورث ،<sup>(١)</sup> . إنا بنى نهشل لاندعى لأب ؟ قلت : قد جاء نكرة كما جاء معرفة . وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي :

وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ غُطِّلِ وَسُغِنَا مَرَا ضِيعَ مِثْلَ السَّعَالِي<sup>(٢)</sup>

فإن قلت : هل يجوز أن يكون صفة للنسبي كأنه قيل : لا إله قائماً بالقسط إلا هو ؟ قلت : لا يبعد ، فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف . فإن قلت : قد جعلته حالاً من فاعل شهد ، فهل يصح أن ينتصب حالاً عن « هو » في (لا إله إلا هو) ؟ قلت : نعم ، لأنها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي أن يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها ، كقولك : أنا عبد الله شجاعاً . وكذلك لو قلت : لا رجل إلا عبد الله شجاعاً . وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد ، وكذلك انتصابه على المدح . فإن قلت : هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة وأولى العلم كما دخلت الوجدانية ؟ قلت : نعم إذا جعلته حالاً من هو ، أو نصباً على المدح منه ، أو صفة للنسبي ، كأنه قيل : شهد الله والملائكة وأولو العلم أنه لا إله إلا هو ، وأنه قائم بالقسط . وقرأ عبد الله : القائم بالقسط ، على أنه بدل من هو ، أو خبر مبتدأ محذوف . وقرأ أبو حنيفة : قياً بالقسط ﴿ العزيز الحكيم ﴾ صفتان مقترتان لما وصف به ذاته من الوجدانية والعدل ، يعنى أنه العزيز الذي لا ينال به إله آخر ، الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله . فإن قلت : ما المراد بأولى العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله ؟ قلت : هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل<sup>(٣)</sup> والتوحيد . وقرئ (أنه) بالفتح ، و(إن الدين) بالكسر على أن الفعل واقع على أنه

(١) أخرجه أحمد ، حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا . ورواه النسائي في الكبرى ، من رواية ابن عينة عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان ، قال : قال عمر لعبد الرحمن وسعد وعثمان وطلحة والزبير « أنشدكم بالله الذي قامت له السموات والأرض ، أسعتم النبي صلى الله عليه وسلم يقول - فذكره ، وفيه قالوا : اللهم نعم » ، وأخرجه في الكنى في ترجمة أبي إدريس تليد أبي سليمان من رواية عن عبد الملك بن عمر عن أبي هريرة مثله . وأصله متفق عليه من حديث عائشة بألفظ « لا نورث ما تركنا صدقة » .

(٢) للهذلي يصف رجلاً يصيد ويرجع إلى زوجته وبناته عطال عاريات من الحلى والثياب . وسغينا نصب على الدم ، أي وأدمن شئنا أي مغبرات الوجوه من الجوع . والعطل : جمع عطالة . والشعث : جمع شعث . كسود وسوداء . ومراضيع : جمع مرضاع قياساً ، أو مرضع سماها ، أي ترضع أولادها مثل السعالي جمع سعاة وهي أتى الشياطين ، أي كرميات المنظر مثل الأغوال . وهي أقبح شئ عند العرب .

(٣) قوله « والبراهين القاطعة وهم علماء العدل » تليح بالمعتزلة حيث سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، لكن الانصاف التعميم حتى يشمل أهل السنة والجماعة . (ع)

بمعنى شهد الله على أنه ، أو بأنه . وقوله (إن الدين عند الله الإسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى . فإن قلت : ما فائدة هذا التوكيد ؟ قلت : فائدته أن قوله (لا إله إلا هو) توحيد ، وقوله (قائماً بالقسط) تعديل ، فإذا أردفه قوله (إن الدين عند الله الإسلام) فقد أذن أن الإسلام هو العدل <sup>(١)</sup> والتوحيد ، وهو الدين عند الله ، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين . وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدى إليه كإجازة الرؤية أو ذهب إلى الجبر الذى هو محض الجور ، لم يكن على دين الله الذى هو الإسلام ، وهذا بين جلى كما ترى . وقرئنا مفتوحين ، على أن الثانى <sup>(٢)</sup> بدل من الأول . كأنه قيل : شهد الله أن الدين عند الله الإسلام ، والبدل هو المبدل منه فى المعنى ، فكان يائنا صريحاً ، لأن دين الله هو التوحيد والعدل . وقرئ الأول بالكسر والثانى بالفتح ، على أن الفعل واقع على إن <sup>(٣)</sup> ، وما بينهما اعتراض مؤكد . وهذا أيضاً شاهد على أن دين الإسلام هو العدل والتوحيد ، فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك . وقرأ عبد الله : أن لا إله إلا هو . وقرأ أبى : إن الدين عند الله للإسلام ، وهى مقوية لقراءة من فتح الأولى وكسر الثانية . وقرئ : شهداء لله ، بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله ، وبالرفع على هم شهداء الله . فإن قلت : فعلام عطف على هذه القراءة (والملائكة وأولو العلم) ؟ قلت : على الضمير فى شهداء ، وجاز لوقوع الفاصل بينهما . فإن قلت : لم كرر قوله (لا إله إلا هو) ؟ <sup>(٤)</sup> قلت : ذكره أولاً للدلالة على اختصاصه بالوحدانية ، وأنه لا إله إلا تلك الذات

(١) قوله : فقد أذن أن الإسلام هو العدل ، تعسف لا يفتضيه الظلم الكريم ، لكن دعى إليه التعصب . وقوله : وفيه أن من ذهب ، الخ نورك على أهل السنة مبنى على ذلك ، وتعقبه فى علم التوحيد . وبالجملة فالعدل والتوحيد لم ينحصرا فى مذهب المعتزلة . (ع)

(٢) قوله : وقرئنا مفتوحين على أن الثانى ، ضمير عائد إلى قوله تعالى (أنه لا إله إلا هو) وقوله (إن الدين) اه . (ع)

(٣) قوله : واقع على إن ، أى على إن الدين ... الخ . (ع)

(٤) قال محمود رحمه الله : إن قلت ما فائدة تكرار لا إله إلا هو ... الخ ؟ قال أحد رحمه الله : وهذا التكرار لما قدمته فى نظيره مما صدر الكلام به إذا طال عهده . وذلك أن الكلام مصدر بالتوحيد ، ثم أعقب التوحيد تعداد الشامدين به ، ثم قوله (قائماً بالقسط) وهو التنزيه ، فقال الكلام بذلك ، لجدد التوحيد تلو التنزيه لئلى قوله (إن الدين عند الله الإسلام) ولولا هذا التجديد لكان التوحيد المتقدم كالمقطع فى الفهم مما أريد إيصاله به والله أعلم . قال : وفيه أن من ذهب إلى تشبيه ... الخ . قال أحد : هذا ترميض بخروج أهل السنة من ربة الإسلام بل تصریح ، وما ينقم منهم إلا أن صدقوا وعد الله عباده المكرمين على لسان نبيهم الكريم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بأنهم يرون ربهم كالقمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته ، ولأنهم وحدوا الله حق توحيدهم فنهتوا أن لا إله إلا هو ولا خالق لهم ولا فعالم إلا هو ، واقصروا على أن نسبوا لأنفسهم قدرة تقارن فعلهم لا خلق لها ولا تأثير غير التمييز بين أفعالهم الاختيارية والاضطرارية ، وتلك المبر عنها شرعاً بالكسب فى مثل =

التميزة ، ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن بإثبات الوجدانية إثبات العدل ، للدلالة على اختصاصه بالأمريين ، كأنه قال : لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين ، ولذلك قرن به قوله (العزير الحكيم) لتضمنهما معنى الوجدانية والعدل (الذين أتوا الكتاب) أهل الكتاب من اليهود والنصارى . واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل<sup>(١)</sup> (من بعد ما جاءهم العلم) أنه الحق الذي لا يحيد عنه ، فثلث النصارى ، وقالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالوا : كننا أحق بأن تكون النبوة فينا من قريش لأنهم أميون ونحن أهل كتاب ، وهذا تجوير لله (بغيا بينهم) أى ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بإحسداً بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا ، واستتباع كل فريق ناسا يطئون أعقابهم ، لاشبهة في الاسلام . وقيل : هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث آمن به بعض وكفر به بعض . وقيل : هو اختلافهم في الإيمان بالأنبياء ، فمنهم من آمن بموسى ، ومنهم من آمن بعيسى . وقيل هم اليهود ، واختلافهم أن موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبراً من بنى إسرائيل ، وجعلهم أمناء عليها ، واستخلف يوشع ، فلما مضى قرن بعد قرن واختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسداً على حظوظ الدنيا والرياسة . وقيل : هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَصِيرُ بِالْإِيمَانِ ۝٢٠

(فإن حاجوك) فإن جادلوك في الدين (فقل أسلمت وجهي لله) أى أخلصت نفسي وجملي

== قوله تعالى (بما كسبت أيديكم) هذا إيمان القوم وتوحيدهم ، لا كقوم يغيرون في وجه النصوص فيجددون الرؤية حتى يظهر أن جحدهم لها سبب في حرمانهم إياها . ويجعلون أنفسهم المؤسسة شريكه لله في عقولهم ، فيزعون أنهم يخلقون لأنفسهم ما شاءوا من الأفعال على خلاف مشيئة ربهم عادة ومعاذة لله في ملكه ، ثم بعد ذلك يستترون بتسمية أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، والله أعلم بمن اتقى . ولجبر خير من إثراك ، إن كان أهل السنة مجرة وأنا أول المجبرين . ولو نظرت أيها الزخشرى بعين الانصاف إلى جهالة القدورية وضلالها ، لا تبعث إلى حداق السنة وظلالها ، ولخرجت عن مراقي البدع ومزالها ، ولكن كره الله انبعاثهم ، ولعلت أى الفريقين أحق بالأمن وأولى بالدخول في أولى العلم المقرونين في التوحيد بالملائكة المشرفين بعبادتهم على اسم الله عز وجل . اللهم أهدنا على اقتفاء السنة شكرك . ولا تؤننا منكرك إنه لا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون ، فليس ينحى من الخوف إلا الخوف . والله ولى التوفيق .

(١) قوله تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل ، مبنى على ما قاله أنفا . (ع)

لله وحده لم أجعل فيها لغيره شركاً بأن أعبدوه وأدعوه إلهاً معه ؛ يعنى أن ديني التوحيد وهو الدين القديم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى ، وما جئت بشئ بديع حتى تجادلوني فيه . ونحوه ( قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ) فهو دفع للحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذى لا لبس فيه ؛ فما معنى الحاجة فيه ؟ ( ومن اتبعن ) عطف على التاء فى أسلمت وحسن للفاصل . ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولاً معه ( وقل للذين أو تروا الكتاب ) من اليهود والنصارى ( والأمين ) والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب ( أسلمتم ) يعنى أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقضى حصوله لا محالة ؛ فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم ؟ وهذا كقولك لمن ألخصت له المسئلة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقاً إلا سلكته : هل فهمتها لأمر لك ، ومنه قوله عزّ وعلا ( فهل أنتم متهون ) بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر . وفى هذا الاستفهام استقصار<sup>(١)</sup> وتعبير بالمعاندة وقلة الإنصاف ، لأن المنصف إذا تجلج له الحجة لم يتوقف إذعانه للحق ، وللمعاندة بعد تجلج الحجة ما يضرب أستداداً بينه وبين الإذعان<sup>(٢)</sup> ، وكذلك فى : هل فهمتها ؟ توبيخ بالبلادة وكلة القريحة . وفى ( فهل أنتم متهون ) بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطى المنهى عنه ( فإن أسلبوا فقد اهتدوا ) فقد نفَعُوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور ( وإن تولوا ) لم يضروك فإنك رسول منبه عليك أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى .

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ  
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ  
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢)

قرأ الحسن : يقتلون النبيين . وقرأ حمزة : ويقاتلون الذين يأمرسون . وقرأ عبد الله : وقاتلوا وقرأ أبى . يقتلون النبيين ، والذين يأمرسون . وهم أهل الكتاب . قتل أولوهم الانبياء وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا ، وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمة الله . وعن أبى عبيدة بن الجراح : قلت يا رسول الله ، أى الناس أشدّ عذاباً يوم القيامة ؟ قال : رجل قتل نبياً ؛ أو رجلاً أمر بمعروف ونهى عن منكر ، ثم قرأهائم قال : يا أبا عبيدة ، قتل

(١) قوله « وفى هذا الاستفهام استقصار » أى عد المخاطب قاصراً . (ع)

(٢) قوله « يضرب أمداداً بينه وبين الإذعان » لعله أمداداً ، أى حجباً . (ع)

بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة ، فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا قتلهم بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار<sup>(١)</sup> ، (في الدنيا والآخرة) لأن لهم اللعنة والحزى في الدنيا والعذاب في الآخرة . فإن قلت : لم دخلت الفاء في خبر إن ؟ قلت : لتضمن اسمها معنى الجزاء ، كأنه قيل : الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم ، وإن ، لاتغير معنى الابتداء ، فكأن دخولها كالدخول ، ولو كان مكانها وليت ، أو د لعل ، لامتنع إدخال الفاء لتغير معنى الابتداء .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

(أوتوا نصيبا من الكتاب) يريد أحبار اليهود ، وأنهم حصلوا نصيبا وافرآ من التوراة . و ه من ، إما للتبويض وإما لليان ، أو حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهى نصيب عظيم (يدعون إلى كتاب الله) وهوا التوراة (ليحكم بينهم) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد : على أى دين أنت ؟ قال : على ملة إبراهيم . قالوا : إن إبراهيم كان يهوديا . قال لهما : إن بيننا وبينكم التوراة ، فهلوا إليها ،<sup>(٢)</sup> فأبىا . وقيل نزلت في الرجم ، وقد اختلفوا فيه . وعن الحسن وقتادة : كتاب الله القرآن ؛ لأنهم قد علموا أنه كتاب الله لم يشكوا فيه (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب (وهم معرضون) وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم . وقرئ (ليحكم) على البناء للفعول . والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعاضد بين من أسلم من أحبارهم وبين من لم يسلم : وأنهم دعوا إلى كتاب الله الذى لا اختلاف بينهم فى صحته وهوا التوراة ليحكم بين الحق والمبطل منهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا . وذلك أن قوله (ليحكم بينهم) يقتضى أن يكون اختلافا واقعا فيما بينهم ، لافيا بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه البزار والطبراني وابن أبي حاتم والعلبي والبيهقي من حديثه ، وفيه أبو الحسن مولى بني أسد ، وهو مجهول .

(٢) أخرجه الطبراني من رواية إسحاق عن محمد بن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما به .

روى أنه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة: وروى في مقدار فواق ناقة. وروى في مقدار لمحّة.

وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَهُهُ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

الايام المعدادات. أيام التشريق، وذكر الله فيها: التكبير في أديار الصلوات وعند الجمار. وعن عمر رضى الله عنه: أنه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله، حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف ﴿فمن تعجل﴾ فمن عجل في النفر أو استعجل النفر. وتعجل، واستعجل: يجيئان مطاوعين بمعنى عجل. يقال: تعجل في الأمر واستعجل: ومتعدين، يقال: تعجل الذهاب واستعجله. والمطاوعة أوفق لقوله: (ومن تأخر) كما هي كذلك في قوله:

قَدْ يَذْرُوكُ الْمُتَمَتِّئُ بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ<sup>(١)</sup>

لأجل المتأني (في يومين) بعد يوم النحر يوم القر<sup>(٢)</sup> وهو اليوم الذي يسميه أهل مكة يوم الرأس، واليوم بعده ينفر إذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة. وعند أبي حنيفة وأصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ﴿ومن تأخر﴾ حتى رمى في اليوم الثالث. والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند أبي حنيفة. وعند الشافعي

(١) والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولأم المخطئ. المبل  
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل  
وربما فات قوم جل أمرهم من التأني وكان الرأي لو عجلوا

للقطاي وقيل للأعشى. والناس مبتدأ. ومن يلق - يصب - خيراً، شرط حذف صدر جوابه، أي فهم قائلون له، والجملة خبر المبتدأ. ما يشتهي، أي الذي يريد من الدعاء بخير أو من المدح. وروى: ما تشتهي، فلعل معناه يقولون له: ما تشتهي أنت يا غطاب. ويجوز أن «ما» استفهامية، أي ما الذي تريده يا من لقيت الخير، لكن تبعده المقابلة. وهبكت المرأة هبلا، كتعبت تعباً: ثكلت ولدها وفقدته لحزن عليه. أي ويقال لأم المخطئ التكلبي، فهو دعاء عليها بموت ولدها. ثم قال:

قد يدرك المبل بعض قصده وقد يكون مع المتعجل الخطأ

وعجلته. فيتعجل واستعجل، ويتعديان أيضاً فيقال: تعجل الأمر واستعجله. ثم قال: وقد يفوت قوماً معظم قصدهم بسبب التأني ركان الرأي الصواب عجلتهم، فلم مصدرية. والمعنى أن بعض الحاجات يناسبها التهل، وبعضها التعجل. ويجوز أن «لو عجلوا» هو اسم كان والرأي بالنصب خبرها. وروى بدله الحزم، والمعنى متقارب. وفي الكلام نوع بدعي يسمى العكس والتبديل، وهو الاتيان بتقيض المعنى المشهور كما هنا، فإت مدح التأني هو المشهور، ومدح العجلة يناقضه. أفاده السيوطي في شرح عقود الجمان.

(٢) قوله «يوم النحر يوم القر» في الصحاح: لأن الناس يقرون في منازلهم. (ع)

الآخران خاصان ببعضان من الكل : روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم ، فقال المنافقون واليهود : هيهات هيهات ، من أين لمحمد ملك فارس والروم ؟<sup>(١)</sup> هم أعز وأمنع من ذلك . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق<sup>(٢)</sup> عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً وأخذوا يحفرون ، خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول ، فوجهوا سلبان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فأخذ المعول من سلبان فضر بها ضربة صدعتها ، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتها ، لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم ، وكبر وكبر المسلمون وقال : أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ، ثم ضرب الثانية فقال : أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ، ثم ضرب الثالثة فقال : أضاءت لي قصور صنعاء ، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة على كلها ، فأبشروا . فقال المنافقون : ألا تعجبون ، يمتنكم ويعدكم الباطل ، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم ، وأتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا ، فنزلت . فإن قلت : كيف قال ( يديك الخير ) فذكر الخير دون الشر ؟ قلت : لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة ، فقال يديك الخير توثيه أوليائك على رغم من أعدائك ، ولأن كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة ، فهو خير كله كإتياء الملك ونزعه . ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما ، وحال الحى والميت في إخراج أحدهما من الآخر ، وعطف عليه رزقه بغير حساب على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده ، فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتاه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب : أنا الله ملك الملوك ، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي ، فإن العباد أطاعوني جعلتهم لهم رحمة ، وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة ، فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن

(١) ذكره الواحدى في أسبابه عن ابن عباس وأنس رضى الله عنهم ، ولم أجد له إسناداً .

(٢) أخرجه البيهقى . وأبو نعيم في دلائل النبوة لها ؛ من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده . قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب ، ثم قطع أربعين ذراعاً بين كل عشرة ، قال عمرو بن عوف ، فكنت أنا وسليمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وسنة نفر من الأنصار في أربعين ذراعاً فذكره مطولاً من هذا الوجه . ذكره الواحدى في أسباب النزول والطبرى والتعلى والبغوى . ورواه ابن سعد في الطبقات في ترجمة سدان . قال : أخبرنا ابن أبي ذئب عن كثير بن عبد الله به . قال الواقدي في المغازى : حدثني عاصم ابن عبد الله الحكيم عن عمر بن الحكم قال : كان عمر بن الخطاب يومئذ يضرب بالمعول ، إذ صادف حجراً أصلد فضرب ضربة . فذكره بنحوه ، ورواه الذئبانى وأحمد وإسحاق وابن أبي شبة وأبو يعلى كلهم من رواية ميمون أبي عبد الله عن البراء بن عازب رضى الله عنهما مختصراً وإسناده حسن .

توبوا إلى أعظفهم عليكم ، وهو معنى قوله عليه السلام « كما تكونوا يولى عليكم » (١) .

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾

نہوا أن یوالوا الکافرین لقراۃ بینہم أو صداقة قبل الإسلام أو غیر ذلك من الاسباب الی تصادق بہا ویتعاشر ، وقد کثر ذلك فی القرآن . ( ومن یتولہم منکم فإنه منہم ) ، ( لاتتخذوا الیہود والنصارى اولیاء ) ، ( لاتجد قوما یؤمنون باللہ ... الایۃ ) . والمحبۃ فی اللہ والبغض فی اللہ باب عظیم وأصل من أصول الإیمان ﴿ من دون المؤمنین ﴾ یعنی أن لکم فی موالاة المؤمنین مندوحة عن موالاة الکافرین فلا تؤثرہم علیہم ﴿ ومن یفعل ذلك فلیس من اللہ فی شئ ﴾ ومن یوالی الکفرۃ فلیس من ولایۃ اللہ فی شئ یقع علیہ اسم الولایۃ ، یعنی أنه منسلخ من ولایۃ اللہ رأساً ، وهذا أمر معقول فإن موالاة الولی وموالاة عدوہ متنافیان ، قال :

تَوَدُّ عَدُوِّيْ نُمْ تَزْعُمُ اٰتَنِیْ صَدِیقُكَ لَیْسَ التَّوَكُّعُ عَنْكَ بِعَازِبٍ (٢)

﴿ إلا أن تتقوا منہم تقاۃ ﴾ إلا أن تخافوا من جہتہم أمراً یجب اتقاؤہ . وقرئ : تقیۃ . قبل للبتی تقاۃ وتقیۃ ، کہولہم : ضرب الأمير لمضروبہ . رخص لہم فی موالاتہم إذا خافوہم ، والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاہرۃ والقلب مطمئن بالعبادۃ والبغضاء ، وانتظار زوال المانع من قشر العصا ، کہول عیسی صلوات اللہ علیہ « کن وسطاً و امش جانباً » ﴿ ويحذركم اللہ نفسه ﴾ فلا تتعرضوا لخطہ بموالاة أعدائہ ، وهذا وعید شدید . ویجوز أن یضمن ( تتقوا ) معنی تحذروا وتخافوا ، فیعدی بمن ینتصب ( تقاۃ ) أو تقیۃ علی المصدر ، کہولہ تعالی ( اتقوا اللہ حق تقاۃ ) .

(١) رواہ القضاعی فی مسند الشہاب من رواۃ المبارک بن فضالۃ عن الحسن عن أبی بکرۃ ، وفی إسناده إلى مبارک مجاہیل .

(٢) تود عدوی ثم تزعم أنني صديقك ليس التوكل عنك بعازب  
فليس أخى من ودني رأى عينه ولكن أخى من ودني في المغایب

التوکل : الحق . والمغایب : البعید . بقول : إن الصديق من لا یصادق بخیض صدیقه ، ومن یراعی الأخوة بظہر الغیب ، لا یرأى العین . ویجوز أن تود علی تقدیر الاستفہام التویدی ، وأبرزہ فی صورة الخبر للتشیع . ورأى عینہ : نصب علی الطرف أى حین رأى عینہ : والمغایب : أزمان العیاب .



قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْهُ يَعْزِمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

﴿ إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه ﴾ من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله ﴿ يعلمه ﴾ ولم يخف عليه وهو الذي ﴿ يعلم ما في السموات وما في الأرض ﴾ لا يخفى عليه منه شيء قط . فلا يخفى عليه سركم وعلنكم ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ فهو قادر على تغو بتمكم . وهذا بيان لقوله ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ لأن نفسه وهى ذاته المميزة من سائر الذات ، متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم ، فهى متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور ، فهى قادرة على المقدورات كلها ، فكان حقها أن تحذروا تنق فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب ، فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلا حق به العقاب ، ولو علم بعض عبيد الساطان أنه أراد الاطلاع على أحواله ، فوكل همه بما يورد ويصدر ، ونصب عليه عيوننا ، وبث من يتجسس عن بواطن أموره : لأخذ حذره وتيقظ في أمره ، واتق كل ما يتوقع فيه الاسترابة به ، فما بال من علم أن العالم الذات <sup>(١)</sup> الذى يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن . اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترِكَ .

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ  
لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

﴿ يوم تجد ﴾ منصوب بتوّد . والضمير في بينه لليوم ، أى يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين ، تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهو له أمدًا بعيدًا . ويجوز أن ينتصب ﴿ يوم تجد ﴾ بمضمر نحو : اذكر ، ويقع على ما عملت وحده <sup>(٢)</sup> ، ويرتفع ﴿ وما عملت ﴾ على على الابتداء ، و ﴿ توّد ﴾ خبره ، أى : والذى عملته من سوء توّد هى لو تباعد ما بينها وبينه . ولا يصح أن تكون مشرطية لارتفاع توّد . فإن قلت : فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله وذت ؟ قلت : لا كلام في صحته ، ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة . ويجوز أن يعطف ﴿ وما عملت ﴾ على ﴿ ما عملت ﴾ ويكون ﴿ توّد ﴾ حالا ، أى يوم تجد عملها محضراً وأداة تباعد ما بينها وبين اليوم

(١) قوله د فإ بال من علم أن العالم الذات ، من إضافة الوصف الى مرفوعه كالحسن الوجه ، يعنى أن عليه بذاته ، لا أعلم زائد على ذاته كعلم الحوادث ، وهذا عند المعتزلة . (ع)

(٢) قوله د ويقع على ما عملت وحده ، أى يقع فعل الوجدان على ما عملت من خير وحده . (ع)

أو عمل السوء محضراً ، كقوله تعالى ( ووجدوا ما عملوا حاضراً ) يعني مكتوباً في صحفهم يقرؤنه ونحوه ( فينبئهم بما عملوا أحصاء الله ونسوه ) . والامدالمسافة كقوله تعالى ( ياليت بيني وبينك بعد المشرقين ) وكرر قوله ( ويحذركم الله نفسه ) ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه ( والله رءوف بالعباد ) يعني أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضا واجتناب سخطه . وعن الحسن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه . ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذوراً لعلمه وقدرته ، مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى ( إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ) .

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ  
لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾

حبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم باختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها . ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم . والمعنى : إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة ( فاتبعوني ) حتى يصح ما تدعونه من إرادة عبادته ، يرض عنكم ويغفر لكم . وعن الحسن : زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل ، فن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه . وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق <sup>(١)</sup> فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله . وما تصفيقه وطربه ونعرتة وصعقته إلا أنه تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بحبه ودعارته ، ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصوّرها ، وربما رأيت المنيّ قد ملأ إزار ذلك الحب عند صعقته ، وحتى العاة على حوالبه قد ملؤا أدرانهم بالدموع لما راققهم من حاله . وقرئ : تحبون . ويحببكم . ويحبكم ، من حبه يحبه . قال :

أَحَبُّ أَبَا ثُرَوَانَ مِنْ حُبِّ تَمَرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّفْقَ بِالْجَارِ أَرْفَقُ  
وَوَاللَّهِ لَوْلَا تَمَرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَلَا كَانَ أَذْنِي مِنْ عُبُودٍ وَمُشْرِقٍ <sup>(٢)</sup>

(١) قوله « وينعر ويصعق » في الصحاح : النعرة صوت في الخيشوم . ويقال : ما كانت فتنة إلا نعر فيها فلان ، أي نهض . (ع)

(٢) لفيلان بن شجاع التمشلي . يقول : أحب هذا الرجل من أجل حب تمره . وروى : أبا مروان ، وأعلم أن الرفق بالجار أرفق منه بغيره ، أي أشد رفقاً ، وأسند الرفق إلى نفسه مبالغة بكبد جده . ويجوز أن المعنى أن الرفق بالجار =

(فإن تولوا) يحتمل أن يكون ماضياً، وأن يكون مضارعاً بمعنى: فإن تتولوا، ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم.

إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾  
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾  
فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾  
فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا نَیْ لَکَ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

(آل إبراهيم) إسماعيل وإسحق وأولادهما. و(آل عمران) موسى وهرون<sup>(١)</sup> ابنا عمران ابن يصر. وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة. و(ذرية) بدل من آل إبراهيم وآل عمران (بعضها من بعض) يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض: موسى وهرون من عمران، وعمران من يصر، ويصر من فاهث، وفاهث من لاوى، ولاوى من يعقوب، ويعقوب من إسحق. وكذلك عيسى ابن مريم

== أحق أو أكل منه بغيره. وأمالو قرىء دأوفق، بالواو فظاهر. وفيه استعطاف لأبي مروان، وطلب الرفق منه بالشاعر. واللغة الغالية أحب الرباعي. ووجه يحه بكسر فاء المضارع من باب ضرب نادر من جهة مجيء ثلاثيا ومن جهة كسر فاء مضارعه. وقياس مضارع الثلاثي المضاعف المتعدي ضم فائه كيشد ويرد. وقد يجيء حب يحب من باب علم يعلم. ولا كان أدنى، أى أقرب إلى من عييد ومشرق، وهما أبناء. وفي اللقافية الاقواء. وروى أبو العباس المبرد بدل الشطر الأخير: وكان عياض منه أدنى ومشرق، أى أقرب إلى من أبي مروان. وعليه فلا إقواء فيها.

(١) قال محمود رحمه الله د آل عمران موسى وهرون . . . الخ، قال أحمد رحمه الله: وبما يرجح هذا القول الثاني أن السورة تسمى آل عمران ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة. وأما موسى وهرون فلم يذكر قصتهما في هذه السورة، فبدل ذلك على أن عمران المذكور هنا هو أبو مريم والله أعلم.

بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود<sup>(١)</sup> بن إيشابن يهوذا بن يعقوب بن إسحق . وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل بعضها من بعض في الدين ، كقوله تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) . (والله سميع عليم) يعلم من يصلح للاصطفاء ، أو يعلم أن بعضهم من بعض في الدين . أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها . و (إذ) منصوب به : وقيل : بإضمار اذكر . وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان ، أم مريم البتول ، جدة عيسى عليه السلام ، وهي حنة بنت فاقوذ . وقوله (إذ قالت اسرأت عمران) على أثر قوله (وآل عمران) مما يرجح أن عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى ، والقول الآخر يرجح أن موسى يقرب إبراهيم كثيراً في الذكر . فإن قلت : كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون ، ولعمران بن ماثان مريم البتول ، فما أدراك أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهرون ؟ قلت : كني بكفالة زكريا دليلاً على أنه عمران أبو البتول ، لأن زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد ، وقد تزوج زكريا بنته إيشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة . روى أنها كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت ، فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاً له فتحركت نفسها للولد وتمنته ، فقالت : اللهم إنك على نذر أشكر إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سديته وخدمه ، فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل (محزراً) معتقاً لخدمة بيت المقدس لا يدلى عليه ولا استخدمه ولا أشغله بشيء ، وكان هذا النوع من التذمر مشروعا عندهم . وروى أنهم كانوا يندرون هذا النذر ، فإذا بلغ الغلام خيراً بين أن يفعل وبين أن لا يفعل . وعن الشعبي (محزراً) مخلصاً للعبادة ، وما كان التحرير إلا للغلمان ، وإنما بنت الأمر على التقدير ، أو طلبت أن ترزق ذكراً (فلما وضعها) الضمير لما في بطنى<sup>(٢)</sup> ، وإنما أنت على المعنى لأن ما في بطنها كان أثى في علم الله ، أو على تأويل الحيلة أو النفس أو النسمة . فإن قلت : كيف جاز انتصاب (أثى) حالاً من الضمير في وضعها وهو كقولك وضعت الأثى أثى ؟ قلت : الأصل : وضعته أثى ، وإنما أنت لتأنيث الحال ؛ لأن الحال وذا الحال شيء واحد ، كما أنت الاسم في ما كانت أمك لتأنيث الخبر . ونظيره قوله تعالى (فإن كانتا اثنتين) وأما على تأويل الحيلة أو النسمة فهو ظاهر ، كأنه قيل : إني وضعت الحيلة أو النسمة

(١) قوله « ابن ماثان بن سليمان بن داود » . قوله : ابن سليمان ، أى من نسله . وقوله : ابن يهوذا ، أى من نسله ، كما صرح به الفخر الرازي . وذكر أبو السعود بين ماثان وسليمان نحو خمسة عشر جداً ، وبين إيشابن يهوذا تسعة جدود . (ع)  
(٢) قال محمود : « الضمير عائد إلى ما في بطنى ... الخ » ، قال أحمد : الضمير في قوله « وضعها » يتناول إذا ما نسب إليها الوضع والأنوثة ، فالحال واقعة عليها من حيث الجهة العامة وتلك الجهة كونها شيئاً وضع لا لخصوص نسبة الأنوثة إليها . وقد مر هذا البحث بعينه عند قوله تعالى ( فإن لم يكونا رجلين ) .

أنثى . فإن قلت : فلم قالت : إني وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول ؟ قلت : قالته تحسراً<sup>(١)</sup> على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها ، فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً ، ولذلك نذرتة محرراً للسدانة . ولتكلّمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى ﴿ والله أعلم بما وضعت ﴾ تعظيماً لموضوعها وتجيلاً لها بقدر ما وهب لها منه . ومعناه : والله أعلم بالشئ الذى وضعت وما علق به من عظام الأمور ، وأن يجعله وولده آية للعالمين وهى جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئاً . فلذلك تحسرت . وفى قراءة ابن عباس : ( والله أعلم بما وضعت ) على خطاب الله تعالى لها أى أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلوّ قدره . وقرئ : وضعت . بمعنى : ولعلّ الله تعالى فيه سرّاً وحكمة ، ولعلّ هذه الأنثى خير من الذكر تسليّة لنفسها . فإن قلت : فما معنى قوله ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ ؟ قلت : هو بيان لما فى قوله ( والله أعلم بما وضعت ) من التعظيم للموضوع والرفع منه ، ومعناه : وليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت لها ، واللام فيهما للعهد . فإن قلت : علام عطف قوله ﴿ وإني سميتها مريم ﴾ ؟ قلت : هو عطف على إني وضعتها أنثى ، وما بينهما جملتان معترضتان ، كقوله تعالى : وإنه لقسّم لوتعلمون عظيم . فإن قلت : فلم ذكرت تسميتها مريم لربها ؟ قلت : لأن مريم فى لغتهم بمعنى العابدة<sup>(٢)</sup> ، فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها ، وأن يصدق فيها ظنّها بها . ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعادة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه . وما يروى من الحديث ، ما من مولود يولد

(١) ( عاد كلامه ) قال : د وإنما أرادت بقولها : وضعتها أنثى التحسر والتأسف . . . الخ ، قال أحد : هذا التأويل على أنه من كلام الله تعالى لا حكاية عنها . وقد ذكر أهل التفسير تأويلاً آخر ، وهو أن يكون هذا القول قولها حكاه الله تعالى عنها ، أعنى قوله ( وليس الذكر كالأنثى ) ويرشد إليه عطف كلامها عليه وهو قوله ( وإني سميتها مريم . . . الخ ) ويوردون على هذا الوجه أن قياس كونه من قولها أن يكون : وليست الأنثى كالذكر ، فإن مقصودها تنقيص الأنثى بالنسبة إلى الذكر ، والعادة فى مثله أن ينفي عن الناقص شبهه بالكامل لا العكس ، وقد وجد الأمر فى ذلك مختلفاً فلم يثبت لى عين ما قالوه . ألا ترى إلى قوله تعالى ( لئن كأحد من النساء ) فنفي عن الكامل شبه الناقص ، مع أن الرّكّال لأزواج النبي عليه الصلاة والسلام ثابت بالنسبة إلى عموم النساء . وعلى ذلك جاءت عبارة امرأة عمران والله أعلم . ومنه أيضاً ( أفن يخلق كمن لا يخلق ) .

(٢) ( عاد كلامه ) قال : د وفائدة قولها ( وإني سميتها مريم ) أن مريم فى لغتهم العابدة . . . الخ ، قال أحد : أما الحديث فذكر فى الصحاح متفق على صحته ، فلا يحصى له إذاً عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله ما لا يحتمله جنوحاً إلى اعتزال متزّرع فى فلسفة متزّعة فى إلحاد ظلمات بعضها فوق بعض . وقد قدمت عند قوله تعالى ( لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ) ما فيه كفاية ، وما أرى الشيطان إلا طعن فى خواصر القدورية حتى يفرها ، ووكر فى قلوبهم حتى حل الزعشوى وأمثاله أن يقول فى كتاب الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام بما يتخيل ، كما قال فى هذا الحديث ، ثم نظره بتخييل ابن الروى فى شعره ، جراءة وسوء أدب . ولو كان معنى ما قاله صحيحاً لسكانت هذه العبارة واجبا أن يجنب ، ولو كان الصراخ غير واقع من المولود لأمكن على بعد أن يكون تمثيلاً . وما هو واقع ومشاهد فلا وجه لحمله على التخييل إلا الاعتقاد الضئيل وارتكاب الهوى الويل .

إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مس الشيطان إياه ، إلا مريم وابنها ،<sup>(١)</sup> قاله : ألم بصحته . فإن صبح فعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها ، فإنهما كانا معصومين ، وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى (لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) واستهله صارخاً من مسه تخيل وتصوير لطمعه فيه ، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول : هذا بمن أغوينه ، ونحوه من التخيل قول ابن الرومي :

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ<sup>(٢)</sup>

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلما ، ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلات الدنيا صراخا وعياطاً مما يبلونا به من نخسه (فتقبلها ربها) فرضى بها في النذر مكان الذكر (بقبول حسن) فيه وجهان : أحدهما أن يكون القبول اسم ما تقبل به الشيء كالسقوط واللدود ، لما يسقط به ويلد ، وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر في النذر ، ولم يقبل قبلها أثى في ذلك ، أو بأن تسلبها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة . وروى أن حنة حين ولدت مريم ، لقتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ، ووضعتها عند الإخباراء بناء هرون ، وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة ، فقالت لهم : دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم ، وكانت بنوما ثمان رموس بنى إسرائيل وأخبارهم وملوكهم ، فقال لهم زكريا : أنا أحق بها ، عندى خالتها<sup>(٣)</sup> . فقالوا : لاحقى نقترع عليها ، فأنطلقوا - وكانوا سبعة وعشرين - إلى نهر ، فألقوا فيه أقلامهم ، فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم ، فتكفلها . والثاني : أن يكون مصدراً على تقدير حذف المضاف بمعنى : فتقبلها بذى قبول حسن ،

(١) قال المصنف : الله أعلم بصحته هكذا قال . والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة في آخره : قال أبو هريرة : أقرءوا إن شئتم : ( وإنى أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ) .

(٢) لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد  
وإلا فإيكيه منها وإنها لأنفسح مما كان فيه وأرغد  
إذا أبصر الدنيا استهل كأنه بما سوف يلقى من أذاها يهدد

لابن الرومي ، يقول : إن بكاء الطفل حين ولادته لأجل ما تشعر به الدنيا من حوادثها فقط ، وإن لا يكن بكأؤه لذلك . فأى شيء يكيه ، أو فأى شيء يكيه منها ، وإنها أى الدنيا . وروى : وإنه ، أى الطفل لأنفسح موضعاً مما كان فيه من ضيق الرحم وأرغد منه . وعوده على ما يكيه بعيد ، أو غير شديد . ويجوز أنه عائد على قضاء الدنيا المعلوم من المقام ، ثم قال : إذا أبصرها صرخ ، كأنه يخوف بما سوف يناله من أذاها قبل حصوله .

(٣) قوله : أنا أحق بها عندى خالتها ، قوله خالتها : يعنى زوجته إيشاع أخت حنة لكن تقدم أنها أخت مريم وقال صلى الله عليه وسلم في يحيى وعيسى هما ابنا خالة وفى أبى السعود قبل في تأويل ذلك أن الأخت كثيراً ما تطلق على بنت الأخت فجرى الحديث على ذلك وقيل إن إيشاع أخت حنة من الأم وأخت مريم من الأب بأن نكح عمران أم حنة فولدت إيشاع ثم نكح حنة ربيته فولدت مريم بناء على حل نكاح الربائب عندهم . (ع)

أى بأمرذى قبول حسن وهو الاختصاص . ويجوز أن يكون معنى (فتقبلها) فاستقبلها ، كقولك : تعجله بمعنى استعجله ، وتقصاه بمعنى استقصاه ، وهو كثير فى كلامهم ، من استقبل الأمر إذا أخذه بأوله وعنفوانه . قال القطامى :

وَحَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ      وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعُهُ اتِّبَاعًا <sup>(١)</sup>

ومنه المثل وخذ الأمر بقوابله . أى فأخذها فى أول أمرها حين ولدت بقبول حسن (وأنتها نباتاً حسناً) مجاز عن التربة الحسنة العائدة عليها بما يصلحها فى جميع أحوالها . وقرئ : وكفلها زكرياء ، بوزن وعملها (وكفلها زكرياء) بتشديد الفاء ونصب زكرياء ، <sup>(٢)</sup> الفعل لله تعالى بمعنى : وضما إليه وجعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها . ويؤيدها قراءة أنى : وأكفلها ، من قوله تعالى (فقال أكفلنيها) وقرأ مجاهد : فتقبلها ربها ، وأنتها ، وكفلها ، على لفظ الأمر فى الأفعال الثلاثة ، ونصب ربها ، تدعو بذلك ، أى فاقبلها ياربها وربها ، واجعل زكريا كافلاً لها . قيل بنى لها زكريا محراباً فى المسجد ، أى غرفة يصعد إليها بسلام . وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها ، كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس . وقيل : كانت مساجدهم تسمى المحاريب . وروى أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده ، وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب (وجد عندها رزقاً) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثدياً قط ، فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الذى لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه والأبواب مغاغة عليك لاسيلى للدخل به إليك ؟ قالت هو من عند الله (فلا تستبعد . قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه جاع فى زمن قحط <sup>(٣)</sup> فأهدت له فاطمة رضى الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها ، فرجع بها إليها وقال : هلى يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً ، فهبت وعلبت أنها نزلت من عند الله ، فقال لها صلى الله عليه وسلم : أنى لك هذا ؟ فقالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . فقال عليه الصلاة والسلام : الحمد لله الذى

(١) يقول : خير الأمور هو الذى تستقبله وتنتظره فتأخذه أول إتيائه ، وليس خبرها ما تصبر عنه حتى يفوتك ويعجز ثم تتبعه وتذهب وراءه لتدركه ، فالإمارة فى خبر ليس ، وهو على تقدير مضاف ، أى ذى التبع . وتتبعه : أصله تتبعه حذفته منه تام المضارعة أو تاء التفعّل أو التاء التى هى فاء الفعل وهو أولاً ، لأن كل من الأولين جاء بمعنى . وقال الجوهري : وضع الاتباع موضع التتبع اه ، فهو اسم مصدر ، أو مصدر حذف منه بعض الزوائد . والتفعّل أبلغ من الاتعّال ، فيتمين إرادته هنا لأنه مؤكد .

(٢) قوله ونصب زكريا الفعل لله تعالى ، لعله والفعل . (ع)

(٣) رواه أبو يعلى من حديث جابر ، وهو من رواية ابن لهيعة عن ابن المنكدر عنه . والمتن ظاهر النكارة .

جداك شديدة سيدة نساء بني إسرائيل ، ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته ، فأكلوا عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو ، فأوسحت فاطمة على جيرانها . ﴿إن الله يرزق﴾ من جملة كلام مريم عليها السلام ، أو من كلام رب العزة عز من قائل ﴿بغير حساب﴾ بغير تقدير لكثرة ، أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق .

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَآذُكُ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالنَّعْثِيِّ وَالْإِنْكِارِ (٤١)

﴿هنالك﴾ في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت ، فقد يستعار هنا (١) وثم وحيث للزمان . لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها ، رغب في أن يكون له من إشباع ولد مثل ولد أختها حنة في النجابة والكرامة على الله ، وإن كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت أختها كذلك . وقيل لما رأى الفاصكة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (ذرية) ولداً . والذرية يقع على الواحد والجمع ﴿سميع الدعاء﴾ مجيبه . قرئ : فساداه الملائكة . وقيل : ناداه جبريل عليه السلام ، وإنما قيل الملائكة على قولهم : فلان يركب الخيل ﴿أن الله يبشرك﴾ بالفتح على بأن الله ، وبالكسر على إرادة القول . أولان النداء نوع من القول . وقرئ : يبشرك ، ويبشرك ، من بشره وأبشره . ويبشرك (٢) ، بفتح الباء من بشره . ويحيى إن كان أعجمياً وهو الظاهر فرفع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى ، وإن كان عربياً فللتعريف

(١) قال محمود : فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان ... الخ ، قال أحمد : لا يليق بالنبي أن يقف عليه بجواز ولادة العاقر على مشاهدة مثله ، فإن العقل يقضى بجواز ذلك في قدرة الله تعالى وإن لم يقع نظيره . وأحسن من هذه العبارة وأسلم أن يقال : لما شاهد وقوع هذا الحادث كرامة لمريم امتد أمه إلى حادث يناسبه كرامة له ، والله اعلم .

(٢) قوله « ويبشرك » لعل هذه بدون ضمير الخطاب ، وإن كانت السابقة من بشره بفتح الباء أيضاً . (ع)



ووزن الفعل كي عمر (مصداقاً بكلمة من الله) مصداقاً بعيسى مؤمناً به . قيل هو أول من آمن به ،  
وسمى عيسى «كلمة» لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها ، وهى قوله (كن) من غير سبب آخر .  
وقيل : مصداقاً بكلمة من الله ، مؤمناً بكتاب منه . وسمى الكتاب كلمة ، كما قيل كلمة الحويدة  
لقصيدته . والسيد : الذى يسود قومه ، أى يفوقهم فى الشرف . وكان يحيى فائقاً لقومه وفائقاً  
للناس كلهم فى أنه لم يركب سيئة قط ، ويألها من سيادة . والحصور : الذى لا يقرب النساء حصراً  
لنفسه أى منعاً لها من الشهوات . وقيل هو الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر . قال الأخطل :

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالْكَاسِ نَادِمَنِي لَا بِالْحُصُورِ وَلَا فِيهَا بَسَّارٌ<sup>(١)</sup>

فاستعير لمن لا يدخل فى اللعب واللهو . وقد روى أنه مز وهو طفل بصبيان فدعوه إلى اللعب  
فقال : ما للعب خلقت (من الصالحين) ناشئاً من الصالحين ، لأنه كان من أصلاب الأنبياء ، أو  
كائنات من جملة الصالحين كقوله (وإنه فى الآخرة لمن الصالحين) . (أنى يكون لى غلام) استبعاد  
من حيث العادة كما قالت مريم (وقد بلغنى الكبر) كقولهم : أدركته السن العالية . والمعنى أثر  
فى الكبر فأضعفنى ، وكانت له تسع وتسعون سنة ، ولامرأته ثمان وتسعون (كذلك)  
أى يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل ، وهو خلق الولد بين الشيخ الفانى  
والعجوز العاقر ، أو كذلك الله مبتدأ وخبر ، أى على نحو هذه الصفة الله ، ويفعل ما يشاء بيان له ،  
أى يفعل ما يريد من الأفعال الخارقة للعادات (آية) علامة أعرف بها الجبل لالتقى النعمة  
إذا جاءت بالشكر (قال آيتك أن لا) تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام) وإنما خص تكليم  
الناس ليعلم أنه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة ، مع إبقاء قدرته على التكلم  
بذكر الله ، ولذلك قال (واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار) يعنى فى أيام عجزك عن  
تكليم الناس ، وهى من الآيات الباهرة . فإن قلت : لم يحبس لسانه عن كلام الناس ؟ قلت :  
ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره ، توفراً منه على قضاء حق تلك النعمة الجليلة ،

(١) الأخطل ، يقول : رب شارب معتز للخمر بالثمن الربيع الزائد ، نادمى بالكأس . ويجوز تعلقه بما  
قبله ، ليس حصوراً مانعاً نفسه من الدخول على القوم فى لعب الميسر ، ولا سار على صيغة «فقال» للبالغة ، أى  
مبقياً فى الكأس سؤراً ، أى بقية ، من أسأر إذا أبى ، وهو شاذ كبار من أجبر . ويرى بسوار من السورة وهى  
الوثبة والعريضة ، فى سبية ، أى ولا متغير العقل بسببها ، ولا عاطفة على مريح ، والثانية تأكيد ، والباء زائدة بعد  
كل ، ونادمى خبر ، فيجوز الرجوع إلى الوصف بعد الاخبار .

وشكرها الذي طلب الآية من أجله، كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له: آيتك أن تحبس لسانك<sup>(١)</sup> إلا عن الشكر. وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال. ومنزعا منه (إلا رمزا) إلا إشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرك. يقال ارتنن: إذا تحرك. ومنه قيل للبحر الراموز. وقرأ يحيى بن وثاب (إلا رمزا) بضمين، جمع رموز كرسل ورسل. وقرئ (رمزا) بفتحين جمع رامن تكادم وخدم، وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله:

مَتَى مَا تَلَقَّنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفُ رَوَافِئُ إِلَيْتِكَ وَتُسْتَطَارَا<sup>(٢)</sup>

بمعنى إلا مترامين، كما يكلم الناس الآخرس بالإشارة ويكلمهم. والعشى: من حين نزول الشمس إلى أن تغيب. و(الإبكار) من طلوع الفجر إلى وقت الضحى. وقرئ: والأبكار، بفتح الهمزة جمع بكر، كسحر وأبحار. يقال: أتيت بكرا بفتحين. فإني قلت: الرمز ليس من جنس الكلام؛ فكيف استثنى منه؟ قلت: لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سعى كلاما. ويجوز أن يكون استثناء منقطعا.

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَمْرِيْمُ آفَتْنِي رَبِّكِ وَأَسْجِدِي وَأَرْكَعِي مَعَ

الرَّاكِعِينَ (٤٣)

(يأمرم) روى أنهم كدوها شفاها معجزة لذكرها أو إرهابا لنبوة عيسى (اصطفاك)

(١) قوله «أن تحبس لسانك» لعله: يحبس. (ع)

(٢) أحول تنفض استك مذروها لتقتلى فيها أنا ذا عمارا

متى ما تلقى فردين ترجف رواثف إليك وتستطارا

وسبى حارم قبضت عليه أصابع لا ترى فيها انتصارا

لعنرة يخاطب عمار بن زياد العنسي، لما قال لقومه: ليتنى لقيته فأرحتمك منه وأهدتكم أنه عبد، والاس: الدبر، وهي فاعل. ومذروها: مفعول، وكان قياسه: مذران بالياء لأنه مقصور زائد على ثلاثة أحرف، وقياس تثنيته كذلك، فجاء بالواو شاذ، وسهله أن تثنيته تقديرية لأنه لم يسمع له مفرد. وحكى عن أبي عمرو «مذرى» مفردا، فيكون مثني حقيقة، وبه قيل. وحكى عن أبي عبيدة مذرى مفردا، ومذران مثني بالياء على القياس، وإن نصب الاس كان مفعولا، ومذروها بدلا منه. والمذروان بالكسر فرعا اليتين وقرنا الرأس. يقال: جاء بنفض مذروبه يخالط ويتبختر، وقوس هتافة المذروى، وهما موقعا الوتر من أعلى وأسفل. أى رأتها، وهما أنا ذا أصله أنا هذا، فقدمت الهاء مبادرة إلى التثنية، ثم قال: متى تلاقى حال كوننا منفردين عن غيرنا، تخف متى فترعد أطراف أليتيك، فارتعادهما كناية عن الخوف. وتستطارا يؤكد بالنون الحقيقة المنقلة ألفا، والفاعل ضمير المخاطب كأن الخوف يطيره. ويجوز أن الضمير للرواثف، أى تنفض وتنشر كالطائر، ويرى: روادف، والمراد واحد.

أولاً حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية (وطهرتك) بما يستقدر من الأفعال وبما قرفك به اليهود (واصفاك) آخر (على نساء العالمين) بأن وهب لك عيسى من غير أب؛ ولم يكن ذلك لأحد من النساء. أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود؛ لكونهما من هيات الصلاة وأركانها؛ ثم قيل لها (واركعي مع الراكعين) بمعنى: ولتكن صلاتك مع المصلين أى في الجماعة؛ أو انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم. ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع، فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع.

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُبْلَغُونَ أَقْلَامَهُمْ  
أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٤٤

(ذلك) إشارة إلى ماسبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام، يعنى أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحى. فإن قلت: لم نفيت الشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة؟ وترك نفي استماع الأنباء من حفاظها وهو موهوم؟ قلت: كان معلوماً عندهم علماً يقيناً أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكrim للوحى، فلم يبق إلا المشاهدة وهى فى غاية الاستبعاد والاستحالة، فنفيت على سبيل النكاح بالمنكرين للوحى مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة. ونحوه (وما كنت بجانب الغربي)، (وما كنت بجانب الطور)، (وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم) (أقلامهم) أزالاهم وهى قداهم التي طرحوها فى النهر مقترعين. وقيل: هى الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة، اختاروها للقرعة تبركاً بها (إذ يختصمون) فى شأنها تنافساً فى التكفل بها. فإن قلت: (أيهم يكفل) بهم يتعلق؟ قلت: بمحذوف دل عليه بلقون أقلامهم، كأنه قيل: يلقونها ينظرون أيهم يكفل، أو ليعلموا، أو يقولون.

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ بِشْرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أَتَمَّهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٤٥ وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ٤٦ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٤٧ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٤٨

وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُحُورِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُبَشِّرًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا

### صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٥١

(المسيح) لقب من الألقاب المشرفة ، كالصديق والفاروق ، وأصله مشيحا بالعبرانية ، ومعناه المبارك ، كقوله (وجعلني مباركا أينما كنت) وكذلك (عيسى) معرب من أيشوع ، ومشتقهما من المسح والعيس ، كالراقم في الماء . فإن قلت : (إذ قالت) بهم يتعلق ؟ قلت : هو بدل من (وإذ قالت الملائكة) ويجوز أن يبدل من (إذ يختصمون) على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع ، كما تقول : لقيته سنة كذا . فإن قلت : لم قيل : عيسى ابن مريم والخطاب لمريم <sup>(١)</sup> ؟ قلت : لأن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات ، فأعلنت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه ، وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين . فإن قلت : لم ذكر ضمير الكلمة ؟ قلت لأن المسمى بها مذكر . فإن قلت : لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم <sup>(٢)</sup> ، وهذه ثلاثة أشياء : الاسم منها عيسى ، وأما المسيح والابن فلقب وصفة ؟ قلت : الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره ، فكأنه قيل : الذي يعرف به ويتميز من سواه بمجموع هذه الثلاثة

(١) قال محمود : «إن قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم ... الخ» قال أحد : ويحقق هذا الجواب قولها (أن يكون لي ولد ولم يحسن بشر) فانه لم يتقدم في وعد الله لها بالولد ما يدل على أنه من غير أب ، إلا أنه لما نسب إليها دل على أنها فهمت من ذلك كونه من غير أب ، والله أعلم .

(٢) (عاد كلامه) قال : «فإن قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم ... الخ» قال أحد : وفي هذا التقرير خلاص من إشكال برودونه فيقولون : المسيح في الآية إن أريد به التسمية وهو الظاهر فما موقع قوله عيسى ابن مريم ؟ والتسمية لا توصف بالنبوة ، وإن أريد بالمسيح المسمى بهذه التسمية لم يلتزم مع قوله اسمه ؟ ويجاب عن الإشكال بأن المسيح خبر عن قوله اسمه ، والمراد التسمية ، وأما عيسى ابن مريم فغير مبتدأ عذوف تقديره : هو عيسى ابن مريم ، ويكون الضمير عائدا إلى المسمى بالتسمية المذكورة ، منتهلما عن قول المسيح . والذي قرره الزمخشري لا يرد عليه هذا الإشكال ، وهو حسن جداً ، والله أعلم .

﴿وجيها﴾ حال من (كلمة) وكذلك قوله: ومن المقرين، ويكلم، ومن الصالحين. أى يبشرك به موصوفاً بهذه الصفات. وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة. والوجهة في الدنيا: النبوة والتقدم على الناس. وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة. وكونه ﴿من المقرين﴾ رفعه إلى السماء وصحبته للبلائكة. والمهد: ما يهد للصبي من مضجعه، سمي بالمصدر. و﴿في المهد﴾ في محل النصب على الحال ﴿وكهلاً﴾ عطف عليه بمعنى: ويكلم الناس طفلاً وكهلاً. ومعناه: يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء، من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء. ومن بدع التفسير أن قولها ﴿رب﴾ نداء لجبريل عليه السلام بمعنى ياسيدى ﴿ونعله﴾ عطف على يبشرك، أو على وجيها أو على يخلق، أو هو كلام مبتدأ. وقرأ عاصم ونافع: ويعله، بالياء. فإن قلت: علام تحمل: ورسولا، ومصداقاً، من المنصوبات المتقدمة، وقوله (أنى قد جئتكم) و﴿لما بين يدي﴾ بأبى حملة عليها؟ قلت: هو من المضائق، وفيه وجهان: أحدهما أن يضمrule «وأرسلت» على إرادة القول؛ تقديره: ونعله الكتاب والحكمة. ويقول أرسلت رسولا بأنى قد جئتكم. ومصدقا لما بين يدي. والثاني أن الرسول والمصدق فيهما معنى النطق، فكانه قيل: وناطقاً بأنى قد جئتكم، وناطقاً بأنى أصدق ما بين يدي وقرأ الزيدى: ورسول: عطفاً على كلمة ﴿أنى قد جئتكم﴾ أصله أرسلت بأنى قد جئتكم، لحذف الجار وانتصب بالفعل، و﴿أنى أخلق لكم﴾ نصب بدل من ﴿أنى قد جئتكم﴾ أو جر بدل من آية، أو رفع على: هى أنى أخلق لكم، وقرئ: إنى، بالكسر على الاستثناء، أى أقدر لكم شيئاً مثل صورة الطير ﴿فأنفخ فيه﴾ الضمير للكاف، أى فى ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير ﴿فيكون طيراً﴾ فيصير طيراً كسائر الطيور حياً. وقرأ عبد الله: فأنفخها. قال:

\* كَالْهَبْرِقِيِّ تَمَحَّى يَنْفُخُ الْفَحْمَا \* (١)

وقيل: لم يخلق غير الحفاش ﴿الأكمة﴾ الذى ولد أعشى، وقيل هو الممسوح العين. ويقال: لم يكن فى هذه الأكمة غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير. وروى أنه ربما اجتمع عليه خمسون ألفاً من المرضى، من إطلاق منهم أتاه، ومن لم يطق أتاه عيسى، وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده. وكرر ﴿ياذن الله﴾ دفعاَ لوهم من توهم فيه اللاهوتية. وروى أنه أحيا

(١) مول الرب قرن به وجهته كالهربق تبحى ينفخ الفحم (١) للنافقة، يصف ثوراً وحشياً موجهاً قرنيه وجهته إلى الرب، فهو مستقبلاً برأسه وينفخ فى مقابلتها بفسه، فيسمع له صوت، فهو كالهربق - وزان جعفرى وزبرجى - وهو الحداد والصانع. ويروى: كالحرق، أى الحداد، نسبة لحرق النار، شبه به حال كونه انحاز إلى ناحية ينفخ الفحم المنفخ بالنار، فينفخ: حال متداخلة.

سام بن نوح وهم ينظرون ، فقالوا هذا سحر فأرنا آية : فقال يافلان أكلت كذا ، ويافلان خبي لك كذا . وقرئ تذخرون ، بالذال والتخفيف ﴿ولاحل﴾ رد على قوله (بآية من ربكم) . أى جنتكم بآية من ربكم ، ولاحل لكم ويجوز أن يكون (مصدقا) مردودا عليه أيضا ، أى جنتكم بآية وجنتكم مصدقا . وما حرم الله عليهم في شريعة موسى : الشحوم والثروب <sup>(١)</sup> ولحوم الإبل ، والسسمك ، وكل ذى ظفر ، فأحل لهم عيسى بعض ذلك . قيل : أحل لهم من السمك والطير ما لا يصيبه <sup>(٢)</sup> له . واختلفوا في إحلاله لهم السبت . وقرئ (حرم عليكم) على تسمية الفاعل ، وهو ما بين يدي من التوراة ، أو الله عز وجل ، أو موسى عليه السلام ؛ لأن ذكر التوراة دل عليه ، ولأنه كان معلوما عندهم . وقرئ : حرم ، بوزن كرم ﴿وجنتكم بآية من ربكم﴾ شهادة على صحة رسالتى وهى قوله ﴿إن الله ربى وربكم﴾ لأن جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه : وقرئ بالفتح على البدل من (آية) . وقوله ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ اعتراض ، فإن قلت : كيف جعل هذا القول آية من ربه ؟ قلت لأن الله تعالى جعله له علامة يعرف منها أنه رسول كسائر الرسل ، حيث هداه للنظر في أدلة العقل والاستدلال . ويجوز أن يكون تكريرا لقوله (جنتكم بآية من ربكم) أى جنتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم ، من خلق الطير ، والإبراء ، والإحياء ، والإنباء بالخفايا ، وبغيره من ولادى بغير أب ، ومن كلامى فى المهد ، ومن سائر ذلك . وقرأ عبد الله . وجنتكم بآيات من ربكم ، فاتقوا الله لما جنتكم به من الآيات ، وأطيعوني فيما أَدْعُوكُمْ إليه . ثم ابتداء فقال : إن الله ربى وربكم . ومعنى قراءة من فتح : ولأن الله ربى وربكم فاعبدوه ، كقوله (لإيلاف قريش ..... فليعبدوا) ويجوز أن يكون المعنى : وجنتكم بآية على أن الله ربى وربكم وما بينهما اعتراض .

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ  
 أَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ هَامِنًا بِاللَّهِ وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ  
 وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ٥٣ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهُ وَاللَّهُ  
 خَيْرُ الْمَكْرِينَ ٥٤

﴿فلما أحس﴾ فلما علم منهم ﴿الكفر﴾ علما لاشبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس . و﴿إلى﴾

(١) قوله : الثروب ، الشحوم الرقيقة التى تنثى الكرش والامعاء . أفاده الصحاح . (ع)

(٢) قوله : ما لا يصيبه له ، الصبغة شوكة كالتى فى رجل الديك . أفاده الصحاح . (ع)

الله) من صلة أنصاري مضمنا معنى الإضافة ، كأنه قيل : من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ، ينصرونني كما ينصرنى ، أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء ، أى من أنصاري ، ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه (نحن أنصار الله) أى أنصار دينه ورسوله . وحوارى الرجل : صفوته وخالصته . ومنه قيل للحضرىات الحواريات : لخلوص ألوانهن ونظافتهن . قال :

قُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا تَبْكِينَ إِلَّا الْكِلَابَ النَّوَاحِ (١)

وفى وزنه الحوالى ، وهو الكثير الحيلة . وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيداً لإيمانهم ، لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم (مع الشاهدين) مع الأنبياء الذين يشهدون لأمرهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية . وقيل : مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم شهداء على الناس (ومكروا) الواو لكفار بنى إسرائيل الذين أحس منهم الكفر ، ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة (ومكر الله) أن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل (والله خير الماكرين) أقوام مكرراً وأنفذهم كيذا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب .

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا مَتَّوْفِكَ وَرَافِعُكَ إِلَى وَمَطْهَرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٥٥ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ٥٦ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥٧

(إذ قال الله) ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله (إلى متوفيك) أى مستوفى أجلك . معناه : (إلى عاصمك) (١) من أن يقتلك الكفار ؛ ومؤخرتك إلى أجل كتبته لك . وبميتك خفف أنفك لاقتيلا بأيديهم (ورافعك إلى) إلى سبأ ومقر ملائكتى (ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم وخبث صحتهم . وقيل متوفيك : قابضك من الأرض ، من توفيت مالى على

(١) للبشكرى ، يقول : قتل للنساء الحضرىات الصافيات البيضاء يبكين غيرنا ، كناية عن أنه ليس من أهل التمتع ، ثم نهى عن أن يبكيهن أحد إلا الكلاب التى تساق معهم للصيد ، أو التى جرت عاداتها بأكل قلام فى الحرب أو التى تنبجهم إذا أقبلوا على أصحابها ، كناية عن أنه من أهل البدو والغزو .

(٢) قوله « أى مستوفى أجلك ومعناه إلى عاصمك » مبنى على أن القتل يموت قبل استيفاء أجله ، وهو مذهب المعتزلة . (ع)

فلان إذا استوفيته : وقيل : ميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن : وقيل : متوفى نفسك بالنوم من قوله ( والتي لم تمت في منامها ) ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف ، وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب ﴿ فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ يعلمونهم بالحجة وفي أكثر الأحوال بها وبالسيف ، ومتبعوه هم المسلمون لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع ، دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى ﴿ فأحكم بينكم ﴾ تفسير الحكم قوله ﴿ فأعذبهم ... فنوفهم أجورهم ﴾ <sup>(١)</sup> وقرئ فيوفهم بالياء .

ذَٰلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَآلِذِكْرِ الْحَكِيمِ ٥٨

﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ماسبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره ( تتلوه ) و ( من الآيات ) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف . ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذي ، وتتلوه صلته . ومن الآيات الخبر : ويجوز أن ينتصب ذلك بمضمر تفسيره تتلوه ﴿ والذكر الحكيم ﴾ القرآن ، وصف بصفة من هو سببه ، أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه .

إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ

كُنْ فَيَكُونُ ٥٩

﴿ إن مثل عيسى ﴾ إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم . وقوله ﴿ خلقه من تراب ﴾ جملة مفسرة لما له شبه <sup>(٢)</sup> عيسى بآدم أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم ، وكذلك حال عيسى . فإن قلت : كيف شبه به وقد وجد هو من غير أب ، ووجد آدم من غير أم ؟ قلت : هو مثله في إحدى الطرفين ، فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به ، لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ، ولأنه شبه به لأنه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة ، وهما في ذلك نظيران ، ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب ، فشبه الغريب بالأغرب : ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه . وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم : لم تعبدون عيسى ، قالوا : لأنه لأب له . قال : فأدم أولى لأنه لا أبوين له . قالوا : كان يحيى الموتى . قال : فزقيل أولى ، لأن عيسى أحيا أربعة نفر ، وأحيا حزقيل ثمانية آلاف . قالوا : كان يبرئ الأكه والابرص . قال : فجزجيس أولى ، لأنه طبخ وأحرق

(٢) قوله « فأعذبهم فنوفهم » هذا في الذين كفروا . وقوله : فنوفهم ... الخ ، في الذين آمنوا . (ع)

(٣) قوله « لما له شبه » أي للأمر الذي لأجله كان ذلك التنبيه . (ع)



ثم قام سالماً . ( خلقه من تراب ) قدره جسداً من طين ( ثم قال له كن ) أى أنشأه بشراً كقوله ( ثم أنشأناه خلقاً آخر ) . ( فيكون ) حكاية حال ماضية .

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾

( الحق من ربك ) خبر مبتدأ محذوف ، أى هو الحق كقول أهل خير : محمد والخميس <sup>(١)</sup> . ونهيه عن الامتراء - وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون ممترياً - من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة ، وأن يكون لطفاً لغيره .

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا  
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ

عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

( فمن حاجك فيه ) من النصارى ( فيه ) فى عيسى ( من بعد ما جاءك من العلم ) أى من البينات الموجبة للعلم ( تعالوا ) هلموا . والمراد المجيء بالرأى والعزم ، كما نقول تعال تفكر فى هذه المسئلة ( ندع أبناءنا وأبنائكم ) أى يدع كل منى ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة ( ثم نبتهل ) ثم نتباهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم . والبهلة بالفتح ، والضم : اللعنة . وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك : أبهله ، إذا أهمله . وناقاة باهل : لاصرار عليها <sup>(٢)</sup> . وأصل الابهال هذا ، ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً . وروى أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا : حتى نرجع وننظر ، فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم : يا عبد المسيح ، ما ترى ؟ فقال والله لقد عرفتم يامعشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم نبياقط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلتم لتهلكن فإن أيتهم إلا لاف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه ، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضناً الحسين أخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول : وإذا أنا دعوت فأقمنا ، فقال أسقف نجران <sup>(٣)</sup> : يامعشر النصارى ، إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا

(١) هو طرف من حديث لانس متفق عليه ، بلفظ « صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خير وقد خرجوا بالأساحى على أعناقهم فلما رأوه قالوا : هذا محمد والخميس ... الحديث ، وسيأتى فى سورة الصافات .

(٢) قوله « وناقاة باهل لاصرار عليها » فى الصحاح صررت الناقاة شددت عليها الصرار ، وهو خيط يشد فوق الخلف والتودية ، لئلا يرضعها ولدها . وفيه الخلف : حلة ضرع الناقة . وفيه التودية : خشبة تهدد عليه . (ع)

(٣) قوله « فقال أسقف نجران يامعشر النصارى » أى حبرم عبد المسيح اه . (ع)

من مكانه لازاله بها ، فلا تباهاوا فتهلكوا ولا يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة ، فقالوا : يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال : فإذا أبيت المباهلة فأسلبوا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم ، فأبوا . قال : « فإني أنا جزكم » فقالوا : ما لنا بحرب العرب طاقة ، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدى إليك كل عام ألفي حلة : ألف في صفر ، وألف في رجب ، وثلاثين درعاً عادية من حديد . فصالحهم على ذلك <sup>(١)</sup> وقال : « والذي نفسى بيده ، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعتوا المستخو أقرده وخنازير ، ولاضطرم عليهم الوادى ناراً ، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا ، وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله ، ثم جاء الحسين فأدخله ، ثم فاطمة ، ثم على ، ثم قال : <sup>(٢)</sup> ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ) فإن قلت . ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه ، فما معنى ضم الأبناء والنساء ؟ قلت : ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه ، حيث استجراً على تعريض أعز تهو أفلاذ كبده <sup>(٣)</sup> وأحب الناس إليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له ، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعز ته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة . وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل والأصقهم بالقلوب ، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل . ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمتعهم من الهرب ، ويسمون الزادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق . وقدمهم

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ، من طريق محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بطوله وابن مروان متروك منهم بالكذب ثم أخرج أبو نعيم نحوه عن الشعبي مرسل ، وفيه « فأت أبيت المباهلة فأسلبوا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم » ، فإن أبيتهم فأعطونا الجزية . كما قال الله تعالى . قالوا : ما نملك إلا أنفسنا قال : فإن أبيتهم فإني أؤتد إليكم على سواء ، فقالوا : لا طاقة لنا بحرب العرب ، ولكن نؤدى الجزية ، فجعل عليهم في كل سنة ألفي حلة : ألفاً في صفر ، وألفاً في رجب ، فقال صلى الله عليه وسلم : لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران لو تموا على الملاعة ، رواه الطبري من طريق أبي إسحاق ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير في قوله ( إن هذا هو القصص الحق ) فذكره مرسل ، وفي سنن أبي داود من حديث ابن عباس « صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل نجران على ألفي حلة النصف في صفر ، والبقية في رجب يؤدونه إلى المسلمين ، وعارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً ، وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليهم » وهو طرف من هذه القصة .

(٢) أخرجه مسلم من طريق صفية بنت شيبة عنها . وغفل الحاكم فاستدركه .

(٣) قوله « وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه » في الصحاح : كبد البعير . والجمع : أفلاذ . والفلاة : القطعة من الكبد واللحم والمال وغيرها ، والجمع فلذاه ، فتدبر . (ع)

في الذكر على النفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم ، وليؤذن بأنهم مقدمون على النفس مفدون بها . وفيه دليل لاشئ أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام . وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك .

إِنْ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

(إن هذا) الذي قص عليك من نبأ عيسى (هو القصص الحق) قرئ بتحريك الهاء على الأصل وبالسكون ، لأن اللام تنزل من (هو) منزلة بعضه ، خفف كما خفف عضد . وهو إما فصل بين اسم إن وخبرها ، وإما مبتدأ والقصص الحق خبره ، والجملة خبر إن . فإن قلت : لم جاز دخول اللام على الفصل ؟ قلت : إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز ، لأنه أقرب إلى المبتدأ منه ، وأصلها أن تدخل على المبتدأ . ومن ، في قوله (وما من إله إلا الله) بمنزلة البناء على الفتح في (لا إله إلا الله) في إفادة معنى الاستغراق ، والمراد والرد على النصارى في تليثهم (فإن الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله (زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَذَا نَحْنُ هَؤُلَاءِ حُجَجُنَا فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا

النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

(يا أهل الكتاب) قيل هم أهل الكتابين . وقيل : وفد نجران . وقيل : يهود المدينة (رسوا

بيننا وبينكم) مستوية بيننا وبينكم، لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل. وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ بعضاً أرباباً من دون الله) يعنى تعالوا إليها حتى لا تقول: عزيز ابن الله، ولا المسيح ابن الله، لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا، ولا نطيع أجارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع الله، كقوله تعالى (اتخذوا أجبازهم ورببانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً) وعن عدى بن حاتم: ما كنا نعبدكم يا رسول الله، قال: أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم. قال: هو ذاك. وعن الفضيل: لا أبالي أطمعت مخلوقاً في معصية الخالق، أو صليت لغير القبلة. وقرئ (كلمة) بسكون اللام. وقرأ الحسن (سواء) بالنصب بمعنى استوت استواء (فإن تولوا) عن التوحيد (فقلوا أشهدوا بأنامسلون) أى لزمتمكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم، كما يقول الغالب للغالوب فى جدال أو صراع أو غيرهما. اعترف بأنى أنا الغالب وسلم لى الغلبة. ويجوز أن يكون من باب التعريض، ومعناه: أشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره. زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم، وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم: إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، وبين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبينه وبين عيسى ألفان، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة؟ (أفلا تعقلون) حتى لا تجدوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبية، وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره. و(حاججتم) جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى، يعنى أنتم هؤلاء الأشخاص الحق ويان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم (فيما لكم به علم) مما نطق به التوراة والإنجيل (فلم تحاججون فيما ليس لكم به علم) ولا ذكر له فى كتابكم من دين إبراهيم. وعن الأخفش: ها أنتم هو آ أنتم على الاستفهام، فقلبت الهمزة هاء. ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم. وقيل (هؤلاء) بمعنى الذين و(حاججتم) صلته (والله يعلم) علم ما حاججتم فيه (وأنتم) جاهلون به ثم أعلمهم بأنه برىء من دينكم وما كان إلا (حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) كما لم يكن منكم. وأراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيراً والمسيح (إن أولى الناس بإبراهيم) إن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب (للذين اتبعوه) فى زمانه وبعده (وهذا النبي) خصوصاً (والذين آمنوا) من أمته. وقرئ: وهذا النبي، بالنصب عطفًا على الهاء فى اتبعوه، أى اتبعوه واتبعوا هذا النبي. وبالجر عطفًا على إبراهيم.

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضْلُونَكُمْ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ

وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ  
تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ  
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾

﴿وَدَت طائفة﴾ هم اليهود، دعوا حذيفة وعمار أو معاذاً إلى اليهودية ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾  
وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم، لأن العذاب يضاعف لهم بضالهم وإضلالهم. أو وما يقدر  
على إضلال المسلمين، وإنما يضلون أمثالهم ﴿آيات الله﴾ بالتوراة والإنجيل. وكفرهم  
بها: أنهم لا يؤمنون بما نطق به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها. وشهادتهم:  
اعترافهم بأنها آيات الله. أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول ﴿وأنتم تشهدون﴾ نعتة في  
الكتابين. أو تكفرون بآيات الله جميعاً وأنتم تعلمون أنها حق. قرئ (تلبسون) بالتشديد.  
وقرأ يحيى بن وثاب (تلبسون) بفتح الباء أى تلبسون الحق مع الباطل. كتموله: كلابس ثوبي  
زور. وقوله:

\* إِذَا هُوَ بِالْمَجْدِ ارْتَدَى وَتَأَزَّرَا \* (١)

\*\*\*

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ  
النَّهَارِ وَآكُفُّوا عَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ  
قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ  
رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾  
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

(١) فلا أب وابنا تمثل مروان وابنه إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا  
للفردق. وابنا: نصب عطفًا على موضع الأب، ومثل بالرفع - خبر لا أو نصب صفة لأب وابنا، والخبر محذوف.  
وابنه هو عبد الملك. و إذا هو، أى مروان، لأن جد الابن يجد الأب لا العكس، والمراد بالمجد هنا:  
الأفصال الحيدة التي تتجدد منه، ثم إنه شبهه باللباس بجامع صون كل لصاحبه على طريق المكينة، والارتداء  
والتأزر تخيل. ويحتمل أنه شبه الاتصاف به ظاهراً وباطناً بالارتداء والتأزر على طريق التصرُّحية. ويجوز أن  
المراد من إذا هو الأمن المستمر، لا المستقبل فقط.

(وجه النهار) أوله . قال :

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَمَّاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ<sup>(١)</sup>

والمعنى : أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين في أول النهار (واكفروا) به في آخره  
لعلهم يشكون في دينهم ويقولون : ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون  
برجوعكم . وقيل : توأطأ اثنا عشر من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض : ادخلوا في دين  
محمد أول النهار من غير اعتقاد ، واكفروا به آخر النهار وقولوا : إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا  
علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه ، فإذا فعلتم ذلك شك  
أصحابه في دينهم . وقيل : هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة قال كعب بن الأشرف  
لأصحابه : آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها في أول النهار ، ثم اكفروا به  
في آخره وصلوا إلى الصخرة ، ولعلهم يقولون : هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون (ولا تؤمنوا)  
متعلق بقوله (أن يؤتى أحد) وما بينهما اعتراض . أى : ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد  
مثل ماؤتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم . أرادوا : أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من  
كتب الله مثل ماؤتيتم ، ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً ،  
ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على أن يؤتى<sup>(٢)</sup> . والضمير  
في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع<sup>(٣)</sup> ، بمعنى : ولا تؤمنوا لغير أتباعكم ، أن المسلمين يحاجونكم

(١) مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسراً يندبهن يلطن . أوجههن بالأحمار

لربيع بن زياد . يرى مالك بن زهير العيسى ، ووجه النهار : أوله . والحواسر : كاشفات الوجوه ،  
وصرف للوزن . والندبة : رفع الصوت بالبكاء على الميت . والأحمار : مقدم أعالي الأعناق . والباء بمعنى مع .  
كانت عادة العرب أن لا يندبوا القاتل إلا بعد أخذ ثأره فضمن الرثاء معنى المدح لم والله في من عدوهم . وقال : من  
كان شامئاً بقتله فليجئ . إلى أناسنا في أول النهار يجد من كاشفات وجوههن يكيين عليه برفع أصواتهن ، يضررن  
أوجههن مع صفاح أعناقهن ، يعني أننا أخذنا ثأره لغل لساننا البكاء عليه ، وانتقد ابن العميد قوله : فليأت نسوتنا .  
ولله در الامام المرزوقي حيث أبدله بقوله : فليأت ساحتنا ، لأنه فيه أيضاً انقراض من الاظهار موضع الاضمار .

(٢) قال محمود : « أو يحاجوكم معطوف على أن يؤتى ... الخ » قال أحمد : وفي هذا الوجه من الاعراب  
إشكال ، وهو وقوع أحد في الواجب ، لأن الاستفهام هنا إنكار ، واستفهام الإنكار في مثله إثبات ، إذ حاصله  
أنه أنكر عليهم ووجههم على ما وقع منهم وهو إخفاء الإيمان بأن النبوة لا تخص نبي إسرائيل لأجل العليين المذكورين .  
فهو إثبات عتق . ويمكن أن يقال : روعيت صيغة الاستفهام وإن لم يكن المراد حقيقة ، لحسن ذلك دخول أحد  
في سياقه ، وانه أعلم .

(٣) قال محمود : « والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع ... الخ » قال أحمد : أى حيث كان نكرة في سياق  
النفي ، كما وصفه بالجمع في قوله (فما منكم من أحد عنه حاجزين) .

يوم القيامة بالحق ويغالونكم عند الله تعالى بالحجة. فإن قلت: فما معنى الاعتراض؟ قلت: معناه أن الهدى هدى الله، من شاء أن يلفظ به حتى يسلم، أو يزيد ثباته على الإسلام، كان ذلك، ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيفكم تصديقكم عن المسلمين والمشركون، وكذلك قوله تعالى ﴿قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء﴾ يريد الهداية والتوفيق. أو يتم الكلام عند قوله (الإيمان تبع دينكم) على معنى: ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم: إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم، ولأن إسلامهم كان أغبط لهم. وقوله (أن يؤتى) معناه لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه، لا لشيء آخر، يعنى أن ما بكم من الحسد والبغى - أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب - دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم، والدليل عليه قراءة ابن كثير: أن يؤتى أحد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ، بمعنى: إلا أن يؤتى أحد. فإن قلت: فما معنى قوله أو يحاجوكم على هذا؟ قلت: معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من حاجتهم لكم عند ربكم. ويجوز أن يكون (هدى الله) بدلا من الهدى، و(أن يؤتى أحد) خبر إن، على معنى: قل إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حججكم. وقرئ: إن يؤتى أحد، على إن النافية، وهو متصل بكلام أهل الكتاب. أى ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم: ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم، يعنى ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم. ويجوز أن ينتصب (أن يؤتى) بفعل مضمر يدل عليه قوله (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) كأنه قيل: قل إن الهدى هدى الله، فلا تشكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم؛ لأن قولهم (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا.

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ  
بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا  
فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)  
يَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦)

عن ابن عباس (من إن تأمنه بقنطار) هو عبد الله بن سلام، استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية ذهباً فأذاه إليه. و(من إن تأمنه بدينار) فنحاص بن عازوراء استودعه رجل

من قريش ديناراً فجده وخانه . وقيل : المأمونون على الكثير النصارى ، لغلبة الامانة عليهم .  
والخائنون في القليل اليهود ، لغلبة الخيانة عليهم ﴿ إلا مادمت عليه قائماً ﴾ إلا مدة دوامك عليه  
يا صاحب الحق قائماً على رأسه متوكلاً عليه بالمطالبة والتعنيف ، أو بالرفع إلى الحاكم وإقامة البيعة  
عليه . وقرئ ( يؤده ) بكسر الهاء والوصل ، وبكسر ها بغير وصل ، وبسكونها . وقرأ يحيى بن وثاب :  
تضمنه ، بكسر التاء . ودمت بكسر الدال من دام يدام ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ترك الأداة الذي دلّ  
عليه لم يؤده ، أى تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم ﴿ ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ أى لا يتطرق  
علينا عتاب وذم في شأن الأميين ، يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب ، وما فعلنا بهم من حبس  
أموالهم والإضرار بهم ، لأنهم ليسوا على ديننا ، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون :  
لم يجعل لهم في كتابنا حرمة . وقيل : بايع اليهود رجلاً من قريش ، فلما أسلوا تفاضوهم فقالوا :  
ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم ، وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم . وعن النبي  
صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها : كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت  
قدمي ، إلا الامانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر ، <sup>(١)</sup> وعن ابن عباس أنه سأله رجل فقال : إنا  
نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة . قال : فتقولون ماذا ؟ قال : نقول ليس  
علينا في ذلك بأس . قال : هذا كما قال أهل الكتاب : ليس علينا في الأميين سبيل . إنهم إذا  
أدوا الجزية لم يحلّ لكم أكل أموالهم إلا بطيبة أنفسهم <sup>(٢)</sup> . ﴿ ويقولون على الله الكذب ﴾  
بادعائهم أن ذلك في كتابهم ﴿ وهم يعلمون ﴾ أنهم كاذبون ﴿ بلى ﴾ إنبات لما نفوه من السبيل عليهم  
في الأميين ، أى بلى عليهم سبيل فيهم . وقوله ﴿ من أوفى بعهده ﴾ جملة مستأنفة مقررة للجملة التي  
سدت بلى مستها ، والضمير في بعهده راجع إلى من أوفى ، على أن كل من أوفى بما عاهد عليه واتفق  
الله في ترك الخيانة والغدر ، فإن الله يحبه . فإن قلت ، فهذا عام يخيل أنه لو وفى أهل الكتاب  
بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله . قلت : أجل ، لأنهم إذا وفوا بالعهود وفوا أول  
شيء بالعهد الأعظم ، وهو ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان برسول مصدق لما معهم ، ولو اتقوا  
الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كليمه . ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله  
تعالى ، على أن كل من وفى بعهده الله واتقاه فإن الله يحبه ، ويدخل في ذلك الإيمان وغيره من الصالحات  
وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء . فإن قلت : فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى من ؟ قلت :

(١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق يعقوب بن النعمان القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير به مرسل .

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق أبي إسحاق عن صهبة بن معاوية أنه سأل ابن عباس - فذكره .



عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير. وعن ابن عباس: نزلت في عبد الله بن سلام وبجير الراهب ونظرائهما من مسلمة أهل الكتاب

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَخَلِقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

(يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم. والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا من الترويض والارتشاء ونحو ذلك. وقيل: نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق وحي بن أخطب، حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذوا الرشوة على ذلك. وقيل: جاءت جماعة من اليهود إلى كعب بن الأشرف في سنة أصابهم ممتارين، فقال لهم: هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله؟ قالوا: نعم. قال: لقد هممت أن أميركم وأكسوكم خرمكم الله خيرا كثيرا. فقالوا: لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه. فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته، ثم رجعوا إليه وقالوا: قد غلطنا وليس هو بالثمت الذي نعت لنا، ففرح ومارهم. وعن الأشعث بن قيس: نزلت في، كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر، فاختمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «شاهدك أو يمينه، فقلت إذن يحلف ولا يبالي فقال: من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان»<sup>(١)</sup> وقيل: نزلت في رجل أقام سلعة في السوق خلف الضمير في بعده إلى الله (ولا ينظر إليهم) مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول: فلان لا ينظر إلى فلان، تريد نفى اعتداده به وإحسانه إليه (ولا يزكّيهم) ولا يثنى عليهم. فإن قلت: أي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه؟ قلت: أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية، لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاره نظر عينيه، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثم نظر، ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الإحسان

بجاءاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر (لقرىبا) هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحي بن أخطب وغيرهم (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلون بها بقرائه عن الصحيح إلى الحرف وقرأ أهل المدينة : يلوون ، بالتشديد ، كقوله : لووا رؤسهم . وعن مجاهد وابن كثير : يلون . ووجهه أنهما قلبا الواو المضمومة همزة ، ثم خففوها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها . فإن قلت : إلام يرجع الضمير في (لتحسبه) ؟ قلت : إلى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف . ويجوز أن يراد : يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ : ليحسبه بالياء ، بمعنى : يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب (ويقولون هو من عند الله) تأكيد لقوله : هو من الكتاب ، وزيادة تشنيع عليهم ، وتسجيل بالكذب ، ودلالة على أنهم لا يعرضون ولا يورون وإنما يصرحون بأنه في التوراة هكذا ، وقد أنزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جراتهم على الله وقساوة قلوبهم وبأسهم من الآخرة . وعن ابن عباس : هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلو فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم .

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَيْنِ يَمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَيَمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

(ما كان لبشر) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى . وقيل : إن أبا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتريد أن نعبدك وتتخذك ربا ؟ فقال معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو أن نأمر بعبادة غير الله ! فما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني<sup>(١)</sup> فنزلت . وقيل : قال رجل : يا رسول الله ، نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك ؟ قال :

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل والطبري من طريق ابن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد حدثني سميد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنازعوا عنده ، فقالت الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا . وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانيا . فأمر الله فيهم (يا أهل الكتاب لم تتجاوزوا إبراهيم - الآية) قال أبو رافع القرظي ورجل آخر منهم يقال له الرئيس وهو السيد - لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد دعاهم للإسلام - أتريد منا يا محمد - فذكره ، وذكر الواحد في الأسباب من طريق الكلبي وعطاء بن عياش ، أن أبا رافع والرئيس من نصارى نجران قالوا يا محمد - فذكره ،

لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ، وليكن أكرموا نديكم واعرفوا الحق لأهله <sup>(١)</sup> (والحكم) والحكمة وهي السنة (ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا . والرباني : منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون ؛ كما يقال : رقباني ولحياني ، وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته . وعن محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس : اليوم مات رباني هذه الأمة . وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء . وقيل علماء معلمين . وكانوا يقولون : الشارع الرباني : العالم العامل المعلم <sup>(٢)</sup> بما كنتم بسبب كونكم عالمين <sup>(٣)</sup> وبسبب كونكم دارسين للعلم أوجب أن تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة ، وكفي به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكذروحه في جمع العلم ، ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل ، فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء توفقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها : وقرئ : تعلمون ، من التعلم . وتعلمون من التعلم (تدرسون) تقرأون . وقرئ : تدرسون ، من التدريس . وتدرسون على أن أدرس بمعنى درس كأكرم وكترم وأنزل ونزل . وتدرسون ، من التدرس . ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف : تدرسونه على الناس كقولهم ( لتقرأه على الناس ) فيكون معناها معنى تدرسون من التدريس . وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء ، وأن السبب بينه وبين ربه منقطع ، حيث لم يثبت النسبة إليه . إلا للتمسكين بطاعته . وقرئ ( ولا يأمركم ) بالنصب عطفا على ( ثم يقول ) وفيه وجهان أحدهما أن تجعل ، لا ، مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ( ما كان لبشر ) والمعنى : ما كان لبشر أن يستنبه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً لهو يأمركم <sup>(٤)</sup> أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً <sup>(٥)</sup> كما تقول : ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي . والثاني أن تجعل ، لا ، غير مزيدة . والمعنى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة ، واليهود والنصارى عن عبادة عزيز والمسيح . فلما قالوا له : أنتخذك ربا ؟ قيل لهم : ما كان لبشر أن يستنبه الله ، ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء . والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر ، وتنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم . والضمير في ( ولا يأمركم ) و ( يأمركم ) لبشر . وقيل الله ، والهمزة في يأمركم للإنكار <sup>(٦)</sup> بعد إذ أتم مسلمون دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين ، وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ

(١) لم أجد له إسناداً . ونقله الواحدى في الأسباب عن الحسن البصري . أن رجلا ، فذكره .

(٢) قوله « بسبب كونكم عالمين » تفسير لقراءة ( تعلمون ) من العلم . (ع)

رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

(ميثاق النبيين) فيه غير وجه : أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك . والثاني أن يضيف الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الموثق لا إلى الموثق عليه ، كما تقول : ميثاق الله وعمد الله ، كأنه قيل : وإذا أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أمهم ، والثالث : أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف . والرابع : أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكمًا بهم ، لأنهم كانوا يقولون : نحن أولى بالنبوة من محمد لانا أهل الكتاب ومنا كان النبيون . وتدل عليه قراءة أبي وابن مسعود : وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واللام في ﴿لما آتيتكم﴾ لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف <sup>(١)</sup> وفي لتؤمنن لام جواب القسم ، ودما ، يتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ، ولتؤمنن ساذ مسد جواب القسم والشرط جميعاً ، وأن تكون موصولة بمعنى : للذي آتيتكم لتؤمنن به . وقرئ : لما آتيناكم وقرأ حمزة : لما آتيتكم . بكسر اللام ومعناه : لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة : ثم لحى رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ، على أن دما ، مصدرية ، والفعلان معها أعني آتيتكم ، ود جاءكم ، في معنى المصدرين ، واللام داخلة للتعليل على معنى : أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه ، لأجل أني آتيتكم الحكمة ، وأن الرسول الذي أمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف . ويجوز أن تكون دما ، موصولة . فإن قلت : كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله (ثم جاءكم) لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصفة ، لأنك لا تقول : للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم ؟ قلت : بلى <sup>(٢)</sup> ، لأن ما معكم في معنى ما آتيتكم ، فكأنه قيل : للذي آتيتكم وجاءكم رسول مصدق له . وقرأ سعيد بن جبير دما ، بالتشديد ، بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ،

(١) قال محمود : د اللام في لما آتيتكم لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى القسم ... إلخ ، قال أحمد : يريد على أن قوله (رسول) فاعل جاء ، لأنه لا يخلو من الضمير وإلا فهذا القول صحيح على أن يكون الفاعل مضمراً ، ورسول : خبر الموصول . ولم يرد الزخشرى إلا الأول ، وهو ظاهر الآية .

(٢) عاد كلامه ، قال مجيباً عن السؤال : د قلت : بلى ... إلخ ، قال أحمد : يريد أن الكلام وإن خلا من العائد إلا أنه في معنى كلام يتحقق فيه العائد فيجوز دخوله في الصلة ، والله أعلم ،

ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الإيمان به ونصرته . وقيل : أصله لمن ما ، قاستنقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميمًا بإدغامها في الميم ، فحذفوا إحداهما فصارت لما . ومعناه : لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به ، وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى ﴿إصرى﴾ عهدى . وقرئ : أصرى ، بالضم . وسمى إصرأ ، لأنه مما يؤصر ، أى يشد ويعقد . ومنه الإصار ، الذى يعقد به . ويجوز أن يكون المضموم لغة في أصر ، كعبر وعبر ، وأن يكون جمع إصار ﴿فأشهدوا﴾ فليشهد بعضهم على بعض بالإقرار ﴿وأنا على ذلكم﴾ من إقراركم وتشاهدكم ﴿من الشاهدين﴾ وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض . وقيل : الخطاب لللائكة ﴿فمن تولى بعد ذلك﴾ الميثاق والتوكيد ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ أى المتسدون من الكفار دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة . والمعنى : فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله ييغون ، ثم توسطت الهمزة بينهما . ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره ﴿أ﴾ يتولون ﴿فغير دين الله ييغون﴾ وقدم المفعول الذى هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث أن الإنكار الذى هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل . وروى : أن أهل الكتاب اختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين إبراهيم عليه السلام ؛ وكل واحد من الفريقين ادعى أنه أولى به ، فقال صلى الله عليه وسلم : كلا الفريقين برى . من دين إبراهيم ،<sup>(١)</sup> فقالوا : ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك . فنزلت : ييغون ، بالياء : وترجعون ، بالياء ، وهي قراءة أبى عمرو ، لأن الباغين هم المتولون ، والراجعون جميع الناس . وقرئنا بالياء معا ، وبالياء معا ﴿طوعا﴾ بالنظر فى الأدلة والإنصاف من نفسه ﴿وكرها﴾ بالسيف ، أو بمعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كتنق الجبل على بنى إسرائيل ، وإدراك الغرق فرعون ، والإشفاء على الموت<sup>(٢)</sup> فلما رأوا بأسنا قالوا : آمنا بالله وحده . وانتصب طوعا وكرها على الحال ، بمعنى طائعين ومكرهين

قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ

وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٨٥﴾

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعن من معه بالإيمان ، فلذلك وحد الضمير

(١) لم أجد له إسنادا ، وذكره الواحدى فى الأسباب أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(٢) قوله «والإشفاء على الموت» أى الاشراف ، كما فى الصحاح . (ع)

في ﴿قل﴾ وجمع في ﴿آمنوا﴾ ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر نبيه . فإن قلت . لم عدى أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء ، وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء ؟ قلت : لوجود المعنيين جميعا ، لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل ، فجاء تارة بأحد المعنيين ، وأخرى بالآخر . ومن قال : إنما قيل (علينا) لقوله (قل) ؛ و (إلينا) لقوله (قولوا) تفرقة بين الرسل والمؤمنين ، لأن الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ، ويأتيهم على وجه الانتهاء ، فقد تعسف . ألا ترى إلى قوله (بما أنزل إليك) ، (وأنزلنا إليك الكتاب) وإلى قوله (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) . ﴿ونحن له مسلمون﴾ موحدون مخلصون أنفسنا له لئلا نجعل له شريكا في عبادتها ؛ ثم قال ﴿ومن يبتغ غير الإسلام﴾ يعني التوحيد وإسلام الوجه لله تعالى ﴿ديننا قلن يتبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياخ . وقرئ : ومن يبتغ غير الإسلام بالإدغام .

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٨٦ أَوَلَيْكَ جَزَاءُؤُهُمْ أَنْ عَلَيهِمْ كُفْرَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ٨٧ خُلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ٨٨ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٨٩

﴿كيف يهدي الله قوما﴾ كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف ، لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ، ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق ، وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة . وهم اليهود - كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا مؤمنين به ؛ وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة إيمانهم من البينات : وقيل : نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة ، منهم طعنة ابن أبيرق ، ووحوش بن الاسلت ، والحرث بن سويد بن الصامت . فإن قالت : علام عطف قوله ﴿وشهدوا﴾ ؟ قلت : فيه وجهان : أن يعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل ؛ لأن معناه بعد أن آمنوا ، كقوله تعالى ( فأصدق وأكن من ) وقول الشاعر :

... لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلَا نَاعِبٍ ... (١)

(١) مشائيم ليسوا مصليين عشيرة ولا ناعب إلا بين غرابها

أنشده أبو المهدى . والشزم : ضد النين . والناعب : الصائح ، من باب ضرب ونفع . والين : مصدر بمعنى الانفصال

ويجوز أن تكون الواو للحال بإضماره قد ، بمعنى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق ( والله لا يهدي ) لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم أن اللطف لا ينفعهم ( إلا الذين تابوا من بعد ذلك ) الكفر العظيم والارتداد ( وأصلحوا ) ما أفسدوا أو ودخلوا في الإصلاح . وقيل : نزلت في الحرث بن سويد بعد أن ندم على رذته وأرسل إلى قومه أن سلوا : هل لي من توبة ، فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية ، فأقبل إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ نُّقْبِلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ آفَتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ (٩١)

(ثم ازدادوا كفرا) هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والنوراة ، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن . أو كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم على ذلك وطعنهم في كل وقت ، وعداوتهم له ، وتقصيرهم مشاقه ، وفتنتهم للمؤمنين ، وصددهم عن الإيمان به ، وسخريتهم بكل آية تنزل . وقيل : نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة ، ازدادوا الكفر أن قالوا نقيم بمكة تربيص بمحمد ريب المتنون ، وإن أردنا الرجعة تافقنا بإظهار التوبة . فإن قلت : قد علم أن المرتد كيفما ازداد كفرا فإنه مقبول التوبة إذا تاب فما معنى ( لن تقبل توبتهم ) ؟ قلت : جعلت عبارة عن الموت على الكفر ، لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر ، كأنه قيل : إن اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ما تنون على الكفر ، داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم . فإن قلت : فلم قيل في إحدى الآيتين ( لن تقبل ) بغير فاء ، وفي الأخرى ( فلن يقبل ) ؟ قلت : قد أؤذن بالفاء أن الكلام بني على الشرط والجزاء . وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر . وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب ، كما تقول : الذي جاءني له درهم ، لم يجعل المحي . سببا في استحقاق الدرهم ، بخلاف قولك : فله درهم . فإن قلت : لحين كان المعنى ( لن تقبل توبتهم )

== والبعد . وجر ناعب على توم : ليسوا بمصلحين ولا ناعب ، وجعل هذا جمهور النحاة مطرودا ، ومنعه بعضهم . وروى « إلا بطون » وصوت الغراب كثيرا ما تشبه منه العرب . وهو كناية عن تشقت شمل تلك المشائيم وعدم اتفاق كلمتهم .

بمعنى الموت على الكفر ، فهلا جعل الموت على الكفر مسبباً عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجزه إلى الموت على الكفر ؟ قلت : لأنه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع إلى الإسلام ولا يموت على الكفر . فإن قلت : فأى فائدة في هذه الكناية ، أعني أن كفى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة ؟ قلت : الفائدة فيها جلية ، وهى التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار ، وإبراز حالهم في صورة حالة الآيسين من الرحمة التى هى أغلظ الأحوال وأشدّها : ألا ترى أن الموت على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس من الرحمة ﴿ ذهباً ﴾ نصب على التمييز . وقرأ الأعمش : ذهب ، بالرفع رداً على ملء ، كما يقال : عندى عشرون نفساً رجال . فإن قلت : كيف موقع قوله ﴿ ولو اقتدى به ﴾ <sup>(١)</sup> ؟ قلت : هو كلام محمول على المعنى ،

(١) قال محمود رحمه الله : « إن قلت كيف موقع قوله ولو اقتدى به ... الخ » قال أحمد : لم يبين تطبيق لفظ الآية على هذا التقدير الذى ذهب إليه بوجه ، ونحن نبين السبب الباعث له على إخراج الكلام عن ظاهره ، ثم نقرر وجهها يطابق الآية ، وذلك أن هذه الواو المصاحبة للشرط تستدعى شرطاً آخر يعطف عليه الشرط المتقترن به ضرورة ، والعادة في مثل ذلك أن يكون المنطوق به منها على المسكوت عنه بطريق الأولى ، مثاله قولك : أكرم زيداً ولو أكرمه الواء عطفت المذكور على محذوف تقديره : أكرم زيداً لو أحسن ولو أساء ، إلا أنك نهيت بالجماب إكرامه إن أساء على أن إكرامه إن أحسن بطريق الأولى . ومنه ( كونوا قوامين بالنسط شهداء لله ولو على أنفسكم ) معناه - والله أعلم - : لو كان الحق على غيركم ، ولو كان عليكم ، ولكنه ذكر ما هو أسوأ عليهم ، فأوجبه تنبيهاً على ما هو أسهل وأولى بالوجوب ، فإذا تبين مقتضى الواو في مثل هذه المواضع وجدت آية آل عمران هذه مخالفة لهذا النمط ظاهراً ، لأن قوله ( ولو اقتدى به ) يقتضى شرطاً آخر محذوفاً يكون هذا المذكور منها عليه بطريق الأولى ، وهذه الحال المذكورة وهى حالة اقتدائهم بملء الأرض ذهباً هى حالة أجدر الحالات بقبول الفدية ، وليس وراءها حالة أخرى تكون أولى بالقبول منها ، فلذلك قدر الكلام بمعنى : لن يقبل من أحد منهم فدية ولو اقتدى بملء الأرض ذهباً ، حتى تبين حالة أخرى يكون الاقتداء الخاص بملء الأرض ذهباً هو أولى بالقبول منها ، فإذا اتبني حيث كان أولى فلائى ينتفى فيها عدداً هذه الحالة أولى ، فهذا كله بيان للباعث له على التقدير المذكور . وأما تنزيل الآية عليه فمفسر جداً ، فالأولى ذكر وجه يمكن تطبيق الآية عليه على أسهل وجه وأقرب مأخذ إن شاء الله فنقول : قبول الفدية التى هى ملء الأرض ذهباً يكون على أحوال : منها أن يؤخذ منه على وجه اقهر فدية عن نفسه كما تؤخذ الدية قهراً من مل القاتل على قول . ومنها أن يقول المفتدى في التقدير : أقدى نفسى بكذا ، وقد لا يفعل . ومنها أن يقول هذا القول وينجز المقدار الذى يقضى به نفسه ويجعله حاضراً عتيداً ، وقديماً مثلاً لما يأن منه قبول فدية . وإذا تعددت الأحوال فالمراد في الآية بأبلغ الأحوال وأجدرها بالقبول ، وهو أن يفتدى بملء الأرض ذهباً اقتداءً محققاً بأن يقدر على هذا الأمر العظيم ويسلمه وينجزه اختياراً ، ومع ذلك لا يقبل منه ! فجرد قوله أبذل المال وأقدر عليه أو ما يجرى هذا المجرى بطريق الأولى ، فيكون دخول الواو والحالة هذه على بابها . تنبيهاً على أن ثم أحوالاً أخرى لا ينفع فيها القبول بطريق الأولى بالنسبة إلى الحالة المذكورة . وقد ورد هذا المعنى مكشوفاً في قوله تعالى ( إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يرم القيامة ما تقبل منهم ) والله أعلم . وهذا كله تسجيل بأنه لا يحصى ولا تخلص لهم من الوعيد ، وإلا فن المعلوم أنهم أعجز عن الفلاس في ذلك اليوم . ونظير هذا التقدير من الأمثلة أن يقول القاتل : لا أبيعك هذا الثوب بألف دينار ولو سلمتها إلى فى يدي هذه . فتأمل هذا النظر فانه من السهل المحتنع . والله ولى التوفيق .



كأنه قيل: فلن تقبل من أحدهم فدية ولو اقتدى بملء الأرض ذهباً. ويجوز أن يراد: ولو اقتدى بمثله<sup>(١)</sup>، كقوله: (ولو أن الذين ظلموا مآلى الأرض جميعاً ومثله معه) والمثل يحذف كثيراً في كلامهم، كقولك: ضربته ضرب زيد، تريد مثل ضربه. وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطى، وقضية ولا بأحسن لها، تريد: ولا مثل هيثم، ولا مثل أبي حسن، كما أنه يراد في نحو قولهم: مثلك لا يفعل كذا، تريد أنت. وذلك أن المثلين يستأحدهما مستأخر فكانا في حكم شيء واحد، وأن يراد: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً كان قد تصدق به، ولو اقتدى به أيضاً لم يقبل منه. وقرئ: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً، على البناء للفاعل وهو الله عزّ وعلا، ونصب ملء. ومل لرض بتخفيف الهمزتين

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ

بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

(لن تنالوا البر) لن تبلغوا حقيقة البر، ولن تكونوا أبراراً. وقيل: لن تنالوا بر الله وهو ثوابه (حتى تنفقوا بما تحبون) حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله (أنفقوا من طيبات ما كسبتم) وكان السلف رحمهم الله إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله. وروى أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال: يا رسول الله. إن أحب أموالى إلىّ يبرحها فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرج ذلك مال راجح<sup>(١)</sup> أو مال رائج وإني أرى أن يجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة: افعل يا رسول الله فقسّمها في أقاربه. وجاء زيد ابن حارثة بفرس له كان يحبها فقال: هذه في سبيل الله، فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد، فكان زيداً وجد في نفسه وقال: إنما أردت أن أتصدق به. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إن الله تعالى قد قبلها<sup>(٢)</sup> منك. وكتب عمر رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولا. يوم فتحت مدائن كسرى، فلما جاءت أعجبه فقال: إن الله تعالى يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا بما تحبون)<sup>(٣)</sup> فأعتقها. ونزل بأبي ذر ضيف فقال للراعى

(١) عاد كلامه قال: «ويجوز أن يكون معنى الكلام ولو اقتدى بمثله... الخ، قال أحد: وعلى هذا النمط يجرى الكلام على التأويل المتقدم لأنه به يمدم قبول مثلى ملء الأرض ذهباً على عدم قبول ملأها مرة واحدة بطريق الأولى.

(٢) متفق عليه من حديث إسماعيل بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره والطبرى من طريقه: أخبرنا معمر عن أيوب وغيره أنه لما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا بما تحبون) جاء زيد بن حارثة بفرس له - فذكره - وهو معضل. وأخرجه الطبرى من رواية عمرو بن دينار نحوه مرسلًا، ووجهه ثقات.

(٤) رواه الطبرى من رواية ابن أبي نجیح عن مجاهد في قوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا بما تحبون) قال «كتب عمر إلى أبي موسى - فذكره».

التى بخير إلى لقاء بناة مهزولة. فقال: خنتنى، قال: وجدت خير الإبل لحماً، فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال: إن يوم حاجتى إليه ليوم أوضع فى حفرك. وقرأ عبد الله: حتى تنفقوا بعض ماتحبون. وهذا دليل على أن من، فى (ماتحبون) للتبعض. ونحوه: أخذت من المال. ومن فى (من شئ) لتبيين ما تنفقوا، أى من أى شئ كان طيباً محبوباً أو خبيثاً تكرهونه (فإن الله) علم بكل شئ. تنفقونه فجازيكم بحسبه.

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾  
فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾

(كل الطعام) كل المطعومات أو كل أنواع الطعام. والحل مصدر. يقال: حل الشئ. حلا كقولك: ذلت الدابة ذلاً، وعزّ الرجل عزراً، وفى حديث عائشة رضى الله عنها: كنت أطيعه لحله وحرمة<sup>(١)</sup>، ولذلك استوى فى الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع. قال الله تعالى: لا هن حلّ لهم. والذى حرم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الإبل وألبانها وقيل العروق. كان به عرق النساء، فنذر إن شئ أن يحرم على نفسه أحب الطعام إليه، وكان ذلك أحبه إليه فخرمه. وقيل: أشارت عليه الأطباء باجتنابه، ففعل ذلك بإذن من الله، فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلالاً لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شئ قبل ذلك غير للمطعم الواحد الذى حرّمه أبوهم إسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه، وهو رد على اليهود وتكذيب لهم، حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم فى قوله تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) إلى قوله تعالى (عذاباً أليماً) وفى قوله (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) إلى قوله (ذلك جزيناهم ببغيهم) وجحود ما غاظمهم واشتأروا منه وامتنعوا<sup>(٢)</sup> مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم، فقالوا: لسنا بأول من حرمت عليه، وما هو إلا تحريم قديم، كانت محرمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل وهلم جرا، إلى أن انتهى التحريم إلينا، فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا. وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصدّ عن سبيل الله وأكل الربا وأخذ أموال الناس بالباطل،

(١) متفق عليه من حديثها.

(٢) قوله «واشتأروا منه وامتنعوا» أى غضبوا منه وشق عليهم، أقاده الصالح. (ع)

وما تعدد من مساوئهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حُرِم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ أمر بأن يحاجهم بكتبهم ويبيحتهم مما هو ناطق به من أن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم ، لا تحريم قديم كما يدعونه ، فروى أنهم لم يحجروا على إخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين ، وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه ﴿فمن افترى على الله الكذب﴾ بزعمه أن ذلك كان محرماً على نبي إسرائيل قبل إنزال التوراة من بعد ما زمهم من الحجة القاطعة ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون إلى البينات .

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾

﴿قل صدق الله﴾ تعريض بكنزهم كقوله (ذلك جزيناكم ببغيتهم وإنا لصادقون) أى ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأتم الكاذبون ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً﴾ وهى ملة الإسلام التى عليها محمد ومن آمن معه ، حتى تتخلصوا من اليهودية التى ورطتكم فى فساد دينكم ودنياكم ، حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم ، وألزمتكم تحريم الطيبات التى أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه .

إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ

الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾

﴿وضع للناس﴾ صفة لبیت ، والواضع هو الله عز وجل ، تدل عليه قراءة من قرأ (وضع للناس) بتسمية الفاعل وهو الله . ومعنى وضع الله بيتاً للناس ، أنه جعله متعبداً لهم ، فكأنه قال : إن أول متعبد للناس الكعبة . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أول مسجد وضع للناس فقال : والمسجد الحرام . ثم بيت المقدس . وسئل كم بينهما ؟ قال : «أربعون» (١) سنة . وعن علي رضي الله عنه أن رجلاً قال له : أهو أول بيت ؟ قال : لا ، قد كان قبله بيوت ، ولكنه أول بيت وضع للناس مباركاً فيه الهدى والرحمة والبركة . وأول من بناه إبراهيم ثم بناه قوم من

(١) متفق عليه من حديث أبى ذر رضى الله عنه قال «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع للناس قال : المسجد الحرام . قلت : ثم ؟ قال : بيت المقدس . قلت : كم بينهما ؟ قال أربعون عاماً . ثم الأرض لك مسجد بحيث أدركتك الصلاة فصل .»

العرب من جرهم ثم هدم فبنته العالقة ثم هدم فبناه قريش . وعن ابن عباس : هو أول بيت أُحجَّ بعد الطوفان . وقيل : هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض ، خلقه قبل الأرض بألني عام ، وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض تحته . وقيل : هو أول بيت بناه آدم في الأرض . وقيل : لما أهبط آدم قالت له الملائكة : طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بألني عام ، وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح ، فرفع في الطوفان إلى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات ﴿الذي بيكة﴾ البيت الذي بيكه ، وهى علم للبلد الحرام : مكة وبكة لغتان فيه ، نحو قولهم : النيط والنيط ، في اسم موضع بالدنهان : ونحوه من الاعتقاب : أمر راتب وراحم . وحى مغمطة ومغمطة <sup>(١)</sup> . وقيل : مكة : البلد ، وبكة : موضع المسجد . وقيل : اشتقاقها من «بكة» إذا زحمة لازدحام الناس فيها . وعن قتادة : بيك الناس بعضهم بعضاً الرجال والنساء ، يصلى بعضهم بين يدي بعض ، لا يصلح ذلك إلا بمكة كأنها سميت بيكة وهى الزحمة . قال :

إِذَا الشَّرِيبُ أَخَذَتْهُ الْأَكَّةُ فَخَلَّهَ حَتَّى يَبْكُ بَكَّةً <sup>(٢)</sup>

وقيل : تبك أعناق الجبارة أى تدقها . لم يقصدها جبار إلا قصمه الله تعالى ﴿مباركا﴾ كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب ، وامتصاه على الحال من المستكن في الظرف ، لأن التقدير للذي بيكة هو ، والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار ﴿وهدى للعالمين﴾ لأنه قبلتهم ومتعبدهم ﴿مقام إبراهيم﴾ عطف بيان لقوله (آيات بينات) . فإن قلت : كيف صح بيان الجماعة بالواحد <sup>(٣)</sup> ؟ قلت : فيه وجهان : أحدهما أن يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالاته على قدرة الله ونسوة إبراهيم من تأثير قدمه في حجر صلد ، كقوله تعالى (إن إبراهيم كان أمة) والثاني : اشتماله على آيات <sup>(٤)</sup> لأن أثر

(١) قوله «وحى منمطة ومنمطة» في الصحاح : أغطت عليه الحى لغة في أغطت ، أى دامت اه . (ع)  
(٢) يقول إذا أخذت «الأكّة» وهى سوء الخلق «الشريب» الذى يشرب معك ، أو الذى يسقى إبله معك ، كأنها ملكته واستوت عليه وغلله أى اتركه حتى يقطع من الماء قطعة ، أو حتى يزدحم بإبله على الماء مرة . من الازدحام . وهذا وصية بمكارم الأخلاق ، والحلم عند الغضب ، والسماحة .

(٣) قال محمود : وإن قلت : كيف صح بيان الجماعة بالواحد ... الخ ؟ قال أحد : ونظير هذا التأويل ما تقدم لى عند قوله تعالى (وقالوا إن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيم) قال محمود فيها تقدم «والذى صدر منهم أمنية واحدة ، فأوجه جمعها وبينت فيها هذا بعينه ، وهو أن النبى الواحد متى أريد تمكينه وامتيازته عن غيره من صفة جمع ، أعاد الجمع فيه ذلك ، وقد لاح لى الآن فى جمع الأمانى . ثم وجه آخر ، وذلك أن كل واحد منهم صدرت منه هذه الأمنية ، فجمعها بهذا الاعتبار تنبها على تعددها بتقدمهم ، والعجب أن الجمع فى مثل هذا هو الأصل ، وأن الأفراد إنما يقع فيه على نوع مامن الاختصار . ومنه : كلوا فى بعض بطونكم تصحوا .

(٤) عاد كلامه . قال : الوجه الثانى اشتماله على آيات لأن أثر القدم فى الصخرة الصماء آية ، وغوصه فيها إلى الكعبين آية ، وإلانة بعض الصخر دون بعض آية ، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء آية ، وحفظه مع كثرة عدوه من

القدم في الصخرة السماء آية ، وغوصه فيها إلى السكعين آية ، وإلانة بعض الصخر دون بعض آية ، وإبقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة ، وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألاف سنة آية . ويجوز أن يراد : فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، وأمن من دخله ، لأن الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والأربعة . ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما . دلالة على تكرار الآيات ، كأنه قيل : فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ولأمن من دخله ، وكثير سواهما . ونحوه في طي الذكر قول جرير :

كَأَنْتَ حَنِيفَةٌ أُنْثَلَاثًا قُتِلْتَهُمْ مِّنَ الْعَبِيدِ وَتُلْتُ مِّنْ مَّوَالِيهَا <sup>(١)</sup>

ومنه قوله عليه السلام «حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وقرعة عني في الصلاة» <sup>(٢)</sup> وقرأ ابن عباس وأبي ومجاهد وأبو جعفر المدني في رواية قتيبة : آية بينة ، على التوحيد . وفيها دليل على أن مقام إبراهيم واقع وحده عطف بيان . فإن قلت : كيف أجزت أن يكون مقام إبراهيم والأمن عطف بيان للآيات ؟ وقوله (ومن دخله كان آمنا) جملة مستأنفة إما ابتدائية وإما شرطية ؟ قلت : أجزت ذلك من حيث المعنى ، لأن قوله (ومن دخله كان آمنا) دل على أمن داخله ، فكأنه قيل : فيه آيات بينات : مقام إبراهيم ، وأمن داخله . ألا ترى أنك لو قلت : فيه آية بينة ، من دخله كان آمناصح ، لأنه في معنى قولك : فيه آية بينة ، أمن من دخله . فإن قلت : كيف

== المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألاف سنة آية ، ويجوز أن يريد مقام إبراهيم وأمن من دخله ، وكثيرا سواهما والله أعلم .

(١) لجرير يقول : كانت هذه القبيلة منقسمة أثلاثا ، فتلثا من العبيد الأرقاء ، وتلثا من عتق القبيلة أو من عتق العبيد . وعليه فالإضافة على معنى «ومن» ولم يذكر الثلث الثالث ، لأنه من المعلوم أنه لم يبق إلا السادة الأشراف ، بدليل الحصر في الأثلاث ، والتفرع من العبيد إلى العتق . وهذا يحتمل الدم ، وأن تلك القبيلة فقط كرام والباقي لثام . ويحتمل المدح وأن خدمهم من العبيد كثير .

(٢) قد تقدم أنه أوردته عند قوله تعالى ( وإنا لكبيرة إلا على الخاشعين ) مختصرا . وقد تقدم أن النسائي أخرجه من طريق سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان ومن طريق سلام بن مسكين ، كلاهما عن ثابت عن أنس . ومن طريق سيار . رواه أحمد في الزهد والحاكم في المستدرک . ومن طريق سلام أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وابن سعد والبخاري وأبو يعلى ، وابن عدى في الكامل ، وأعله به ، والعقيلي في الضعفاء كذلك . وقال الدارقطني في علله . رواه أبو المنذر سلام . وسلام بن أبي الصهباء وجعفر بن سليمان ، فرووه عن ثابت عن أنس ، وخالفهم حماد بن زيد عن ثابت مرسلا . وكذا رواه محمد بن ثابت البصري . والمرسل أشبه بالصواب . وقد رواه عبدالله بن أحمد في زيادات الزهد عن غير أبيه من طريق يوسف بن عطية ، عن ثابت مرسلا أيضا . ويوسف ضعيف . وله طريق أخرى معلولة عند الطبراني في الأوسط عن محمد بن عبدالله الحضرمي عن يحيى بن عثمان الحربى عن الهقل بن زياد عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس مثله قلت : ليس في شيء من طرقه لفظ «ثلاث» بل أوله عند الجميع «حبب إلى من دنياكم النساء - الحديث» وزيادة «ثلاث» تفيد المعنى . على أن الامام أبابكر بن فورك شرحه في جزء مفرد باثباتها ، وكذلك أوردته الغزالي في الاحياء واشتهر على الألسنة .

كان سبب هذا الأثر؟ قلت: فيه قولان: أحدهما أنه لما ارتفع بنیان الكعبة وضعف إبراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فناصت فيه قدماه. وقيل: إنه جاء زائراً من الشام إلى مكة فقالت له امرأة لإسماعيل: انزل حتى يغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بهذا الحجر فوضعت على شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه، ثم حواته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر، فبقي أثر قدميه عليه. ومعنى (ومن دخله كان آمناً) معنى قوله (أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم) وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام (رب اجعل هذا البلد آمناً) وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب. وعن عمر رضي الله عنه ولو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه، <sup>(١)</sup> وعند أبي حنيفة: من لزمه القتل في الحل بقصاص أوردته أوزنى فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له، إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج. وقيل: آمناً من النار. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة <sup>(٢)</sup> آمناً، وعنه عليه الصلاة والسلام والحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة <sup>(٣)</sup>، وهما مقبرتا مكة والمدينة. وعن ابن مسعود: وقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة، فقال: «يعت الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفاً وجوهمهم كالقمر ليلة البدر»، يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً وجوهمهم كالقمر ليلة البدر <sup>(٤)</sup>، وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار، تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي <sup>(٥)</sup> عام، (من

(١) أخرجه عبد الرزاق في كتاب الحج من مصنفه وأبو الوليد الأزرق في تاريخ مكة من طريقه عن ابن جريج، سمعت ابن أبي حسين عن عكرمة بن خالد قال قال عمر بهذا وهذا منقطع.

(٢) قال إسحاق: أخبرنا عيسى بن يونس حدثنا ثور بن يزيد حدثني شيخ عن أنس به. ورواه البيهقي في الشعب من طريق ابن أبي فديك عن سليمان بن يزيد الكعبي عن أنس به وزاد من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جوارى يوم القيامة وأخرجه أبو داود الطيالسي تأمناً من حديث عمر رضي الله عنه بإسناد فيه ضعف، وهو مجهول، وقال عبد الرزاق في مصنفه، أخبرنا يحيى بن العلاء وغيره، وغالب بن عبيد الله يرفعه، فذكره، ويحيى وغالب ضعيفان جداً وأخرجه الدارقطني من رواية هارون بن أبي قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب بن أمية، وهو معلول، ورواه الطبراني في الأوسط والصغير، من وجهين عن عبد الله بن المؤمل عن أبي الزبير عن جابر دون الزيادة، وأورده ابن عدي في ترجمة عبد الله بن المؤمل: وأخرجه البيهقي في الشعب والطبراني في حديث عبد الغفور ابن سعيد الأنصاري عن أبي هاشم الرماني عن زاذان عن سليمان قال البيهقي عبد الغفور ضعيف، وقد روى بإسناد أحسن من هذا، ثم ذكر طريق عبد الله بن المؤمل، وقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق عبد الغفور ونقل عن ابن حبان أنه قال: كان يضع الحديث. قلت: وهذا من غلط ابن الجوزي في تصرفه فانه لم يخص عبد الغفور (٣) لم أجده.

(٤) لم أجده.

(٥) هكذا ذكره أبو الوليد الأزرق في تاريخ مكة، لكن بغير إسناد، وقد أخرجه المعقب في الضعفاء في ترجمة

استطاع) بدل من الناس . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة <sup>(١)</sup> ، وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه أكثر العلماء . وعن ابن الزبير : هو على قدر القوة . ومذهب مالك أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه . وعنه : ذلك على قدر الطاقة ، وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر ، وقد يقدر عليه من لا زاد له ولا راحلة ، وعن الضحاك : إذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع . وقيل له في ذلك فقال : إن كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه ؟ بل كان ينطلق إليه ولو جبا فكذلك يجب عليه الحج . والضمير في (إليه) للبيت أو للحج . وكل ما أتى إلى الشيء فهو سبيل إليه وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد ؛ ومنها قوله ( والله على الناس حج البيت ) <sup>(٢)</sup> يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهده . ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع إليه سبيلا ، وفيه ضربان من التأكيد : أحدهما أن الإبدال تثنية للراد وتكريره ، والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين . ومنها قوله ( ومن كفر ) مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا » <sup>(٣)</sup> ونحوه من التغليظ « من ترك الصلاة متعمدا

== الحسن بن رشيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رفعه « من صبر في حر مكة ساعة باعد الله منه جهنم سبعين خريفاً » وقال هذا باطل ، لأصل له ، والحسن بن رشيد يحدث بالما كبير . وأورده أبو شجاع في الفردوس من حديث أنس ، باقظ « تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنة مائة عام » .

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه ، من حديث عمر ، بلفظ السيل الزاد والراحلة فيها إبراهيم بن يزيد الجوزي وهو ضعيف والحاكم من حديث أنس ، وهو معلول . وأخرجه الدارقطني والحاكم من رواية قتادة عن أنس ، لكن قال البيهقي : الصواب عن قتادة عن الحسن مرسلا ، وأخرجه ابن ماجه عن عباس ، وإسناده ضعيف ، والصحيح عنه قوله . كما أخرجه ابن المنذر . وقال : لا يثبت مرفوعا . وفي الباب عن علي وابن مسعود . وعائشة وجابر وعبدالله ابن عمر . وأخرجها الدارقطني بأسانيد ضعيفة .

(٢) قال محمود : « وفي الكلام أنواع من التوكيد منها قوله ( والله على الناس ) أي في رقابهم لا ينفكون عنه ... الحج » قال أحمد : قوله « إن المراد بمن كفر من ترك الحج وعبر عنه بالكفر تغليظا عليه » فيه نظر ، فإن قاعدة أهل السنة توجب أن تارك الحج لا يكفر بمجرد تركه قولاً واحداً ، فيتعين حل الآية على تارك الحج جاحداً لوجوبه ، وحينئذ يكون الكفر راجعاً إلى الاعتقاد لا إلى مجرد الترك . وأما المخشري فيستحل ذلك لأن تارك الحج بمجرد الترك يخرج من رتبة الإيمان ومن اسمه ومن حكمه ، لأنه عنده غير مؤمن ومخلد تخليد الكفار . وعلى قاعدة السنة يتعين المصير إلى ما ذكرناه ، هذا إن كان المراد بمن كفر من ترك الحج . ويحتمل أن يكون استئناف وعيد للكافر ، فيبق على ظاهره والله أعلم .

(٣) أخرجه الترمذي من رواية هلال بن عبد الله الباهلي : حدثنا أبو إسحاق عن الحارث عن علي رفعه « من ملك زاداً وراحلة تلبثه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » وقال : غريب وفي إسناده مقال . وهلال بن عبد الله مجهول . والحارث يضاف . وأخرجه البارز من هذا الوجه . وقال : لا نعلمه عن علي إلا من هذا ==

قد كفره<sup>(١)</sup> ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك بما يدل على المقت والسخط والخذلان، ومنها قوله (عن العالمين) وإن لم يقل عنه، وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان، لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لاحالة، ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذى وقع عبارة عنه. وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود، فإنهم قالوا: الحج إلى مكة غير واجب وروى أنه لما نزل قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت) جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم<sup>(٢)</sup> فخطبهم فقال، إن الله كتب عليكم الحج فحجوا، فأمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا: لا تؤمن به ولا نصلي إليه ولا نحجه، فنزل (ومن كفر) وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا، فإنه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة<sup>(٣)</sup> وروى حجوا قبل أن لا تحجوا، حجوا قبل أن يمنع البرجانبه<sup>(٤)</sup> وعن ابن مسعود: حجوا هذا البيت قبل أن تنبت

== الوجه وأخرجه ابن عدى والعقيلي في ترجمة هلال ونقلوا عن البخارى أنه منكر الحديث. وقال البيهقي في الشعب: تفرد به هلال. وله شاهد من حديث أبي أمامة، أخرجه الدرايمى بلفظ «من لم يمنعه عن الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فأتى ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً» أخرجه من رواية شريك عن ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن سابط عنه. ومن هذا الوجه أخرجه البيهقي في الشعب. وقد أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي الأحوص عن ليث عن عبد الرحمن مرسلًا، لم يذكر أبا أمامة. وأورده ابن الجوزى في الموضوعات من طريق ابن عدى. وابن عدى أورده في الكامل في ترجمة أبي الهيثم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة سرفوعاً ونحوه. ونقل عن الفلاس أنه كذب أبا الهيثم وهذا من غلط ابن الجوزى في تصرفه. لأن الطريق إلى أبي أمامة ليس فيه من اتهم بالكذب، فضلاً عن كذب.

(١) أخرجه الدارقطنى في الملل. من رواية أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أنس قال: رواه على بن الجعد عن أبي جعفر عن الربيع مرسلًا. وهو أشبه بالصواب. ورواه البزار من حديث أبي الترداء قال «أوصانى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن لا أشرك بالله شيئاً وإن حرقت، ولا أترك صلاة مكتوبة متعمداً. فن تركها متعمداً فقد كفر، ولا أغرب الخمر، فانها مفتاح كل شر» أخرجه من رواية راشد الخثاني عن شهر بن حوشب. وقال: راشد بصري ليس به بأس. وشهر مشهور. والحديث عند الترمذى والنسائى وأحمد وابن حبان والحاكم من حديث بريدة دون قوله «متعمداً» ولفظه «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة، فن تركها فقد كفر» قد تقدم في البقرة حديث جابر عند مسلم «بين العبد والكفر ترك الصلاة» وروى الترمذى من طريق عبد الله بن شبيب قال «كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة» وإسناده صحيح. الحاكم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه

(٢) أخرجه الطبري من طريق جوير عن الضحاك قال: «لما نزلت - فذكره - وهو معضل. وجوير متروك الحديث ساقط

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة أخبرنا يزيد بن هارون عن حميد عن بكر بن عبد الله المزنى عن عبد الله بن عمر قال «تمتعوا من هذا البيت، فانه - فذكره موقوفاً - وقد روى سرفوعاً: أخرجه ابن حبان والحاكم والبزار والطبراني من طريق سفيان بن حبيب عن حميد بهذا.

(٤) لم أره هكذا. والذى فى الدارقطنى فى آخر كتاب الحج من السنن من رواية عبد الله بن عيسى الجندى عن محمد بن أبى محمد عن أبيه عن أبي هريرة - رفعه «حجوا قبل أن لا تحجوا» قالوا: وما شأن الحج يا رسول الله، قال: يفعله أعرابها على أذنابها وأوديتها، فلا يصل إلى الحج أحد. وعبد الله ومحمد مجهولان. قاله العقيلي.



في البادية شجرة لاتأكل منها دابة إلا نفقت <sup>(١)</sup> . وعن عمر رضي الله عنه : لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نواظروا <sup>(٢)</sup> . وقرئ حج البيت بالكسر .

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ يَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾  
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ تَبَغُّونَهَا عِوَجًا  
وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

(والله شهيد) الواو للحال . والمعنى : لم تكفروا بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم والحال أن الله شهيد على أعمالكم فجازيكم عليها ، وهذه الحال توجب أن لا تجسروا على الكفر بآياته . قرأ الحسن : تصدون ، من أصده (عن سبيل الله) عن دين حق علم أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الإسلام ، وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ، ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم . وقيل : أتت اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله (تبغونها عوجا) تطلبون لها إعوجاجا <sup>(٣)</sup> وميلا عن القصد والاستقامة . فإن قلت : كيف تبغونها عوجا <sup>(٤)</sup> وهو محال ؟ قلت فيه معنيان : أحدهما أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أن فيها عوجا بقولكم : إن شريعة موسى لا تنسخ ، وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك . والثاني : أنكم تبغون أنفسكم في إخفاء الحق وإبتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم (وأنتم شهداء) أنها سبيل الله لا يصد عنها إلا ضال مضل ، أو أنتم شهداء بين أهل دينكم ، عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في عظائم أمورهم ، وهم الأحبار (وما الله بغافل) وعيد ، ومحل تبغونها نصب على الحال .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ  
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾

(١) لم أجده

(٢) لم أجده . وفي مصنف عبد الرزاق من رواية سالم بن أبي حفصة عن ابن عباس قال « لو ترك الناس زيارة هذا البيت عاما واحدا ما مطروا » وهو منقطع .

(٣) قال محمود : « أي تطلبون لها اعوجاجا ... الخ » قال أحمد : وفي تقديره الجار مع ضمير المفعول حيث قال : تطلبون لها اعوجاجا ، تنقص من المعنى ، وأنتم من إعرابه معنى أن تجعل الماء هي المفعول به وعوجا حال وقع فيها المصدر الذي هو عوجا موقع الاسم . وفي هذا الاعراب من المبالغة أنهم يطلبون أن تكون الطريقة المستقيمة نفس العوج على طريقة المبالغة في مثل رجل صوم ، ويكون ذلك أبلغ في ذمهم وتوبيخهم ، والله أعلم .

(٤) قوله « فان قلت كيف تبغونها عوجا » لعله : كيف قال تبغونها . أو لعله : كيف يبغونها . (ع)

قيل مرَّ شاس بن قيس اليهودي<sup>(١)</sup> - وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم - على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون ، فغاضه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال : ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ، فأمر شابا من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعث<sup>(٢)</sup> وينشدهم بعض ما قيل فيه من الأشعار ، وكان يوما اقتتل فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه الأوس . ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا : السلاح السلاح ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال : أتدعون الجاهلية<sup>(٣)</sup> وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم . فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يوم أقبح أولا وأحسن آخرأ من ذلك اليوم .

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ

يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

(وكيف تكفرون) معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجب ، والمعنى : من أين يتطرق إليكم الكفر والحال أن آيات الله وهى القرآن المعجز (تلى عليكم) على لسان الرسول غضة طرية<sup>(٤)</sup> وبين أظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهمك ويعظكم ويرجح شهبكم (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه . ويجوز أن يكون حثا لهم على الالتجاء إليه في دفع ضرور الكفار ومكايدهم (فقد هدى) فقد حصل له الهدى لاحتالة كما تقول : إذا جئت فلانا فقد أفلحت ، كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا . ومعنى التوقع في وقد ، ظاهر لأن المعتصم

(١) أخرجه الطبري عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه بلفظه وأخرجه ابن إسحاق في المغازي ، من طريق الطبري أيضا قال : حدثنا الثقة عن زيد بن أسلم مطولا . وذكره ابن هشام فلم يذكر إسناده إسحاق . وزاد في آخره : وكان يومئذ على الأوس حضير بن سمالك والدأسيد ، وكان على الخزرج عمرو بن النعمان البياض . فقتلا جميعا . وأنزل الله في شاس (يا أيها الذين آمنوا إن تقطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب - الآية) وذكره الثعلبي والواحدي في أسبابه عن زيد بن أسلم بغير إسناده .

(٢) قوله : يوم بعث ، بعث بالضم يوم وقعة للأوس والخزرج . (ع)

(٣) قوله : فقال أتدعون الجاهلية ، في النهاب على البياض أنه يحرف والرواية أبدعوى الجاهلية أى أتأخذون بها (ع)

(٤) قوله : على لسان الرسول غضة طرية ، في الصحاح : شئ غض ، أى طرى ، وكل ناضر غض ، نحو

الشباب وغيره . وفيه شئ طرى ، أى غض بين الطراوة . (ع)

بأنه متوقع للهدى ، كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾  
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ  
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ  
مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

(حق تقاته) واجب تقواه وما يحق منها ، وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ، ونحوه  
(فاتقوا الله ما استطعتم) يريد : بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً . وعن عبد الله :  
هو أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى <sup>(١)</sup> ، وروى مرفوعاً . وقيل :  
هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه . وقيل : لا يتق  
الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه ، والتقاة من اتقى كالطودة من أتاد (ولا تموتن) معناه :  
ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت ، كما تقول لمن تستعين به على لقاء  
العدو : لا تأتني إلا وأنت على حصان ، فلا تنهاه عن الإتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال  
التي شرطت عليه في وقت الإتيان . قولهم اعتصمت بحبله : يجوز أن يكون تمثيلاً لاستظهاره به  
ووثوقه بحمايته ، بامتناسك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه ، وأن يكون الحبل  
استعارة لعهد الاعتصام لوثوقه بالعهد ، أو ترشيحاً لاستعارة الحبل بما يناسبه . والمعنى :  
واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه . أو واجتمعوا على التمسك بعهد الله إلى  
عباده وهو الإيمان والطاعة ؛ أو بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم : القرآن حبل الله المتين  
لا تنقض عجماته ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، من قال به صدق ؛ ومن عمل به رشد ، ومن اعتصم  
به هدى إلى صراط مستقيم <sup>(٢)</sup> . (ولا تفرقوا) ولا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف

(١) قال المصنف وروى مرفوعاً انتهى . فأما الموقف فأخرجه الحاكم من طريق مسعر عن زيد عن مرة عنه ،  
وكذلك أخرجه عبد الرزاق ومن طريقه الطبري وابن أبي حاتم والطبراني ، وقال أبو نعيم في ترجمة مسعر من الحلية :  
حدثنا سليمان بن أحمد ، وهو الطبراني - فذكره . ثم قال : هكذا رواه الناس عن زيد موقوفاً . ورفعته النضر عن  
محمد بن طلحة عن زيد ثم ساقه مرفوعاً . وأخرجه ابن مردويه من طريق ابن وهب عن سفيان الثوري عن زيد  
مرفوعاً أيضاً . وله شاهد عن ابن عباس مرفوعاً . أخرجه البيهقي في الشعب من رواية ابن جرير عن عطاء عن ابن  
عباس . لكنه من نسخة عبد الغني بن سعيد التقي عن موسى بن عبد الرحمن الصنعاني . وهي ساقطة .

(٢) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن ، من حديث الحارث الأعور عن علي رضي الله عنه مطولاً . وفيه قصة  
وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات . وإسناده مجهول انتهى . وأخرجه ابن أبي شيبة وإصحاق =

بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى ، أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادى بعضكم بعضا ويحاربه . أو ولا تحذثوا ما يكون عنه التفرق ويذول معه الاجتماع والالفة التي أنتم عليها مما ياباه جامعكم والمؤلف بينكم ، وهو اتباع الحق والتسك بالإسلام . كانوا في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة ، فألف الله بين قلوبهم بالإسلام . وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا ﴿إخوانا﴾ متراحين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف ، وهو الأخوة في الله : وقيل : هم الأوس والخزرج ، كنا أخوين لأب وأم ، وقعت بينهم العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة إلى أن أحلفا الله ذلك بالإسلام وألف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار﴾ وكنتم مشفين <sup>(١)</sup> على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر ﴿فأنقذكم منها﴾ بالإسلام . والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا <sup>(٢)</sup> وإنما أنت لإضافته إلى الحفرة وهو منها كما قال :

\* كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاءِ مِنَ الدِّمِ \* <sup>(٣)</sup>

== والداي والبرار من طريق الحارث . قال البزار : لا نعلمه إلا من طريق علي . ولا نعلمه رواه عنه إلا الحارث انتهى . وله شاهد عن معاذ بن جبل . أخرجه الطبراني من رواية عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة عن ابن إدريس بلفظ « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن فشدها . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله - فذكر الحديث بطوله . ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود مرفوعا أيضا » إن هذا القرآن حبل الله والثور المبين ، والشافع ، عصمة لمن تمسك به ... الحديث » أخرجه من طريق صالح بن عمر عن إبراهيم البحري عن أبي الأحوص عنه . وإبراهيم ضعيف .

(١) قوله وكنتم مشفين ، أي مشرفين . أفاده الصحاح . (ع)

(٢) قال محمود : « الضمير للشفا وهو مذكر وإنما أته للاضافة ... الخ » قال أحمد : ويجوز عود الضمير إلى الحفرة فلا يحتاج إلى تأويله المذكور ، كما تقول : أكرمت غلام هند ، وأحسنف إليها . والمعنى على عوده إلى الحفرة أتم ، لأنها التي يمتن بالانقاذ منها حقيقة . وأما الامتنان بالانقاذ من الشفا فلا يستلزمه الكون على الشفا غالبا ، من الهوى إلى الحفرة ، فيكون الانقاذ من الشفا إنقاذاً من الحفرة التي يتوقع الهوى فيها ، فإضافة المنة إلى الانقاذ من الحفرة تكون أبلغ وأوقع ، مع أن اكتساب التأنيث من المضاف إليه قد عده أبو علي في التعاليق من ضرورة الشعر . خلاف رأيه في الإيضاح . نقله ابن بسعون . وماحل الزعشمى على إعادة الضمير إلى الشفا إلا أنه هو الذي كانوا عليه ، ولم يكونوا في الحفرة حتى يمتن عليهم بالانقاذ منها ، وقد بينا في أدراج هذا الكلام ما يسوغ الامتنان عليهم بالانقاذ من الحفرة ، لأنهم كانوا حائرين إليها غالبا لولا الانقاذ الرباني . ألا ترى إلى قوله عليه السلام « المرتع حول الحى يوشك أن يقع فيه ، وإلى قوله تعالى (أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم) وانظر كيف جعل تعالى كون البنيان على الشفا سببا مؤديا إلى انهياره في نار جهنم ، مع تأكيد ذلك بقوله (هار) والله أعلم .

(٣) فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بلم

ليستدرجك القول حتى تهز وتعلم أنى عندكم غير مفهم

وتشرق بالقول الذى قد أذعته كما شرقت صدر القنأة من الدم

للأعشى ميمون بن قيس وفيه وجبان : الأول أنه يصف رجلا بأشياء السر ، وأنه لو تخيل لكنتم لم يقدر ، أي ==

وشفا الحفرة وشفتها : حرفها ، بالتذكير والتأنيث ، ولأنها واو ، لإلانتها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ، ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبية . فإني قلت : كيف جعلوا على حرف حفرة من النار ؟ قلت : لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار ، فثلث حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقيود على حرفها مشفين على الوقوع فيها ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك البيان البليغ ﴿ بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ إرادة أن تزدادوا هدى .

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ من التبويض <sup>(١)</sup> ، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ، ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر ، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشر ، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر ، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فباه عن غير منكر ، وقد يغفل في موضع اللين ، ويلين في موضع الغلظة ، وينكر على من لا يزيده إنكاره لإلتماديا ، أو على من الإنكار عليه عبث ،

== لو بالنت في السكتان حتى كأنك كنت في برصق . فالعدد كناية عن ذلك ، ثم رقيت من قعره وبلغت أسباب السماء ، أي أبوابها . وقوله «سلم» مبالغة في التشبيه ، كأنه صعد حقيقة على سلم «ليستدرجك» بالنون المخففة ، أي ليستنزلك والقول من السماء درجة درجة إلى قعر البئر كما كنت ويفسد تحيك ، فتهر أي تقوله . ودرج الصبي : إذا قارب بين خطاه . ودرج القوم : مات بعضهم إثر بعض . وهر الكلب هريراً إذا صوت . وفيه إشعار بتشبيهه بالكلب النابح . وتعلم ، أي وأجيب أنا عن قولك فتعلم أني غير عاجز عن الجواب فيما بينكم . وروى «عنكم» بدل «عندكم» وهي هي . ورجع إلى بيان استدراج القول له فقال : وتشرق بالقول الذي قد أذعته ونشرته عني . وشرق : إذا غص بريقه أو نحوه . وذاع الخبر ذيعا وذيوعا : انتشر . وأذاعه : نشره . أي لم تقدر على ابتلاعه وكتانته كما لم يبلغ صدر القناة أي الروح الدم الذي يكون عليه من القتل . وشبه القول الذي لم يقدر على كتمانته بالشيء الذي لم يقدر على ابتلاعه ، فاستمرار الشرق للعجز عن السكتان على طريق التصريحية . وشبه الشرق الأول بالناسي ليفيد ضمنا أن قوله كالدلم للبالغة في عدم إمكان السكتان . الوجه الثاني أن معناه لو كنت متباعداً عني كأنك في قعر البئر وقيت منه إلى السماء . فيترك القول إلى شيئاً فشيئاً حتى تهره ، أي تتركه وتبفضه ، وتعلم أني عندكم غير عاجز عن الكلام الذي يقربك إلى ، وتشرق بالقول الذي قد أذعته أنا عنك ؛ فإثارة على هذا للتكلم ، أي لم تقدر على استماعه ودخوله أذنك كما لم تقدر صدر القناة على ابتلاع الدم . وصدر القناة مذكر . ولكن اكتسب التأنيث من المضاف إليه ، فلذلك أنت فملة وقال شرقت ، وقيل القناة هنا مجرى الماء ، وأين هي من الدم .

(١) قال محمود ومن للتبويض ... الخ ، قال أحد : وفي هذا التبويض وتذكير أمة تنبيه على قلة العاملين بذلك ، وأنه لا يخاطب به إلا الخواص . ومن هذا الأسلوب قوله تعالى (اتقوا الله وتلظظ نفس ما قدمت لند) فأما وجه الخطاب على نفس منكرا تنبيه على قلة الناظر في معاده ، وكذلك قوله (وتعيا أذن واعية) حتى ورد في التفسير أن المراد أذن واحدة مخصوصة وهي أذن علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

كالإنكار على أصحاب المآصر<sup>(١)</sup> والجلادين وأضرابهم . وقيل . من ، للتبيين ، بمعنى : وكونوا أمة تأمرون ، كقوله تعالى ( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون ) . ( وأولئك هم المفلحون ) هم الإخصاء بالفلاح دون غيرهم . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل وهو على المنبر : من خير الناس ؟ قال : أمرهم بالمعروف وأنهم عن المنكر . وأتقاهم لله وأوصلهم<sup>(٢)</sup> . وعنه عليه السلام : ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه ، وخليفة رسوله ، وخليفة كتابه<sup>(٣)</sup> . وعن علي رضي الله عنه : أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ومن شئى الفاسقين وغضب الله ، غضب الله له<sup>(٤)</sup> . وعن حذيفة : يأتي على الناس زمان تكون فيه جيفة الحمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . وعن سفيان الثوري . إذا كان الرجل محباً في جيرانه محموداً عند إخوانه فاعلم أنه مداهن . والأمر بالمعروف تابع للأمر به ، إن كان واجباً فواجب ، وإن كان ندباً فندب . وأما النهي عن المنكر فواجب كله ، لأن جميع المنكر تركه واجب لا تصافه بالقيح . فإن قلت : ما طريق الوجوب ؟ قلت : قد اختلف فيه الشيخان ، فعند أبي علي : السمع والعقل ، وعند أبي هاشم : السمع وحده . فإن قلت : ما شرائط النهي ؟ قلت : أن يعلم الناهي أن ما ينكره قبيح ، لأنه إذا لم يعلم لم يأمن أن ينكر الحسن ، وأن لا يكون ما ينهى عنه واقعاً ، لأن الواقع لا يحسن النهي عنه ، وإنما يحسن الذم عليه والنهي عن أمثاله ، وأن لا يغلب على ظنه أن المنهى يزيد في منكراته ، وأن لا يغلب على ظنه أن نهيه لا يؤثر لأنه عبث . فإن قلت : فما شروط الوجوب ؟ قلت : أن يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو أن يرى الشارب

(١) قوله والمآصر ، جمع مآصر ، وهو المحبس أى السجن ، أفاده الصحاح . (ع)

(٢) أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبري والبيهقي في الشعب من رواية شريك عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن زوج درة بنت أبي لهب قالت : كنت عند عائشة ، فجئني برجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم كان ناداه وهو على المنبر فقال : يا رسول الله ، أى الناس خير ؟ فذكره .

(٣) أخرجه ابن عدى في الكامل في ترجمة كادح بن رحمة من روايته عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن مسلم بن جابر عن عبادة بن الصامت . وكادح ساقط . وله شاهد مرسل أخرجه علي بن مبيد في كتاب الطاعة عن بقية عن حسان بن سليمان عن أبي نصر عن الحسن البصري . ومن هذا الوجه أخرجه النعيلي .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة علي مطولا ، من رواية خلاص بن عمرو قال : كنا جلوساً عند علي ابن أبي طالب رضي الله عنه إذ أتاه رجل من خزاعة فقال : يا أمير المؤمنين هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعت الاسلام ؟ قال : سمعته يقول : بنى الاسلام على أربعة أركان : الصبر واليقين والجهاد والعدل . فذكره . إلى أن قال : والجهاد أربع شعب : الأمر بالمعروف : والنهي عن المنكر . والصدق في موطن الصبر . وشنآن الفاسقين . فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن . ومن نهى عن المنكر أغرم الكفار . ومن صدق في موطن الصبر أحرز دينه . وقضى ما عليه . ومن شئى الفاسقين فقد غضب الله . ومن غضب الله غضب الله له . وهو من طريق إسحق ابن بشر عن مقاتل . وهما ساقطان . قال : ورواية العلاء بن عبد الرحمن عن قبيصة بن جابر عن علي رضي الله عنه .

قد تهباً لشرب الخمر بإعداد آلاته ، وأن لا يغلب على ظنه أنه إن أنكر لحقته مضرة عظيمة . فإن قلت : كيف يباشر الإنكار ؟ قلت : يتدبى بالسهل ، فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب ، لأن الغرض كف المنكر . قال الله تعالى : فأصلحوا بينهما ، ثم قال : فقاتلوا ، فإن قلت : فمن يباشره ؟ قلت : كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه ، وقد أجمعوا أن من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الإنكار ، لأنه معلوم قبحه لكل أحد . وأما الإنكار الذى بالقتال ، فالإمام وخلفاؤه أولى لأنهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها . فإن قلت : فمن يؤمر ويُنهى ؟ قلت : كل مكلف ، وغير المكلف إذا هم بضرب غيره مُنع ، كالصبيان والمجانين ، وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها ، كما يؤخذون بالصلاة ليرتادوا عليها . فإن قلت : هل يجب على مرتكب المنكر أن ينهى عما يرتكبه قلت : نعم يجب عليه ، لأن ترك ارتكابه وإنكاره واجبان عليه ؛ فبتركه أحد الواجبين لا يستقط عنه الواجب الآخر . وعن السلف : مروا بالخير وإن لم تفعلوا . وعن الحسن أنه سمع مطرف بن عبد الله يقول : لا أقول ما لا أفعل ، فقال : وأبنا يفعل ما يقول ؟ وذو الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر . فإن قلت : كيف قيل ( يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ) ؟ قلت : الدعاء إلى الخير <sup>(١)</sup> عام في التكليف من الأفعال والتروك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص ، فجاء بالعام ثم عطف عليه الخاص إيدانا بفضل ، كقوله ( والصلاة الوسطى ) .

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾

(١) (عاد كلامه) قال : « وقوله يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر صدر السلام بالدعاء ... الخ » قال أحمد : عطف الخاص على العام يؤذن بمزيد اعتناء بالخاص لا بحالة إذا اقتصر على بعض المتناولات العام ، كقوله ( من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ) وكقوله ( فيها فاكهة ونخل ورمان ) وكقوله ( حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ) وشبه ذلك ، لأن الانتصار على تخصيص ما يفرد بالذكر يفيد تمييزاً عن غيره من بقية المتناولات . وأما هذه الآية ، فقد ذكر بعد العام فيها جميع ما يتناولها ، إذ الخير المدعو إليه إما فعل مأمور أو ترك منهي ، لا يعدو واحداً من هذين ، حتى يكون تخصيصها بجزءها عن بقية المتناولات ، فالأولى في ذلك أن يقال : فائدة هذا التخصيص ذكر الدعاء إلى الخير عاماً ، ثم مفصلاً . وفي تنبيه أن الذكر على وجهين ما لا يخفى من النائية والله أعلم ، إلا أن يثبت عرف يخص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ببعض أنواع الخير ، فاذك يتم مراد المفسري ، وما أرى هذا العرف ثابتاً ، والله أعلم .

وَأَمَّا الَّذِينَ آتَيْنَا عَنْ يَّتِيهِمْ قَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ فَمِنْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾

(كالذين تفرقوا واختلفوا) وهم اليهود والنصارى (من بعد ما جاءهم اليئس) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق. وقيل: هم مبتدعو هذه الأمة، وهم المشبهة والمجبرة والحشوية<sup>(١)</sup> وأشباههم (يوم تبيض وجوه) نصب بالظرف وهو لهم، أو بإضمار اذكر، وقري: تبيض وتسود، بكسر حرف المضارعة. وتبيض وتسود، والبياض من النور، والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، وابتضت صحيفته وأشرق، وسعى النور بين يديه ويسميه. ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكده، واسودت صحيفته وأظلمت، وأحاطت به الظلمة من كل جانب. نعوذ بالله وبسعة رحمة من ظلمات الباطل وأهله (أكفرتم) فيقال لهم: أكفرتم، والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم. والظاهر أنهم أهل الكتاب. وكفرهم بعد الإيمان تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه. وعن عطاء: تبيض وجوه المهاجرين والأنصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير. وقيل هم المرتدون. وقيل أهل البدع والأهواء، وعن أبي أمامة: هم الخوارج، ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء. وخير قتلى تحت أديم السماء: الذين قتلهم هؤلاء، فقال له أبو غالب: أشتى تقوله برأيك، أم شتى سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة. قال: فما شأنك دمعت عيناك، قال: رحمة لهم، كانوا من أهل الإسلام فكفروا. ثم قرأ هذه الآية، ثم أخذ بيده فقال: إن بأرضك منهم كثيراً. فأعاذك الله منهم<sup>(٢)</sup>. وقيل هم جميع الكفار لإعراضهم عما أوجبه الإقرار حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ففى رحمة الله) فى نعمته وهى الثواب المخلد، فإن قلت: كيف موقع قوله (هم فيها خالدون) بعد قوله (فى رحمة الله)؟ قلت: موقع الاستئناف، كأنه قيل: كيف يكونون فيها؟ فقيل: هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون.

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

(١) قوله «هم الحشوية والمجبرة والحشوية»، إن أراد بهم أهل السنة ومن وافقهم كماداته، فقد أفرط فى التعصب للبعثرة. (ع)

(٢) أخرجه التلمذ فى تفسيره من طريق معكرمة بن عمار عن شداد عن أبي أمامة هكذا. ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم. وقد أخرجه الترمذى وابن ماجه، وعبد الرزاق وأحمد وإسحق وأبو يعلى والطبرانى كلهم من طريق أبي غالب. وانه. وله إسناد آخر أخرجه الطبرانى من رواية شهر بن حوشب عن أبي أمامة.



وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

﴿تلك آيات الله﴾ الواردة في الوعد والوعيد ﴿تتلوها عليكم﴾ ملتبسة ﴿بالحق﴾ والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه ﴿وما الله يريد ظلماً﴾ فيأخذ أحداً بغير جرم ، أو يزيد في عقاب مجرم ، أو ثواب محسن . ونكر ظلماً وقال ﴿للعالمين﴾ على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه ، فسيحان من يحلم عن يصفه بإرادة القبائح <sup>(١)</sup> والرضا بها .

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ  
الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصَرُونَ ﴿١١١﴾

«كان ، عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإيهام ، وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ، ومنه قوله تعالى (وكان الله غفوراً رحيماً) ومنه قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة﴾ كأنه قيل : وجدتم خير أمة ، وقيل : كنتم في علم الله خير أمة . وقيل : كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة ، موصوفين به ﴿أخرجت﴾ أظهرت ، وقوله ﴿تأمرون﴾ كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة ، كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسومهم ويقوم بما يصلحهم ﴿وتؤمنون بالله﴾ جعل الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إيماناً بالله ، لأن من آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه ، فكانه غير مؤمن بالله (ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقاً) والدليل عليه قوله تعالى ﴿ولو آمن أهل الكتاب﴾ مع إيمانهم بالله ﴿لكان خيراً لهم﴾ لكان الإيمان خيراً لهم مما هم عليه ، لأنهم إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حباً للرياسة واستتباع العوام ، ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله ، مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إتياء الأجر مرتين ﴿منهم المؤمنون﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ المتمردون في الكفر ﴿لن

(١) قوله « فسيحان من يحلم عن يصفه بإرادة القبائح » يريد أهل السنة القائلين : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، كما أجمع عليه السلف . (ع)

يضرركم إلا أذى) إلا ضرراً مقتصراً على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك ﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار﴾ منهزمين ولا يضرركم بقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمتنعون منكم. وفيه تهيئة لمن أسلم منهم، لأنهم كانوا يؤذنونهم بالتلويح بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بأنهم لا يقدر أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يبال به، مع أنه وعدم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل. فإن قلت: هلا جزم المعطوف في قوله (ثم لا ينصرون)؟<sup>(١)</sup> قلت عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداءً، كأنه قيل: ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت: فأى فرق بين رفعه وجزمه في المعنى؟ قلت: لو جزم لكان نفي النصر مقيداً بمقاتلتهم، كتولية الأدبار. وحين رفع كان نفي النصر وعداً مطلقاً، كأنه قال: ثم شأنهم وقصصهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما أخبر من حال نبي قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر. فإن قلت: فما الذى عطف عليه هذا الخبر؟ قلت: جملة الشرط والجزاء كأنه قيل: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت: فما معنى التراخي في ثم؟ قلت: التراخي في المرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتولييتهم الأدبار. فإن قلت: ما موقع الجملتين أعني (منهم المؤمنون) و(إن يضرركم)؟ قلت: هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب، كما يقول القائل: وعلى ذكر فلان فإن من شأنه كيت وكيت، ولذلك جاء من غير عاطف.

صُِرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ أَنْ مَاتَقُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَصُِرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ يَمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

(بجبل من الله) في محل النصب على الحال، بتقدير: إلا معتصمين أو متمسكين أو ملتبسين بجبل من الله وهو استثناء من أعم عام الأحوال. والمعنى: ضربت عليهم الدلة في عامة الأحوال إلا في

(١) قال محمود: «إن قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون... الخ؟ قال أحد: وهذا من الترقى في الوعد عما هو أدنى إلى ما هو أعلى، لأنهم وعدوا بتولية دبرهم الأدبار عند المقاتلة، ثم ترقى الوعد إلى ما هو أتم في النجاح من أن هؤلاء لا ينصرون مطلقاً. ويريد هذا الترقى بدخول ثم دون الواو، فإنها تستعار هنا للتراخي في الرتبة لا في الوجود، كأنه قال: ثم ههنا ما هو أعلى في الامتنان وأسمح في رتب الاحسان، وهو أن هؤلاء قوم لا ينصرون البتة، والله أعلم.

حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس ، يعنى ذمة الله وذمة المسلمين ، أى لا عز لهم قط إلا هذه الواحدة وهى التجاؤم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية ﴿وباؤا بغضب من الله﴾ استوجبه ﴿وضربت عليهم المسكنة﴾ كما يضرب البيت على أهله ، فهم ساكنون فى المسكنة غير طاعنين عنها ، وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والباء بغضب الله أى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء ، ثم قال ﴿ذلك بما عصوا﴾ أى ذلك كائن بسبب عصيانهم الله واعتدائهم لحدوده ليعلم أن الكفر وحده ليس بسبب فى استحقاق سخط الله ، وأن سخط الله يستحق بركوب المعاصى كما يستحق بالكفر . ونحوه ﴿مما خطيأتهم أغرقوا﴾ ، ﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ .

لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ لَمِنْ أَهْلِ  
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝١١٣ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِأَمْرَاتٍ بِالْمَعْرُوفِ  
وَبِنَهْيٍ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١١٤  
وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۝١١٥ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ  
فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١٦

الضمير فى ﴿ليسوا﴾ لأهل الكتاب ، أى ليس أهل الكتاب مستوين . وقوله ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ كلام مستأنف لبيان قوله ﴿ليسوا سواء﴾ كما وقع قوله ﴿تأمرون بالمعروف﴾ بياناً لقوله ﴿كنتم خير أمة﴾ ، أمة قائمة : مستقيمة عادلة ، من قولك : أقم العود فقام ، بمعنى استقام ، وهم الذين أسلموا منهم . وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى ساعات الليل مع السجود ، لأنه أئين لما يفعلون ، وأدل على حسن صورة أمرهم . وقيل غنى صلاة العشاء ، لأن أهل الكتاب لا يصلونها . وعن ابن مسعود رضى الله عنه : أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ، ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة ، فقال : أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله فى هذه الساعة غيركم<sup>(١)</sup> ، وقرأ هذه الآية . وقوله ﴿يتلون﴾ و﴿يؤمنون﴾ فى محل الرفع صفتان لأمة ، أى أمة قائمة تالون مؤمنون ، وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل .

(١) أخرجه النسائي وابن حبان وأحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبزار ، كلهم من رواية عاصم عن زرعة .

ساجدين ، ومن الإيمان بالله ، لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيراً ، وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض . ومن الإيمان باليوم الآخر ، لأنهم يصفونه بخلاف صفته . ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنهم كانوا مدهنتين . ومن المسارعة في الخيرات ، لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها . والمسارعة في الخير : فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي ﴿ وأولئك ﴾ الموصوفون بما وصفوا به ﴿ من ﴾ جملة ﴿ الصالحين ﴾ الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثنائه عليهم . ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين ﴿ فلن تكفروه ﴾ لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله ﴿ والله شكور حلیم ﴾ في معنى توفيه الثواب نفي عنه تقيض ذلك . فإن قلت : لم عدى إلى مفعولين . وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد ، تقول شكر النعمة وكفرتها ؟ قلت : ضمن معنى الحرمان ، فكأنه قيل : فلن تحرموه ؛ بمعنى فلن تحرموا جزاءه . وقرئ يفعلوا ، ويكفروه ، بالياء والتاء ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ بشارة للمتقين بحزب الثواب ، ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى .

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾  
الصِّرُّ : الريح الباردة <sup>(١)</sup> نحو : الصرصر . قال :

لَا تَعْدِلُنْ أَتَاوِيْنَ تَضِرُّهُمْ نَكْبَاءٌ صِرٌّ بِأَحْبَابِ الْمُحَلَّاتِ <sup>(٢)</sup>

(١) قال محمود : والصِرُّ الريح الباردة ... الخ. قال أحمد : كلها أوجه وجبة ، وهذا الأخير أحسنها وأوجهها ، لكن لم يبين الوجهين وجه الظرفية في الأمثلة المذكورة ، ونحن نبينها فنقول : إذا قلت مثلاً : إن ضيعني زيد فني عمرو بعد الله كاف ، فقولك كاف ، أثبت به شكراً مجرداً من القيود المشخصة المخصصة ، ثم جعلت المعين الذي هو عمرو محلاً ، فنخصت ذلك المطلق المجرد بهذا المعين ، فهي ظرفية صحيحة ، إذ كل مقيد ظرف لمطلقه ، إذ المطلق بعض المقيد ، فتنبه لهذه الثبوتية فأنها لطيفة ، والله الموفق .

(٢) الأناروى : الغريب البعيد ، كأنه منسوب إلى الأتاة وهي الرشوة والخفالة ، لأنه قد يذلل على إقامة في غير وطنه . والنكباء : الريح الشديدة . والصِرُّ الحارة ، وقيل الباردة . وقال الزجاج : صوت النار في الريح . وقيل : صوت الريح . وقيل : الجو . وقيل : البرد . وعلى هذا لو روى بالجر على الإضافة لكان وجهاً . والمحلات قيل هي أدراج البيت كالفأس والفدر والزبال والدلو . ويجوز أنها البيوت وهو الظل من البيت . يقول : لا تموي بين الغريب وبين أصحاب البيوت . وروى : لا يعدلن أتاويون ، بالبناء للدخول ، وما بعده نائب فاعل . ورواه الجوهري بالبناء للفاعل ، وقال : أى لا يعدلن أتاويون أحداً بأحباب المحلات ، لخفف المفعول وهو مدان ، وفسر المحلات لخفف الموصول وهو مدان ، وفسر المحلات فيه بالأدوات كافة ، لأن الأناروى يستعيرها من أصحابها . وعلى كل فالنون للتوكيد .

كما قالت ليلي الأخيلية :

وَلَمْ يَغْلِبِ الْخَضَمَ الْأَلَدَّ وَيَمْلَأُ السِّجْفَانَ سَدِيفًا يَوْمَ نَكْبَاءَ صَرَصِرٍ <sup>(١)</sup>

فإن قلت : فما معنى قوله ﴿ كمثل ريح فيها صر ﴾ ؟ قلت : فيه أوجه : أحدهما أن الصرَّ في صفة الريح بمعنى الباردة ، فوصف بها القزّة بمعنى فيها قرة صر ، كما تقول : برد بارد على المبالغة . والثاني : أن يكون الصر مصدراً في الأصل بمعنى البرد فجاء به على أصله . والثالث : أن يكون من قوله تعالى ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ) ومن قولك : إن ضيعني فلان في الله كاف وكافل . قال :

\* وَفِي الرَّحْمَنِ لِلضُّعَفَاءِ كَافٍ \* <sup>(٢)</sup>

(١) كأن في الفتیان توبة لم ینخج بنجد ولم یطلع من المتفور

ولم یغلب الخضم الالذ ویملأ السجفان سديفا یوم نكباء صرصر

لليلي الأخيلية ترى صاحبها توبة بن الحمر وتذكر أحواله وتعد مناقبه . وفي الفتیان : أى هو الفتى من بينهم وليسوا فتیاناً بالنسبة له وإن كانوا فتیاناً في أنفسهم ، وتوبة بدل . ولم ینخج من أناخ بعيره ، خبر كان ، أى كأنه لم ینخج بعيره بمحل مرتفع . ويروى : لم یسر بنجد ، ولم یطلع من أطلع بمعنى طلع ، أو لم یطلع بعيره من المتفور على اسم المفعول ، أى المكان المنخفض فافيه ، وكأنه لم یغلب الخضم الشديد الخسومة . ويروى الخضم الصحاح بفتح الصاد ، بمعنى الصحيح ، وكأنه لم یملأ السجفان سديفاً ، أى قطعاً بيضاء من السنام في زمن الريح العديدة الباردة ، أو كثيرة الصبر وهو التصويت تعنى أنه كان يفعل ذلك كله ، ثم كأنه اليوم لم يفعل لموته .

(٢) لقد زاد الحياة إلى حبا بناني إثنين من الضعاف

أحاذر أن يرين البؤس بعدى وأن يشرب رنقا بعد صاف

وأن يعرين إن كسى الجوارى فتنبو الدين عن كرم عجاف

ولولاهن قد سويت مهري وفي الرحمن للضعفاء كافي

لأبي عائد الخارجي . وقيل : ل محمد بن عبد الله الأزدي . وقيل : لعمران بن حطان . وقيل غير ذلك ؛ لانه قطري ابن الفجاءة عن التخلف عن الحرب فاهتذر بذلك . وبنو فاعل زاد . وأحاذر أى أخاف أن يدركن الفقر بعد موتى ، وكفى عن ذلك برؤيتن له مبالغة ، لأنه إذا خاف الرؤية خاف اللحوق . ويروى غفافة أن يذقن البؤس ، أى الشدة ، فشبهه بمطعم على سبيل المسكنة والذوق تخييل . ورنق الماء كدر ، وترنق تكدر ، ورنقه وأرنقه كدره ، والرنق بالتحريك مصدر كالأكدر فمكن وأريد منه الماء الكدر . وروى دزيفا ، أى مغشوشا مكدرًا ، فالمراد واحد ، فشبه العيش المنقص به ، وشبه العيش التام بالماء الصافي على طريق التصريح والشرب ترشيح ، وكسى بوزن فرح لازم ضد عرى . ويجوز هنا بناؤه للجهول ، من كسى انتعدى كدعا . وإن لاشتراط المجرد عن الشك أو بمعنى إذ . وتنبو ترتفع عنن ، كناية عن عدم التزوج بهن . والكرم بالكس ، وقيل - بالكسر - وصف من الكرم يقع على الواحد والمتعدد مذكراً ومؤنثاً . ويروى « عن رم ، أى باليات ، وهو أشبه بالسباق . والعجاف جمع عجفاء ، أى مهزولة ، أى لا يلتفت إليهن مع كونهن كريمات لهماهن وراثته حالهن . وسويت مهري : وضعت عليه آلات الحرب ومهدته وهياتها لها . ويروى « قد سموت مهري ، ولعله بتخفيف الميم بمعنى علوت عليه وركبته وقيل : بمعنى وضعت عليه سمات الحرب ، فدلله مقلوب . و« دسمت » وروى سموت بالشديد ، وهو الذى يصلح أنه بمعنى جعلت عليه علامات الحرب لاذك ، وجود من جانب الله عز وجل شخصاً كافياً ، ولا حجر في المبالغة لا سيما على العرب . وفيه نوع استرجاع إلى الله وتفويض إليه وتوكل عليه ، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين .

شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله ، بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاماً . وقيل : هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم . وقيل : ما أنفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم ، لأنهم لم يبلغوا بإتفاقه ما أنفقوه لأجله . وشبه بحرث ﴿ قوم ظللوا أنفسهم ﴾ فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم ، لأن الهلاك عن سخط أشد وأبلغ . فإن قلت : الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه <sup>(١)</sup> وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر ، والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلاً بالريح . قلت : هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله ( كمثل الذي استوقد ناراً ) ويجوز أن يراد : مثل إهلاك ما ينفقون مثل إهلاك ربح ، أو مثل ما ينفقون كمثل مكرب ربح وهو الحرث وقرئ : تنفقين ، بالتاء ﴿ وما ظلمهم الله ﴾ الضمير للنفقين على معنى : وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ، ولكنهم ظللوا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول ، أو لأصحاب الحرث الذين ظللوا أنفسهم ، أى : وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ، ولكن ظللوا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة . وقرئ ( ولكن ) بالتشديد ، بمعنى ولكن أنفسهم يظلونها هم . ولا يجوز أن يراد : ولكن أنفسهم يظللون ، على إسقاط ضمير الشأن ، لأنه إنما يجوز في الشعر .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا

(١) قال محمود د فان قلت : الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه ... الخ ، قال أحمد : أما إيراد السؤال فلا ترتضى صيغته لما فيها من حيف بالأدب ، إذ جزم السائل المقدر بأن كلام الله تعالى غير مطابق لمراده ، والاتفاق بالسؤال الوارد عن كتاب الله تعالى أن يذكر بصيغة الاسترشاد الصريحة ، لا بصيغة الاعتراض المحضة والعبارة الصحيحة أن يقال : فوجه مطابقة الكلام للغرض . ولا ينبغي التساهل في ذلك ، فإن أحداً لو أورد سؤالاً على كلام إمام معتبر برأى منه ومسمع ، تحيل في أنواع التلطيف في إيراده وبعد عن أمثال هذه العبارة . ولعل الاعتراض على ذلك الامام يكون وارداً لا يمكن عنه جواب ، فكيف يليق التساهل في إيراد الأسئلة على كتاب الله تعالى بصيغ الاعتراضات ، وإنما يستل عن كتاب الله تعالى برأى منه ومسمع على علم بأنه كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حيد . فما أجده أن يتوفر في الاسترشاد وأن يتأدب في الإيراد ؛ ثم تعود إلى جواب الزمخشري الثاني وهو قوله د إن المراد مثل إهلاك ما ينفقون ، فنقول : لم يكشف الغطاء بهذا الجواب عن المطابقة المسئول عنها ، والسؤال باق . وذلك أن الربح المشبه بها ليست الاهلاك وإنما هي المهلكة ، ولا مطابقة بين المصدر والاسم إلا بتأويل آخر ، وحينئذ يبعد هذا الوجه . وأقرب منه أن يقول : أصل الكلام والله أعلم : مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل حرث قوم ظللوا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر فأهلكته . ولكن خولف هذا النظم في المثل المذكور لغائده جليلة وهو تقديم ما هو أهم ؛ لأن الربح التي هي مثل العذاب ذكرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث ، فقد تمت غناية بذكرها واعتادا على أن الأفهام الصحيحة تستخرج المطابقة برد الكلام إلى أصله على أيسر وجه . ومثل هذا في تحويل النظم لمثل هذه العادة قوله تعالى ( فرجل وامرأتان ، من ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما ... الآية ) ومثله أيضاً : أعددت هذه الخسبة أن يميل الحائظ فأدعاه . والأصل : أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت ؛ وأن أدمع بها الحائظ إذا مال ، وأمثال ذلك كثيرة ، والله الموفق .

وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا يَعْلَمُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾

بطانة الرجل وولجيته : خصيصه وصفيه الذى يفضى إليه بشقوره<sup>(١)</sup> ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال : فلان شعارى . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : لا أنصار شعار والناس دثار<sup>(٢)</sup> ، (من دونكم) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون . ويجوز تعلقه بلا تتخذوا ، وبطانة على الوصف ، أى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يألونكم خبالا) يقال : ألا فى الأمر يألو ، إذا قصر فيه ، ثم استعمل معذى إلى مفعولين فى قولهم : لا ألوك نصحا ، ولا ألوك جهدا ، على التضمين . والمعنى : لا أمنعك نصحا ولا أنقصك . والخبال : الفساد (ودوا ما عنتم) ودوا اعتسكم ، على أن ماء مصدرية . والعنت : شدة الضرر والمشقة . وأصله انبهاض العظم بعد جبره ، أى تمنوا أن يضروكم فى دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه (قد بدت البغضاء من أفواههم) لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للسلين . وعن قتادة : قد بدت البغضاء لا وليائهم من المنافقين والكفار لإطلاع بعضهم بعضا على ذلك . وفى قراءة عبد الله قد بدأ البغضاء (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الإخلاص فى الدين وموالاته أولياء الله ومعاداة أعدائه (إن كنتم تعقلون) ما بين لكم فعملتم به . فإن قلت : كيف موقع هذه الجمل ؟ قلت يجوز أن يكون (لا يألونكم) صفة للبطانة وكذلك (قد بدت البغضاء) كأنه قيل : بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم . وأما (قد بينا) فكلام مبتدأ ، وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة (ها) للتنبية . و(أنتم) مبتدأ . و(أولاء) خبره . أى أنتم أولاء الخاطئون فى موالاته منافق أهل الكتاب . وقوله (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم فى موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء . وقيل (أولاء) موصول (تحبونهم) صلته . والواو فى (وتؤمنون) للحال ، وانتصابها من لا يحبونكم

(١) قوله « يشقوره » ، فى الصحاح الشقور بالضم الأمور الالصة بالقلب المهمة له الواحد شقر (ع)

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم المازنى فى أثناء حديث طويل ، أوله « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح حنيناً قدم المغانم » .

أى لا يحببوسكم والحال أنكم تؤمنون بكتابتهم كله ، وهم مع ذلك يبغضونكم . فإياكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم . وفيه توبيخ شديد بأنهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم . ونحوه (فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) ويوصف المغتاط والنادم بعض الأنامل والبنان والإبهام . قال الحرث بن ظالم المرى :

فَأَقْتُلْ أَقْوَامًا لِّسَامًا أَذِلَّةً      بَعْضُونَ مِنْ غَفِظَتِهِ وَمِنْ الْأَبَاهِمِ (١)

(قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغنيهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم فى ذلك من الذل والحزى والتبار (إن الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما فى صدور المنافقين من الحق والبغضاء ، وما يكون منهم فى حال خلوت بعضهم ببعض ، وهو كلام داخل فى جملة المقول أو خارج منها . فإن قلت : فكيف معناه على الوجهين ؟ قلت : إذا كان داخلا فى جملة المقول فعناه : أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا ، وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور ، فلا تظنوا أن شيئا من أسراركم يخفى عليه . وإذا كان خارجا فعناه : قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من إطلاعى إياك على ما يسرون فإنى أعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمره فى صدورهم ولم يظهره بألسنتهم . ويجوز أن لا يكون ثم قول ، وأن يكون قوله (قل موتوا بغيظكم) أمرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعده الله أن يهلكوا غيظا بإعزاز الإسلام وإذلالهم به ، كأنه قيل : حدث نفسك بذلك .

إِنْ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)

الحسنة : الرخاء والخصب والنفرة والغنيمة ونحوها من المنافع . والسيئة : ما كان ضد ذلك . وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة . فإن قلت : كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة ؟ قلت : المس

(١) للحرث بن ظالم المرى . وعض الأنامل من الغيظ : كناية عن شدته . وأطلق الأباهم وأراد مطلق الأصابع مجازاً مرسلًا ؛ لأنه لا داعى للتخصيص بخالف للواقع عادة . ويحتمل أنها حقيقة .

(٢) قال محمود : وإن قلت : كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة . . . الخ ، قال أحمد : يمكن أن يقال : المس أقل تمكنًا من الإصابة ، وكأنه أقل درجاتها ، فكان الكلام والله أعلم : إن تصيبكم الحسنة أدنى إصابة تسؤم ويحسدكم عليها ، وإن تمكنت الإصابة منكم وانتهى الأمر فيها إلى الحد الذى يرى القامت عنده منها فهم لا يربثون لكم ولا ينفكون عن حسدكم ولا فى هذه الحال ، بل يفرحون ويسرون ، والله أعلم .



مستعار لمعنى الإصابة فكان المعنى واحداً . ألا ترى إلى قوله : ( إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة ) ، ( ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ) ، ( إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً ) . ﴿ وإن تصبروا ﴾ على عداوتهم ﴿ وتتقوا ﴾ ما نهيتم عنه من موالاتهم . أو وإن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم . وقرئ ( لا يضركم ) من ضاره يضره . ويضركم على أن ضمة الراء لا تباع ضمة الضاد ، كقولك مذ يا هذا . وروى المفضل عن عاصم ( لا يضركم ) بفتح الراء ، وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى . وقد قال الحكماء : إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلاً في نفسك ﴿ إن الله بما تعملون ﴾ من الصبر والتقوى وغيرهما ﴿ محيط ﴾ ففاعل بكم ما أتم أهله . وقرئ بالياء بمعنى أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فعاقبهم عليه .

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾  
إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾

﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ غدوت من أهلك ﴾ بالمدينة وهو غدؤه إلى أحد من حجرة عائشة رضى الله عنها . روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يدعه قط قبلها ، فاستشاره ، فقال عبد الله وأكثر الأنصار : يا رسول الله ، أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فكيف وأنت فينا ، فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ودماءهم النساء والصبيان بالحجارة ، وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلاب لا يرون أننا قد جنبنا عنهم . فقال صلى الله عليه وسلم : إني قد رأيت في منامى بقرأ مذبحه حولي ، فأولتها خيراً ، ورأيت في ذباب سيني ثلماً فأولته هزيمة ، ورأيت كأنى أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوه . فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد : اخرج بنا إلى أعدائنا . فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته . فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا : بشما صنعنا ، نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه ، وقالوا : اصنع يا رسول ما رأيت ، فقال : لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل ، فخرج يوم الجمعة بعد صلاة

الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال فشئى على رجله فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح<sup>(١)</sup>. إن رأى صدراً خارجاً قال: تأخر، وكان نزوله في دعوة الوادى وجعل ظهره وعسكره إلى أحد؛ وأقر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم: «انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا»<sup>(٢)</sup> ﴿تَبَوَّأِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تنزههم. وقرأ عبد الله للمؤمنين، بمعنى تسوى لهم وتهيئ ﴿مقاعد للقتال﴾ مواطن ومواقف. وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا بجرى صار. واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان. ومنه قوله تعالى (في مقعد صدق)، (قبل أن تقوم من مقامك) من مجاسك وموضع حكمك ﴿والله سميع﴾ لأقوالكم عليم بنياتكم وضائركم ﴿إذ همّت﴾ بدل من (إذ غدوت) أو عمل فيه معنى (سميع عليم). والطائفتان حيان من الأنصار: بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وهما الجناحان. خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف، وقيل في تسعمائة وخمسين، والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا، فانخزل عبد الله بن أبي بلثك الناس وقال: يا قوم، علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فنبعهم عمرو بن حزم الأنصارى فقال: أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم، فقال عبدك: لو نعلم قتالا لا تبعناكم، فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup>. وعن ابن عباس رضى الله عنه: أضمرنا أن يرجعوا، فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا. والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس، وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع، ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه، كما قال عمرو بن الأظينة:

أَقُولُ لَهَا إِذَا جَشَّاتُ وَجَاشَتْ مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي<sup>(٤)</sup>

(١) قوله دكانما يقوم بهم القدح، في الصحاح: القدح - بالكسر - السهم قبل أن يركب نصله. (ع)  
(٢) أخرجه ابن إسحق في المغازي، قال: حدثني محمد بن شهاب وعاصم بن عمر ومحمد بن يحيى بن حبان والحصين ابن عبد الرحمن وغيرهم من علاننا، كلهم قد حدث عن غزوة أحد. وكان من حديثهم قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين يوم أحد «إني رأيت بقرأ وأولتها خيراً». ورأيت في ذهاب سبئي ثلماً - فذكر الحديث بطوله وفيه: ومات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له: مالك بن عمرو. وفيه: ذكرنا للأمة وغير ذلك. ومن طريق ابن إسحق أخرجه البيهقي في الدلائل وأورد منه الطبري من طريقه قطعة. وسأفه عبد الرزاق عن معمر عن ابن شهاب عن عروة مطولاً وأخرجه الطبري من رواية أسباط عن السدي بلفظ المصنف، إلى قوله «وأصبح بالشعب» وبقية ذلك هو من كلام ابن إسحق وقوله فيه حتى يقوم بها القدح، وقع في رواية الواقدي عن ابن أخي الزهري عن عروة عن المسور بن حزمة، وقد سأفه الواقدي بهذا الاستناد مطولاً.

(٣) هو في الذي قبله. وذكره ابن هشام في تهذيب السيرة بتمامه عن ابن إسحاق.

(٤) أبت لي عفتي وأنى تلادى وأخذى الحمد باليمن الريح  
ولإحمى على المكروه نفسى وضرب مائة البطل المشج  
وقول كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى

حتى قال معاوية : عليكم بحفظ الشعر ، فقد كدت أضعر جلي في الركاب يوم صفين ، فاثبت مني إلا قول عمرو بن الأبطانة . ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية ، والله تعالى يقول ﴿ والله وليهما ﴾ ويجوز أن يراد : والله ناصرهما ومتولى أمرهما . فالحما تقابلان ولا تتوكلان على الله فإن قلت ، فما معنى ما روى من قول بعضهم عند نزول الآية . والله ما يسرنا أن نألم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا ؟ قلت : معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية ، وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها - لأنها لم تكن عن عزيمة وتقسيم - كانت سببا لنزولهما . والفشل : الجبن والخور . وقرأ عبدالله : والله وليهم كقوله ( وإن طائفتان من المؤمنين اقتلوا ) .

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾  
إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُعِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ  
الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٤﴾ عَلَىٰ إِنْ قَصِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا  
يُعَذِّبُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ  
إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ  
الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا

خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾

أمرهم ألا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل

== لادفع عن مآثر صالحات وأحى بعد عن عرض صحيح  
لعمر بن الأبطانة وهي أمه ، وأبوه يزيد بن مائة بن ثعلبة من باهلة . والثلاث : المال القديم الموروث . ويرى  
بلائي أي بأسي في الحروب . واستعار الثمن لما يبذله في المكارم على طريق التصريح . والريح : الزائد . والاقحام :  
تكليف الدخول في المكروه . ويرى : وإقدام . ويرى : وأضرب ، بدل : ضرب ، وفيه دلالة على تعدد  
الضرب وإبرازه في صورة إلى أمر المشاهد وهو من عطف المصدر المؤول على المصدر الصريح . ويحمل أنها جملة  
حالية والتقدير : وأنا أضرب . والمهمة أعلى الرأس . والمضيح : الجاد في القتال ، من أشاح إذا جد واجتهد .  
وجفأت : تحركت واضطربت . وجاشت : غلت وارتفعت ، وكل شيء ينثلي فهو يجيش . ومكانك : اسم فعل .  
أي الذي يا نفس مكانك ، يحمذك الناس إن ظفرت ، أو تستريحى إن مت . ولادفع : يتعلق بالقول أو باسم  
الفعل أو بأبت لى ، أى منعتى عفى وما عطف عليها من القرار . وإسناد الفعل لذلك مجاز عطف من الإسناد للسبب .  
وشبه سلامة المرض من الطين بسلامة البيضة ، مثلا من الكسر فاستعار لها الصحة على طريق التصريح .

مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حالة قلة وذلة . والاذلة : جمع قلة والذلان جمع الكثرة ، وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا ، وذلتهم : ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب ، وذلك أنهم خرجوا على النواضع يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد . وقتلهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر ، وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة <sup>(١)</sup> . وبدر : اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرأ فسمى به ﴿ فأتقوا الله ﴾ في الثبات مع رسوله ﴿ لعلمكم تشكرون ﴾ بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته . أو لعلمكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها ، فوضع الشكر موضع الإناعام لأنه سبب له ﴿ إذ تقول ﴾ ظرف لنصركم ، على أن يقول لهم ذلك يوم بدر ، أو بدل ثان من ﴿ إذ غدوت ﴾ على أن يقوله لهم يوم أحد . فإن قلت . كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة ؟ قلت : قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى ، فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا ، حيث خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلذلك لم تنزل الملائكة ؛ ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت . وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويتقوا بنصر الله . ومعنى ﴿ أن يكفيكم ﴾ إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة . وإنما جاء بلن الذي هو لتأكيد النفي ، للإشعار بأنهم كانوا لقلهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكتهم كآلايسين من النصر . و ﴿ بلى ﴾ إيجاب لما بعد لن ، بمعنى : بل يكفيكم الإمداد بهم ، فأوجب الكفاية ثم قال ﴿ إن تصبروا وتتقوا ﴾ يمددكم بأكثر من ذلك العدد مستوفين للقتال ﴿ ويأتوكم ﴾ يعني المشركين ﴿ من فورهم هذا ﴾ من قولك : قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى ، وجاء فلان ورجع من فوره . ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله : الأمر على الفور لاعلى التراخي ، وهو مصدر من : فارت القدر ، إذا غلت ، فاستعير للسرعة ، ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها . ولا تعرج على شيء من صاحبها ؛ ف قيل : خرج من فوره ، كما تقول : خرج من ساعته ، لم يلبث . والمعنى : أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه ﴿ يمددكم ربكم ﴾ بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم ، يريد : أن الله يعجل نصرتم وييسر فتحكم إن صبرتم واتيتم . وقرئ ﴿ منزلين ﴾ بالتشديد . ومنزلين بكسر الزاي ، بمعنى : منزلين النصر . و ( مستوفين ) بفتح الواو وكسرها ، بمعنى : معلين . ومعلين أنفسهم أو خيلهم . قال الكلبي : معلين بعائم صفر مرخاة على أكتافهم . وعن الضحاك : معلين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنانها . وعن مجاهد : مجروزة أذنان خيلهم . وعن قتادة : كانوا على حيل بلق . وعن عروة بن الزبير : كانت عمامة

(١) قوله والشكة والشوكة ، في الصحاح : الشكة - بالكسر - السلاح . والشوكة : شدة البأس . (ع)

الزبير يوم بدر صفراء ، فنزلت الملائكة كذلك ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا صحابة تسوموا فإن الملائكة قد تسومت ،<sup>(١)</sup> ﴿وما جعله الله﴾ الهاء لأن يمدكم . أى : وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾ كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ، ولا من عند الملائكة والسكينة ، ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ، ويربط به على قلوب المجاهدين ﴿العزیز﴾ الذى لا يغالب فى حكمه ﴿الحكيم﴾ الذى يعطى النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا﴾ ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر ، وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم ﴿أو يكبتهم﴾ أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة ﴿فينقلبوا خائنين﴾ غير ظافرين بمبتغاهم . ونحوه (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) ويقال : كبت به ، بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة . وقيل فى قول أبى الطيب :

\* لِأَكْبِتَ حَاسِدًا وَأَرَىٰ عَدُوًّا \*<sup>(٢)</sup>

هو من السكيد والرثة ، واللام المتعلقة بقوله (ولقد نصركم الله) أو بقوله (وما النصر إلا من عند الله) . ﴿أو يتوب﴾ عطف على ما قبله .

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبْهُمْ فَأَمْرُهُمْ ظِلْمُونَ<sup>(١٢٨)</sup>

(١) أخرجه ابن أبى شيبة . حدثنا أبو أمامة عن ابن عون . عن ابن عمير ، وابن إسحق بهذا . وهو مرسل وزاد : قال د فهد أول يوم وضع فيه الصوف ، ورواه الطبري من وجه آخر عن ابن عون به . وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر . عن محمود بن لبيد فذكره . قال : فأعلوا بالصوف في منافرهم ، ولم يذكر الزيادة . ورواه ابن سعد من طرق فى قصة وفيه فقال لأصحابه يومئذ : تسوموا فإن الملائكة قد تسومت . قال فأعلوا بالصوف في منافرهم وقلانسهم ،

(٢) رويك أيها الملك الجليل تأت وعنده مما تنيل  
وجودك بالمقام ولو قليلا فما فيما تجود به قليل  
لا كبت حاسدا وأرى عدوا كأنهما وداعك والرحيل

لأبى الطيب . يقول تمل يا أيها الملك عن السفر ، واجعل ذلك التأتى مما تحسن به إلينا ، وجودك علينا بالاقامة ، ولو كانت قليلة عندك أو فى ذاتها فهي كثيرة عندنا ، فانه ليس فيما تجود به قليل . وقوله د لا كبت ، متعلق بتأت . وأصله : لا كبد ، قلبت الدال تاء لقرب مخرجهما ، أى لأصيب كبد الحاسد بالغيظ . وأرى : أى أصيب رة العدو به أيضا ، كأنهما : أى الحاسد والعدو ، شبه الأول بالوداع ، والثانى بالرحيل ، فى أن كلا يحزنه . وخص الثانى بالثانى ؛ لانه أشد كراهة . وفيه لف ونشر مرتب ، وهو حسن .

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ  
عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

و (ليس لك من الأمر شيء) اعتراض . والمعنى أن الله مالك أمرهم ، فإما يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلبوا ، أو يعذبهم إن أصرروا على الكفر ، وليس لك من أمرهم شيء ، إنما أنت عبيد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم . وقيل إن ( يتوب ) منصوب بإضمار «أن ، و» وأن يتوب ، في حكم اسم معطوف بأو على الأمر أو على شيء ، أي ليس لك من أمرهم شيء ، أو من التوبة عليهم ، أو من تعذيبهم . أو ليس لك من أمرهم شيء ، أو التوبة عليهم ، أو تعذيبهم ، وقيل «أو» بمعنى «إلا أن» ، كقولك : لألزمك أو تعطيني حق ، على معنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم ، أو يعذبهم فتتشفي منهم . وقيل : شجّه عتبة ابن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته ، فجعل يمسح الدم عن وجهه ، وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم ، وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم <sup>(١)</sup> ، فزلت . وقيل : أراد أن يدعو الله عليهم فهناك الله تعالى ، لعله أن فيهم من يؤمن . وعن الحسن ( يغفر لمن يشاء ) بالتوبة <sup>(٢)</sup> ، ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين <sup>(٣)</sup> ( ويعذب من يشاء ) ولا يشاء أن يعذب إلا

(١) أخرجه عبد الرزاق . ومن طريقه الطبري . أخبرنا معمر عن قتادة : أن عتبة . فذكره من طريق معمر أخرجه ابن سعد سواء . والحديث في الصحيحين من حديث سهل بن سعد وكسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد . وشج رأسه . فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم ، وهو يدعوهم إلى الله ؟ فأنزل الله تعالى ( ليس لك من الأمر شيء ) قال : وكانت فاطمة تغسل الدم عن وجهه - الحديث ، وسيأتي قريباً أن الذي شجّه عبد الله بن قنفة . وقال الواقدي : المثبت عندنا أن الذي رمى وجه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن قنفة : والذي رمى شفته وأصاب رباعيته . عتبة بن أبي وقاص . وفي السيرة لابن هشام من حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته النبي السفلى . وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب شجّه في وجهه ، وأن ابن قنفة جرح وجهه فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجهه ، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفرة فأخذ على يديه ورفعته طلائع حتى استوى قائماً ومعه مالك بن سنان أبو أبي سعد الدم عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم ثم أزدرد . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من مس دمه دمي لم تصبه النار .

(٢) قال محمود : ومعناه يغفر لمن يشاء بالتوبة . الخ ، قال أحمد : هذه الآية واردة في الكفار . ومعتقد أهل السنة أن المغفرة في حقهم مشروطة بالتوبة من الكفر والرجوع إلى الإيمان ، وليسوا محل خلاف بين الطائفتين وعندهم أن المؤمن النائب من كفره هو المعنى في قوله ( يغفر لمن يشاء ) كما قاله الزحشرى . وأما تسليقه من ذلك على تعمير هذا الحكم وأعديته إلى المرحدين ، فن التعامى والتصام حقيقة ، وإلا فهو أحق من ذلك . وأما نسبته إلى أهل السنة التعامى والتصام والهوى والبذعة والافتراء ، فآله حسيه في ذلك والسلام .

(٣) قوله « ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين » هذا عند المغزلة . (ع)

المستوجبين للعذاب . وعن عطاء : يغفر لمن يتوب إليه ويعذب من لقيه ظلماً . وإتباعه قوله ﴿أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ تفسير بين أن يشاء ، وأنهم المتوب عليهم ، أو الظالمون ، ولكن أهل الأهواء والبدع يتصامتون ويتعامون <sup>(١)</sup> عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ، ويطيئون أنفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم . يهب الذنب الكبير لمن يشاء ، ويعذب من يشاء على الذنب الصغير .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَرْبَاً أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ  
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾  
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَآرِضُوا لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿لأننا كلوا الربوا أضعافاً مضاعفة﴾ نهى عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كأن الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل فاستغرق بالشئ الطفيف مال المدين <sup>(٢)</sup> . ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾ كان أبو حنيفة رحمه الله يقول : هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه . وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله . ومن تأمل هذه الآية وأمثالها لم يحدث نفسه بالأطماع الفارغة والتي على الله تعالى ، وفي ذكره تعالى دلالة ، ودعى ، في نحو هذه المواضع . وإن قال الناس ما قالوا - ما لا يخفى على العارفين الفطن من دقة مسلك التقوى ، وصعوبة إصابة رضا الله ، وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه .

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ  
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظَّيْمِينَ الْغُلَّيْمَ وَالْعَافِينَ  
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ  
ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى  
مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ

(١) قوله ولكن أهل الأهواء والبدع يتصامتون ، يريد أهل السنة وتحقيق المبحث في علم التوحيد . (ع)

(٢) قوله مال المدين ، له المدين ، أو هو لغة شاذة . (ع)

تَحْتِمَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ

سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾

في مصاحف أهل المدينة والشام سارعوا بغير واو . وقرأ الباقرن بالواو . وتنصره قراءة أبي وعبد الله : وسابقوا . ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة : الإقبال على ما يستحقان به ﴿ عرضها السموات والأرض ﴾ أى عرضها عرض السموات والأرض ، كقوله ﴿ عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ والمراد وصفها بالسعة والبسطة ، فشبهت بأوسع ما عليه الناس من خلقه وأبسطه . وخص العرض ، لأنه في العادة أدنى من الطول للبالغة ، كقوله ﴿ بطائنها من إستبرق ﴾ . وعن ابن عباس رضى الله عنه : كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض ﴿ في السراء والضراء ﴾ في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر ، لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين ماقدروا عليه من كثير أو قليل ، كما حكى عن بعض الساف : أنه ربما تصدق بيلة . وعن عائشة رضى الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب <sup>(١)</sup> أو في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة ، لا تمنعهم حال فرح وسرور ، ولا حال محنة وبلاء ، من المعروف . وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو في حبس ، فإنه لا يدع الإحسان . واقتنع بذكر الإنفاق لأنه أشق شئ على النفس وأدله على الإخلاص ، ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين .

كظم القربة : إذا ملأها وشد فاهها . وكظم البعير : إذا لم يجتر . ومنه كظم الغيظ ، وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا . وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، من كظم غيظا فهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا <sup>(٢)</sup> ، وعن عائشة رضى الله عنها : أن خادما لها غاظها فقالت : لله در التقوى . ما تركت لذى غيظ شفاء . ﴿ والعافين عن الناس ﴾ إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه . وروى . ينادى مناد يوم القيامة : أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا ، <sup>(٣)</sup> وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل غفله . وعن النبي صلى

(١) أخرجه ابن سعد أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا فضيل بن مرزوق عن ظبية بنت المعلل . قالت « دخلت على عائشة فجاء سائل فأعطته حبة عنب ، ثم نظرت إلينا . وقالت : أنسجين من هذا ؟ إن في هذا لمناقيل كثيرة » .

(٢) أخرجه أبو داود . من رواية ابن عجلان عن سويد بن وهب عن رجل من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه . قال ابن طاهر : هذا الصحابي هو معاذ بن أنس وابنه موسى . ورواه عبد الرزاق وأحمد عنه . والعقيل من طريقه . قال : أخبرنا دارد بن قيس عن زيد بن أسلم عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل عن عمر له عن أبي هريرة به . وعبد الجليل مجهول .

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب . من رواية المبارك بن فضالة عن الحسن بن عمران بن حصين رفعه « إذا كان =



الله عليه وسلم : « إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله ، وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت » (والله يحب المحسنين) يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون . وأن تكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء (والذين) عطف على المتقين ، أي أعدت للمتقين وللتائبين . وقوله (أو لئك) إشارة إلى الفريقين . ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أو لئك (فاحشة) فعلة متزايدة القبح (أو ظلموا أنفسهم) أو أذنبوا أي ذنب كان مما يؤخذون به . وقيل : الفاحشة الزنا . وظلم النفس مادونه من القبلة واللبسة ونحوهما . وقيل : الفاحشة الكبيرة . وظلم النفس الصغيرة (ذكروا الله) تذكروا عقابه أو وعيده أو نبيه ، أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه (فاستغفروا الذنوبهم) فتابوا عنها لقبها نادمين عازمين <sup>(١)</sup> (ومن يغفر الذنوب إلا الله) وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وإن التائب من الذنب عنده كن لا ذنب له ، وأنه لا مفرج للذينين إلا فضله وكرمه ، وأن عدله يوجب المغفرة للتائب ، لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو <sup>(٢)</sup> والتجاوز وفيه تطيب لنفوس العباد ، وتنشيط للتوبة ، وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم . والمعنى : أنه وحده معه مصححات المغفرة . وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه (ولم يصروا) ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين . وعن النبي صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين » <sup>(٣)</sup> مرة ، وروى « لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار » <sup>(٤)</sup> ، (وهم يعلمون) حال من فعل

== يوم القيامة ينادى مناد من بطان العرش ليقيم الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا ، وفي إسناده قصة إبراهيم بن مهدي مع المأمون . ورواه الطبراني من رواية حمز أبي رجاء عن الحسن قال « يقال يوم القيامة ليقيم من كان له على الله أجر فما يقوم إلا إنسان عفا ، ثم قرأ (والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) . وذكره أبو شجاع في الفردوس عن أنس رضي الله عنه .

(١) ذكره الثعلبي عن مقاتل بن حيان قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره . وإسناده إلى مقاتل في أول الكتاب ، وفي الفردوس عن أنس نحوه في أول الذي قبله .

(٢) قوله « عازمين » لعله عازمين على عدم العود . (ع)

(٣) قوله « بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو » أما سمعاً فباتفاق ، وأما عقلاً فعند المعتزلة فقط . (ع)

(٤) أخرجه أبو دارود والترمذي وأبو يعلى والبخاري . من طريق عثمان بن واثق عن أبي بصيرة عن مولى لأبي بكر رضي الله عنه . قال الترمذي : غريب وليس إسناده بالقوى . وقال البخاري : لا تحفظه إلا من حديث أبي بكر بهذا الطريق . وأبو بصيرة وشيخه لا يعرفان . قلت : له شاهد أخرجه الطبراني في الدعاء من حديث ابن عباس .

(٥) أخرجه إمام في بشر أبو حذيفة في المبتدأ عن النوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وإسحاق حديثه منكر . ورواه الطبراني في مسند الشاميين من رواية مكحول . عن أبي سلمة . عن أبي هريرة . وزاد في آخره « فطوبى لمن وجد في كتابه استغفاراً كثيراً » وفي إسناده بشر بن عبد الوارث . وهو متروك . ورواه الثعلبي وابن شاهين في الترغيب من رواية بشر بن إبراهيم عن خليفة بن سليمان عن أبي سلمة عن أبي هريرة به .

الإصرار وحرف النفي منصب عليهما معاً . والمعنى : وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها ، لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح . وفي هذه الآيات بيان قاطع أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصلحون ، وأن الجنة للثابتين والثائبين منهم ، دون المصرين <sup>(١)</sup> . ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه . قال (أجر العالمين) بعد قوله (جزاؤهم) لأنهما في معنى واحد . وإنما خالف بين اللفظين لزيادة التثنية على أن ذلك جزاء واجب على عمل ، وأجر مستحق عليه ، لا كما يقول المبطلون <sup>(٢)</sup> . وروى أن الله عز وجل أوحى إلى موسى : « ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل ، كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي » وعن شهر بن حوشب : طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ، وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حق وجهالة . وعن الحسن رضي الله عنه : يقول الله تعالى يوم القيامة : « جوزوا الصراط بعفوى ، وادخلوا الجنة برحمتي ، واقسموها بأعمالكم » وعن رابعة البصرية رضي الله عنها أنها كانت تنشد :

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْأَلْ مَسَالِكَهَا    إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْخَبَسِ <sup>(٣)</sup>  
والمختص بالمدح محذوف تقديره : ونعم أجر العامين ذلك . يعني المغفرة والجنات (قد خلت من قبلكم سنن) يريد ماسنه الله في الأمم المكذبين من وقائعه ، كقوله (وقتلوا تقتيلاً سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً) ، (سنة الله التي قد خلت من قبل) .

هَذَا يَكُنُ لِلنَّاسِ وَهْدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا  
وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

- (١) قوله والثائبين منهم دون المصرين) يعني أن الإصرار كبيرة وفاعل الكبيرة يخلد في النار لكن ماذا عند المعتزلة ، وخالف أهل السنة لأنه مؤمن عندهم والمؤمن لا يخلد فيها وتحقيقه في علم التوحيد . (ع)  
(٢) قوله وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون) يريد بهم أهل السنة حيث قالوا لا يجب على الله شيء . (ع)  
(٣) ما بال نفسك ترضى أن تدنسها وثوب نفسك مغسول من الدنس  
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها    إن السفينة لا تجرى على اليابس  
للإمام علي كرم الله وجهه : قيل : لأبي العاتية . وبال الشان والنفس . ويجوز أنها الذات والثوب على ظاهره . ويجوز أنها الروح والثوب مستعار للجسم ، لأنه للروح كالثوب للبدن . أي لا يذنب تدنيس المنظوف مع تنظيف ظرفه . ويجوز أن الأولى الروح والثانية الذات . ويرى . ما بال دينك ترضى أن تدنسه . وثوب نفسك : جملة حالية . ويرى : « وثوبك الدهر مغسول » . وترجو النجاة على حذف أداة الاستفهام التوبيخي ، أبرزه في صورة الخبر ليصور قبحه ، وشبه الأسباب الموصلة للنجاة بالطرق المسلوكة على سبيل التعريحية ، ولم تسلك ، ترشيع . وقوله « إن السفينة » تمثيل لحال من يرجو أمراً ولم يأخذ في أسبابه محال ملاح يريد تسير السفينة على أرض صلبة لا ماء بها ، وفيه تقرير التوبيخ الذي أفاده الاستفهام .

(هذا بيان للناس) إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب ، يعنى : حشم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم (وهدى وموعظة المتقين) يعنى أنه مع كونه بياناً وتنبيهاً للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين : ويجوز أن يكون قوله (قد خلت) جملة معترضة للبحث على الإيمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين ، ويكون قوله (هذا بيان) إشارة إلى ملخص وبين من أمر المتقين والتائبين والمصرين (ولاتهنوا ولا تحزنوا) تسلية من الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم ، يعنى ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم ، أى لا يورثكم ذلك وهنا وجبنا ، ولا تبالوا به ، ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح (وأتمم الاعلون) وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب ، لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد . أو وأتمم الاعلون شأننا ، لأن قتالكم لله وإعلاء كلمته ، وقاتلهم للشيطان لإعلاء كلمة الكفر ، ولأن قتالكم في الجنة وقتلاهم في النار . أو هى بشارة لهم بالعلو والغلبة ، أى وأتمم الاعلون فى العاقبة (وإن جندنا لهم الغالبون) . (إن كنتم مؤمنين) متعلق بالنهاى بمعنى : ولا تنهوا إن صح إيمانكم على أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه . أو بالاعلون ، أى إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة .

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ  
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠)  
وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)

قرئ (قَرْحٌ) بفتح القاف وضمها ، وهما لغتان كالضعف والضعف . وقيل : هو بالفتح الجراح ، وبالضم ألمها . وقرأ أبو السمال (قَرْحٌ) بفتحتين . وقيل القرح والقرح كالطرد والطرْد . والمعنى : إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتهم قبله يوم بدر ، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يبطئهم عن معاودتكم بالقتال . فأتمم أولى أن لا تضعفوا . ونحوه (فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) وقيل : كان ذلك يوم أحد ، فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن قلت : كيف قيل (قَرْحٌ مِّثْلُهُ) وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين ؟ قلت : بلى كان مثله ، ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار . ألا ترى إلى قوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيت من بعد ما أراكم متاجبون) . (وتلك الأيام) تلك مبتدأ ، والأيام صفة . و(نداولها) خبره ، ويجوز أن يكون (تلك

الأيام) مبتدأ وخبراً ، كما تقول : هي الأيام تبلى كل جديد . والمراد بالأيام : أوقات الظفر والغلبة ، نداؤها : نصرها بين الناس ندبل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ، كقوله وهو من آيات الكتاب :

فَمَوْماً عَلَيْنَا وَيَوْماً لَنَا وَيَوْماً نُسَاك وَيَوْماً نُسَرُّ<sup>(١)</sup>

ومن أمثال العرب : الحرب سجال . وعن أبي سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فسكت ساعة ثم قال : أين ابن أبي كبشة ، أين ابن أبي قحافة ، أين ابن الخطاب . فقال عمر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أبو بكر ، وها أنا عمر . فقال أبو سفيان يوم يوم والأيام دول والحرب سجال . فقال عمر رضى الله عنه : لا سواء ، قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار . فقال : إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذن وخسرنا<sup>(٢)</sup> ، والمدالة مثل المعاورة . وقال :

يَرِدُ الْمِيَاءَ فَلَا يَزَالُ مُدَاوِلًا فِي النَّاسِ بَيْنَ تَمَثُّلٍ وَتَمَاعٍ<sup>(٣)</sup>

يقال : داولت بينهم الشيء فتداولوه (وليعلم الله الذين آمنوا) فيه وجهان : أحدهما أن يكون المعلل محذوفاً معناه : ولتتميز الثابتون على الإيمان منكم من الذين على حرف ، فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل . بمعنى : فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت ، وإلا فالله عز وجل لم يزل عالماً بالآشياء قبل كونها . وقيل : معناه وليعلم علماً يتعلق به الجزاء ،

(١) فلا وأبى الناس لا يعلمون فلا الخير خير ولا الشر شر

فيوم علينا وفيوم لنا ويوم نساء وفيوم نسر

للمر بن توبل ، وهو من آيات الكتاب . و د لا ، زائدة قبل القسم ، لأنه في الغالب لنفى شيء . وقيل : إشاوة إلى انضاح القضية المقسم عليها وعدم احتياجا إلى قسم ، لكنه إنما يظهر في مثل قوله تعالى ( فلا أقسم ) حيث أبرز في صورة النفي المعتادة : و الناس ، مبتدأ خبره د لا يعلمون ، ثم بين ذلك بقوله : فليس الخير الذي زعموا أنه خير ، خيراً كما زعموا . وليس الشر الذي زعموه شراً كما زعموا . أو ليس الخير خيراً دائماً ، وليس الشر شراً دائماً . فيوم علينا نخذل فيه . ويوم لنا تنصر فيه ، ويوم نساء فيه ، ويوم نسر فيه . وروى بنصب اليوم . والمعنى : فيوما تدور الدائرة علينا ، ويوما تكون الدولة لنا . ونساء يوما ، ونسر يوما . وكل جملتين من هذه الجمل واقعتان موقع البيان عما قبلهما . وفي البيت الثاني : لف ونشر مرتب ، وذلك حسن .

(٢) أخرجه أحمد والحاكم والطبراني والبيهقي في الدلائل . من رواية ابن أبي الزناد عن أبيه عن ابن عباس أن أبا سفيان قال يوم أحد فذكره . قلت : وأصله في الصحيح من غير هذا الوجه بغير هذا السياق

(٣) فلا مدين مع الرياح قصيدة منى محبرة إلى القعقاع

تد المياء فلا تزال تداولاً في الناس بين تمثّل وسماع

المحبرة : المحسنة . والقعقاع اسم المددود ، وهو في الأصل الشيء اليابس الصلب . ترد تلك القصيدة المياء ، خصها لكثرة الناس عليها وتفتنهم بالأشعار عندها ، أى ترد مواضع المياء فلا تزال متداولة في الناس ، أو فلا تزال تداول ، أو فلا تزال تداول تداولاً بين الناس دائرة بين تمثّل ، أى إنشادها بأن يضرها الناس أمثالا لأحرفهم ، وبين استماع لها لحسنها . وروى يرد المياء فلا يزال مداولا الخ فذكر ضمير القصيدة لأنها بمعنى الشعر .

وهو أن يعلمهم موجوداً منهم الثبات ، والثاني أن تكون العلة محذوفة ، وهذا عطف عليه ، معناه : وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله . وإنما حذف للإيدان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ، ليسليهم عما جرى عليهم ، وليبصرهم أن العبد يسوء ما يجرى عليه من المصائب ، ولا يشعر أن الله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ( ويتخذ منكم شهداء ) وليكرم ناساً منكم بالشهادة ، يريد المستشدين يوم أحد . أو وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يتلى به صبركم من الشدائد ، من قوله تعالى ( لتكنوا شهداء على الناس ) . ( والله لا يحب الظالمين ) اعتراض بين بعض التعليل وبعض . ومعناه : والله لا يجب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان ، المجاهدين في سبيل الله ، الممحصين من الذنوب . والتمحيص : التطهير والتصفية ( ويمحق الكافرين ) ويهلكهم . يعنى : إن كانت الدولة على المؤمنين فلتمييز والاستشهاد والتمحيص ، وغير ذلك مما هو أصلح لهم . وإن كانت على الكافرين ، فليحقهم ومحو آثارهم .

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ

وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ (١٤٢)

(أم) منقطعة <sup>(١)</sup> ومعنى الهمزة فيها الإنكار (ولما يعلم الله) بمعنى ولما تجاهدوا ، لأن العلم متعلق بالمعلوم <sup>(٢)</sup> فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لأنه منتف بآنتفائه . يقول الرجل : ما علم الله في فلان خيراً ، يريد : ما فيه خير حتى يعلمه . ولما بمعنى لم ، إلا أن فيها ضرباً من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل . وتقول : وعدنى أن يفعل كذا ، ولما تريد ، ولم يفعل ، وأنا أتوقع فعله . وقرئ (ولما يعلم الله) بفتح الميم . وقيل أراد النون الخفيفة ولما يعلن <sup>(٣)</sup>

(١) قوله د أم منقطعة ، هي المنصورة بيل والهمزة . (ع)

(٢) قال محمود : ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم ... الخ ، قال أحمد : التعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم خاص بعلم الله تعالى ، لأنه يلزم من عدم تعلق علمه بوجود شيء ما ، عدم ذلك الشيء ، ضرورة أنه لا يعرب عن علمه شيء لعموم تعلقه ، فاستقام التعبير عن نفي الشيء بنفي تعلق العلم القديم بوجوده المصحح لللازمة ، ولا كذلك علم آحاد المخلوقين ، فإنه لا يعرب عن نفي شيء بنفي تعلق علم الخلق به ، لجواز وجود ذلك الشيء غير معلوم للخلق . والخشدي يظهر من كلامه صحة هذا التعبير مطلقاً ويعتقد الملازمة المذكورة عامة ، فلذلك قال في قول فرعون ( ما علمت لكم من إله غيري ) أنه عبر عن نفي المعلوم بنفي العلم ، لأنه من لوازمه . وسيأتي بيان أن الخشدي وهم في هذا الموضع ، وإلا فهو يحاشي عن الوقوع في مثله اعتقاداً ، والله أعلم . وإنما عبر فرعون بذلك تلبساً على ملته وتنميماً لدعوى ألوهيته الكاذبة بأنه لا يعرب عن علمه شيء ، فلو كان إله سواه على دعواه لتعلق علمه به وهذا يعد من حماقات فرعون ودعاويه العارفة ، والله الموفق .

(٣) قوله د ولما يعلن ، لعله أى ولما يعلن . (ع)

لخذفها (ويعلم الصابرين) نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع ، كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن . وقرأ الحسن بالجزم على العطف . وروى عبد الوارث عن أبي عمرو (ويعلم) بالرفع على أن الواو للحال ، كأنه قيل : ولما تجاهدوا وأتم صابرون .

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

(ولقد كنتم تمنون الموت) خوطب به الذين لم يشهدوا بداراً وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر ، وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى المشركين ، <sup>(١)</sup> وكان رأيه في الإقامة بالمدينة ، يعني : وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته ﴿فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾ أى رأيتموه مع اثنين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل إخوانكم وأقاربكم وشارقتم أن تقتلوا . وهذا توبيخ لهم على تمنيتهم الموت ، وعلى ما تسبوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لإلحاقهم عليه ، ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده . فإن قلت : كيف يجوز تمنى الشهادة وفي تنبها تمنى غلبة الكافر المسلم ؟ قلت : قصد تمنى الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير ، ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن ، كما أن من يشرب دواء الطيب النصرائى قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ، ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيقا لصناعته . ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه - حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله <sup>(٢)</sup> :

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً      وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزُّبْدَا  
أَوْ طَلْعَةً بِيَدَيَّ حَرَّانٍ مُجْهِزَةً      بِحَرْبَةٍ تَنْقُذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا  
حَتَّى يَقُولُوا إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَنِي      أَرَشَدَكَ اللَّهُ مِنْ غَارٍ وَقَدْ رَشَدَا <sup>(٣)</sup>

(١) قوله : في الخروج ، لعله وكان رأيهم في الخروج . (ع)

(٢) قوله : وقيل له : ردكم الله ، لعله سألين . (ع)

(٣) لعبد الله بن رواحة حين خرج إلى غزوة مؤتة فقبل له : ردك الله سالماً . وذات فرغ : أى واسعة الثقب . والفرغ : مصب الماء من الدلو بين العرق . أو طعنة ذات فرغ : أى ذات سعة . ويطلق الفرغ على الدلو أيضاً . وتقذف الزبد : تخرج الدم الذى يملؤه الزبد . أى الرغوة - لكثرة . وحران : عطشان إلى قتل ، وهو مجاز عن تطليه إياه . والمجبرة : المدفقة المسرعة التى لا تبق رماً . وتنقذ الأحشاء : أى تنقذ فيها . وإن ضمنت التاء وكسرت الفاء ، فمعناه تنقها . والكبد : عطف خاص على عام . والمحدث : القبر ، والثفت إلى الغسة في قوله : وقد رشد ، على أنه من كلامه . ويجوز أنه من قول الناس . ويحتمل الأخبار والدعاء . ومن غار : تميز .

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ قُلْنِ يَصُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَوْجَزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

لما رى عبدالله بن قنمة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه، أقبل يريد قتله فذب عنه صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد، حتى قتله ابن قنمة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: قد قتلت محمداً. وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قتل. وقيل: كان الصارخ الشيطان، ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: «إلى عباد الله، حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه، فلامهم على هربهم، فقالوا: يا رسول الله - فدينك بآبائنا وأمهاتنا - أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين<sup>(١)</sup>». فنزلت. وروى أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين:

(١) قلت: هذا منزعج من عدة أخبار في وقعة أحد. قال موسى بن عقبة في المشازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب: قال: «رى يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني الحارث يقال له عبد الله بن قنمة، ويقال: بل رماه عتية بن أبي وقاص، وفي الطبراني عن أبي أمامة: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رماه عبد الله بن قنمة بحجر يوم أحد فشج في وجهه وكسر رباعيته»، وقال: خذها وأنا ابن قنمة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أفأنت الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة طعة، وروى الطبري عن طريق أسباط عن السدي فذكر قصة أحد. قال فأتى ابن قنمة الحارثي أحد بني الحارث بن عبد مناف بن كنانة. فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشج في رأسه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة. وانطلق بعضهم فوق الجبل، وجعل يدعوهم إلى عباد الله. إلى عباد الله. وفشا في الناس أن محمداً قتل، الحديث، وفي المغازي لابن إسحاق ومن طريقه الطبري عن الزهري، ومحمد بن محمد بن حبان وعاصم بن همر، وغيرهم فذكر قصة أحد. قال: «ولم يزل مصعب بن عمير يقاتل دونه ومعه لواؤه حتى قتل، وكان الذي أحياه ابن قنمة وهو يظن أنه النبي صلى الله عليه وسلم. فرجع إلى قريش فقال: لقد قتلت محمداً. وعند الواقدي عن ابن أبي سبرة عن خالد بن رباح عن الأعرج قال: «لما صاح الشيطان يوم أحد إن محمداً قد قتل. قال أبو سفيان: أياكم قتل محمداً؟ قال ابن قنمة: أنا. وأما قوله: فلامهم على هربهم إلى آخره فرواه (٥) قوله أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين: ليت عبد الله ابن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، هومن رواية السدي المتقدمة ولفظه: فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فأخذ لنا أمانة من أبي سفيان. قوله: وقال ناس من المنافقين: لو كان نبياً ما قتل. ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم. فقال أنس بن النضر عم أنس: يا قوم إن كان قتل محمد فأنزب محمد حتى لا يموت. الحديث: هو في آخر رواية السدي المذكورة. قوله: وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصارى يتحط في دمه فقال: يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل. فقال: إن كان قد قتل فقد بلغ. فقاتلوا عن دينكم. رواه الطبري عن رواية ابن أبي نجیح عن مجاهد أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتحط، فذكره في كلام طويل.

ليت عبد الله بن أبيّ يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان . وقال ناس من المنافقين : لو كان نبياً لما قتل ، ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم . فقال أنس بن النضر - عم أنس بن مالك : يا قوم ، إن كان قتل محمد فإن رب محمد حتى لا يموت ، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقاتلوا على ما قاتل عليه ، وموتوا على ما مات عليه . ثم قال : اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل . وعن بعض المهاجرين : أنه مرّ بأنصارى يتشحط في دمه ، فقال يافلان ، أشعرت أن محمداً قد قتل ، فقال : إن كان قتل فقد بلغ ، قاتلوا على دينكم . والمعنى ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ فسيخلو كما خلوا ، وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوه ، فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه ، لأن الغرض من بعثة الرسل <sup>(١)</sup> تبليغ الرسالة وإلزام الحجة ، لا وجوده بين أظهر قومه ﴿ أفان مات ﴾ الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسييب ، والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل ، مع عليهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به يجب أن يجعل سبباً للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم ، لا للانقلاب عنه . فإن قلت : لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل ؟ قلت : لكونه مجوزاً عند المخاطبين . فإن قلت : أما علموه من ناحية قوله ( والله يعصمك من الناس ) ؟ قلت : هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوى البصيرة . ألا ترى أنهم سمعوا بخبر قتله فهربوا ، على أنه يحتمل العصمة من فتنة الناس وإذلالهم . والانقلاب على الأعقاب : الإدبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من أمر الجهاد وغيره . وقيل : الارتداد . وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم إلا ما كان من قول المنافقين . ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإسلامه <sup>(٢)</sup> ﴿ فلن يضرا الله شيئاً ﴾ فاضر لإلغائه ، لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع ﴿ وسيجزى الله الشاكرين ﴾ الذي لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه . وسماهم شاكرين ، لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا . المعنى : أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله ، فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن الله له فيه تمثيلاً ، ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك ، فليس له أن يقبض نفساً إلا بإذن من الله . وهو على معنيين : أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم أن الحذر لا ينفع ، وأن أحداً لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خوض المهالك واقتحم المعارك .

(١) قوله من بعثة الرسل ، لعلة الرسول . (ع)

(٢) قوله وإسلامه ، أى : تركه للعدو . (ع)



والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه وإسلام قومه له ، نهزة للختلس من الحفظ والكلام وتأخير الأجل

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾  
 (كتاباً) مصدر مؤكد ، لأن المعنى : كتب الموت كتاباً (موجلاً) موقناً له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا) تعريض بالذين شغلهم الغنائم يوم أحد (نؤته منها) أى من ثوابها (وسنجزي) الجزاء المبهى الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد. وقرئ : يؤته. وسيجزى ، بإيلاء فيهما .

وَكَايُنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٦﴾  
 وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ  
 ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

قرئ : قاتل . وقتل . وقتل ، بالتشديد ، والفاعل ربيون ، أو ضمير النى . و (معريون) حال عنه بمعنى : قتل كائنات معه ربيون . والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الأول . وعن سعيد بن جبير رحمه الله : ما سمعنا بنبي قتل في القتال . والريون الربانيون . وقرئ بالحركات الثلاث ، فالفتح على القياس ، والضم والكسر من تغييرات النسب . وقرئ : (فما وهنوا) بكسر الهاء . والمعنى : فما وهنوا عند قتل النبي (وما ضعفوا) عن الجهاد بعده (وما استكانوا) للعدو . وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم . حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبى في طلب الأمان من أبى سفيان (وما كان قولهم إلا) هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين ، هضمها واستقصاراً . والدعاء بالاستغفار منها مقدماً على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ، ليكون طلبهم إلى ربهم عن ذكاه وطهارة وخضوع ، وأقرب إلى الاستجابة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) من النصرة

والغنيمة والعز وطيب الذكر . وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه ، وأنه هو المعتد به عنده (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِرُدُّكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنَقَّلُوا خَسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

﴿إن تطيعوا الذين كفروا﴾ قال على رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة : ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم . وعن الحسن رضي الله عنه : إن تستنصحو اليهود والنصارى وتقبلوا منهم ، لأنهم كانوا يستغوثونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ، ويقولون : لو كان نبيا حق لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم ، وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه . وعن السدي : إن تستكبنوا لآبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم ﴿يردوكم﴾ إلى دينهم . وقيل هو عام في جميع الكفار ، وإن على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء . ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم ﴿بل الله مولاكم﴾ أي ناصركم ، لا تحتاجون معه إلى نصره أحد وولايته . وقرئ بالنصب على : بل أطيعوا الله مولاكم ﴿سنلقى﴾ قرئ بالتون والياء . والرعب - بسكون العين وضما - . قيل : قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة . وقيل : ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا : ما صنعنا شيئا ، قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن فاهرون <sup>(١)</sup> ارجعوا فاستأصلوهم ، فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا . ﴿بما أشركوا﴾ بسبب إشرائهم ، أي كان السبب في إلقاء الله الرعب في قلوبهم إشرائهم به ﴿ما لم ينزل به سلطانا﴾ آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة . فإن قلت : كان هناك حجة <sup>(٢)</sup> حتى ينزلها <sup>(٣)</sup> الله

(١) قوله « فاهرون » لعله فاهرون . والفاره : الحاذق بالشئ . أفاده الصحاح . (ع)

(٢) قوله « فإن قلت كان هناك حجة » لعله : أكان . (ع)

(٣) قال محمود : « إن قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الإشرار ... الخ » ؟ قال أحد : إنما يرد هذا السؤال لو أفهم ظاهر اللفظ أن ثم حجة وليس في ظاهره ما يفهم ذلك ، ولو كانت الآية كقول القائل : بما أشركوا بالله ما لم ينزل سلطانا ، بإضافة السلطان إلى ما أشركوا به ، لكان للسائل مقال ، ولكان كقول القائل : على لاجب لا يهتدى بمناره ه فانه بإضافة المنار إليه يوم أن فيه منارا ، فيحتاج الناظر إلى حمله على معنى لا منار فيه يهتدى به ، ولو أطلق الشاعر فقال : « على لاجب لا يهتدى فيه بمنار » مثلا ، لاستغنى عن تأويل الكلام ، وكذلك الآية غنية عن التأويل ، والله أعلم .

فيصح لهم الإشراك؟ قلت: لم يعن أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم، لأن الشرك لا يستقيم أن يقوم عليه حجة، وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا، كقوله:

• وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ • (١)

\*\*\*

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنِ عَلَى أَحَدٍ وَآرُسُوكُمْ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَعَثَ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أُنْمَةً نِعَاسًا يَفْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ أَلَامَكُمُ اللَّهُ كُفَّ اللَّهُ يَخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَتْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)

(ولقد صدقكم الله وعده) وعدم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله تعالى (إن تصبروا وتقاوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم) ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعهم. وقيل: لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من

(١) لا تفزع الأرب أموالها ولا ترى الضب بها ينحجر

لابن أحر. يقول: لا تخيف الأرب أموال تلك الصحراء، أي لا هول فيها حتى يفزعه، فإ في البيت كناية عن ذلك، كقوله: ولا ترى الضب فيها يدخل حجره، أي لا ضب فيها ينحجر. وقد ينحجر، حال إن كانت ترى بصرية، ومفعول إن كان كانت عليه. ويجوز أن المعنى: لا أرب فيها تفزعه أموالها، كما لا ضب فيها يدخل حجره، فهما منفيان. وهذا أوفق بالمقدم.

المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فزلت . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره ، واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل ، وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا - كانت الدولة للسليلين أو عليهم - فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم ، والباقيون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم . يحسونهم أى يقتلونهم قتلا ذريعا . حتى إذا فشلوا . والفشل : الجبن وضعف الرأى . وتنازعوا ، فقال بعضهم : قد انهزم المشركون فما موقفناهمنا وقال بعضهم : لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله : ( ومنكم من يريد الآخرة ) ونفر أعقابهم يهتبون ، وهم الذين أرادوا الدنيا ، فكفر المشركون على الرماة ، وقتلوا عبد الله بن جبير رضى الله عنه ، وأقبلوا على المسلمين ، وحالت الريح ديورا وكانت صبا ، حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا ، وهو قوله ﴿ ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ﴾ ليتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها ﴿ ولقد عفا عنكم ﴾ لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ يتفضل عليهم بالعفو ، أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم ؛ لأن الابتلاء رحمة كما أن النصر رحمة . فإن قلت : أين متعلق ( حتى إذا ) ؟ قلت : مخذوف تقديره : حتى إذا فشلتم منعكم نصره . ويجوز أن يكون المعنى : صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم ﴿ إذ تصعدون ﴾ نصب بصرفكم ، أو بقوله ( ليبتليكم ) أو بإضمار اذكر ، والإصعاد : الذهاب في الأرض والإبعاد فيه . يقال : صعد في الجبل وأصعد في الأرض . يقال : أصدنا من مكة إلى المدينة : وقرأ الحسن رضى الله عنه : تصعدون ، يعنى في الجبل . وتعضد الأولى قراءة أنى : إذ تصعدون في الوادى . وقرأ أبو حيو : تصعدون ، بفتح التاء وتشديد العين ، من تصعد في السلم وقرأ الحسن رضى الله عنه : تلون ، بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها . وقرئ : يصعدون . ويلوون بالياء ﴿ والرسول يدعوكم ﴾ كان يقول « إلى عباد الله ، إلى عباد الله ، أنا رسول الله ، من يكثر فله الجنة ، ﴿ في أخراكم ﴾ في ساقتم وجماعتكم الأخرى وهى المتأخرة . يقال : جثت في آخر الناس وأخراهم ، كما تقول : في أولهم وأولاهم ، بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى ﴿ فأثابكم ﴾ عطف على صرفكم ، أى لجازاكم الله ﴿ غمما ﴾ حين صرفكم عنهم وابتلاككم ﴿ بسبب ﴾ غم ﴿ أذقتموه ﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضيانكم له ، أو غمما مضاعفا ، غمما بعد غم ، وغمما متصلا بغم ، من الاعتماد بما أرجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر ﴿ لكيلا تحزنوا ﴾ لتتمروا على تجرع الغموم ، وتضروا باحتمال الشدائد ، فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار . ويجوز أن يكون الضمير في ﴿ فأثابكم ﴾ للرسول ، أى فأساكم في الاعتماد <sup>(١)</sup> ، وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما

(١) قوله « فأساكم في الاعتماد » لله : فأساكم ، أى فصار أسوتكم وأفاده الصحاح . (ع)

غمه مائزلكم ، فأثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتمتموه لاجله ، ولم يثر بكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره : وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ، ولا على ما أصابكم من غلبة العدو . وأنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نكسوا وغلبهم النوم . وعن أبي طلحة رضى الله عنه : غشينا النعاس ونحن في مصافنا ، فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ، ثم يسقط فيأخذه . وما أحد إلا ويميل تحت حجفته <sup>(١)</sup> .

وعن ابن الزبير رضى الله عنه : لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ، فأرسل الله علينا النوم . والله إني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس ينشأني <sup>(٢)</sup> : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا . والأمنة : الأمن . وقرئ ﴿أمنة﴾ بسكون الميم ، كأنها المرة من الأمن ﴿نعاسا﴾ بدل من أمنة . ويجوز أن يكون هو المفعول ، وأمنة حالاً منه مقدمة عليه ، كقولك : رأيت راكباً رجلاً ، أو مفعولاً له بمعنى نعستم أمنة . ويجوز أن يكون حالاً من المخاطبين ، بمعنى : ذوى أمنة ، أو على أنه جمع آمن ، كبار وبررة ﴿يغشى﴾ قرئ بالياء والتاء رداً على النعاس ، أو على الأمنة ﴿طائفة منكم﴾ هم أهل الصدق واليقين ﴿وطائفة﴾ هم المنافقون ﴿قد أهتمهم أنفسهم﴾ ما بهم إلا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، أو قد أوقعهم أنفسهم وما حل بهم في الهموم والأشجان ، فهم في التشاكي والتبائس ﴿غير الحق﴾ في حكم المصدر . ومعناه : يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به . و﴿ظن الجاهلية﴾ بدل منه . ويجوز أن يكون المعنى : يظنون بالله ظن الجاهلية . وغير الحق : تأكيد ليظنون ، كقولك : هذا القول غير ما تقول ، وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية ، كقولك : حاتم الجود ، ورجل صدق : يريد الظن المختص بالملّة الجاهلية . ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية ، أى لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله ﴿يقولون﴾ لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ﴿هل لنا من الأمر من شيء﴾ معناه هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط ، يعثرون النصر والإظهار على العدو ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ ولأوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ ، ( وإن جندنا لهم الغالبون ) ﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك﴾ معناه : يقولون لك فيما يظهرون : هل لنا من الأمر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يظنون على التفاف ، يقولون في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكبين

(١) أخرجه البخارى من رواية قتادة عن أنس به . لكن ليس في آخره «وما أحد إلا ويميل تحت حجفته» وهو بتمامه عند الحاكم . وكذا أخرجه الطبرى من رواية ثابت عن أنس رضى الله عنه .

(٢) أخرجه ابن إسحاق في المغازى . حدثني يحيى بن عباد بن عبيد الله بن الزبير عن أبيه . عن عبيد الله بن الزبير عن أبيه به . وأخرجه إسماعيل والبزار والطبرى وابن أبي حاتم وأبو نعيم والبيهقى . كلهم من طريقه .

لقولك لهم إن الأمر كله لله ﴿لو كان لنا من الأمر شيء﴾ أى لو كان الأمر كما قال محمد أن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون ، لما غلبنا قط ، ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة ﴿قل لو كنتم في يوتكم﴾ يعنى من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قدمت في يوتكم ﴿لبرز﴾ من بينكم ﴿الذين﴾ علم الله أنهم يقتلون ﴿إلى مضاجعهم﴾ وهى مصارعهم ليكون ما علم الله أنه يكون . والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين ، وكتب مع ذلك أنهم الغالبون ، لعله أن العاقبة في الغلبة لهم ، وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله ، وأن ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة ، وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة . وقيل : معناه هل لنا من التدبير من شيء ، يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة إلى أحد ، وكان علينا أن نقيم ولا نبرح كما كان رأى عبد الله بن أبى وغيره ، ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة ، قل إن التدبير كله لله ، يريد أن الله عز وجل قد دبر الأمر كما جرى ، ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من يوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم . وقرئ : كتب عليهم القتال . وكتب عليهم القتل ، على البناء للفاعل . ولبرز ، بالتشديد وضم الباء ﴿وليتلى الله﴾ وليتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ، ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان . فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمّة وللإبتلاء والتحصيل . فإن قلت : كيف مواقع الجبل التى بعد قوله وطائفة ؟ قلت : ( قد أهمتهم ) صفة لطائفة . و( يظنون ) صفة أخرى أو حال بمعنى : قد أهمتهم أنفسهم طائنين . أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها . و( يقولون ) بدل من يظنون . فإن قلت : كيف صح أن يقع ما هو مسألة عن الأمر بدلا من الإخبار بالظن ؟ <sup>(١)</sup> قلت : كانت مسئلتهم صادرة عن الظن ، فلذلك جاز إبداله منه . ويخفون حال من يقولون . و( قل إن الأمر كله لله ) اعتراض بين الحال وذوى الحال . و( يقولون ) بدل من ( يخفون ) والأجود أن يكون استئنافا .

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ

مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

(١) قال محمود : وإن قلت كيف صح أن يقع ما هو مسألة عن الأمر ... الخ ، قال أحد : ويلاحظ هذا النظر في قوله تعالى عن الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء... الآية) فإن هذا السؤال استفهام ، والاستفهام لا يتصف بما يتصف به الخبر من الصدق ونقيضه ، ومع ذلك ورد قوله تعالى في خطابهم (أبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) يعنى في قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها . فأجرى استفهامهم مجرى الخبر لاستلزامه الإخبار بأن هذا النوع الانساني ليس بمعصوم عن الفساد وسفك الدماء ، إلا من عصمه الله تعالى منهم ، والله أعلم .

(استزلمهم) طلب منهم الزل ودعاهم إليه (ببعض ما كسبوا) من ذنوبهم. ومعناه: إن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا، فلذلك منعهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا. وقيل: استزلال الشيطان إياهم هو التولي، وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم، لأن الذنب يجز إلى الذنب، كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة وتكون لطفًا فيها. وقال الحسن رضي الله عنه: استزلمهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة. وقيل: (بعض ما كسبوا) هو تركهم المركز الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه. فجزهم ذلك إلى الهزيمة. وقيل: ذكرهم تلك الخطايا ففكروا لقاء الله معها، فأخروا الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حال مرضية. فإن قلت: لم قيل (ببعض ما كسبوا)؟ قلت: هو كقوله تعالى (ويعفو عن كثير). (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (إن الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بالعقوبة.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٥٦  
وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتِمَّتْ كَافَّةً مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ١٥٧  
وَلَيْنَ مُتِمَّتْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٥٨

(وقالوا لإخوانهم) أى لأجل إخوانهم، كقوله تعالى: (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه) ومعنى الاخوة: اتفاق الجنس أو النسب (إذا ضربوا في الأرض) إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها (لو كانوا غزى) جمع غاز، كعاف وعفى، كقوله: عفى الحياض أجون<sup>(١)</sup>. وقرئ: بتخفيف الزاى على حذف التاء من غزاة. فإن قلت: كيف قيل: (إذا ضربوا) مع (قالوا)؟ قلت: هو على حكاية الحال الماضية، كقولك: حين يضربون في الأرض فإن قلت: ما متعلق ليجعل؟ قلت: قالوا، أى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون (حسرة في قلوبهم) غلى أن اللام مثلها في (ليكون لهم عدوا وحزنا). أو لاتكونوا، بمعنى: لاتكونوا مثلهم في

(١) قوله «وعفى كقوله: عفى الحياض أجون» في الصحاح: «عفى - جمع عاف - وهو الدارس - والآجن: المناء المتغير الطعم واللون. وأجن الماء: يأجن ويأجن أجبا وأجونا له. وجمع الآجن على أجون، كالرا كع على دكوع، والشاهد على شهود». (ع)

النطق بذلك القول واعتقاده ، ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم . فإن قلت :  
 ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى ؟ قلت : معناه أن الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد  
 الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ، ويضيق صدورهم عقوبة ، فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده  
 من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله ( يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد  
 في السماء ) ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي ، أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله  
 انتقام كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم ، لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضاداتهم بما يفهمهم  
 ويفيظهم ﴿ والله يحيي ويميت ﴾ رد لقولهم . أي الأمر بيده ، قديحي المسافر والغاى ، ويميت  
 المقيم والقاعد كما يشاء . وعن خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه قال عند موته : ما في موضع شبر إلا  
 وفيه ضربة أو طعنة ، وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء ﴿ والله بما تعملون  
 بصير ﴾ فلا تكونوا مثلهم . وقرئ بالياء ، يعنى الذين كفروا ( للمغفرة ) جواب القسم ، وهو  
 ساذ مسد جواب الشرط ، وكذلك ( لئلا الله تحشرون ) كذب الكافرين أولاً في زعمهم أن من  
 سافر من إخوانهم أو غزى لو كان في المدينة لما مات ، ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب  
 التقاعد عن الجهاد ، ثم قال لهم : ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت والقتل في سبيل الله ،  
 فإن ماتتالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا .  
 وعن ابن عباس رضى الله عنهما : خير من طلاع الأرض ذهباً <sup>(١)</sup> خيراً . وقرئ بالياء ، أي  
 يجمع الكفار ( لئلا الله تحشرون ) لئلا الله الرحيم الواسع الرحمة ، المثيب العظيم الثواب تحشرون  
 ولو قوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به ، شأن ليس  
 بالخفي . قرئ ( تم ) بضم الميم وكسرها ، من مات يموت ومات يمات .

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ  
 فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

وما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن إينته لم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه ( فيما نقضهم ميثاقهم  
 لعناهم ) ومعنى الرحمة : ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وآسام  
 بالمباينة بعد ما خالفوه وعصوا أمره وانهموا وتركوه ( ولو كنت فظاً ) جافياً ( غليظ القلب )  
 قاسيه ( لا نفصوا من حولك ) لتفرقوا عنك حتى لا يبق حولك أحد منهم ( فاعف عنهم ) فيما

(١) قوله وخير من طلاع الأرض ذهباً ، في الصحاح : طلاع الأرض : ملؤها . والذهب : القطعة من الذهب . (ع)



يختص بك ﴿واستغفر لهم﴾ فيما يختص بحق الله إتماماً للشفقة عليهم ﴿وشاورهم في الأمر﴾ يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحى لتستظهر برأيهم ، ولما فيه من تطيب نفوسهم والرفع من أقدارهم . وعن الحسن رضى الله تعالى عنه : قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ، ولكنه أراد أن يستن به من بعده . وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم<sup>(١)</sup> وعن أبي هريرة رضى الله عنه : ما رأيت أحداً أكثر مشاورة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> . وقيل : كان سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأى دونهم . وقرئ : وشاورهم في بعض الأمر ﴿فإذا عزمتم﴾ فإذا قطعت الرأى على شيء بعد الشورى ﴿فتوكل على الله﴾ في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح ، فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله لا أنت ولا من تشاور . وقرئ ﴿فإذا عزمتم﴾ بضم التاء ، بمعنى فإذا عزمتم لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل على ولا تشاور بعد ذلك أحداً .

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمُ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمِنْ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَمَا أُهْلُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾

﴿إن ينصركم الله﴾ كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم ﴿وإن يخذلكم﴾ كما خذلكم يوم أحد ﴿فمن ذا الذي ينصركم﴾ فهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه : ونحوه ( ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ) . ﴿من بعده﴾ من بعد خذلا به . أو هو من قولك ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان ؛ تريد إذا جاوزته . وقرأ عبيد بن عمير :

(١) أعاده في تفسير سورة الشورى عن الحسن قوله وهو المحفوظ . ومن طريقه أخرجه الطبري .

(٢) هذا فيه تحريف . والصواب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، كذلك أخرجه الثنافي عن ابن عينة عن الزهري عنه وهو منقطع وهو مختصر من الحديث الطويل في قصة الحبشية وغزوة الفتح ، أخرجه ابن حبان من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عمرو عن المسور ومروان . وفيه قال الزهري : وكان أبو هريرة يقول . فذكره . وكذا أخرجه عبد الرزاق في مصنفه وعند أحمد وإسحاق ، وقد أشار إليه الترمذي في آخر الجهاد فقال : وروى عن أبي هريرة فذكره .

وإن يخذلكم ، من أخذه إذا جعله مخذولا . وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله تعالى والتأييد ، وتحذير من المعصية وبما يستوجبون به العقوبة بالخذلان ﴿ وعلى الله ﴾ وليخص المؤمنون بهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ، ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه . يقال غل شيئا من المغنم غلولا وأغل - إغلالا ، إذا أخذه في خفية . يقال أغل - الجازر ، إذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد . والغل : الحقد الكامن في الصدر . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه »<sup>(١)</sup> ، وقوله صلى الله عليه وسلم « هدايا الولاة غلول »<sup>(٢)</sup> ، وعنه « ليس على المستعير غير المغل ضمان »<sup>(٣)</sup> ، وعنه « لا إغلال ولا إسلال »<sup>(٤)</sup> ، ويقال : أغله إذا وجد غالا ، كقولك : أنخلته وأخمته<sup>(٥)</sup> . ومعنى ﴿ وما كان لنبي أن يغل ﴾ وما صح له ذلك ، يعني أن النبوة تنافي الغلول ، وكذلك من قرأ على البناء للفعول فهو راجع إلى معنى الأول ، لأن معناه : وما صح له أن يوجد غالا ، ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا . وفيه وجهان : أحدهما أن يرأسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup> من ذلك وينزهه وينبهه على عصمته

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث عبدالله بن أنيس ، أنه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يوما الصدقة فقال عمر : ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر غلول الصدقة : أنه من غل بعيرا . أرشاه أني به يوم القيامة فقال له عبدالله بن أنيس : بلى ، وفي الصحيحين عن أبي حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عاملا فجاءه العامل حين فرغ من عمله . الحديث : وفيه ، فوالذي نفس محمد بيده لا يعمل أحدكم شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه .

(٢) رواه أحمد ، والبخاري ، والطبراني من حديث أبي حميد الداعدي بلفظ « هدايا العمال » وهو من رواية إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن عروة عنه . قال البخاري : أخطأ فيه إسماعيل سنداً ومتناً . وإنما أراد حديث الزهري عن عروة ، عن أبي حميد باللفظ الماضي . وكذا عده ابن عدى في منكرات إسماعيل بن عياش . وقال عبد الرزاق : حدثنا سفيان الثوري عن أبان بن أبي عياش عن أبي نصيرة عن جابر بلفظ « الهدايا للأمرء غلول » رواه إسحاق أخبرنا وكيع حدثنا سفيان عن حدثه عن أبي نضرة به . قال البخاري : أبان مقروك . ثم ساقه من رواية قيس بن الربيع عن ليث بن أبي سليم . عن عطاء عن جابر به . وأخرجه ابن عدى في ترجمة أحد بن معاوية الباهلي من روايته عن النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقال : هذا حديث باطل . وذكر الطبراني في الأوسط ، أن أحمد بن معاوية تفرد به .

(٣) أخرجه البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وزاد « وليس على المستودع غير المغل ضمان » قال البيهقي : هذا ضعيف والمحمول أنه من قول شرح .

(٤) أخرجه أبو داود وأحمد من رواية الزهري عن عروة عن المسور ومروان في حديث . ورواه الدارمي والطبراني وابن عدى من رواية كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رفعه « لا نهب ولا إسلال ولا إغلال ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة » ورواه ابن زنجويه في الأموال ، وإبراهيم الحارثي في الغريب من رواية موسى بن عبيدة عن أبان بن سلة عن أبيه . وموسى ضعيف .

(٥) قوله « كقولك أنخلته وأخمته » في الصحاح : أخمته : أي وجدته مفحماً لا يقول الشعر . (ع)

(٦) قال محمود : « فيه وجهان : أحدهما أن يكون ذلك تنزيها لرسول الله عليه الصلاة والسلام ... الخ » قال أحد رحمه الله : حل الآية على الوجه الثاني يشهد له ورود هذه الصيغة كثيراً في التنزيل في أمثال قوله تعالى ( ما كان

بأن النبوة والغلول متنافيان ؟ ثلاثين به ظان شيتا منه وألا يستريب به أحد ، كما روى أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر . فقال بعض المناققين : لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها <sup>(١)</sup> . وروى أنها نزلت في غنائم أحد <sup>(٢)</sup> حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا : نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أخذ شيتا فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري ، فقالوا : تركنا بقية إخواننا وقوفا ، فقال صلى الله عليه وسلم : بل ظننتم أنا نفل ولا نقسم لكم : والثاني أن يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روى : أنه بعث طلائع <sup>(٣)</sup> فنسبت غنائم قسمها ولم يقسم للطلائع ، فنزلت . يعني : وما كان للنبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين ، بل عليه أن يقسم بالسوية . وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا ، تغليظا وتقييحا لصورة الأمر ، ولو قرئ (أن يُغل) من أغل بمعنى غل ، لجاز (يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالشئ الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث <sup>(٤)</sup> : « جاء يوم القيامة يحمله على عنقه » <sup>(٥)</sup> ، وروى : « ألا لا أعرفن أحدكم يأتي <sup>(٦)</sup> » يعير له رغاء ويبقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء ، فينادى يا محمد ، يا محمد ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئا فقد باعتهك <sup>(٧)</sup> ، وعن بعض جفاة العرب أنه سرق نالجة مسك ، فتليت عليه الآية

== لنبي أن تكون له أمري ) ، ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للبشر ) ، ( وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ) إلى غير ذلك . على أن الزمخشري حاف في العبارة إذ يقول : عبر عن الحرمان بالغلول تغليظا وتقييحا ، وما كان له أن يعبر عن هذا المعنى بهذه العبارة ، فان عادة لطف الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم في التأديب أن يكون مزموجا بنهاية التخفيف والتلطاف . ألا ترى إلى قوله تعالى ( عفا الله عنك لم أذنت لهم ) قال بعض العلماء : بداه بالعفو قبل العتب . ولو لم يبدأ بالعفو لانتفطر قلبه صلى الله عليه وسلم .

(١) أخرجه الترمذي من حديث خفيف عن معمر بن عابس بلانظ فقال بعض الناس ، وقال حسن . قال وروى عن معمر بن عابس ورواه الطبراني وأبو يعلى وابن عدى والطبري والواحدى كلهم من هذا الوجه . وأعله ابن عدى بخصيف .

(٢) ذكره الثعلبي والواحدى في أسبابه عن السكبي ومقاتل قال ونزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز الخ . (٣) أخرجه ابن أبي شيبة . حدثنا وكيع حدثنا سلة بن نبط . عن الضحاك ، فذكره به وأتم منه . وأخرجه الطبري والواحدى في أسبابه .

(٤) تقدم قبل ستة أحاديث

(٥) قوله : « جاء يوم القيامة يحمله على عنقه » : لعل صدره : من غل شيئا . (ع)

(٦) قوله : « ألا لا أعرفن أحدكم يأتي » ، قوله : « ألا أعرفن » بلفظ المنفى المؤكد بالنون ، ومعناه النهي . أى لا يغفل أحدكم فأعرفه . اهـ سطلاني . (ع)

(٧) رواه علي بن المديني في الملل وأبو يعلى والطبري من رواية حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب في حديث طويل ، وأصله في الصحيحين عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة بلفظ « ألا لا ألين أحدكم يحيى يوم القيامة على رقبتيه يعير له رغاء » . الحديث ،

فقال : إذا أحملها طيبة الريح خفيفة الحمل . ويجوز أن يراد يأتي بما احتمل من وباله وتبعته وإثمه فإن قلت : هلا قيل : ثم يوفى ما كسب ، ليتصل به ؟ قلت : جىء بعامة دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى ، وهو أبلغ وأثبت ، لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيراً أو شراً يجزى فوفى جزاءه ، علم أنه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب (وهم لا يظلمون) أى يعدل بينهم فى الجزاء ، كل جزاؤه على قدر كسبه .

هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)

(هم درجات) أى هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله :

أَنْصَبُ لِلْمَنِيَةِ تَفَتِيرِهِمْ رِجَالِي أَمْ هُوَ دَرَجُ السُّبُولِ (١)

وقيل : ذوو درجات . والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين ، أو التفاوت بين الثواب والعقاب (والله بصير بما يعملون) عالم بأعمالهم ودرجاتها فجازيهم على حسبها (لقد من الله على المؤمنين) على من آمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه . وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه (من أنفسهم) من جنسهم عربياً مثلهم . وقيل من ولد إسماعيل كما أنه من ولده ، فإن قلت : بما وجه المنة عليهم فى أن كان من أنفسهم ؟ قلت : إذا كان منهم كان اللسان واحداً ، فسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله فى الصدق والأمانة ، فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه والوثوق به ، وفى كونه من أنفسهم شرف لهم ، كقوله (ولأنه لذكر لك ولقومك) وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضى الله عنها : من أنفسهم ، أى من أشرفهم . لأن عدنان ذروة ولد إسماعيل ، ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان ، وخندف ذروة مضر ، ومدركة ذروة خندف ، وقريش ذروة مدركة ، وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم . وفيما خطب به أبو طالب فى تزويج خديجة رضى الله عنها - وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر - : الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضى معد وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة

(١) أنشدته سيويه عن ابن هدة . والمعزة الاستفهام ، وهو من تجاهل العارف للتعجب والتحزن . والنصب : الغرض النصب يرمى إليه بالسهام ، وهو كفلس أوفى بالوزن ويجوز أن أصله كمتق فمكن للوزن ، أو ككتب فمكن كذلك . وهذا أوفى بالمعنى . وقد قيل بكل منها . وشبه رجالة به تشبيهاً بليناً من حيث تتابع إصابة كل بالمكروه . وتمتريهم : جملة حالية . ودرج السبول : محلات انحدارها ، شبههم بها لانحاق كل شيئاً فشيئاً .

بيته وسؤاس حرمه ، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكم على الناس . ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فقى من قریش إلا رجح به ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل . وقرئ : لمن من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم . وفيه وجهان : أن يراد لمن من الله على المؤمنين منه أو بعثه إذ بعث فيهم ، فحذف لقيام الدلالة ، أو يكون إذ في محل الرفع كما إذا في قولك : أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائماً ، بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ بعد ما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي ﴿ ويزكهم ﴾ ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث . وقيل : ويأخذهم الزكاة ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ القرآن والسنة بعدما كانوا أجهل الناس وأبعدهم من دراسة العلوم ﴿ وإن كانوا من قبل ﴾ من قبل بعثة الرسول ﴿ لني ضلال ﴾ إن هي الخففة من الثقلية ، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية . وتقديره : وإن الشأن والحديث كانوا من قبل في ضلال ﴿ مبين ﴾ ظاهر لاشبهة فيه .

أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتِجِ الْجَمْعَانِ قِيَادِنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَكُمُ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ قَادَرُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

﴿ أصابتكم مصيبة ﴾ يريد : ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم ﴿ قد أصبتم مثليها ﴾ يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين . و ﴿ لما ﴾ نصب بقلتم . و ﴿ أصابتكم ﴾ في محل الجز بإضافة ﴿ لما ﴾ إليه وتقديره : أقلتم حين أصابتكم . و ﴿ أنى هذا ﴾ نصب لأنه مقول ، والهمزة للتقرير والتقرير . فإن قلت : علام عطفتم الواو هذه الجملة ؟ قلت : على ما مضى من قصة أحد من قوله ﴿ ولقد صدقكم الله وعده ﴾ ويجوز أن تكون معطوفة على محذوف ، كأنه قيل : أفعلمت كذا وقلتم حيثئذ كذا ، أنى هذا : من أين هذا . كقوله تعالى ﴿ أنى لك هذا ﴾ لقوله ﴿ من عند أنفسكم ﴾ وقوله ﴿ من عند الله ﴾

والمعنى : أتم السبب فيما أصابكم ، لاختياركم الخروج من المدينة ، أو لتخليتكم المركز . وعن علي رضي الله عنه : لأخذكم الغداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو قادر على النصر وعلى منعه ، وعلى أن يصيب بكم تارة ويصيب منكم أخرى ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ يوم أحد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين ﴿ف﴾ هو كائن ﴿يَاذَنُ اللَّهُ﴾ أي بتخليته ، استعارة الإذن لتخليته الكفار ، وأنه لم يمنعه منهم ليبتليهم ، لأن الآذن مخل بين المأذون له ومراده ﴿وليعلم﴾ وهو كائن لتمييز المؤمنون والمنافقون ، وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء ﴿وقيل لهم﴾ من جملة الصلة عطف على نافقوا ، وإنما لم يقل فقالوا لأنه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم إلى القتال ، كأنه قيل : فإذا قالوا لهم . فقيل : قالوا : لو نعلم . ويجوز أن تقتصر الصلة على (نافقوا) ، ويكون (وقيل لهم) كلاماً مبتدأ قسم الأمر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون ، وبين أن يقاتلوا إن لم يكن بهم غم الآخرة <sup>(١)</sup> دفعا عن أنفسهم وأهلهم وأموالهم ، فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأساً لنفاقهم ودغلهم <sup>(٢)</sup> وذلك ما روى أن عبد الله بن أبي أنخزل مع حلفائه ، فقيل له ، فقال ذلك . وقيل ﴿أو ادفعوا﴾ العدو بتكثيرهم سواد المجاهدين وإن لم يقاتلوا لأن كثرة السواد بما يروع العدو ويكسر منه . وعن سهل بن سعد الساعدي - وقد كف بصره - : لو أمكنني لبعث داري ولحقت بغير من تغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم . قيل : وكيف وقد ذهب بصرك ؟ قال لقوله (أو ادفعوا) أراد : كثروا سوادهم . ووجه آخر وهو أن يكون معنى قولهم ﴿لو نعلم قتالا﴾ لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً ﴿لا تبعناكم﴾ يعنون أن ما أتم فيه لخطأ رأيكم وزلكم عن الصواب ليس بشيء ، ولا يقال مثله قتال ، إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة ، لأن رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج ﴿هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان﴾ يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أماره تؤذن بكفرهم ، فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا ، تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر . وقيل : هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان ، لأن تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للشركيين ﴿يقولون بأفواههم﴾ لا يتجاوز إيمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تملأ قلوبهم منه شيئا . وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم ، وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم ، خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم لأفواههم ﴿والله أعلم بما يكتمون﴾ من النفاق ، وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم

(١) قوله « غم الآخرة » لعله هم الآخرة . (ع)

(٢) قوله « ودغلهم » في الصحاح : الدغل - بالتحريك - الفساد ، مثل الدخل . (ع)

المؤمنين وتجهلهم وتخطئ رأيهم والشبهة بهم وغير ذلك ، لأنكم تعلمون بعض ذلك علماً بجملاً بأمارات ، وأنا أعلم كله علم حاطة بتفاصيله وكيفياته ﴿الذين قالوا﴾ في إعرابه أوجه : أن يكون نصبا على الذم أو على الرذ على الذين نافقوا ، أو رفعا على هم الذين قالوا أو على الإبدال من واو يكتمون . ويجوز أن يكون مجروراً بدلا من الضمير في بأفواههم أو قلوبهم ، كقوله :

﴿ عَلَى جُودِهِ كَلَّضَ بِالمَاءِ حَاتِمٌ ﴾ <sup>(١)</sup>

﴿إخوانهم﴾ لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار ﴿وقعدوا﴾ أى قالوا وقد قعدوا عن القتال : لو أطاعنا إخواننا فيما أمرناهم به من القعود وواقفونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل ﴿قل فادروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ معناه : قل إن كنتم صادقين فى أنكم وجدتم إلى دفع القتل سيلا وهو القعود عن القتال ، فجدوا إلى دفع الموت سيلا ، يعنى أن ذلك الدفع غير مغن عنكم ، لأنكم إن دفعتم القتل الذى هو أحد أسباب الموت ، لم تقدروا على دفع سائر أسبابه الميثوثة ، ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها . وروى أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا . فإن قلت : فقد كانوا صادقين فى أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم <sup>(٢)</sup> بالقعود ، فما معنى قوله ( إن كنتم صادقين ) ؟ قلت : معناه أن النجاة من القتل

(١) فلما تصافنا الاداءة أجهت إلى غضون العنبرى الجراضم  
جاء مجلود له مثل رأسه ليشرى ماء اقوم بين الصرائم  
على حالة لو أن فى القوم حاتما على جوده لعن بالماء حاتم

للزردق ، يعتذر عما وقع منه فى السفر مع دليله عاصم العنبرى حين ضل الطريق . والتصافن : اقتسام الماء القليل بالصفن ، وهو وعاء صغير لنحو الوضوء . والاداءة : ظرف الماء ، وجمعها ادأوى . وإيقاع التصافن عليها مجاز عقلى لأنها محل الماء الذى اقتسموه . وأقرب منه أنها مجاز مرسل عما فيها . والجش والاجهاش : تضرع الانسان إلى غيره وتنهته للبكاء إليه كالصبي إلى أمه . وغضون الجلد : مكاسره . وروى : هون . وإسناد الاجهاش إليها مجاز عقلى ، لأنها محل ظهور أثره . والجراضم : واسع البطن كثير الأكل . والمراد بالجلود : إناء صلب كبير مثل رأسه ، أى العنبرى . وفيه إشارة إلى حقه ، لأن إفراط الرأس فى العظم أمارة البلاء . وفى الصلاة أيضا إشارة إلى ذلك ، ليشرى : أى لياخذ ماء القوم بين الصرائم ، جمع صريمة وهى منقطع الرمل ، أو قطيع من الابل إشارة إلى أنهم كانوا بمفازة لا ماء بها على حالة ضنكه ، لو ثبت فى تلك الحالة أن حاتما فى اقوم مع جوده المشهور لبخل بالماء . ودعى ، بمعنى دعى ، ويؤيده رواية المبرد فى كامله : دعى ساعة ، وحاتم - بالجر - بدل من ضمير جوده . وفيه تنويه بذكر الاسم وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج .

(٢) قال محمود : « إن قلت فقد كانوا صادقين فى أنهم دفعوا ... الخ ، قال أحد : السؤال المذكور إنما يرد على معتزلى من مثله ، فاتهم يعتقدون أن الموت قد يكون بحلول الأجل ، وقد يكون قبله ، وأن المقتول لولا القتل لاستوفى أجله المكتوب له الزائد على ذلك ، فلا جرم أن الانسان على زعمهم يدفع عن نفسه العارض قبل حلول الأجل بتوق الأسباب الموجبة لذلك ، فعلى ذلك ورد السؤال المذكور . وأما أهل السنة فمعتد بهم أن كل ميت بأجله يموت ، ويقولون : إن الخارجين إلى القتال فى المعركة لم يكن بد من موتهم فى ذلك الوقت ، وأن ذلك الحين هو =

يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره ، لأن أسباب النجاة كثيرة ، وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل ، فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقاتلتكم ؟ وما أنكرتم أن يكون السبب غيره . ووجه آخر : إن كنتم صادقين في قولكم : لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا ، يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين . وقوله ( فادروا عن أنفسكم الموت ) استهزاء بهم ، أي إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت ، فادروا جميع أسبابه حتى لا تموتوا .

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

(ولا تحسبن) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد . وقرئ بالياء على : ولا يحسبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو ولا يحسبن حاسب . ويجوز أن يكون (الذين قتلوا) فاعلا ، ويكون التقدير : ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا ، أي ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا . فإن قلت : كيف جاز حذف المفعول الأول ؟ قلت : هو في الأصل مبتدأ ، حذف كما حذف المبتدأ في قوله (أحياء) والمعنى : هم أحياء لدلالة الكلام عليهما . وقرئ : ولا تحسبن بفتح السين ، وقلوا بالتشديد . وأحياء بالنصب على معنى : بل احسبهم أحياء (عند ربهم) مقرَّبون عنده ذوو زلفى ، كقوله (فالذين عند ربك) . (يرزقون) مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون . وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التمتع برزق الله (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق في الشهادة وماساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم ، من كونهم أحياء مقرَّبين معجلًا لهم رزق الجنة ونعيمها . وعن النبي صلى الله عليه

== وقت حينهم في علم الله عز وجل ، إيمانًا بقوله تعالى (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وخلافا للنافقين والذواقين لهم من المعتزلة في قولهم : لو أطاعونا ما ماتوا . ولعمري إنهم في هذا المعتقد مقلدون لخرزد في قوله : أنا أحيى وأميت ، فإن الأحق ظن أنه يقتل إن شاء فيكون ذلك إمانة ، ويعفو عن القتل فيكون ذلك إحياء ، وغاب عنه أن الذي عفا عن قتله إنما حيى لاستيفاء الأجل الذي كتبه الله له ، وأن الذي قتله إنما مات لآله استوفى تلك الساعة أجله ، والله الموفق .



وسلم ، لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش <sup>(١)</sup> ، (ويستبشرون بـ) إخوانهم المجاهدين (الذين لم يلحقوا بهم) أى لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم . وقيل : لم يلحقوا بهم ، لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم (ألا خوف عليهم) بدل من الذين . والمعنى : ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين ، وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة . بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به . وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقيين بعدهم على ازدياد الطاعة ، والجد في الجهاد ، والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم ، وإحسان لحال من يرى نفسه في خير فيتبنى مثله لإخوانه في الله ، وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب . وكثر (يستبشرون) ليعلق به ما هو بيان لقوله (ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) من ذكر النعمة والفضل ، وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم بحب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع . وقرئ (وأن الله) بالفتح عطفاً على النعمة والفضل . وبالكسر على الابتداء وعلى أن الجملة اعتراض ، وهي قراءة الكسائي . وتعنيها قراءة عبد الله . والله لا يضيع .

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرُّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى دِيَارِهِمْ فَأَتَى الْفَوْزَ الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ آلِ الْفَوْزِ عَلَى الْأَعْيُنِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ (١٧٤)

(الذين استجابوا) مبتدأ خبره (الذين أحسنوا) أوصفة للمؤمنين ، أو نصب على المدح . روى أن أباسفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا <sup>(٢)</sup> وهما بالرجوع ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم ويرهبهم من نفسه وأصحابه قوة ، فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال : لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال ،

(١) أخرجه أبو داود وابن أبي شيبة والحاكم وأبو يعلى والبرار كلهم عن حديث ابن عباس به وأتم منه . قال الدارقطني تفرد به محمد بن إسماعيل بن أمية ، وأصله في مسلم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، بلفظ : أرواحهم في أجواف طير خضر لما قناديل معلقة بالعرش تمرح في الجنة حيث شئت - الحديث ،

(٢) أخرجه ابن إسماعيل في المنازى عن شيوخه ومن طريقه البيهقي في الدلائل فذكره مطولاً

وكان بأصحابه الترح فحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر ، وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا ، فنزلت . و « من ، في » (الذين أحسنوا منهم) للتيين مثلها في قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة) لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا ، لابعضهم . وعن عروة بن الزبير : قالت لى عائشة رضى الله عنها وإن أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول (١) ، تعنى أبا بكر والزيير ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ روى أن أباسفيان نادى (٢) عند انصرافه من أحد . يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن شاء الله ؛ فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران . فألقى الله الرعب في قلبه فبداه أن يرجع ، فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً فقال : يا نعيم ، إني واعدت محمداً أن نلتقي بموسم بدر ، وإن هذا عام جدد ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن ، وقد بدا لى ولكن إن خرج محمداً لم يخرج زاده ذلك جرأة ، فالحق بالمدينة فنبطهم ولك عندى عشر من الإبل ، فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم : ما هذا بالرأى . أتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريداً ، تريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم ، فوالله لا يفلت منكم أحد . وقيل : مر بأبى سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للبيرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوهم ، فكره المسلمون الخروج . فقال صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لا يخرج من ولولم يخرج معى أحد ، فخرج فى سبعين راكباً (٣) وهم يقولون : حسبنا الله ونعم الوكيل . وقيل : هى الكلمة التى قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار . حتى وافرا بدرأ وأقاموا بها ثمانى ليال ، وكانت معهم تجارتان فباعوها وأصابوا خيراً ، ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين . ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق . قالوا : إنما خرجتم لتشربوا السويق . فالناس الاوتلون : المثبطون . والآخرون : أبو سفيان وأصحابه . فإن قلت : كيف قيل (الناس) إن كان نعيم هو المثبط وحده ؟ قلت : قيل ذلك لأنه من جنس الناس ، كما يقال : فلان يركب الخيل ويلبس البرود ، وماله إلا فرس واحد وبرد فرد . أو لأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ، ويصلون جناح كلامه ، ويثبطون مثل تثبطه . فإن قلت : لإلام يرجع المستكن فى ﴿فرادهم﴾ ؟ قلت : إلى

(١) متفق عليه وروى الحاكم فاستدركه .

(٢) ذكره الثعلبى عن مجاهد وهكرمة وسنده إليهما فى أول كتابه . وروى ابن سعد فى الطبقات بعضه .

(٣) أخرجه ابن سعد من طريق ابن إسحق . وموسى بن عقبة وغيرهما . وأخرجه الواقدي فى المغازى . قال

حدثنى الضحاك بن عثمان وعبد الله بن جعفر ومحمد بن عبد الله بن مسلم وابن أبى حبيب وغيرهم . قالوا دأماً أراد أبو سفيان أن ينصرف من أحد ، فذكره مطولاً . قوله وقيل هى الكلمة التى قال إبراهيم حين ألقى فى النار . رواه البخارى من طريق أبى الضحى عن ابن عباس .

المقول الذى هو (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) كأنه قيل: قالوا لهم هذا الكلام فزادهم إيماناً، أو إلى مصدر قالوا، كقولك: من صدق كان خيراً له. أو إلى الناس إذا أريد به نعيم وحده. فإن قلت: كيف زادهم نعيم أو مقوله إيماناً؟ قلت: لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الاسلام، كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم، كما يزداد الإيقان بتناصر الحجج؛ ولأن خروجهم على أثر نثييطه إلى وجهة العدو طاعة عظيمة، والطاعات من جملة الإيمان؛ لأن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل. وعن ابن عمر: قلنا يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص؟ قال: نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة. وينقص حتى يدخل صاحبه النار. (١) وعن عمر رضى الله عنه: أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول: قم بنا نزد إيماناً (٢). وعنه: لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به (٣) ﴿حسبنا الله﴾ بحسبنا، أى كافينا. يقال: أحسبه الشيء إذا كفاه. والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول: هذا رجل حسبك، فتصنف به النكرة؛ لأن إضافته لكونه فى معنى اسم الفاعل غير حقيقة ﴿ونعم الوكيل﴾ ونعم الموكول إليه هو ﴿فانقلبوا﴾ فرجعوا من بدر ﴿بنعمة من الله﴾ وهى السلامة وحذر العدو منهم ﴿وفضل﴾ وهو الربح فى التجارة، كقوله (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم). ﴿لم يمسسهم سوء﴾ لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ بجرأتهم وخروجهم ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا. وفى ذلك تحسير لمن تخلف عنهم، وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء. وروى أنهم قالوا: هل يكون هذا غزواً، فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم.

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

(١) أخرجه الثعلبى من رواية على بن عبد العزيز عن حبيب بن عيسى بن فروخ عن اسماعيل بن عبد الرحمن عن مالك عن نافع عنه.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى الإيمان من رواية رزين عن عبد الله عنه. ورجاله ثقات إلا أنه منقطع. ومن هذا الوجه أخرجه الثعلبى. والبيهقى فى الشعب.

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه فى مسنده من رواية هذيل بن شرحبيل عن عمر وإسناده صحيح وروى مرفوعاً أخرجه ابن عدى من رواية عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما رفقه، لو وضع إيمان أبى بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها، فى إسناده عيسى بن عبد الله بن سليمان وهو ضعيف. قلت: لم يتقدم به بل تأييده عبد الله بن عبد العزيز بن أبى رواد بلفظ. لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجحهم، أخرجه ابن عدى أيضاً. وحديث عمر الموقوف أخرجه أيضاً ابن المبارك فى الزهد. ومعاذ بن المنقرى فى زيادات مسند مسدد.

(الشيطان) خبر ذلكم ، بمعنى : إنما ذلكم المبط هو الشيطان . ويخوف أوليائه : جملة مستأنفة بيان لشيطنته . أو الشيطان صفة لاسم الإشارة . ويخوف الخبر . والمراد بالشيطان نعيم ، أو أبو سفيان . ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف ، بمعنى إنما ذلكم قول الشيطان ، أى قول إبليس لعنه الله (يخوف أوليائه) يخوفكم أوليائه الذين هم أبو سفيان وأصحابه . وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود : يخوفكم أوليائه . وقوله : فلا تخافوهم . وقيل : يخوف أوليائه القاعدین عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن قلت : فإلام رجع الضمير في (فلا تخافوهم) على هذا التفسير ؟ قلت : إلى الناس في قوله (إن الناس قد جمعوا لكم) فلا تخافوهم فتعمدوا عن القتال وتجنبوا (وخافون) فجاهدوا مع رسولى وسارعوا إلى ما يأمركم به (إن كنتم مؤمنين) يعنى أن الإيمان يقتضى أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس (ولا يخشون أحداً إلا الله) .

وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنَ يُضْرُوا اللَّهُ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ  
أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْبًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا  
الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنَ يُضْرُوا اللَّهُ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ حَبِيرٌ لَّا نَفْسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزدَادُوا إِثْمًا  
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨)

(يسارعون في الكفر) يقعون فيه سريعاً ويرغبون فيه أشد رغبة ، وهم الذين نافقوا من المتخلفين . وقيل : هم قوم ارتدوا عن الإسلام . فإن قلت : فإم معنى قوله (ولا يحزنك) ؟ ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد ؟ قلت : معناه : لا يحزنوك لحوف أن أن يضرك ويصنوا عليك . ألا ترى إلى قوله (إنهم لن يضروا الله شيئاً) يعنى أم لا يضرون بمسارعهم في الكفر غير أنفسهم ، وما وبال ذلك عائد على غيرهم . ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله (يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة) أى نصيباً من الثواب (ولهم) بدل الثواب (عذاب عظيم) وذلك أبلغ ماضراً به الإنسان نفسه . فإن قلت : لا يجعل الله لهم حظاً في الآخرة ، وأى فائدة في ذكر الإرادة ؟ قلت : فائدته الإشعار بأن الداعى إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصاً لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر ، تنبهاً على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه ، حتى أن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم (إن الذين اشتروا الكفر

بالإيمان ﴿إِنَّمَا أَنْ يَكُونَ تَكْرِيراً لِّذِكْرِهِمْ لِلتَّائِيدِ وَالتَّسْجِيلِ عَلَيْهِمْ بِمَا أَضَافَ إِلَيْهِمْ . وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ عَامَاً لِلْكَفَّارِ ، وَالْأَوَّلُ خَاصّاً فَيَمُنُ نَافِقٌ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ ، أَوْ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ أَوْ عَلَى الْعَكْسِ . وَ﴿شَيْئاً﴾ نَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى : شَيْئاً مِنَ الضَّرَرِ وَبَعْضُ الضَّرَرِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فَيَمُنُ قَرَأَ بِالتَّاءِ نَصَبَ وَ﴿إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ خَيْرَ لِّأَنْفُسِهِمْ﴾ بَدَلَ مِنْهُ : أَيْ وَلَا تَحْسِبَنَّ أَنَّ مَا نَمْلِي لِلْكَافِرِينَ خَيْرَ لَهُمْ ، وَ«أَنْ» مَعَ مَا فِي حِزِّهِ يَنْوِبُ عَنِ الْمَفْعُولِينَ ، كَقَوْلِهِ : أَمْ تَحْسِبَنَّ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ، وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ ، بَمَعْنَى : وَلَا تَحْسِبَنَّ أَنَّ إِمْلَاءَنَا خَيْرَ ، وَكَانَ حَقُّهَا فِي قِيَاسِ عِلْمِ الْخَطِّ أَنْ تَكْتُبَ مَفْصُولَةً . وَلَكِنَّهَا وَقَعَتْ فِي الْإِمَامِ مُتَّصِلَةً فَلَا يَخَافُ ، وَتَتَّبِعُ سُنَّةَ الْإِمَامِ فِي خَطِّ الْمَصَاحِفِ . فَإِنْ ذَلَّتْ : كَيْفَ صَحَّ مَجْعُوءُ الْبَدَلِ وَلَمْ يَذْكُرْ إِلَّا أَحَدَ الْمَفْعُولِينَ ، وَلَا يَجُوزُ الْاِقْتِصَارُ بِفَعْلِ الْحِسْبَانِ عَلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ ؟ قُلْتُ : صَحَّ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ أَنَّ التَّعْوِيلَ عَلَى الْبَدَلِ وَالْمَبْدَلِ مِنْهُ فِي حَكْمِ الْمُنْجَحِيِّ : أَلَا تَرَكَ تَقُولُ : جَعَلْتُ مَتَاعَكَ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ ، مَعَ امْتِنَاعِ سَكُوتِكَ عَلَى مَتَاعِكَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَقْدَرَ مَضَافٌ مَحْذُوفٌ عَلَى : وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَصْحَابَ أَنْ الْإِمْلَاءَ خَيْرَ لِّأَنْفُسِهِمْ . أَوْ وَلَا تَحْسِبَنَّ حَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ الْإِمْلَاءَ خَيْرَ لِّأَنْفُسِهِمْ . وَهُوَ فَيَمُنُ قَرَأَ بِالْيَاءِ رَفْعاً ، وَالْفِعْلُ مُتَعَلِّقٌ بِأَنْ وَمَا فِي حِزِّهِ . وَالْإِمْلَاءُ لَهُمْ : تَخْلِيَتِهِمْ وَشَأْنُهُمْ ، مُسْتَعَارٌ مِنْ أَمْلَى لِفَرَسِهِ إِذَا أَرَخَى لَهُ الطُّولَ لِيرْعَى كَيْفَ شَاءَ . وَقِيلَ : هُوَ إِمْلَاهُمْ وَإِطَالَةُ عَمَلِهِمْ . وَالْمَعْنَى : وَلَا تَحْسِبَنَّ أَنَّ الْإِمْلَاءَ خَيْرَ لَهُمْ مِنْ مَنَعِهِمْ أَوْ قَطْعِ آجَالِهِمْ ﴿إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ﴾ دَاءٌ هَذِهِ حَقُّهَا أَنْ تَكْتُبَ مُتَّصِلَةً ، لِأَنَّهَا كَافَّةٌ دُونَ الْأَوَّلَى ، وَهَذِهِ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ تَعْلِيلٌ لِلْجُمْلَةِ قَبْلُهَا ، كَأَنَّهُ قِيلَ : مَا بَالُهُمْ لَا يَحْسِبُونَ الْإِمْلَاءَ خَيْرَ لَهُمْ ، فَقِيلَ : إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا . فَإِنْ قُلْتُ : كَيْفَ جَازَ أَنْ يَكُونَ زَيْدِيَادُ الْإِثْمِ غَرَضاً لِّلَّهِ تَعَالَى فِي إِمْلَائِهِ <sup>(١)</sup> لَهُمْ ؟ قُلْتُ : هُوَ عِلَّةٌ لِلْإِمْلَاءِ ، وَمَا كُلُّ عِلَّةٍ بِغَرَضٍ . أَلَا تَرَكَ تَقُولُ : قَعَدْتُ عَنِ الْغَزْوِ لِلْعِجْزِ وَالْفَاقَةِ ، وَخَرَجْتُ مِنَ الْبَلَدِ لِمَخَافَةِ الشَّرِّ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا بِغَرَضٍ لِّكَ . وَإِنَّمَا هِيَ عِلَلٌ وَأَسْبَابٌ ، فَكَذَلِكَ زَيْدِيَادُ الْإِثْمِ جَعَلَ عِلَّةً لِلْإِمْلَاءِ وَسَبَباً فِيهِ . فَإِنْ قُلْتُ : كَيْفَ يَكُونُ زَيْدِيَادُ الْإِثْمِ عِلَّةً لِلْإِمْلَاءِ كَمَا كَانَ الْعِجْزُ عِلَّةً لِلْقُعُودِ عَنِ الْحَرْبِ ؟ قُلْتُ : لَمَّا كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ الْحَيْطُ بِكُلِّ شَيْءٍ أَنَّهُمْ مَزْدَادُونَ إِثْمًا ، فَكَانَ الْإِمْلَاءُ وَقَعَ مِنْ أَجْلِهِ وَبَسْبِيهِ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ . وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ بِكُسْرِ الْأَوَّلَى وَفَتْحِ الثَّانِيَةِ . وَلَا يَحْسِبَنَّ بِالْيَاءِ ، عَلَى مَعْنَى : وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ إِمْلَاءَنَا لَا زَيْدِيَادَ الْإِثْمِ كَمَا يَفْعَلُونَ ، وَإِنَّمَا هُوَ لِيَتَوَبَّوْا وَيَدْخُلُوا فِي الْإِيمَانِ . وَقَوْلُهُ ﴿إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ خَيْرَ لِّأَنْفُسِهِمْ﴾ اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْفِعْلِ وَمَعْمُولِهِ . وَمَعْنَاهُ : أَنَّ إِمْلَاءَنَا خَيْرَ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنْ عَمَلُوا فِيهِ وَعَرَفُوا بِإِنْعَامِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ

(١) قَالَ مُحَمَّدٌ : « إِنْ قُلْتُ : كَيْفَ جَازَ أَنْ يَكُونَ زَيْدِيَادُ الْإِثْمِ غَرَضاً لِّلَّهِ تَعَالَى فِي إِمْلَائِهِ لَهُمْ ... الخ ؟ قَالَ أَحَدٌ : بَنَى الرَّغْشَرِيُّ هَذَا الْجَوَازَ عَلَى شَفَا جَرْفِ هَارِ قَانَهَارٍ ، لِأَنَّ مَعْتَقِدَهُ أَنَّ الْإِثْمَ الْوَاقِعَ مِنْهُمْ لَيْسَ مَرْدّاً لِّلَّهِ تَعَالَى بَلْ هُوَ وَاقِعٌ عَلَى خِلَافِ الْإِرَادَةِ الرَّبَّانِيَةِ ، فَلَمَّا وَرَدَتِ الْآيَةُ مُشِيرَةً بِأَنَّ زَيْدِيَادَ الْإِثْمِ مَرَادٌ لِّلَّهِ تَعَالَى إِشْعَاراً لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ ، أَخَذَ يَعْمَلُ الْحِيلَةَ فِي وَجْهِهِ مِنَ التَّعْطِيلِ التَّزَامَا لَا تَتِمُّ الْقَاسِدُ وَخُرْبِياً فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ ، لِجَمْعِ زَيْدِيَادِ الْإِثْمِ سَبَباً وَلَيْسَ بِغَرَضٍ .

بتفسيح المدة وترك المعالجة بالعقوبة. فإن قلت : فما معنى قوله ﴿ولهم عذاب مهين﴾ على هذه القراءة ؟ قلت : معناه : ولا تحسبوا إن إملأنا لزيادة الإثم وللتعذيب ، والواو للحال ، كأنه قيل : ليزدادوا إثماً معداً لهم عذاب مهين .

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

اللام لتأكيد النفي ﴿على ما أنتم عليه﴾ من اختلاط المؤمنين بالخالص والمنافقين ﴿حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ حتى يعزل المنافق عن الخالص . وقرئ : يميز . من ميز . وفي رواية عن ابن كثير : يميز ، من أماز بمعنى ميز . فإن قلت : لمن الخطاب في ( أنتم ) ؟ قلت : للصدّيقين جميعاً من أهل الإخلاص والتفان ، كأنه قيل : ما كان الله ليذّر المحالّين منكم على الحال التي أنتم عليها . من اختلاط بعضكم ببعض ، وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لا تفافكم على التصديق جميعاً . حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه وإخباره بأحوالكم ، ثم قال ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ أي وما كان الله ليؤقّ أحداً منكم علم الغيوب ، فلا تتوهّموا عند إخبار الرسول عليه الصلاة والسلام بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها ﴿ولكن الله﴾ يرسل الرسول فيوحى إليه ويخبره بأنّ في الغيب كذا ، وأن فلاناً في قلبه النفاق وفلاناً في قلبه الإخلاص ، فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات . ويجوز أن يراد : لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب ، بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخالص الذين امتحن الله قلوبهم . كبذل الأرواح في الجهاد ، وإنفاق الأموال في سبيل الله ، فيجمل ذلك عياراً على عقائدكم وشاهداً بضائركم ، حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال ، لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها ، فإن ذلك مما استأثر الله به . وما كان الله ليطلع أحداً منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعاً عليها ﴿ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ فيخبره ببعض المغيبات ﴿فأمنوا بالله ورسوله﴾ بأن تقدروه حق قدره ، وتعلوه وحده مطلعاً على الغيوب ، وأن تنزلوهم منازلهم بأن تعلوهم عباداً مجتبيين ، لا يعلمون إلا ما علمهم الله ، ولا يخبرون إلا بما أخبرهم الله به من الغيوب ، وليسوا من علم الغيب في شيء . وعن السدي قال الكافرون : إن كان محمد صادقاً فيخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر . فنزلت .

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿١٨٠﴾

﴿ولا تحسبن﴾ من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا، أى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم. وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله، أو ضمير أحد. ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الأول عنده محذوفا تقديره: ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم ﴿هو خيرا لهم﴾ والذى سوغ حذفه دلالة (يبخلون) عليه، وهو فصل. وقرأ الأغش بخير هو ﴿سيطوقون﴾ تفسير لقوله ﴿هو شر لهم﴾ أى سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق. وفى أمثالهم: تقلدها طوق الحماة، إذا جاء بهته يسب بها ويندم. وقيل: يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها فى عنقه يوم القيامة، تهشه من قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول: أنا مالك. وعن النبي صلى الله عليه وسلم فى مانع الزكاة: يطرق بشجاع أقرع<sup>(١)</sup>، وروى بشجاع أسود. وعن الذخعي سيطوقون بطوق من نار ﴿والله ميراث السموات والأرض﴾ أى وله ما فيها بما يتوارثه أهلها من مال وغيره فالهم يبخلون عليه بملكو ولا ينفقونه فى سبيله. ونحوه قوله (وأنفقوا بما جعلكم مستخلفين فيه) وقرئ ﴿بما تعملون﴾ بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات، وهى أبلغ فى الوعيد والياء على الظاهر.

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَعِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾

قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا، فلا يخلو إما أن يقولوه عن اعتقاد لذلك، أو عن استهزاء بالقرآن، وأيهما كان فالكلمة عظيمة لاتصدر إلا عن متمردين فى كفرهم. ومعنى سبأع الله له: أنه لم يخف عليه، وأنه أعدله كفاه من العقاب ﴿سنكتب ما قالوا﴾ فى صحائف الحفظ. أو سنحفظه ونثبتته فى علمنا لانساه كما ثبت المكتوب فإن قلت: كيف قال (لقد سمع الله) ثم قال (سنكتب) وهلا قيل: ولقد كتبنا؟ قلت: ذكر وجود

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة رفعه «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل ماله بشجاع أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة».

السمع أولاً مؤكداً بالقسم ثم قال : سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا أبداً إثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء . وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له لإدانا بأنهما في العظم أخوان ، وبأن هذا ليس بأول ما ركبه من العظائم . وأنهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق ، وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجترار على مثل هذا القول . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر رضى الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً (١) ، فقال فنحاص اليهودى : إن الله فقير حين سألنا القرص فلفطه أبو بكر في وجهه وقال : لولا الذى بيننا وبينكم من العهد اضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد ما قاله ، فنزلت . ونحوه قولهم ( يد الله مغلوله ) ( ونقول ) لهم ﴿ ذوقوا ﴾ ومنتقم منهم بأن نفول لهم يوم القيامة : ذوقوا ﴿ عذاب الحريق ﴾ كما أذقتم المسلمين الغصص . يقال للنتقم منه : أحس ، وذق . وقال أبو سفيان لحزرة (٢) رضى الله عنه : ذق عقق (٣) وقرأ حمزة : سيكتب ، بالياء على البناء للمفعول ، ويقول بالياء . وقرأ الحسن والأعرج : سيكتب بالياء وتسمية الفاعل . وقرأ ابن مسعود : ويقال ذوقوا ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ما تقدم من عقابهم وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاوّل بهن ، فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب فإن قلت : فلم عطف قوله ﴿ وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ على ما تقدمت أيديكم ، وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكاً لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب ؟ قلت : معنى كونه غير ظلام للعبيد أنه عادل عليهم ومن العدل أن يعاقب المسمى منهم ويثيب المحسن .

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ رَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيََنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ  
النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَى الذِّى قُلْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا  
بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤)

(١) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق ، حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس . فذكره مطولاً

(٢) ذكره ابن إسحاق في المغازى قال : وكان الجليل بن زياد الكنانى سيد الأحابيش مر بأبي سفيان وهو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب بزج الرح ويقول « ذق عقق » ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الدارقطى في المؤتلف .

(٣) قوله : « حمزة رضى الله عنه : ذق عقق » في الصحاح : عاق وعقق ، مثل عامر وهر . وذق عقق : أى ذق جزاء فعلك يا عاق . (ع)



﴿عهد إلينا﴾ أمرنا في التوراة وأوصانا بأن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة ، وهو أن يريتنا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله ، كما كان أنبياء بني إسرائيل تلك آيتهم ، كان يقرب بالقربان ، فيقوم النبي فيدعو ، فتنزل نار من السماء فتأكله ، وهذه دعوى باطلة واقراء على الله ، لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان للرسول الآتي به إلا لكونه آية ومعجزة فهو إذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز أن يعينه الله تعالى من بين الآيات . وقد ألزمهم الله أن أنبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي أوجبت عليهم التصديق ، و جاؤهم أيضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم إن كانوا صادقين أن الإيمان يلزمهم بإتيانها وقرئ (بقربان) بضمين . ونظيره السلطان . فبن قلت : مامعنى قوله ﴿وبالذي قلتم﴾ ؟ قلت : معناه ، وبمعنى الذي قتلتموه من قولكم : قربان تأكله النار . ومؤذاه كقوله (ثم يعودون لما قالوا) أى لمعنى ما قالوا . فى مصاحف أهل الشام : وبالزبر وهى الصحف ﴿والكتاب المنير﴾ التوراة والإنجيل والزبور . وهذه تسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود .

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ  
عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)  
وقرأ الزيدى (ذائقة الموت) على الاصل . وقرأ الاعمش (ذائقة الموت) بطرح التنوين  
مع النصب كقوله :

\* وَلَا ذَاكِرَ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا \* (١)

فإن قلت : كيف اتصل به قوله ﴿وإنما توفون أجوركم﴾ ؟ قلت : اتصاله به على أن كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم ، وإنما توفونها يوم قيامكم من القبور . فإن قلت فهذا يؤهم نفى ما يروى أن القبر روضة من رياض الجنة

(١) فذكرته ثم عاتبته عتاباً رقيقاً وقولا جميلاً  
فألفيته غير مستعجب ولا ذاكراً لله إلا قليلاً

لأبي الأسود الدؤل ، كان يجلس إلى فناء امرأة جميلة بالبصرة فقالت له : هل لك أن تزوج بك ؟ فاني حيدة الخصال وكيت وكيت . فقال : نعم وتزوجها من أهلها ، فوجدتها بضد ما قالت ، فعاتبها وخطب أهلها بشعر منه ذلك ، ثم طلقها أماسهم . وكفى بضمير المذكر عنها استحياء . أى فذكرتها بما قالت وعاتبها على ما فعلت عتاباً حسناً ، فوجدتها غير قابلة منى عتاباً . ولفظ الجلالة نصب بذاكر ، وحذف تنوينه مع أنه غير مضاف تشبيهاً بمحذوفون التوكيد الحقيقية لملاقاة الساكن . أو بتنوين العلم الموصوف بإبن مضافاً إلى علم . وذاكر : عطف على مستعجب . ولا ، زائدة لتوكيد النفي ، ولم يضاف ذاكر إلى الله ليتمحض للتشكيك كالذى قبله ، وليكون أبلغ في النفي ؛ لأن الاضافة قد تفيد أن شأنه الذكر ، فيتوهم أن النفي هو الفأنية لا أصل الذكر .

أوحفرة من حفر النار<sup>(١)</sup> . قلت : كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها<sup>(٢)</sup> يكون ذلك اليوم ، وما يكون قبل ذلك فبعض الأجور . الزحزحة : التنحية والإبعاد تكرير الزح ، وهو الجذب بعجلة ﴿ فقد فاز ﴾ فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاض به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمذ ، ونيل رضوان الله والنعيم المخلد . اللهم وفقنا لما ندركه به عندك الفوز في المآب . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر ، ويأتى إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه<sup>(٣)</sup> » وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد . شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويفتر حتى يشتريه ثم يتبين له فساد ورياء . والشيطان هو المدلس الغرور . وعن سعيد بن جبير : إنما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ ، خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الأذى والشدائد والصبر عليها ، حتى إذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من يصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه .

كُتِبُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ

### عَزَمَ الْأُمُورَ ١٨٦

وبالبلاء في الأنفس : القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب . وفي الأموال : الإنفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات . وما يسمعون من أهل الكتاب<sup>(٤)</sup> المطاعين في الدين الخفيف ، وصد من أراد الإيمان ، وتخطئة من آمن . وما كان من كعب بن الأشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين ، ومن فتحاص ،

(١) أخرجه الترمذى من حديث أبي سعيد وهو ضعيف . ورواه الطبرانى فى الأوسط فى ترجمة مسعود بن محمد الرملى بإسناده إلى أبى هريرة وقال : لم يروه عن الأوزاعى إلا أيوب بن سويد . تفرد به ولده محمد عنه . قلت : وهو ضعيف .

(٢) قال مجاهد : « لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها يكون . . . الخ » قال أحمد : هذا كما ترى صريح فى اعتقاده حصول بعضها قبل يوم القيامة ، وهو المراد بما يكون فى القبر من نعيم وعذاب . ولقد أحسن الزمخشري فى مخالفة أصحابه فى هذه الدقيقة ، فانهم يصحدون عذاب القبر ، وما هو قد اعترف به ، والله الموفق .

(٣) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فى حديث طويل

(٤) قوله « وما يسمعون من أهل الكتاب » بقى ما يسمعون من الذين أشركوا . (ع)

ومن بنى قريظة والنضير (فإن ذلك) فإن الصبر والتقوى (من عزم الأمور) من معزومات الأمور، أى ما يجب العزم عليه من الأمور أو بما عزم الله أن يكون، يعنى أن ذلك عزمة من عزومات الله لا بد لكم أن تصبروا وتتقوا.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّذُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّضُوا مَا بَشَرُوا ۖ (١٨٧)

(وإذ أخذ الله) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لتبينه) الضمير للكتاب. أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانها كما يؤكد على الرجل إذا عزم عليه وقيل له. الله لتفعلن (فنبذوه وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم، يعنى لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه. والتبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد، ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين عينيه، وكفى به دليلة على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتُموا منه شيئاً لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة، وتطبيب لنفوسهم، واستجلاب لمساوئهم، أو لجز منفعة وحطام دنيا، أو لتقية: بما لا دليل عليه ولا أمانة أو لبخل بالعلم، وغيره أن ينسب إليه غيرهم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم «من كتم علماً عن أهله ألجم بلجام من نار»<sup>(١)</sup> وعن طاووس أنه قال

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من رواية علي بن الحكم الباقى عن عطاء عن أبي هريرة بلفظ «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار» أخرجه أبو داود من رواية حماد بن سلمة، والآخران من رواية حمارة بن زاذان كلاهما عن علي، ورجال أبي داود ثقات. لكن له علة. رواه عبد الوارث عن علي بن الحكم عن رجل عن عطاء. ويقال: إن هذا المهم حجاج بن أرطاة، وفي رواية ابن ماجه التصريح بسامع علي بن عطاء. لكن حمارة ضعيف. ولحديث أبي هريرة طريق أخرى حسنها ابن القطان فذكره من رواية قاسم بن أصبغ عن أبي الأحوص وهو المكبري عن ابن السرى عن مثنى عن أبيه عن عطاء به، وابن أبي السرى له أوهام، وكأنه دخل عليه حديث في حديث. ورواه الطبراني في الأوسط من طريق جابر الجعفي عن الشعبي عن عطاء به، وجابر ضعيف، وله طرق كثيرة عن أبي هريرة أوردتها ابن الجوزي في الملل المتناهية. وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم من طريق ابن وهب عن عبد الله بن عباس عن أبيه عن أبي عبد الرحمن الحبلي عنه، وعن ابن عباس أخرجه الطبراني والعقيلي وفيه معمر بن زائدة قال العقيلي: لا يتابع عليه. وله طريق أخرى قاله أبو يعلى: حدثنا زهير حدثنا يونس بن محمد حدثنا أبو عروانة عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وأخرجه ابن الجوزي من طريقين آخرين وضعفهما. وعن أنس، رواه ابن ماجه من طريق يوسف بن ابراهيم سمعت أنساً به وأخرجه ابن الجوزي من طريقين آخرين وضعفهما أيضاً. وعن ابن مسعود وطلق بن علي كلاهما في الطبراني. وعن جابر وعائشة كلاهما عند العقيلي. وعن ابن عمر عند ابن عدى. وعن أبي سعيد الخدري عن أبي يعلى وأسانيدها كلها ضعيفة. وعن عمرو بن عتبة أخرجه ابن الجوزي بلفظ «فقد برى» من الاسلام، وإسناده ضعيف أيضاً. قال الامام أحمد: لا يصح في هذا الباب شيء (تنبيه) ليس في شيء من طريقه «عن أهله»

لوهب : إني أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب . وقال : والله لو كنت نبيا فكنت العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك ، وعن محمد بن كعب : لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على عليه <sup>(١)</sup> ولا يحل لجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل . وعن علي رضي الله عنه . ما أخذ الله على أهل الجاهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا <sup>(٢)</sup> . وقرئ : ليدينه . ولا يكتمنونه ، بالياء ، لأنهم غيب . وبالتالي ، على حكاية مخاطبتهم ، كقوله ( وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن )

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا

تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)

( لا تحسبن ) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وأحد المفعولين ( الذين يفرحون ) والثاني ( بمفازة ) وقوله ( فلا تحسبنهم ) تأكيد تقديره : لا تحسبنهم ، فلا تحسبنهم فآئرين . وقرئ : لا تحسبن . فلا تحسبنهم ، بضم الباء على خطاب المؤمنين . ولا يحسبن . فلا يحسبنهم ، بالياء وفتح الباء فيهما ، على أن الفعل للرسول . وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني ، على أن الفعل للذين يفرحون ، والمفعول الأول محذوف على : لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة ، بمعنى : لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فآئرين ، وفلا يحسبنهم ، تأكيد . ومعنى ( بما أتوا ) بما فعلوا . وأتى وجه ، يستعملان بمعنى فعل . قال الله تعالى ( إنه كان وعده مأتيا ) ، ( لقد جئت شيئا فريا ) . ويدل عليه قراءة أبي : يفرحون بما فعلوا . وقرئ : آتوا ، بمعنى أعطوا . وعن علي رضي الله عنه : بما أتوا . ومعنى ( بمفازة من العذاب ) بمنجاة منه . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه <sup>(٣)</sup> ، وأروه أنهم قد صدقوه ، واثتمدوا إليه ، وفرحوا بما فعلوا ، فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم : أي : لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا - من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه - ناجين من العذاب . ومعنى ( يفرحون بما أتوا )

(١) قوله « على عليه » لعل بعده سقطا تقديره « حتى يعلم » . (ع)

(٢) رواه الحرث بن أبي أسامة أخبرنا عبد الوهاب الحفافي حدثنا الحسن بن حمارة حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزار : سمعت عليا يقول فذكره والحسن متروك ، ومن طريق الحرث رواه الثعلبي ورويناه في جزء النزاع قال : كتب الحرث بن أسامة فذكره ، وذكره ابن عبد البر في العلم . قال : ويروى عن علي . وذكره صاحب الفردوس عن علي . فكأنه وقف عليه مرفوعا .

(٣) متفق عليه من رواية حميد بن عبد الرحمن أن مروان قال لبوايه : يا رافع اذهب إلى ابن عباس فقل له لئن كان امرؤ منا فرح بما أوتي وحده بما لم يفعل عذب لعذبن جميعا . فقال ابن عباس رضي الله عنهما : إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب ، أتاه اليهود فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه . . . الحديث .

بما أوتوه من علم التوراة . وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا من اتباع دين إبراهيم حيث ادعوا أن إبراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه . وقيل : هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قفل اعتذروا إليه بأنهم رأوا المصلحة في التخلف ، واستحمدوا إليه بترك الخروج . وقيل : هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين ومناقضتهم وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ، ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لإبطانهم الكفر . ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ، ويجب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه .

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾  
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُوْدًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فهو يملك أمرهم . وهو على كل شيء قدير ، فهو يقدر على عقابهم (لَآيَاتٍ) لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته (لأولي الأبواب) للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر . وفي النصائح الصغار : املأ عينيك من زينة هذه الكواكب ، وأجلهما في جملة هذه العجائب ، متفكرا في قدرة مقدرها ، متدبرا حكمة مدبرها ، قبل أن يسافر بك القدر ، ويحال بينك وبين النظر . وعن ابن عمر رضي الله عنهما : قلت لعائشة رضي الله عنها : أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، <sup>(١)</sup> فبكت وأطالت ، ثم قالت : كل أمره عجيب ، أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي ، ثم قال : يا عائشة ، هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربّي ؟ فقلت : يا رسول الله ، إني لأحب قربك وأحب هواك ، قد أذنت لك . فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ، ثم قام يصلي ، فقرأ من القرآن فجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ، ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي ، ثم رفع يديه فجعل يبكي

(١) أخرجه ابن حبان من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء : دخلت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير على عائشة ، فقالت : قد آن لك أن تزورنا ، فقال : أقول كما قال الأول : زر غيا تزدد حبا ، فقالت : دعونا من بطالتكم هذه . ثم قال ابن عمر لعائشة : أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث بطوله ورواه عبد بن حميد ، والتهامي وغيرهم من رواية أبي جناب الكلبي عن عطاء قال : دخلت أنا وابن عمر على عائشة فقال لها ابن عمر أخبريني... فذره.

حتى رأيت دموعه قد بليت الأرض ، فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له : يا رسول الله ، أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً . ثم قال : ومالي لأبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة (إنّ في خلق السموات والأرض) ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها . وروى : « ويل لمن لا كهاين فكيه ولم يتأملها »<sup>(١)</sup> وعن علي رضي الله عنه : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يتسوّك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول (إنّ في خلق السموات والأرض)<sup>(٢)</sup> . وحكى أنّ الرجل من بني إسرائيل كان إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلمت سمحاته ، فعبدها فتي من فتيانهم فلم تظله ، فقالت له أمته : لعلّ فرطه فرطت منك في مدتك ؟ فقال : ما أذكر . قالت : لعلك نظرت مرّة إلى السماء ولم تعتبر ؟ قال : لعل . قالت : فما أتيت إلا من ذاك ﴿الذين يدكرون الله﴾ ذكر أدباً على أي حال كانوا ، من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في أغلب أحوالهم . وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلّى فجعلوا يذكرون الله ، فقال بعضهم : أما قال الله تعالى (يذكرون الله قياماً وقعوداً) فقاموا يذكرون الله على أقدامهم . وعن النبي صلى الله عليه وسلم « من أحبّ أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله »<sup>(٣)</sup> ، وقيل : معناه يصلون في هذه الأحوال على حسب استطاعتهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين « صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب » ، تومئ إيماء<sup>(٤)</sup> ، وهذه حجة للشافعي رحمه الله في إضجاع المريض على جنبه كما في اللحد . وعند أبي حنيفة رحمه الله أنه يستلقى حتى إذا وجد خفة قعد . ومحل ﴿على جنوبهم﴾ نصب على الحال عطفاً على ما قبله ، كأنه قيل : قياماً وقعوداً ومضطجعين ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها ومادبر فيها بما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه على عظم<sup>(٥)</sup> شأن الصانع

(١) رواه ابن مردويه في تفسير سورة الروم من رواية أبي جناب عن عطاء عن عائشة قالت « لما نزلت هذه الآية (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويح لمن لا كهاين فكيه ثم لم يتفكر فيها »

(٢) رواه الثعلبي من طريق حماد عن حجاج عن حبيب بن أبي ثابت عن محمد بن علي بن أبي طالب عن علي وأصله في المنفق عليه من حديث ابن عباس .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة وإسحاق والطبراني من حديث معاذ وفي إسناده موسى بن عبيدة وهو ضعيف . وأخرجه الثعلبي في تفسير التنكبوت ، وابن مردويه في تفسير الواقعة .

(٤) أخرجه البخاري وأصحاب السنن ، من حديث عمران بن حصين . قال « كانت في بواسير - فذكر الحديث » وليس في آخره يومئ - إيماء ، وأورده صاحب الهداية - كما أورده الرخنصري .

(٥) قوله « على عظم » الله من عظم ... الخ ، فيكون لو أن ما يدل عليه . (ع)

وكبيراً سلطاناً . وعن سفيان الثوري أنه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء ، فلما رأى الكواكب غشى عليه ، وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته . وعن النبي صلى الله عليه وسلم « بينا رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال : أشهد أن لك رباً وخالقاً ، اللهم اغفر لي ، فنظر الله إليه فغفر له ، <sup>(١)</sup> وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا عبادة كال تفكر <sup>(٢)</sup> » ، وقيل : الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الحشية كما يحدث الماء للزرع النبات ، وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استتارت بمثل الفكرة . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل أهل الأرض » <sup>(٣)</sup> قالوا : وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله الذي هو عمل القلب ، لأن أحداً لا يقدر أن يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل أهل الأرض « ما خلقت هذا باطلاً » على إرادة القول . أى يقولون ذلك وهو في محل الحال ، بمعنى يتفكرون فائلين . والمعنى : ما خلقت خلقاً باطلاً بغير حكمة ، بل خلقتها لداعى حكمة عظيمة ، وهو أن تجعلها مساكناً للكافرين وأدلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ؛ ولذلك وصل به قوله « فقنا عذاب النار » لأنه جزاء من عصى ولم يقطع . فإن قلت : هذا إشارة إلى ماذا ؟ قلت : إلى الخلق على أن المراد به المخلوق ، كأنه قيل : ويتفكرون في مخلوق السموات والأرض ، أى فيما خلق منها . ويجوز أن يكون إشارة إلى السموات والأرض ؛ لأنها في معنى المخلوق . كأنه قيل : ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلاً . وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) ويجوز أن يكون باطلاً حالاً من هذا . وسبحانك : اعتراض للتنزيه من العبث ، وأن يخلق شيئاً بغير حكمة .

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ <sup>(١٩٢)</sup>  
 رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا  
 ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ <sup>(١٩٣)</sup> رَبَّنَا وَآمِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى  
 رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ <sup>(١٩٤)</sup>

(١) أخرجه الثعلبي من رواية زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة وفي إسناد من لا يعرف .  
 (٢) أخرجه ابن حبان في الضعفاء ، والبيهقي في الشعب من رواية أبي رجاء محمد بن عبد الله الخرطبي من أهل مصر عن شعبة عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه أنه قال لابنه الحسن « يا بني ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا مال أعوز من العقل ، ولا فقر أشد من الجهل ، ولا عقل كالتدبير ، ولا ورع كحسن الخلق ، ولا عبادة كال تفكر . . . الحديث بطوله » وأبو رجاء ، قال البيهقي : ليس بالقوى ، وقال ابن حبان يروى عن الثقات ما ليس من حديث الأئمة .  
 (٣) لم أجده .

﴿فقد أخزيت﴾ فقد أبلغت في إخزائه . وهو نظير قوله فقد فاز . ونحوه في كلامهم : من أدرك مرعى الصمان <sup>(١)</sup> فقد أدرك ، ومن سبق فلانا فقد سبق ﴿وما للظالمين﴾ اللام إشارة إلى من يدخل النار وإعلام بأن من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعاة ولا غيرها <sup>(٢)</sup> ، تقول : سمعت رجلاً يقول كذا ، وسمعت زيدا يتكلم . فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع ، لأنك وصفته بما يسمع ، أو جعلته حالاً عنه فأغناك عن ذكره ، ولولا الوصف أو الحال لم يكن منه بد ، وأن يقال سمعت كلام فلان أو قوله . فإن قلت : فأى فائدة في الجمع بين المنادى وينادى ؟ قلت : ذكر النداء مطلقاً ثم مقيداً بالإيمان تفخيماً لشأن المنادى ؛ لأنه لامنادى أعظم من مناد ينادى للإيمان . ونحوه قولك : مررت بهادي للإسلام . وذلك أن المنادى إذا أطلق ذهب الهم إلى مناد للحرب ، أو لإطفاء النائرة ، أو لإغاثة المكروب ، أو لكفاية بعض التوازل ، أو لبعض المنافع ، وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الرأي وغير ذلك ؛ فإذا قلت : ينادى للإيمان ، ويهدي للإسلام ، فقد رفعت من شأن المنادى والهادى ونجّمته . ويقال : دعاه لكذا وإلى كذا ، وندبه له وإليه ، وناداه له وإليه . ونحوه : هداه للطريق وإليه ، وذلك أن معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعاً ، والمنادى هو الرسول (أدعو إلى الله) ، (ادع إلى سبيل ربك) . وعن محمد بن كعب : القرآن . ﴿أن آمنوا﴾ أى آمنوا ، أو بأن آمنوا ﴿ذنوبنا﴾ كبائرنا ﴿سيئاتنا﴾ صفائنا ﴿مع الأبرار﴾ مخصوصين بصحبته ، معدودين في جملتهم . والأبرار : جمع برّ أو بار ، كبر وأرباب ، وصاحب وأصحاب ﴿على رسلك﴾ على هذه صلة للوعد ، كما في قولك : وعد الله الجنة على الطاعة . والمعنى : ما وعدتنا على تصديق رسلك . ألا تراه كيف أتبع ذكر المنادى للإيمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف ، أى ما وعدتنا منزلاً على رسلك ، أو محمولا على رسلك ، لأن الرسل محمولون ذلك (فإنما عليه ماحل) وقيل : على السنة رسلك . والموعود هو الثواب . وقيل : النصر على الأعداء . فإن قلت : كيف دعوا الله بإنجاز ما وعد الله لا يخلف الميعاد ؟ قلت : معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد أو هو باب من اللجأ إلى الله والخضوع له ، كما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون مع عليهم أنهم مغفور لهم ، يقصدون بذلك

(١) قوله « من أدرك مرعى الصمان » في الصحاح : موضع إلى جنب رمل عاج . وعالج : موضع بالبادية

به رمل . (ع)

(٢) قوله « فلا ناصر له بشفاعاة ولا غيرها » هذا عند المعتزلة . أما عند أهل السنة ، فن يدخل النار من

المؤمنين يخرج بالشفاعة أو بالمغفرة ، كما حقق في محله . (ع)



التذلل لربهم والتضرع إليه ، واللجأ الذي هو سبيل العبودية .

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى  
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِ  
وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا لَا كُفْرًا عَنْهُمْ سَيِّئِهِمْ وَلَا دُخْلًا لَهُمْ جَنَّةٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)

يقال استجاب له واستجابه :

• فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ • (١)

﴿ أنى لا أضيع ﴾ قرئ بالفتح على حذف الباء ، وبالكسر على إرادة القول . وقرئ :  
لا أضيع ، بالتشديد ﴿ من ذكر أو أنثى ﴾ بيان لعامل ﴿ بعضكم من بعض ﴾ أى يجمع ذكر وركم  
وإناثكم أصل واحد ، فكل واحد منكم من الآخر ، أى من أصله ، أو كأنه منه لقرط اتصالكم  
واتحادكم . وقيل المراد وصلة الإسلام . وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال  
فيما وعد الله عباده العاملين . وروى أن أم سلمة قالت : يا رسول الله ، إني أسمع الله تعالى يذكر  
الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء (١) . فنزلت ﴿ فالذين هاجروا ﴾ تفصيل لعمل العامل منهم على  
سبيل التعظيم له والتفخيم ، كأنه قال : فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة ، وهى المهاجرة  
عن أوطانهم قازين إلى الله بدينهم من دار الفتنه ، واضطروا إلى الخروج من ديارهم التى ولدوا  
فيها ونشؤوا بها سامهم (٢) المشركون من الحنف (وأودوا فى سبيلى) من أجله وبسببه ، يريد

(١) وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذلك مجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبى المغوار منك قريب

لكعب بن سعد الغنوى ، يرى أماء هرم وكنينة أبو المغوار . و « جهرة » مفعول مطلق مؤكد . و « أبى »  
مجرور بلعل ، وهى لنة عقيل . واستعمال لعل فى الأمر البعيد - مع أنها الرجاء والقرب - داليل على شدة وله وتنزيله  
البعيد منزلة القريب . وروى : « لعل أبى المغوار » على اللفظة المشهورة . يقول : ورب داع إلى المكارم لم يجبه  
أحد فقلت له : ادع مرة أخرى برفع صوتك ، لعل أخى يكون قريباً فيجيبك على عادته ، فانه كثيراً ما يطلب معال  
الأمور . وهذا من باب التخييل ، لأنه لا داعى فى الواقع .

(٢) أخرجه الترمذى ، من رواية عمرو بن دينار أخبرنى سلة - رجل من ولد أم سلة رضى الله عنها - قال  
قالت أم سلة .

(٣) قوله « بما سامهم » فى الصحاح : يقال سامه الحنف ، وسامه خسفاً ، وخسفاً أيضاً بالضم : أى  
أولاه ذلاً . (ع)

سبيل الدين ﴿وقاتلوا وقتلوا﴾ وغزوا المشركين واستشهدوا . وقرئ : وقتلوا ، بالتشديد . وقتلوا وقتلوا - على التقديم - بالتخفيف والتشديد . وقتلوا ، وقتلوا ، على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول . وقتلوا ، وقتلوا ، على بناءهما للفاعل ﴿ثوابا﴾ في موضع المصدر المؤكد بمعنى إثابة أو ثواباً ﴿من عند الله﴾ لأن قوله ﴿لا كفرن عنهم ..... ولا دخلنهم﴾ في معنى . لا ثيبنهم . ﴿وعنده﴾ مثل : أن يختص به وبقدرته وفضله ، لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه ، كما يقول الرجل : عندي ماتريد ، يريد اختصاصه به وبملكه وإن لم يكن بحضرته . وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يتהל إليه ويتضرع . وتكرير ﴿ربنا﴾ من باب الإبهال ، وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة ، من احتمال المشاق في دين الله ، والصبر على صعوبة تكاليفه ، وقطع لأطاع الكسالى المتمنين عليه ، وتسجيل على من لا يرى الثواب<sup>(١)</sup> موصولا إليه ، بالعمل بالجهل والغباوة . وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه : من حزه أمر فقال خمس مرات ﴿ربنا﴾ أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد ، وقرأ هذه الآية . وعن الحسن : حكى الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات ﴿ربنا﴾ ثم أخبر أنه استجاب لهم ، إلا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به ، فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء .

لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعْ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ  
وَيَنْشَأَ الْإِمْهَادُ ﴿١٩٧﴾

(لا يغررك) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ، أى لا تنتظر إلى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل وإصابة حظوظ الدنيا ، ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبس ظلمهم في الأرض ، وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون<sup>(٢)</sup> . وعن ابن عباس : هم أهل مكة . وقيل : هم اليهود . وروى أن أناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون : إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد . فإن قلت : كيف جازأن يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى ينهى عن الاغترار

(١) قوله « وتسجيل على من لا يرى الثواب » يريد أهل السنة اقاتلين يجوز على الله أن يتفضل على العبد بدون عمل ولا يجب عليه إثابة العامل . وقد حقق في محله . (ع)

(٢) قوله « ويتجرون ويتدهقنون » يتملؤون ويتمتعون بلين الطعام وطيب الشراب . أفاده الصجاح ، في مادة دهق ، ومادة دهق . والأوفق بما في الصجاح : يتدهقنون ، حيث قال : قال الأصمى : الدهمة : لين الطعام وطيبة ورقته . وحديث عمر « لو شئت أن يدمق لى لفعلت ، ولكن الله عاب قوما فقال : أذهبتم طيباتكم ... الآية » ولم يذكر الدهمة بهذا المعنى تصريحاً . (ع)

به ؟ قلت : فيه وجهان أحدهما أن مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعاً ، فكأنه قيل : لا يفرنكم . والثاني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير منور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه ، كقوله ( ولا تكن من الكافرين ) ، ( ولا تكونن من المشركين ) ، ( ولا تطع المكذبين ) وهذا في النهي نظير قوله في الأمر ( اهدنا الصراط المستقيم ) ، ( يا أيها الذين آمنوا آمنوا ) وقد جعل النهي في الظاهر للقلب وهو في المعنى للمخاطب ، وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب ، لأن القلب لو غره لا غتر به ، فمنع السبب ليمتنع المسبب . وقرئ : لا يفرنك بالنون الحفيفة ( متاع قليل ) خبر مبتدأ محذوف ، أى ذلك متاع قليل وهو القلب في البلاد ، أراد قلته في جنب ما فانهم من نعيم الآخرة ، أوفى جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب ، أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بهم يرجع <sup>(١)</sup> . ( وبئس المهاد ) وساء ما مهدوا لأنفسهم .

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ <sup>(١٩٨)</sup>

النزل والنزل : ما يقام للنازل . وقال أبو الشعراء الضبي :

وَكَُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ بِالْجَيْشِ ضَافِنَا جَعَلْنَا الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ لَهُ نُزُلًا <sup>(٢)</sup>

وانتصابه إما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام : ويجوز أن يكون بمعنى مصدر <sup>(٣)</sup> مؤكد ، كأنه قيل : زرقاه ، أو عطاء ( من عند الله وما عند الله ) من الكثير الدائم ( خير الأبرار ) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل ، وقرأ مسلمة بن محارب والأعمش ( نزلاً ) بالسكون . وقرأ يزيد بن القعقاع : لكن الذين اتقوا ، بالتشديد .

وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ

(١) أخرجه مسلم من حديث المستورد بن شداد به .

(٢) لأبي الشعراء الضبي . والجبار : الملك العاقب . وضافه يضيفه : نزل عنده ضيقاً ، أى إذا نزل بنا الجبار مع جيشه نزول الضيف . وفيه تهكم به حيث جاء محارباً ، تشبه به جاء للعروف طالباً ، ورشح ذلك التشبيه بجعل الرماح والسيوف المرهفات المنونات نزلاً له ، وهو الطعام المدد للضيف

(٣) قوله « ويجوز أن يكون بمعنى مصدر » في قوة : وأما على المصدر ، لأنه يجوز ... الخ . (ع)

خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
 إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾

﴿ وإن من أهل الكتاب ﴾ عن مجاهد : نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب . وقيل : في أربعين من أهل نجران ، واثنين وثلاثين من الحبشة ، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا . وقيل : في أصحاب النجاشي ملك الحبشة ، ومعنى أصحمة وعطية ، بالعربية . وذلك أنه لما مات نعا جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم ، فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له : فقال المنافقون : انظروا إلى هذا يصلى على عالج نصراني لم يره قط وليس على دينه <sup>(١)</sup> ، فنزلت . ودخلت لام الابتداء على اسم « إن » لفصل الطرف بينهما ؛ كقوله ( وإن منكم من ليبطن ) . ﴿ وما أنزل إليكم ﴾ من القرآن ﴿ وما أنزل إليهم ﴾ من الكتابين ﴿ خاشعين لله ﴾ حال من فاعل يؤمن ، لأن من يؤمن في معنى الجمع ﴿ لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً ﴾ كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم ﴿ أولئك لهم أجرهم عند ربهم ﴾ أي ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعدوه في قوله ( أولئك يؤتون أجرهم مرتين ) ، ( يؤتكم كفلين من رحمته ) . ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ لتفوذ عمله في كل شيء ، فهو عالم بما يستوجه كل عامل من الأجر . ويجوز أن يراد : إنما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَآبُطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تَقْلُحُونَ ﴿٢٠٠﴾

(١) ذكره الثعلبي من قول ابن عباس وقتادة . ولفظه « فخرج إلى البقيع » . وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة ، أبصر سرير النجاشي « والباقي نحوه » ، وقد ذكر إسناده إليهما آخر الكتاب . وذكره الواحدى بلا إسناد ، ورواه الطبري وابن عدى في ترجمة أبي بكر الهذلي ، واسمه : سلمي ، وهو ضعيف . عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر دون قوله « ونظر إلى أرض الحبشة » ، فأبصر سرير النجاشي ، وزاد فيه ، وكبر أربعاً ، والطبراني في الأوسط « من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال « لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ووفقتنا خلفه ، فصلى وصلينا ، فلما انصرفنا قال المنافقون : انظروا إلى هذا يصلى على عالج نصراني لم يره قط فأنزل الله تعالى ( وإن من أهل الكتاب ) » .

اصبروا على الدين وتكاليفه ﴿ وصابروا ﴾ أعداء الله في الجهاد ، أى غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً . والمصابرة : باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه ، تخصيصاً لشدته وصعوبته ﴿ ورابطوا ﴾ وأقيموا في الثغور رابطين خيالكم فيها ، مترصدين مستعدين للغزو . قال الله عز وجل : ( ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ) وعن النبي صلى الله عليه وسلم « من رباط يوماً وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر »<sup>(١)</sup> وقيامه ، لا يفطر ، ولا يفتل عن صلاته إلا الحاجة ،

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم »<sup>(٢)</sup>

وعنه عليه الصلاة والسلام : « من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس » .<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه أحمد وابن أبي شيبة من حديث سلمان أتم منه ولا بن حبان من حديث سنان « رباط يوم وليلة في سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه جاع لا يفطر ، وقام لا يفتر » وأصله في مسلم ، وهم الحاكم فاستدركه .  
(٢) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أبي بن كعب وسياق آخر الكتاب ، ورواه ابن مردويه من وجه آخر عن أبي بن كعب ، والواحدى في التفسير الأوسط من حديث أبي أمامة رضي الله عنه .  
(٣) أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس ، وإسناده ضعيف .

## سورة النساء

مدينة ، وهي مائة وست وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا  
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ①

(يا أيها الناس) يا بني آدم (خلقكم من نفس واحدة) فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أيكم <sup>(١)</sup>. فإن قلت : علام عطف قوله (وخلق منها زوجها) ؟ قلت : فيه وجهان : أحدهما أن يعطف على محذوف ، كأنه قيل : من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها ، وخلق منها زوجها . وإنما حذف لدلالة المعنى عليه . والمعنى : شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها ، وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها (وبث منهما) نوعي جنس الإنس وهما الذكور والإناث ، فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل بكيفية خلقهم منها . والثاني : أن يعطف على خلقكم ، ويكون الخطاب في (يا أيها الناس) للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمعنى : خلقكم من نفس آدم ، لأنهم من جملة الجنس المفرع منه ، وخلق منها أمكم حواء وبث منهما (رجالا كثيرا ونساء) غيركم من الأمم الفاتئة للحصر . فإن قلت : الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعوا إليها ويحث عليها ، فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها ؟ قلت : لأن

(١) قال محمود : « معناه فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أيكم وعلام معطف ... الخ » قال أحد : وإنما قدر المحذوف في الوجه الأول حيث جعل الخطاب عاما في الجنس ، لأنه لولا التقدير لكان قوله (وبث منهما) تكرارا لقوله (خلقكم) إذ مؤداهما واحد ، وليس على سبيل بيان الأول ، لأنه معطوف عليه حيث أنه وأما وهو معطوف على المقدر ، فذاك المقدر واقع صفة مبيزة ، والمعطوف عليه داخل في حكم البيان فاستقام . وأما الوجه الثاني فالتكرار فيه ليس بلازم ، إذ الخطاب بقوله (خلقكم) الذين بعث إليهم النبي عليه الصلاة والسلام . وقوله (وبث منهما) واقع على من عدا المبعوث إليهم من الأمم ، فلا حاجة للتقدير المذكور في الوجه الثاني ، والله أعلم .

ذلك مما يدل على القدرة العظيمة . ومن قدر على نحوه كان قادراً على كل شيء ، ومن المقدورات عقاب العصاة ، فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقوا القادر عليه ويخشى عقابه ، ولأنه يدل على النعمة السابعة عليهم ، لحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها . أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم ، فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله ، فقل : اتقوا ربكم الذي وصل بينكم ، حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أزومة واحدة . فيما يجب على بعضكم لبعض ، لحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه . وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة . وقرئ : وخالق منها زوجها . وبات منهما ، بلفظ اسم الفاعل ، وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره : وهو خالق ﴿تسألون به﴾ تسألون به ، فأدغمت التاء في السين . وقرئ (تسألون) بطرح التاء الثانية ، أى يسأل بعضكم بعضاً بالله وبالرحم . فيقول : بالله وبالرحم أفعَل كذا على سبيل الاستعطاف . وأناشدك الله والرحم . أو تسألون غيركم بالله والرحم ، فقل : تفاعلون ، موضع «تفعلون» للجمع ، كقولك : رأيت الهلال وتراءىناه . وتنصره قراءة من قرأ : تسألون به . مهموز أو غير مهموز . وقرئ ﴿والأرحام﴾ بالحركات الثلاث ، فالنصب على وجهين : إما على : واتقوا الله والأرحام ، أو أن يعطف على محل الجار والمجرور ، كقولك : مررت بزيد وعمراً . وينصره قراءة ابن مسعود : تسألون به وبالأرحام ، والجر على عطف الظاهر على المضمير ، وليس بسديد ؛ لأن الضمير المتصل متصل كاسمه ، والجار والمجرور كشيء واحد ، فكأن في قولك «مررت به وزيد» وهذا غلامه وزيد ، شديد الاتصال ، فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة ، فلم يجوز ووجب تكرير العامل ، كقولك : «مررت به وبزيد» ، وهذا غلامه وغلام زيد ، ألا ترى إلى صحة قولك «رأيتك وزيدا» ، و«مررت بزيد وعمرو» ، لما لم يقلوا اتصال ، لأنه لم يتكرر ، وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها .

\* قَسَا بِكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ \* (١)

والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف ، كأنه قيل : والأرحام كذلك ، على معنى : والأرحام مما يتقأ أو والأرحام مما يتسامل به . والمعنى أنهم كانوا يقولون بأن لهم خالقاً ، وكانوا يتسألون بذكر الله والرحم ، فقل لهم : اتقوا الله الذي خلقكم ، واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام

(١) فالיום قربت تهجونا ونشتننا فاذهب قسا بك والأيام من عجب

للأعشى . وقيل : لعمرو بن معد يكرب . وقيل : لحفاف بن نذبة . وقيل : لعباس بن مرداس . يقال : قرب الفرس تقريباً أسرع . يقول : فالיום دنوت مسرعاً في هجونا بعد بطئك عنه . وبروي : قد بت ، أى قد صرت تهجونا ، فاذهب على طريقك فانها سمة اللثام وشيمة الأيام ، فلا عجب من ذلك ، وهو أمر تخليعة ومزارة . والأيام : عطف على الضمير المجرور ، وهو دليل على جواز إعادة الجار وإن منعه الجهور .

فلا تقطعوها . أو واتقوا الله الذى تتعاطفون باذكاره وبإذكار الرحم . وقد آذن عز وجل -  
 إذقرن الأرحام باسمه - أن صلتها منه بمكان ، كما قال (أن لاتعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا)  
 وعن الحسن : إذا سألك بالله فأعطه ، وإذا سألك بالرحم فأعطه . وللرحم حجنة عند العرش<sup>(١)</sup>  
 ومعناه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه ، الرحم معلقة بالعرش فإذا أناها الواصل بثت به  
 وكلمته ، وإذا أناها القاطع احتجبت<sup>(٢)</sup> منه . وسئل ابن عيينة عن قوله عليه الصلاة والسلام  
 « تخيروا لنطفكم »<sup>(٣)</sup> فقال : يقول لأولادكم . وذلك أن يضع ولده فى الحلال . ألم تسمع قوله تعالى  
 ( واتقوا الله الذى تساملون به والأرحام ) وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال ، فلا يقطع  
 رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر ، ثم يختار الصحة ويحتب الدعوة<sup>(٤)</sup> ، ولا يضعه موضع سوء  
 يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله .

وَعَاثُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ  
 إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

(اليتامى) الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم . واليتيم . الانفراد . ومنه : الرملة اليتيمة والدرة  
 اليتيمة . وقيل : اليتيم فى الأناسى من قبل الآباء ، وفى البهائم من قبل الأمهات . فإن قلت : كيف  
 جمع اليتيم - وهو فعيل كريض - على يتامى ؟ قلت : فيه وجهان : أن يجمع على يتامى كاسرى ، لأن  
 اليتيم من وادى الآفات والأوجاع ، ثم يجمع فعلى على فعلى كاسارى . ويجوز أن يجمع على فعائل  
 لجرى اليتيم بجرى الاسماء ، نحو صاحب وفارس ، فيقال : يتائم ، ثم يتامى على القلب . وحق هذا

(١) قوله « حجنة عند العرش » فى الصحاح : الحجن - بالتحريك - الاعوجاج . وصغر أحسن الخالب  
 معوجها . وحجنة المنزل - بالضمة - هى المنعقة فى رأسه . وفيه أيضا : عقت الشيء فاعتقف ، أى عطفته فأنطف .  
 والتعويج : التعويج (ع)

(٢) أخرجه إسماعيل بن راهويه : أخبرنا جرير عن قابوس عن أبيه عنه به . ورواه الحكيم الترمذى من هذا الوجه  
 (٣) رواه ابن ماجه والحاكم والدارقطنى من حديث هشام عن أبيه عن عائشة . قال ابن طاهر : لم يروه عن هشام  
 ثقة . ورواه ابن عدى من طريق عيسى بن ميمون أحد الضعفاء عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها ورواه تمام فى  
 فوائده وأبو نعيم فى الحلية من رواية الزهرى عن أنس وفيه عبد العظيم بن إبراهيم السامى وهو مجهول . ورواه  
 ابن عدى من حديث عمر موقرفا . وفيه سليمان بن عطاء وهو ضعيف وقال ابن طاهر : رواه إسماعيل بن النضير عن  
 عبد المجيد عن ابن جريج عن عطاء . فرة قال : عن ابن عباس . ومره قال : عن عائشة . وهذا أجود طرقه إن  
 كان الاسناد إلى إسماعيل قويا . قال ابن أبى حاتم عن أبيه : هذا الحديث ضعيف من جميع طرقه

(٤) قوله « ويحتب الدعوة » لعله الدعرة بالراء بدل الواو . وفى الصحاح : الدعر - بالتحريك - الفساد . (ع)



الاسم أن يقع على الصغار<sup>(١)</sup> والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء ، إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال ، فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم ، زال عنهم هذا الاسم . وكانت قریش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يتيم أبي طالب ، إما على القياس وإما حكاية للحال التي كان عليها صغيراً ناشئاً في حجر عمه توضيحاً له . وأما قوله عليه السلام : لا يتم بعد الحلم<sup>(٢)</sup> فما هو إلا تعليم شريعة لالغة ، يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار . فإن قلت : فما معنى قوله ( وآتوا اليتامى أموالهم ) ؟ قلت : إما أن يراد باليتامى الصغار ، وبإيتانهم الأموال : أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاية السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الحافظة ، حتى تأتى اليتامى إذا بلغوا سائمة غير محذوفة . وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس ، أو لقرب عهدهم - إذا بلغوا - بالصغر ، كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها . على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ، ولا لا يمتطوا إن أونس منهم الرشد ، وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار . وقيل : هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم ، فلما بلغ المال ففزع عمه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> فنزلت ، فلما سمعها العم قال : أطلعنا الله وأطلعنا الرسول ، نعوذ بالله من الحوب الكبير ، فدفع ماله إليه ؛ فقال النبي عليه السلام : ومن يوق شح نفسه ويطلع ربه هكذا فإنه يحل داره . يعني جنته ، فلما قبض ألقوا ماله أنفق في سبيل الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ثبت الأجر ، ثبت الأجر وبقي الوزر : قالوا : يا رسول الله ، قد عرفنا أنه ثبت الأجر

(١) قال محمود : « إما أن يراد باليتامى الصغار ... الخ » قال أحد : والوجه الأول قوى بقوله بعد آيات ( وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ) دل على أن الآية الأولى في الحض على حفظها لم يؤتوها عند بلوغهم ورشدهم ، والثانية في الحض على الإيتاء الحقيقي عند حصول البلوغ والرشد . ويقوه أيضاً قوله عقيب الأولى ( ولا تبدلوا الحديث بالطيب ) ، ( ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ) فهذا كله تأديب للوصى ما دام المال بيدهم واليتيم في حجره . وأما على الوجه الآخر فيكون مؤدى الآيتين واحداً ، وهو الأمر بالإيتاء حقيقة ، ويخلص عن التكرار بأن الأولى كالجملة الثانية كالمبينة بشرط الإيتاء من البلوغ وليناس الرشد ، والله أعلم .

(٢) أخرجه أبو داود عن علي وإسناده حسن لأن له طريقاً أخرى عن علي أخرجه عبد الرزاق أيضاً عن الثوري عن جوير موقفاً . وصوبه العقيلي وقد تابع جويراً عليه عبد الكريم بن أبي المخارق عن الضحاك . وعبد الكريم متروك أيضاً وله طريق أخرى عند الطبراني في الأوسط في ترجمة محمد بن سليمان الصوفي من رواية عاتمة بن قيس عن علي . ورواه أبو يعلى والطبراني من رواية ذبال بن عبيد بن حنظلة بن جذيم بن حنيفة . سمعت جدي حنظلة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . فذكره وفي الباب عن أنس عند البراء وفيه مرثد بن عبد الملك وهو ضعيف . وعن جابر عند عبد الرزاق والطيالسي وابن يعلى من رواية حرام بن عثمان . وهو متروك . ومن طريق سعيد بن المرزبان عن يزيد القعير عن جابر . وسعيد ضعيف جداً

(٣) ذكره الثعلبي عن مقاتل والكلبي . وسنده إليهما مذكور في أول الكتاب .

كيف بقى الوزر وهو ينفق فى سبيل الله ؟ فقال : ثبت أجر الغلام ، وبقى الوزر على والده ﴿ ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ﴾ ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أيسر لكم من المكاسب ورزق الله المبتوث فى الأرض فتأكلوه مكانه . أو لا تستبدلوا الأسر بالخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها <sup>(١)</sup> والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز ، منه التعجل بمعنى الاستعجال ، والتأخر بمعنى الاستتجار . قال ذو الرمة :

فَمَا كَرَّمَ السَّكِينِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا عَنِ الدَّارِ وَالْمُسْتَخْلَفِ الْمُتَبَدِّلِ <sup>(٢)</sup>

أراد : ويالوهم ما استخلفته الدار واستبدلته . وقيل : هو أن يعطى رديثا ويأخذ جيداً . وعن السدى : أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة ، وهذا ليس بتبدل ، وإنما هو تبديل إلا أن يكارم صديقاله فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾ ولا تنفقوها معها . وحققتها : ولا تضموها إليها <sup>(٣)</sup> فى الإنفاق ، حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم

(١) قوله « والتورع منها » لعله : عنها . (ع)

(٢) لدى الرمة . والسكن - بالسكون - : سكان الدار ، فهو اسم جمع لسكن ، كركب لراكب ، وصاحب لصاحب . وفى نداء كرمهم معنى التعجب من كثرتهم ، أى باكرم أصحاب الدار الذين ارتحلوا عنها ، ويالوهم المستخلف المتبدل ، على صيغة اسم المفعول فيها أى ما استخلفته وما استبدلته بعدم من الوحوش . وقيل : من الذين لا يوفون بالمراد ، فالتبدل بمعنى الاستبدال . والمستخلف على تقدير مضاف دل عليه المقام .

(٣) قال محمود : « معناه ولا تضموها إلى أموالكم ... إلخ » : قال أحد : وأهل البيان يقولون المنهى متى كان درجات فطريق البلاغة انتهى عن أدناها تنبها على الأعلى ، كقوله تعالى ( فلا تقل لها أف ) وإذا اعتبرت هذا القانون بهذه الآية وجده يبادئ رأى مخالفا لها ، إذ أعلى درجات أكل مال اليتيم فى النهى أن يأكله وهو غنى عنه ، وأدناها أن يأكله وهو فقير إليه ، فكان مقتضى القانون المذكور أن ينهى عن أكل مال اليتيم من هو فقير إليه ، حتى يلزم نهى النهى عنه من طريق الأولى . وحينئذ فلا بد من تمهيد أمر بوضع فائدة تخصيص الصورة العليا بالنهى فى هذه الآية فنقول : أبلغ الكلام ما تعددت وجوه إفادته ، ولاشك أن النهى عن الأدنى وإن أفاد النهى عن الأعلى إلا أن النهى عن الأعلى أيضا فائدة أخرى جلية لا تؤخذ من النهى عن الأدنى ، وذلك أن المنهى كلما كان أقرب كانت النفس عنه أنفر والداعية إليه أبعد ، ولاشك أن المستقر فى النفوس أن أكل مال اليتيم مع النهى عنه أقرب صور الأكل ، فخصص بالنهى تشبيها على من يقع فيه ، حتى إذا استحکم فقوره من أكل ماله على هذه الصورة الشعاء ، دعاه ذلك إلى الاحجام عن أكل ماله مطلقا . ففيه تدريب للخطاب على النفور من المحارم ، ولاتكاد هذه الفائدة تحصل لو خصص النهى بأكله مع الفقر ، إذ ليست الطباع فى هذه الصورة معينة على الاجتناب كاعتباتها عليه فى الصورة الأولى . ويحقق مراعاة هذا المعنى تخصيصه الأكل ، مع أن تناول مال اليتيم على أى وجه كان منهى عنه ، كان ذلك بالادعار ، أو بالتباس ، أو ببذله فى لذة الشكاح مثلا ، أو غير ذلك . إلا أن حكمة تخصيص النهى بالأكل : أن العرب كانت تتذم بالاكتثار من الأكل ، وتعد البطنة من الهيبة وقعيب على من اتخذها دينه ، ولا كذلك - أثر الملاذ ، فانهم ربما يتفاحرون بالاكتثار من الشكاح ويعبدونه من زينة الدنيا ، فلما كان الأكل عندهم أقرب الملاذ خص النهى به ، حتى إذا نفرت النفس منه بمقتضى طبيعتها المألوف جرّها ذلك إلى النفور من صرف مال =

قلة مبالاة بما لا يحل لكم ، وتسوية بينه وبين الحلال . فإن قلت : قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم ، فلم ورد النهي عن أكله معها ؟ قلت : لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال - وهم على ذلك يطعمون فيها - كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمعهم ، ليكون أزر لهم . والحبوب : الذنب العظيم . ومنه قوله عليه السلام ، إن طلاق أم أيوب لحوب<sup>(١)</sup> ، فكأنه قيل : إنه كان ذنباً عظيماً كبيراً . وقرأ الحسن (حوبا) بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا . وقرئ : حابا . ونظير الحوب والحاب : القول والقال . والطرْد والطرْد .

وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَآطِبَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ

أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾

== اليتيم في سائر الملاذ أو غيرها ، أكل أو غيره . ومثل هذه الآية في تخصيص النهي بما هو أعلى قوله تعالى (لأنأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة) يخص هذه الصورة لأن الطبع على الانتهاء عنها أعون . ويقابل هذا النظر في النهي نظر آخر في الأمر ، وهو أنه تارة يخص صورة الأمر الأدنى تنبيهاً على الأعلى ، وتارة يخص صورة الأعلى لمثل القاعدة المذكورة من التدريب . ألا ترى إلى قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة : (وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقهم ... الآية) كيف يخص صورة حضورهم وإن كانت العليا بالنسبة إلى غيبتهم . وذلك أن الله تعالى علم شح الأنفس على الأموال ، فلو أمر بأسعاف الأقارب واليتامى من المال الموروث ولم يذكر حالة حضورهم القسمة ، لم تكن الأنفس بالمتبعة إلى هذا المعروف كانبعاثها مع حضورهم ، بخلاف ما إذا حضروا فإن النفس رقت طبعها وتفر من أن تأخذ المال الجزل وذو الرحم حاضر محروم ولا يسعف ولا يساعد ، فإذا أمرت في هذه الحالة بالأسعاف مان عليها امتثال الأمر وانتلافها على امتثال الطبع ، ثم ندرت بذلك على إسعاف ذي الرحم مطلقاً حضر أو غاب ، فراعته هذا وأمثاله من القوائد لا يكاد يلقى إلا في الكتاب العزيز ، ولا يكثر عليه إلا الخادق الفطن المؤيد بالتوفيق ، نسأل الله أن يسلك بنا في هذا الخط ، نغذ هذا القانون عمدة ، وهو أن النهي إن خص الأدنى فللقاعدة التنبيه على الأعلى ، وإن خص الأعلى فللقاعدة التدريب على الانكفاف عن القبح مطلقاً من الانكفاف عن الأقبح ، ومثل هذا النظر في جانب الأمر ، والله الموفق .

(١) أخرجه أبو داود في المراسيل وإبراهيم الحربي في الغريب من رواية أنس بن سيرين قال : بلغني أن أبا أيوب أراد أن يطلق أم أيوب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دياأبا أيوب . إن طلاق أم أيوب لحوب ، ورواه يحيى الخاني في مسنده . والطبراني في الأوسط من طريقه . قال : حدثنا حماد بن زيد عن واصل عن محمد بن سيرين عن ابن عباس وزاد : قال ابن سيرين : والحبوب الانهم . وروى الحاكم من رواية علي بن عاصم عن حميد عن أنس قال : كان بين أبي طلحة وأم سليم كلاماً . فأراد أن يطلقها . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «إن طلاق أم سليم لحوب» .

ولما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير، خاف الأولياء <sup>(١)</sup> أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى، وأخذوا يتحرجون من ولايتهم، وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الأزواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن، فقيل لهم: إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرّجتم منها، فخافوا أيضاً ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات، لأن من تخرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرّج ولا تائب، لأنه إنما وجب أن يتخرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه، والقيح قائم في كل ذنب. وقيل: كانوا لا يتحرجون من الزنا <sup>(٢)</sup> وهم يتحرجون من ولاية اليتامى، فقيل: إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا، فانكحوا ماحلاً لكم من النساء، ولا تحوموا حول المحرمات. وقيل: كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها، فيتزوجها ضناً بها عن غيره، فربما اجتمعت عنده عشر منهن، فيخاف - لضعفهن وفقد من يغضب لهن - أن يظلمن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن، فقيل لهم: إن خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم. ويقال للإناث اليتامى كما يقال الذكور، وهو جمع يتيمة على القلب، كما قيل: أياى، والأصل: أياثم ويتائم. وقرأ النخعي (تقسطوا) بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في (لئلا يعلم) يريد: وإن خفتم أن تجوروا (ما طاب) ماحلاً (لكم من النساء) لأن منهن ما حرم كاللاني في آية التحريم. وقيل (ما) ذهاباً إلى الصفة. ولأن الإناث من العقلاء يجزى مجزى غير العقلاء: ومنه قوله تعالى (أو ما ملكت أيمانكم) (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن أعداد مكررة، وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين: عدلها عن صيغها، وعدلها عن تكررها، وهي نكرات يعترف بلام التعريف. تقول: فلان ينكح المثنى والثلاث والرابع، وعملهن

(١) قال محمود: ولما نزلت آية اليتامى خاف الأولياء... الخ، قال أحد: قد ثبت أن قاعدة القدرية وعقيدتهم أن الكثرة الواحدة توجب خلود العبد في العذاب وإن كان موحداً، فلم يتب عنها، فمن ثم يقولون: لا تفيد التوبة عن بعض الذنوب والاصرار على بعضها، لأنه بوحدة من الكبائر ساوى الكافر في الخلود في العذاب، ولا يفيد توحيد ولا شيء من أعماله. هذا هو معتقدم الفاسد الذي يروم الزعشري تفسير الآية عليه فأحذر. أما أهل السنة فيقولون: إذا تاب العبد من بعض الذنوب كانت الخطأ بوجود التوبة من باقيها متوجهاً عليه، وكأنه قام ببعض الواجبات وترك القيام ببعضها، فأفادته التوبة نحو المتوب عنه باذن الله ووعد، وهو في المهدة فيما لم يتب عنه، فان كان تفسير الآية على أنهم خطبوا بالتحرج في حقوق النساء والتوبة من الجور عليهن كما تابوا عن الخيف على اليتامى، فالأمر في ذلك منزل على ما بيناه من قواعد السنة، والله ولي التوفيق.

(٢) عاد كلامه. قال محمود: وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى... الخ، قال أحد: وهذا التأويل الذي أخرجه جدير بالقدم وهو الأظهر، وتكون الآية معه لبيان حكم اليتامى، وتعليل أن التورط في الجور عليهن، وأمر بالاحتياط. وفي غيرهن منسج إلى الأربع، وأصدق شاهد على أنه هو المراد.

النصب على الحال بما طاب ، تقديره : فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ، ثنتين ثنتين ، وثلاثا ثلاثا ، وأربعا أربعا . فإن قلت : الذى أطلق للنكاح فى الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع ، فما معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع ؟ (قلت) : الخطاب للجميع ، فوجب التكرير ليصيب كل نكاح يريد الجمع ما أراد من العدد الذى أطلق له ، كما تقول للجماعة : اقتسموا هذا المال - وهو ألف درهم - درهمين درهمين ، وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة . ولو أفردت لم يكن له معنى . فإن قلت : فلم جاء العطف بالواو دون أو ؟ قلت : كما جاء بالواو فى المثال الذى حذوته لك ، ولو ذهبت تقول : اقتسموا هذا المال درهمين درهمين ، أو ثلاثة ثلاثة ، أو أربعة أربعة : أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة ، وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على ثنية ، وبعضه على تثليث ، وبعضه على ترييع . وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذى دلت عليه الواو . وتحريره : أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ، إن شاءوا مختلفين فى تلك الأعداد ، وإن شاءوا متفقين فيها ، محظورا عليهم ما وراء ذلك . وقرأ إبراهيم : وثلاث ورباع ، على القصر من ثلاث ورباع ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا﴾ بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها ﴿فواحدة﴾ فالزموا : أو فاختروا واحدة وذروا الجمع رأسا . فإن الأمر كله يدور مع العدل ، فأينما وجدتم العدل فعليكم به . وقرئ (فواحدة) بالرفع على : فالمنع واحدة ، أو فكفت واحدة ، أو فحسبكم واحدة ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ سوى فى السهولة واليسر بين الحرية الواحدة وبين الإمام ، من غير حصر ولا توقيت عدد . ولعمري أنهم أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مؤنة من المهاجر ، لا عليك أكثر منهن أم أقلت ، عدات يبنهن فى القسم أم لم تعدل ، عزلت عنهن أم لم تعزل . وقرأ ابن أبي عملة . من ملكك ﴿ذلك﴾ إشارة إلى اختيار الواحدة والتسرى ﴿أدنى ألا تعولوا﴾ أقرب من أن لا تملوا ، من قولهم : عال الميزان عولا ، إذا مال . وميزان فلان عائل ، وعال الحاكم فى حكمه إذا جار . وروى أن أعرايا حكم عليه حاكم فقال له : أتعول على . وقد روت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا تعولوا : أن لا تجوروا »<sup>(١)</sup> ، والذى يحكى عن الشافعى رحمه الله أنه فسر (أن لا تعولوا) أن لا تكثر عيالك ، فوجهه أن يجعل من قولك : عال الرجل عياله يعولهم ، كقولهم : مانهم يمونهن ، إذا أفق عليهم ، لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم ، وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الكسب وحدود الورع وكسب الحال والرزق الطيب . وكلام مثله من أعلام العلم

(١) أخرجه ابن حبان وإبراهيم الحربى والطبرى وابن أبى حاتم وغيرهم من رواية عمر بن محمد بن زيد عن هشام عن أبيه عنها . قال ابن أبى حاتم : الصواب موقوف .

وأئمة الشرع ورؤس المجتهدين ، حقيقى بالحل على الصحة والسداد ، وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا ، فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا تظن بكلمة خرجت من فى أخيك سوءاً وأنت تجد لها فى الخير محملاً<sup>(١)</sup> . وكفى بكتابنا المترجم بكتاب « شافى العي » ، من كلام الشافعى ، شاهدأ بأنه كان أعلى كعباً وأطول باعاً فى علم كلام العرب ، من أن يخفى عليه مثل هذا ، ولكن للعلماء طرقاً وأساليب . فسلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات . فإن قلت : كيف يقل عيال من تسرى ، وفى السرائر نحو ما فى المهائر ؟ قلت : ليس كذلك ، لأن الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسرى ، ولذلك جاز العزل عن السراى بغير إذنهن ، فكان التسرى مظنة لقله الولد بالإضافة إلى الزوج ، كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع . وقرأ طاوس : أن لا تعيلوا ، من أعال الرجل إذا كثر عياله . وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعى رحمه الله من حيث المعنى الذى قصده .

وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ

هَٰذَا مَرِيئًا ۖ

(صدقاتهن) مهورهن ، وفى حديث شريح : قضى ابن عباس لها بالصدقة . وقرئ : (صدقاتهن) بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن . وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة . وقرئ : صدقاتهن ، بضم الصاد والدال على التوحيد ، وهو تنقيص صدقة ، كقولك فى ظلة ظلمة (نحلة) من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا . ومنه حديث أبى بكر رضى الله عنه : إني كنت نحلتك جداد عشرين وسقاً بالعالية<sup>(٢)</sup> . وانتصاها على المصدر<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه الحاملى . حدثنا زياد بن أيوب . حدثنا محمد بن يزيد عن نافع عن ابن عمر عن سليمان أن عبدة قال : قال عمر فذكره . وإسناده منقطع ورواه الجوهري فى مشيخته والأصبهاني فى التزغيب فى قصة طويلة أولها عن سعيد بن المسيب قال « وضع عمر بن الخطاب للناس ثمان عشرة كلة كلها حكمة » فذكر فيها ذلك وفى الاستاد ضعف وروى البيهقي فى الشعب من وجه آخر عنه قال « كتب إلى بعض إخوانى من الصحابة أن ضع أمر أخيك على أحسنه . الحديث » موقوف أيضاً .

(٢) أخرجه مالك بإسناد صحيح أتم منه .

(٣) قال محمود : « نحلة منصوب على المصدر لأنها فى معنى الايتاء . . . الخ » قال أحمد : هذا الفصل بجملة حسن جداً ، غير أن فى جملة تذكير الضمير فى منه على الصداق ، ثم تنظيره ذلك بقوله « فأصدق نظراً » وذلك أن المراعى ثم الأصل ، وهو عدم دخول الفاء والجزم وتقدير ما هو الأصل ، وإعطاؤه حكم الموجود ليس ببدع ، ولا كذلك أفراد الصداق المقدر ، فانه ليس بأصل الكلام ، بل الأصل الجمع : وأما الافراد فقد يأتى فى مثله على سبيل الاختصار استثناء عن الجمع بالإضافة ، ولا يرد أنهم قد راعوا ما ليس بأصل فى قوله :

بدالى أنى لست مدرك ما معنى ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً =

لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قيل : وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة ، أى أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم ، أو على الحال من المخاطبين ، أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالإعطاء ، أو من الصدقات ، أى منحولة معطاة عن طيبة الأنفس . وقيل : نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن ، وقيل : النحلة الملة ، ونحلة الإسلام خير النحل . وفلان ينتحل كذا : أى يدين به . والمعنى : آتوهن مهورهن ديانة ، على أنها مفعول لها . ويجوز أن يكون حالا من الصدقات ، أى دينا من الله شرعه وفرضه . والخطاب للأزواج . وقيل : للأولياء ، لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم ، وكانوا يقولون : هنيئا لك الناجفة ، لمن تولد له بنت ، يعنون : تأخذ مهرها فتفجع به مالك أى تعظمه . الضمير فى (مته) جار مجرى اسم الإشارة كأنه قيل عن شيء من ذلك ، كما قال الله تعالى (قل أو نبشكم بخير من ذلكم) بعد ذكر الشهوات ، ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ما روى عن رؤبة أنه قيل له فى قوله :

كأنه فى الجلد توليعُ البهق \* (١)

فقال : أردت كأن ذاك . أو يرجع إلى ما هو فى معنى الصدقات وهو الصداق ، لأنك لو قلت : وآتوا النساء صدقاتهن ، لم تحل بالمعنى ، فهو نحو قوله ( فأصدق وأكن من الصالحين ) كأنه قيل : أصدق . و ( نفسا ) تمييز ، وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه . والمعنى : فإن وهبن لكم شيئا من الصداق وتحافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم ( فكلوه ) فأنفقوه . قالوا : فإن وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة ، علم أنها لم تطب منه نفسا ، وعن الشعبي : أن رجلا أتى مع امرأته شريحا فى عطية أعطتها إياه وهى تطلب أن ترجع ، فقال شريح : ردّ عليها . فقال الرجل : أليس قد قال الله تعالى ( فإن طبن لكم ) قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه . وعنه : أقبلها فيما وهبت ولا أقبله ، لأنهن يخدعن . وحكى أن رجلا من آل معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقا كان لها عليه ، فلبت شهرا ثم طلقها ، فخاصمته إلى عبد الملك بن مروان ، فقال الرجل : أعطتني طيبة بها نفسها ، فقال عبد الملك : فأين الآية التى بعدها فلا تأخذوا منه شيئا ؟ اردد عليها . وعن عمر رضى الله عنه أنه كتب إلى قضاته : إن النساء يعطين رغبة ورهبة . فأيا امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها . (٢)

== لأن دخول الباء وإن لم يكن أصلا ، إلا أنها قد تولدت بهذا الموضع وكثر حلولها فيه ، فصارت كأن الأصل دخولها فى الخبر ، والله أعلم . والامر فى ذلك قريب

(١) مر شرح هذا الشاهد بصفحة ١٤٩ من هذا الجزء . فراجع إن شئت أم صححه

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة وعبد الرزاق من طريق محمد بن عبيد الله الثقفى قال كتب عمر نحوه .

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال : إذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضى به عليكم سلطان ولا يؤخذكم الله به في الآخرة ، <sup>(١)</sup> وروى أن أناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحد منهم في شيء مما ساق إلى امرأته ، فقال الله تعالى إن طابت نفس واحدة من غير إكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا . وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط ، حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل : فإن طين ، ولم يقل : فإن وهبن أو سمحن ، إعلاما بأن المراعى هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة . وقيل : إن طين لكم عن شيء منه ، ولم يقل : فإن طين لكم عنها ، بعثا لهن على تقايل الموهوب . وعن الليث بن سعد : لا يجوز تبرعها إلا باليسير . وعن الأوزاعي : لا يجوز تبرعها ما لم تلد أو تقم في بيت زوجها سنة . ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف إلى الصداق الواحد ، فيكون متناولا بعضه ، ولو أنث لتناول ظاهره به الصداق كله ، لأن بعض الصداقات واحدة منها فصاعدا . الهنيء : والمرى : صفتان من هنو الطعام ومرؤ ، إذا كان سائغا لا تنغص فيه . وقيل : الهنيء : ما يلذه الآكل . والمرى ما يحمد عاقبه . وقيل هو ما ينساغ في مجراه . وقيل لدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة والمرى : لمروء الطعام فيه وهو انسياغه ، وهما وصف للبصر ، أى أكلنا هنيئا مريئا ، أو حال من الضمير ، أى كوله وهو هنيء مريء ، وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء ، وعلى أنهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين ، كأنه قيل : هنأ مرأ . وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة .

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا

وَاسْكُومُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝

(السفهاء) المبذرون أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدرى لهم باصلاحها وتشميرها والتصرف فيها . والخطاب للأولياء : وأضاف الأموال إليهم <sup>(٢)</sup> لأنها من جنس ما يقيم به الناس معاشهم ، كما قال (ولا تقتلوا أنفسكم) ، (فما ملكت أيمانكم من قيتانكم المؤمنات) (الدليل على أنه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قوله (وارزقوهم فيها واسكوم) . (جعل الله لكم قياما) أى تقومون بها وتنتعشون ، ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها قيامكم واتعاشكم . وقرى : قيا ، بمعنى قياما ، كما جاء عودا بمعنى عيادا . وقرأ عبد الله بن عمر : قواما ، بالواو . وقوام الشيء : ما يقام به ، كقولك هو ملك الأمر لما يملك به . وكان السلف يقولون : المال سلاح المؤمن ، ولأن أترك مالا يحاسبني

(١) أخرجه التعليق والواحد في الأوسط . من رواية جوير عن الضحاك عن ابن عباس .

(٢) قال محمود : المراد أموال السفهاء وأضافها إلى الأولياء ... الخ . قال أحد : ويؤيد هذا المعنى أنه لما أمر به ما ف ذوى القربى على سبيل المواساة قال : وارزقوهم منه ، لأن المذوق إليهم من صلب المال ، والله أعلم .



الله عليه ، خير من أن أحتاج إلى الناس . وعن سفيان - وكانت له بضاعة يقلبها - : لولاها لتمتدل في بنو العباس <sup>(١)</sup> . وعن غيره - وقيل له إنها تدنيك من الدنيا - : لئن أدنتني من الدنيا لقد ضاقتني عنها . وكانوا يقولون : اتجروا واكتسبوا ، فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه . وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له : اذهب إلى دكانك ﴿ وارزقوهم فيها ﴾ واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تجروا فيها وتربحوا ، حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإتفاق . وقيل : هو أمر لكل أحد أن لا يخرج ماله إلى أحد من السفهاء ، قريب أو أجنبي ، رجل أو امرأة ، يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده ﴿ فولا معروفا ﴾ قال ابن جريج : عذة جميلة ، إن صلحت ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم . وعن عطاء : إذا رجحت أعطيتك ، وإن غنمت في غزاتي جعلت لك حظا . وقيل : إن لم يكن بمن وجبت عليك نفقته فقل : عافانا الله وإياك ، بارك الله فيك . وكل ما سكنت إليه النفس وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل ، فهو معروف . وما أنكرته ونفرت منه لقبحه ، فهو منكرو .

وَابْتَلُوا الْوَعْثَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النُّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

﴿ وابتلوا اليتامى ﴾ واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم <sup>(٢)</sup> ومعرفتهم بالتصرف ، قبل البلوغ

(١) قوله وتمتدل في بنو العباس ، في الصحاح : المتدبل معروف ، تقول منه : تستدلت بالمتدبل ، وتمتدلت . (ع)

(٢) قال محمود : « معناه اختبروا أحوالهم ... الخ ، قال أحد : الابتلاء على هذا الوجه مذهب مالك رضى الله عنه ، غير أنه لا يكون عنده إلا بعد البلوغ ولا يدفع إليه من ماله شيء قبله ، وكذلك أحد . قوله الشافعى رضى الله عنه ، وقوله الآخر كذهب أبى حنيفة ، غير أن عنه خلافا في صورته قبل البلوغ على وجهين : أحدهما أن يسلم إليه المال ويباشر العقود بنفسه كالبائع ، والآخر أن يكون وظيفته أن يساوم ، وتقرير الثمن إذا بلغ الأمر إلى العقد باشره الولي دونه وسلم الصبي الثمن ، فأما الرشد فالمعتبر عند مالك رضى الله عنه فيه : هو أن يحجز ماله وينمي ، وإن كان فاسقا في حاله . وعند الشافعى : المعتبر صلاح الدين والمال جميعا ، وغرضنا الآن أن نبين وجه تنزيل مذهب مالك في هذه الآية والله المستعان . فأما منعه من الابتاء قبل البلوغ - وإن كان ظاهر الآية أن الابتاء قبله - من حيث جعل البلوغ وإيناس الرشد غاية للابتاء ، والغاية متأخرة عن المفياضرة ، فيتعين وقوع الابتاء قبل . ولهذا السكتة أثبت أبو حنيفة قبل البلوغ والله أعلم ، فعلى جعل المجموع من البلوغ وإيناس الرشد هو الغاية حينئذ يلزم وقوع الابتاء قبلهما ، أعنى المجموع وإن وقع بعد أحدهما وهو البلوغ ، لأن المجموع من اثنين فصاعدا لا يتحقق إلا بوجود كل واحد من مفرديه . وتحقيق هذا التزيل أنك لو قلت : وابتلوا اليتامى بعد البلوغ ، حتى إذا اجتمع الأمران وتضاماً =

حتى إذا تبيتتم منهم رشداً - أى هداية - دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ . وبلوغ النكاح . أن يحتمل لأنه يصلح للنكاح عنده ، ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والتناسل . والإيناس : الاستيضاح فاستعير للتبيين . واختاف في الابتلاء والرشد ، فالابتلاء عند أبي حنيفة وأصحابه : أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يحجى منه . والرشد : التهدي إلى وجوه التصرف . وعن ابن عباس : الصلاح في العقل والحفظ للمال . وعند مالك والشافعى : الابتلاء أن يتبع أحواله وتصرفه في الأخذ والإعطاء ، ويتبصر مخايله وميله إلى الدين . والرشد : الصلاح في الدين ، لأن الفسق مفسدة للمال . فإن قلت : فإن لم يؤنس منه رشد إلى حد البلوغ ؟ قلت : عند أبي حنيفة رحمه الله ينتظر إلى خمس وعشرين سنة ، لأن مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثمانى عشرة سنة ، فإذا زادت عليها سبع سنين وهى مدة معتبرة في تغير أحوال الإنسان لقوله عليه السلام : مروهم بالصلاة لسبع ، <sup>(١)</sup> دفع إليه ماله أو نس منه الرشد أو لم يؤنس . وعند أصحابه لا يدفع إليه أبداً إلا بإيناس الرشد . فإن قلت : ما معنى تشكير الرشد ؟ قلت : معناه نوعاً من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة ، أو طرفاً من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد . فإن قلت : كيف نظم هذا الكلام ؟ <sup>(٢)</sup> قلت : ما بعد (حتى) إلى (فادفعوا إليهم

== البلوغ والرشد فادفعوا إليهم أموالهم ، لاستقام الكلام ، ولكان البلوغ قبل الابتلاء وإن كان الابتلاء منياً بالأميرين واقعاً قبل مجموعهما ، ونظير هذا النظر توجيه مذهب أبي حنيفة في قوله : إن فئة المولى إنما تعتبر في أجل الإيلاء لا بعده ، ونزله على قوله تعالى (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاقوا فإن الله غفور رحيم) فجند به عهداً يتنصع لك تناسب النظرين ، والله أعلم . وأما اقتصاره رضى الله عنه بالرشد على المال ، فإن كان المولى عليه فاسق الحال فوجه استخراجه من الآية أنه علق إيناس الرشد فيها بالابتلاء بدفع مال إليهم ينظر تصرفهم فيه ، ولو كان المراد إصلاح الدين فقط لم يقف الاختيار في ذلك على دفع المال إليهم ، إذ أظاهر من المصلح لديه أنه لا يفاوت حاله في حالتي عدمه ويسره . ولو كان المراد إصلاح الدين والمال معاً - كما يقوله الشافعى رضى الله عنه - لم يكن إصلاح الدين موقوفاً على الاختيار بالمال كما مر آنفاً . وأيضاً فالرشد في الدين والمال جميعاً هو الغاية في الرشد ، وليس الجمع بينهما بقيد ، وتشكير الرشد في الآية يابى ذلك ، إذ أظاهر : فإن أنتم منهم رشداً ما فادعوا بتسليم المال إليهم غير منتظرين بلوغ الغاية فيه ، والله أعلم .

(١) أخرجه أبو داود والترمذى وابن خزيمة والحاكم من رواية عبد الملك بن الربيع بن سيوة الجهنى عن أبيه عن جده مرفوعاً . مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع . ورواه أبو داود والحاكم من طريق سوار بن داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وأعله العقيلي في الضعفاء بسوار . ورواه البزار من رواية محمد بن الحسن بن عطية عن محمد بن عبد الرحمن عنه وأعله العقيلي بحمد ابن الحسن وقال : الأولى رواية من رواه عن محمد بن عبد الرحمن مرسلًا وذكره ابن حبان في الضعفاء عن عبد الله بن نعيم الرياحى عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ورواه الدارقطني في الأوسط من حديث أنس وفيه داود بن المغيرة وهو متروك .

(٢) قال محمود رحمه الله : وفما وجه نظم الكلام الواقع بعد حتى إلى قوله فادفعوا إليهم أموالهم ... الخ ، قال أحمد رحمه الله : هو يروم بهذا التقدير تنزيل مذهب أبي حنيفة في سبق الابتلاء على البلوغ على مقتضى الآية ، وقد أسأفنا وجه تنزيل مذهب مالك عليها بأظهر وجه وأقرب . والحاصل أن مقتضى النظر إلى المجموع من حيث هو ومقتضى مذهب أبي حنيفة النظر إلى المفردين ، والظاهر اعتبار المجموع فإن العطف بالقاء يقتضيه ، والله أعلم .

أموالهم) جعل غاية للابتلاء، وهى . حتى ، التى تقع بعدها الجمل . كالتى فى قوله :

فَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تُعْجُ دِمَاءُهَا بِدِجْلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجْلَةٍ أَشْكَلُ <sup>(١)</sup>

والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لأن إذا متضمنة معنى الشرط ، وفعل الشرط بلغوا التكاح وقوله (فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم) جملة من شرط وجزاء واقعة جواباً للشرط الأول الذى هو إذا بلغوا التكاح ، فكأنه قيل : وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم ، فاستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم . وقرأ ابن مسعود : فإن أحسيتم بمعنى أحسستم قال :

\* أَحْسَنَ بِهِ فَهَنْ إِلَيْهِ شَوْسُ \* <sup>(٢)</sup>

وقرى : رشداً ، بفتحين . ورشداً ، بضمين ﴿إسرافاً وبداراً﴾ مسرفين ومبادرين كبرهم ، أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم ، تفرطون فى إنفاقها ، وتقولون ننفق كما نشتهى قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا . ثم قسم الأمرين أن يكون الوصى غنيا وبين أن يكون فقيراً ، فالغنى يستغنى من أكلها <sup>(٣)</sup> ولا يطمع ، ويقتنع بما رزقه الله من النعم إشفافاً على اليتيم ، وإبقاء على ماله . والفقير يأكل قوتاً مقدراً محتاطاً فى تقديره على وجه الاجرة ، أو استقراضاً على ما فى ذلك من الاختلاف ولفظ الأكل بالمعروف والاستعفاف ، مما يدل على أن الوصى حقاً لقيامه عليها . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : أن رجلاً قال له : إن فى حجرى يتيماً أفأكل من ماله ؟ قال : بالمعروف غير

(١) لجرير ، يقول : فما زالت تعج ، أى تلقى وتخرج دماءها فى شاطئ دجلة . وحتى : ابتدائية تقع بعدها الجمل ، ولا تختلج من معنى الغاية . وأشكل : خبير المبتدأ ، وهو الأبيض المشوب بحمرة . وأظهر فى محل الضمار لفيد التهويل والتعظيم . أى حتى أن ماء ذلك النهر الكبير يختلط بالحرمة .

(٢) فباتوا يدجلون وبات بصرى بصير بالدجى هاد محوس  
إلى أنت عرسوا وانحت منهم قريباً مايس له ميسس  
سوى أن العناق من المطايا أحسن به فهن إليه شوس

لابى زيد الطائى . والادلاج : سير أول الليل . والتدليج : سير آخره . والمبرى : سير الليل . وبصير : صفة مخدوف . وبالدجى : متعلق به . والبصير : المتبصر الخبير أو المصر ، قالبا . بمعنى فى . والدجى الظلم . والهادى : المراد به المهتدى . والعموس : القوى الشديد . وعرسوا : أى نزلوا . والحنت : التفت والفرك والقطع والبرعة . فانحت : انزل منهم بسرعة ، أو أسرع قريباً منهم مايس : أى لا يسمع له ميسس ، أى صوت منه للأرض فى المشى . والعناق : النجائب أو الماسة . وأحسن : أحله أحسن ، نقلت فتحة السين إلى الحاء ثم حذف . ويروى : حسين . وفى لغة : حسين ، بكسر السين . وأحله حسن ، قلبت السين الثانية حرف علة . وزيادة الباء بعد فعل الحس كثيرة وإن تعدى بنفسه . وشوس : جمع أشوس ، أو شوساء وهو الذى ينظر بمؤخر عينه يصف مسافرين والاعداء يطلب فريسة منهم ، وكثيراً ما يحدقون الموصوف كالأسد هنا ، لأن الصفة تعينه ، أو لادعاء تعينه .

(٣) قوله د من أكلها ، لعله دعن ، (ع)

متأثلاً<sup>(١)</sup> مالا ولا واق مالك بماله ، فقال : أفأضربه قال : وما كنت ضارباً منه ولدك<sup>(٢)</sup> ، وعن ابن عباس : أن ولي اليتيم قال له : أفأشرب من لبن إبله ؟ قال : إن كنت تبغى ضالتها ، وتلوط حوضها ، وتهاجر باها<sup>(٣)</sup> وتسقيها يوم وردها ، فأشرب غير مضرب بنسل ، ولا ناهك في الحلب<sup>(٤)</sup> وعنه : يضرب يده مع أيديهم ، فليأكل بالمعروف ، ولا يلبس عمامة فما فوقها . وعن إبراهيم : لا يلبس الكتان والحلل ، ولكن ماسد الخوذة ووارى العورة . وعن محمد بن كعب : يتقرم تقرم الهيمة<sup>(٥)</sup> وينزل نفسه منزلة الأجير فيما لا بد منه . وعن الشعبي : يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه . وعنه : كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضى . وعن مجاهد : يستسلف ، فإذا أيسر أذى . وعن سعيد بن جبير : إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاءه ، وإن أعسر فهو في حل . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنى أنزلت نفسي من مال الله منزلة والى اليتيم ، إن استغنيت استعفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، وإذا

(١) قوله وغير متأثلاً مالا ، أى : متخذ مالا أصلاً ، كما في الصحاح . (ع)

(٢) أخرجه الثعلبي من طريق معاوية بن هشام . حدثنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن الحسن العرفي عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن في حجرى يتيم ، بلفظ المصنف سواء . ورواه عبدالرزاق في المصنف وابن المبارك في الأب والعملة والطبري عن سفيان بن عيينة عن ابن دينار عن الحسن العرفي : أن رجلاً قال يا رسول الله : فذكره مرسلًا وهو عند ابن أبي شيبة في البيوع عن إسماعيل عن أيوب بن عمرو كذلك . وروى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لأجد شيئاً وليس لي مال . ولي يتيم له مال . قال : كل من مال يتيمك غير مسرف ولا متأثلاً مالا ولا تق مالك بماله ، وروى ابن حبان من رواية صالح بن رستم عن عمرو بن دينار عن جابر قال : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : دم أضرب يتيمى ؟ قال : ما كنت ضارباً منه ولدك ، غير واق مالك بماله . ولا متأثلاً من ماله ماله . وأخرجه ابن عدى في الكامل في ترجمة صالح بن رستم . وهو أبو عامر الخزائن وضعفه عن ابن معين . وقال : لم أجده حديثاً منكراً . ورواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمرو بن دينار . وقال : تفرد به الخزائن وهو من ثقات البصريين .

(٣) قوله وتلوط حوضها وتهاجر باها أى تصلحه بالطين بأن تلزقه به . أفاده الصحاح . وفيه : هنأت البعير أمثوه إذا طلبته بالهنا وهو القطران . ونقل المناوى بها ، شبه عن الزجاج أنه يضم التون وأنه لم يحمي . مضوم العين في هموز اللام إلا هنأ يهنأ وقرأت فليحمر . (ع)

(٤) أخرجه عبدالرزاق من رواية يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد . قال : جاء رجل إلى ابن عباس ، فذكره ، إلا أنه قال : بدل تبغى ضالتها وتروى ناهتها . وأخرجه الطبري من طريقه والثعلبي والواحدى من وجه آخر عن القاسم . ورواه البغوي من طريق مالك عن يحيى بن سعيد عن القاسم وهو في الموطأ .

(٥) قوله : « يتقرم تقرم الهيمة » في الصحاح : قرم الصبي والهيم قرما وقروما وهو أكل ضئيف في أول ما يأكل . وتقرم مثله . (ع)

أسرت قضيت، <sup>(١)</sup> واستغف أبلغ من عف، <sup>(٢)</sup> كأنه طالب زيادة العفة ﴿فأشهدوا عليهم﴾ بأنهم تسلبوها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم، وذلك أبعد من التخاصم والتجاحد وأدخل في الأمانة وبراءة الساحة. ألا ترى أنه إذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند أبي حنيفة وأصحابه. وعند مالك والشافعي لا يصدق إلا بالبينه، فكان في الإشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي إلى التهمة أو من وجوب الضمان إذا لم يقم البينة ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ أى كافياً في الشهادة عليكم بالدفع والقبض، أو محاسباً. فعليكم بالتصادق، وإياكم والتكاذب.

لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ  
 الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۖ وَإِذَا حَضَرَ  
 الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا  
 مَعْرُوفًا ۝

﴿الاقربون﴾ هم المتوارثون من ذوى القربات دون غيرهم ﴿بما قلّ منه أو كثر﴾ بدل عما ترك بتكرير العامل. و﴿نصيباً مفروضاً﴾ نصب على الاختصاص، بمعنى: أعنى نصيباً مفروضاً مة طوعاً واجباً لا بدّ لهم من أن يحوزوه ولا يستأثر به. ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله: (فريضة من الله) كأنه قيل: قسمة مفروضة. وروى أن أوس بن الصامت الأنصاري <sup>(٣)</sup> ترك أمرأته أم كحة وثلاث بنات، فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرجة ميراثه عنهن، وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال، ويقولون: لا يرث إلا من طاعن بالرمح وذاد عن الحوزة وحاز الغنime، فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضخ فشكت إليه، فقال: «ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله»، فنزلت، فبعث إليها، «لا تفرقا من مال أوس شيئاً فإن الله قد جعل لهن نصيباً ولم يبين حتى يبين، فنزلت (يوصيكم الله) فأعطى أم كحة

(١) أخرجه ابن سعد وابن أبي شيبة والطبري من رواية إسرائيل وسفيان كلاهما عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب قال: قال عمر ورواه سعيد بن منصور عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن الراء قال: قال لى مر. فذكره  
 (٢) قال محمود: «استغف أبلغ من عف»، وكأنه يطلب زيادة العفة من نفسه، قال أحد: في هذا إشارة إلى أنه من استغفل بمعنى الطلب وليس كذلك، فان استغفل الطالبية متعددة وهذه قاصرة. والظاهر أنه عما جاء فيه فعل واستغفل بمعنى، والله أعلم.

(٣) قوله «روى أن أوس بن الصامت الأنصاري» في رواية ابن ثابت. وليجرب اه (ع)

الثنى ، والبناات الثلثين ، والباقي ابني العم <sup>(١)</sup> ( وإذا حضر القسمة ) أى قسمة التركة ( أولوا القربى ) من لا يرث ( فإرث قوهم منه ) الضمير لما ترك الوالدان والأقربون ، وهو أمر على النذب قال الحسن : كان المؤمنون يفعلون ذلك ، إذا اجتمعت الورثة حضريهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشئ من رثة المتاع <sup>(٢)</sup> . فخصهم الله على ذلك تأديباً من غير أن يكون فريضة . قالوا : ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق ، وروى أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنه قسم ميراث أبيه وعائشة رضى الله عنها حية ؟ فلم يدع في الدار أحداً إلا أعطاه ، وتلاهذه الآية . وقيل : هو على الوجوب . وقيل : هو منسوخ بآيات الميراث كالوصية . وعن سعيد بن جبير : أن ناساً يقولون نسخت ، والله ما نسخت ، ولكنها مما تهاونت به الناس . والقول المعروف أن ياطفوا لهم القول ويقولوا : خذوا بارك الله عليكم ، ويعتذروا إليهم ، ويستقلوا ما أعطوهم ولا يستكثروه . ولا يمتنوا عليهم . وعن الحسن والنخعي : أدركنا الناس وهم يسمون على القربات والمساكين واليتامى من العين ، يعنيان الورق والذهب . فإذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة إلى الأرضين والرقيق وما أشبه ذلك ، قالوا لهم قولاً معروفاً ، كانوا يقولون لهم : بورك فيكم .

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ

وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾

(١) هكذا أورده الثعلبي ثم البغوي بغير سند وقال الواحدى فى الأسباب : قال المفسرون : إن أوس بن ثابت الأنصارى توفى وترك امرأة يقال لها أم كة ، وله منها ثلاث بنات . فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما عجة وسويد فأخذوا ماله ولم يعطيا امرأة شيئاً ولا بناته . وكانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير ، وإن كان ذكراً . وإنما يورثون الرجال الكبار . وكانوا يقولون : لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل ، وحاز الغنيمة لجأت أم كة فذكره إلى آخره سواء . والظاهر أنه عنى بقوله « المفسرون ، السكبي ومقاتل وأشباههما وقد روى الطبرى هذه الفصة من طريق ابن جريج عن عكرمة على غير هذا السياق ولنظفه » نزلت فى أم كة وثعلبة وأوس بن سويد وهم من الأنصار كان أحدهما زوجها والآخر عم ولدها . فقالت : يا رسول الله توفى زوجي وتركني وابنته فلم نورث . فقال عم ولدها : إن ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلا ، ولا يتكأ عدواً . فنزلت ( للرجال نصيب الآية ) وروى من طريق السدى قال : فى قوله ( يوصيكم الله فى أولادكم - الآية ) كان أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الضعفاء من العبدان ولا يورثون إلا من أطاق القتال فأت عبد الرحمن أبو حسان الشاعر . وترك امرأة يقال لها أم كة وترك خمس أخوات . فجأت الورثة فأخذوا ماله فشكت أم كة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الله ( فان كن نساء فوق اثنتين فهن ثلثا ما ترك ) ثم قال فى أم كة ( ولهن الربع مما تركن إن لم يكن لهن ولد - الآية )

(٢) قوله « من رثة المتاع » فى الصحاح : الرثة : السقط من متاع البيت من الخلفان ، والجمع رثى ، مثل قرية وقرب . (ع)

ولود مع ما في حيزه صلة للذين . والمراد بهم : الأوصياء ، أمروا بأن يخشوا الله <sup>(١)</sup> فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم ، خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وأن يقدرُوا ذلك في أنفسهم ويصتوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة . ويجوز أن يكون المعنى : وليخشوا على اليتامى من الضياع . وقيل : هم الذين يجلسون إلى المريض فيقولون : إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا ، فقدم مالك ، فيستغرقه بالصايا ، فأمرُوا بأن يخشوا ربهم ، أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا . ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون أمرا بالشفقة للورثة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين وأن يصتوروا أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين ، هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة ؟ فإن قلت : ما معنى وقوع ﴿ لو تركوا ﴾ وجوابه صلة للذين ؟ قلت : معناه : وليخش الذين شفقتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا ، وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كآلهم وكأسهم ، كما قال القائل :

لَقَدْ رَادَ الْحَيَاةَ إِلَى حُبِّهَا      بَنَاتِي إِنْهُنَّ مِنَ الضَّعَافِ

أَحَازِرُ أَنْ يَرَيْنَ الْبُؤْسَ بَعْدِي      وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَقًّا بَعْدَ صَافِي <sup>(٢)</sup>

وقرئ : ضعفاء . وضعافى ، وضعافى . نحو : سكارى ، وسكارى . والقول السديد من الأوصياء : أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالآداب الحسن والتزجيب ، ويدعوهم يسائى وياولدى ، ومن الجالسين إلى المريض أن يقولوا له إذا أراد الوصية : لا تسرف في وصيتك فتجحف بأولادك ، مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : « إنك إن تركت ولدك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس » <sup>(٣)</sup> ، وكان الصحابة رضى الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وأن الخس أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث . ومن المتقاسمين ميراثهم أن

(١) قال محمود : و المراد الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله ... الخ ، قال أحمد : وإنما الجاء إلى تقدير ( تركوا ) بقوله : شارفوا أن يتركوا ؛ لأن جوابه قوله ( خافوا عليهم ) والخوف عليهم إنما يكون قبل تركهم إياهم وذلك في دار الدنيا ، فقد دل على أن المراد بالترك الإشراف عليه ضرورة ، وإلا لزم وقوع الجواب قبل الشرط وهو باطل ، ونظيره ( فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ) أى شارفن بلوغ الأجل ، ولهذا الجاز في التعبير عن المشارفة على الترك بالترك سر بديع ، وهو التخويف بالحالة التي لا يبق معها مطمع في الحياة ولا في الذب عن الذرية الضعفاء ، وهي الحالة التي وإن كانت من الدنيا إلا أنها لغريها من الآخرة ولصوقها بالمفارقة صارت من حيزها ومعبراً عنها بما يعبر به عن الحالة الكائنة بعد المفارقة من الترك ، والله أعلم .

(٢) تقدم شرح هذه الشواهد بصفحة ٤٠٤ من هذا الجزء . فراجع إن شئت اه مصححه .

(٣) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص في قصة .

يلطفوا القول ويحملوه للحاضرين .

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

﴿ظلمًا﴾ ظالمين<sup>(١)</sup> ، أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته ﴿في بطونهم﴾ ملء بطونهم يقال : أكل فلان في بطنه ، وفي بعض بطنه . قال :

\* كَلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُو تَعَفُّوا \* (٢)

ومعنى يأكلون نارا : ما يجر إلى النار ، فكأنه نار في الحقيقة . وروى : أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره<sup>(٣)</sup> ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينه<sup>(٤)</sup> فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا . وقرئ ﴿وسيلون﴾ بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها ﴿سعيরা﴾ نارا من النيران مبهمة الوصف .

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ  
أَثْنَيْنِ فَلَهُنَّ مِثْلُ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ  
مِنْهُمَا الشُّدْمُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ

(١) قال محمود : «معناه ظالمين ، أو على وجه الظلم ... الخ» قال أحد : ومثله (قد بدت البغضاء من أفواههم) أى شذقوا بها وقالوها بملء أفواههم . أو يكون المراد بذكر البغضاء تصوير الأكل للسامع ، حتى يتأكد عنده بشاعة هذا الجرم بمزيد تصوير ، ولأجل تأكيد التشنيع على الظالم لليتيم في ماله ، خص الأكل لأنه أشنع الأحوال التي يتناول مال اليتيم فيها ، والله أعلم .

(٢) كَلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُو تَعَفُّوا فان زمانكم زمن نخيص أى كَلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُو . وأفرد البطن لآمن اللبس ، أى لآمنوها ، فان أطمعتموني عفتكم عن الطعام . وعف يعف - بكسر عين المضارع - من باب ضرب يعثر ب . ثم قال : فان زمانكم ، أى أمرتكم بذلك لأن زمانكم مجرب . والنخيص : الضامر البطن . فذهب الزمان المجرب بالرجل الجائع على طريق السكناية ، ووصفه بالنخيص تحييل لذلك . (٣) قوله من «قبره» يروى من دبره . ويؤيده ما في الخازن من حديث أبي سعيد الخدري ، أنهم يجعلون في أفواههم صخرة من نار يخرج من أسافلهم اه ، لحرره . (ع)

(٤) أخرجه الطبري من طريق السدي قال يبعث الله آكل مال اليتيم ظالمًا يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه وأنفه إلى آخره وفي صحيح ابن حبان من رواية زناد أبي المنذر عن نافع بن الحرث عن أبي برزة رفعه يبعث الله يوم القيامة قوما من قبورهم تأجج أفواههم نارا فقبل من هم يارسول الله ؟ فقال : ألم تر أن الله يقول (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية) وفي إسناد زناد المذكور . كذبه ابن معين وشيخه نافع بن الحرث ضعيف أيضاً وقد أورده ابن عدى في الضعفاء في ترجمة زناد وأهل به .



فَلَا تَمْلِكُ لَهُمْ أَرْوَاحُكُمْ وَلَا تَرْوُفُهُمْ أَتَشَاءُونَ أَمْرًا أَنَّ يَبْذُلُوا بَنِيكُمْ أَوْ نِسَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُحِبُّونَ وَقُلْ اللَّهُ يَحْكُمُ فِيكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

﴿يوصيكم الله﴾ يعهد إليكم ويأمركم ﴿في أولادكم﴾ في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة. وهذا إجمال تفصيله ﴿للمذكر مثل حظ الأنثيين﴾ فإن قلت : هلا قيل : للأنثيين مثل حظ الذكر <sup>(١)</sup> أو للأنثى نصف حظ الذكر ؛ قلت : ليلبدأ ببيان حظ الذكر لفضله ، كما ضعف حظه لذلك ، ولأن قوله (المذكر مثل حظ الأنثيين) قصد إلى بيان فضل الذكر . وقولك : للأنثيين مثل حظ الذكر ، قصد إلى بيان نقص الأنثى . وما كان قصداً إلى بيان فضله ، كان أدل على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه ؛ ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث <sup>(٢)</sup> وهو السبب لورود الآية ، فقيل : كفى الذكور أن ضعف لهم نصيب الإناث ، فلا يتأذى في حظهن حتى يحرم من مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به . فإن قلت : فإن حظ الأنثيين الثلثان ، فكأنه قيل للمذكر الثلثان . قلت : أريد حال الاجتماع لا الانفراد أى إذا اجتمع الذكر والأنثيان كانت له سهمان ، كما أن لها سهمين . وأما في حال الانفراد ، فالابن يأخذ المال كله والبتان يأخذان الثلثين . والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع ، أنه أتبعه حكم الانفراد ، وهو قوله (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) والمعنى للمذكر منهم ، أى من أولادكم ، لحذف الراجع إليه لأنه مضموم ، كقولهم : السمن منوان بدرهم (فإن كن نساء) فإن كانت البنات أو المولودات نساء خلصاً . ليس معهن رجل يعنى بنات ليس معهن ابن (فوق اثنتين) يجوز أن يكون خبراً ثانياً لكان وأن يكون صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين (وإن كانت واحدة) وإن كانت البنت أو المولودة منفردة فذرة ليس معها أخرى (فلها النصف) وقرئ : واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله (فإن كن نساء) وقرأ زيد بن ثابت (النصف)

(١) قال محمود : وإن قلت هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر ... الخ. قال أحمد : لأن الأفضلية حيثه. يدلون عليها بواسطة الالتزام لا منطوق بها . وأما على نظم الآية ، فالأفضلية منطوق بها غير محتاجة إلى ذلك .  
(٢) عاد كلامه . قال : ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث ... الخ. قال أحمد : وعلى مقتضى هذا لا يكون حكم الابن إذا انفرد مذكوراً في الآية ، لأنه حيث ذكره فأنما على حالة الاجتماع مع الإناث خاصة على تفسير الرخشي . هذا ويمكن خلافه ، وهو أن المذكور أولاً ميراث الذكر على الإطلاق مجتمعا مع الإناث منفرداً ، أما وجه تاتى حكمه حالة الاجتماع فقد قرره الرخشي . وأما وجه تلقيه حالة الانفراد فن حيث أن الله تعالى جعل له مثل حظ الأنثيين . فان كانت معه فذلك ، وإن كانت منفردة عنه فقد جعل لها في حال انفرداها النصف ، فافهم ذلك أن للمذكر عند انفرداها مثل نصيبها عند انفرداها ، وذلك الكامل . والله أعلم .

بالضم . والضمير في ﴿ترك﴾ للبيت : لأن الآية لما كانت في الميراث ، علم أن التارك هو الميت .  
فإن قلت : قوله ( الذكر مثل حظ الأنثيين ) كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الأولاد ، لا لبيان  
حظ الأنثيين ، فكيف صح أن يردف قوله ( فإن كن نساء ) وهو لبيان حظ الإناث ؟ قلت :  
وإن كان مسوقاً لبيان حظ الذكر ، إلا أنه لما فقه منه وتبين حظ الأنثيين مع أخيهما ؛ كان كأنه  
مسوق للأمرين جميعاً ، فلذلك صح أن يقال ( فإن كن نساء ) : فإن قلت . هل يصح أن يكون  
الضميران في « كن » ، و « كانت » ، مهمين ، ويكون « نساء » و « واحدة » تفسيراً لهما ، على أن كان  
تامة ؟ قلت : لا أبعد ذلك . فإن قلت : لم قيل ( فإن كن نساء <sup>(١)</sup> ) ولم يقل : وإن كانت امرأة ؟  
قلت : لأن الغرض ثمة خلوصهن إنانا لا ذكر فيهن ، ليميز بين ماذكر من اجتماعهن مع الذكور في  
قوله ( الذكر مثل حظ الأنثيين ) وبين انفرادهن . وأريد ههنا أن يميز بين كون البنت مع غيرها  
وبين كونها وحدها لا قرينة لها . فإن قلت : قد ذكر حكم البنيتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم  
البنات والبنات في حال الانفراد ، ولم يذكر حكم البنيتين في حال الانفراد فما حكمهما ، وما باله لم  
يذكر ؟ قلت : أما حكمهما فمختلف فيه ، فابن عباس أبي تزييلهما منزلة الجماعة <sup>(٢)</sup> ، لقوله تعالى  
﴿ فإن كن نساء فوق اثنتين ﴾ فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف . وأما سائر الصحابة  
فقد أعطوهما حكم الجماعة ، والذي يعلل به قولهم : أن قوله ( الذكر مثل حظ الأنثيين ) قد دلّ  
على أن حكم الأنثيين حكم الذكر ، وذلك أن الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة ، فالأثنيان كذلك  
يحوزان الثلثين ، فلما ذكر ما دلّ على حكم الأنثيين قيل ( فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك )  
على معنى : فإن كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للأنثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن

(١) عاد كلامه . قال محمود : فإن قلت لم قيل : فإن كن نساء ، ولم يقل : وإن كانت امرأة ... الخ ، قال أحد :  
يريد أن حكم البنيتين حال اجتماعهما مع الابن مذكور في قوله ( الذكر مثل حظ الأنثيين ) وأن حكم البنات منفردات  
مذكور في قوله ( فإن كن نساء ) وأن حكم البنت منفردة مذكور في قوله ( وإن كانت واحدة فلها النصف ) وبقي عليه  
أن ذكر الابن في حال الانفراد مستفاد من قوله ( الذكر مثل حظ الأنثيين ) إذا ضمته إلى قوله ( وإن كانت واحدة  
فلها النصف ) على التقرير الذي قدمته .

(٢) عاد كلامه . قال في الجواب وأما حكمهما فمختلف فيه ، فابن عباس أبي تزييلهما منزلة الجماعة ... الخ ، قال  
أحمد : وعز النظر أن ابن عباس أجرى التقييد بالصفة ، وهي قوله ( فوق اثنتين ) على ظاهره من مفهوم المخالفة ،  
غير أنه ما كان يقتضى اللفظ أن يقتصر لها على النصف لأجل تعارض المفهومين ، إذ مفهوم ( فلهن ثلثا ما ترك ) أن  
تكون الأثني أقل من الثلثين ، ومفهوم ( فإن كانت واحدة فلها النصف ) أن تكون الأنثيين أزيد من النصف ، فيكون  
أصيهما متردداً فيما بين النصف والثلثين بقدر مجمل . وأما غيره فأظهر للتقييد فائدة جليلة سوى المخالفة ، وتلك الفائدة  
رفع الفرق المتوهم بين الأنثيين وما فوقهما . ومضى ظهرت للتخصيص فائدة جليلة سوى المخالفة وجب المصير إليها  
وسقط التعلق بالمفهوم ، وكأنه على القول المشهور لما علم أن الأنثيين يستوجبان الثلثين بالطرق المذكورة ، وكان  
الوهم قد يسبق إلى أن الزائد على الأنثيين يستوجب أكثر من فرض الأنثيين ، لأن ذلك مقتضى القياس . رفع هذا  
الوهم بإيجاب الثلثين لما فوق الأنثيين كوجوبه لها ، والله أعلم .

ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت . وقيل : إن الثنتين أوسرهما بالميت من الاختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين ، ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما . وقيل : إن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أخرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها . ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه ، فوجب لهما الثلثان (ولأبويه) الضمير للميت . و (لكل واحد منهما) بدل من (لأبويه) (١) بتكرير العامل . وفائدة هذا البدل أنه لو قيل : ولأبويه السدس ، لكان ظاهره اشتراهما فيه . ولو قيل : ولأبويه السدسان ، لأوهم قسمة السدسين عليها على التسوية وعلى خلافها . فإن قلت : فهلا قيل : ولكل واحد من أبويه السدس : وأي فائدة في ذكر الأبوين أولا ، ثم في الإبدال منهما ؟ قلت : لأن في الإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيداً وتشديداً ، كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير . والسدس : مبتدأ . وخبره : لأبويه . والبدل متوسط بينهما للبيان . وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة (السدس) بالتخفيف ، وكذلك الثلث والرابع والتمس . والولد : يقع على الذكر والأنثى ، ويختلف حكم الأب في ذلك . فإن كان ذكراً اقتصر بالأب على السدس ، وإن كانت أنثى عصب مع إعطاء السدس . فإن قلت : قد بين حكم الأبوين في الارث (٢) مع الولد : ثم حكمهما مع

(١) قال محمود : لكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل ... الخ ، قال أحمد : وفي إعرابه بدلا نظر ، وذلك أنه يكون على هذا التقدير من بدل الشيء من الشيء ، وهما كمين واحدة ، ويكون أصل الكلام : والسدس لأبويه لكل واحد منهما ، ويقضى الاقتصار على المبدل منه التشريك بينهما في السدس ، كما قال (فإن كان نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) فاقضى اشتراكهن فيه . فيقتضى البدل - لو قدر إهدار الأول - أفراد كل واحد منهما بالسدس وعدم التشريك ، وهذا يناقض حقيقة هذا النوع من البدل ، لأنه يلزم في هذا النوع أن يكون مؤدى المبدل والبدل واحداً . وإنما فائدته التأكيد بمجموع الاسمين لا غير بلا زيادة معنى ، فإذا تحقق ما بينهما من التبان أعذرت البدلية المذكورة ، وليس من بدل التقديم أيضا على هذا الاعراب ، وإلا لزم زيادة معنى في البدل . فالوجه - والله أعلم - أن يقدر مبتدأ محذوف كأنه قيل : ولأبويه الثلث ثم لما ذكر نصيبهما مجعلا ، فصله بقوله (لكل واحد منهما السدس) وساغ حذف المبتدأ لدلالة التفصيل عليه ضرورة ، إذ يلزم من استحقاق كل واحد منهما للسدس استحقاقهما ، والله أعلم . ولا يستقيم على هذا الوجه أيضا جعله من بدل التثمين . لأنراك لو قلت : الدار كلها للثلاثة : لزيد ، ولعمرو ، ولخالد : كان هذا بدلا وتقسما صحيحا . لأنك لو حذف المبدل منه فقلت : الدار لزيد ولعمرو ولخالد ، ولم تزد في البدل زيادة ، استقام . فلو قلت : الدار لثلاثة : لزيد ثلثها ، ولعمرو ثلثها ، ولخالد ثلثها . لم يستقم بدل تقسيم إذ لو حذف المبدل لصار الكلام : الدار لزيد ثلثها ، ولعمرو ثلثها ، ولخالد ثلثها . فهذا كلام مستأنف ، لأنك زدت فيه معنى تمييز مال كل واحد منهم ، وذلك لا يعطيه المبدل ولا سبيل في بدل الشيء من الشيء إلى زيادة معنى . (٢) عاد كلامه . قال محمود : قد بين حكم الأبوين والارث ... الخ ، قال أحمد : ومذهب ابن عباس أن الاخوة يأخذون السدس الذي حجروا الأم عنه مع وجود الأب ، فعلى هذا يكون قائمة قوله (وورثه أبواه) الاحتراز عما لو ورثه الاخوة مع الأبوين ، فإن الأم لها حصة السدس ، وكأنه قيل : وورثه أبواه ولم يكن ثم إخوة فلأمه الثلث ، فإن كان له إخوة فلأمه السدس . ولا يمكن جعله على مذهب ابن عباس مقيدا بعدم الزوجين ، لأن ثلث الأم عنده لا يتغير بوجود واحد منهما ، والله الموفق .

عدمه ، فهلا قيل : فإن لم يكن له ولد فلائمه الثلث . وأى فائدة في قوله ( وورثه أبواه ) ؟ قلت : معناه : فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه لحسب ، فلائمه الثلث مما ترك ، كما قال ( لكل واحد منهما السدس مما ترك ) لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين ، كان للأم ثلث ما بقى بعد إخراج نصيب الزوج ، لاثلك ماترك ، إلا عند ابن عباس . والمعنى : أن الأبوين إذا خلاصا تقاسما الميراث : للذكر مثل حظ الأنثيين . فإن قلت : ما العلة في أن كان لها ثلث ما بقى دون ثلث المال ؟ قلت : فيه وجهان : أحدهما أن الزوج إنما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة . فأشبه الوصية في قسمة ماوراءه . والثاني : أن الأب أقوى في الإرث من الأم ، بدليل أنه يضعف عليها إذا خلاصا ويكون صاحب فرض وعصبة ، وجامعا بين الأمرين . فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى إلى حظ نصيبه عن نصيبها . ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف والأم الثلث والباقي للأب ، حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا ، فينقلب الحكم إلى أن يكون الأنثى مثل حظ الذكركين ( فإن كان له إخوة فلائمه السدس ) الإخوة يحجبون الأم عن الثلث وإن كانوا لا يرثون مع الأب ، فيكون لها السدس والأب خمسة الأسداس ، ويستوى في الحجب الاثنان فصاعدا إلا عند ابن عباس<sup>(١)</sup> . وعنه أنهم يأخذون السدس الذي حجبا عنه الأم . فإن قلت : فكيف صح أن يتناول الإخوة الأخوين ، والجمع خلاف التثنية ؟ قلت : الإخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية ، والتثنية كالتثنية والتربيع في إفادة الكمية ، وهذا موضع الدلالة على الجمع المطاق ، فدل بالإخوة عليه . وقرئ : فلائمه ، بكسر الهمزة لتبعا للجزء : ألا تراها لا تسكر في قوله ( وجعلنا ابن مريم وأمه آية ) . ( من بعد وصية ) متعلق بما تقدمه من قسمة الموارث كلها ، لا بما يليه وحده ، كأنه قيل قسمة هذه الأنصبة من بعد وصية يوصى بها . وقرئ ( يوصى بها ) بالتخفيف والتشديد . و ( يوصى بها ) على البناء للفعول مخففا : فإن قلت : ما معنى أو ؟ قلت : معناها الإباحة : وأنه إن كان أحدهما أو كلاهما ، قدم على قسمة الميراث ، كقولك : جالس الحسن أو ابن سيرين . فإن قلت : لم قدمت الوصية على الدين<sup>(٢)</sup> والدين مقدم عليها في الشريعة ؟ قلت : لما

(١) عاد كلامه . قال محمود : . واستوى في حجب الأم الاثنان فصاعدا إلا عند ابن عباس ... الخ ، قال أحمد : ولقد أحسن في هذا التقرير ما لم يحسن كثير من حذاق الأصوليين ، ويريد متلقي في تغاير وصنى الجمع والتثنية . إذ الجمع يتناول الاثنين ويتناول أزيد منهما . ولك هذا . وأما التثنية فقاصرة على الاثنين فيبينهما على هذا العموم والخصوص ، فكل تثنية جمع ، وليس كل جمع تثنية .

(٢) قال محمود : . إن قلت : لم قدمت الوصية على الدين ... الخ ؟ قال أحمد : الوصية على ضربين : لغير معين ، فلا يطالب بها إلا الامام إن عثر عليها . ولمعين ، فله المطالبة . ولكن يتباينان في القوة بين مطالبة رب الدين بدينه والموصى له بوصيته ، لأن رب الدين يطالب بحق مستقر في الذمة سبق له به الفضل على مديانه ، والموصى له إنما يطلب سرقة تفضل بها عليه الميت ، لا عن استحقاق سابق ، فاكفى بما لرب الدين من القوة عن تقديمه في =

كانت الوصية مشبهة لليراث في كونها مأخوذة من غير عوض ، كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاضدهم ولا تطيب أنفسهم بها ، فكان أداؤها مظنة للتفريط ، بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه ، فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمصارعة إلى إخراجها مع الدين ، ولذلك جرى بكلمة «أو» للتسوية بينهما في الوجوب ، ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون ، أمّن أوصى منهم أمّن لم يوص ؟ يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى من ترك الوصية ، فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ، ذهابا إلى حقيقة الأمر ، لأن عرض الدنيا وإن كان عاجلا قريبا في الصورة ، إلا أنه فان ، فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى . وثواب الآخرة وإن كان أجلا إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب الأدنى . وقيل : إن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع . وكذلك الأب إن كان أرفع درجة من ابنه ، سأل أن يرفع إليه ابنه . فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا . وقيل : قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة . ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع ، فوضعتم أتم الأموال على غير حكمة . وقيل : الأب يجب عليه <sup>(١)</sup> النفقة على الابن إذا احتاج ، وكذلك الابن إذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدري أيهما أقرب نفعا . وليس شيء من هذه الأقاويل بملأى للبعى ولا يجابو له ، لأن هذه الجملة اعتراضية . ومن حق الاعتراض أن يؤكد ما اعترض بينه وبينه ، والقول ما تقدم (فريضة) نصبت نصب المصدر المؤكد ، أي فرض ذلك فرضاً ﴿إن الله كان علماً﴾ بمصالح خلقه (حكياً) في كل ما فرض وقسم من الموارث وغيرها .

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَنَّ

== الذكر ، وعند ضعف الموصى له بتقديمه في الذكر عونا له على حصول رفق الوصية ، ويمكن في دفعه طريق آخر فأقول : لم يخاف ترتيب الآية الواقع شرعا فلا يرد السؤال ، وذلك أن أول ما يبدأ به إخراج الدين ، ثم الوصية ، ثم اقتسام ذوى الميراث . فانظر كيف جاء إخراج الميراث آخر ، تلو إخراج الوصية ، تلو الدين ، فوافق قولنا : نسمة الموارث بعد الوصية والدين ، صورة الواقع شرعا . ولو سقط ذكر بعد وكان الكلام : أخرجوا الميراث والوصية والدين ، لما أمكن ورود السؤال المذكور ، والله أعلم .

(١) قوله «عليه» : لعله «له» ، فتدبراه مصححه

مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ  
وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدْمُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ  
شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ  
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾

(فإن كان لمن ولد) منكم أو من غيركم . جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج ، كما جعلت كذلك بحق النسب . والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن (وإن كان رجل) يعنى الميت . و (يورث) من ورث ، أى يورث منه وهو صفة لرجل . و (كلالة) خبر كان ، أى وإن كان رجل موروث منه كلالة ، أو يجعل يورث خبر كان ، وكلالة حالاً من الضمير فى يورث . و قرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل ، وكلالة حال أو مفعول به . فإن قلت : ما السكالة ؟ قلت : ينطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولداً ولا والداً ، وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين ، وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد . ومنه قولهم : ما ورث المجدع من كلالة ، كما تقول : ما صحت عن عى ، وما كف عن جبن . والسكالة فى الأصل : مصدر بمعنى السكال ، وهو ذهاب القوة من الإعياء . قال الأعشى :

\* فَأَلَيْتُ لَأَأْرِثِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ \* (١)

فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد ، لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كالة ضعيفة ، وإذا جعل صفة للوروث أو الوارث فبمعنى ذى كلالة . كما تقول : فلان من قرابتى ، تريد من ذوى قرابتى . ويجوز أن تكون صفة كالهاجة والفقارة للأحق . (٢) فإن قلت : فإن جعلتها اسماً للقرابة فى الآية فعلام تنصبها ؟ قلت : على أنها مفعول له أى يورث لأجل السكالة أو يورث غيره

(١) وأما إذا ما أدلت فقرى لها رقيقين جدبا لا يغيب وفرقدا  
فأليت لا أرثي لها من كلالة ولا من وجى حتى تلاقى محمداً

للأعشى ، يصف ناقته وقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، فصدقه المشركون ومات باليسامة . وأدلت : سارت ليلاً . وجدبا ، وفرقدا : بدل مما قبلهما . وهذا كناية عن طول ليلاها ، بل عن ملها من السير . فأليت . أى حلفت ، لا أرثي : لا أرق لها ، من أجل ملالة وسامة . والوجى : ضرر الخف ونحوه من السير . ويروى بدله : فما لك عندي مشتكى من كلالة . ولا من حفا . والمشتكى : الشكوى . والحفا : الوجى . يقول : إذا سارت ناقتي ليلاً طال ليلاها ، وحملت لا أرق لها من أجل تعب ولا ضرر ، حتى ألقى بها محمداً صلى الله عليه وسلم . وأسند الفعل إليها ، دلالة على أنها تعرفه ، فهى السائرة إليه .

(٢) قوله كالهاجة والفقارة للأحق ، فى الصحاح : رجل بحاجة أى أحق . وفيه رجل فقارة أى أحق هذر . وفيه أيضاً : الهذر - بالتحريك - : الهذبان . والرجل هذر . بكسر الذال . (ع)

لأجلها، فإن قلت: فإن جعلت يورث على البناء للفعول من أورث، فما وجهه؟ قلت: الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث. فإن قلت: فالضمير في قوله (فلسكل واحد منهما) إلى من يرجع حينئذ؟ قلت: إلى الرجل وإلى أخيه أو أخته، وعلى الأول إليهما. فإن قلت: إذا رجع الضمير إليهما أفاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر والأنثى، فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه؟ قلت: نعم، لأنك إذا قلت السدس له أو لواحد من الأخ أو الأخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والأنثى. وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه، أنه سئل عن الكلالة فقال: أقول فيه برأى، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فنى ومن الشيطان والله منه برأى. الكلالة: ما خلا الولد والوالد<sup>(١)</sup>. وعن عطاء والضحاك: أن الكلالة هو الموروث. وعن سعيد ابن جبير: هو الوارث. وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الأم. وتدل عليه قراءة أبى: وله أخ أو أخت من الأم. وقراءة سعد بن أبى وقاص: وله أخ أو أخت من أم. وقيل: إنما استدل على أن الكلالة هنا الإخوة للأم خاصة بما ذكر في آخر السورة من أن للآختين الثلثين وأن للإخوة كل المال، فلم هنا - لما جعل للواحد السدس، وللآنتين الثلث، ولم يزدوا على الثلث شيئاً - أنه يعنى بهم الإخوة للأم، وإلا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الإخوة الأخفاف والأعيان وأولاد العلات<sup>(٢)</sup> وغيرهم (غير مضار) حال، أى يوصى بها وهو غير مضار لورثته وذلك أن يوصى بزيادة على الثلث، أو يوصى بالثلث فادونه، وينته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى. وعن قتادة: كره الله الضرار في الحياة وعند المات ونهى عنه. وعن الحسن: المضارة في الدين أن يوصى بدين ليس عليه ومعناه الإقرار (وصية من الله) مصدر مؤكد، أى يوصيكم بذلك وصية، كقوله (فريضة من الله) ويجوز أن تكون منصوبة بغير مضار، أى لا يضار وصية من الله وهو الثلث فادونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالأولاد وأن لا يدعهم عالة بإسرافه في الوصية. وينصر هذا الوجه قراءة الحسن: (غير مضار. وصية من الله) بالإضافة (والله عليم) بمن جاز أو عدل في وصيته (حليم) عن الجائر لا يعاجله. وهذا وعيد. فإن قلت: في (يوصى) ضمير الرجل إذا جعلته الموروث، فكيف تعمل إذا جعلته الوارث؟ قلت: كما عملت في قوله تعالى (فلن نلثا ما ترك) لأنه علم أن التارك والموصى هو الميت. فإن قلت: فأين ذوالحال فيمن قرأ (يوصى بها) على ما لم يسم فاعله؟ قلت: يضمير يوصى فينتصب عن فاعله

(١) أخرجه ابن أبى شيبة والطبرى وسعيد بن منصور. ومن رواية الشعبي قال: قال أبو بكر. وفي رواية سعيد والطبرى كلام عمر أيضاً.

(٢) قوله سائر الإخوة الأخفاف والأعيان وأولاد العلات، في الصحاح: إخوة أخفاف، إذا كانت أمهم واحدة والآباء شتى. والأعيان: الإخوة بنو أب واحد وأم واحدة. وبنو العلات: أولاد الرجل الواحد من أمهات شتى اهـ ملخصاً من مواضع. (ع)

لأنه لما قيل (يوصى بها) علم أن ثم موصيا، كما قال (يسبح له فيها بالغدق والآصال) على ما لم يسم فاعله، فعلم أن ثم مسجحا، فأضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح، كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾

(تلك) إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث. وسماها حدوداً، لأن الشرائع كالحدود المضروبة الموقفة للمكلفين، لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويخطوها إلى ما ليس لهم بحق (يدخله) قرئ بالياء والنون، وكذلك (يدخله ناراً) وقيل: يدخله، وخالدين حملا على لفظ «من»، ومعناه. وانتصب خالدين وخالداً على الحال. فان قلت: هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات وناراً؟ قلت: لا، لأنهما جريا على غير من هما له، فلا بد من الضمير وهو قولك: خالدين هم فيها، وخالداً هو فيها.

وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا قَابَ نَابًا وَأَصْلَحَا فَأَنْصُرُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾

(يأتين الفاحشة) يرهقنها، يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى. وفي قراءة ابن مسعود: يأتين بالفاحشة. والفاحشة: الزنا لزيادتها في القبح على كثير من اللقبانح (فأمسكوهن في البيوت) قيل معناه: غلدهن ومحبوسات في بيوتكم، وكان ذلك عقوبتهن في أول الإسلام، ثم نسخ بقوله تعالى (الزانية والزاني ...) الآية ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوماً بالكتاب والسنة، ويوصى بإمساكهن في البيوت، بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال (أو يجعل الله لهن سبيلاً) هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح. وقيل: السيل هو الحد، لأنه لم يكن مشروعاً ذلك الوقت. فإن قلت: ما معنى يتوفاهن الموت - والتوفى والموت بمعنى واحد، كأنه قيل: حتى يميتن الموت؟ قلت: يجوز أن يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت، كقوله (الذين تتوفاهم الملائكة)



(إن الذين توفاهم الملائكة) ، (قل يتوفاكم ملك الموت) أو حتى يأخذهم الموت ويستوفى أرواحهم ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ يريد الزاني والزانية ﴿فأذوهما﴾ فوبخوهما واذموهما وقولوا لها: أما استحييتما، أما خفتما الله ﴿فإن تابا وأصلحا﴾ وغيرا الحال ﴿فأعرضوا عنهما﴾ واقطعوا التوبيخ والمذمة، فإن التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب، ويحتمل أن يكون خطاباً للشهود العائرين على سرهما، ويراد بالإذماء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الإمام والحد، فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام فأعرضوا عنهما ولا تعرضوا لهما. وقيل: نزلت الأولى في السحاقيات وهذه في اللواطين. وقرئ: والذان بتشديد النون. والذاتان: بالهمزة وتشديد النون.

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

(التوبة) من تاب الله عليه إذا قبل توبته وغفر له، يعنى إنما القبول والغفران واجب على الله تعالى<sup>(١)</sup> لهؤلاء. (بجهالة) في موضع الحال أى يعملون السوء جاهلين سفهاء، لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة، لا بما تدعو إليه الحكمة والعقل. وعن مجاهد: من عصي الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالة (من قريب) من زمان قريب. والزمان القريب:

(١) قال محمود: د يعنى إنما القبول والغفران واجب على الله... الخ، قال أحمد: وقد تقدم في مواضع أن إطلاق مثل هذا من قول القائل: يجب على الله كذا. مما نعوذ بالله منه - تعالى عن الالتزام والإيجاب رب الأرباب - وقاعدة أهل السنة أن الله تعالى مهما تفضل فهو لا عن استحقاق سابق، لأنهم يقولون: إن الأعمال التي يتوهم القدرية أن العبد يستحق بها على الله شيئاً، كلها خلق الله، فهو الذي خلق لعبد الطاعة وأثابه عليها، وخلق له التوبة وقبيلها منه، فهو المحسن أولاً وآخرها وباطناً وظاهراً، لا كالقدرية الذين يزعمون أن العبد خلق لنفسه التوبة بقدرته وحوله، ليستوجب على ربه المغفرة بمقتضى حكمته التي توجب عليه - على زعمهم - المجازاة على الأعمال إيجاباً عقلياً، فلكذلك يطلقون بلسان الجرأة هذا الإطلاق. وما أشنع ما أكد الزحشرى هذا المعتقد الفاسد بقوله: يجب على الله قبول التوبة، كما يجب على العبد بعض الطاعات. فنظر المعبود بالعبد، وقاس الخالق على الخلق. وإنه لإطلاق بتقيد عنه لسان العاقل ويقشع رجليه استئشاعاً للباع، ويتشتر القلم عند تسطيره. على أن من لطف الله تعالى أن لم يجعل حاكم الكفر كافراً، ولا حاكم البعدة لضرورة ردعها والتحذير منها مبتدعاً. وما بلغ الزحشرى في هذا الإطلاق إلا اغتناماً لفرصة التسك على محبته بصيغة د على المضمر بالرجوب، لجعلها ذريعة لاستباحة هذا الإطلاق، ولم يجعل الله له فيها مستترساً، فانا نقول مماثر أهل السنة قد وعدنا الله قبول التوبة المستجمعة لشرائط الصحة ووقوع هذا الموعود واجب ضرورة صدق الخبر، فهما ورد من صيغ الوجوب فنزل على وجوب صدق الوعد. ومعنى قولنا د صدق الخبر واجب، كعنى قولنا وجود الله واجب، لأن أحدنا لا يستوجب على الله شيئاً. ألمهنا الله الأدب في حق جلالة، وعصمنا من زيف القول وضلاله.

ما قبل حضرة الموت . ألا ترى إلى قوله (حتى إذا حضروا أحدهم الموت) فيبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فيق ما وراء ذلك في حكم القريب . وعن ابن عباس : قبل أن ينزل به سلطان الموت . وعن الضحاك : كل توبة قبل الموت فهو قريب . وعن النخعي : ما لم يؤخذ بكظمه . وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ، <sup>(١)</sup> وعن عطاء : ولا قبل موته بغراق ناقة . وعن الحسن : أن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض : وعزتك لا أفارق ابن آدم مادام روحه في جسده . فقال تعالى : وعزتي لأغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر <sup>(٢)</sup> فإن قلت : مامعنى (من) في قوله (من قريب) ؟ قلت : معناه التبعية ، أى يتوبون بعض زمان قريب ، كأنه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زماناً قريباً ، ففي أى جزء تأب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب ، وإلا فهو تائب من بعيد . فإن قلت : ما فائدة قوله ﴿فأولئك يتوب الله عليهم﴾ بعد قوله : إنما التوبة على الله لم ؟ قلت : قوله (إنما التوبة على الله) لإعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات . وقوله (فأولئك يتوب عليهم) عدة بأنه يني بما وجب عليه ، وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب ﴿ولا الذين يموتون﴾ عطف على الذين يعملون السيئات . سوى بين الذين سقوا توبتهم إلى حضرة الموت ، وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم ، لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة ، فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين ، فكذلك المسوف إلى حضرة الموت لمجازاة كل واحد منهما أو أن التكليف والاختيار ﴿أولئك أعتدنا لهم﴾ في الوعيد نظير قوله (فأولئك يتوب الله عليهم) في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة . فإن قلت : من المراد بالذين يعملون السيئات ، أم الفساق من أهل القبلة أم الكفار ؟ قلت : فيه وجهان : أحدهما أن يراد الكفار ، لظاهر قوله (وهم كفار) . وأن يراد الفساق ، لأن الكلام إنما وقع في الزانيين ، والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا ، ويكون قوله (وهم كفار) وارداً على سبيل التخليط كقوله (ومن كفر

(١) لم أجده من حديث أبي أيوب الأنصارى على ما يتبادر إلى الفهم من هذا الاطلاق وإنما أورده الطبري من طريق قتادة عن العلاء بن زياد عن أبي أيوب بشير بن كعب فذكره . وبشير تابعي معروف وهو بالوحدة والمعجمة مصغر ، ولفقادة فيه إسناده أخرجه الطبري أيضاً بالاستناد المذكور إليه . قال عن قتادة عن عباد بن الصامت ومن هذا الوجه أخرجه إسحاق بن راهويه وهو منقطع بين قتادة وعبادة . وفي الباب عن ابن عمر أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وأحمد وأبو يعلى والطبراني وفي إسناده عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان يختلف فيه ، وعن أبي هريرة أخرجه البزار وفيه يزيد بن عبد الملك الثقفى وهو ضعيف لكن له طريق أخرى أخرجه ابن مردويه عن صحابي معهم أخرجه أحمد والحاكم من رواية عبدالرحمن السلمي قال اجتمع أربعة من الصحابة فذكر الحديث فقال الرابع وأنا سمعته أى النبي صلى الله عليه وسلم يقول لى : إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يغرغر بنفسه .

(٢) أخرجه الثعلبي من رواية عمرو بن عبيد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره . قلت وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري وأخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني .

فإن الله غنى عن العالمين ) وقوله ، فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا ، <sup>(١)</sup> من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر <sup>(٢)</sup> ، لأن من كان مصدقا ومات وهو لم يحدث نفسه بالتوبة ، حاله قريبة من حال الكافر ، لأنه لا يجترئ على ذلك إلا قلب مصمت .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝ (١٩)

كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم ، فزجروا عن ذلك : كان الرجل إذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم <sup>(٣)</sup> عن امرأة ، ألقى ثوبه عليها وقال أنا أحق بها من كل أحد <sup>(٤)</sup> ، فقيل ( لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ) أى أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك : أو مكروهات . وقيل : كان يمسكها حتى تموت ، فقيل : لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم . وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر ، لتفتدى منه بمالها وتحتلع ، فقيل : ولا تعضلوهن لتذهبن ببعض ما آتيتموهن . والعضل : الحبس والتضييق . ومنه : عضلت المرأة بولدها ، إذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه ( إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ) وهى النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلطة ، أى إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع . ويدل عليه قراءة أبى : إلا أن يفحشن عليكم . وعن الحسن : الفاحشة الزنا ، فإن فعلت حل زوجها أن يسألها الخلع . وقيل : كانوا إذا أصابت امرأة فاحشة أخذ منها ماسقا إليها وأخرجها . وعن أبى قلابة ومحمد بن سيرين : لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها . وعن قتادة : لا يحل أن يجبسها ضاررا حتى تفتدى منه ، يعنى وإن زنت . وقيل : نسخ ذلك بالحدود ، وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم ( وعاشروهن بالمعروف ) وهو النصفة في

(١) تقدم في الكلام على آية الحج في آل عمران . (٢) تقدم في البقرة .

(٣) قوله «أخ حميم» في الصحاح «حميمك» قريبك الذى تهتم لأمره . (ع)

(٤) قال محمود : «كان الرجل إذا مات له قريب ألقى ثوبه على امرأته وقال أنا أحق بها من كل أحد... الخ» قال أحمد : وخص تعالى ذكر من آتى القطار من المال بالثبى ، تنبها بالأعلى على الأدنى ، لأنه إذا كان هذا على كثرة ما بذل لأمراته من الأموال منبها عن استعادة شيء يسير حقير منها على هذا الوجه ، كان من لم يبذل إلا الحقير منبها عن استعادته بطريق الأولى . ومعنى قوله (وآتيتن) واثقه ألهن : وكنتم آتيتن ، إذ إرادة الاستبدال في ظاهر الأمر واثقة بعد إثناء المال واستقرار الزوجية .

المبيت والنفقة، والإجمال في القول ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فلا تنفارقوهن لكرهتهن لأنفس وحبها  
فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأدنى إلى الخير، وأحب ما هو بضد ذلك، ولكن  
للنظر في أسباب الصلاح.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْتَبِّدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَعَاطِفْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا  
تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينَا ﴿٢١﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ  
وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢٢﴾

وكان الرجل إذا طمحت عنه<sup>(١)</sup> إلى استطراف امرأة؟ بهت التي تحتها وربما<sup>(٢)</sup> فباحشة حتى  
يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج غيرها. فقيل: ﴿وإن أردتم استبدال زوج﴾  
الآية. والقنطار: المال العظيم، من قنطرت الشيء إذا رفعته. ومنه القنطرة، لأنها بناء مشيد. قال:

كَقَنْطَرَةِ الرَّوِيِّ أَفْصَمَ رَهْبًا لَتُسَكِّنَنَّ هُنَّ حَتَّى تُشَادَّ بِقَرْمِدٍ<sup>(٣)</sup>

وعن عمر رضي الله عنه أنه قام خطيباً فقال: أيها الناس، لا تغالوا بصدق النساء<sup>(٤)</sup>، فلو كانت  
مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أصدق  
امرأة من نساءه أكثر من اثني عشر أوقية، فقامت إليه امرأة فقالت له: يا أمير المؤمنين، لم  
تمنعنا حقاً جعله الله لنا والله يقول (وآتيتم إحداهن قنطاراً) فقال عمر: كل أحد أعلم من عمر  
ثم قال لأصحابه: تسمعونني أقول مثل هذا القول فلا تشكروني على حتى ترد علي امرأة ليست  
من أعلم النساء<sup>(٥)</sup>. والبهتان: أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذف به وهو بريء منه، لأنه بهت

(١) قوله وإذا طمحت عنه، أي ارتفعت إلى استحسان امرأة للتمتع بها بدل امرأته. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله وربما، أي بما ليس فيها كما يؤخذ مما يأتي. (ع)

(٣) لطرفة بن العبد من معلقته يشبه ناقته بقنطرة الرجل الروي. أو النهر الروي، وهو أنسب بلام العبد ويذكر  
الاسم الظاهر بعده. وأفصم: جملة حالية، أي: حلف لا تحاط بالقرد، أي الجيس، حتى تشاد وترفع بالأجر،  
أوليحيط بها القملة حتى ترفع بالجيس. وتسكنن: مضارع مني الجهول مؤكداً بالنون.

(٤) قوله ولا تغالوا بصدق النساء، جمع صدق، كسحب جمع محاب. (ع)

(٥) أخرجه أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وأحمد والدارقطني وابن أبي شيبة والطبراني كلهم من طريق محمد  
ابن سيرين عن أبي العفاء قال خطبنا عمر فذكره دون ما في آخره. وأخرجه الحاكم من أوجه أخرى عن عمر كذلك.  
وذكر الدارقطني في الملل لهذا الحديث اختلافاً كثيراً، ورواه عبد الرزاق من الوجه الأول وزاد فيه: فقامت امرأة  
فقال له ليس ذلك لك يا عمر، وإن الله يقول (وآتيتم إحداهن قنطاراً) الآية. فقال إن امرأة عاصمت عمر لخصته،  
وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة شريح من طريق أشعث بن سوار عن الشعبي عن شريح قال قال عمر... فذكره  
بلفظ السنن واستغربه من هذا الوجه. وأخرجه إسماعيل من رواية عطاء الخراساني عن عمر، وهو منقطع وزاد فيه  
ثم إن عمر خطبهم كلهم - أي بنت علي وأصدقها أربعين ألفاً - وروى أبو يعلى عن طريق ابن إسماعيل - حدثني -

عند ذلك ، أى يتحير . وانتصب (بهتاناً) على الحال ، أى باهتين وآثمين ، أو على أنه مفعول له وإن لم يكن غرضاً ، كقولك : قعد عند القتال جيناً . والميثاق الغليظ : حق الصلبة والمضاجعة ، كأنه قيل : وأخذن به منكم ميثاقاً غليظاً ، أى بإفضاء بعضكم إلى بعض . ووصفه بالغليظ لقوته وعظمه ، فقد قالوا : حجة عشرين يوماً قرابة ، فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج ؟ وقيل : هو قول الولي عند العقد : أنكحتك على ما في كتاب الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : استوصوا<sup>(١)</sup> بالنساء خيراً فإنهن عوان في أيديكم<sup>(٢)</sup> أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله .

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

وكانوا ينكحون رواهم<sup>(٣)</sup> ، وناس منهم يمتقونه<sup>(٤)</sup> من ذى مرواتهم ، ويسمونهم نكاح

== محمد بن عبد الرحمن عن محمد بن عبد الله عن مسروق قال : ركب عمر المنبر ثم قال أيها الناس ما إرثكم في صدق النساء ، وقد كانت الصدقات فيما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه أربع مائة درهم فادون ذلك ، ولو كان الاكثر في ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوا إليهما ثم نزل فأعرضته امرأة من قریش فقالت له : يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزبدوا النساء في صدقهن على أربابهن . قال : نعم ، قالت : أما سمعت الله يقول (وَأْتَيْنَهُنَّ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا ... الآية) فقال عمر : اللهم عفوا كل أحد أفقه من عمر ، ثم رجع فركب المنبر ، فقال : من شاء أن يعطي من ماله ما أحب . (١) هذا مركب من حديثين . الأول أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عمرو بن الأحوص . قال شهدت حجة الوداع - فذكر حديثاً - وفيه « واستوصوا بالنساء خيراً فأنهن عوان عندكم وفي البخارى ومسلم من حديث أبي حازم عن أبي هريرة في أثناء حديث واستوصوا بالنساء خيراً فأنهن خلقن من ضلع - الحديث » . والثاني أخرجه مسلم في حديث جابر الطويل في صفة الحج فقال فيه « وأتموا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » وروى أبو يعلى والبخارى والطبري من رواية موسى بن عبيدة الرضدي أحد الضعفاء عن صدقة بن يسار عن ابن عمر رفعه « أيها الناس ، النساء عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » (فائدة) العوان : جمع عانية ، وهى الأسيرة .

(٢) قوله « فأنهن عوان في أيديكم » في الصحاح : العاني الأسير . وقوم عناة ، ونسوة عوان . (ع)

(٣) قوله « وينكحون رواهم » في الصحاح . الراب زوج الأم . والرابة : امرأة الأب . وريب الرجل :

ابن امرأته من غيره . ونكاح المقت : كان في الجمالية أن يتزوج امرأة أبيه . اه في موضعين . (ع)

(٤) قال محمود فيه : وكانوا ينكحون رواهم وناس منهم يمتقونه ... الخ قال أحمد : وعندي في هذا الاستثناء سر آخر وهو أن هذا انتهى عنه - لفظاته وبشاعته هند أكثر الخلق حتى كان يمتقونها قبل ورود الشرع - جذير أن يمثل النهى فيه فيجتنب ، فكأنه قد أمثل النهى عنه حتى صار مخبراً عن عدم وقوعه ، وكأنه قيل : ما يقع نكاح الأبناء المنكوحات للأب - ولا يؤخذ منه شيء إلا ما قد سلف . وأما في المستقبل بعد النهى فلا يقع منه شيء البتة . ومثل هذا النظر جار في مثل قوله تعالى (وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله) فأجره مرفوعاً على أنه خير وإن كان المراد منهم عن عبادة غير الله ، ولكن لما كان هذا الميثاق جذيراً بالاجتناب وكأنه اجتناب ، عبر عن النهى فيه بصيغة الخبر ورفع الفعل . وقد معنى هذا التقدير بعينه ثم لم يجر مثله في هذه الآية والله أعلم .

المقت . وكان المولود عليه يقال له المقتى . ومن ثم قيل ﴿ ومقتا ﴾ كأنه قيل : هو فاحشة في دين الله بالإنه في القبح ، قبيح بمقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع الفحين . وقرئ : لا تحل لكم بالنساء ، على أن تثنوا بمعنى الوراثة . وكرها - بالفتح ، والضم - من الكراهة والإكراه . وقرئ ( بفاحشة مبينة ) من أبانت بمعنى تبينت أو بينت ، كما قرئ ( مبينة ) بكسر اليااء وفتحها . و ( يجعل الله ) بالرفع ، على أنه في موضع الحال : ( وآتيتم أحداهن ) بوصل همزة إحداهن ، كما قرئ ( فلا اثم عليه ) . فإن قلت : تعضلوهن ، ما وجه إعرابه ؟ قلت : النصب عطفا على أن تثنوا . و ( لا ) لتأكيد النفي . أى لا يحل لكم أن تثنوا النساء ولا أن تعضلوهن . فإن قلت : أى فرق بين تعدية ذهب بالباء ، وبينها بالهمزة ؟ قلت : إذا عدى بالباء فعناه الأخذ والاستصحاب ، كقوله تعالى ( فلما ذهبوا به ) وأما الإذهب فكالإزالة . فإن قلت : ( إلا أن يأتين ) ما هذا الاستثناء ؟ قلت : هو استثناء من أعم الظرف أو المفعول له ، كأنه قيل : ولا تعضلوهن في جميع الاوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة . أو : ولا تعضلوهن لعل من العلل إلا لأن يأتين بفاحشة . فإن قلت : من أى وجه صح قوله ( فعسى أن تكرهوا ) جزاء الشرط ؟ قلت : من حيث أن المعنى : فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة ، فلمل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فإن قلت كيف استثنى ما قد سلف عما نكح آبائكم ؟ قلت : كما استثنى « غير أن سيوفهم » من قوله « ولا عيب فيهم » ، يعنى : إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف ، فأنكحوه ، فلا يحل لكم غيره . وذلك غير ممكن . والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته ، كما يعلق بالحال في التأييد نحو قولهم : حتى يبيض القار ، وحتى يلج الجمل في سم الخياط .

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْتُمُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرُّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾

معنى ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ تحريم نكاحهن <sup>(١)</sup> لقوله ( ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من

(١) قال محمود : ومعناه تحريم نكاحهن ... الخ ، قال أحمد : وهذا تفريع على القول بعموم المشترك في معانيه فاستقام تليقي الجار المذكور بهما ، والله أعلم

النساء ولأن تحريم نكاحهن هو الذى يفهم من تحريمهن ، كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ، ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله . وقرئ ﴿ وبنات الاخت ﴾ بتخفيف الهمزة . وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب ، حتى سمي المرضعة أمّاً للرضيع ، والمراضعة أختاً ، وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه ، وأخته عمته ، وكل ولد ولده من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لآليه ، وأم المرضعة جدته ، وأختها خالته ، وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لآليه وأمه ، ومن ولد لها من غيره فهم إخوته وأخواته لأمه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، <sup>(١)</sup> وقالوا : تحريم الرضاع كتحريم النسب إلا فى مسثلتين : إحداهما أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج أخت ابنه من النسب ويجوز أن يتزوج أخت ابنه من الرضاع ، لأن المانع فى النسب وطؤه أمها . وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع والثانية : لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب ، ويجوز فى الرضاع ، لأن المانع فى النسب وطؤه إياها ، وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع ﴿ من نسائكم ﴾ متعلق بربائكم . ومعناه أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها . فإن قلت : هل يصح أن يتعلق بقوله ﴿ وأمهات نسائكم ﴾ ؟ قلت : لا يخلو إما أن يتعلق بهن وبالربائب ، فتكون حرمتهم وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعاً . وإما أن يتعلق بهن دون الربائب ، فتكون حرمتهم غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة ، فلا يجوز الأول ، لأن معنى « من » مع أحد المتعلقين ، خلاف معناه مع الآخر . ألا تراك إذا قلت : وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت « من » لبيان النساء ، وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن . وإذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإنك جاعل « من » لابتداء الغاية ، كما تقول : بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة ، وليس بصحيح أن يعنى بالكلمة الواحدة فى خطاب واحد معنيين مختلفان . ولا يجوز الثانى لأن ما يليه هو الذى يستوجب التعليق به ، ما لم يعترض أمر لا يرد ، إلا أن تقول : أعلقه بالنساء والربائب ، وأجعل « من » للاتصال ، كقوله تعالى ( المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ) فإني لست منك ولست منى . ما أنا من دد ولا الدد منى : وأمهات النساء متصلات بالنساء لأنهن أمهاتهن <sup>(٢)</sup> كما أن الربائب متصلات بأمهاتهن لأنهن بناتهن . هذا وقد

(١) متفق عليه من حديث عائشة وابن عباس .

(٢) عاد كلامه . قال : « ولا يجوز الثانى لأن ما يليه هو الذى يستوجب التعليق به ما لم يعترض أمر لا يرد إلا أن تقول : أعلقه بالنساء والربائب ، وأجعل من للاتصال ، كقوله تعالى ( المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ) فإني لست منك ولست منى . ما أنا من دد ولا الدد منى . وأمهات النساء متصلات بالنساء لأنهن أمهاتهن . الخ » قال أحمد : يعنى أن لهذا الأعراب وجهاً فى الصحة ، وتكون « من » على هذا مستعملة فى معنى واحد من معانيها وهو =

اتفقوا على أن تحريم أمهات النساء مبهم دون تحريم الرائب ، على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه قال : لا بأس أن يتزوج ابنتها ، ولا يحل له أن يتزوج أمها<sup>(١)</sup> . وعن عمر وعمران بن الحصين رضى الله عنهما : أن الأم تحرم بنفس العقد . وعن مسروق : هي مرسله فأرسلوا ما أرسل الله . وعن ابن عباس : أبهوا ما أبهم الله ، إلا ما روى عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير : أنهم قرءوا : وأمّهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن . وكان ابن عباس يقول : والله ما نزل إلا هكذا . وعن جابر روايتان . وعن سعيد بن المسيب عن زيد : إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها ، كره أن يخلف على أمها . وإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل : أقام الموت مقام الدخول في ذلك ، كما قام مقامه في باب المهر . وسُمي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبا ، لأنه يربهما كما يرب ولده في غالب الأمر ، ثم اتسع فيه فسميا بذلك وإن لم يربهما . فإن قلت : ما فائدة قوله في حجوركم<sup>(٢)</sup> ؟ قلت : فائدته التعليل للتحريم ، وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم ، وفي حكم القلب في حجوركم إذا دخلتم بأمهاتهن ، وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والآلفة ، وجعل الله بينكم المودة والرحمة ، وكانت الحال خليفة بأن تجزوا

== الاتصال ، فيستقيم تعلقها بهما . وقد نقل ذلك عن ابن عباس مذهباً . ونقل أيضاً قراءة عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير : وأمّهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن . وكان ابن عباس يقول : والله ما نزل إلا هكذا انتهى نقل الرغزسرى . والقول المشهور عن الجمهور إيهام تحريم المرأة ، وبقيد تحريم الربيبة بدخول الأم كما هو ظاهر الآية . ولهذا الفرق سر وحكمة ، وذلك لأن المتزوج بآبنة المرأة لا يخلو بعد العقد وقبل الدخول من عاورة بينه وبين أمها ومخاطبات ومساورات ، فكانت الحاجة داعية إلى تنجيز التحريم ليقطع شوقه من الأم فيما ملها ماملة ذوات المحارم ، ولا كذلك العاقد على الأم ، فانه بعيد عن مخاطبة ابنتها قبل الدخول بالأم ، فلم تدع الحاجة إلى تعجيل نشر الحرمة . وأما إذا وقع الدخول بالأم فقد رجعت مظنة خلطة الربيبة ، لحيث تدعو الحاجة إلى نشر الحرمة بينهما ، والله أعلم . (١) أخرجه أبو برة موسى بن طارق الزبيدي في السنن قال ذكر المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . رفته ، وأما رجل نكح امرأة فدخل بها فلا يحل له نكاح ابنتها . وإن لم يكن دخل بها فليس نكح ابنتها . وأما رجل نكح امرأة فدخل بها أو لم يدخل فلا يحل له نكاح أمها ، وأخرجه أبو يعلى والبيهقي من طريق ابن المبارك عن المثنى به . والمثنى ضعيف لكن رواه الترمذي والبيهقي أيضاً من طريق ابن لهيعة عن عمرو به وقال : لا يصح ، وإنما يرويه المثنى وابن لهيعة وهما ضعيفان . انتهى . ويشبه أن يكون ابن لهيعة أخذه عن المثنى لأن أبا حاتم قال لم يسمع ابن لهيعة من عمرو بن شعيب شيئاً . فهذا لم يرتق هذا الحديث إلى درجة الحسن .

(٢) عاد كلامه . قال : « فإن قلت ما فائدة قوله في حجوركم ... الخ ، قال أحمد : وهذا مما قدمته من تخصيص أعلى صور المثنى عنه بالمثنى ، فإن انتهى عن نكاح الربيبة المدخول بأمرها عام في جميع الصور ، سواء كانت في حجر الزوج أو بائنة عنه في البلاد القاصية ، ولكن نكاحها لها وهي في حجره أقبح الصور والطبع عنها أفقر ، فخصت بالنهاي لتساعد الجبل على الاتقياد لأحكام الله ، ثم يكون ذلك تدريجاً وتدريجاً إلى استباح المحرم في جميع صورته ، والله أعلم .



أولادهن مجرى أولادكم، كأنكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم. وعن علي رضي الله عنه: أنه شرط ذلك في التحريم. وبه أخذ داود. فإن قلت: ما معنى ﴿دخلتمهن﴾؟ قلت: هي كناية عن الجماع، كقولهم: بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني أدخلتموهن السر. والباء للتعدي واللس. ونحوه: يقوم مقام الدخول عند أبي حنيفة. وعن عمر رضي الله عنه أنه خلا بجارية فجردها، فاستوهبها ابن له فقال: إنها لا تحل لك. وعن مسروق أنه أمر أن تباع جاريته بعد موته وقال: أما إنني لم أصب منها إلا ما يحرمها على ولدي من اللبس والنظر. وعن الحسن في الرجل يملك الأمة فيغمرها لشهوة أو يقبلها أو يكشفها: أنها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحامد بن أبي سليمان: إذا نظر إلى فرج امرأة فلا يتكح أمها ولا ابنتها. وعن الأوزاعي: إذا دخل بالأم فزناها ولمسها يده وأغلق الباب وأرخى السر، فلا يحل له نكاح ابنتها. وعن ابن عباس وطاوس وعمر بن دينار: أن التحريم لا يقع إلا بالجماع وحده ﴿الذين من أصلابكم﴾ دون من تبنيتم. وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب حين فارقتها زيد بن حارثة<sup>(١)</sup>، وقال عز وجل ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم﴾. ﴿وأن تجمعوا﴾ في موضع الرفع عطف على المحرمات، أي وحرم عليكم الجمع بين الأخنتين. والمراد حرمة النكاح، لأن التحريم في الآية تحريم النكاح وأما الجمع بينهما في ملك اليمين، فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما أنهما قالا: أحلتها آية وحزمتها آية<sup>(٢)</sup> يعنيان هذه الآية وقوله (أو ما ملكت أيمانكم) فرجح على التحريم، وعثمان التحليل<sup>(٣)</sup>. ﴿إلا ما قد سلف﴾<sup>(٤)</sup> ولكن ماضى مغفور بدليل قوله ﴿إن الله كان عفورا رحيمًا﴾

(١) متفق عليه من حديث أنس بغير هذا اللفظ.

(٢) أما حديث عثمان في الموطأ عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب وأن عثمان سئل عن الأخنتين بما ملكت اليمين فقال: لا أمرك ولا نهائك، أحلتها آية وحزمتها أخرى، وأخرجه الشافعي عن مالك وابن أبي شيبة عن طريق مالك والدارقطني عن طريق معمر عن الزهري وهو أشبه بلفظ المصنف. وأما حديث علي فرواه البرار وابن أبي شيبة وأبو يعلى من رواية أبي صالح الحنفي قال قال علي للناس: سلوني فقال ابن الكوا حدثنا يا أمير المؤمنين عن الأخنتين المملوكتين. قال: أحلتها آية وحزمتها أخرى وإنني لا أحله ولا نهى عنه ولا أفله أنا ولا أحد من أهل بيتي.

(٣) أما عثمان فلم أجد عنه التصريح بالتحليل وإنما توقف، وأما علي ففي رواية الموطأ ثم خرج السائل فلق رجلًا من الصحابة قال الزهري أحسبه قال علي فسأله فقال له. ولكني أنهاك ولو كان لي سبل على فعله لجعلته نكالا.

(٤) قال أحمد: موقع هذا الاستثناء كوقع نظيره المقدم ذكره عند قوله: ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء على الوجه الذي بينت، وهو أن هذا النهي لكونه جذريا بأن يمثل أجرى مجرى الإخبار عن أمثاله، حتى كأنه قيل: لا يقع شيء من هذه المحرمات إلا لسالف منها لا غير. أو على الوجه الذي بينه الزحشرى فيما تقدم، وهو أن يكون المراد إلا ما قد سلف فانه غير محرم فتعاطوه إن كان ممكنا، من باب التعليل على المحال بنا للتحريم، إلا أن الزحشرى لم يسلك هذا المسلك ههنا لأن قوله (إن الله كان عفورا رحيمًا) يرشد إلى أن المراد إلا ما قد سلف فانه مغفور لاستثنائه في الآية الأولى لأنه عقبه ثم بقوله (إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) فقد رد في كل آية ما يناسب سياقها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَايَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

(والمحصنات) القراءة بفتح الصاد، وعن طلحة بن مصرف أنه قرأ بكسر الصاد، وهن ذوات الأزواج، لأنهن أحصن فروجهن بالتزويج، فهن محصنات ومحصنات (إلا ما ملكت أيمانكم) يريد: ما ملكت أيمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وإن كن محصنات. وفي معناه قول الفرزدق:

وَذَاتُ حَلِيلٍ أَنْسَكَحَتْهَا رِمَاحُنَا حَلَالٌ لِمَنْ يَبْنِي بِهَا لَمْ تُطْلَقِ <sup>(١)</sup>

(كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد، أى كتب الله ذلك عليكم كتاباً وفرضه فرضاً، وهو تحريم ما حرم. فإن قلت: علام عطف قوله (وأحل لكم)؟ قلت: على الفعل المضمر الذى نصب (كتاب الله) أى كتب الله عليكم بحريم ذلك، وأحل لكم ما وراء ذلك. ويدل عليه قراءة اليماني: كتب الله عليكم، وأحل لكم. وروى عن اليماني: كتب الله عليكم، على الجمع والرفع أى هذه فرائض الله عليكم. ومن قرأ: وأحل لكم، على البناء للمفعول، فقد عطفه على حرمت. (أن تبتغوا) مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم، إرادة أن يكون ابتغواكم (بأموالكم) التى جعل الله لكم قياماً فى حال كونكم (محصنين غير مسافحين) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقدوا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم، ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين الخسرانين. والإحصان: العفة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام، والأموال: المهور وما يخرج فى المناكح. فإن قلت: أين مفعول تبتغوا؟ قلت: يجوز أن يكون مقدراً وهو النساء. والأجود أن لا يقدر، وكأنه قيل: أن تخرجوا أموالكم. ويجوز أن يكون (أن تبتغوا) بدلاً من (وراء ذلكم) والمسافح الزانى، من السفح وهو صب المتى. وكان الفاجر يقول للفاجرة: سافحنى وما ذنبى من المذنب (فما استمتعتم به منهن) فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع أو خلوة صحيحة أو عقد

(١) للفرزدق، أنشده فى مجلس الجن البصرى حين سئل رضى الله عنه عن سبي المرأة والتسرى بها ولها حليل، فقال: كنت أراك أشعر، فإذا أنت أشعر وأفقه. أى: ورب صاحبة حليل تسيت الرماح فى تزويجها، فاستناد الانكاح إلى الرماح مجاز عطف، حلال: خبر ذات حليل، والبناء عليها: كناية عن الدخول بها، لأن الزوج يبنى لها بيتاً عند الدخول عادة ولم تطلق، جملة حالية من ضمير بها.

عليهن ﴿فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ عليه ، فأسقط الراجع إلى وما ، لأنه لا يلبس ، كقوله (إن ذلك من عزم الأمور) بإسقاط منه . ويجوز أن تكون وما ، في معنى النساء ، و «من» للتبويض أو اليان ، ويرجع الضمير إليه على اللفظ في به ، وعلى المعنى في (فَأَتَوْهُنَّ) وأجورهن مهورهن لأن المهر ثواب على البضع ﴿فريضة﴾ حال من الأجور بمعنى مفروضة أو وضعت موضع إيتاء لأن الإيتاء مفروض أو مصدر مؤكد ، أى فرض ذلك فريضة ﴿فما تراضيتن به من بعد الفريضة﴾ فيما تحط عنه من المهر ، أو تهب له من كله أو يزيد لها على مقداره . وقيل فيما تراضياه به من مقام أو فراق وقيل : نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام <sup>(١)</sup> حين فتح الله مكة على رسوله عليه الصلاة والسلام ثم نسخت ، كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة أو ليلتين أو أسبوعا بثوب أو غير ذلك ، ويقضى منها وطره ثم يسرحها . سميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها . وعن عمر : لا أوق برجل تزوج امرأة إلى أجل إلا رجعتها بالحجارة <sup>(٢)</sup> . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباحها ، ثم أصبح يقول : يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء : ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة <sup>(٣)</sup> . وقيل : أبيع مرتين وحرم مرتين . وعن ابن عباس هي محكمة <sup>(٤)</sup> يعنى لم تنسخ ، وكان يقرأ : فاستمتعتم به منهن إلى أجل مسمى . ويروى أنه رجع عن ذلك عند موته وقال : اللهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة ، وقولي في الصرف <sup>(٥)</sup>

(١) قوله وفي المتعة التي كانت ثلاثة أيام، أى أبيع هذه المدة ثم نسخت . (ع)

(٢) أخرجه مسلم وابن حبان من طريق جابر عنه في أثناء حديث .

(٣) أخرجه مسلم من رواية الربيع بن ميسرة عن أبيه ﴿قاعدة﴾ «قوله ثم أصبح» لم يرد أنه قال ذلك صبيحة الليلة التي أباحها قبلها يوم ، بل أراد أنه قال ذلك صباحا .

(٤) لم أجده .

(٥) أما رجوعه عن المتعة فرواه الترمذى بسند ضعيف عنه . وأما قوله «اللهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة» فلم أجده . وأما قوله «أتوب إليك من قولي بالصرف» فروى عنه معنى ذلك من أوجه : منها ما رواه أبو يعلى من طريق عبد الرحمن بن أبي نعيم قال : جاء أبو سعيد إلى ابن عباس فذكر مغازله إياه في الصرف وفيه فقال : فسمعت بعد ذلك يقول : اللهم إني أتوب إليك عما كنت أفتى به الناس في الصرف . وللنسائي في الكنى من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما . أنه سمعه يقول «استغفر الله وأتوب إليه» من قولي في الصرف . ولا بن عدى من رواية داود بن علي عن أبيه عن جده أنه ترك قوله في الصرف حين سمع أبا سعيد يروى انتهى عنه . ولا بن ماجه من رواية أبي الجوزاء سمعت ابن عباس يأمر بالصرف ثم بلغني أنه رجع . ثم لقينته بمكة فقال نعم إنما كان رأيا مني . وللحاكم من طريقه نحوه . وللطبراني من رواية بكر بن عبد الله الذي مطولا . وفيه «وإني استغفر الله وأتوب إليه» ، والبخاري في التاريخ من رواية ابن سيرين قال أشهد على اثني عشر من أصحاب ابن مسعود أنهم شهدوا ابن عباس تاب من قوله في الصرف : منهم عبيدة السلماني . وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن أبي هشام الواسطي عن زياد قال : كنت مع ابن عباس بالطائف فرجع عن الصرف قبل أن يموت بسبعين يوما .

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَتِ الْمُؤْمِنَتِ فَمِنْ  
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ  
مِنْ بَعْضٍ قَالَتْ فَذْنُهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَتٌ  
غَيْرُ مُسَفِّحَتٍ وَلَا مُتَخِذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ  
مَا عَلَى الْمُحْصَنَتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْيرُوا خَبْرًا  
لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾

الطول : الفضل ، يقال : له فلان على فلان طول أى زيادة وفضل . وقد طاله طولاً فهو طائل . قال :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ <sup>(١)</sup>

ومنه قولهم : ما حلا منه بطائل ، أى بشئ يعتد به مما له فضل وخطر . ومنه الطول فى الجسم لأنه  
زيادة فيه ، كما أن القصر قصور فيه ونقصان . والمعنى : ومن لم يستطع زيادة فى المال وسعة <sup>(٢)</sup>  
يلعب بها نكاح الحرة فليتكح أمة . قال ابن عباس : من ملك ثلاثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم  
عليه نكاح الإماء <sup>(٣)</sup> وهو الظاهر ، وعليه مذهب الشافعى رحمه الله . وأما أبو حنيفة رحمه الله فيقول :  
الغنى والفقر سواء فى جواز نكاح الأمة ، ويفسر الآية بأن من لم يملك فراش الحرة ، على أن

(١) لقد زادني حبا لنفسي أني  
إذا ما رأيت قطع الطرف بيني  
بغيبض إلى كل امرئ غير طائل  
وبيني فعل العارف المتجاهل

الطرماح بن حكيم ، يقول : لقد زادني بغيبض لغير المحسن حبي لنفسي ، لأنى إذا كرمته ليخله علبت أنى بضده ،  
وأن نفسى كريمة فأحببتها ، إذا رأى غض بصره منى ، فكانه قطع امتداده بينى وبينه كما يفعل العارف بالثبوت المتناقل  
عنه ، كرامة لرؤيتى ، أو استحياء منى .

(٢) قال محمود : «معناه ومن لم يستطع زيادة فى المال وسعة ... الخ» قال أحمد : وعلى هذا يكون الطول  
عند أبى حنيفة : وجود الحرة تحتة ، وهو أحد القولين لمالك رضى الله عنه ، لكن يبعد هذا المعنى ، لأن الطول  
عند مالك فى أحد قوليه : القدرة بالمال على نكاح الحرة خاصة ، حتى لو كانت الحرة تحتة فأراد نكاح الأمة مجزأ  
عن حرة أخرى جاز له ذلك . وفى القول الآخر : الطول أحد الأمرين ، إما القدرة بالمال على نكاح الحرة ، وإما  
وجود الحرة تحتة حتى لا يجوز له نكاح أمة على حرة إن كان عاجزاً عن حرة أخرى . ومقتضى ما نقله المصنف عن  
أبى حنيفة : أنه لا يجوز لمن تحتة حرة نكاح أمة . وأنه يجوز لمن ليست تحتة حرة أن ينكح الأمة ولو كان غنياً ،  
وهو قول لا يساعده ظاهر الآية ، لأن الاستطاعة تثبت وإن لم يفعل المستطيع بمقتضاها . فالمستطيع لنكاح الحرة :  
ذو الطول ، وإن لم يكن تحتة الحرة . وتفهم الاستطاعة على مذهب أبى حنيفة بعيد جداً .

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة وعبد الرزاق من رواية الثعالبي بن سبرة عنه بهذا .

النكاح هو الوطء ، فله أن ينكح أمة . وفي رواية عن ابن عباس أنه قال : وما وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان موسراً . وكذلك قوله ﴿ من فتياتكم المؤمنات ﴾ الظاهر أن لا يجوز نكاح الأمة الكتابية ، وهو مذهب أهل الحجاز . وعند أهل العراق يجوز نكاحها ، ونكاح الأمة المؤمنة أفضل ، لحملوه على الفضل لا على الوجوب ، واستشهدوا على أن الإيمان ليس بشرط بوصف الحرائر به ، مع علمنا أنه ليس بشرط فيهن على الانفاق ، ولكنه أفضل . فإن قلت : لم كان نكاح الأمة منقطاً عن نكاح الحرة ؟ قلت : لما فيه من اتباع الولد الأم في الرق ، ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ، ولأنها بمتبذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع إلى النكاح ومهانة ، والعزة من صفات المؤمنين . وقوله ﴿ من فتياتكم ﴾ أى من فتيات المسلمين ، لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين . فإن قلت : فما معنى قوله ﴿ والله أعلم بما يمينكم ﴾ ؟ قلت : معناه أن الله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرفاقكم في الإيمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم ، وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرة ، والمرأة أفضل في الإيمان من الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا إلا بفضل الإيمان لا بفضل الأحساب والأنساب ، وهذا تأنيس بنكاح الإمام وترك الاستنكاف منه ﴿ بعضكم من بعض ﴾ أى أتم وأرفقاؤكم متواصلون متناسبون لا اشتراككم في الإيمان ، لا يفضل حر عبداً إلا برجحان فيه ﴿ يا إذن أهلن ﴾ اشتراط لإذن الموالى في نكاحهن <sup>(١)</sup> . ويحتج به لقول أبي حنيفة أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن ، لأنه اعتبر إذن الموالى لا عقدهم ﴿ وآتوهن أجورهن بالمعروف ﴾ وآتوا إلهن مهورهن بغير مظل وضرار وإحواج إلى الاقتضاء والزر . فإن قلت : الموالى هم ملاك مهورهن لاهن ، والواجب أداؤها إليهن لا إلهن ، فلم قيل : وآتوهن ؟ قلت : لأنهن وما في أيديهن مال الموالى ، فكان أداؤها لإلهن أداء إلى الموالى . أو على أن أصله : فآتوا مواليهن ، فحذف المضاف ﴿ محصنات ﴾ عفاف . والأخذان : الأخلاء في السر ، كأنه قيل : غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له ﴿ فإذا أحصن ﴾ بالتزويج . وقرئ : أحصن ﴿ نصف ما على المحصنات ﴾ أى الحرائر ﴿ من العذاب ﴾ من الحد كقوله ( وليشهد عداهما ) و ( يدرأ عنها العذاب ) ولا رجم عليهن ، لأن الرجم لا يتنصف ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى نكاح الإمام ﴿ لمن خشى العنت ﴾ لمن خاف الإثم الذى يؤدى إليه غلبة الشهوة . وأصل العنت : انكسار العظم بعد الجبر ، فاستعير لكل مشقة وضرر ، ولا ضرر أعظم من مواجهة المآثم . وقيل : أريد به الحد ، لأنه إذا هويها خشى أن يواقعها فيحد فتزوجها

(١) قال محمود : « هذا اشتراط لإذن الموالى في نكاحهن ... » الخ ، قال أحمد : وليس في الآية اشتراط إذن المولى لمن يتولى عقد نكاح أمته ، ومتولى العقد ومباشرته مسكوت عنه في الآية ، فيجعل على إذنه لو كيله في العقد على أمته ، ولا يلزم أن تكون الأمة هي المباشرة ، ولادليل في الآية على ذلك ، والله أعلم .

﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ في محل الرفع على الابتداء، أى وصبركم عن نكاح الإماء متعفين ﴿خير لكم﴾ وعن النبي صلى الله عليه وسلم: الحرائر صلاح البيت، والإماء هلاك البيت، <sup>(١)</sup> يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي فِيكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ <sup>(٢٦)</sup> وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا <sup>(٢٧)</sup> يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا <sup>(٢٨)</sup>

﴿يريد الله ليبين لكم﴾ أصله يريد الله أن يبين لكم فزادت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت في: لا أبالك، لتأكيد إضافة الأب. والمعنى: يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم، وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ﴿ويتوب عليكم﴾ ويرشدكم إلى طاعات إن قتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ أن تفعلوا ما تستوجبون به أن يتوب عليكم ﴿ويريد﴾ الفجرة ﴿الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما﴾ وهو الميل عن القصد والحق، ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات. وقيل: هم اليهود. وقيل: المجوس: كانوا يحلون نكاح الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت، فلما حرم الله قالوا: فإنكم تحلون بنات الخالة والعمة، والخالة والعمة عليكم حرام، فأنكحوا بنات الأخ والأخت، فنزلت. يقول تعالى: يريدون أن تكونوا زناة مثلهم ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ لإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات. وعن سعيد بن المسيب: ما أيسر الشيطان من بني آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء، فقد أتى على ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشو بالآخرى، وإن أخوف ما أخاف على فتنة النساء. وقرئ: أن يميلوا بالياء. والضمير للذين يتبعون الشهوات. وقرأ ابن عباس (وخلق الإنسان) على البناء للفاعل ونصب الإنسان وعنه رضى الله عنه: ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس

(١) أخرجه الترمذي من رواية أحمد بن محمد بن عمر بن يونس النخعي. حدثنا أحمد بن يوسف العجلي. حدثنا يونس بن مرداس خادم أنس. قال: كنت مع أنس وأبي هريرة فقال أنس: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أحب أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليزوج الحرائر. وقال أبو هريرة سمعته يقول: الحرائر صلاح البيت والإماء فساد البيت. أو قال هلاك البيت. قلت: في إسناد أحمد بن محمد وهو متروك وكذبه أبو حاتم وبنو لا أعرفه.

وغربت : (١) (يريد الله ليبين لكم) ، (والله يريد أن يتوب عليكم) ، (يريد الله أن يخفف عنكم) (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) ، (إن الله لا يغفر أن يشرك به) ، (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) ، (ما يفعل الله بعذابكم) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ يَأْتِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩  
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ

عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٣٠

(بالباطل) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والحياة والغصب والقمار وعقود الربا (إلا أن تكون تجارة) إلا أن تقع تجارة . وقرئ تجارة على : إلا أن تكون التجارة تجارة (عن تراض منكم) والاستثناء منقطع . معناه : ولكن اقصدا كون تجارة عن تراض منكم . أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه . وقوله (عن تراض) صفة لتجارة ، أي تجارة صادرة عن تراض . وخص التجارة بالذكر ، لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها . والتراض رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الإيجاب والقبول ، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى . وعند الشافعي رحمه الله تفزقهما عن مجلس العقد متراضين (ولا تقتلوا أنفسكم) من كان من جنسكم من المؤمنين . وعن الحسن : لا تقتلوا إخوانكم ، أو لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهمية . وعن عمرو بن العاصي : أنه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم يشكر عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم (٢) . وقرأ على رضي الله عنه (ولا تقتلوا)

(١) أخرجه البيهقي في الشعب في الباب السابع والأربعين من رواية صالح المزني عن قتادة ، قال ابن عباس : دُخان آيات في سورة النساء هي خير هذه الأمة مما طلعت عليه الشمس : أولهن (يريد الله ليبين لكم) فذكره وهو عند الطبري من هذا الوجه . وصالح ضعيف وقاتدة عن ابن عباس منقطع .

(٢) أخرجه أبو داود من رواية عبد الرحمن بن جبير عن ابن عباس قال : اجتمعت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشتقت أن أغتسل فأملك فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك لني صلى الله عليه وسلم فقال : يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ، فأخبرته بالذي مني من الاغتسال ، وقلت : إني سمعت الله يقول (ولا تقتلوا أنفسكم) إن الله كان بكم رحيماً فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً وعلقه البخاري فقال : يذكر عن عمرو بن العاص ، وفي الحديث اختلف فيه على يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أنس عن عبد الرحمن فرواه عنه يحيى بن أيوب هكذا وحالف عمرو بن الحارث سنداً ومتناً : أما السند فزاد بين عبد الرحمن وعمرواً بأبيس مولى عمرو ، وأما المتن فقال بدل التيمم : فتوضأ وغسل مغابته . ووافق يحيى بن أيوب عليه ابن خزيمة عند إسماعيل بن ربيعة وأخرجه أحمد بالسند الأول ، وأخرجه ابن حبان بالسند الثاني ، وأخرجه بالسندين الحاكم والدارقطني .

بالتشديد ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ما نهاكم عما يضركم إلا لرحمته عليكم. وقيل: معناه أنه أمر بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصاً لخطاياهم، وكان بكم يأمة محمد رحيماً حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ﴿ذلك﴾ إشارة إلى القتل، أى ومن يقدم على قتل الأنفس ﴿عدواناً وظلماً﴾ لا خطأ ولا اقتصاصاً. وقرئ: ﴿عدواناً﴾ بالكسر. و﴿نصليه﴾ بتخفيف اللام وتشديدها. و﴿نصليه﴾ بفتح النون من صلاه يصليه. ومنه شاة مصلية، ويصليه بالياء والضمير لله تعالى، أو لذلك، لكونه سبباً للصلى ﴿ناراً﴾ أى ناراً مخصوصة شديدة العذاب ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ لأن الحكمة تدعو إليه، ولا صارف عنه من ظلم أو نحوه

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ

### مُدْخِلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

﴿كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وقرئ: كبير ما تنهون عنه، أى ما كبر من المعاصي التى ينهاكم الله عنها والرسول ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ نط ما تستحقونه من العقاب فى كل وقت على صفائكم، ونجعلها كأن لم تكن، لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها، على عقاب السيئات. والكبيرة والصغيرة إنما وصفنا بالكبر والصغر بإضافتهما إما إلى طاعة أو معصية أو ثواب فاعلها <sup>(١)</sup>. والتكفير: إمالة المستحق من العقاب بثواب أزيد، أو توبة. والإحباط: تقيضه، وهو إمالة الثواب المستحق بعقاب أزيد أو بندم على الطاعة. وعن على رضى الله عنه: الكبائر سبع: الشرك، والقتل، والقذف، والزنا، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، والتعزب بعد الهجرة <sup>(٢)</sup>. وزاد ابن عمر: السحر، واستحلال البيت الحرام. وعن ابن عباس: أن رجلاً قال له: الكبائر سبع؟ فقال: هي إلى سبعائة أقرب، لأنه لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار <sup>(٣)</sup>. وروى إلى سبعين. وقرئ: يكفر، بالياء. و﴿مدخلاً﴾ بضم الميم وفتحها، بمعنى المكان والمصدر فيهما.

(١) قوله داو ثواب فاعلها، أى جزائه. ويمكن أن أصل العبارة: ثواب تاركها، لحرفها التاء فلتحذف. (ع)

(٢) أخرجه الطبري عن طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن سهل بن خيثمة عن أبيه، قال: دأب لى هذا المسجد مسجد الكوفة وعلى يخطب، فذكره. وقوله: وزاد ابن عمر استحلال البيت الحرام، أخرجه أبو داود من طريقه مرفوعاً، وأخرجه الثعلبي مرفوعاً.

(٣) قال عبد الرزاق، حدثنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: قيل لابن عباس: الكبائر سبع. قال: هي إلى السبعين أقرب. وروى الطبري من رواية قيس ابن سعد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن رجلاً سأله عن الكبائر سبع؟ قال: هي إلى سبعائة أقرب لأنه لا صغيرة... إلى آخره.



وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا آكْتَسَبُوا  
وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا آكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيماً ﴿٣٢﴾

﴿ولا تمننوا﴾ فهو عن التماسد وعن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال، لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد، وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق أو قبض (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علماً بأن ما قسم له هو مصلحته، ولو كان خلافه لكان مفسدة له، ولا يحسد أخاه على حظه ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا﴾ جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط أو القبض كسباً له ﴿واسألوا الله من فضله﴾ ولا تمننوا أنصاء غيركم من الفضل، ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفذ. وقيل: كان الرجال قالوا: إن الله فضلنا على النساء في الدنيا: لنا سهمان ولهن سهم واحد، فترجو أن يكون لنا أجران في الآخرة على الأعمال ولهن أجر واحد، فقالت أم سلمة ونسوة معها: ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال، فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم. فنزلت.

وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ  
فَأَتَوْهُمْ نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً ﴿٣٣﴾

﴿بما ترك﴾ تبين لكل، أي: ولكل شيء بما ترك ﴿الوالدان والأقربون﴾ من المال جعلنا موالى وراثاً يلوونه ويحرزونه: أو ولكل قوم جعلناهم موالى، نصيب بما ترك الوالدان والأقربون على أن (جعلنا موالى) صفة لكل، والضمير الراجع إلى كل محذوف، والكلام مبتدأ وخبر، كما تقول: لكل من خلقه الله إنساناً من رزق الله، أي حظ من رزق الله، أو: ولكل أحد جعلنا موالى بما ترك، أي وراثاً بما ترك، على أن من، صلة موالى، لأنهم في معنى الوراث، وفي (ترك) ضمير كل، ثم فسر الموالى بقوله (الوالدان والأقربون) كأنه قيل: من هم؟ فقيل: الوالدان والأقربون ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ مبتدأ ضمن معنى الشرط. فوقع خبره مع الفاء وهو قوله ﴿فأتوهم نصيبهم﴾ ويجوز أن يكون منصوباً على قولك: زيداً فاضربه. ويجوز أن يعطف على الوالدان، ويكون المضمرة في (فأتوهم) للوالى، والمراد بالذين عاقدت أيمانكم: موالى الموالاة

كان الرجل يعاقد الرجل فيقول : دمي دمك ، وهدمي هدمك <sup>(١)</sup> ، وتأري تأرك ، وحربي حربك ، وسلي سلبك ، وترثي وأرثك ، وتطلب بي وأطلب بك ، وتعقل عني وأعقل عنك ، فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف ، فنسخ . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب يوم الفتح فقال : ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ، فإنه لم يذهبه الإسلام إلا شدة ، ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام <sup>(٢)</sup> ، وعند أبي حنيفة : لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدنا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق المولاة خلافاً للشافعي . وقيل : المعاودة التني . ومعنى عاقدت أيمانكم : عاقدتهم أيديكم وما سحتموهم . وقرئ ( عقدت ) بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم .

أَرْجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبِعُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

﴿ قوامون على النساء ﴾ يقومون عليهن أمرين ناهين ، كما يقوم الولاة على الرعايا . وسوا قوماً لذلك . والضمير في ﴿ بعضهم ﴾ للرجال والنساء جميعاً ، يعني إنما كانوا مسطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال ، على بعض وهم النساء . وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل ، لا بالتغلب والاستطالة والقهر . وقد ذكروا في فضل الرجال : العقل ، والحزم ، والعزم ، والقوة ، والكتابة . في الغالب ، والفروسية ، والرمي ، وأن منهم الأنبياء والعلماء ، وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى ، والجهاد ، والأذان ، والخطبة ، والاعتكاف ، وتكبيرات التشريق عند أبي حنيفة ، والشهادة في الحدود ، والقصاص ، وزيادة السهم ، والتعصيب في الميراث ، والحالة ، والقسامة ، والولاية في النكاح والطلاق والرجعة ، وعدد الأزواج ، وإليهم الانتساب ، وهم أصحاب اللحي والعائم ﴿ وبما أنفقوا ﴾ وبسبب ما أخرجوا في نكاحهن من أموالهم في المهور

(١) قوله دمي دمك وهدمي هدمك ، في الصحاح الهدم - بالتحريك - : ما تهدم من جوانب البئر فسقط فيها . ويقال : دماؤهم بينهم هدم : أي هدر . وهدم أيضاً بالتسكين ، إذا لم يودوا . (ع)

(٢) هو مركب من حديثين أخرجهما الطبري من حديث قيس بن عاصم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ، ومن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم الفتح : فوا بالحلف ، فإنه لا يريده الإسلام إلا شدة . ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام ، وفي الباب عن جبير بن مطعم رفعه : لا حلف في الإسلام ، أخرجه .

والنفقات . وروى أن سعد بن الربيع وكان نقيباً من نقباء الأنصار نشرت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير ، فلطمها ، فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أفرشته كريمي فلطمها فقال : «لنقتص منه» فزالت ، فقال صلى الله عليه وسلم : «أردنا أمراً وأراد الله أمراً ، والذي أَرَادَ الله خير» <sup>(١)</sup> ، ورفع القصاص . واختلف في ذلك ، فقيل لأقصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ، ولكن يجب العقل . وقيل : لأقصاص إلا في الجرح والقتل . وأما اللطمة ونحوها فلا **(قاتلات)** مطيعات قائمات بما عليهن الأزواج **(حافظات للغيب)** خلاف الشهادة . أى حافظات لمواجب الغيب إذا كان الأزواج غير شاهدين لهن حفظهن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة ، من الفروج والبيوت والأموال . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : «خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك ، وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها» وتلا الآية <sup>(٢)</sup> وقيل **(لغيب)** لأسرارهم **(بما حفظ الله)** بما حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج في كتابه وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام فقال : «استوصوا بالنساء خيراً» <sup>(٣)</sup> أو بما حفظهن الله وعصمن ووقفهن لحفظ الغيب ، أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب ، وأوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة . و«ما» مصدرية . وقرئ **(بما حفظ الله)** بالنصب على أن ما موصولة ، أى حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وأمانة الله ، وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم . وقرأ ابن مسعود : فالصوالح قويات حوافظ للغيب بما حفظ الله فأصلحوه إليهن . نشوزها ونشوصها : أن تعصى زوجها ولا تطمئن إليه وأصله الاتزاج **(في المضاجع)** في المراقدة . أى لا تدخلوهن تحت اللحد أو هي كناية عن الجماع . وقيل : هو أن يولها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع : في بيوتهن التي يبتن فيها . أى

(١) كذا ذكره التعليق والواحدى عن مقاتل به . ولأبي داود في المراسيل وابن أبي شيبة والطبري عن الحسن أن رجلاً لطم وجه امرأته : فأنت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكت إليه . فقال : القصاص . فنزلت ( الرجال قوامون على النساء ) ولابن مردويه عن علي بن أسناده أو نحوه . ولم يقل «القصاص» وزاد : أردت أمراً وأراد الله غيره .

(٢) أخرجه أبو داود والحاكم والترمذي من رواية مجاهد عن ابن عباس « لما نزلت الذين يكتزون الذهب والفضة ، الحديث . وفيه ألا أخبركم بغير ما يكتزن : المرأة الصالحة : إذا نظر إليها سرتك ، وإذا أمرها أطاعته . وإذا غاب عنها حفظته » وللنسائي من رواية سعيد المقبري عن أبي هريرة قال « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن خير النساء فقال : التي تطيع إذا أمر وتسرت إذا نظر . وتحفظه في نفسها وماله » وإسناده حسن . وأخرجه البزار والحاكم والطبري وغيرهم من طرق عن سعيد . وفي الباب عن أبي أمامة عند ابن ماجه وإسناده ساقط . وعن عبد الله بن سلام عند الطبراني . وعن ثوبان وغيرهم .

(٣) متفق عليه من حديث أبي حازم عن أبي هريرة . وقد تقدم من وجه آخر .

لاتبأيتوهن . وقرئ : في المضجع ، وفي المضطجع . وذلك لتعزف أحوالهن وتحقق أمرهن في النشوز . أمر بوعظهن أولاً <sup>(١)</sup> ، ثم هجرانهن في المضاجع ، ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ والهجران . وقيل : معناه أكرهوهن <sup>(٢)</sup> على الجماع واربطوهن ، من هجر البعير إذا شده بالهजार . وهذا من تفسير الثقلاء . وقالوا : يجب أن يكون ضرباً غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظماً ويحتجب الوجه . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « علق سوطك حيث يراه أهلك » <sup>(٣)</sup> . وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما : كنت رابعة أربع نسوة عند الزبير بن العوام ، فإذا غضب على إحداها ضربها بعود المشجب <sup>(٤)</sup> حتى يكسره عليها <sup>(٥)</sup> . ويروى عن الزبير أبيات منها :

• وَلَوْلَا بَنُوها حَوْها لَحَبَطُها •

( فلا تبغوا عليهن سبيلاً ) فأزيلوا عنهن التعرض بالأذى والتوبيخ والتجنى ، وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن إلى الطاعة والانقياد وترك النشوز ( إن الله كان علياً كبيراً ) فاحذروه واعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتمكم على من تحت أيديكم . ويروى أن أبا مسعود الأنصاري رفع سوطه ليضرب غلاماً له ، فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصاح به : أبا مسعود ، الله أقدر عليك منك عليه ، فرمى بالسوط وأعتق الغلام <sup>(٦)</sup> . أو إن الله كان علياً كبيراً وإنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ، ثم تتوبون فيتوب عليكم فأتم أحق بالعفو عن يحيى عليكم إذا رجع .

(١) قال محمود : « أمر الله بوعظهن أولاً ... الخ » قال أحمد : وهذا الترتيب بين هذه الأفعال المعطوفة غير متأنق من صيغة لفظية ، إذ العطف بالواو هي مسلوقة الدلالة على الترتيب متحمصة الاشعار بالجمية فقط ، وإنما يتلقى الترتيب المذكور من قرائن غارضة عن اللفظ مفهومة من مقصود الكلام وسيافه .

(٢) عاد كلامه . قال محمود : « وقيل معناه أكرهوهن ... الخ » قال أحمد : ولعل هذا المفسر يتأيد بقوله ( فان أظعنكم ) فانه يدل على تقدم إكراهه على أمرها ، وقرينة المضاجع ترشد إلى أنه الجماع . وإطلاق الزخشرى لما أطلقه في حق هذا المفسر من الإفراط .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث ابن عباس . وفيه ابن أبي الليث القاضى وفيه ضعف . وفي الباب عن ابن عمرو أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة الحسن بن صالح من روايته عن عبد الله بن دينار عنه ، بلفظ « علقوا السوط حيث يراه أهل البيت » وعن جابر رفته « رحم الله رجلاً يعلق السوط حيث يراه أهل البيت » وعن جابر رفته « رحم الله رجلاً يعلق في بيته سوطاً يؤدب به أهله » وفي إسناده عباد بن كثير وهو ضعيف .

(٤) قوله « ضربها بعود المشجب » في الصحاح : المشجب الخشبة التي تعلق عليها الثياب . (ع)

(٥) أخرجه الثعلبي من رواية أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عنها بهذا وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن هشام عن أبيه قال « كان الزبير شديداً على النساء ويكسر عليهن عيذان المشاجب » وقال ابن أبي شيبة حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا هشام به .

(٦) أخرجه مسلم من حديثه نحوه وقال في آخره « أما إنك لو لم تفعل للفتكت النار » .

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

(شقاق بينهما) أصله: شقاقا بينهما، فأضيف الشقاق إلى الظرف على طريق الاتساع، كقوله (بل مكر الليل والنهار) وأصله: بل مكر في الليل والنهار. أو على أن جعل البين مشاقا والليل والنهار ما كرين، على قولهم: نهارك صائم. والضمير للزوجين. ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما، وهو الرجال والنساء (حكما من أهله) رجلا مقنعا راضيا يصلح للحكومة العدل والإصلاح بينهما، وإنما كان بعث الحكمين من أهلها، لأن الأقارب أعرف بيوطن الأحوال، وأطلب للصالح، وإنما تسكن إليهم نفوس الزوجين. ويرز إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة، وموجبات ذلك ومقتضياتها وما يزيانها عن الجانب ولا يجبان أن يطلعوا عليه. فإن قلت: فهل يلبان الجمع بينهما والتفريق إن رأيا ذلك؟ قلت: قد اختلف فيه، فقبل: ليس إليهما ذلك إلا بإذن الزوجين. وقيل: ذلك إليهما، وما جملا حكمين إلا وإليهما بناء الأمر على ما يقتضيه اجتهادهما. وعن عبيدة السلماني: شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد منهما فتام<sup>(١)</sup> من الناس، فأخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما<sup>(٢)</sup>. فقال علي رضي الله عنه للحكمين: أتدريان ما عليكما؟ إن عليكما إن رأيتما أن تفرقا فرقتما، وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما. فقال الزوج: أما الفرقة فلا. فقال علي: كذب والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك. فقالت المرأة: رضيت بكتاب الله لي وعلي. وعن الحسن: يجمعان ولا يفرقان. وعن الشعبي: ما قضى الحكان جاز. والألف في (إن يريدَا إصلاحًا) للحكمين. وفي (يوفق الله بينهما) للزوجين أي إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله، بورك في وساطتهما، وأوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة، وألقى في نفوسهما المودة والرحمة. وقيل: الضميران للحكمين، أي إن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما، فيتفقان على الكلمة الواحدة، ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد. وقيل: الضميران للزوجين. أي: إن يريدَا إصلاح ما بينهما وطلبا الخير وأن يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الألفة، وأبدلها بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة. (إن الله كان عليما خبيرا) يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين (لو أنفقتم ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم).

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

(١) قوله «فتام من الناس» في الصحاح: الفتام الجماعة من الناس، لا واحد له من لفظه اه. (ع)

(٢) أخرجه الشافعي من رواية ابن سيرين عنه. وعبد الرزاق والدارقطني والطبري وغيرهم من طريقه.

وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ  
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّا اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا ﴿٣٦﴾

﴿وبالوالدين إحسانا﴾ وأحسنوا بهما إحسانا ﴿وبذي القربى﴾ وبكل من بينكم وبينه  
قربى من أخ أو عم أو غيرهما ﴿والجار ذى القربى﴾ الذى قرب جواره ﴿والجار الجنب﴾  
الذى جواره بعيد. وقيل الجار: القريب النسيب، والجار الجنب: الأجنبي. وأنشد بلعاء  
ابن قيس:

لَا يَخْتَوِينَا مُجَاوِرٌ أَبَدًا دُورَ حِمٍّ أَوْ مُجَاوِرٌ جُنُبٌ <sup>(١)</sup>

وقرى: والجار ذا القربى، نصبا على الاختصاص. كما قرئ: (حافظوا على الصلوات والصلوة  
الوسطى) تنبيها على عظم حقه لإدلائه بحق الجوار والقربى ﴿والصاحب بالجنب﴾ هو الذى  
صحبك بأن حصل بحضرتك، إما رفيقا فى سفر، وإما جاراً ملاصقاً، وإما شريكاً فى تعلم علم أو  
حرفة، وإما قاعداً إلى جنبك فى مجلس أو مسجد أو غير ذلك، من أدنى صحبة التأمت بينك  
وبينه. فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه، وتجعله ذريعة إلى الإحسان. وقيل: صاحب  
بالجنب: المرأة ﴿وابن السبيل﴾ المسافر المنقطع به. وقيل الضيف، والمختال: التباهى الجحول  
الذى يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه وبماليكه، فلا يتحنن بهم <sup>(٢)</sup> ولا يلتفت إليهم. وقرئ:  
والجار الجنب، بفتح الجيم وسكون النون.

الَّذِينَ يَخْلُونِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾

﴿الذين يخلون﴾ بدل من قوله (من كان مختالاً فخوراً) أو نصب على الذم. ويجوز أن يكون  
رفعاً عليه، وأن يكون مبتدأ خبره مخدوف، كأنه قيل: الذين يخلون ويفعلون ويصنعون،  
أحقاء بكل ملامة. وقرئ: (بالبخل) بضم الباء وفتحها. وبضميتين: أى يخلون  
بذات أيديهم، وبما فى أيدي غيرهم: فيأمرؤنهم بأن يخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد. وفى  
أمثال العرب: أبخل من الضنين بنائل غيره. قال:

(١) ليلغان بن قيس. ويروى: بلعاء. والرحم: القرابة. والجنب: صفة مشبهة بمعنى الأجنبي، يستوى فيه  
المذكر والمؤنث، والواحد والمتعدد. يقول: لا يكرهنا الجار النسيب، ولا الجار الجنب أبداً، لحسن عشرتنا.

(٢) قوله «فلا يتحنن بهم» فى الصحاح: تحنن به، أى بالغت فى إكرامه وإطافه. (ع)

وَأَن أَمَرَ اخَذَتْ يَدَاهُ عَلَى أَمْرِي بِنَزِيلِ يَدٍ مِنْ غَيْرِهِ لَبِخِيلٌ <sup>(١)</sup>

ولقد رأينا من يلي بدء البخل ، من إذا طرق سمعه أن أحدا جاد على أحد ، شخص <sup>(٢)</sup> به وحلّ  
حيوته ، واضطرب ، ودارت عيناه في رأسه ، كأنما نهب رحله وكسرت خزائنه ، ضجراً من  
ذلك وحسرة على وجوده . وقيل : هم اليهود ، كانوا يأتون رجلاً من الأنصار يتنصّحون لهم  
ويقولون : لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر ولا تدرّون ما يكون . وقد عابهم الله بكتان  
نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر إلى الناس . وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنعم الله  
على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته على عبده ، <sup>(٣)</sup> وبني عامل للرشد قصر أهدأ قصره ، فتمّ به  
عنده . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين إن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته ، فأحببت أن أسرك  
بالنظر إلى آثار نعمتك ، فأعجبك كلامه . وقيل : نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم .

(١) سأفطع أرسان القباب بمنظن قصير عناء الفسك فيه طویل  
وإن امرأه ضحت بداه على امرئ بیل يد من غیره لیخیل

الأنى تمام . وقيل للبحترى . والأرسان : الحبال . والقاب التي لها أرسان : البيوت المنسوجة ، جمع قبة وهى الخيمة . وهو دج مقبب : فوقه قبة . والمراد أنه يتدبى فى ارتحال قوم بجلاء ، ففيه مجاز حتى حيث أسند القطع إلى سبيه ، وكناية حيث عبر عن الارتحال بقطع حبال البيوت . ويجوز أن المراد أنه يسكت قوما يدعون الفخر ، ويهدم شرفهم وعظمتهم ، ويظهر ضئفهم وخسئهم ، فشيء ذلك الحال بحال قطع حبال البيوت المرتفعة المطية ، فتتخفف بعد ارتفاعها وتختر ساقطة بعد انتصابها ، على سبيل الاستعارة التخييلية ، وهذا أقرب إلى المقام ، ويجوز أنه شبه المفاخر بالقاب بمجامع العظم ومطلق الشرف والعلو فى كل على طريق التصريح ، وإثبات الأرسان لما ترشيع ، أى : سأبطل دعوى من يدعى المفاخر وليس من أهلها بقول قصير ولكن تعب الفكر فيه طويل المدة . وفيه الطباق بين القصير والطويل . وبين ذلك المنطق بقوله « وإن امرأ بخلت يدها » وأسند البخل إلى البذلها آلة الاعطاء ، فكأن النعم منها ببذل يدائ نعمة ، ويحتمل أن اليدحةيقة ، وأضاف النيل إليها لأنها آتية « بئيل » أى بلبغ في البخل ، فالتنون للتنظيم . ( ٢ ) قوله « شخص به وحل حوته » فى الصحاح : يقال للرجل إذا ورد عليه أمر أفاقه : شخص به . ( ع )

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ  
وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ عَلَيْهِمْ عِلْمًا ﴿٣٩﴾

(رئاء الناس) للبخار، وليقال: ما أمحاهم وما أجودهم! لا ابتغاء وجه الله. وقيل: نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فساء قرينا) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر. ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار (وماذا عليهم) وأي تبعة ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل الله؛ والمراد الذم والتوبيخ. وإلا فكل منفعة ومفاحة في ذلك. وهذا كما يقال للنتقم: ما ضرك لو عفوت. وللعاق: ما كان يرزؤك لو كنت بارا، وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزأة في العفو والبر. ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة (وكان الله بهم علما) وعيد.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ  
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى  
هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَوَّصُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ  
الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾

الذرة: النملة الصغيرة. وفي قراءة عبد الله: مثقال نملة. وعن ابن عباس: أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال: كل واحدة من هؤلاء ذرة. وقيل: كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة. وفيه دليل على أنه لو نقص من الأجر أدنى شيء وأصغره، أو زاده في العقاب لكان ظلما، وأنه لا يفعله لاستحالة في الحكمة لا لاستحالة في القدرة (وإن تك حسنة) وإن يكن مثقال ذرة حسنة وإنما أنت ضمير المثقال (١) لكونه مضافا إلى مؤنث. وقرئ - بالرفع - على كان التامة (يضاعفها) يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الأوقات المستقبلية غير

(١) قال محمود: «وإنما أنت الضمير وهو للمثقال». الخ. قال أحمد: وقد تقدم له مثل ذلك في قوله (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) وقد بينا ثم أن عوده إلى الحفرة جائز، بل أولى. وكذلك عوده هنا إلى الذرة. ولا يمنع ذلك كون المضاف إليه غير ضمير عنه، لأن عود الضمير لا يستلزم الإخبار عنه في الكلام الأول. ويجوز: كانت دابتك، وكل ذلك أسهل من اكتساب المضاف للتأنيث من المضاف إليه. فقد نص أبو علي في التعليل على أنه شاذ.



المتناهية . وعن أبي عثمان النهدي أنه قال لأبي هريرة : بلغني عنك أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة ، قال أبو هريرة : لا ، بل سمعته يقول : إن الله تعالى يعطيه ألف ألف حسنة ، <sup>(١)</sup> ثم تلا هذه الآية . والمراد : الكثرة لا التحديد ( ويؤت من لده أجر عظيم ) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه ( أجراً ) لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته . وقرئ : يضعفها بالتشديد والتخفيف ، من أضعف وضعف : وقرأ ابن هرمز : نضاعفها بالنون ( فكيف ) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم ( إذا جئنا من كل أمة بشيعة ) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم ، كقوله ( وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ) . ( وجئنا بك على هؤلاء ) المكذبين ( شهيدا ) وعن ابن مسعود : أنه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله ( وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ) فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « حسبنا » <sup>(٢)</sup> ( لو تسوى بهم الأرض ) لو يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموثق . وقيل : يودون أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء وقيل : تصوير البهائم تراباً ، فيودون حالها ( ولا يكتُمون الله حديثاً ) ولا يقدرُونَ على كتمانها لأن جوارحهم تشهد عليهم . وقيل الواو للحال ، أى يودون أن يدفنوا تحت الأرض وأنهم لا يكتُمون الله حديثاً . ولا يكذبون في قولهم : والله ربنا ما كنا مشركين ، لأنهم إذا قالوا ذلك وجدوا شركهم ، ختم الله على أفواههم عند ذلك ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الأمر عليهم يتمنون أن تسوى بهم الأرض : وقرئ : تسوى ، بحذف التاء من تسوى . يقال : سويته فتسوى نحو : لويته فتلوى . وتسوى بإدغام التاء في السين ، كقوله : يسمعون ، وماضيه أسوى كأزكى .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ  
وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ

(١) أخرجه أحمد والبخاري وابن أبي شيبة من رواية علي بن زيد بن جدعان عن أبي عثمان . ولفظه بلغني أن أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يضعف الحسنة لعبده المؤمن ألف ألف حسنة فانطلقت فلفيت أبا هريرة ، فقلت : بلغني عنك أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله يعطي بالحسنة ألف ألف حسنة . قال أبو هريرة : بل سمعته يقول : إن الله يعطيه ألف ألف حسنة ثم تلا ( إن الله لا يظلم مثقال ذرة . إلى قوله أجر عظيم ) فمن يدرى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجر عظيم » لم يرفع ابن أبي شيبة قال البخاري لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الاسناد . كذا قال . وقد أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الزهد من طريق زياد الجصاص عن أبي عثمان نحوه . وأخرجه عبد الرزاق عن أبان عن أبي العالية قال : جئت أبا هريرة فذكره موقوفاً . وأبان متروك .

(٢) متفق عليه من رواية عبيدة السلماني عنه ، وقال في آخره « حبك الآن » فالتفت إليه فاذا عيناه تذرفان .

أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمْ يَسْتَمِ الْنِّسَاءُ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَمِمْوْا صَعِيدًا طَيِّبًا  
فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

روى أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشربا فعدا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة، فأكلوا وشربوا، فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلي بهم، فقرأ: أعبد ما تعبدون، وأنتم عابدون ما أعبد، فنزلت. فكانوا لا يشربون في أوقات الصلوات، فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلبوا ما يقولون. ثم نزل تحريمها<sup>(١)</sup>. ومعنى ﴿لا تقربوا الصلاة﴾ لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها. كقوله (ولا تقربوا الزنا)، (لا تقربوا الفواحش). وقيل معناه: ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد، لقوله عليه الصلاة والسلام: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم»<sup>(٢)</sup>، وقيل: هو سكر النعاس وغلبة النوم، كقوله:

... .. وَرَأَوْا بِسُكْرِ مَنَايِمِهِمْ كُلَّ الرُّيُونِ<sup>(٣)</sup>

وقرى: سكارى، بفتح السين. وسكرى، على أن يكون جمعا، نحو: هلكى، وجوعى،

(١) أخرجه أصحاب السنن الثلاثة وأحد وعبد بن حميد والبخاري والمصنف والطبري نحوه دون قوله «فكانوا لا يشربون الخ». كلهم من طريق عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي. واختلف على عطاء في اسم الداعي، وفي اسم المصلى. ففي رواية أبي جعفر الرازي عنه عند الترمذي: صنع لنا عبد الرحمن، وكذا الحاكم من طريق خالد الطحان عنه. وعند أبي داود «أن رجلا دعاه وعبد الرحمن. وللحاكم من رواية الثوري عن عطاء «دعانا رجل من الأنصار». وللترمذي عن علي «فقد موتى» ولأبي داود «وقدموا علينا» وللنسائي من طريق أبي جعفر أيضا «فقدموا عبد الرحمن بن عوف» وأجمه البزار. وكذا الحاكم. وللطبري عن الثوري. وللطبري أيضا عن حماد بن سلمة وللحاكم عن خالد «تنبيه» قوله «فكانوا لا يشربون إلى آخره، لم أجده».

(٢) أخرجه ابن عدى من حديث أبي هريرة وفيه عبد الله بن محرز هو بمهمات وقرن محمد، وهو ضعيف وفي الباب عن ثوبان ومعاذ وأبي الدرداء وأبي أمامة ورواته. لحديث ثوبان في ابن ماجه باللفظ «جنبوا مساجدنا صبيانكم وشراكم ويبيعكم وخصوماتكم» ورفع أصواتكم... الحديث، وحديث معاذ رواه عبد الرزاق من رواية مكحول عنه وهو متقطع. وحديث الباقين رواه الطبراني والعقيلي وابن عدى من رواية مكحول عنهم وفيه العلاء ابن كثير وهو ضعيف. (٣) رانوا: تغطت قلوبهم بالسكر كما يغطي الحديد بالصدأ. والسنات: جمع سنة من وسن كهنة من وعد، وهي فتور العين وغلبة القلب أول النوم. والريون: جمع رين، وهو على القلب كالصدأ على الحديد، ورأيت في الأساس للطرماح ما يشبه أن يكون أصل ذلك وهو قوله:

ووصب قد بعثت إلى ردايا طلاخ مثل أخلاق الجفون

بخافة أن يرين النوم فيهم بسكر سناته كل الريون

والردايا جمع ردية، كقضايا وقضية، التي أصابها الردى. والطلاخ - جمع طليخة أو طليخ - : المهازيل. وأخلاق: جمع خلق، كسبب وهو الشيء البالي. وأضاف السنة لضمير النوم، لأنها أوله فنسبت إليه.

لأن السكر علة تلحق العقل . أو مفرداً بمعنى : وأنتم جماعة سكرى ، كقولك : امرأة سكرى ، ويسكرى بضم السين كحبل . على أن تكون صفة للجماعة . وحكى جناح بن حبيش : كسلى وكسلى ، بالفتح والضم ﴿ ولا جنباً ﴾ عطف على قوله (وأنتم سكرى) لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال ، كأنه قيل : لا تقربوا الصلاة سكرى ولا جنباً . والجنب : يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الإجنب ﴿ إلا عابري سبيل ﴾ استثناء من عامة أحوال المخاطبين . واتصافه على الحال . فإن قلت : كيف جمع بين هذه الحال والحال التى قبلها ؟ قلت : كأنه قيل : لا تقربوا الصلاة فى حال الجنابة ، إلا ومعكم حال أخرى تعذرون فيها ، وهى حال السفر . وعبور السبيل : عبارة عنه . ويجوز أن لا يكون حالاً ولكن صفة ، لقوله (جنباً) أى ولا تقربوا الصلاة جنباً غير عابري سبيل ، أى جنباً مقيمين غير معذورين . فإن قلت : كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر ؟ قلت : أريد بالجنب : الذين لم يغتسلوا كأنه قيل : لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين ، حتى تغتسلوا ، إلا أن تكونوا مسافرين . وقال : من فسر الصلاة بالمسجد معناه : لا تقربوا المسجد جنباً إلا مجتازين فيه ، إذا كان الطريق فيه إلى الماء ، أو كان الماء فيه أو احتملتم فيه . وقيل إن رجلاً من الأنصار كانت أبوابهم فى المسجد ، فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممراً إلا فى المسجد ، فرخص لهم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لأحد أن يجلس فى المسجد أو يمر فيه وهو جنب إلا لعلى رضى الله عنه ، لأن بيته كان فى المسجد<sup>(١)</sup> فإن قلت : أدخل فى حكم الشرط أربعة : وهم المرضى ، والمسافرون ، والمحدثون ، وأهل الجنابة فيمن تعلق الجزاء الذى هو الأمر بالتيمم عند عدم الماء منهم . قلت : الظاهر أنه تعلق بهم جميعاً وأن المرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه فلم يأذن لهم أن يتيمموا ، وكذلك السفر إذا عدموه ، لبعده . والمحدثون وأهل الجنابة كذلك إذا لم يجدوه لبعض الأسباب . وقال الزجاج : الصعيد وجه الأرض<sup>(٢)</sup> ، تراباً كان أو غيره . وإن كان صخراً لا تراب عليه لو ضرب

(١) أصل هذا الحديث فى الترمذى بغير هذا اللفظ . أخرجه من طريق سالم بن أبى حفصة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى وباعلى ، لا يجلس لأحد أن يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيركم . قال الترمذى : حسن غريب لا يعرفه إلا من هذا الوجه . وقد سمعته منى محمد بن إسماعيل اه وقد أخرجه البزار من رواية الحسن بن زياد عن خارجة بن سعد عن أبيه سعد مثله سواء . وقال : لا أعلمه عن سعد إلا بهذا الاسناد ، ثم أخرجه من حديث أبى سعيد كالترمذى . وقال : كان سالم شيعياً . لكنه لم يترك ولم يتابع على هذا ومناه : أنه صلى الله عليه وسلم كان منزله فى المسجد . وفى الباب عن أم سلمة ، أخرجه الطبرى بإسناد ولا ينبغي لأحد أن يجنب فى هذا المسجد إلا أنا وعلى ، وروى أبو يعلى من حديث ابن عباس وأن النبي صلى الله عليه وسلم سد أبواب المسجد إلا باب على ، فدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره .

(٢) قال محمود : « الصعيد وجه الأرض تراباً كان أو غيره ... الخ » قال أحمد : هذا إذا كان الصخر عائداً إلى

المقيم يده عليه ومسح . لكان ذلك طهوره ، وهو مذهب أبي حنيفة رحمة الله عليه . فإن قلت : فما يصنع بقوله تعالى في سورة المائدة ( فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ) أى بعضه ، وهذا لا يتأتى في الصخر الذى لا تراب عليه ؟ قلت : قالوا إن من ، لا ابتداء الغاية . فإن قلت : قولهم إنها لا ابتداء الغاية قول متعسف ، ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل : مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب ، إلا معنى التبعض . قلت : هو كما تقول . والإذعان للحق أحق من المراء . ( إن الله كان عفوا غفورا ) كناية عن الترخيص والتيسير ، لأن من كانت عادته أن يعفو عن الخطأين ويفقر لهم ، أثر أن يكون ميسرا غير معسر . فإن قلت : كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين ، وبين المحدثين والمجنبيين <sup>(١)</sup> ، والمرض والسفر سببان من أسباب الرخصة ، والحدث سبب لوجوب الوضوء . والجنابة سبب لوجوب الغسل ؟ قلت : أراد سبحانه أن يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون الماء في التيمم بالتراب ، نخس أول من بينهم مرضاهم وسفرهم ، لأنهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم بكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الأسباب الموجبة للرخصة ، ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو أو سبع أو عدم آلة استقاء أو إرهاق في مكان لا ماء فيه وغير ذلك بما لا يكثر كثرة المرض والسفر . وقرئ : من غيط ، قيل هو تخفيف غيط ، كهين في هين . والغيط بمعنى الغائط

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ بَشَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ  
أَن يُضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى  
بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾

( ألم تر ) من رؤية القلب ، وعدى يالى ، على معنى : ألم ينته عليك إليهم ؟ أو بمعنى : ألم تنظر إليهم ؟ ( أوتوا نصيبا من الكتاب ) حطا من علم التوراة ، وهم أحبار اليهود ( يشترون الضلالة ) يستبدلون بها الهدى ، وهو البقاء على اليهودية ، بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله

الصعيد ، وثم وجه آخر ، وهو عود التضمير على الحدث المدلول عليه بقوله ( وإن كنتم مرضى ) إلى آخرها ، فإن المفهوم منه : وإن كنتم على حدث في حال من هذه الأحوال سفر أو مرض أو مجزء من الغائط أو ملازمة النساء ، فلم تجدوا ماء تطهروا به من الحدث ، فتمسحوا منه . يقال : تيممت من الجنابة . وهو وقع من ، على هذا مستعمل متداول ، وهى على هذا الاعراب إما للتعليل أو لا ابتداء الغاية ، وكلاهما فيها متمكن ، والله أعلم .

(١) قال محمود : وقال قلت : كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبيين . . الخ ؟ قال أحمد : وهذا من ذكر الممتنى به خاصا ومنوجا في العموم تنبيها بذكره على وجهين مختلفين ، لأن المرض والسفر مندرجان في عموم المحدثين والمجنبيين ، والله أعلم .

صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والإنجيل ﴿ويريدون أن تضلوا﴾ أتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه، وتنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم؛ بل يحبون أن يضل معهم غيرهم. وقرئ: أن يضلوا، بالياء بفتح الضاد وكسرها ﴿والله أعلم﴾ منكم ﴿بأعدائكم﴾ وقد أخبركم بعداوة هؤلاء، وأطلعكم على أحوالهم وما يريدون بكم؛ فاحذروهم ولا تستنصحوهم في أموركم ولا تستشيروهم ﴿وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا﴾ فتقوا بولايته ونصرته دونهم. أو لا تبالوا بهم، فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم.

مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا  
وَأَمْنَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعَيْنَا لَهْجًا بَاسِنَتِيهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا  
وَأَطَعْنَا وَأَمْنَعُ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ  
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾

﴿من الذين هادوا﴾ بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب؛ لأنهم يهود ونصارى. وقوله: ﴿والله أعلم﴾، ﴿وكفى بالله﴾، ﴿وكفى بالله﴾ جعل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض أو بيان لأعدائكم، وما بينهما اعتراض أو صلة لنصيرا، أى ينصركم من الذين هادوا، كقوله ﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا﴾ ويجوز أن يكون كلاما مبتداً، على أن ﴿يحرفون﴾ صفة مبتدأ محذوف تقديره: من الذين هادوا قوم يحرفون. كقوله:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَاتُفٌ قِمْنُهُمَا

أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ (١)

أى فنهما تارة أموت فيها ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ يميلونه عنها وينيلونه؛ لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كل ما غيره، فقد أمالوه عن مواضعه التى وضعها الله فيها، وأزالوه عنها. وذلك نحو تحريفهم وأسمر ربعة، عن موضعه في التوراة بوضعهم و آدم طوال، (٢) مكانه، ونحو تحريفهم والرجم،

(١) وما الدهر إلا تاراتاف فنهما أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

وكلتاها قد خط لى فى صحيفة فلا العيش أهوى لى ولا الموت أروح

لنعم بن عقيل، يقول: ليس الدهر إلا تارتين ومرتين، فتارة أموت بها، وتارة أطلب العيش حال كونى أكدح، أى أجد وأتعب وأسرع فى طلبه، والمراد بالصحيفة: اللوح المحفوظ، ثم قال: ليس العيش أحب إلى لما فيه من النصب، وليس الموت أروح لى لأن النفس تسكره.

(٢) قوله وطوال، هو بالضم: الطويل، وبالكسر: جمعه. وبالفتح مصدر، أفاده الصحاح. (ع)

بوضعهم والحد، بدله : فإن قلت : كيف قيل ههنا (عن مواضعه) وفي المائدة (من بعد مواضعه) قلت : أما (عن مواضعه) فعلى ما فسرناه من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه . وأما (من بعد مواضعه) فالعنى : أنه كانت له مواضع هو قن بأن يكون فيها ، لحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه ومقارنه ، والمعنيان متقاربان . وقرئ : يحرفون الكلام . والكلم - بكسر الكاف وسكون اللام - : جمع كلمة تخفيف كلمة . قولهم ﴿ غير مسمع ﴾ حال من المخاطب <sup>(١)</sup> . أى اسمع وأنت غير مسمع ، وهو قول ذو وجهين ، يحتمل النتم أى اسمع منامدعوا عليك - بلا سمعت - لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع ، فكان أصم غير مسمع . قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم - لاسمعت - دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه . ومعناه غير مسمع جواباً <sup>(٢)</sup> . يوافقك ، فكأنك لم تسمع شيئاً . أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه ، فسمعك عنه ناب . ويجوز على هذا أن يكون (غير مسمع) مفعول اسمع ، أى اسمع كلاماً غير مسمع إياك ، لأن أذنك لاتعيه نبواً عنه . ويحتمل المدح ، أى اسمع غير مسمع مكروهاً ، من قولك : اسمع فلان فلانا إذا سبه . وكذلك قولهم ﴿ راعنا ﴾ يحتمل راعنا نكلمك ، أى ارقبنا وانتظرنا . ويحتمل شبه كلمة عبرانية <sup>(٣)</sup> أو سريانية كانوا يتسابقون بها ، وهى : راعينا ، فكانوا - سخريه بالدين وهزوا برسول الله صلى الله عليه وسلم - يكلمونه بكلام محتمل ، ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التقدير والإكرام ﴿ ليا بالستهم ﴾ فتلا بها وتحريفاً ، أى يفتلون بالستهم الحق إلى الباطل ، حيث يضعون (راعنا) موضع (انظرنا)

(١) قال محمود : « غير مسمع حال من المخاطب ... الخ » قال أحد : مراده بذلك أنه لما فسر غير مسمع بالدعاء وهو إنشاء وطلب وقد أوقعه حالا والحال خبر ، أراد أن يبين أوجه صحة التعبير على الخبر بالإنشاء بواسطة أن هؤلاء كانوا يظنون دعاءهم مستجاباً مخبراً بوقوع المدعو فيه . ونظيره ورود الأمر بصيغة الخبر تنبيهاً على تحقق وقوعه .

(٢) قال محمود ومعناه غير مسمع جواباً ... الخ ، قال أحد : والظاهر أن الكلم المحرف إنما أريد به في هذه السورة مثل « غير مسمع » و « راعنا » . ولم يقصد ههنا تبديل الأحكام وتوسطها بين الكلمتين ، بين قوله (يحرفون) وبين قوله (لياً بالستهم) والمراد أيضاً : تحريف مشاهد بين على أن المحرف هما وأمثالهما . وأما في سورة المائدة فالظاهر - والله أعلم - أن المراد فيها بالكلم الأحكام وتحريفها تبديلاً ، كتبديلهم الرجم بالجلد . الأثره عقبه بقوله (يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا) الاختلاف المراد بالكلم في السورتين . قيل في سورة المائدة (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أى ينقلونه عن الموضع الذى وضعه الله فيه فصار وطئه واستقره إلى غير الموضع ، فبق كالغريب المتأسف عليه ، الذى يقال فيه : هذا غريب من بعد مواضعه ومقارنه ، ولا يوجد هذا المدعى في مثل « راعنا » و « غير مسمع » وإن وجد على بعد فليس الوضع اللغوى إنما يبدأ بانتقاله عن موضعه كالوضع الشرعى . ولولا اشتغال هذا النقل على الهز والسخرية لما عظم أمره ، فلذلك جاء هنا (يحرفون الكلم عن مواضعه) غير مقرون بما قرن به الأول من صورة التأسف .

(٣) قوله « ويحتمل شبه كلمة عبرانية ، عبارة للنسي : ويحتمل شبه كلمة عبرانية ، إلى آخر ما هنا . (ع)

و (غير مسمع) موضع: لا أسمعتم مكروها. أو يقتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهره من التوقيف نفاقا. فان قلت: كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا؟ قلت: جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان، ولا يواجهونه بالسب ودعاء سوء. ويجوز أن يقولوه فيما بينهم. ويجوز أن لا ينطقوا بذلك، ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كأنهم نطقوا به. وقرأ أنى: وأنظرنا، من الإنظار وهو الإمهال. فان قلت: إلام يرجع الضمير فى قوله ﴿لكن خيرا لهم﴾؟ قلت: إلى (أنهم قالوا) لأن المعنى. ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا. لكان قولهم ذلك خيرا لهم ﴿وأقوم﴾ وأعدل وأسد ﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم﴾ أى خذلهم بسبب كفرهم، وأبعدهم عن أطفافهم ﴿فلا يؤمنون إلا﴾ إيماناً (قليلاً) أى ضعيفاً ركيكاً لا يعا به، وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره، أو أراد بالقلة العدم، كقوله:

﴿ قَلِيلٌ التَّشْكَى لِلْمُحِبِّ يُصِيبُهُ ﴾ (١)

أى عديم التشكى، أو لإقلا منهم قد آمنوا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ  
أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ تَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَفْحَبَ السَّبْتِ

وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧)

﴿أن نطمس وجوها﴾ أى نمحو تخطيط صورها، من عين وحاجب وأنف وفم ﴿فتردها على أديارها﴾ فنجعلها على هيئة أديارها، وهى الأقفاء مطموسة مثالبها. والفاء للتسيب، وإن جعلتها للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين: أحدهما عقيب الآخر، ردها على أديارها بعد طمسها؛ فالمعنى

(١) قَلِيلٌ التَّشْكَى لِلْمُحِبِّ يُصِيبُهُ كثير الهوى شتى النوى والمساك  
يظلل بمومة ويمسى بغيرها جحيشا ويعرورى ظهور المبالك

لتأبط شرا، يمدح شمس بن مالك من رؤساء العرب. وقيل لأبي كبير الهذلى يمدح تأبط شرا. والمعنى: أنه عديم التشكى ليظهر المدح. أى لا يشكى لأجل المهم حال كونه يصيبه. كثير هوى النفس. والتشت كالتشتات فى الأصل مصدر، ويستعملان بمعنى المتفرق المنشتر. وروى نشر النوى، وهو بمنه. وروى شتى النوى وهو جمع شتيت، أى متفرقة مختلف، أى نواه ومساك شتى أى كثيرة مختلفة. والنوى: اسم جمع نواة، وهى نية المسافر، ويطلق على البعد أيضا فهو مذكر، ويطلق على نية المسافر فيؤنث. والمومة: المفاصلة لأماء بها. والجحيش: الفريد الوحيد والاعوراء: ركوب الجواد عريان الظهر. وعبر يسمى دون بيت، إشارة إلى أنه يديم السير ولا ينزل فى الليل. وقوله «يعرورى» إشارة إلى أنه يقتحم المكاهر بلا وقاية عها. ولقد شبه المهالك بما يصح ركوبه على طريق المكتنية، وأثبت لها الظهور تحيلا. وفيه إشارة إلى أنه غير مكترث بها، بل يسرع إليها بغير استعداد كاسراع الفارس إلى فرسه وعدم صبره حتى يسرجه. وفيه إشارة إلى أنه يظهر ويظفر حيث عبر بما يفيد الاستعلاء عليها.

أن نطمس وجوها فنسكسها ، الوجوه إلى خلف ، والاقفاء إلى قدام . ووجه آخر : وهو أن يراد بالطمس القلب والتغيير ، كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة . وبالوجوه ، رؤسهم ووجوههم أى من قبل أن تغير أحوال وجباهم ، فنسليهم إقبالهم ووجاهتهم ، ونكسوم صغارهم وإدبارهم أو نردمهم إلى حيث جاؤا منه . وهى : أذرع الشام ، يريد : إجلاء بنى النضير . فإن قلت : لمن الراجع فى قوله (أو نلعنهم) ؟ قلت : للوجوه إن أريد الوجاه ، أو لأصحاب الوجوه . لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى (الذين أتوا الكتاب) على طريقة الالتفات ﴿أو نلعنهم﴾ أو نجزيمهم بالمسخ ، كما مسخنا أصحاب السبت . فإن قلت : فأين وقوع الوعيد . قلت : هو مشروط بالإيمان <sup>(١)</sup> . وقد آمن منهم ناس . وقيل : هو منتظر ، ولا بد من طمس ومسح لليهود قبل يوم القيامة ، ولأن الله عز وجل أو عدهم بأحد الأمرين ، بطمس وجوه منهم ، أو بلعنهم فإن الطمس تبديل أحوال رؤسائهم ، أو إجلائهم إلى الشام ، فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن ، فإنهم ملعونون بكل لسان ، والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ ألا ترى إلى قوله تعالى ( قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ) . ( وكان أمر الله مفعولاً ) فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ

### فَقَدْ أَقْرَىٰ إِنَّمَا عَظِيمًا ٤٨

فإن قلت : قد ثبت أن الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه ، وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة ، <sup>(٢)</sup> فما وجه قول الله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ <sup>(٣)</sup> ؟ قلت : الوجه أن يكون الفعل المنفى والمثبت جميعاً موجّهين إلى

(١) قوله « هو مشروط بالإيمان » لعله : مشروط بعدم الإيمان . (ع)

(٢) قوم « لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة » هذا عند المعتزلة . وأما عند أهل السنة فتغفر بها ، وبالشفاعة ، وبجرد الفضل . (ع)

(٣) قال محمود : « إن قلت قد ثبت أن الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه ... الخ » قال أحد رحمه الله : عقيدة أهل السنة أن الشرك غير مغفور البتة ، ومادونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفر له . هذا مع عدم التوبة . وأما مع التوبة فكلاهما مغفور . والآية إنما وردت فيمن لم يتب ، ولم يذكر فيها توبة كما ترى ، فذلك أطلق الله تعالى نفي مغفرة الشرك ، وأثبت مغفرة مادونه مقرونة بالمشيئة كما ترى ، فهذا وجه انطباق الآية على عقيدة أهل السنة . وأما القدريّة فاتهم بظنون التسوية بين الشرك وبين مادونه من الكبائر في أن كل واحد من النوعين لا يغفر بدون التوبة ولا يشاء الله أن يغفرها إلا للتائبين . فإذا عرض العنصرى هذا المعتقد على هذه الآية رده ونبت عنه ، إذ المغفرة متفية عنها عن الشرك ، وثابتة لمادونه مقرونة بالمشيئة . فأما أن يكون المراد =



قوله تعالى (لمن يشاء) كأنه قيل إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ، ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب ، وبالثاني من تاب . ونظيره قولك : إن الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء . تريد : لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ، ويبذل القنطار لمن يستأهله (فقد افترى إثماً) أى ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُونَ أَنَّهُمْ يُزَكِّي اللَّهُ بِلِ اللَّهِ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ  
فَتِيمًا ٤٩ ﴿٤٩﴾ أَنْظَرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ٥٠ ﴿٥٠﴾

(الذين يزكون أنفسهم) اليهود والنصارى ، قالوا : نحن أبناء الله وأجباؤه ، وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى . وقيل : جاء رجال من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأطفالهم فقالوا : هل على هؤلاء ذنب ؟ قال : لا . قالوا : والله ما نحن إلا كسيتهم ، ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل ، وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار <sup>(١)</sup> . فنزلت . ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاة العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزنى عند الله . فإن قلت : أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله إنى لأمين فى السماء أمين فى الأرض » <sup>(٢)</sup> ؟ قلت : إنما قال ذلك حين قال له المنافقون : اعدل فى القسمة ، إكذاباً بهم إذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه . وشتان من شهد الله له بالتزكية ، ومن شهد لنفسه أو شهد له من لا يعلم ﴿ بل الله يزكى من يشاء ﴾ إعلام بأن تزكية الله هى التى يعتد بها ، لا تزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية . ومعنى يزكى من يشاء : يزكى المرتضى من عباده الذين عرف منهم الزكاة فوصفهم به ﴿ ولا يظلمون فتيلاً ﴾ أى الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم . أو

== فهما من لم يتب ، فلا وجه للفضيل بينهما بتعليق المغفرة فى أحدهما بالمشيئة . وتعليقها بالآخر مطلقاً ، إذ هما صيان فى استحالة المغفرة . وإما أن يكون المراد فهما التائب فقد قال فى الشرك : إنه لا يغفر ، والتائب من الشرك مغفور له ، وعند ذلك أخذ الزعشرى يقطع أحدهما عن الآخر ، فيجعل المراد مع الشرك عدم التوبة ، ومع الكبار التوبة ، حتى تنزل الآية على وفق معتقده ، فيجعلها أمرين لا تحمل واحداً منهما : أحدهما : إضافة التوبة إلى المشيئة وهى غير مذكورة ، ولا دليل عليها فيما ذكر . وأيضاً لو كانت مرادة أكانت هى السبب الموجب للمغفرة على زعمهم عقلاً ، ولا يمكن تعلّق المشيئة بخلافها على ظنهم فى العقل ، فكيف يليق السكوت عن ذكر ما هو العمدة والموجب وذكر ما لا مدخل له على هذا المعتقد الرديء . الثانى أنه بعد تقريره التوبة أحكم فذكرها على أحد القسمين دون الآخر . وما هذا إلا من جعل القرآن تبعاً للرأى ، نعوذ بالله من ذلك . وأما القدرة فهم بهذا المعتقد يقع عليهم المثل السائر « السيد يعطى والعبد يمنع » لأن الله تعالى يصرح كرمه بالمغفرة للعصر على الكبار إن شاء ، وهم يدفون فى وجه هذا التصريح ، ويحيلون المغفرة بناء على قاعدة الأصلح والصالح ، التى هى بالفساد أجدر وأحق .

(١) ذكره الثعلبى عن الكلبي قال : نزلت هذه الآية فى رجال من اليهود أتوا بأطفالهم - فذكره ، وسنده إلى الكلبي فى أول الكتاب . (٢) لم أجده .

من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم . ونحوه ( فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ) : ( كيف يفترون على الله الكذب ) في زعمهم أنهم عند الله أزياء . ( وكفى ) بزعمهم هذا ( إنما مبيناً ) من بين سائر آثامهم .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۝٥١  
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝٥٢

الجبت : الأصنام وكل ما عبد من دون الله : والطاغوت : الشيطان . وذلك أن حي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أنتم أهل كتاب ، وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا ، فلا نأمن مكرهم ، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فمذا إيمانهم ( بالجبت والطاغوت ) لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا . وقال أبو سفيان : أنحن أهدى سبيلاً أم محمد . فقال كعب : ماذا يقول محمد ؟ قالوا يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك . قال : وما دينكم ؟ قالوا : نحن ولاية البيت ، ونسقى الحاج ، ونقرى الضيف ، ونفك العاني . وذكروا أفعالهم ، فقال : أنتم أهدى سبيلاً .

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥

وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شرّ خصلتين : يمتنعون ما أوتوا من النعمة ويتمنون أن تكون لهم نعمة غيرهم فقال ( أم لهم نصيب من الملك ) على أن أم منقطعة (١) ومعنى الهمزة لأنكار أن يكون لهم نصيب من الملك ثم قال ( فإذا لا يؤتون ) أى لو كان لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحداً مقدار نقير لفرط بخلهم : والنقير : النقرة في ظهر النواة

(١) قوله « على أن أم منقطعة » أى نفسر بيل والهمزة . (ع)

وهو مثل في القلة ، كالفتيل والقطير . والمراد بالملك : إما ملك أهل الدنيا ، وإما ملك الله كقوله تعالى ( قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لمسكنم خشية الإنفاق ) وهذا أوصف لهم بالشح ، وأحسن لطباقة نظيره من القرآن . ويجوز أن يكون معنى الهمة في أم : إنكار أنهم قد أوتوا نصيباً من الملك ، وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك . وأنهم لا يؤتون أحداً بما يملكون شيئاً . وقرأ ابن مسعود : فاذا لا يؤتوا ، على إعمال إذا عملها الذى هو النصب ، وهى ملغاة فى قراءة العامة ، كأنه قيل : فلا يؤتون الناس فقيراً إذا ( أم يحسدون الناس ) بل أم يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه . وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازداد العز والتقدم كل يوم ( فقد آتينا ) لإلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة ( آل إبراهيم ) الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه ليس بيدع أن يؤتیه الله مثل ما آتى أسلافه . وعن ابن عباس : الملك فى آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان . وقيل : استكثروا نساء فقيل لهم : كيف استكثرتن له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة ميرة وسبعائة سرية ؟ ( فنهم ) فمن اليهود ( من آمن به ) أى بما ذكر من حديث آل إبراهيم ( ومنهم من صد عنه ) وأنكره مع علمه بصحته . أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من أنكر نبوته . أو من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ، ومنهم من كفر ، كقوله ( فنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ) .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ  
بَدَلًا لِّلنَّارِ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾

( بدلناهم جلوداً غيرها ) أبدلناهم إياها . فإن قلت : كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص ؟ قلت : العذاب للجملة الحساسة ، وهى التى عصت لا للجلد . وعن فضيل : يجعل النضيج غير نضيج . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات ، <sup>(١)</sup> وعن الحسن : سبعين مرة يبدلون جلوداً أيضاً كالقراطيس ( ليذوقوا العذاب ) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع ، كقولك للعزير : أعزك الله ، أى أدامك على عزك وزادك فيه

(١) لم أجده . ولابن عدى والطبرانى عن ابن عمر : قرأ رجل عند عمر ( كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلوداً ) فقال معاذ : تبدل كل ساعة مائة مرة . فقال عمر : هكذا سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه نافع ابن يوسف السلى وأبو هرير وهو ضعيف . وقال إسماعيل بن راهويه فى مسنده : سئل فضيل بن عياض عن هذه الآية ، فأخبرنا عن هشام عن الحسن قال : تبدل جلودهم كل يوم سبعين ألف مرة .

(عزيراً) لا يمتنع عليه شيء مما يريد به المجرمين (حكياً) لا يعذب إلا بعدل من يستحقه .  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾  
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ  
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

(ظليلًا) صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه ، كما يقال : ليل أليل ، ويوم أيوم ، وما أشبه ذلك . وهو ما كان فينا من الأجوب فيه . ودائمًا لا تنسخه الشمس ، وسجسجاً <sup>(١)</sup> لا حر فيه ولا برد ، وليس ذلك إلا ظل الجنة . رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف إليه التفيؤ تحت ذلك الظل . وفي قراءة عبدالله : سيدخلهم بالياء (أن تودوا الأمانات) الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة . وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح ، وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال : لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه ، فلوى على ابن أبي طالب رضى الله عنه يده ، وأخذه منه وفتح ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين . فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة . فنزلت ، فأمر علياً أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي : أكرهت وأذيت ثم جئت ترفق ؟ فقال : لقد أنزل الله في شأنك قرآناً ، وقرأ عليه الآية ، فقال عثمان : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فبسط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة في أولاد عثمان أبداً . <sup>(٢)</sup> وقيل هو خطاب للولاية بأداء الأمانات والحكم بالعدل . وقرئ : الأمانة ، على التوحيد (نعما يعظكم به) (وما، إما أن تكون منصوبة موصوفة بـ يعظكم به . وإما أن تكون مرفوعة موصولة به ، كأنه قيل : نعم شيئاً يعظكم به . أو نعم الشيء الذي يعظكم به . والخصوص بالمدح محذوف ، أى نعما يعظكم به ذلك ، وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكم . وقرئ (نعما) بفتح النون .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ

(١) قوله « فينا » أى طويلاً ، بدأ . والجوب : الحرق والقطع . والسجسج : المتوسط . أفاده الصحاح . (ع)

(٢) هكذا ذكره العلبي ثم البغوي غير إسناده . وكذا ذكره الواحدى في الوسيط والأسباب . وقال فيه ، ما دام

هذا البيت . فإن المفتاح والسدانة في أولاد عثمان .

تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

لما أمر الولاية بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل ، أمر الناس بأن يطيعوه وينزلوا على قضايهم . والمراد بأولى الأمر منكم : أمراء الحق ؛ لأن - أمراء الجور - الله ورسوله بريئان منهم ، فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم ، وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لها في إثبات العدل واختيار الحق والأمريهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان . وكان الخلفاء يقولون : أطيعوني ما عدلت فيكم ، فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم . وعن أبي حازم أن مسلمة بن عبد الملك قال له : ألسنتم أمرتم بطاعتنا في قوله ( وأولى الأمر منكم ) قال : أليس قد نزعت عنكم إذا خالفتكم الحق بقوله ( فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ) وقيل : هم أمراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع أميرى فقد أطاعني ومن يعص أميرى فقد عصاني ،<sup>(١)</sup> وقيل : هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر . ( فإن تنازعتم في شئ ) فإن اختلفتم أتم وأولو الأمر منكم في شئ . من أمور الدين ، فردوه إلى الله ورسوله ، أى : ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة . وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولى الأمر بما لا يبقى معه شك ، وهو أن أمرهم أولاً بأداء الأمانات وبالعدل في الحكم وأمرهم آخر بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل ، وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل ، ولا يردون شيئاً إلى كتاب ولا إلى سنة ، إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهب بهم ، فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله ورسوله ، وأحق أسمائهم : اللصوص المتغلبه ( ذلك ) إشارة إلى الرد إلى الكتاب والسنة ( خير ) لكم وأصلح ( وأحسن تأويلاً ) وأحسن عاقبة . وقيل : أحسن تأويلاً من تأويلكم أتم .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة . والبخارى من رواية الأعرج . ومسلم من رواية الأعرج وأبي سلة كلاهما عنه .

وإِلَى الرُّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۖ ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۖ ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۖ ﴿٦٣﴾

روى أن بشراً المنافق خاصم يهودياً فدعاه اليهودى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف، ثم إنهما احتكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وقال: تعال تتحاكم إلى عمر بن الخطاب. فقال اليهودى لعمر: قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه. فقال للمنافق: أكذاك؟ قال: نعم. فقل عمر: مكانكما حتى أخرج لإيكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال: هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله، فنزلت. وقال جبريل: إن عمر فرق بين الحق والباطل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت الفاروق <sup>(١)</sup>. والطاغوت: كعب بن الأشرف، سماه الله طاغوتا، لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم. أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه. أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم إليه تحاكماً إلى الشيطان، بدليل قوله (وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم). وقرئ (بما أنزل... وما أنزل) على البناء للفاعل. وقرأ عباس بن الفضل: أن يكفروا بها، ذهاباً بالطاغوت إلى الجمع، كقوله (أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم) (تعالوا) بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفاً <sup>(٢)</sup>، كما قالوا: ما باليت به بالة، وأصلها بالية كعافية. وكما قال الكسائي في (آية) إن أصلها آية، فاعلة، فحذفت اللام، فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضممت، فصار (تعالوا)، نحو: تقدموا. ومنه قول أهل مكة: تعالى، بكسر اللام للبرأة. وفي شعر الحمداني:

(١) ذكره الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي عاصم عن ابن عباس في هذه الآية: نزلت في رجل من المنافقين يقال له: بشر. وإسناده إلى الكلبي في خطبة كتابه. وذكره الواحدي أيضاً. ولابن أبي حاتم وابن مردويه من رواية وهب عن ابن أبي ليبة عن أبي الأسود: اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقضى بينهما. فقال الذي قضى عليه ردنا إلى عمر. فانطلقا إليه. فضرب عنق الذي قال: ردنا إلى عمر. فجاء الآخر فأخبره فقال: ما كنت أظن عمر يجترئ على قتل مؤمن. فأنزل الله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون - الآية) فأهدر دمه.

(٢) قوله: من تعاليت تخفيفاً، لعله عند إسناده إلى واو الجمع. فليجرو. (ع)

## \* نَعَالِي أَقَاتِمُكَ الْمُومَ نَعَالِي \* (١)

والوجه فتح اللام ﴿ فكيف ﴾ يكون حالهم ، وكيف يصنعون ؟ يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمراً ولا يوردونه ﴿ إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ﴾ من التحاكم إلى غيرك وإتمامهم لك في الحكم ﴿ ثم جاؤك ﴾ حين يصابون فيعتذرون إليك ﴿ ويحلفون ﴾ ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك ﴿ إلا إحساناً ﴾ لإسالة ﴿ وتوفيقاً ﴾ بين الخصمين ، ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطاً لحكمك ، ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم ، وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم . ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله . وقيل : جاء أولياء المتناق

(١)	أقول وقد ناحت بقرني حمامة	أيا جارتا هل بات حالك حال
	معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى	وما خطرت منك الموموم ببال
	أيا جارتا ما أنصف الدهر بيتنا	نعالى أقاسمك الموموم نعالى
	نعالى ترى روحا لدى ضعيفة	تردد في جسم يعذب بالى
	أبضحك مأسور وتبكي طليقة	ويستك محزون ويندب سالى
	لقد كنت أولى منك بالدمع والبكا	ولكن دمعى في الشدائد غالى

للهمداني بالغاء . وبعضهم يرويه بالخاء . وكان أسيراً . وبات : أى صار حالك كحال في الضيق والحزن ، والاستفهام إنكارى . ويروى بدله « هل تعدلين بحالى » ونسبة العلم إليها لتزيلها منزلة العاقل كما في نداءها . وقال « معاذ الهوى » كما يقال « معاذ الله » لعظمة الهوى عنده ، وهو مصدر نائب عن فعله ، أى ألتجئ إلى الهوى ، من دعوى أنك مثلى ، « ما ذقت » يا حمامة « طارقة » الفراق وشبهها بمطعم مكرره والذرق تخيل . « وما خطرت الموموم ببال » أى بقلب منك . وأيا : حرف نداء . و « جارتا » أصله جارتي ، فقلب لئلا ألقأ لرفع الصوت . وتكرير النداء فيه معنى التحسر . وادعاء بلائها بعد تنزيلها منزلة العاقل بعيد عما أنصف الدهر بيتنا ، حيث أطلقك وأسرك وأسرتى وأحزنتى . والقياس في نعالى - أمر للتؤنة ، وفي نعاليا للثمتى ، وفي نعالوا لجمع الذكور - فتح اللام على أصلها لأنها عين الفعل ، والضمير تال للامه المقدرة ، وأهل مكة يكسرون الأولى لمناسبة الياء ، ويضمون الثانية لمناسبة الواو تنزيلاً لها منزلة لام الفعل . ومنه قوله « أقاسمك الموموم » فلى النصف ولك الآخر . فان قيل : إن قاتل هذا الشعر مولد فلا يمدح بكلامه . قلت : أجيب بأن إرادته من قبيل الاستثناء لا من قبيل الاستبدال . ومذهب الزمخشري أن « هات » بالكسر بمعنى ناولتى ، و « نعالى » بالفتح دائماً على اللغة المشهورة بمعنى أقبل إلى ، كلاهما اسم فعل لا فعل أمر ، ولعله لعدم تصرفها في هذين المعنيين . وأغرب منه ما نقله السيوطى عن بعضهم : أن أدوات النداء أسماء أفعال متجملة لضمير المتكلم بمعنى أهدو . وقوله « ترى » بفتح الراء على اللغة الأولى ، وبكسرهما على الثانية . وتكرير الأمر كتكرير النداء . ومعنى ضعف الروح : يحز حواسها عن الإدراك . و « تردد » أصله : تردد « بالى » أى نحيل . وقوله « أبضحك » استفهام تعجى بالنسبة للجملة الأولى ، وتوبيخى بالنسبة للثانية ، وكذلك المصراع الثانى . ويجوز أنه تعجى في الجميع ، أو توبيخى في الجميع وهو أبدها ، ويعنى بالمأسور والمحزون نفسه . وبالطليقة والنالى الحامة . ويجوز أنه أراد العموم ويدخلان فيه دخولا أولياً . و « المأسور » المحبوس وحزته : لغة قريش . وأحزته : لغة تميم . ومحزون من الأول . والندبة : رفع الصوت بالبكاء ، والمراد به النوح السابق . والسالى : الصابر وقليل الموموم . والدمع : ماء العين ونزوله منها . والمراد الثانى . وروى « بالدمع مقلة » فقلة تمييز ، والأصل : لقد كانت مقلى أولى من مقلك بالدمع . و « غالى » مرافع وممتنع لتجلده الشامتين .

يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا : ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه ، وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به ﴿ فأعرض عنهم ﴾ لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ، ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه ﴿ وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴾ بالغ في وعظهم بالتخفيف والإنذار . فإن قلت : هم تعلق قوله ( في أنفسهم )<sup>(١)</sup> ؟ بقوله ( بليغاً ) أى : قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يقتضون به اغتماماً ، ويستشعرون منه الخوف استشعاراً ، وهو التوعد بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق وأطلع قرنه ، وأخبرهم أن ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله ، وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين ، وما هذه المكافاة إلا لإظهاركم الإيمان وإسرازكم الكفر وإضماره ، فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف . أو يتعلق بقوله ( قل لهم ) أى قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولاً بليغاً ، وأن الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغنى عنكم إبطانه . فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق ، وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالجاهرين بالشرك من انتقامه ، وشرأ من ذلك وأغلظ . أو قل لهم في أنفسهم - خالياً بهم ، ليس معهم غيرهم ، مسازاً لهم بالنصيحة ، لأنها في السر أنجع ، وفي الإحاض أدخل - قولاً بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَدْ أَنْهَمُ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

جَاهُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

(١) قال محمود : إن قلت : هم تعلق قوله في أنفسهم ... الخ ؟ قال أحمد : ولكل من هذه التأويلات شاهد على الصحة . أما الأول فلائح حاصله أمره بتهديدهم على وجه مبلغ صميم قلوبهم وسياق التهديد في قوله ( فكيف إذا أصابهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك ) يشهد له ، فانه أخبر بما يقع لهم على سبيل التهديد . وأما الثاني فيلائحه من السياق قوله ( أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ) يعنى ما انطوت عليه من الخث والمكر والحيل . ثم أمره بوعظهم والاعراض عن جرائمهم ؛ حتى لا تكون مؤاخذتهم بها مانعة من نصيحهم ووعظهم ، ثم جاء قوله ( وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ) كالشرح للوعظ ، ولذكر أمر ما يعظهم فيه ، وتلك نفوسهم التي علم الله ما انطوت عليه من المذام ، وعلى هذا يكون المراد الوعظ وما يتلقى به . وأما الثالث : فيشهد له سيرته عليه الصلاة والسلام في كتم عباد المنافقين ، والتجافي عن إفصاحهم والستر عليهم ، حتى هد حذيفه رضى الله عنه صاحب سره عليه الصلاة والسلام ، لتخصيصه إياه بالاطلاع على أعيانهم ، وتسميتهم له بأسمائهم ، وأخباره في هذا المعنى كثيرة



﴿ وما أرسلنا من رسول ﴾ وما أرسلنا رسولا قط ﴿ إلا ليطاع بإذن الله ﴾ بسبب إذن الله في طاعته ، وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه ، لأنه مؤد عن الله ، فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ ويجوز أن يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿ جاؤك ﴾ تائبين من النفاق متصليين عما ارتكبوا ﴿ فاستنبروا الله ﴾ من ذلك بالإخلاص ، وبالنغوا في الاعتذار إليك من إيذائك برّد قضائك ، حتى انتصبت شفيها لهم إلى الله ومستغفراً ﴿ لوجدوا الله توأباً ﴾ لعلوه توأباً ، أى لتأب عليهم . ولم يقل : واستغفرت لهم ، وعدل عنه <sup>(١)</sup> إلى طريقة الالتفات ، تفخيماً لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً لاستغفاره ، وتنبيهاً على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان ﴿ فلا وربك ﴾ معناه فوربك ، <sup>(٢)</sup> كقوله تعالى ﴿ فوربك لنسألنهم ﴾ وولا ، مزيدة

(١) قال محمود : وإنما لم يقل واستغفرت لهم لأنه عدل به ... الخ ، قال أحمد : وفي هذا النوع من الالتفات خصوصية ، وهى اشتغال على ذكر صفة مناسبة لما أضيف إليه ، وذلك زائد على الالتفات بذكر الأعلام الجامدة ، والله الموفق .

(٢) قال محمود «معناه فوربك و«لا» مزيدة لتأكيد ... الخ ، قال أحمد : يشير إلى أن (لا) لما زيدت مع القسم وإن لم يكن المقسم به ، دل ذلك على أنها إنما تدخل فيه لتأكيد القسم ، فإذا دخلت حيث يكون المقسم عليه نفيًا ، تعين جعلها لتأكيد القسم ، طردا للباب . والظاهر عندى والله أعلم : أنها هنا لتوطئة النفي المقسم عليه ، والعنصرى لم يذكر مانعا من ذلك ، وحاصل ما ذكره بجئها لغير هذا المعنى فى الانبات ؛ وذلك لا يأتى بجئها فى النفي على الوجه الآخر من التوطئة ، على أن فى دخولها على القسم المتيث نظراً ، وذلك أنها لم ترد فى الكتاب العزيز إلا مع القسم ، حيث يكون بالفعل ، مثل (لا أقسم بهذا البلد) ، (لا أقسم بيوم القيامة) ، (فلا أقسم بالحنس) ، (فلا أقسم بمواقع النجوم) (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) ولم تدخل أيضاً إلا على القسم بغير الله تعالى ، ولذلك مر بأبى كونها فى آية النساء لتأكيد القسم . ويعين كونها للتوطئة ، وذلك أن المراد بها فى جميع الآيات التى عددناها ، تأكيد تعظيم المقسم به ، إذ لا يقسم بالشئ إلا إعظاماً له فكأنه يدخلها يقول : إن إعظمى لهذه الأشياء بالقسم بها كلا إعظام ، يعنى أنها تستوجب من التعظيم فوق ذلك ، وهذا التأكيد إنما يؤتى به رفعا لتوهم كون هذه الأشياء غير مستحقة للتنظيم وللإقسام بها ، فبزاح هذا الوهم بالتأكيد فى إبراز فعل القسم مؤكداً بالنفى المذكور . وقد قرر الرعنصرى هذا المعنى فى دخول (لا) عند قوله (لا أقسم بيوم القيامة) على وجه يحمل هذا بسطه وإيضاحه ، فإذا بين ذلك ، فهذا الوهم الذى يراد إزاحته فى القسم بغير الله مندفع فى الأقسام بالله ، فلا يحتاج إلى دخول (لا) مؤكدة للقسم فيتمين حملها على الموطئة ، ولا تكاد تجدها فى غير الكتاب العزيز داخلة على قسم مثبت . وأما دخولها فى القسم وجوابه نفي فكثير مثل :

فلا وأبيك ابنة العاصمى	لا يدعى القسم أى أفر
ولا نادى أمامة باحتيال	لتحزنى فلا بك ما أبالى
رأى برقاً فأوضع فوق بكر	فلا بك ما أسأل ولا أقاما
غالف فلا والله تهبط تلمة	من الأرض إلا أنت للذعارف

وهو أكثر من أن يحصى فتأمل هذا الفصل فانه حقيق بالتأمل .

لنؤكد معنى القسم ، كما زيدت في (لئلا يعلم) لتأكيد وجود العلم . و (لا يؤمنون) جواب القسم فإن قلت : هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر (لا) في (لا يؤمنون) ؟ قلت : يأبى ذلك استواء النفي والإثبات فيه ، وذلك قوله ( فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم ) ( فيما شجر بينهم ) فيما اختلف بينهم واختلط ، ومنه الشجر لتداخل أغصانه ( حرجا ) ضيقاً ، أى لاتضييق صدورهم من حكمك ، وقيل : شكا ، لأن الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين ( ويسلبوا ) وينقادوا ويدعئوا لما تأتى به من قضائك ، لا يعارضوه بشيء ، من قولك : سلم الأمر لله وأسلم له ، وحقيقة سلم نفسه وأسلها ، إذا جعلها سالمة له خالصة ، و ( تسليما ) تأكيد للفعل بمنزلة تكريره . كأنه قيل : وينقادوا لحكمه انقياداً لأشبهه فيه ، بظواهرهم وباطنهم . قيل : نزلت في شأن المنافق واليهودى . وقيل : في شأن الزبير وحاطب بن أبى بلتعة ؛ وذلك أنهما اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحزوة ، كانا يسقيان بها النخل ، فقال واسق يازبير ثم أرسل الماء إلى جارك ، <sup>(١)</sup> فغضب حاطب وقال : لأن كان ابن عمك ؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : واسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقه ، ثم أرسله إلى جارك ، كان قد أشار على الزبير برأى فيه السعة له ولخصمه ؛ فلما أحفظ <sup>(٢)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ، ثم خرجا فمرا على المقداد ، فقال : لمن كان القضاء ؟ فقال الانصارى : قضى لابن عمته ، ولوى شدقه . فظن يهودى كان مع المقداد فقال : قاتل الله هؤلاء ، يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضى بينهم ، وإيم الله ، لقد أذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى ، فدعانا إلى التوبة منه وقال : اقتلوا أنفسكم ، ففعلنا ، فبلغ قتلانا

(١) قال ابن أبى حاتم : حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا سعيد بن عبدالعزيز عن الزهرى عن سعيد بن المسيب - قوله تعالى ( فلا وربك لا يؤمنون - الآية ) قال : نزلت في الزبير بن العوام ، وحاطب بن أبى بلتعة : اختصما في ماء ففضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسقى الأعلى ثم الأسفل ، وأمله في الصحيحين أنهم من هذا من غير تسمية حاطب . أخرجه من طريق الزهرى عن عروة قال داختمهم الزبير ورجل من الأنصار في شراج الحرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اسق يازبير ثم أرسل الماء إلى جارك . فقال الانصارى : يا رسول الله ، إن كان ابن عمك ؟ فتلون وجهه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ، ثم أرسل الماء إلى جارك واستوعب الزبير حقه في صريح الحكم . قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ( فلا وربك لا يؤمنون الآية ) وروى أنهما لما خرجا مرا على المقداد : فقال قاتل الله هؤلاء ، يشهدون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يتهمونه على قضاء يقضى بينهم ، وإيم الله لقد أذنبنا مرة في حياة موسى عليه السلام فدعانا إلى التوبة منه وقال : اقتلوا أنفسكم ، ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس : أما والله إن الله يعلم منى الصدق ، لو أمرنى أن أقتل نفسى لقتلتها ، ذكره المعامى في تفسيره بغير سند عن الصالحى ، وإسناده إليه أول الكتاب .

(٢) قوله « فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم » أى أغضب ، أفاده الصحاح . (ع)

سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضى عنا . فقال ثابت بن قيس بن شباس : أما والله إن الله ليعلم منى الصدق ، لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها . وروى أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده إن من أمتى رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسى » .<sup>(١)</sup> وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : والله لو أمرنا ربنا لفعلنا ، والحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك ، فنزلت الآية في شأن حاطب ، ونزلت في شأن هؤلاء .

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ۖ (٦٦)  
وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ (٦٧) وَلَهْدَ يَنْهَمُ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۖ (٦٨)

﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم ﴾ أى لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم أنفسهم ، أو خروجهم من ديارهم حين استتبوا من عبادة العجل ﴿ ما فعلوه إلا ﴾ ناس ﴿ قليل منهم ﴾ . وهذا توبيخ عظيم . والرفع على البدل من الواو في ﴿ فعلوه ﴾ . وقرئ : إلا قليلا ، بالنصب على أصل الاستثناء ، أو على إلا فعلا قليلا ﴿ ما يوعظون به ﴾ من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته ، والانقياد لما يراه ويحكم به ، لأنه الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ﴿ لكان خيرا لهم ﴾ فى عاجلهم وآجلهم ﴿ وأشد تثبيتا ﴾ لإيمانهم وأبعد من الاضطراب فيه ﴿ وإذا ﴾ جواب لسؤال مقدر ، كأنه قيل وماذا يكون لهم أيضا بعد التثبيت ، قيل : وإذا لو ثبتوا ﴿ لا تأتينا ﴾ لأن إذا جواب وجزاء ﴿ من لدنا أجرا عظيما ﴾ كقوله ( ويؤت من لدنه أجرا عظيما ) فى أن المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجرا ، لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته ( ولهديناهم ) ولطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات .

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۖ (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ۖ (٧٠)

الصديقون : أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا فى تصديقهم كأبي بكر الصديق رضى الله

(١) لم أجده مكذبا ، وإنما ذكره الثعلبي عن الحسن ومقاتل قالا : لما نزلت هذه الآية قال عمر ، وعمار وابن مسعود « والله لو أمرنا الله لفعلنا ، والحمد لله الذى عافانا » فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال - فذكره

عنه وصدقوا في أقولهم وأفعالهم . وهذا ترغيب للثومنين في الطاعة ، حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾ فيه معنى التعجب كأنه قيل : وما أحسن أولئك رفيقا ولا استقلاله بمعنى التعجب . قرئ : وحسن ، بسكون السين . يقول المتعجب : حسن الوجه وجهك ! وحسن الوجه وجهك ! بالفتح والضم مع التسين . والرفيق : كالصديق والحليط في استواء الواحد والجمع فيه ، ويجوز أن يكون مفرداً ، بين به الجنس في باب التميز . وروى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه ، فأتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله ، فقال : يا رسول الله ، ما بي من وجع غير أني إذا لم أراك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، فذكرت الآخرة ، نخت أن لا أراك هناك ، لأنني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزل ، وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبداً ، فزلت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبيه وأهله وولده والناس أجمعين .<sup>(١)</sup> وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة ﴿ ذلك ﴾ مبتدأ و﴿ الفضل ﴾ صفته و﴿ من الله ﴾ الخبر ، ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ ، والفضل من الله خبره ، والمعنى : أن ما أعطى المطيعون من الأجر<sup>(٢)</sup> العظيم

(١) ذكره الثعلبي بغير سند ، ونقله الواحدى في الأسباب عن السكبي لكن لم يقل في آخره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده إلى آخره . حكى ذلك عن جماعة من الصحابة قال سعيد بن جبير : حدثنا خلف بن خليفة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال : « جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : أنت أحب إلى من نفسي وولدي وأهلي ومالي ، ولولا أني أتيتك فأراك لكنت ، أى سأمت وبكى الأنصارى . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ فقال : ذكرت أنك ستتموت مع النبيين عليهم الصلاة والسلام ونحن إن دخلنا الجنة كننا دونك فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ( ومن يطع الله - الآية ) فقال له : أبشر . ومن طريقه أخرجه البيهقي في الشعب ووصله الطبراني عنه ابن مردويه ، ومن طريق خالد بن عبد الرحمن عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن عباس نحوه ، ورواه الطبراني في الصغير والواحدى موصولاً من طريق عبد الله بن المغيرة عن سعيد بن جبير نحوه مرسل ، ورواه الطبراني في الصغير والواحدى موصولاً من طريق عبد الله بن عمران العبادي عن فضيل بن عياض عن منصور بن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضى الله عنها قالت : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، والله إنك لأحب إلى من نفسي . الحديث بنحوه ، وأخرجه الواحدى من طريق أخرى عن مسروق قال قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم - فذكره مختصراً ومن طريق روح عن قتادة كذلك مرسل .

(٢) قال محمود : « والمعنى أن ما أعطى المطيعون من الأجر . . . الخ » قال أحمد : عقيدة أهل السنة : أن المطيع لا يستحق على الله بضاعته شيئاً ، وأنه مهما أئيب به من دخول الجنة والنجا من النار ، فذاك فضل من الله لا عن استحقاق ثابت ، فهم بقرون هذه الآية في رجاها ، وأما القدريّة : فيزعمون أن المطيع يستوجب على الله ثواب الطاعة ، وأن المقابل لطاعته من الثواب أجر مستحق كالأجرة على العمل في الشاهد ، ليس بفضل ، وإنما الفضل ما يزيده العبد على حقه من أنواع الثواب ومستوف الكرامة ، فلما وردت هذه الآية ناطقة بأن جملة ما يناله =

ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل به عليهم تبعاً لشاوبهم (وكفى بالله عليماً) بجزاء من أطاعه أو أراد أن تفضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله ، لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليماً بعباده فهو يوفقهم على حسب أحوالهم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ فَنَرُوا جَمِيعًا (٧١)

(خذوا حذركم) الحذر والحذر بمعنى ، كالإثر والاثر ، يقال : أخذ حذره ، إذا تيقظ واحترز من المخوف ، كأنه جعل الحذر آله التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه . والمعنى : احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم (فانفروا) إذا نفرتم إلى العدو . إما (ثبات) جماعات متفرقة سرية بعد سرية ، وإما (جميعاً) أى مجتمعين كوكبة واحدة ، ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة . وقرئ : فانفروا بضم الفاء

وَأِنْ مِنْكُمْ لَكُنْ لَيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَكِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ

تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ بَلَّيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُورٌ قَوْرًا عَظِيمًا (٧٣)

اللام في (لمن) للابتداء بمنزلتها في قوله (إن الله لغفور) وفي (ليبطئن) جواب قسم محذوف تقديره : وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن ، والقسم وجوابه صلة من ، والضمير الراجع منها إليه ما استمكن في (ليبطئن) والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون منهم المنافقون لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقاً . ومعنى (ليبطئن) ليتناقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ . بمعنى : أبطأ كعتم بمعنى : أعتم <sup>(١)</sup> ، إذا أبطأ ، وقرئ (ليبطئن) بالتخفيف يقال : بطأ على فلان وأبطأ على وبطئ

== عباد الله فضل من الله ، اضطر الزحضرى إلى ردها إلى معتقده ، فجعل الفضل المشار إليه هو الزيادة التابعة للثواب ، يعنى المستحق ، ثم اتسع في التأويل فذكر وجهاً آخر وهو : أن يكون المشار إليه ، مزاياء هؤلاء المطيعين في طاعتهم وتميزهم بأعمالهم ، وجعل معنى كونها فضلاً من الله أنه وفقهم لاكتسابها ومكنهم من ذلك لاغير ، يعنى وأما إحداثها فبقدرهم . وهذا من الطراز الأول ، والحق أن الكل أيضاً فضل من الله بكل اعتبار ، لأن مقتضانا معاشر أهل السنة أن الطاعات والأعمال التي يتميز بها هؤلاء الخواص خلق الله تعالى وفعله ، وأن قدرهم لا تأثير لها في أعمالهم ، بل الله عز وجل يخلق على أيديهم الطاعات ويثبهم عليها ، فالطاعة إذاً من فضله وثوابها من فضله ، فله الفضل على كل حال والمنة في الفاتحة والمآل ، وكفى بقول سيد البشر في ذلك حجة وقدوة ، فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام « لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله ورحمته » قيل : ولا أنت يا رسول الله ، قال « ولا أنا ، إلا أن يتمدنى الله بفضل منه ورحمة » قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا . اللهم اختم لنا باقتفاء السنة ، وأدخلنا بفضلك المحض الجنة »

(١) قوله « كعتم بمعنى أعتم » في الصحاح « العتم : الإبطاء » . (ع)

نحو: ثقل، ويقال: ما بظأ بك، فيعدى بالباء، ويجوز أن يكون منقولاً من بطؤ، نحو: ثقل من ثقل، فيراد ليططن غيره وليثبطه عن الغزو، وكان هذا ديدن المنافق عبد الله ابن أبي، وهو الذي ثبط الناس يوم أحد ﴿فإن أصابكم مصيبة﴾ من قتل أو هزيمة <sup>(١)</sup> ﴿فضل من الله﴾ من فتح أو غنime ﴿ليقوان﴾ وقرأ الحسن ﴿ليقولن﴾ بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى (من) لأن قوله (لمن ليططن) في معنى الجماعة وقوله ﴿كأن لم تكن بينكم وبينه مودة﴾ اعتراض بين الفعل الذي هو (ليقولن) وبين مفعوله وهو ﴿ياليتني﴾ والمعنى كأن لم تتقدم له معكم مودة، لأن المنافقين كانوا يواتون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر، وإن كانوا ييغون لهم الغوائل في الباطن. والظاهر أنه تمهم. لأنهم كانوا أعدى العدو للؤمنين وأشد هم حسداً لهم، فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس تهكاً بحالهم. وقرئ: فأفوز بالرفع عطفاً على كنت معهم لينتظم الكون معهم، والفوز معنى التقي، فيكونا متمنين جميعاً، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، بمعنى فأنا أفوز في ذلك الوقت

فَلَمْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ٧٤ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ٧٥ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ

كَانَ ضَعِيفًا ٧٦

﴿يشرون﴾ بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ:

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لِكَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هَامَةً <sup>(٢)</sup>

(١) قال محمد فيه: «المراد بالمصيبة القتل والهزيمة... الخ» قال أحمد: وفي هذه القراءة نكتة غريبة، وهي الإعادة إلى لفظ من بعد الإعادة إلى معناها، وهو مستغرب أنكر بعضهم وجوده في الكتاب العزيز لما يلزم من الإجمال بعد البيان، وهو خلاف قانون البلاغة، إذ الإعادة إلى لفظها ليس بمفصح عن معناها، بل تناوله للدعي بحمل مهم، فوقعه بعد البيان عسر، ومنهم من أثبت وعد موضعين، وهذه الآية على هذه القراءة ثالث، وسيأتي بيان شاف إن شاء الله تعالى

(٢) وشريت برداً ليتني  
من بعد برد كنت هامة  
يا هامة تدعو صدى  
بين المشرق فالبحر

فالذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطون، وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله، ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد، والذين يبيعونهم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها، والمعنى: إن صدت الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافراً أو مظفوراً به إتياء الأجر العظيم على اجتهداه في إعزاز دين الله (والمستضعفين) فيه وجهان أن يكون مجروراً عطفاً على سبيل الله أى في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين، ومنصوباً<sup>(١)</sup> على اختصاص يعنى واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لأن سبيل الله عام في كل خير، وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه المستضعفون هم الذين أسلوا بمكة وصدتهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد، وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة، وبقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خيرولى وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولى ونصرهم أقوى النصير، ولما خرج استعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد فأرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا، قال ابن عباس: كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا أعز بها من الظلة. فإن قلت: لم ذكر الولدان؟ قلت: تسجيلاً بإفراط ظلمهم، حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين، إرغاماً لآبائهم وأمهاتهم وبغضنة لهم لمكانهم، ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزال الرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا، كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة بإخراجهم في الاستسقاء، وعن ابن عباس: كنت أنا وأُمى من المستضعفين من النساء والولدان، ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الأحرار والحرائر، وبالولدان العبيد والإماء، لأن العبد والأمة يقال لهما الوليد والوليدة، وقيل للولدان

— لابن مفرغ. باع غلامه بردا عند انصرافه من حجة إلى البصرة، فقدم على ذلك ودعا على نفسه بالقتل. ويقال: اشتراه إذا أخذه ودفع ثمنه. وشراه إذا دفعه وأخذ ثمنه. وكانت العرب تزعم أن عظام رأس القنيل تصير هامة، أى بومة تزقو وتصيح: أدركوني، أدركوني حتى يؤخذ بنأره. والصدى: ذكر البوم. والمشرق: كعظم. والجماعة: موضعان بعينهما بينهما مفارقة. فقله «كنت هامة» كناية عن أن يكون قتيلاً. وبأ لتنبه أو النداء. والمنادى محذوف وهامة بيان أو بدل من هامة الأولى، وغابرتها بانضمام الصفة إليها وهي قوله «تدعوصدى» أى تصيح على ذكرهما. وهذا من المبالغة في الإشارة واللفظ في العبارة، حيث ضرب عن جانب المعنى المراد صفحا، حتى كأنه يتكلم في هامة حقيقية تزقو على ذكرهما، بل أنها هامة تعبير وتصيح مع الهامات في المفاز، وبعد هذا فالكلام مجاز عن شدة تحسره وتحزنه وندمه على ما فعل.

(١) قال محمود: «يجوز أن يكون المستضعفين مجروراً - إلى قوله - ومنصوباً... الخ، قال أحمد: وفيه على هذا مبالغة في الحث على خلاصهم من جهتين: لإحداهما - التخصيص بد التعميم فانه يقتضى إضمار الناصب الذى هو اختصاص، ولولا النصب لكان التخصيص معلوماً من أفرادها بالذكر، ولكن أكد هذا المعلوم بطريق الزوم بأن أخرجه إلى النطق.

والولائد والولدان، لتغليب الذكور على الإناث كما يقال الآباء والإخوة. فإن قلت : لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث (١) ؟ قلت : هو وصف للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها، فأعطى إعراب القرية لأنه صفتها، وذكر لإسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم أهلها، ولو أنث فقيل : الظالمة أهلها، لجاز لا لتأنيث الموصوف، ولكن لأن الأهل يذكر ويؤنث. فإن قلت : هل يجوز من هذه القرية الظالمين أهلها ؟ قلت : نعم، كما تقول : التي ظلموا أهلها، على لغة من يقول أكلوا البراغيث. ومنه (وأسروا التجوى الذين ظلموا). رغب الله المؤمنين ترغيباً وشجعهم تشجيعاً بإخبارهم أنهم إنما يقاتلون في سبيل الله. فهو وليهم وناصرهم، وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم إلا الشيطان، وكيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهن.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَتْ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ لَأَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧)

(كفوا أيديكم) أى كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة، وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه ﴿ فلما كتب عليهم القتال ﴾ بالمدينة كع فريق منهم (٢) لاشكافى الدين ولا رغبة عنه، ولكن نفوراً عن الإخطار بالأرواح وخوفاً من الموت ﴿ تكشية الله ﴾ من إضافة المصدر (٣) إلى المفعول، فإن قلت : ما محل (تكشية الله)

(١) قال محمود : « إن قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث ... إلخ ؟ قال أحد : ووقفت على نكتة في هذه الآية حسنة ، وهي أن كل قرية ذكرت في الكتاب العزيز فالظلم إليها ينسب بطريق الجواز كقوله (وحرب الله مشلا قرية كانت آمنة مطمئة) إلى قوله ( فكفرت بأنتم الله ) وقوله (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ) وأما هذه القرية في سورة النساء فينسب الظلم إلى أهلها على الحقيقة ، لأن المراد بها مكة فوفرت عن نسبة الظلم إليها تشريعاً لها شرفها الله تعالى .

(٢) قوله « كع فريق منهم » أى جبن . أفاده الصحاح . (ع)  
(٣) قال محمود : وقوله تعالى (تكشية الله) من إضافة المصدر ... إلخ ، قال أحد : وقدم نظير هذه الآية في الإعراب وهو قوله تعالى (فاذكروا الله كذاكم آباءكم أو أشد ذكراً) وقد قرأ الزمخشري ثم ما أذن له هنا وهو الجر عطفاً على الذكر ، وبينما ثم جواز به التأويل الذى ذكره الزمخشري مهنا ، وهو إلحافه بباب جد جده ، وأصل هذا الإعراب لأبي الفتح ، وقد بينت جواز الجر عطفاً على الذكر من غير احتياج إلى التأويل المذكور ، وأجرى مثله مهنا وهو وجه حسن استنبطته من كتاب سيوييه ، فإن أصبت فن الله ، وإن أخطأت فنى ، والله الموفق . الذى =



من الإعراب؟ قلت: محله النصب على الحال من الضمير (في يخشون) أى يخشون الناس مثل أهل خشية الله، أى مشبهين لأهل خشية الله ﴿أو أشد خشية﴾ بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله، وأشد معطوف على الحال. فإن قلت: لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية الله، بمعنى مثل ما يخشى الله؟ قلت: أبى ذلك قوله (أو أشد خشية) لأنه وما عطف عليه فى حكم واحد، ولو قلت يخشون الناس أشد خشية؟ لم يكن إلا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر، لأنك لا تقول خشى فلان أشد خشية، فتنتصب خشية وأنت تريد المصدر، إنما تقول أشد خشية فتجرها، وإذا نصبها لم يكن أشد خشية إلا عبارة عن الفاعل حالا منه، اللهم إلا أن تجعل الخشية خاشية وذات خشية، على قولهم جد جده فتزعم أن معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله، أو خشية أشد خشية من خشية الله، ويجوز على هذا أن يكون محل (أشد) مجروراً عطفاً على (خشية الله) تريد كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها ﴿لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ استزادة فى مدة الكف، واستمهال إلى وقت آخر، كقوله (لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق). ﴿ولا تظلمون قتيلاً﴾ ولا تقتصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه، وقرئ: ولا يظلمون، بالياء.

أَيُّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُبْصِرْ  
حَسَنَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُبْصِرْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ  
قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾

== ذكر سيبويه جواز قول الفاعل - زيد أشجع الناس رجلاً - ثم قال سيبويه فرجل واقع على الميت وألك أن تجره فتقول - زيد أشجع رجل - وهو الأصل انتهى المقصود من كلام سيبويه. وإذا نبت عليه جاز أن تقول خشى فلان أشد خشية، فتنتصب الخشية وأنت تريد المصدر، كأنك قلت خشى فلان خشية أشد خشية، فتوقع خشية الثانية على الأولى، وإن نصبها فهو كما قلت: زيد أشجع رجلاً. فأوقعت رجلاً على زيد وإن كنت نصبته فهو على الأصل أن تقول أشد خشية فتجرها، كما كان الأصل أن تقول زيد أشجع رجل فتجره، وما منع الزحشرى من النصب مع وقوعه على المصدر إلا أن مقتضى النصب فى مثله خروج المنسوب عن الأول، بخلاف المجزوء، لأنك تقول زيد أكرم أباً، فيكون زيد من الأبناء وأنت تفضل أباه، وتقول زيداً أكرم أب، فيكون من الآباء وأنت تفضله، فلو ذهبت توقع أشد على الخشية الأولى وقد نصبت ميمها، لزم خروج الثانى عن الأول وهو محال، إذ لا تكون الخشية خشية فتحتاج إلى التأويل المذكور، وهو جعل الخشية الأولى خاشية حتى تخرجها عن المصدر المميز لها، وقد بينا فى كلام سيبويه جواز النصب مع وقوع الثانى على الأول، كما لو جررت، فله يجوز فى الآية من غير تأويل والله أعلم. وقد مضت وجوه من الإعراب فى آية البقرة يتعذر بعضها هنا لمناصرة المعنى والله الموفق. ومثل هذه الأنواع من الإعراب منزل من العربية منزلة اللب الخالص، فلا يوصل إليها إلا بعد تجاوز جملة القشور، وربك الفتاح العليم.

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ  
لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

قرئ (يدررككم) بالرفع وقيل : هو على حذف الفاء، <sup>(١)</sup> كأنه قيل : فيدرركم الموت، وشبه  
بقول القائل

\* مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهَا \* <sup>(٢)</sup>

ويجوز أن يقال : حمل على ما يقع موقع (أينا تكونوا)، وهو أينما كنتم، كما حمل «ولا  
ناعب» على ما يقع موقع «ليسوا مصلحين»، <sup>(٣)</sup> وهو ليسوا بمصلحين، فرفع كما رفع زهير :

\* يَقُولُ لِأَغَائِبِ مَالِي وَلَا حَرَمٌ \* <sup>(٤)</sup>

(١) قال محمود : «قرئ يدرركم بالرفع . وقيل : هو على حذف الفاء ... الخ» قال أحمد : أما الوجه الذي  
ألفقه بتوجيه سيبويه في الشعرين المذكورين ففيه نظر . أما قوله «ولاناغب» فخيار ، فإن دخول الباء في خبر ليس  
أمر مطرد غالب ، والخبر وطن معروف لما ، فإذا قدرت فيه حيث تسقط ، روعي هذا التقدير في المعطوف ، لما  
ذكرناه من التلمية التي تقتضي إلحاق دخولها بالأصل الواجب الذي يعتبر ، نطق به أو سكنت عنه . وأما تقدير (أينا  
تكونوا) في معنى كلام آخر ، يرتفع معه قوله (يدرركم) ، فذلك تقدير لم يعهده نظير ، ولم يغلب هذا المقدر فيلتحق  
بنقبة دخول الباء في الخبر ، فلا يلزم من مراعاة ما يقتضيه غالب الاستعمال ومعهودة مراعاة ما لم يسبق به عهد .  
وأما البيت الآخر لزهير ، فالمقتول عن سيبويه حله أو حمل مثله على التقديم والتأخير ، كقوله :

يا أفرع بن حابس يا أفرع      إنك إن يصرع أخوك تصرع

فليس من قبيل «ولاناغب» والله الموفق . وفي الوجه الأخير الذي أبداه الزحشرى حجة واضحة على أن القتل في المعارك  
والملاحم لا يعترض على الأجل المقدر بنقص ، وأن كل مقتول فبأجله مات ، لا كما يزعم القدرية ، والله الموفق .

(٢) من يفعل الحسنات الله يشكرها      الشر بالشر عند الله مثلان

فإنما هذه الدنيا وزينتها      كالزاد لا بد يوما أنه فاث

لعبد الرحمن بن حسان . وقيل : لعبد الله بن حسان . وقيل : لشكيب بن مالك الأنصاري . يقول : من يفعل  
الحسنات فانه يشكرها ، أي يجازيه عليها أضعافا ، فأسقط الفاء من جواب الشرط وهو قليل . وقيل : بخصوص  
بأنهم . وعن المبرد منه مطلقا ، وزعم أن الرواية ومن يفعل الخير فالرحمن يشكره ، والشر ملتبس بالشر أو حاصل  
به ، ثم قال : هما مثلان عند الله لا يزيد الجزاء على الذنب . أو الباء بمعنى مع ، أي الشر مع الشر مثلان عند الله ،  
لكن الأول الذنب ، والثاني جزاؤه . وسمى شرًا معاكفة . وروى ديسان ، بدل مثلان ، فإن زينة الدنيا من المال والبنون ليست  
إلا مثل الزاد الذي يتزود به إلى بلوغ المعاد . ولا بد من فناءه يوم من الأيام ، فلا بد من فناءها . فيوما : ظرف لفان .

(٣) قوله «كما حمل «ولاناغب» على ما يقع موقع «ليسوا مصلحين» هو من قول الشاعر :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة      ولا ناعب إلا بين غرابها

(٤) هو الجواد الذي يعطيك ناله      عنوا ويظلم أحيانا فيظلم

وإن أتاه خليل يوم مسغبة      يقول لأغائب مالي ولا حرم

وهو قول نحوى سبوى . ويجوز أن يتصل بقوله ( ولا تظلمون فيلًا ) أى ولا تنقصون شيئاً مما كتب من آجالكم . أينما تكونوا في ملاحم حروب أو غيرها ، ثم ابتدأ قوله ( يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ) والوقف على هذا الوجه على أينما تكونوا

والبروج : الحصون . مشيدة مرفعة . وقرئ ( مشيدة ) من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص . وقرأ نعيم بن ميسرة ( مشيدة ) بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازاً كما قالوا : قصيدة شاعرة ، وإنما الشاعر فارضها . السينة تقع على البلية والمعصية . والحسنة على النعمة والطاعة . قال الله تعالى ( وبلوناكم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ) وقال : ( إن الحسنات يذهبن السيئات ) . والمعنى : وإن تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها إلى الله ، وإن تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها إليك وقالوا : هى من عندك ، وما كانت إلا بثؤمك ، كما حكى الله عن قوم موسى : ( وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ) وعن قوم صالح : ( قالوا اطيرنا بك وبمن معك ) وروى عن اليهود - لعنت - أنها تشاءمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلّت أسعارها ، فرد الله عليهم ( قل كل من عند الله ) ييسط الأرزاق ويقبضها على حسب المصالح ( لا يكادون يفقهون حديثاً ) فيعلموا أن الله هو الباسط القابض ، وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ( ما أصابك ) يا انسان خطاباً عاماً ( من حسنة ) أى من نعمة وإحسان ( فمن الله ) تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً وامتحاناً ( وما أصابك من سيئة ) أى من بلية ومصيبة فمن عندك ، لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك ( وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ) وعن عائشة رضى الله عنها : ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب ، حتى الشوكة يشاكها ، وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب ، وما

== زهير بن أبى سلى ، يمدح هرم بن سنان . والبائل : العطاء . وعفوا : حالته ، أى سهلا عليه ، أى قليلا عنده وإن كثر في الواقع ، أو بغير سؤال . ويظلم : أى يسأل فوق طاقته فيشكف ويهمل . ويروى : فيظلم ، وأصله : يظلم ، مطاوع ظله . قلبت تناؤه طاء على الأصل في تاء الافتعال بدل الطبقة ، ثم قابت الطاء ظاء معجمة على خلاف الأصل في القلب للادغام ، وأدغمت فيها الأولى . وروى وفيظلم ، وأصله : يظلم أيضاً ، قلبت التاء طاء مهملة ، ثم قلبت الطاء طاء مهملة أيضاً على القياس وأدغمت في الثانية وروى وفيظلم ، بهما معاً . وقوله . أحياناً ، فيه نوع احتراز من توهم وصفه بالفقر المستمر . وإن أنه خليل ، أى - تنصف بالخلّة - بالفتح - وهى الفقر والفاقة يبيع له أمواله ولا يتملّ . فقوله ويقول ... إلى آخره ، كناية عن ذلك ، وهو جواب الشرط . ورفع لأن الشرط ماض لم يؤثر العامل في لفظه الجزم ، وقد رفع جواب الشرط المضارع لتخيل أنه ماض ، كمشكلة العطف على التوهم . وقيل إنه على تقدير افتاء ، أى فهو يقول . وقيل : التقدير يقول : لا غاب مالى إن أنا خليل ؛ فالجواب محذوف دل عليه المذكور ، وهو قول سيبويه ، وما قبله قول الكوفيين ، وروى عنه أيضاً . والمسخبة : الجوع . ودرهم كندر ، مصدر حرمة إذا منعه . والمراد به المفعول ، أى ليس محروماً ومنعوا عن السائين . ويجوز أنه صفة مشبهة ، كندر وفرح بمعنى صنع . ولو قرئ : درهم ، بالفتح بمعنى حرام ، كزمن وزمان لجاز . وغايته أن يكون في القافية السناد .

يعقوب الله أكثر ﴿ وأرسلناك للناس رسولا ﴾ أى رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم ، أنت رسول العرب والعجم ، كقوله ( وما أرسلناك إلا كافة للناس ) ، ( قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ) . ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ على ذلك ، فما ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك .

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾  
 ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في أمثال ما أمر به والاتباع عما نهى عنه طاعة لله . وروى أنه قال : د من أحبنى فقد أحب الله ، ومن أطاعنى فقد أطاع الله ، <sup>(١)</sup> فقال المنافقون : ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل ، لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله ! ما يريد هذا الرجل إلا أن تتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ، فزلت ﴿ ومن تولى ﴾ عن الطاعة فأعرض عنه ﴿ فما أرسلناك ﴾ إلا نذيرا ، لا حفيظا ومهيما عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم ، كقوله ( وما أنت عليهم بوكيل ) .

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾  
 ﴿ ويقولون ﴾ إذا أمرتهم بشيء ﴿ طاعة ﴾ بالرفع أى أمرنا وشأنا طاعة . ويجوز النصب بمعنى أطلعناك طاعة . وهذا من قول المرتسم : سمعا وطاعة ، وسمع وطاعة . ونحوه قول سيديويه : وسمعتنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له : كيف أصبحت ؟ فيقول : حمد الله وثناء عليه ، كأنه قال : أمرى وشأنى حمد الله . ولو نصب حمد الله وثناء عليه . كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها ﴿ بيت طائفة ﴾ زورت طائفة وسوت ﴿ غير الذى تقول ﴾ خلاف ما قلت وما أمرت به . أو خلاف ما قالت وما ضمننت من الطاعة ، لأنهم أبطلوا الرد لا القبول ، والعصيان لا الطاعة . وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون . والتبئيت : إما من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتديره بالليل ، يقال : هذا أمر بيت بليل . وإما من آيات الشعر ، لأن الشاعر يدبرها ويسونها ﴿ والله يكتب ما يبيتون ﴾ يثبت في صحائف أعمالهم ، ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد . أو يكتبه في حجة ما يوحى إليك فيطلمك على أسرارهم فلا يحسبوا أن إبطائهم يغنى عنهم ﴿ فأعرض عنهم ﴾ ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم ﴿ وتوكل على الله ﴾ في شأنهم ، فإن

الله يكفيك معزتهم<sup>(١)</sup> وينتقم لك منهم إذا قوى أمر الإسلام وعز أنصاره . وقرئ (بيت طائفة) بالإدغام وتذكير الفعل ، لأن تأنيث الطائفة غير حقيق ، ولأنها في معنى الفريق والفوج .  
أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ  
اٰخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝٨٢

تدبر الأمر : تأمله والنظر في إداره وما يؤل إليه في عاقبته ومنتهاه ، ثم استعمل في كل تأمل ؛ فعنى تدبر القرآن : تأمل معانيه وتبصر ما فيه ﴿ لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه ، فكان بعضه بالغاً حد الإعجاز ، وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته ، وبعضه إخباراً بغيب قد وافق الخبر عنه ، وبعضه إخباراً بخالفا للخبر عنه ، وبعضه دالاً على معنى صحيح عند علماء المعاني . وبعضه دالاً على معنى فاسد غير ملتئم ، فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق إخبار ، علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره ، عالم بما لا يعلمه أحد سواه . فإن قلت : أليس نحو قوله ( فإذا هي لعنان مبين ) ، ( كأنها جان ) ، ( فورك لنسألهم أجمعين ) ، ( فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ) من الاختلاف ؟ قلت : ليس باختلاف عند المتدبرين .

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَكَوَرُودُهُ إِلَى الرَّسُولِ  
وإلى أولى الأمر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم  
ورحمته لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣ فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأُنْكَلَفُ إِلَّا  
نَفْسَكَ وَخَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ  
بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ۝٨٤

هم ناس من ضعفة المسلمين<sup>(٢)</sup> الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمور .

(١) قوله « معزتهم » أى إثمهم . وعبارة الذئب « معزتهم » فخر . (ع)

(٢) قال محمود : « هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ... الخ » قال أحمد : وفي اجتماع الهمة والباء على التعدية نظر ، لأنهما متعاقبتان وهو الذى اقتضى عند الزحشرى قوله في الوجه الثانى : فعلاوا الاذاعة ليخرجها عن الباء المعاقبة للهمة ، ثم في هذه الآية تأديب لمن يحدث بكل ما يسمع ، وكفى به كذباً ، وخصوصاً عن مثل السرايا والمناصبين الأعداء والمقيمين في نحر العدو ، وما أعظم المفسدة في هيج العامة بكل ما يسمعون من أخبارهم ، خيراً أو غيره . ولقد جربنا ذلك في زماننا هذا منذ طرق العدو المخدول البلاد - طهرها الله من دنسه ، وصانها عن رجسه ونجسه ، وعجل للمسلمين الفتح وأنزل عليهم السكينة والنصر .

كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخطر (أذاعوا به) وكانت إذاعتهم مفسدة ، ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولى الأمر منهم - وهم كبار الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرون منهم - (لعله) لعلم تدير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه) الذين يستخرجون تديره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها . وقيل : كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء ، أو على خوف واستشعار ، فيذيمونه فينتشر فيبلغ الأعداء ، فعود إذاعتهم مفسدة . ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر وفرضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا ، لعلم الذين يستنبطون تديره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه . وقيل : كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئاً من الخبر عن السرايا مظنوناً غير معلوم الصحة فيذيمونه ، فيعود ذلك وبالأعلى المؤمنين . ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو بما يذاع أو لا يذاع ، لعله الذين يستنبطونه منهم ، لعلم صحته وهل هو بما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون ، وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولى الأمر ، أى يتلقونه منهم ويستخرجون عليه من جهتهم . يقال : أذاع السر ، وأذاع به . قال :

أَذَاعَ بِهِ فِي النَّاسِ حَتَّى كَانَهُ بَعْلِيَاءَ نَارٍ أَوْقَدَتْ بِثَقُوبِ (١)

ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة ، وهو أبلغ من أذاعه . وقرئ (لعله) بإسكان اللام كقوله :

فَإِنْ أَهْجَهُ يَضْجَرُ كَمَا ضَجَرَ بَازِلٌ مِنَ الْأَدَمِ دَبَّرَتْ صَفْحَتَاهُ وَغَارِبُهُ (٢)

والنبت : الماء يخرج من البئر أول ما تحفر ، وإنباطه واستنباطه : إخراجهم واستخراجهم ، فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدبير فيما يعضل ويهم (ولولا فضل الله عليكم

(١) أمنت على السر امرأة غير حازم ولكن في النصيح غير مريب

أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب

لأبي الأسود الدؤلي . والحازم : السديد الرأي . ويقال : أذاعه إذا أشاء وأظهره ، ويضد معنى التحدث أيضاً . يقال : أذاع به أى تحدث به فأظهره . والعلياء : الأرض المرتفعة . والثقوب : آلة تثقب بها النار فتشتعل . يقول : وضعت السر عند من لا يصبونه ، وغرني صدق نصحه فأفشاء بين الناس . حتى كأنه نار في أكمة عالية أشعلت بالثقوب ، فتكون أشد ظهوراً .

(٢) ضجر البعير : كثر رغاءه من ثقل الحمل . والبازل البعير الذي انشق نابه ، وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة . والأدم : الشديدات البياض : جمع آدم أى شديد البياض ، وربما علمته صفرة ، وزان حر وأحمر ، خصما لرقعة جلودها . والدبر : الانجراف والانتقال من الرجل . والمارب : العظم الناشئ في الظهر . وضجر : ودبر : فعلان ماضيان من باب تعب ، سكن وسطهما تخفيفاً . يقول : إن أذمه يتضجر كضجر ذلك البعير من حمله .

ورحمته) وهو إرسال الرسول، وإنزال الكتاب<sup>(١)</sup>، والتوفيق (لا تتبعم الشيطان) لبعثتم على الكفر (إلا قليلا) منكم. أو إلتا اتباعا قليلا، لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال، وإظهارهم الطاعة وإضمارهم خلافها. قال: (فقاتل في سبيل الله) إن أفردوك وتركوك وحدك (لا تكلف إلا نفسك) غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد، فإن الله هو ناصرك لا الجنود، فإن شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحوالك الألوف. وقيل: دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج، وكان أبو سفيان وأعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها، ففكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت، ونفج وما معه إلا سبعون لم يلوعلى أحد، ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده، وقرئ (لا تكلف) بالجرم على النهى. ولا تكلف: بالنون وكسر اللام، أى لا تكلف نحن إلا نفسك وحدها (وحرض المؤمنين) وما عليك في شأنهم إلا التحريض لحسب، لا التعنيف بهم (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) وهم قريش، وقد كف بأسهم فقد بدا لأبي سفيان وقال: هذا عام مجذب، وما كان معهم زاد إلا السويق، ولا يلقون إلا فى عام محصب فرجع بهم (والله أشد بأسا) من قريش (وأشد تمكيلا) تعذيبا.

(١) عاد كلامه. قال: وومنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته: ولولا إرسال الرسول وإنزال الكتاب... الخ. قال أحد: وفى تفسير الزمخشري هذا نظر، وذلك أنه جعل الاستثناء من الجملة التى ولها بناء على ظاهر الاعراب، وأغفل المعنى، وذلك أنه يلزم على ذلك جواز أن ينتقل الانسان من الكفر إلى الإيمان، ومن اتباع الشيطان إلى عصيانه وخزيه، وليس لله عليه فى ذلك فضل. ومعاذ الله أن يعتقد ذلك. ويان لزومه أن لولا حرف امتناع لوجود، وقد أبانت امتناع اتباع المؤمنين للشيطان، فإذا جملت الاستثناء من الجملة الأخيرة، فقد سلبت تأثير فضل الله فى امتناع الاتباع عن البعض المستثنى ضرورة، وجعلت هؤلاء المستثنين مستبدين بالإيمان وعصيان الشيطان الداعى إلى الكفر، بأنفسهم لا بفضل الله. الأثرak إذا قلت لمن تذكره بحقك عليك: لولا مساعدتى لك لسلبت أموالك إلا قليلا، كيف لم تجعل لمساعدتك أنرا فى بقاء القليل للمخاطب، وإنما كنت عليه بتأثير مساعدتك فى بقاء أكثر ماله لا فى كله. ومن المحال أن يعتقد موجد مسلم أنه عصم فى شيء من الأشياء من اتباع الشيطان إلا بفضل الله تعالى عليه. أما قواعد أهل السنة فواضح أن كل ما يعبد به العبد عاصيا للشيطان من إيمان وعمل خير، مخلوق لله تعالى، وواقع بقدرته، ومنعم على العبد به. وأما المعتزلة فهم وإن ظنوا أن العبد يخلق لنفسه إيمانه وطاعته إلا أنهم لا يخالفون فى أن فضل الله منسحب عليه فى ذلك، لأنه خلق له القدرة التى بها خلق العبد ذلك على زعمهم ووفقه لأرادة الخير، فقد وضع لك تذرا الاستثناء من الجملة الأخيرة على تفسير الزمخشري، وماأراه إلا وأما مسترسلا على المألوف فى الاعراب، وهو إعادة الاستثناء إلى مايليه من اجل، مبهلا للنظر فى المعنى. ومن ثم اتخذ القاضى أبوبكر رضى الله عنه الاستثناء فى هذه الآية إلى ما قبل الجملة الأخيرة فطنة منه ويقظه، ولأنه إمام مؤيد فى نظره مسمى فى فكره، ثم اتخذ القاضى رضى الله عنه هذه الآية وزره فى الرد على من زعم الجرم بعود الاستثناء المتعقب للجمع إلى الأخيرة، فلما منه أن ذلك واجب لا يسوغ سواء، ثم يقف فى عوده إلى ما تقدم خاصة. وقد بينت عند قوله تعالى (فن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى إلا من اغترف غرفة بيده) أن الاستثناء فى هذه الآية أيضا يمتنع عوده إلى الأولى، ويتعذر رده إلى الأخيرة، لأن النهى بأباه، وهى مؤازرة للقاضى فى الرد على من حتم عود الاستثناء إلى الأخيرة، والله الموفق.

مَنْ يَشْفَعُ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفْعَةً سَيِّئَةً  
يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيمًا ﴿٨٥﴾

الشفاعة الحسنة : هي التي روعى بها حق مسلم ، ودفع بها عنه شر أو جلب إليه خير . وابتغى بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة ، وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق . والسئية : ما كان بخلاف ذلك . وعن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى إليه المشفوع جارية ، فغضب وردّها وقال : لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ، ولا أتكلم فيما بقي منها وقيل : الشفاعة الحسنة : هي الدعوة للإسلام ، لأنها في معنى الشفاعة إلى الله . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له »<sup>(١)</sup> قال له الملك : ولك مثل ذلك ، فذلك النصيب ، والدعوة على المسلم بضد ذلك ﴿مقيماً﴾ شديداً حفيظاً . وقيل : مقتدرأ . وأقوات على الشيء ،<sup>(٢)</sup> قال الزبير بن عبد المطلب :

وَذِي ضِعْفٍ نَفَيْتُ الشُّوْءَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى إِسَاعَتِهِ مُقِيمًا <sup>(٣)</sup>  
وقال السموأل :

أَلِي الْفَضْلُ أَمْ عَلَيَّ إِذَا حُوِّ سَبْتُ إِنِّي عَلَى الْحِسَابِ مُقِيمٌ <sup>(٤)</sup>  
واشتقاقه من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها .

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء ، بلفظ « قالت الملائكة : آمين ، ولك بمثل » .

(٢) قوله « وأقوات على الشيء » ، لعل بعده سقطاً تقديره : اقتدر عليه . (ع)

(٣) للزبير بن عبد المطلب . والضعف : الخفة . والاقانة : الاقتدار . وروى الصاغاني : أقيت . وروى بهذه :

بيت الليل مرتقفاً ثقيلاً على فرش الفتاة وما أبيت

وطن إلى منه مؤذيات كما تؤذي الجذامير البروت

والمرتفق : المتكى . على مرفقه . وتعن : تسرع وتظهر . والجذمار : ما بقي من أصل السعفة . والبروت : القفاس ، وهي فاعل تؤذي .

(٤) ليت شعري وأشعرن إذا ما قربوها منشورة ودعيت

ألى الفضل أم على إذا حو سبت إنى على الحساب مقيت

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث

للسموأل النعماني اليهودي . وأشعرن : اعتراض ، أى لاجابة إلى ثمين الشعور ، فاني أعلم أن من عمل خيراً بره ، ومن عمل شراً يره وتوكيد الفعل المثبت الخبر كما هنا نادر جداً ، لأنه ليس من مواضع التوكيد المنكورة في النحو . و« ما » زائدة . وضير قربوها للمصحف . وضير الفاعل للملائكة . ويروى « الغور » بدل الفضل . وإنى : بالكسر والفتح . المقيت : المختار . والشهيد : الحفيظ ، وأصله من القوت ؛ لأنه يقوى النفس ويحفظها . والخبيث بالمثناة : الخبيث بالمثناة . وحق بلاغة المعنى : تقديم القليل على الطيب ، لكن آخرته الضرورة .



وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ

### شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

الأحسن منها أن تقول «وعليكم السلام ورحمة الله»، إذا قال «السلام عليكم»، وأن تزيد «وبركاته»، إذا قال «ورحمة الله»، وروى أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: السلام عليك، فقال «وعليك السلام ورحمة الله»، وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله. فقال «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته»، وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال «وعليك»<sup>(١)</sup> فقال الرجل: نقصتني، فأين ما قال الله؟ وتلا الآية، فقال «إنك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله» (أو ردوها) أو أجيبوها بمثلاً. ورد السلام ورجعه: جوابه بمثله، لأن المجيب يرد قول المسلم ويكرره، وجواب التسايمة واجب، والتخير إنما وقع بين الزيادة وتركها. وعن أبي يوسف رحمه الله: من قال لآخر: أقرئ فلانا السلام، وجب عليه أن يفعل. وعن الشيخي: السلام سنة والرد فريضة. وعن ابن عباس: الرد واجب. وما من رجل يمز على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة. ولا يرد السلام في الخطبة، وقراءة القرآن، جهرأ ورواية الحديث، وعند مذاكرة العلم، والأذان، والإقامة. وعن أبي يوسف: لا يسلم على لاعب الزرد والشطرنج، والمعنى، والقاعد لحاجته، ومطير الحمام، والعارى من غير عذر في حمام أو غيره. وذكر الطحاوي: أن المستحب رد السلام على طهارة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تيمم لرد السلام<sup>(٢)</sup>. قالوا: ويسلم الرجل إذا دخل على امرأته، ولا يسلم على أجنبية. ويسلم الماشي على القاعد، والراكب على الماشي، وراكب الفرس على راكب الحمار، والصغير على الكبير، والأقل على الأكثر. وإذا التقيا ابتدرا. وعن أبي حنيفة: لا تجهر بالرد يعني الجهر الكثير. وعن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه الطبراني والطبري من رواية هشام بن عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان. وقال ابن الجوزي في العلل: ترك حديث هشام. ورواه الطبراني أيضاً من رواية عكرمة عن ابن عباس. والراوى له عن عكرمة أبو هريرة عن نافع عن هرمز. وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري من رواية عمير مولى ابن عباس قال «أقبلت أنا وعبد الله بن يسار مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخلنا على أبي الجهم بن الحارث بن الصمة الأنصاري. فقال أبو الجهم: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جبل فلقبه رجل، فسلم عليه فلم يرد عليه حتى أتى هلي الجدار فمسح بوجهه ويده ثم رد عليه السلام». ورواه مسلم معلقاً. ولأبي داود عن ابن عمير «كسر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سكة من السكة، وقد خرج من غائط أو بول، فسلم عليه، فلم يرد عليه حتى إذا كاد الرجل أن يتواري في السكة ضرب يده على الخائط ومسح بها وجهه، ثم ضرب ضربة أخرى فمسح. فدراعه ثم رد السلام، وقال: إنه لم يمنعني أن أرد عليك السلام إلا أني لم أكن على طهارة».

«إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم»<sup>(١)</sup> ، أى وعليكم ما قلتم ؛ لأنهم كانوا يقولون : السلام عليكم . وروى «لا تبدئي اليهودى بالسلام ، وإن بدأك فقل . وعليك» . وعن الحسن : يجوز أن تقول للكافر : وعليك السلام ، ولا تقل : ورحمة الله ، فإنها استغفار . وعن الشعبي أنه قال : نصراني سلم عليه : وعليك السلام ورحمة الله . ف قيل له في ذلك ، فقال : أليس في رحمة الله يعيش ؟ وقد رخص بعض العلماء في أن يبدأ أهل الذمة بالسلام إذا دعت إلى ذلك حادثة تجوز إليهم . وروى ذلك عن النخعي . وعن أبي حنيفة : لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره . وعن أبي يوسف : لا تسلم عليهم ولا تصالحهم ، وإذا دخلت فقل : السلام على من اتبع الهدى . ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دينه ( على كل شيء حسيباً ) أى يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها .

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَآرَبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ

مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)

(لا إله إلا هو) إما خبر للبتداء . وإما اعتراض والخبر (ليجمعنكم) . ومعناه : الله والله ليجمعنكم (إلى يوم القيامة) أى ليحشرنكم إليه . والقيامة والقيام ، كالطالبة والطلاب ، وهى قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب . قال الله تعالى ( يوم يقوم الناس لرب العالمين ) . (ومن أصدق من الله حديثاً) لأنه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب . وذلك أن الكذب مستقل بصارف عن الإقدام عليه وهو قبجه . ووجه قبجه ، الذى هو كونه كذاباً وإخباراً عن الشيء بخلاف ما هو عليه . فمن كذب لم يكذب إلا لأنه محتاج إلى أن يكذب ليحجز منفعة أو يدفع مضرة . أو هو غنى عنه إلا أنه يجهل غناه . أو هو جاهل بقبجه . أو هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في إخباره ولا يبالي بأيهما نطق ، وربما كان الكذب أحلى على حنكه من الصدق . وعن بعض السفهاء أنه عوتب على الكذب فقال : لو غرغرت لهوائك به ما فارقت . وقيل لكذاب : هل صدقت قط ؟ فقال : لو لا أنى صادق في قولى ، لا ، لقلت . فكان الحكيم الغنى الذى لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم ، منزها عنه ، كما هو منزّه عن سائر القبائح .

مَّا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَرْكَسُهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا (٨٨)

(فتين) نصب على الحال ، كقولك : مالك قائماً ؟ روى أن قوماً من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة ، فلما خرجوا لم يزالوا

(١) متفق عليه من حديث أنس رضى الله عنه .

راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين، فاختلف المسلمون فيهم، فقال بعضهم : هم كفار . وقال بعضهم : هم مسلمون . وقيل : كانوا قوماً هاجروا من مكة ، ثم بداهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا على دينك وما أخرجنا إلا اجتواء المدينة والالتياق إلى بلدنا . وقيل : هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ثم رجعوا . وقيل : هم العريون الذين أغاروا على السرح وقتلوا بساراً . وقيل هم قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة . ومعناه : ما لكم اختلفتم في شأن قوم ناهقوا نفاقاً ظاهراً و تفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم ﴿ والله أركسهم ﴾ أي ردهم في حكم المشركين كما كانوا ﴿ بما كسبوا ﴾ من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتياهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو أركسهم في الكفر بأن خذلهم حتى أركسوا فيه ، لما علم من مرض قلوبهم ﴿ أتريدون أن تهدوا ﴾ أن تجعلوا من جملة المهتدين ﴿ من أصل الله ﴾ من جعله <sup>(١)</sup> من جملة الضلال ، وحكم عليه بذلك أو خذله حتى ضل . وقرئ : ركسهم . وركسوا فيها .

هَذَا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَرِثَةً وَلَا نَصِيرًا ٨٩ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ٩٠ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَارَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنَّ لَمْ يَعْزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ٩١

﴿ فتكونون ﴾ عطف على ﴿ تكفرون ﴾ ولو نصب على جواب التثنية لجاز . والمعنى : ودوا

(١) قال محمود : « معناه من جعله ... الخ » قال أحد : هو بهذين الوجهين يفر من الحق والحقيقة . أما الحق ، فلا أن الله هو الذي خلق الضلال لمن ضل ؛ إذ لا خالق إلا الله . وأما الحقيقة ، فلا أنها - أعني الآية - اقتضت نسبة الأصل إلى فعل الله تعالى ، فالتخيل في تحريف الماعلية إلى التسبب عدول عن الحقيقة إلى المجاز . وقد علت الباحث له على هذا المعتقد فلا نعيده .

كفركم فكونكم معهم شرعاً<sup>(١)</sup> واحداً فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء . فلا تتولواهم وإن آمنوا حتى يظاهروا إيمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله . لا لغرض من أغراض الدنيا . مستقيمة ليس بعدها بدء . ولا تعزب . ﴿ فإن تولوا ﴾ عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة ، فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم ، وجانبوهم بجانب كاية ، وإن بذلوا السك والولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم ﴿ إلا الذين يصلون ﴾ استثناء من قوله ( فخذوهم واقتلوهم ) ومعنى ( يصلون إلى قوم ) يتنون إليهم ويتصلون بهم . وعن أبي عبيدة : هو من الانتساب . وصلت إلى فلان واتصلت به إذا انتميت إليه . وقيل : إن الانتساب لا أثر له في منع القتال ، فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من هو من أنسابهم ، والقوم هم الأسليون ، كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، وذلك أنه وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه ، وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال . وقيل : القوم بنو بكر بن زيد مائة كانوا في الصلح ﴿ أو جاءوكم ﴾ لا يخلو من أن يكون معطوفاً على صفة قوم ، كأنه قيل : إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين ، أو قوم مسمكين عن القتال لالكم ولا عليكم ، أو على صلة الذين ، كأنه قيل : إلا الذين يتصلون بالمعاهدين ، أو الذين لا يقتالونكم والوجه العطف على الصلة لقوله : ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقتالوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سيلاً ﴾ بعد قوله : ( فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ) فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الإيقاع بهم . فإن قلت : كل واحد من الاتصاليين له تأثير في صحة الاستثناء ، واستحقاق إزالة التعرض للاتصال بالمعاهدين والاتصال بالمكافين ، لأن الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء دخول في حكمهم ، فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة قوم ، ويكون قوله : ﴿ فإن اعتزلوكم ﴾ تقريراً لحكم اتصا لهم بالمكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سنتهم ؟ قلت : هو جائز ، ولكن الأول أظهر وأجرى على أسلوب الكلام . وفي قراءة أبي : بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم ، بغير أو . ووجهه أن يكون ( جاؤكم ) بياناً ليصلون ، أو بدلاً أو استئنافاً ، أو صفة بعد صفة لقوم . حصرت صدورهم في موضع الحال بإضمار قد . والدليل عليه قراءة من قرأ : حصرة صدورهم . وحصرات صدورهم . وحاصرات صدورهم . وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على : أو جاؤكم قوماً حصرت صدورهم . وقيل : هو بيان لجأوكم ، وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين . والحصر الضيق والانقباض ﴿ أن يقتالوكم ﴾ عن أن يقتالوكم . أو كراهة أن يقتالوكم . فإن قلت : كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين ؟ قلت : ما كانت مكافتهم إلا

(١) قوله « شرعاً » أى طريقاً . وفي الصحاح : أنه يحرك ويسكن . (ع)

لقدف الله الرعب في قلوبهم ، ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه ، فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين ، فذلك معنى التسلط . وقرئ : فلقتلوكم ، بالتخفيف والتشديد ( فان اعتزلوكم ) فإن لم يتعرضوا لكم ( وألقوا إليكم السلم ) أى الانقياد والاستسلام . وقرئ بسكون اللام مع فتح السين ( فما جعل الله لكم عليهم سيلا ) فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم ( ستجدون آخرين ) هم قوم من بنى أسد و غطفان ، كانوا إذا أتوا المدينة أسلخوا وعاهدوا ليامنوا المسلمين ، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ( كلما ردوا إلى الفتنة ) كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين ( أركسوا فيها ) قبلوا فيها أقبح قلب وأشنعه ، وكانوا شرأفها من كل عدو ( حيث نفقتموهم ) حيث تمكنتم منهم ( سلطانا مبينا ) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر ، وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذننا لكم في قتلهم .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ قَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

( وما كان لمؤمن ) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله ، كقوله ( وما كان لني أن يغل ) ، ( وما يكون لنا أن نعود فيها ) . ( أن يقتل مؤمنا ) ابتداء غير قصاص ( إلا خطأ ) إلا على وجه الخطأ . فإن قلت : بم انتصب خطأ ؟ قلت : بأنه مفعول له ، أى ما ينبغى له أن يقتله لعله من العلل إلا للخطأ وحده . ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ ، وأن يكون صفة للبصدر لإقتلا خطأ . والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة ، إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد ، بأن يرى كافرا فيصيب مسلما ، أو يرى شخصا على أنه كافر فإذا هو مسلم . وقرئ : خطأ - بالمد - وخطا ، بوزن عى - بتخفيف الهمزة - وروى أن عياش بن أبي ربيعة - وكان أبا جهل لأمه - أسلم وهاجر خوفا من قومه إلى المدينة ، وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع . فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن زيد بن أبي أنيسة فأتيها

وهو في أطم<sup>(١)</sup> فقتل منه أبو جهل في الذروة والغارب ، وقال : أليس محمد يحنك على صلة الرحم ، انصرف وبراً أمك وأنت على دينك ، حتى نزل وذهب معهما ، فلما فسحا عن المدينة كتفاه ، وجلده كل واحد مائة جلدة . فقال للحارث : هذا أخى ، فمن أنت يا حارث ؟ الله على إن وجدتك خاليا أن أقتلك ، وقدمابه على أمه ، خلقت لايحل كتافه أو يرتد ، ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم ، وأسلم الحارث وهاجر ، فلقبه عياش بظهر قباء - ولم يشعر بإسلامه - فأحنى عليه فقتله ، ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قتلته ولم أشعر بإسلامه<sup>(٢)</sup> ، فزلت<sup>(٣)</sup> فتحرير رقبة<sup>(٤)</sup> فعليه تحرير رقبة . والتحرير : الإعتاق . الحر والعتيق : الكريم ، لأن الكرم في الأحرار كما أن اللؤم في العبيد . ومنه : عتاق الخيل ، وعتاق الطير لكرامها . وحر الوجه : أكرم موضع منه . وقولهم للثيم : عبد ، وفلان عبد الفعل : أى لثيم الفعل . والرقبة : عبارة عن النسمة ، كما عبر عنها بالرأس في قولهم : فلان يملك كذا رأساً من الرقيق . والمراد برقبة مؤمنة : كل رقبة كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء . وعن الحسن : لا تجزئ إلا رقبة قد صلت وصامت ، ولا تجزئ الصغيرة . وقاس عليها الشافعى كفارة الظهار ، فاشتراط الإيمان . وقيل : لما أخرج نفسها مؤمنة عن جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفساً مثلاً في جملة الأحرار ، لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار<sup>(٥)</sup> (مسئلة إلى أهله) مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث ، لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء . يقضى منها الدين ، وتنفذ الوصية وإن لم يبق وارثا ففى بيت المال ، لأن المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أنا وارث من لا وارث له<sup>(٦)</sup> . وعن عمر رضى الله عنه أنه قضى بدية المقتول ، فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال : لا أعلم لك شيئاً ، إنما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه . فقام الضحاك بن سفيان الكلابى فقال : كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى أن أورث امرأة أشيم الضبابى من عقل زوجها أشيم . فوزئها عمر<sup>(٧)</sup> ، وعن ابن مسعود :

(١) قوله « وهو في أطم فقتل منه » الأطم : الحصن ، أفاده الصحاح . وفيه : مازال فلان يقتل من فلان في الذروة والغارب ، أى يدور من وراء خديعته . (ع)

(٢) أخرجه الثعلبى بغير سند ، والواحدى عن ابن الكلبي . ورواه الطبري من طريق أسباط عن السدى بتغيير يسير ، ولم يسم الحارث . فقال : ومعه رجل من بنى عامر وقال ابن إسحاق في المغازى : حدثنى نافع عن ابن عمر عن أبيه قال « أبعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص : لما أردنا الهجرة . فأصبحت أنا وعياش . وحبس عنا هشام وفق . وخرج أبو جهل وأخوه الحارث إلى عياش بالمدينة فكلأه وقالوا له : إن أمك نذرت أن تلمس رأسها بمشط ، فذكر القصة بطولها .

(٣) أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث المقدم بن معد يكرب به ، وأتم منه .

(٤) أخرجه أصحاب السنن من رواية سعيد بن المسيب . « أن عمر رضى الله عنه كان يقول : الدية للعائلة ، =

يرث كل وارث من الدية غير القاتل . وعن شريك : لا يقضى من الدية دين ، ولا تنفذ وصية . وعن ربيعة : الغرة لأم الجنين وحدها ، وذلك خلاف قول الجماعة . (فإن قلت) : على من تجب الرقبة والدية ؟ قلت : على القاتل إلا أن الرقبة في ماله ، والدية تتحملها عنه العاقلة ، فإن لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال ، فإن لم يكن ففي ماله (إلا أن يصدقوا) إلا أن يصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو ، كقوله (إلا أن يعفون) ونحوه (وأن يصدقوا خير لكم) وعن النبي صلى الله عليه وسلم «كل معروف صدقة»<sup>(١)</sup> ، وقرأ أبي : إلا أن يصدقوا . فإن قلت : بهم تعلق أن يصدقوا ، وما محله ؟ قلت : تعلق بعليه ، أو بسببه ، كأنه قيل : وتجب عليه الدية أو يسلبها ، إلا حين يتصدقون عليه . ومحله النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان ، كقولهم : اجلس ما دام زيد جالسا . ويجوز أن يكون حالا من أهله بمعنى (إلا متصدقين) من قوم عدو لكم من قوم كفار أهل حرب وذلك نحو رجل أسلم في قومه الكفار وهو بين أظهرهم لم يفارقهم ، فعلى قاتله الكفارة إذا قتله خطأ وليس على عاقلته لأهله شيء . لأنهم كفار محاربون . وقيل : كان الرجل يسلم ؛ ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوه جيش المسلمين ، فيقتل فيهم خطأ لأنهم يظنونهم كافراً مثلهم (وإن كان من قوم) كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين وأهل الذمة من الكتابيين ، فحكمه حكم مسلم من مسلمين (فمن لم يجد) رقبة ، بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها (ف) عليه (صيام شهرين متتابعين توبة من الله) قبولاً من الله ورحمة منه ، من تاب الله عليه إذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه ، أو قتلهم من الرقبة إلى الصوم توبة منه . هذه الآية فيها من التهديد والإبعاد والإبراق والإرعاد<sup>(٢)</sup> أمر عظيم وخطب غليظ . ومن ثم روى عن ابن عباس ما روى من أن توبة قاتل المؤمن عمداً غير مقبولة<sup>(٣)</sup> . وعن سفيان : كان أهل العلم إذا سئلوا :

== لا تراث المرأة من دية زوجها شيئاً حتى قال له الضحاك بن سفيان كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أورت امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها . فرجع عمر رضى الله عنه .

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضى الله عنه .

(٢) قال محمود : وفي هذه الآية من التهديد والوعيد والإبراق... الخ . قال أحمد : وكفى بقوله تعالى في هذه السورة (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) دليلاً أباح على أن القاتل الموحد - وإن لم يتب - في المشيئة وأمره إلى الله ، إن شاء أخذه وإن شاء غفر له . وقد مر الكلام على الآية ، وما بالعهد من قدم . وأما نسبة أهل السنة إلى الأشعبية ، فذلك لا يضيرهم ؛ لأنهم إنما تطفلوا على لطف أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ، ولم يقتطعوا من رحمة الله ، إنه لا يقط من رحمة الله إلا القوم الظالمون .

(٣) متفق عليه من رواية سعيد بن حبيب عن ابن عباس في قوله (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) قال : لأنوبة له ، وفي رواية لها عنه وقال : قلت لابن عباس : ألن قتل مؤمناً متعمداً من توبة ؟ قال : لا ، (فائدة) قال ابن أبي شيبة : حدثنا يزيد بن هرون أن أبانا أبو مالك الأشجعي عن سعد بن عبيدة قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : ألن قتل مؤمناً توبة ؟ قال : لا إلى النار ، فلما ذهب قال له جلساؤه : ما هكذا كنت تفتينا ، قد كنت تفتينا ==

لاتوبة له ، وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد ، وإلا فكل ذنب محو بالتوبة . وناهيك بمحو الشرك دليلاً . وفي الحديث «لزال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم»<sup>(١)</sup> وفيه «لو أن رجلاً قتل بالمشرك وآخر رضى بالمغرب لأشرك في دمه»<sup>(٢)</sup> ، وفيه «إن هذا الإنسان بنیان الله . ملعون من هدم بنيانه ، وفيه «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب»<sup>(٣)</sup> بين عينيه آيس من رحمة الله»<sup>(٤)</sup> . والعجب من قوم يقرؤن « هذه الآية ويرون مافيها ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة ، وقول ابن عباس بمنع التوبة . ثم لاتدعهم أشعيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هوام وما يخيل إليهم مناهم ، أن يطعموا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة . أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها ؟ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة في قتل الخطأ ، لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ

== أن لمن قتل مؤمناً توبة مقبولة . فما بال هذا اليوم ؟ قال : إني أحسب رجلاً مغضباً يريد أن يقتل مؤمناً . قال : فبعثوا في أثره فوجدوه كذلك .

(١) أخرجه الترمذى والنسائى من رواية شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمر . ومثله بلفظ «من قتل رجلاً مسلماً ، وروياه موقوفاً . وهو أصح . ورواه البراء وقال : لاتعلم أسنده عن شعبة إلا ابن أبى عدى . ورواه ابن أبى شبة وأبو يعلى من رواية الثورى عن يعلى بن عطاء به مرفوعاً وأخرجه النسائى من وجه آخر مرفوعاً . وفى الباب عن بريدة ، أخرجه النسائى وابن عدى . والبيهقى فى الشعب ، بلفظ ، ولقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا ، وفيه بشر بن المهاجر وفيه ضعف وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما أخرجه ابن ماجه ، والبيهقى بلفظ «لزال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مؤمن» - وزاد : والمؤمن أكرم عند الله من الملائكة الذين عنده . وفى إسناده أبو المهرم يزيد بن سفيان .

(٢) لم أجده .

(٣) قوله «مكتوب» لعله مكتوباً . (ع)

(٤) أخرجه ابن ماجه وأبو يعلى والعلقبلى وابن عدى من حديث أبى هريرة مثله . وإسناده ضعيف . ورواه ابن حبان فى الضعفاء من رواية عمرو بن محمد الأعمى عن نعيم بن سالم الأفاطس عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن هريرة . وقال : إنه حديث موضوع ، لا أصل له من حديث الثقات ، وعمرو ، والأفاطس لا يجوز الاحتجاج بهما بحال . وقد أخرجه أبو نعيم فى الحلية ، وترجمه خلف بن حوشب من روايته عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن المسيب به وقال غريب تفرد به حكيم بن نافع عن خلف . وحكى ضعيف إلا أنه يرد على كلام ابن حبان وفى الباب أيضاً عن ابن عمر . أخرجه البيهقى فى الشعب ، فى السادس والثلاثين . وعن ابن عباس ، أخرجه الطبرانى من رواية عبد الله بن حراش عن العوام بن حوشب عن مجاهد عنه .

(٥) قوله «والعجب من قوم يقرؤن» فيه انتصار للمعتزلة وتشجيع على أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه يجوز غفران الكبائر بالتوبة أو بالشفاعة أو بمجرد فضل الله ، تمسكاً بقوله تعالى (إن الله لا يفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) كما حقق فى علم التوحيد وفى الصحاح : أشعب اسم رجل كان ضالماً . وفى المثل «أطعم من أشعب» أى فالأشعية : الحنابلة التى تنسب إلى أشعب ، وهى «أطعم الشديد» . (ع)



فيه حسم للأطماع وأى حسم، ولكن لأحياة لمن تنادى. فإن قلت: هل فيها دليل على خلود من لم يتب<sup>(١)</sup> من أهل الكبائر؟ قلت: ما أبين الدليل وهو تناول قوله (ومن يقتل) أى قاتل كان، من مسلم أو كافر، نائب أو غير نائب، إلا أن النائب أخرجه الدليل. فن ادعى إخراج المسلم غير النائب فليأت بدليل مثله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِنَ  
أَلَنَّا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ  
كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا  
تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

(فتبينوا) وقرئ: فتثبتوا، وهما من التفعّل بمعنى الاستفعال. أى اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تنهوكوا فيه من غير روية. (١) وقرئ: السلم. والسلام وهما الاستسلام. وقيل: الإسلام. وقيل: التسليم الذى هو تحية أهل الإسلام (لست مؤمناً) وقرئ (مؤمناً) بفتح الميم من آمنه، أى لا تؤمنك، وأصله أن مرداس بن نهيك<sup>(٢)</sup> رجلاً من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره، فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة اللثي، فهربوا وبق مرداس لثقتهم بإسلامه، فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول<sup>(٣)</sup> من الجبل وصعد، فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه، فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجداً شديداً وقال: تقتلوه إرادة ما معه، ثم قرأ الآية على أسامة، فقال: يا رسول الله استغفر لى. قال فكيف بلا إلا إلا الله، قال أسامة فما زال يعيدها حتى وددت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ، ثم استغفر لى وقال: أعتق<sup>(٤)</sup> رقبة (تبغون عرض الحياة الدنيا) تطلبون الغنيمة

(١) قوله « دليل على خلود من لم يتب » هو مذهب المعتزلة. وذهب أهل السنة إلى خروج من كان في قلبه مغال ذرة من إيمان، كما في حديث الشفاعة وقد تقرر في محله. (ع)

(٢) قوله « ولا تنهوكوا فيه » أى تحيروا أو تخطبوا بلا مبالاة. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله « مرداس » في الصحاح: ردست القوم وراستهم: إذا رميتهم بحجر. والمرداس: حجر يرى به في البئر ليعلم أن فيها ماء أولاً. ومنه سمى الرجل. (ع)

(٤) قوله « إلى عاقول » في الصحاح: العاقول من الثور والوادى والزلمل: الموج منه. (ع)

(٥) أخرجه الثعلبي من رواية السكيت عن أبي صالح عن ابن عباس. وأخرجه الطبري من رواية أسباط عن السدي بتغيير يسير.

التي هي حطام سريع النفاد ، فهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه ﴿ فعند الله مغنم كثيرة ﴾ يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام ويتعذبه من التعرض له لتأخذوا ماله ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة ، فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنكم ﴿ فمن الله عليكم ﴾ بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم ، وإن صرتم أعلاما فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم ، وأن تعتبروا بظاهر الاسلام في الحسنة ، ولا تقولوا إن تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصق النية ، فتجعلوه سلبا إلى استباحة دمه وماله وقد حرّمهما الله وقوله ﴿ فتبينوا ﴾ تكرير للأمر بالتبين ليؤكد عليهم ﴿ إن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ فلا تنهتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك .

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ٩٥  
دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٩٦

﴿ غير أولي الضرر ﴾ قرئ بالحركات الثلاث ، فالرفع صفة للقاعدون ، والنصب استثناء منهم أو حال عنهم ، والجزء صفة للمؤمنين . والضرر : المرض ، أو العاهة من عي أو عرج أو زمانة أو نحوها . وعن زيد بن ثابت : كنت إلى جنب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنشيت السكينة ، فوقعت نخذه على نخذي حتى خشيت أن ترضها ، ثم سرى عنه فقال : اكتب فكتبت في كتف ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون ) فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى : يا رسول الله ، وكيف يمر لا يستطيع الجهاد من المؤمنين . فنشيت السكينة كذلك ، ثم قال : اقرأ يا زيد ، فقرأت ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين ) فقال غير أولي الضرر . قال زيد : أنزلها الله وحدها ، فألحقها . والذي نفسى بيده لكانى أنظر إلى ملحقة عند صدع في الكتف (١) . وعن ابن عباس : لا يستوى القاعدون عن بدر والخارجون إليها . وعن مقاتل : إلى تبوك . فإن قلت : معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان ، فما فائدة نفى الاستواء ؟ قلت : معناه الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ، ليأنف القاعد ويترقع بنفسه عن انحطاط

(١) أخرجه البخارى من رواية ابن الحكم عن زيد بن ثابت نحوه ، وأبو داود وأحمد واللعالم من رواية خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت باللفظ المذكور .

منزلته، فيهتز للجهد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته، ونحوه (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب به <sup>(١)</sup> إلى التعلم، ولينهض بنفسه عن صفة الجهل إلى شرف العلم ﴿فضل الله المجاهدين﴾ جملة موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل: ما لهم لا يستوون، فأجيب بذلك. والمعنى على القاعدين غير أولى الضرر لكون الجملة بياناً للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف ﴿وكلاً﴾ وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى ﴿أى المثوبة الحسنى وهى الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم «لقد خلفتم بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيرة ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم» <sup>(٢)</sup> وهم الذين صحت نيائهم ونصحت جيوبهم <sup>(٣)</sup> وكانت أفئدتهم تهوى إلى الجهاد، وبهم ما ينعمهم من المسير من ضرر أو غيره. فإن قلت: قد ذكر الله تعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات، فمن هم؟ قلت: أما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الأضرأ وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم، لأن الغزو فرض كفاية. فإن قلت: لم نصب (درجة) و(أجراً) و(درجات)؟ قلت: نصب قوله (درجة) لوقوعها موقع المرة من التفضيل، كأنه قيل فضلهم تفضيلة واحدة. ونظيره قولك: ضربه سوطاً، بمعنى ضربه ضربة. وأما (أجراً) فقد انتصب بفضل، لأنه فى معنى أجرهم أجراً ودرجات، ومغفرة، ورحمة: بدل من أجر. أو يجوز أن ينتصب (درجات) نصب درجة، كما تقول: ضربه أسواطاً بمعنى ضربات، كأنه قيل: وفضله تفضيلات. ونصب (أجراً عظيماً) على أنه حال عن الشكر التى هى درجات مقدمة عليها، وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعلهما بمعنى: وغفر لهم ورحمهم، مغفرة ورحمة.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّعُوا الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩

(١) قوله «لهاب» الظاهر أنه من الموب وهو وهج النار، أى توقدها، كما فى الصحاح. (ع)

(٢) أخرجه البخارى وأبو داود من رواية حميد عن أنس. ونحوه عند مسلم من حديث جابر رضى الله عنه.

(٣) قوله «نصحت جيوبهم» فى الصحاح: تقول: إنه لحسن الحيلة - بالكسر - أى الجواب. ورجل ناصح الجيب؛ أى أمين. (ع)

﴿توفاهم﴾ يجوز أن يكون ماضياً كقراءة من قرأ: توفاهم. ومضارعاً بمعنى تتوفاهم، كقراءة من قرأ: توفاهم، على مضارع وفيت، بمعنى أن الله يوفى الملائكة أنفسهم فيتوفونها. أى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ﴿ظالمى أنفسهم﴾ فى حال ظلمهم أنفسهم ﴿قالوا﴾ قال الملائكة للتوفين ﴿فيم كنتم﴾ فى أى شيء كنتم من أمر دينكم. وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة. فبن قلت: كيف صح وقوع قوله ﴿كننا مستضعفين فى الأرض﴾ جواباً عن قولهم ﴿فيم كنتم﴾؟ وكان حق الجواب أن يقولوا: كنا فى كذا أو لم نكون فى شيء؟ قلت: معنى ﴿فيم كنتم﴾ للتوبيخ بأنهم لم يكونوا فى شيء من الدين، حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا، فقالوا: كنا مستضعفين اعتذاراً بما وبحوا به واعتلالاً بالاستضعاف، وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا فى شيء، فبكثرتهم الملائكة بقولهم ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التى لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة. وهذا دليل على أن الرجل إذا كان فى بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب، لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر، أو علم أنه فى غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة - حقت عليه المهاجرة - وعن النبي صلى الله عليه وسلم «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجبت له الجنة»، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونيه محمد عليهما الصلاة والسلام، <sup>(١)</sup>. اللهم إن كنت تعلم أن هجرى إليك لم تكن إلا للفرار بدينى فاجعلها سبباً فى خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جوارى لك بعكوفى عند بيتك، بجوارى فى دار كرامتك يا واسع المغفرة. ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة فى الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك. وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية إلى مسلى مكة، فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لبيه: احمولى، فإنى لست من المستضعفين، وإنى لأهتدى الطريق، والله لا أبيت الليلة بمكة. فحملوه على سرير متوجهاً إلى المدينة وكان شيخاً كبيراً فأتى بالتعيم <sup>(٢)</sup>. فإن قلت: كيف أدخل الولدان فى جملة المستثنى من أهل الوعيد <sup>(٣)</sup>، كأنهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء

(١) أخرجه الثعلبى فى تفسير العنكبوت من رواية عباد بن منصور الجاهلى عن الحسن مرسلًا.

(٢) ذكره الثعلبى بغير سند هكذا. وأخرجه الواحدى فى الأسباب من طريق أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية (إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الذى كان شيخاً كبيراً: احمولى فذكره. وأخرجه أبو بلى والطبرانى من هذا الوجه مختصراً.

(٣) قال محمود: «الاستثناء من التوعدين فى قوله (أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) الخ» قال أحد: قوله «إن المراهقين من الولدان يكفون إلحاقاً بالبالدين»، مردود بقوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام

لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا ؟ قلت : الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك . وأما الولدان فلا يكونون إلا عاجزين عن ذلك ، فلا يتوجه عليهم وعيد ؛ لأن سبب خروج الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد إنما هو كونهم عاجزين ، فإذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه ، كانوا خارجين من جملتهم ضرورة . هذا إذا أريد بالولدان الأطفال ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف . وإن أريد بهم العبيد والإماء البالغون فلا سؤال . فإن قلت : الجملة التي هي ( لا يستطيعون ) ما موقعها ؟ قلت : هي صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان . وإنما جاز ذلك والجل تكرات ، لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه ، كقوله :

﴿ وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّيْمِ بِسُبْحِي ﴾ (١)

فإن قلت : لم قيل ( عسى الله أن يعفو عنهم ) بكلمة الإطماع ؟ قلت : للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه ، حتى أن المضطر البين الاضطراب من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني ، فكيف بغيره .

وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوُتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠)

(مراعا) مهاجراً وطريقاً يرأى بسلوكه قومه ، أى يفارقهم على رغم أنوفهم . والرغم : الذل والهوان . وأصله لصوق الآنف بالرغام - وهو التراب - يقال : راغمت الرجل إذا فارقتك وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك . قال النابغة الجعدي :

كَطُودٍ يُبْلَذُ بِأَرْكَانِهِ عَزِيزِ الْمَرَاغِمِ وَالْمَذْهَبِ (٢)

== «رفع القلم عن ثلاث : عن الصبي حتى يحتلم ، لجمال البلوغ نفسه مناط التكليف . وهذا مذهب الجماهير ، ولم يبلغنا خلافه . وقال الخشري : أراد الحديث العهد بالصبي وإن بلغوا ، تسمية لهم بالاسم السالف لقرب عهدهم به ، كما قال ( وآتوا البتاي أموالهم ) فبماهم يتأى وإن بلغوا ، إذ لا تدفع أموالهم حتى يبلغوا ، لأنهم حديثو عهد باليتيم . والفرس تعجيل دفع الأولاد لهم إذا رشدوا ، وإن قرب عهدهم باليتيم حتى أنهم لذلك يعبر عنهم باليتاي ، ولا يماطلوا ولو قال الخشري في الولدان كذلك ، لكان قولاً سديداً ، والله أعلم .

(١) مر شرح هذا الشاهد ص ١٦ من هذا الجزء فراجع إن شئت اه مصححه .

(٢) للنابغة الجعدي . والطود : الجبل العظيم . وبلاذ : يتحصن . والرغم : التصاق الآنف بالرغام أى التراب ، وهو كناية عن الذل والهوان . وفي سلوك سبيل المهاجرة مراعاة للخصم مفارقة له على رغم أنه . والمرام - على ==

وقرئ : مرغما . وقرئ ( ثم يدركه الموت ) بالرفع <sup>(١)</sup> على أنه خبر مبتدأ محذوف . وقيل : رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف عليها ، ثم نقل حركة الهاء إلى الكاف ، كقوله :

\* مِنْ عَنَزِيٍّ سَعْنِي لَمْ أَضْرِبْهُ \* <sup>(٢)</sup>

وقرئ ( يدركه ) بالنصب على إضمار أن ، كقوله :

\* وَالْحَقُّ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرْيَحَا \* <sup>(٣)</sup>

( فقد وقع أجره على الله ) فقد وجب ثوابه عليه : وحقيقة الوجوب : الوقوع والسقوط ( فإذا وجبت جنوبها ) ووجبت الشمس : سقط قرصها . والمعنى : فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه <sup>(٤)</sup> . وروى في قصة جندب بن ضمرة : أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق يمينه على شماله ثم قال : اللهم هذه لك ، وهذه لرسولك ، أبايعك على ما بايعك عليه رسولك . فمات حميدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : لو توفي بالمدينة لكان أتم أجراً ، وقال المشركون وهم يضحكون : ما أدرك هذا ما ألب . فنزات . وقالوا : كل هجرة لغرض ديني . من طلب علم ، أو حج ، أو جهاد ، أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهداً في الدنيا ، أو ابتغاء رزق طيب . فهي هجرة إلى الله ورسوله . وإن أدركه الموت في طريقه ، فأجره واقع على الله

== اسم المفعول - الطريق ، لأنه مكان المراغة . واسم المكان غير التثنية المجرد على زنة اسم المفعول منه ، وكساجد جمعه . والمذهب ، روى بدله المهرب ، والثاني أخص . يشبه رجلاً بالجل في الالتجاء إليه والتحصن بجماعه .

(١) قال محمود : د قرئ يدركه برفع الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف . . الخ ، قال أحمد : توجيه الرفع على إضمار المبتدأ فيه عطف الاسمية على الفعلية ، والأولى خلافه ما وجد عنه سيل . وأما الوجه الثاني من إجراء الوصل بجرى الوقف ففيه شذوذ بين ، على أن الألفصح في الوقف خلاف نقل الحركة ، وقد زاد شذوذاً بإجراء الوصل بجرى الوقف ، فكيف وعندى وجه حسن خالص من الشذوذ مرتفع الذروة في الفصاحة ، وهو العطف على ما يقع موقع د من ، مما يكون الفعل الأول معه مرفوعاً ، كأنه قال : والذي يخرج من بيته مهاجراً ثم يدركه الموت وهو الذي ذكره الزمخشري عند قوله ( أينما تكونوا يدرككم الموت ) فيمن قرأ بالرفع ، وقال ثم : هو وجه نحوي سيوى ، وإجراؤه هنا أقرب وأصوب منه ثمة ، والله أعلم .

(٢) عجبت والدهر كثير عجيبة من عنزي ساعني لم أضربه

قوله والدهر كثير عجيبة ، جملة اعتراضية . والعنزي : نسبة لعنزة أبو حمى مربعة . وقيل العنزي : القصير ، نسبة إلى العنزة ، وهي الرخ الصغير . والأصل سيكون ياء أضربه للجزم ، ولكنها عاورت الهاء للوزن . ويروي بإعجاب والدهر كثير عجيبة من عنزي .

(٣) سأترك منزلي لبني تميم وألحق بالحجاز فأستريحوا

للغيرة بن حنين الحنظلي ، وألحق كما كرم على الألفصح ، وكأنتح على لغة . ونصبه بتقدير وأن ، وإن لم يكن في جواب شيء من الأشياء الثابتة المعرفة في النحو ، لأن المضارع قبله فيه معنى الأمر لنفسه ، أو رائحة التقى ، أو لأنه عطف على تعليل محذوف ، أى لأنجو منهم وألحق بالحجاز فأستريح من شر عشرتهم . ولو رفع لفات ذلك وكان إخبار بالحق والاستراحة فقط ، لكن نص النحويين على أن النصب بعد الخبر أمثبت الخ لى من الشرط ضرورة ، وهذا منه .

(٤) قوله يثيبه وذلك واجب عليه ، هذا عند المعتزلة . أما عند أهل السنة فلا يجب عليه شيء . (ع)

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾

الضرب في الأرض : هو السفر . وأدنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة : مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن سير الإبل ومشى الأقدام على القصد ، ولا اعتبار بإبطاء الضارب وإسراعه . فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن في يوم ، قصر . ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة أيام ، لم يقصر . وعند الشافعي . أدنى مدة السفر أربعة برد مسيرة يومين . وقوله ﴿ فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ﴾ ظاهره التخيير بين القصر والإتمام ، وأن الإتمام أفضل . وإلى التخيير ذهب الشافعي . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتم في السفر <sup>(١)</sup> . وعن عائشة رضي الله عنها : اعتمدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قلت يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، قصرت وأتممت ، وصمت وأفطرت . فقال : أحسنت يا عائشة وما عاب علي <sup>(٢)</sup> . وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر <sup>(٣)</sup> . وعند أبي حنيفة رحمه الله : القصر في السفر عن يمة غير رخصة لا يجوز غيره . وعن عمر رضي الله عنه : صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم <sup>(٤)</sup> . وعن عائشة رضي الله عنها : أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين ، فأقرت في السفر ، وزيدت في الحضر <sup>(٥)</sup> . فإن قلت : فما تصنع بقوله (فليس عليكم جناح أن تقصروا) ؟ قلت : كأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفي عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمثوا إليه . وقرئ : تقصروا من أقصر . وجاء في الحديث إقصار الخطبة بمعنى تقصيرها <sup>(٦)</sup> . وقرأ الزهري (تقصروا) بالتشديد . والقصر

(١) أخرجه الشافعي وابن أبي شيبة والبخاري والدارقطني والبيهقي من طرق عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقصر في السفر ويتم ويفطر ويصوم ، لفظ الدارقطني . وقال إسناده صحيح

(٢) أخرجه النسائي من حديث عبد الرحمن بن الأسود عنها وحسنه . وأورده من طريق أخرى عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة . وقال الأول متصل وعبد الرحمن أدرك عائشة . ورواه البيهقي من الوجهين

(٣) متفق عليه من حديث سالم عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بمكة وعرة وغيرها صلاة المصافر ركعتين ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان صدراً من خلافته ، ثم أتمها أربعا ، وأخرجاه عن عبد الرحمن بن يزيد قال صلى عثمان بمكة أربعا فقبل لابن مسعود ، فاسترجع - الحديث .

(٤) أخرجه النسائي وابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر رضي الله عنه . ورواه البزار من هذا الوجه . وحدث به يزيد بن زياد بن أبي الجعد عن زيد بن عبد الرحمن عن كعب بن عجرة . وهذا الطريق أخرجه ابن ماجه . وأخرجه البزار من طريق أخرى عن زيد بن وهب عن عمر وفيه ياسين الزيات . وهو ضعيف .

(٥) متفق عليه .

(٦) أخرجه أبو داود والحاكم وأبو يعلى والبزار من رواية أبي راشد عن همار بن ياسر ، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقصار الخطبة ، قال أبو داود : لا تعلم روى أبو راشد عن عمار إلا هذا الحديث . وفي ابن =

ثابت بنصر الكتاب في حال الخوف خاصة ، وهو قوله ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتَنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وأما في حال الأمن فبالسنة ، وفي قراءة عبدالله : من الصلاة أن يفتنكم ليس فيها ( إن خفتكم ) على أنه مفعول له ، بمعنى : كراهة أن يفتنكم . والمراد بالفتنة : القتال والتعرض بما يكره

وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَكْرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضُمُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ١٠٢ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ١٠٣

﴿ وإذا كنتم فيهم فأقمتم الصلوة ﴾ يتعلق بظاھرہ من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث شرط كونه فيهم : وقال من رآها بعده : إن الأئمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر ، قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولاً لكل إمام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف ، عليه أن يؤتم رسول الله صلى الله عليه وسلم والجماعات التي كان يحضرها . والضمير في ( فيهم ) للخائفين ﴿ فلتنقم طائفة منهم معك ﴾ فاجعلهم طائفتين فلتنقم إحداهما معك فصل بهم ﴿ وليأخذوا أسلحتهم ﴾ الضمير إما للمصلين <sup>(١)</sup> وإما لغيرهم فإن كان للمصلين فقالوا : يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما . وإن

== حبان من حديث جابر في قصة صلاة الخوف قال : و أنزل الله إقصار الصلاة . وفي أبي يعلى عن يعلى بن أمية : قلت لعمر : فم إقصار الصلاة ... الحديث .

(١) قال محمود : قيل للمأمور بأخذ الأسلحة المصلون ... الخ ، قال أحد : والظاهر أن المخاطب بأخذ الأسلحة المصلون ، إذ من لم يصل إنما أعد للحرس ، فالظاهر الاستغناء عن أمرهم بذلك وتنبيههم عليه ، وهم إنما أخذوا الصلاة لذلك . أما المصدر فهم في مظنة طرح الأسلحة ، لأنهم لم يعتادوا حملها في الصلاة ، فنبهوا على أنهم لا ينبغي لهم طرح الأسلحة وإن كانوا في الصلاة ، لضرورة الخوف وخشية الفرة . وأيضا فصنيع الآية يعطى ذلك ، لأنه قال : المتنم طائفة منهم معك ، وعقب ذلك بقوله ( وليأخذوا أسلحتهم ) فالظاهر رجوع الضمير إليهم ، وحيث يعاد إلى غير المصلين يحتاج إلى تكلف في صحة العود إليهم ، بدلالة قوة الكلام عليهم وإن لم يذكر .



كان لغيرهم فلا كلام فيه ﴿ فإذا سجدوا فليكونوا ﴾ يعني غير المصلين <sup>(١)</sup> ﴿ من ورائكم ﴾ يحرسونكم وصفة صلاة الخوف عند أبي حنيفة : أن يصلي الإمام بإحدى الطائفتين ركعة إن كانت الصلاة ركعتين - والآخرى بإزاء العدو - ثم تقف هذه الطائفة بإزاء العدو وتأتى الأخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلاته . ثم تقف بإزاء العدو ، وتأتى الأولى فتؤدى الركعة بغير قراءة وتم صلاتها ثم تحرس ، وتأتى الأخرى فتؤدى الركعة بقراءة وتم صلاتها ، والسجود على ظاهره عند أبي حنيفة . وعند مالك بمعنى الصلاة ، لأن الإمام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائماً حتى تتم صلاتها وتسلم وتذهب ، ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعداً حتى تتم صلاتها . ويسلم بهم . وبعضه ﴿ ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك ﴾ . وقرئ : وأمتعتكم : فإن قلت : كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ . قلت : جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي ، فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ ، وجعل مأخوذين . ونحوه قوله تعالى ( والذين تبوءوا الدار والإيمان ) جعل الإيمان مستقراً لهم ومتبوءاً لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء ﴿ فيميلون عليكم ﴾ فيشدون عليكم شدة واحدة . ورخص لهم في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب ما ييلهم في مطر أو يضعفهم من مرض ، وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهم عليهم العدو . فإن قلت : كيف طابق الأمر بالحذر قوله ﴿ إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ ؟ قلت : الأمر بالحذر من العدو يوم توقع غلبته واعتزازه ، فنفي عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم أن الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه ، لتقوى قلوبهم ، وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك ، وإنما هو تعبد من الله كما قال ( ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ) . ﴿ فإذا قضيتُم الصلاة ﴾ فإذا صليتم في حال الخوف والقتال ﴿ فاذكروا الله ﴾ فصلوها ﴿ قياماً ﴾ مسايقين ومقارعين ﴿ وعوداً ﴾ جاثين على الركب مرامين ﴿ وعلى جنوبكم ﴾ متخين بالجراح ﴿ فإذا اطمأننتم ﴾ حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم ﴿ فأقيموا الصلاة ﴾ فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج ﴿ إن الصلاة ﴾

(١) عاد كلامه . قال والمراد بقوله فليكونوا من ورائكم غير المصلين ، قال أحمد : والظاهر أن معنى السجود ههنا الصلاة . وقد عبر عنها بالسجود كثيراً والمراد : فإذا صلت الطائفة أى أتمت صلاتها ، فليكونوا من ورائكم . وفيه دليل مشهور مذهب مالك من أن الطائفة الأولى تتم صلاتها والإمام منتظر للطائفة الأخرى . وقوله ( ولتأت طائفة أخرى ) يعني إذا أتمت الأولى صلاتها ووقفت من ورائكم ، فلتأت الطائفة الأخرى التي لم تعمل بعد شيئاً فليصلوا معك . وفيه دليل بين أيضاً لأحد القولين في مذهب مالك ، من أن الإمام ينتظر الثانية حتى تتم صلاتها ويسلم بهم ، لأن ظاهر المعية المطلقة يوجب ذلك ، إذ لو كانوا يقضون بعد سلامه لم يكونوا مصلين معه على الإطلاق ، والله أعلم . فهذه الآية مطبقة على أكثر مشهور مذهبه في تفاصيل صلاة الخوف ، والله الموفق للصواب .

(٢) عاد كلامه . قال وفان قلت كيف جمع بين الأسلحة ... الخ ، قال أحمد : وحسن هذا الجواز وبلغ به ذروة الفصاحة ، عطف الحقيقة عليه .

كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴿ محدوداً بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أى حال كنتم ، خوف أو أمن . وهذا ظاهر على مذهب الشافعى رحمه الله فى إيجابه الصلاة على المحارب فى حالة المسابقة والمشي والاضطراب فى المعركة إذا حضر وقتها ، فإذا اطمأن فعليه القضاء . وأما عند أى حنيفة رحمه الله فهو معذور فى تركها إلى أن يطمئن . وقيل : معناه فإذا قضيت صلاة الخوف فأدبوا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد فى كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع ، فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ إليه ( فإذا اطمأنتم ) فإذا أقمت ( فأقيموا الصلاة ) فأتموها .

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١٠٤)

﴿ ولا تهنوا ﴾ ولا تضعفوا ولا تتوانوا ﴿ فى ابتغاء القوم ﴾ فى طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ، ثم ألزمهم الحجة بقوله : ﴿ إن تكونوا تألمون ﴾ أى ليس ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصاً بكم ، إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ، ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون . فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم ، مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم ﴿ ترجون من الله ما لا يرجون ﴾ من إظهار دينكم على سائر الأديان ، ومن الثواب العظيم فى الآخرة . وقرأ الأعرج : أن تكونوا تألمون ، بفتح الهمزة ، بمعنى : ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون . وقوله ( فإنهم يألمون كما تألمون ) تعليل . وقرئ : فإنهم يلبون كما تلبون . وروى أن هذا فى بدر الصغرى ، كان بهم جراح فتواكلوا ﴿ وكان الله عليماً حكيماً ﴾ لا يكلفكم شيئاً ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا لما هو عالم به مما يصلحكم .

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا

تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً (١٠٥) وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (١٠٦)

روى أن طعمة بن أبيرق أحد بنى ظفر سرق درعا من جارية له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق ، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه ، وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود ، فالتفت الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها ، وما له بها علم ، فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودى فأخذوها ، فقال : دفعها إلى طعمة ، وشهد له ناس من اليهود . فقالت بنو ظفر : انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل وأن يعاقب

اليهودى . وقيل : هم أن يقطع يده<sup>(١)</sup> فزلت . وروى أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطاً بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله ﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ بما عرفك وأوحى به إليك . وعن عمر رضى الله عنه : لا يقولن أحدكم قضيت بما أراى الله ، فإن الله لم يجعل ذلك إلا لئيه صلى الله عليه وسلم ، ولكن ليجهت<sup>(٢)</sup> رأيه ، لأن الرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيباً ، لأن الله كان يريه إياه ، وهو منا الظن والتكلف ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ ولا تكن لأجل الخائنين محاصماً للبراء ، يعنى لا تخاصم اليهود لأجل بنى ظفر ﴿واستغفر الله﴾ بما هممت به من عقاب اليهودى .

وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْصِي مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾

﴿يختانون أنفسهم﴾ يخونونها بالمعصية ، كقوله (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلماً لها ؛ لأن الضرر راجع إليهم . فإن قلت : لم قيل (لالخائنين) و﴿يختانون أنفسهم﴾ وكان السارق طعمة وحده ؟ قلت : لوجوب ، أحدهما : أن بنى ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه ، فكانوا شركاء له فى الإثم . والثانى : أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيائته ، فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه . فإن قلت : لم قيل ﴿خوانا أثيماً﴾ على المبالغة ؟ قلت : كان الله عالماً من طعمة بالإفراط فى الخيانة وركوب المآثم ، ومن كانت تلك

(١) ذكره الثعلبى من رواية أبى صالح عن الكلبي عن ابن عباس . ونقله الواحدى عن المفسرين فى الأسباب . ورواه الطبري من رواية سعيد عن قتادة قال وذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى شأن طعمة بن أبيرق وكان من الأنصار من بنى ظفر سرق درعاً لأمه ، كانت وديعة عنده . ثم قذفها على يهودى كان ينشاهم يقال له : زيد بن السمين . فذكر القصة . وأخرجه الترمذى والحاكم مطولاً من رواية محمد بن سلية عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن أبيه عن جده قتادة بن النعمان . وقال الترمذى : غريب ، ولا نعلم أسنده عن ابن إسحاق إلا أحمد بن سلية . ورواه يونس وغير واحد عن ابن إسحاق عن عاصم مرسلًا .

(٢) قوله «ولكن ليجهت رأيه» عبارة الخازن : ليجهد . (ع)

خاتمة أمره لم يشك في حاله . وقيل : إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات . وعن عمر رضى الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق ، فجاءت أمه تبكي وتقول : هذه أول سرقة سرقتها فاعف عنه . فقال : كذبت ، إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة <sup>(١)</sup> ﴿ يستخفون ﴾ يستترون ﴿ من الناس ﴾ حياء منهم وخوفا من ضررهم ﴿ ولا يستخفون من الله ﴾ ولا يستحيون منه ﴿ وهو معهم ﴾ وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم ، وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم ، مع علمهم إن كانوا مؤمنين أنهم في حضرته لاسترة ولا غفلة ولا غيبة ، وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح ﴿ يبيتون ﴾ يدبرون ويؤزرون <sup>(٢)</sup> وأصله أن يكون بالليل ﴿ ما لا يرضى من القول ﴾ وهو تدمير طعمة أن يرمى بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته . فإن قلت : كيف سمي التدمير قولا ، وإنما هو معنى في النفس ؟ قلت : لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز . ويجوز أن يراد بالقول : الحلف الكاذب الذى حلف به بعد أن يته ، وتوريكه <sup>(٣)</sup> الذنب على اليهودى ﴿ ها أنتم هؤلاء ﴾ ها للتنبيه في أتم . وأولاء : وهما مبتدأ وخبر . ﴿ وجادلتم ﴾ جملة مبيضة لوقوع أولاء خبرا ، كما تقول لبعض الأسخياء : أنت حاتم ، تجود بمالك ، وتؤثر على نفسك . ويجوز أن يكون ( أولاء ) اسما موصولا بمعنى الذين ، وجادلتم صلته . والمعنى : هبوا أنكم خاضتم عن طعمة وقومه في الدنيا ، فن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه . وقرأ عبد الله : عنه ، أى عن طعمة ﴿ وكلا ﴾ حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ﴿ ومن يعمل سوءا ﴾ قبيحا متعتيا يسوء به غيره ، كما فعل طعمة بقتادة واليهودى ﴿ أو يظلم نفسه ﴾ بما يختص به كالحلف الكاذب . وقيل : ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك ، أو يظلم نفسه بالشرك . وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة ، مع العلم بما يكون منه . أو لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه .

وَمَنْ يَكْسِبْ إِنَّمَا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا <sup>(١١١)</sup>  
وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِنَّمَا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيثًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا

وَإِنَّمَا مُبَدِّلًا <sup>(١١٢)</sup>

(فإنما يكسبه على نفسه) أى لا يتعداه ضرره إلى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء

(١) لم أجده .

(٢) قوله « يؤزرون » في الصحاح « ذورت الشيء » حسنت وقومته . وللزور : تزوين الكذب . (ع)

(٣) قوله « وتوريكه الذنب » في الصحاح « ورك فلان ذنبه على غيره ، أى قومه به . وفيه أيضا وهو يقرف

بكذابه أى يرمى به ويتهم به . (ع)

(خطيئة) صغيرة (أو إثماً) أو كبيرة (ثم يرم به بريثاً) كما رمى طعمة زيداً (فقد احتمل بهتاناً وإثماً) لأنه يكسب الإثم وآثماً، ويرى البريء دهاثاً، فهو جامع بين الأمرين. وقرأ معاذ بن جبل رضى الله عنه: ومن يكسب، بكسر الكاف والسين المشددة وأصله يكتسب.

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣)

(ولولا فضل الله عليك ورحمته) أى عصمته وألطافه وما أوحى إليك من الاطلاع على سرهم (لهمت طائفة منهم) من بنى ظفر (أن يضلوك) عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل، مع عليهم بأن الجاني هو صاحبهم، فقد روى أن ناساً منهم كانوا يعلمون كنه القصة (وما يضلون إلا أنفسهم) لأن وبالها عليهم (وما يضررونك من شيء) لأنك إنما عملت بظاهر الحال، وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك (وعليك ما لم تكن تعلم) من خفيات الأمور وضماثر القلوب، أو من أمور الدين والشرائع. ويجوز أن يراد بالطائفة بنو ظفر، ويرجع الضمير في (منهم) إلى الناس. وقيل: الآية في المنافقين.

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)

(لا خير في كثير من نجواهم) من تناجى الناس (إلا من أمر بصدقة) إلا نجوى من أمر، على أنه مجرور بدل من كثير، كما تقول: لا خير في قيامهم إلا قيام زيد. ويجوز أن يكون منصوباً على الانقطاع، بمعنى: ولكن من أمر بصدقة، ففي نجواه الخير. وقيل: المعروف القرض. وقيل: إغاثة الملهوف. وقيل هو عام في كل جميل. ويجوز أن يراد بالصدقة الواجب والمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله،<sup>(١)</sup> وسمع سفيان رجلاً يقول: ما أشد هذا الحديث. فقال: ألم تسمع الله يقول (لا خير في كثير

(١) أخرجه الترمذى وابن ماجه والحاكم وأبو يعلى والطبرانى من حديث أم حبيبة: ومدايره على محمد بن يزيد ابن حبيش رواية سفيان الثوري، وفيه رواية الحاكم بزيادة فيه من كلام الثوري وأنه استشهد بهذه الآية وغيرها.

من نجواهم) فهو هذا بعينه . أو ما سمعته يقول ( والعصر إن الإنسان لفي خسر ) فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب الأجر العظيم أن ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به إليه ، وأن يتنهي به وجهه خالصاً ، لأن الأعمال بالنيات . فإن قلت : كيف قال (إلا من أمر) ثم قال : (ومن يفعل ذلك ؟ قلت : قد ذكر الأمر بالخير ليدل به على فاعله ، لأنه إذا دخل الأمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل . ثم قال : (ومن يفعل ذلك) فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم ، ويجوز أن يراد : ومن يأمر بذلك ، فعبّر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر الأفعال ، وقرئ : يؤتيه ، بالياء .

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنْ آتَاكَ شَيْءٌ مِنْهُ فَإِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ فَإِن يَدْعُونَ مِنَّا ۖ لَكَنَّهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضِلَّتْهُمْ وَلَا مَنَّتْهُمْ وَلَا مَرَّيْتُمْ فَلْيَمِيسْكُنْ ؕ أَأَذَانَ الْأَنْعَمِ وَلَا مَرَّيْتُمْ فَلْيَمِيسْكُنْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

(ويتبع غير سبيل المؤمنين) وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم ، وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها ، كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة ، لأن الله عز وجل جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين ، وبين مشاققة الرسول في الشرط ، وجعل جزاءه الوعيد الشديد ، فكان اتباعهم واجبا كمواالة الرسول عليه الصلاة والسلام . قوله (نوله ما تولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال ، بأن نأخذله ونخلّي بينه وبين ما اختاره (ونصله جهنم) وقرئ : ونصله ، بفتح النون ، من صلاه . وقيل : هي في طعمة وارتداده وخروجه إلى مكة (إن الله لا يغفر أن يشرك به) تكرير للتأكيد ، وقيل : كزر لقصة طعمة : وروى : أنه مات مشركا . وقيل : جاء شيخ من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني شيخ منهمك في الذنوب ، إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ، ولم أأخذ من دونه وليا ، ولم أوقع المعاصي جرأة

على الله ولا مكابرة له ، وما توهمت طرفة عين أنى أعجز الله هرباً ، وإني لنادم تائب مستغفر ، فما ترى حالى عند الله ؟ <sup>(١)</sup> فنزلت . وهذا الحديث ينصر قول من فسر ( من يشاء ) بالتائب من ذنبه <sup>(٢)</sup> ﴿ إلا إنا أنا ﴾ هي اللات والعزى ومناة . وعن الحسن لم يكن حتى من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أثى بنى فلان . وقيل : كانوا يقولون فى أصنامهم هنّ بنات الله . وقيل : المراد الملائكة . لقولهم : الملائكة بنات الله . وقرئ أنا ، جمع أنيث أو أناث . ووثناً . وأثناً ، بالتخفيف والتثقيل جمع وثن ، كقولك أسد وأسد وأسد . وقلب الواو الفأ نحو : أجوه ، فى وجوه . وقرأت عائشة رضى الله عنها : أو ثنائاً ﴿ وإن يدعون ﴾ وإن يعبدون بعبادة الأصنام ﴿ إلا شيطاناً ﴾ لأنه هو الذى أغراه على عبادتها فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة . و ﴿ لعنه الله وقال لا تأخذن ﴾ صفتان بمعنى شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنة الله وهذا القول الشنيع ﴿ نصيباً مفروضاً ﴾ مقطوعاً واجباً فرضته لنفسى من قولهم : فرض له فى العطاء ، وفرض الجند رزقه . قال الحسن : من كل ألف تسعائة وتسعين إلى النار ﴿ ولا منينهم ﴾ الأمانى الباطلة <sup>(٣)</sup> من طول الأعمار ، وبلوغ الآمال ، ورحمة الله للجرمين بغير توبة <sup>(٤)</sup> والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك . وتبييهم الآذان فعلهم بالبحائر ، كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاه الخامس ذكراً ، وحرموها على أنفسهم الانتفاع بها . وتغييرهم خلق الله : فقم عين الحامى وإعفاؤه عن الركوب . وقيل : الخصاء ، وهو فى قول عامة العلماء مباح فى البهائم . وأما فى بنى آدم فمحظور . وعند أبى حنيفة : يكره شراء الخصيان وإمسأهم واستخدمهم ، لأن الرغبة فيهم تدعو إلى خصائهم . وقيل : فطرة الله التى هى دين الإسلام . وقيل للحسن : إن عكرمة يقول هو الخصاء ، فقال : كذب عكرمة ، هو دين الله . وعن

(١) هو منقطع .

(٢) قوله وينصر قول من فسر من يشاء ... الخ هو قول المعتزلة . (ع)

(٣) قال محمود : والمراد الأمانى الباطلة ... الخ قال أحد : هو تعريض بأهل السنة الذين يعتقدون أن الموحّد ذا الكبرياء غير التائب أمره يرجأ إلى الله تعالى ، والعفو عنه موكل إلى مشيئته إيماناً وتصديقاً بقوله فى الآية المعتبرة فى هذا (إن الله لا ينفق أن يشرك به ويفقر مادون ذلك لمن يشاء) والعجب أن هذه الآية تكررت فى هذه السورة مرتين على أذن الزمخشري ، وهو مع ذلك يتصام عنها ، ويجعل العقيدة المتلقاة منها من جملة الأمانى الشيطانية ، نعوذ بالله من إرسال الرسن فى اتباع الهوى ، وكذلك أيضاً عرض بأهل السنة فى اعتقادهم صدق الوعد الصادق بالشفاعة المحمدية ، وعد ذلك أيضاً أمنية شيطانية ، وما رأى من جحد الشفاعة ينالها . فلا حول ولا قوة إلا بالله ، لقد مكن هذا الفاضل ، فلا يأمن بعمده عاقل . إنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

(٤) قوله : « للجرمين بغير توبة ، بل بالشفاعة ، أو بمجرد الفضل ، وهو مذهب أهل السنة . (ع)

ابن مسعود : هو الوشم . وعنه : لعن الله الواشرات والمتنمصات <sup>(١)</sup> والمستوشمات المغيرات خلق الله <sup>(٢)</sup> . وقيل التخنث .

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا <sup>(١٢٢)</sup>

(وعد الله حقاً) مصدران : الأول مؤكد لنفسه ، والثاني مؤكد لغيره (ومن أصدق من الله قِيلاً) تأكيد ثالث بليغ . فإن قلت : ما فائدة هذه التوكيدات ؟ قلت : معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ، ترغيباً للعباد في إثبات ما يستحقون به تجز وعد الله ، على ما يتجرعون في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان .

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا <sup>(١٢٣)</sup> وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ قُلْ لَكُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا <sup>(١٢٤)</sup>

في (ليس) ضمير وعد الله ، أى ليس ينال ما وعد الله من الثواب (بأمانيتكم ولا) ب (أمانى أهل الكتاب) والخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به ، وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله . وعن مسروق والسدى : هى فى المسلمين . وعن الحسن : ليس الإيمان بالتقى ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، إن قوما ألهمهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحسن الظن بالله وكذبوا ، لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل له . وقيل : إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا ، فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم ، وكتابتنا قبل كتابكم . وقال المسلمون : نحن أولى منكم ، فبينما خاتم النبيين وكتابتنا يقضى على الكتب التي كانت قبله . فنزلت . ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم : إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء انكون خيراً منهم وأحسن حالاً (لاوتين مالا وولداً) ، (إن لى عنده للحسنى) وكان أهل الكتاب يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه . لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة . ويعضده

(١) قوله « الواشرات والمتنمصات » الواشرات : المرققات أسنانهن . والمتنمصات : التافعات للشم والمتنمصات أيضاً . اهـ صحاح . (ع)

(٢) متفق عليه من رواية علقمة بزيادة « المتفجعات » وفيه قصة .



تقدم ذكر أهل الشرك قبله . وعن مجاهد: إن الخطاب للبشركين . قوله: ﴿ من يعمل سوءاً يجز به ﴾ وقوله: ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ بعد ذكر تمنى أهل الكتاب ، نحو من قوله ( يلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ) وقوله ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات ) عقيب قوله ( وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ) وإذا أبطل الله الأمانى وأثبت أن الأمر كله معقود بالعمل ، وأن من أصلح عمله فهو الفائز . ومن أساء عمله فهو الهالك : تبيين الأمر ووضوحه ، ووجب قطع الأمانى وحسم المطامع ، والإقبال على العمل الصالح . ولكنه نصح لا تعبه الآذان ولا تلقى إليه الأذهان . فإن قلت : ما الفرق بين « من ، الأولى والثانية ؟ قلت : الأولى للتبعض ، أراد : ومن يعمل بعض الصالحات ؛ لأن كلاً لا يتمكن من عمل كل الصالحات لاختلاف الأحوال ، وإنما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه . وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة ، وتسقط عنه الصلاة في بعض الأحوال . والثانية لتبيين الإبهام في ( من يعمل ) فإن قلت : كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك <sup>(١)</sup> ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أن يكون الراجع في ( ولا يظلمون ) لعمال السوء وعمال الصالحات جميعاً . والثاني أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالاً على ذكره عند الآخر ، لأن كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ، ولأن ظلم المسىء أن يزداد في عقابه ، وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم ، فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب ، فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب ، فكان نفي الظلم دالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾

﴿ أسلم وجهه لله ﴾ أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا تعرف لها رباً ولا معبوداً سواه

(١) قال محمود : إن قلت كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أن يكون الراجع في ( ولا يظلمون ) لعمال السوء وعمال الصالحات جميعاً . والثاني : أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالاً على ذكره عند الآخر ، لأن كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ، ولأن ظلم المسىء أن يزداد في عقابه ، وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم ، فكان ذكره مستغنى عنه . وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب ، فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب ، وكان نفي الظلم دالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل ، قال أحمد : مدار هذا التطويل بالسؤال والجواب على بث المعتد الفاسد في أن الله تعالى يحب عليه أن يثيب على الطاعات ، وأن الثواب منقسم إلى واجب ليس بفضل ، وإلى زيادة على الواجب وهي الفضل خاصة ، وهذا المعتد هو الذي يصدق عليه أن الشيطان مائة للقدرة ، حتى زعموا أن لم على الله واجبا - تعالى الله عن ذلك - إن الله لعنى عن عمل يوجب عليه حقاً ، جل الله وعز ، لقد نفخ الشيطان بهذه الأمانة في آذان القدرة . اللهم لا عمدة لنا إلا فضلك ، فأجرل نصيبتنا منه يا كريم

(وهو محسن) وهو عامل للحسنات تارك للسيئات (حنيفاً) حال من المتبع ، أو من إبراهيم كقوله (بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وهو الذى تخفف أى مال عن الأديان كلها إلى دين الإسلام (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) مجاز عن اصطفاؤه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله . والخليل : الخال ، وهو الذى يخالك أى يوافقك فى خلاك ، أو يسارك فى طريقك ، من الخل : وهو الطريق فى الرمل ، أو يستخلك كما تسد خلله ، أو يداخلك خلال منازلك وحجبتك . فإن قلت : ماموقع هذه الجملة ؟ قلت : هى جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب ، كنحو ما يجرى فى الشعر من قولهم :

\* ... .. وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ \* (١)

فأندتها تأكيد وجوب اتباع ملته ، لأن من بلغ من الزلنى عند الله أن اتخذته خليلاً ، كان جديراً بأن تتبع ملته وطريقته . ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى . وقيل : إن إبراهيم عليه السلام بعث إلى خليل له بمصر فى أزمة أصابت الناس بمتار منه . فقال خليله : لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ، ولكنه يريد لها للأضياف ، فاجتاز غلبانه بيطحاه لينة فلثوا منها الغرائر حياء من الناس . فلما أخبروا إبراهيم عليه السلام ساءه الخبر ، فحملته عيناه وعمدت امرأته إلى غرارة منها فأخرجت أحسن حواري ، واختبرت واستنبه إبراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الحنن ، فقال : من أين لكم ؟ فقالت امرأته : من خليلك المصرى . فقال : بل من عند خليلي الله عز وجل ، فسماه الله خليلاً .

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا (١٢٦)

(ولله ما فى السموات وما فى الأرض) متصل بذكر المال الصالحين والطلالحين . معناه : أن له ملك أهل السموات والأرض ، فطاعته واجبة عليهم (وكان الله بكل شىء محيطاً) فكان عالماً بأعمالهم فجازهم على خيرها وشرها ، فمليهم أن يختاروا لأنفسهم ما هو أصلح لها .

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تَنْتَوْنَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ

(١) ياليت شعرى والحوادث جمه مل أغدون يوما وأمرى بجمع

قوله «والحوادث جمه» أى كثيرة ، جملة اعتراضية . وأغدون : مؤكد بالنون الخفيفة . «وأمرى بجمع» أى منوى مجزوم بامتناله . أو الملقى : وشمل مجتمع بعد تفرقه ، وهى جملة حالية مفتية عن خبر أغدون وأخبرها ، وزيدت الواو لتوكيد الربط . وأجمع يتعلق بالمعقول ، وجمع يتعلق بالمحسوس .

وَالْمُسْتَضَعِّينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْعَتَمَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ  
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

(ما يتلى) في محل الرفع . أى الله يفتيكم والمتلو (في الكتاب) في معنى اليتامى ، يعنى قوله (وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى) وهو من قولك : أعجبنى زيد وكرمه . ويجوز أن يكون . (ما يتلى عليكم) مبتدأ و(في الكتاب) خبره على أنها جملة معترضة ، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للتلو عليهم ، وأن العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظام الأمور المرفوعة الدرجات عند الله التى تجب مراعاتها والمحافظة عليها ، والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله . ونحوه في تعظيم القرآن : (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) ويجوز أن يكون مجرورا على القسم ، كأنه قيل : قل الله يفتيكم فيهن ، وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب . والقسم أيضا لمعنى التعظيم ، وليس بسديد أن يعطف على المجرور في (فيهن) ، لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى ، فإن قلت بهم تعلق قوله (في يتامى النساء) ؟ قلت : في الوجه الأول هو صلة (يتلى) أى يتلى عليكم في معناه . ويجوز أن يكون (في يتامى النساء) بدلا من (فيهن) وأما في الوجهين الآخرين فبدل لا غير . فإن قلت : الإضافة في (يتامى النساء) ما هى ؟ قلت : إضافة بمعنى من ، كقولك : عندى سحق عمامة . وقرئ : في يتامى النساء ، ييأين على قلب همزة أيامى ياء (لا تقوتوهن ما كتب لهن) وقرئ : ما كتب الله لهن ، أى ما فرض لهن من الميراث . وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه وما لها <sup>(١)</sup> . فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال ، وإن كانت دميمة عضأها عن الزوج حتى تموت فيرثها (وترغبون أن تنكحوهن) يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن ، وعن أن تنكحوهن لدمامتهن . وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا جاءه ولى اليتيمة نظر ، فإن كانت جميلة غنية قال : زوجها غيرك واتمس لها من هو خير منك ، وإن كانت دميمة ولا مال لها قال : زوجها فأنت أحق بها <sup>(٢)</sup> (والمستضعفين) مجرور معطوف على يتامى النساء ، وكانوا في الجاهلية إنما يورثون الرجال القوام بالأمور دون الاطفال والنساء . ويجوز أن يكون خطابا للأوصياء كقوله (ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) (وأن تقوموا) مجرور كالمستضعفين بمعنى : يفتيكم في يتامى النساء ، وفي المستضعفين : وفي أن تقوموا . ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى : ويأمركم أن تقوموا ، وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ، ولا يخلوا أحداً يتهمهم .

(١) قوله «وما لها الخ» عبارة النسخ : ولعل أصله وما لها إلى ماله . (ع)

(٢) أخرجه الطبري من طريق إبراهيم أن عمر بن الخطاب - فذكره مرصلا .

وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾

﴿خافت من بعلها﴾ توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخائله وأماراته . والنشوز : أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقتة والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة ، وأن يؤذيها بسبب أو ضرب والإعراض : أن يعرض عنها بأن يقلل محادثتها ومؤانسرتها ، وذلك لبعض الأسباب من طعن في سن ، أو دمامة ، أو شيء في خلق أو خلق ، أو ملال ، أو طموح عين إلى أخرى ، أو غير ذلك فلا بأس بهما في أن يصلحا بينهما . وقرئ : يصلحا . ويصلحا ، بمعنى : يتصالحا ، ويصلطحا . ونحو أصلح : أصبر في اصطبر ﴿صلحا﴾ في معنى مصدر كل واحد من الأفعال الثلاثة . ومعنى الصلح : أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها ، كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه ، فوهبت لها يومها <sup>(١)</sup> . وكما روى أن امرأة أراد زوجها أن يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد ، فقالت : لا تطلقني ودعني أقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين ، فقال : إن كان هذا يصلح فهو أحب إلي ، فأقرها . أو تهب له بعض المهر ، أو كله ، أو النفقة ؛ فإن لم تفعل فليس له إلا أن يمسكها بإحسان أو يسرحها ﴿والصلح خير﴾ من الفرقة أو من النشوز والإعراض وسوء العشرة . أو هو خير من الخصومة في كل شيء . أو الصلح خير من الحيوز ، كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض ، وكذلك قوله ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ ومعنى إحضار الأنفس الشح أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه ، يعني أنها مطبوعة عليه والغرض أن المرأة لا تنكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها <sup>(٢)</sup> ، والرجل لا تنكاد نفسه تسمح بأن يقسم لها وأن يمسكها إذا رغب عنها وأحب غيرها ﴿وإن تحسنوا﴾ بالإقامة على نساتكم وإن كرهتموهن وأحببتهم غيرهن ، وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصعبة ﴿وتتقوا﴾ النشوز والإعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة ﴿فإن الله كان بما تعملون﴾ من الإحسان والتقوى ﴿خبيرا﴾ وهو يثيبكم عليه . وكان عمران بن حطان الخارجي من آدم بنى آدم ، وامرأته من أجلمهم ،

(١) أخرجه الحاكم من حديث عائشة وهو في الصحيحين من رواية عروة عن عائشة قالت «مارأيت امرأة أحب أن أكون مسلحا من امرأة بنت زمعة من امرأة فيها حدة - الحديث» .

(٢) قوله «وبغير قسمتها ، لعله «غير قسمتها» ، كالفرقة والنفقة والمهر . وعبارة النفس : تسمح بقسمتها والرجل ... الخ ، محرر . (ع)

فأجالت في وجهه نظرها يوماً ثم تابعت الحمد لله ، فقال : مالك ؟ قالت : حدث الله على أذن وإياك من أهل الجنة ، قال : كيف ؟ قالت : لأنك رزقت مثلي فشكرت ، ورزقت مثلك فصبرت ، وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين <sup>(١)</sup>

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٣٩﴾

﴿ولن تستطيعوا﴾ ومحال أن تستطيعوا العدل ﴿بين النساء﴾ والتسوية حتى لا يقع ميل البينة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن ، فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته ، وما كلفتم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبدلوا فيه وسعكم وطاقتمكم : لأن تكليف ما لا استطاع داخل في حد الظلم (وما ربك بظلام للعبيد) وقيل : معناه أن تعدلوا في المحبة . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك <sup>(٢)</sup> ، يعني المحبة ؛ لأن عائشة رضى الله عنها كانت أحب إليه . وقيل : إن العدل بينهما أمر صعب بالغ من الصعوبة جداً يوم أنه غير مستطاع ، لأنه يجب أن يسوى بينهما في القسمة والنفقة والتمتع والنظر والإقبال والمخالطة والمفاكة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه ، فهو كالحارج من حد الاستطاعة . هذا إذا كن محبوبات كلهن ؛ فكيف إذا مال القلب مع بعضهن ﴿فلا تميلوا كل الميل﴾ فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها ، يعني : أن اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة ؛ فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفریط في العدل كله . وفيه ضرب من التوبيخ ﴿فتدروها كالمعلقة﴾ وهي التي ليست بذات بعل ولا معلقة قال :

هَلْ هِيَ إِلَّا حَظَّةٌ أَوْ تَطْلِيْقٌ أَوْ صَلَفٌ أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ تَعْلِيْقٌ <sup>(٣)</sup>

وفي قراءة أبي : فتدروها كالمسجونة . وفي الحديث : من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء

(١) لم أجده .

(٢) أخرجه أصحاب السنن وابن حبان والحاكم من رواية أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة ، وفيه . يعني القلب .

(٣) لبنت الحارس . والاستفهام إنكارى ، أى ليست حالة الزوجة مع زوجها إلا لحظة صغيرة بحظوة الزوج بها ، أو تطليق لها مع الزوج ، أو صلف - أى عدم حظوة من الزوج بها - وصلفت صلفاً من باب تعب . ونساء صالفات وصلائف ، لم يحظهن الزوج ، أو تعليق بين ذلك المذكور من الأحوال . وتسيخ مشطور الرجز بزيادة ساكن في آخره - كما هنا - قليل .

يوم القيامة وأحد شقيقه مائل ، <sup>(١)</sup> وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث إلى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال ، فقالت عائشة رضى الله عنها : أ إلى كل أزواج رسول الله بعث عمر مثل هذا ؟ قالوا : لا ، بعث إلى القرشيات بمثل هذا وإلى غيرهن بغيره ، فقالت : ارفع رأسك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه . فرجع الرسول فأخبره ، فأنتم لمن جميعاً <sup>(٢)</sup> وكان لمعاذ امرأتان ، فإذا كان عند إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى ، فأتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد <sup>(٣)</sup> ﴿ وإن تصلحوا ﴾ ما مضى من ميلكم وتنداركوه بالتوبة ﴿ وتتقوا ﴾ فيما يستقبل ، غفر الله لكم .

وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾  
وقرئ : وإن يتفارقا ، بمعنى وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه ﴿ يغني الله كلا ﴾ يرزقه زوجاً خيراً من زوجه وعيشاً أهنأ من عيشه . والسعة الغنى . والمقدرة : والواسع : الغنى المقدر .  
وَاللَّهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾  
وَاللَّهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾  
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَهْلَهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ

عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾

﴿ من قبلكم ﴾ متعلق بوصينا ، أو بأوتوا ﴿ وإياكم ﴾ عطف على الذين أوتوا ﴿ الكتاب ﴾ اسم للجنس يتناول الكتب السماوية ﴿ أن اتقوا ﴾ بأن اتقوا . وتكون أن المفسرة ، لأن التوصية في معنى القول : وقوله ﴿ وإن تكفروا فإن الله ﴾ عطف على اتقوا : لأن المعنى :

(١) أخرجه أصحاب السنن وابن حبان والحاكم من رواية بشير بن نهيك عن أبي هريرة . قال الترمذى : لا يعرف مرفوعاً إلا من حديث همام .

(٢) لم أجد هكذا ، وفي مسند أحمد من رواية بأسرة بن سمين : سمعت عمر بن الخطاب يقول : وهو مخاطب الناس يوم الجاية وإن الله جعلني خازناً لهذا المال وقاسماً له ، ثم قال : بل الله يقسمه ، وأنا بادئ أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض لأزواجه عشرة آلاف لإجورية وصفية وميمونة . فقالت عائشة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا . فعدل بينهن عمر - الحديث - وأورده في سنن أبي عمرو بن حفص في مسند المسكين (٤) أخرجه أبو ذر في الحلية في ترجمة معاذ من رواية الليث عن يحيى بن سعيد أن معاذ بن جبل - فذكره - وزاد : فأسمهم بينهما أيهما تقدم وهذا مرسل .

أمرناهم وأمرناكم بالتقوى ، وقلنا لهم ولكم : إن تكفروا فإن لله . والمعنى : إن لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم بأصناف النعم كلها ، لخلقهم أن يكون مطاعاً في خلقه غير معصى . يتقون عقابه ويرجون ثوابه . ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الأمم السالفة ووصيناكم أن اتقوا الله ، يعنى أنها وصية قديمة ما زال يوصى الله بها عباده ، لستم بها مخصوصين ، لأنهم بالتقوى يسعدون عنده ، وبها ينالون النجاة في العاقبة . وقلنا لهم ولكم : وإن تكفروا فإن لله في سمواته وأرضه من الملائكة والثققلين من يوحده ويعبده ويتقيه ﴿ وكان الله ﴾ مع ذلك ﴿ غنياً ﴾ عن خلقه وعن عبادتهم جميعاً ، مستحقاً لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمده أحد منهم وتكرير قوله ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض ﴾ تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه ، لأن الخشية والتقوى أصل الخير كله ﴿ إن يشأ يذهبكم ﴾ يفتنكم ويعدمكم كما أوجدكم وأنشأكم ﴿ ويأت بآخرين ﴾ ويوجد إنساً آخرين مكانكم أو خلقاً آخرين غير الإنس ﴿ وكان الله على ذلك ﴾ من الإعدام والإيجاد ﴿ قديراً ﴾ بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء أرادته ، وهذا غضب عليهم وتقويف وبيان لاقتداره . وقيل : هو خطاب لمن كان يعادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب . أى : إن يشأ يمتكم ويأت بأناس آخرين يوالونه . ويروى أنها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال : ه إنهم قوم هذا ، <sup>(١)</sup> يريد أبناء فارس .

مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ

سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤)

﴿ من كان يريد ثواب الدنيا ﴾ كالمجاهد يريد بجهاذه الغنيمة ﴿ فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ﴾ فإنه يطلب أحدهما دون الآخر والذي يطلبه أحسهما ، لأن من جاهد الله خالصاً لم تحطه الغنيمة ، وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة إلى جنبه كلا شيء . والمعنى : فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له إن أرادته حتى يتعلق الجزاء بالشرط .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ  
أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَتِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا  
ٱلْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعِرْضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)

(١) أخرجه الطبري من رواية سهيل عن أبيه عن أبي هريرة بهذا وقال « يعنى عجم الفرس » .

﴿قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ مجتهدين في إقامة العدل حتى لا تجوروا ﴿شهداء لله﴾ تقيمون شهادتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها ﴿ولو على أنفسكم﴾ ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم. فإن قلت: الشهادة على الوالدين والأقربين أن تقول: أشهد أن فلان على والدي كذا، أو على أقاربي. فما معنى الشهادة على نفسه؟ قلت: هي الإقرار على نفسه، لأنه في معنى الشهادة عليها يلزم الحق لها. ويجوز أن يكون المعنى: وإن كانت الشهادة وبالا على أنفسكم، أو على آبائكم وأقاربكم، وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره ﴿إن يمكن﴾ إن يمكن المشهود عليه ﴿غنياً﴾ فلا تمنع الشهادة عليه لغناه طلباً لرضاه ﴿أو فقيراً﴾ فلا تمنعها زحماً عليه ﴿فأله أولى بهما﴾ بالغنى والفقير أى بالنظر لها وإرادة مصلحتهما، ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها، لأنه أنظر لعباده من كل ناظر. فإن قلت: لم تثنى الضمير في (أولى بهما) وكان حقه أن يوحد، لأن قوله إن يكن غنياً أو فقيراً في معنى إن يكن أحدهما؟ قلت: قد رجع الضمير إلى ما دل عليه قوله (إن يكن غنياً أو فقيراً) لا إلى المذكور، فلذلك تثنى ولم يفرد، وهو جنس الغنى وجنس الفقر، كأنه قيل: فآله أولى بجنس الغنى والفقير، أى بالأغنياء والفقراء، وفي قراءة أنى: فآله أولى بهم وهى شاهدة على ذلك. وقرأ عبدالله: إن يكن غنى أو فقير، على دكان، التامة ﴿أن تعدلوا﴾ يحتمل العدل والعدول، كأنه قيل: فلا تتبعوا الهوى، كراهة أن تعدلوا بين الناس، أو إرادة أن تعدلوا عن الحق ﴿وإن تلوا أو تعرضوا﴾ وإن تلوا أو ألسنتم عن شهادة الحق أو حكومة العدل، أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها. وقرئ: وإن تلوا، أو تعرضوا، بمعنى: وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ وبمجازاتكم عليه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ  
وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب للمسلمين. ومعنى ﴿آمِنُوا﴾ اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه وازدادوه ﴿والكتاب الذى أنزل من قبل﴾ المراد به جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب، والدليل عليه قوله (وكتبه) قرئ: وكتابه على إرادة الجنس. وقرئ: نزل. وأنزل، على البناء للفاعل. وقيل: الخطاب لأهل الكتاب، لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض. وروى أنه لعبدالله بن سلام، وأسد وأسيد ابني كعب، وثعلبة



ابن قيس، وسلام بن أخت عبدالله بن سلام، وسلة ابن أخيه، ويامين بن يامين، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله، إنا تؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال عليه السلام: «بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله، فقالوا: لا تفعل، فزلت، فأمنوا كلهم»<sup>(١)</sup> وقيل: هو للشافعية، كأنه قيل: يا أيها الذين آمنوا نفاقاً آمنوا إخلاصاً. فإن قلت: كيف قيل لأهل الكتاب (والكتاب الذي أنزل من قبل) وكانوا مؤمنين بالتوراة والإنجيل؟ قلت: كانوا مؤمنين بهما محسب، وما كانوا مؤمنين بكل ما أنزل من الكتب، فأمرُوا أن يؤمنوا بالجنس كله، ولأن إيمانهم ببعض الكتب لا يصح إيماناً به، لأن طريق الإيمان به هو المعجزة، ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض، فلو كان إيمانهم بما آمنوا به لأجل المعجزة لآمنوا به كله، فحين آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا المعجزة، فلم يكن إيمانهم إيماناً. وهذا الذي أراد عز وجل في قوله (ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا). فإن قلت: لم قيل (نزل على رسوله) و(أنزل من قبل)؟ قلت: لأن القرآن نزل مفزقاً متجذاً في عشرين سنة، بخلاف الكتب قبله، ومعنى قوله (ومن يكفر بالله) الآية: ومن يكفر بشيء من ذلك (فقد صل) لأن الكفر ببعضه كفر بأكمله. ألا ترى كيف قدم الأمر بالإيمان به جميعاً.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا  
لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧)

(لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً) نفي للغفران والهداية<sup>(٢)</sup> وهي اللطف على سبيل

(١) ذكره الثعالبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وذكره الواحدى في الأسباب عن الكلبي بغير سند.

(٢) قال محمود: «نفي للغفران والهداية... الخ، قال أحمد: وليس في هذه الآية ما يخالف ظاهر القاعدة المستقرة على أن التوبة مقبولة على الإطلاق، لأن آخر ما ذكر من حال هؤلاء ازدياد الكفر، ولو كان المذكور في آخر أحوالهم التوبة والايان لاحتج إلى الجمع بين الآية والقاعدة إذاً، وإنما يقع هذا الفصل الذي أورده العنشى موقعه في آية آل عمران، وهو قوله تعالى (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) وقد ظهر الآن في الجمع بين هذه الآية والقاعدة وجه آخر سوى ما تقدم في آل عمران، وهو أن يكون المراد: لن يصدر منهم توبة فلن يكون قبول، من باب «على لاحب لايتدى يماره». وعلى هذا يكون خبراً لاحقاً، والخبر عنهم من سبق في علم الله أنه لا يتوب من المرتدين، والله أعلم. وفي قول العنشى: «إن التائب للتوبة العائد إليها يغلب من حاله أنه يموت بشر حال، نظر، فقد ورد في الحديث «الماؤمن مفتق تواب» قال المروى: معناه يقارب الذنب لفتته، ثم يعقبه بالتوبة».

المبالغة التي يعطيها اللام ، والمراد بغيرهما نفي ما يقتضيهما وهو الإيمان الخالص الثابت . والمعنى : إن الذين تكرروا منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه ، يستبعد منهم أن يحدوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف ، من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله ، لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الرقة ، وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه ، حيث يبدو لهم فيه كزة بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الرقة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم ، لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستغراب للوسع ، ولكنه استبعاد له واستغراب ، وأنه أمر لا يكاد يكون ، وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع ، لا يكاد يرجع منه الثبات . والغالب أنه يموت على شر حال وأسمع صورة . وقيل : هم اليهود ، آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالإنجيل وبوعيسى ، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم .

بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ

أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝ (١٣٩)

(بشر المنافقين) وضع (بشر) مكان : أخبر ، تهكم بهم . و(الذين) نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين ، أو هم الذين . وكانوا يمايلون الكفرة <sup>(١)</sup> ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض : لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود . (فإن العزة لله جميعاً) يريد لأوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم ، وقال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا تَجِئْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِنْكُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝ (١٤٠) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝ (١٤١)

(١) قوله « يمايلون الكفرة » : لعله « يمايلون » . (ع)

( أن إذا سمعتم ) هي أن المخففة من الثقيلة . والمعنى أنه إذا سمعتم ، أي نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها ، ود أن ، مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل ، أو في موضع النصب بنزل ، فيمن قرأ به . والمنزل عليهم في الكتاب : هو ما نزل عليهم بمكة من قوله ( وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ) وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به ، فنهى المسلمون عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه . وكان أحرار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين ، فنهوا أن يتعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة . وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحرار هم المنافقون ، ف قيل لهم إنكم إذا مثل الأحرار في الكفر ( إن الله جامع المنافقين والكافرين ) يعني القاعدين والمقعود معهم . فإن قلت : الضمير في قوله ( فلا تقعدوا معهم ) إلى من يرجع ؟ قلت : إلى من دل عليه ( يكفر بها ويستهزأ بها ) كأنه قيل : فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها . فإن قلت : لم يكونوا مثلهم بالمجالسة إليهم في وقت الخوض ؟ قلت : لأنهم إذا لم يشكروا عليهم كانوا راضين . والراعي بالكفر كافر . فإن قلت : فهلا كان المسلمون بمكة - حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين - منافقين ؟ قلت : لأنهم كانوا لا يشكرون لعجزهم وهؤلاء لم يشكروا مع قدرتهم ، فكان ترك الإنكار لرضاهم ( الذين يتربصون ) إما بدل من الذين يتخذون وإما صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم ( يتربصون بكم ) أي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق <sup>(١)</sup> ( ألم نكن معكم ) مظاهرين فأسهموا لنا في النعمة ( ألم نستحوذ عليكم ) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم ( ونمنعكم من المؤمنين ) بأن نبطنهم عنكم ، وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم ، وتوانينا في مظاهرتهم عليكم ، فهاتوا نصيباً لنا بما أصبتم . وقرئ ( ونمنعكم ) بالنصب بإضمار أن ، قال الخطيب :

أَلَمْ أَكُ جَارَكُمْ وَيَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الْمَوَدَّةُ وَالْإِخَاءُ <sup>(٢)</sup>

فإن قلت : لم سمى ظفر المسلمين فتحاً ، وظفر الكافرين نصيباً ؟ قلت : تعظيماً لشأن المسلمين وتحسيساً لحظ الكافرين ؛ لأن ظفر المسلمين أمر عظيم <sup>(٣)</sup> تفتح لهم أبواب

(١) قوله ، أو إخفاق ، في الصحاح : أخفق الرجل إذا غزا ولم يفتح . (ع)

(٢) للصيغة يخاطب الزرقان ، وهم بنو عوف بن كعب ، وكان جارهم ثم انتقل إلى بني ربيع ، فذكر الزرقان بحق الجوار ، وأنه ينبغي أن لا يقاطونه . والاستفهام للتعريض : أي أقروا بحق الجوار ، فيكون بيننا تمام المودة والمؤاخاة ، أي الموافقة في السر واليسر ، والبأساء والضراء .

(٣) قال محمود : دعى ظفر المسلمين فتحاً تعظيماً لشأن المسلمين ... الخ ، قال أحد : وهذا من محاسن نكتة أمم القرآن ، فإن الذي كان يفتح للمسلمين فيه : استئصال لعنة الكفار واستيلاء على أرضهم وديارهم وأموالهم =

السماء حتى ينزل على أوليائه. وأما ظفر الكافرين، فما هو إلا حظ دنيّ ولحظة من الدنيا <sup>(١)</sup> يصيبونها.

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا <sup>(١٤٢)</sup> مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا <sup>(١٤٣)</sup>

﴿يخادعون الله﴾ يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر ﴿وهو خادعهم﴾ وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصوى الدماء والأموال في الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة، ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم. والمخادع: اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه. وقيل: يعطون على الصراط نوراً كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين، فينادون: انظرونا نقتبس من نوركم ﴿كسالى﴾ قرئ بضم الكاف وفتحها، جمع كسلان، كسارى فى سكران، أى يقومون متماقلين متقاعسين، كما ترى من يفعل شيئاً على كره لا عن طيبة نفس ورغبة ﴿يرأون الناس﴾ يقصدون بصلاتهم الرياء والسمة <sup>(٢)</sup> ﴿ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ ولا يصلون إلا قليلاً لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس إلا ما يجاهرون به، وما يجاهرون به قليل أيضاً لأنهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس فى قلوبهم لم يتكلفوه. أو ولا يذكرون الله بالتسبيح والتلهيل إلا ذكراً قليلاً فى الندرة، وهكذا ترى كثيراً من المتظاهرين بالإسلام لو صحبتهم الأيام

== وأرض لم يطؤها. وأما ما كان ينفق للكفار فثل العلبة والقدرة التى لا يبلغ شأنها أن تسمى فتحا، فالتفريق بينهما مطابق أيضاً للواقع، والله أعلم.

(١) قوله: ولحظة من الدنيا، فى الصحاح: لفظ يذم - بالضم - لفظاً، إذا تبع بلسانه بقية الطعام فى فم. والذلة - بالضم - كالنكتة من البياض. (ع)

(٢) قال محمود: «لأنهم إنما يصلون رياء ما دام من ريقهم، فإذا خلوا بأنفسهم لم يصلوا أولاً يذكرون الله بالتلهيل والتسبيح إلا ذكراً قليلاً فى الندرة وهكذا ترى كثيراً من المتظاهرين بالإسلام لو صحبتهم الأيام والليالى لم تسمع منه تهلية ولا تحميدة، ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه. ولا يجوز أن يراد بالقلّة العدم، انتهى كلامه. قلت: وإنما منع من أن يراد بها العدم لأنه خبر فيجب صدقه، وقد كانوا يذكرون الله فى بعض الأحيان فلا يمكن أن يسلب ذكر الله مطلقاً، وإذا بنينا على أن المراد بالذكر الصلاة وهو الظاهر، فالمراد أيضاً الصلاة المعتبرة التى يذكر بها الإنسان حق الله عليه فيتمى عن الفحشاء والمنكر. والصلاة فى هذا الوجه مملوكة عن المنافقين مطلقاً، فيجوز إذا حمل القلة على العدم بهذا التفسير، والله أعلم.

والليل لم تسمع منه تهليله ولا تسبيحه ولا تحميدة ، ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه . ويجوز أن يراد بالقلة العدم . فإن قلت : ما معنى المرأة وهي مفاعلة من الرؤية ؟ قلت : فيها وجهان ، أحدهما : أن المرأتى يرهم عمله وهم يرونه استحسانه . والثاني : أن يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل ، فيقال . رامى الناس . يعنى رآهم ، كقولك : نعمه وناعمه ، وفنقه وفانقه<sup>(١)</sup> وعيش مفاق . روى أبو زيد : رأت المرأة المرأة الرجل ، إذا أمسكتها لترى وجهه . ويدل عليه قراءة ابن أبي إسحق : يرأونهم بهمة مشددة : مثل . يرعونهم ، أى يبصرونهم أعمالهم ويرأونهم كذلك ﴿ مذبيين ﴾ إما حال نحو قوله ( ولا يذكرون ) عن واو يراون ، أى يراونهم غير ذاكرين مذبيين ، أو منصوب على الذم . ومعنى ( مذبيين ) ذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر ، فهم مترددون بينهما متحيرون . وحقبة المذبذب الذى يذب عن كلا الجانبين أى يذاد ويدفع فلا يقتر فى جانب واحد ، كما قيل : فلان يرمى به الرحوان<sup>(٢)</sup> ، إلا أن الذبذة فيها تكرير ليس فى الذب كأن المعنى : كلما مال إلى جانب ذب عنه . وقرأ ابن عباس ( مذبيين ) بكسر الذال ، بمعنى يذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم . أو بمعنى يتذبذبون . كما جله : تصلصل بمعنى . وفى مصحف عبدالله . متذبذين . وعن أبي جعفر : مذبيين ، بالدال غير المعجمة وكان المعنى : أخذهم تارة فى دبة وتارة فى دبة ، فليسوا بمأخذين على دبة واحدة . والدبة : الطريقة ومنها : دبة قریش . و ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى الكفر والإيمان ﴿ لا إلى هؤلاء ﴾ لا منسوين إلى هؤلاء فيكونون مؤمنين ﴿ ولا إلى هؤلاء ﴾ ولا منسوين إلى هؤلاء فيسمون مشركين .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾

﴿ لا تتخذوا الكافرين أولياء ﴾ لا تشبهوا بالمنافقين فى اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام أولياء ﴿ سلطانا ﴾ حجة بينة ، يعنى أن موالاته الكافرين بينة على النفاق . وعن صعصعة ابن صوحان أنه قال لابن أخ له : خالص المؤمن ، وخالق الكافر والفاجر ؛ فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن ، وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن .

(١) قوله « وفنقه وفانقه » فى الصحاح أنهما بمعنى : أى نعمه . (ع)

(٢) قوله « يرمى به الرحوان » فى الصحاح الرحى معروفة ، والآلف منقابة من الياء . تقول : هما رحيان . وفيه أيضاً : رحى الحية ترحو ، إذا استدارت . والرحى : قطعة من الأرض تستدير وترتفع على ماحولها . ورحى القوم : سيدم . والأرحاء : الأضراس . والأرحاء : القبائل التى تستقل بنفسها وتستغنى عن غيرها اه . وظاهره أن الرحى هنا وادى ، فليحذر . (ع)

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَبِرًا ﴿١٤٥﴾  
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ  
الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾

﴿الدرك الأسفل﴾ الطبقة التى فى قعر جهنم ، والنار سبع دركات ، سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض ، وقرئ بسكون الراء ، والوجه التحريك ، لقولهم : أدراك جهنم . فإن قلت : لِمَ كان المنافق أشدَّ عذاباً من الكافر ؟ قلت : لأنه مثله فى الكفر ، وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ومداجاتهم <sup>(١)</sup> ﴿وأصلحوا﴾ ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم فى حال النفاق ﴿واعتصموا بالله﴾ ووثقوا به كما يثق المؤمنون بالخلص ﴿وأخلصوا دينهم لله﴾ لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه ﴿فأولئك مع المؤمنين﴾ فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم فى الدارين ﴿وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾ فيشاركونهم فيه ويساهمونهم . فإن قلت : من المنافق ؟ قلت : هو فى الشريعة من أظهر الإيمان وأبطن الكفر . وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ ، كقوله : من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر <sup>(٢)</sup> ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اتهم خان <sup>(٣)</sup> ، وقيل لحذيفة رضى الله عنه : من المنافق ؟ فقال : الذى يصف الإسلام ولا يعمل به . وقيل لابن عمر : تدخل على السلطان وتتكلم بكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال : كنا نعتده من النفاق . وعن الحسن : أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه <sup>(٤)</sup> ، فأصبح وقد عمم وقلد وأعطى سيفاً ، يعنى الحجاج .

مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾  
﴿ما يفعل الله بعذابكم﴾ أيتشنى به من الغيظ ، أم يدرك به النار ، أم يستجلب به نفعاً ، أم يستدفع به ضرراً كما يفعل المملوك بعذابه ، وهو الغنى الذى لا يجوز عليه شيء من ذلك . وإنما

(١) قوله «ومداجاتهم» فى الصحاح : المداجاة : المدارة . (ع)

(٢) تقدم فى آل عمران والبقرة .

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «آية المنافق ثلاث إلى آخره» ، وفى رواية «من علامات المنافق ثلاث» .

(٤) قوله «وهو مقروع فيه» له ليد القرع بالعصا . وفى الصحاح «القارعة» الشديدة من شدائد الدهر ،

يُقَالُ : قرعته قوارع الدهر ، أى أصابته . وقرعت رأسه بالعصا ، مثل قرعت . (ع)

هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسيء ، فإن قتم بشكر نعمته وآتمتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب ﴿وكان الله شاكراً﴾ مثيباً موفياً أجوركم ﴿عليماً﴾ بحق شكركم وإيمانكم . فإن قلت : لم قدم الشكر على الإيمان ؟ قلت : لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للنافع ، فيشكر شاكراً مبهماً ، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكراً مفصلاً ، فكان الشكر متقدماً على الإيمان ، وكأنه أصل التكليف ومداره .

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ مَعِيباً عَلِيماً (١٤٨)  
 إِنْ تُبْذُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفَوْهُ أَوْ تُعْفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٩)

﴿إلا من ظلم﴾ إلا جهر من ظلم (١) استثنى من الجهر الذى لا يحبه الله جهر المظلوم . وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء . وقيل : هو أن يبدأ بالثبته فيرد على الشاتم (ولن انتصر بعد ظلمه) وقيل : ضاف رجل قوما فلم يطعموه ، فأصبح شاكياً ، فعوتب على الشكاية فزلت . وقرئ ﴿إلا من ظلم﴾ على البناء للفاعل للانقطاع . أى ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء . ويجوز أن يكون (من ظلم) مرفوعاً ، كأنه قيل : لا يحب الله الجهر بالسوء ، إلا الظالم على لغة من يقول : ما جاءني زيد إلا عمرو ، بمعنى ما جاءني إلا عمرو . ومنه (لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) ثم حث على العفو ، وأن لا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار ، بعد ما أطلق الجهر به وجعله محبوباً ، حثاً على الاحب إليه والأفضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية ، وذكر إبداء الخير وإخفائه تشبيهاً (٢) للعفو ، ثم عطفه عليهما اعتداداً به وتنفيهاً على منزلته ، وأن له مكاناً في باب الخير وسيطاً (٣) . والدليل على أن العفو هو الغرض المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله ﴿فإن الله كان عفواً قديراً﴾ أى يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام ، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله .

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ

(١) قال محمود : د تقديره لا يحب الله الجهر بالسوء من أقول إلا جهر من ظلم ، وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه . الخ ، قال أحد : هو وجه التنفير أن الظالم لا يندرج في المستثنى منه كما أن الله تعالى مقدس أن يكون في السموات أو في الأرض ، فاستحال دخوله في المستثنى منه . وكذا لا يندرج المستثنى في المستثنى منه في قولك : ما جاءني زيد إلا عمرو . وكلام الزمخشري في هذا الفصل لا يتحقق لى منه ما يسوغ مجازته فيه لاغلاق عبارته ، والله أعلم بمراده .

(٢) قوله ، تشبيهاً لعله لعرف وأصله تشبيهاً لغرر (ع)

(٣) قوله دوسيطاً أى متوسطاً . (ع)

وَيَقُولُونَ مُؤْمِنٌ بَعْضُ وَنَكْفُرُ بَعْضُ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سِيلًا ۝١٥٠ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝١٥١

جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله أو آمنوا بالله وبيعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا <sup>(١)</sup> من العلة ، ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا : أن يتخذوا دينا وسطا بين الإيمان والكفر كقوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) أى طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والخافتة . وقد أخطوا ، فإنه لا واسطة بين الكفر والإيمان <sup>(٢)</sup> ولذلك قال ﴿ أولئك هم الكافرون حقا ﴾ أى هم الكاملون في الكفر . و(حقا) تأكيد لمضمون الجملة ، كقوله : هو عبد الله حقا ، أى حق ذلك حقا ، وهو كونه كاملا في الكفر ، أو هو وصفة لمصدر الكافرين ، أى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه ،

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٥٢

فإن قلت : كيف جاز دخول (بين) على (أحد) وهو يقتضى شيئين فصاعدا ؟ قلت : إن أحدا عام في الواحد المذكور والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما ، تقول : ما رأيت أحدا ، فتقصد العموم ، ألا تراك تقول : إلا بنى فلان ، وإلا بنات فلان ؛ فالمعنى : ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى (لستن كأحد من النساء) ، (سوف يؤتيهم أجورهم) معناه : أن إيتاءها كائن للاحالة وإن تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثيته لا كونه متأخرا ،

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَعَقَوْا عَنْ ذَلِكَ وَعَاقِبَتُنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا ۝١٥٣ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۝١٥٤ فَبِمَا تَفَضَّلْتُمْ يُسْتَقَرُّ مِنْكُمْ وَكُنْتُمْ

(١) قوله لما ذكرناه أى في تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسله ... الخ) . (ع)

(٢) قوله دقانه لا واسطة بين الكفر والإيمان ، هذا عند أهل السنة . أما عند المعتزلة ففاعل الكبيرة الذي

يموت بلا توبة لاهو مؤمن ولا كافر ، بل منزلة بين المنزلتين ، فتدبر . (ع)



بَايَتْ اللَّهَ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَيْعَ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۝ (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْخَنُوزَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَهَيَّ شَكٌّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝ (١٥٩)

روى أن كعب بن الأشرف وفتحاص بن عازورا وغيرهما قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن كنت نبياً صادقاً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى<sup>(١)</sup> . فنزلت . وقيل : كتاباً إلى فلان وكتاباً إلى فلان أنك رسول الله ، وقيل : كتاباً نعاينه حين ينزل . وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت ، قال الحسن : ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم ، وفيما آتاهم كفاية ﴿ فقد سألوهم موسى ﴾ جواب لشرط مقدر<sup>(٢)</sup> . معناه : إن استكبرت ما سألوهم منك فقد سألوهم موسى ﴿ أكبر

(١) لم أجده هكذا . ورواه الطبري من طريق أسباط عن السدي قال : قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم : إن كنت صادقاً أنك رسول الله فأتنا بكتاب من السماء كما جاء به موسى . فنزلت .

(٢) قال محمود : « فقد سألوهم موسى : جواب لشرط مقدر ... الخ » قال أحمد : وهذا من المواضع التي استولى عليه فيها الاغفال ، ولوح به اتباع هواه إلى مهواة الضلال ، لأنه بنى على أن الظلم المضاف إليهم لم يكن إلا ليجرد كونهم طلبوا الرؤية وهي حال عقلا دنيا وآخره على زعم القدسية ، لما يلزم عندهم لو قيل بجوازها من اعتقاد التشبيه ، فلذلك سمى أهل السنة المعتقدين لجوازها ووقوعها في الآخرة وفاة بالوعد الصادق مشبهة ، وغفل عن كون اليهود افترحوا على موسى عليه السلام خصوصية علقوا إيمانهم بها ، ولم يعتبروا المعجز من حيث هو كما يجب اعتباره فقالوا ( لن تؤمن لك حق نرى الله جهرة ) فهذا الاقتراح والتعنت يكفهم ظلالاً . ألا ترى أن الذين قالوا لن تؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً من السماء ، أوحى تفجير الأرض ، أو يكون لك بيت من زخرف ، كيف هم من أظلم الظلمة ؟ وإن كانوا إنما طلبوا أمورا جائزة ، ولكنهم افترحوا في الآيات على الله ، وحقهم أن يسندوا إيمانهم إلى أي معجز اختاره الله . دل ذلك دلالة بليغة على أن ظلمهم مسبب عن اقتراحهم ، لاعتنا كون المقترح بمثابة عقلا . والسبب بتظهير هذا السؤال لو كان المسؤول جائزاً كسؤال إبراهيم عن إحياء الموتى على زعم الزمخشري ، غفلة منه عما انطوى عليه سؤال إبراهيم عليه السلام من صريح الإيمان حيث قال له تعالى ( أولم تؤمن قال بلى ) وعما انطوى عليه سؤال هؤلاء الملاعين من محض الكفر والاصرار عليه في قولهم : لن تؤمن لك . فصدروا كلامهم بالجحد والثني . وأما دعاء الزمخشري على أهل السنة بالتب والصراخ ، فأنه أعلم أي الفريقين أحق بها ، ويكفيه هذه الغفلة التي تنادي عليه باتباع الهوى الذي يعنى ويهم ، نسأل الله المعصمة من الضلالة والغواية .

من ذلك ﴿ وإنا أنشد السؤال إليهم وإن وجد من آباؤهم في أيام موسى وهم النقباء السبعون ، لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعتن ﴿ جرة ﴾ عيانا بمعنى أرناه نره جرة ﴾ بظلمهم ﴾ بسبب سؤالهم الرؤية . ولو طلبوا أمرا جائزا لماسموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة ، كما سأل إبراهيم عليه السلام أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظلما ولا رماه بالصاعقة ، فتبا المشبهة ورميا بالصواعق <sup>(١)</sup> ﴿ آتينا موسى سلطانا مينا ﴾ تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين أسرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه ، واحتبوا بأفئدتهم والسيوف تتساقط عليهم فيالك من سلطان مبن ﴿ بميثاقهم ﴾ بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه ﴿ وقلنا لهم ﴾ والطور مطل عليهم ﴿ ادخلوا الباب سجدا ﴾ ولا تعدوا في السبت ، وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك ، وقولهم سمعنا وأطعنا ، ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد . وقرئ : لا تعتدوا . ولا تعدوا ، بادغام التاء في الدال ﴿ فبما نقضهم ﴾ فنقضهم . وماء من يدة للتوكيد . فإن قلت : بم تعلقت الباء ؟ وما معنى التوكيد ؟ <sup>(٢)</sup> قلت : إما أن يتعلق بمحذوف ، كأنه قيل : فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا ، وإما أن يتعلق بقوله ( حرما عليهم ) على أن قوله ( فبظلم من الذين هادوا ) بدل من قوله ( فبما نقضهم ميثاقهم ) وأما التوكيد فعناؤه تحقيق أن العقاب أو تحریم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك . فإن قلت : هلا زعمت أن المحذوف <sup>(٣)</sup> الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله ﴿ بل طبع الله عليها ﴾ فيكون التقدير :

(١) قوله « فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق » يعني أهل السنة ، حيث أجازوا على الله الرؤية كما حقق في محله ، وغفر الله للمؤمنين . (ع)

(٢) قال محمود : « إن قلت بم تعلقت الباء في قوله ( فبما نقضهم ميثاقهم ) قلت : إما أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل : فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا . وإما أن يتعلق بقوله ( حرما عليهم ) على أن قوله ( فبظلم من الذين هادوا ) بدل من قوله ( فبما نقضهم ) انتهى كلامه . » قلت : ولذكر البدل المذكور سر ، وهو أن الكلام لما طال بعد قوله ( فبما نقضهم ) حتى بعد عن متعاقبه الذي هو حرما ، قوى ذكره بقوله ( فبظلم من الذين هادوا ) حتى يلى متعلقه ، وجاء النظم به على وجه من الاختصار في إجمال ما سبق تفصيله ، لأن جميع ما تقدم من النقص ، والقتل ، وقولهم قلوبنا غلف ، وكفرهم ، وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً . ودعواهم قتل المسيح ابن مريم قد انطوى عليه الإجمال المذكور آخر انطواء جامعا ، مع التسجيل على أن جميع أفعالهم الصادرة منهم ظلم . وقد تقدم لهذا التقرير نظائر والله الموفق .

(٣) عاد كلامه . قال : « إن قلت هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله ( بل طبع الله عليها ) فيكون التقدير : فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم . قلت : لم يصح هذا التقدير ؛ لأن قوله ( بل طبع الله عليها بكفرهم ) رد وإنكار لقولهم ( قلوبنا غلف ) فكان متعلقا به ، وذلك أنهم أرادوا بقولهم ( قلوبنا غلف ) أن الله خلقها غلفا ، أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكور والموعظة ، كما حكى الله عن المشركين وقالوا ( لو شاء الرحمن ما عبدناهم ) وكذهب المجرة أخراهم الله ، فقيل لهم : بل خلقها الله ومنعها الإلطاف بسبب كفرهم ، فصارت كالطيرع عليها ، انتهى كلامه . قال أحد : هؤلاء قوم زعموا أن لهم على الله حجة بكونه خلق قلوبهم غير قابلة للحق =

فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم ، بل طبع الله عليها بكفرهم . قلت : لم يصح هذا التقدير لأن قوله : ( بل طبع الله عليها بكفرهم ) رد وإنكار لقولهم ( قلوبنا غلف ) فكان متعلقاً به ، وذلك أنهم أرادوا بقولهم ( قلوبنا غلف ) أن الله خلق قلوبنا غلفاً ، أى فى أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة ، كما حكى الله عن المشركين وقالوا ( لو شاء الرحمن ما عبدناهم ) وكذهب المجبرة <sup>(١)</sup> أخزاهم الله . فقيل لهم : بل خذلها الله ومنعها اللطاف بسبب كفرهم ، فصارت كالمطبوع عليها ، لا أن تخلق غلفاً غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله . فإن قلت : علام عطف قوله ( وبكفرهم ) ؟ قلت : الوجه أن يعطف على ( فبما نقضهم ) ويجعل قوله ( بل طبع الله عليها بكفرهم ) كلاماً تبع قوله ( وقالوا قلوبنا غلف ) على وجه الاستطراد ، يجوز عطفه على ما يليه من قوله ( بكفرهم ) . فإن قلت : ما معنى المجيء بالكفر معطوفاً على ما فيه ذكره ، سواء عطف على ما قبل حرف الإضراب ، أو على ما بعده ، وهو قوله ( وكفرهم بآيات الله ) وقوله ( بكفرهم ) ؟ قلت : قد تكرر منهم الكفر ، لأنهم كفروا بموسى ، ثم بعبسى ، ثم بمحمد صلوات الله عليهم ، فعطف بعض كفرهم على بعض ، أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه ، كأنه قيل : فبجمعهم بين نقض الميثاق ، والكفر بآيات الله ، وقتل الأنبياء ، وقولهم قلوبنا غلف ، وجمعهم

ولا متمكنة من قبوله ، فكذبهم فى قولهم لأنه خلق قلوبهم على الفطرة أى أن الإيمان وقبول الحق من جنس مقدور كما هو من جنس مقدور المؤمنين ، وذلك هو المعبر بالتمكن ، وبخلفهم ميسرين للإيمان ، متأنيًا منهم قبول الحق قامت عليهم حجة الله ، إذ يجد الإنسان بالضرورة الفرق بين قبول الحق والدخول فى الإيمان ، وبين طيرانه فى الهواء ومشيه على الماء ، ويعلم ضرورة أن الإيمان يمكن منه ، كما يعلم أن الطيران غير ممكن منه عادة ، فقد قامت الحجة وتبليج ، ألا الله الحجة البالغة ، فمن هذا الوجه اتجه الرد عليهم ، لا كما يزعمه الزمخشري من أن لم قدرة على الإيمان يلحقونه بها لأنفسهم ويقولونه فى قلوبهم ، وتلك القدرة موجودة سواء وجد الفعل أولاً ، كالسيف المعد فى يد القاتل للقتل سواء وجد أولاً ، وأن هذه القدرة التى هى كالآلة للخلق على زعمه يصرها العبد حيث شاء فى إيمان وكفر ، وافق ذلك مشية الله أولاً ، وأن هؤلاء صرفوا قدرتهم إلى خلق الكفر لأنفسهم على خلاف مشية الله تعالى ، فلذلك يعرض الزمخشري بأمل السنة . القائلين بأن الله تعالى لو شاء من عبدة الأوثان أن لا يعبدوها لما عبدوها ، وتسميتهم لذلك مجبرة ، ويجعل قوله تعالى ( وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ) رداً على الأشعرية كما هو رد على الوثنية ، وينقل عن الكنة التى نهى عنها ، وهى : أن الرد على الوثنية بذلك لم يكن إلا لأنهم ظنوا أن هذا المقدر يقم لهم الحجة على الله ، ولذلك قال تعالى عقيب ذلك ( قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ) فأوضح الله تعالى أن الرد عليهم لم يكن لقولهم : إن الله لو شاء لهداكم أجمعين ، ولكن لما كان الرد لظنهم أن ذلك حجة على الله بقوله ( قل لله الحجة البالغة ) فهذا التفسير هو الإيمان المحض والتوحيد الصرف ، وماعداه من الاشتراك الصراخ غزى ، نعوذ بالله منه .

(١) قوله وكذهب المجبرة أخزاهم الله ، يريد بهم أهل السنة وحاشاكم أن يريدوا بذهابهم ما أراده الكفار بما قالوا . وتحقيقه فى علم التوحيد . وغفر الله لمن تعدى حد الشرع من المؤمنين ولا أخزاهم يوم الدين . (ع)

بين كفرهم وبهتهم<sup>(١)</sup> مريم ، وافتخارهم بقتل عيسى ، عاقبتهم . أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا . والبهتان العظيم : هو التزنية . فإن قلت : كانوا كافرين بعيسى عليه السلام ، أعداء له ، عامدين لقتله ، يسمونه الساحر بن الساحرة ، والفاعل بن الفاعلة ، فكيف قالوا ( إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ) ؟ قلت : قالوه على وجه الاستهزاء ، كقول فرعون ( إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ) ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما أرادوا بمثله كقوله ( ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهدا ) . روى أن رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم ، اللهم أنت ربى وبكلمتك خلقتنى ، اللهم العن من سبى وسب والدقى ، فسخ الله من سبهما قردة وخنازير ، فأجمعت اليهود على قتله ، فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود ، فقال لأصحابه : أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة ؟ فقال رجل منهم : أنا . فألقى عليه شبهه فقتل وصلب . وقيل : كان رجلا يوافق عيسى ، فلما أرادوا قتله قال : أنا أدلكم عليه ، فدخل بيت عيسى فرفع عيسى وألقى شبهه على المنافق ، فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : إنه إله لا يصح قتله . وقال بعضهم : إنه قتل وصلب . وقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا ؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى ؟ وقال بعضهم رفع إلى السماء . وقال بعضهم : الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا . فإن قلت : ( شبه ) مسند إلى ماذا ؟ إن جعلته مسنداً إلى المسيح ، فالمسيح مشبه به وليس بمشبه ، وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت : هو مسند إلى الجار والمجرور وهو ( لهم ) كقولك خيل إليه ، كأنه قيل : ولكن وقع لهم التشبيه . ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول : لأن قوله : إنا قتلنا يدل عليه ، كأنه قيل : ولكن شبه لهم من قتلوه ( إلا اتباع الظن ) استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم ، يعنى : ولكنهم يتبعون الظن . فإن قلت : قد وصفوا بالشك والشك أن لا يرجح أحد الجازين<sup>(٢)</sup> ، ثم وصفوا بالظن والظن أن يرجح أحدهما ، فكيف يكونون شاكين ظانين ؟ قلت : أريد أنهم شاكون ما لهم من علم قط ، ولكن إن لاحت لهم أمانة فظنوا ، فذاك ( وما قتلوه يقيناً ) وما قتلوه قتلاً يقيناً . أو ما قتلوه متيقنين ، كما اذعوا

(١) قوله وبهتهم مريم أى رميها بما ليس فيها ، وهو التزنية . أى الرى بالزنا . (ع)

(٢) قال محمود : « إن قلت قد وصفوا بالشك والشك أن لا يرجح . . . الخ ، قال أحد : وليس فى هذا الجواب شفاء للقليل . والظاهر والله أعلم أنهم كانوا أغلب أحرارهم الشك فى أمره والتردد لجأت العبارة الأولى على ما يظن من حالهم ثم كانوا لا يخلون من ظن فى بعض الأحوال وعنده يقفون لا يرفعون إلى العلم فيه البتة وكيف يعلم الشئ على خلاف ما هو به لجأت العبارة الثانية على حالهم النادرة فى الظن نافية عنهم ما يترقى عن الظن البتة ، والله أعلم .

ذلك في قولهم ( إنا قتلنا المسيح ) أو يجعل ( يقيناً ) تأكيداً لقوله ( وما قتلوه ) كقولك : ما قتلوه حقاً أى حق انتفاء قتله حقاً . وقيل : هو من قولهم : قتلنا الشيء علماً ونحرته علماً إذا تبخرف فيه عليك . وفيه تهكم ، لأنه إذا نبى عنهم العلم نفياً كلياً بحرف الاستغراق . ثم قيل : وما علموه علم يقين وإحاطة لم يكن إلا تهكما بهم ( ليؤمننَّ به ) جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره : وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمننَّ به . ونحوه : ( وما منا إلا له مقام معلوم ) ، ( وإن منكم إلا واردها ) والمعنى : وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمننَّ قبل موته بعيسى ، وبأنه عبد الله ورسوله ، يعنى : إذا عين قبل أن ترهق روحه <sup>(١)</sup> حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف . وعن شهر بن حوشب : قال لى الحجاج : آية ما قرأتها <sup>(٢)</sup> إلا تخالج فى نفسى شيء منها <sup>(٣)</sup> يعنى هذه الآية ، وقال لى أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك ، فقلت : إن اليهودى إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله ، أتاك موسى نبياً فكذبت به فيقول : آمنت أنه عبد نبي . وتقول للنصراني : أتاك عيسى نبياً فزعمت أنه الله أو ابن الله ، فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه . قال : وكان متكبئاً فاستوى جالساً فنظر لى وقال : ممن ؟ قلت : حدثني محمد بن علي بن الحنفية ، فأخذ يشكت الأرض بقضيبه ثم قال : لقد أخذت هاتين عين صافية ، أو من معدنها . قال الكلبي : فقلت له : ما أردت إلى أن تقول حدثني محمد بن علي بن الحنفية . قال : أردت أن أعيظه ، يعنى بزيادة اسم علي ، لأنه مشهور بابن الحنفية . وعن ابن عباس أنه فسر ذلك ، فقال له عكرمة : فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال : لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه . قال : وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال : يتكلم بها فى الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن <sup>(٤)</sup> به . وتدل عليه قراءة أبي : إلا ليؤمننَّ به قبل موتهم ، بضم النون على معنى : وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم ، لأن أحداً يصلح للجمع . فإن

(١) قال محمود : د يعنى إذا عين قبل أن ترهق روحه ... الخ ، قال أحد : كقول فرعون لمساكين الهلاك : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل .

(٢) ماد كلامه . قال محمود : د وعن شهر بن حوشب قال لى الحجاج آية ما قرأتها ... الخ ، . قال أحد : ويعد هذا التأويل قوله ( ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ) فان ظاهره التهديد ، ولكن ما أريد بقوله فى حق هذه الأمة ( ويكون الرسول عليكم شهيدا ) والله أعلم .

(٣) لم أجده . قلت : هو فى تفسير الكلبي ، رواه عن شهر . ورايته قديماً فى كتاب المبتدا وقصص الانبياء لوثيمة بسنده من هذا الوجه .

(٤) لم أجده هكذا . وأخرجه الطبري من رواية أسباط عن السدى قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس من يهودى يموت حتى يؤمن بعيسى بن مريم . فقال له رجل من أصحابه : كيف والرجل يفرق أو يحترق ، أو يقطع عليه الجدار أو يأكله سبع ؟ فقال : لا تخرج روحه من جسده حتى يقذف فيه الايمان بعيسى عليه الصلاة والسلام

قلت : ما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم ؟ قلت : فائدته الوعيد ، وليكون عليهم بأنهم لا بد لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة ، وأن ذلك لا ينفعهم ، بعثنا لهم وتنبأها على معالجة الإيمان به في أوان الانتفاع به ، وليكون إلزاما للحجة لهم ، وكذلك قوله ﴿ ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ يشهد على اليهود بأنهم كذّبوه ، وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله . وقيل : الضمير ان لعيسى ، بمعنى : وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ، وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله . روى أنه ينزل من السماء في آخر الزمان ، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به ، حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ، وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنور مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات ، ويلبث في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفونونه <sup>(١)</sup> . ويجوز أن يراد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن به ، على أن الله يحيمهم في قبورهم في ذلك الزمان ، ويعلمهم نزوله وما أنزل له ، ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم . وقيل : الضمير في ( به ) يرجع إلى الله تعالى . وقيل : إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

فَظَلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَهَّاتٍ أَحَلَّتْ لَهُمْ وَبِئْسَ دَهْمٌ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوا وَقَدْ هُمَا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢)

﴿ فظلم من الذين هادوا ﴾ فبأي ظلم ظلم منهم . والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبه ، وهو ما عذد لهم من الكفر والكبائر العظيمة . والطيبات التي حرمت عليهم : ما ذكره

(١) أخرجه ابن رجب وأبو داود من رواية همام عن قدة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة في حديث أوله : الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إخوة أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وإلى أولى الناس بعيسى ابن مريم ، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل . فإذا رأيتوه فاعرفوه ، فانه رجل مربوط الخلق إلى الحرية واليا <sup>(٢)</sup> سبط القمر ، كأن رأسه يقطر وإن لم يمسسه بال ، بين محجرين ، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويقبض المال ويقاتل الناس على الإسلام حتى يملكه الله في زمانه الملك كلها إلا الإسلام إلى آخره ، وأما قوله في أوله هنا : لا يبقى أحد من أهل الأرض إلا يؤمن به ، فرواه الطبري من قول ابن عباس رضي الله عنهما .

في قوله (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) وحُرِّمَتْ عليهم الألبان ، وكلما أذنبوا ذنباً صغيراً أو كبيراً حُرِّمَ عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها (وبصَّهْم عن سبيل الله كثيراً) ناساً كثيراً أو صِداً كثيراً (بالباطل) بالرشوة التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب (لكن الراسخون) يريد من آمن منهم ، كعبد الله بن سلام وأضرابه ، والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون (والمؤمنون) يعنى المؤمنين منهم ، أو المؤمنون من المهاجرين والأنصار . وارتفع الراسخون على الابتداء . و(يؤمنون) خبره . و(المقيمين) نصب على المدح لبيان فضل الصلاة ، وهو باب واسع ، وقد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد . ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف . وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتتان ، وغى عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه ، من أن يتركوا في كتاب الله ثلثة ليسَ لها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم . وقيل : هو عطف على (بما أنزل إليك) أى يؤمنون بالكتاب والمقيمين الصلاة وهم الأنبياء . وفي مصحف عبدالله : والمقيمون ، بالواو ، وهى قراءة مالك بن دينار ، والجحدري ، وعيسى الثقفى .

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّكْرِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ

يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦)

(إنا أوحينا إليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ، واحتجاج عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا . وقرئ (زبوراً) بضم الزاى جمع زبر وهو الكتاب (ورسلاً) نصب بمضمرة فى معنى : أوحينا إليك وهو : أرسلنا ، ونبأنا ، وما أشبه ذلك . أو بما نشره قصصناهم . وفي قراءة أنى : ورسل

قد قصصناهم عليك من قبل ورسلم نقصصهم . وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب : أنهما قرآ (وكلم الله) بالنصب . ومن بدع التفاسير أنه من الكلم <sup>(١)</sup> ، وأن معناه وجزح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن ﴿رسلا مبشرين ومنذرين﴾ الأوجه أن ينتصب على المدح . ويجوز انتصابه على التكرير . فإن قلت : كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل <sup>(٢)</sup> ، وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة ، والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة ، ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها ؟ قلت : الرسل منبهون عن الغفلة ، وباعثون على النظر ، كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد <sup>(٣)</sup> مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع ، فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميا لإلزام الحجة ، لئلا يقولوا : لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبها لما وجب الانتباه له . وقرأ السلي :

(١) قال محمود : ومن بدع التفاسير أن كلم من الكلم ... الخ ، قال أحد : وإنما ينقل هذا التفسير عن بعض المعتزلة لانكاهم الكلام القديم الذي هو صفة الذات ، إذ لا يثبتون إلا الحروف والأصوات قائمة بالأجسام ، لا بذات الله تعالى ، فيرد عليهم بمحدم كلام النفس إبطال خصوصية موسى عليه السلام في التكليم ، إذ لا يثبتونه إلا بمعنى سماعه حروفاً وأصواتاً قائمة بيمض الأجرام ، وذلك مشترك بين موسى وبين كل سامع لهذه الحروف ، حتى المشرك الذي قال الله فيه ( حتى يسمع كلام الله ) فيضطر المعتزل إلى إبطال الخصوصية الموسوية بحمل التكليم على التجريح ، وصدق الزمخشري وأنصف : إنه إن بدع التفاسير التي ينو عنها الفهم ولا يبين بها إلا الوهم ، والله الموفق

(٢) عاد كلامه . قال محمود : فإن قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل ... الخ ، قال أحد : قاعدة المعتزلة في التحسين والتفخيخ العقليين تحرم ونجروهم إلى إثبات أحكام الله تعالى بمجرد العقل وإن لم يبعث رسولا ، فيوجبون بعقولهم ، ويحرمون ويبيحون على وفق زعمهم . وما يوجبونه قل ورود الشرع : النظر في أدلة المعرفة ولا يتوقفون على ورود الشرع الموجب ، فن ثم يلزمون بعد خيط وتطويل ، أن من ترك النظر في الأدلة قبل ورود الشرع ، فقد ترك واجبا استحق به التعذيب ، وقد قامت الحجة عليه في الوجوب وإن لم يكن شرع ، وإذا نلت عليهم هذه الآية وهي قوله ( رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) وقيل لهم أما هذه الآية تناديكم يا معشر القدرية أن الحججة إنما قدمت على الخلق بالأحكام الشرعية المؤدية إلى الجزاء بإرسال الرسل لا بمجرد العقل ، فما تقولون فيها ؟ صحت حينئذ آذانهم وغيروا في وجه هذا النص وغيروه عما هو موضوع له ، فقالوا : المراد أن الرسل تتم حجة الله وتنبه على ما وجب قبل بعثها بالعقل ، كما أجاب به الزمخشري ، وقريبا من هذا التعسف يقولون إذا ورد عليهم قوله تعالى ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) وربما يدل على ضعفه المطالعين لهذا الفصل من كلام الزمخشري قوله : إن أدلة التوحيد والمعرفة منصوبة قبل إرسال الرسل ، وبذلك تقوم الحججة فنظن أن ذلك جار على سنن الصحة ، إذ المعرفة باتفاق ، والتوحيد باجماع ، إنما طريقه العقل لا النقل الذي يلبس عليه أن النظر في أدلة التوحيد هو فعل المكلف ليس بالحكم الشرعي ، بل الحكم وجوب النظر ، والمعرفة متلقاة من العقل المحض ، والوجوب متلقى من النقل الصرف ، وبه تقوم الحججة ، وعليه يرتب الجزاء . والله سبحانه تعالى التوفيق والمعونة .

(٣) قوله : كما ترى علماء أهل العدل ، أي كما ذهب إليه المعتزلة . وذلك أنهم حكوا العقل وجعلوه كافيا في معرفة الأحكام ، كوجوب العدل وحرمة الظلم . وقال أهل السنة : لاحكم قبل الشرع . والمسئلة مشهورة في علم الأصول ، فالسؤال مبنى على مذهب المعتزلة ، (ع)



لكن الله يشهد ، بالتشديد . فإن قلت : الاستدراك لا بد له من مستدرك <sup>(١)</sup> فما هو في قوله ( لكن الله يشهد ) ؟ قلت : لما سأل أهل الكتاب إزال الكتاب من السماء وتعتوا بذلك واحتج عليهم بقوله ( إنا أوحينا إليك ) قال : لكن الله يشهد ، بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد . وقيل : لما نزل ( إنا أوحينا إليك ) قالوا : ما نشهد لك بهذا ، فنزل ( لكن الله يشهد ) ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه : إثباته لصحته بإظهار المعجزات ، كما ثبتت الدعاوى بالبينات . وشهادة الملائكة : شهادتهم بأنه حق وصدق . فإن قلت : هم يجابون لو قالوا : هم يعلم أن الملائكة يشهدون بذلك ؟ قلت : يجابون بأنه يعلم بشهادة الله ، لأنه لما علم بإظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته ؛ لأن شهادتهم تتبع لشهادته . فإن قلت : ما معنى قوله ( أنزله بعلمه ) وما موقعه من الجملة التي قبله ؟ قلت : معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره ، وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان ، وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه بيان للشهادة ، وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائق للقدرة . وقيل : أنزله وهو عالم بأنك أهل لإزاله إليك وأنت مبلغه . وقيل : أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه . ويحتمل : أنه أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة ، والملائكة يشهدون بذلك ، كما قال في آخر سورة الجن . ألا ترى إلى قوله تعالى ( وأحاط بما لديهم ) والإحاطة بمعنى العلم ( وكفى بالله شهيداً ) وإن لم يشهد غيره ، لأن التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقاً ( قل أى شئ أكبر شهادة قل الله ) .

- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا <sup>(١٦٧)</sup>  
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا <sup>(١٦٨)</sup>  
 إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا <sup>(١٦٩)</sup>  
 ﴿ كَفَرُوا وَظَلَمُوا ﴾ جمعوا بين الكفر والمعاصي <sup>(٢)</sup> ، وكان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين

(١) قال محمود : « إن قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك ... الخ » قال أحمد : ورود هذا الفصل في كلامه عما يقتضيه به .

(٢) قال محمود : « أى جمعوا بين الكفر والمعاصي ... الخ » قال أحمد : يعدل من الظاهر ، عمله يتروح إلى بث طرف من العقيدة الفاسدة في وجوب وعيد العصاة ، وأنهم مخلدون تخليد الكفار . وقد تكرر ذلك منه . وهذه الآية تنبؤ عن هذا المعتقد ، فانه جعل الفعلين أعنى الكفر والظلم كليهما صلة للوصول المجموع ، فيلزم وقوع الفعلين جميعاً من كل واحد من أحاده . الاتراك إذا قلت : الزيدون قاموا ، فقد أسندت القيام إلى كل واحد من أحاد الجمع ، فكذلك لو عطف عليه فعلاً آخر لزم فيه ذلك ضرورة ، والله الموفق .

أصحاب كباثر ، لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما <sup>(١)</sup> إلا بالتوبة ( ولا يهديهم طريقا ) لا يلفظ بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم . أو لا يهديهم يوم القيامة طريقا إلا طريقها ( يسيرا ) أى لا صارف له عنه .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا <sup>(١٧٠)</sup>  
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا <sup>(١٧١)</sup>

( فآمنوا خيرا لكم ) وكذلك ( انتهوا خيرا لكم ) انتصابه بضمير ، وذلك أنه لما بعثهم إلى على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث ، علم أنه يحملهم على أمر فقال ( خيرا لكم ) أى اقصدوا ، أو اتنوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث . وهو الإيمان والتوحيد ( لا تغلوا في دينكم ) غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته ، حيث جعلته مولودا لغير رشدة <sup>(٢)</sup> . وغلت النصراني في رفعه عن مقداره حيث جعلوه إلها ( ولا تقولوا على الله إلا الحق ) وهو تنزيهه عن الشريك والولد . وقرأ جعفر بن محمد ( إنما المسيح ) بوزن السكيت . وقيل لعيسى ( كلمة الله ) ( وكلمة منه ) لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير ، من غير واسطة أب ولا نطفة . وقيل له : روح الله ، وروح منه ، لذلك ، لأنه ذو روح وجد من غير جزء من ذى روح ، كالنطفة المنفصلة من الأب الحى وإنما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة . ومعنى ( ألقاها إلى مريم ) أوصلها إليها وحصلها فيها ( ثلاثة ) خبر مبتدأ محذوف ، فإن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون : هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم ، أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم روح القدس . وأنهم يريدون بأقنوم الأب : الذات ، وبأقنوم الابن : العلم ، وبأقنوم روح القدس : الحياة ، فتقديره الله ثلاثة ؛ وإلا فتقديره : الآلهة ثلاثة . والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح

(١) قوله « في أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة » هذا عند المعتزلة ؛ أما عند أهل السنة فقد تفرق الكبيرة بالفعاة ، أو بمجرد الفضل . (ع)

(٢) قوله « مولودا لغير رشدة ، أى لزنية ، وفي الصحاح : تقول وهو لرشدة ، خلاف قولك ولزنية » . (ع)

ومريم ثلاثة آلهة ، وأن المسيح ولد الله من مريم . ألا ترى إلى قوله (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) ، (وقالت النصارى المسيح ابن الله) والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون : في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والام . ويدل عليه قوله (إنما المسيح عيسى ابن مريم) فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بأمتها ، وأن اتصاله بالله تعالى من حيث أنه رسوله ، وأنه موجود بأمره وابتدأه جسدا حيا من غير أب ، فنفي أن يتصل به اتصال الأنساء بالآباء . وقوله (سبحانه أن يكون له ولد) وحكاية الله أوثق من حكاية غيره . ومعنى (سبحانه أن يكون له ولد) سبحة تسبيحا من أن يكون له ولد . وقرأ الحسن : إن يكون ، بكسر الهمزة ورفع النون : أى سبحانه ما يكون له ولد . على أن الكلام جملتان (له ما في السموات وما في الأرض) بيان لتزهره عما نسب إليه ، يعنى أن كل ما فيها خلقه وملكه ، فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه ، على أن الجزء إنما يصح في الأجسام وهو متعال عن صفات الأجسام والاعراض (وكفى بالله وكيلًا) بكل إليه الخلق كلهم أمورهم ، فهو الغنى عنهم وهم الفقراء إليه .

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ

وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾

(لن يستنكف المسيح) لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة<sup>(١)</sup> من نكفت الدمع ، إذا

(١) قال محمود معناه لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة ... الخ ( قال أحمد : وقد كثر الاختلاف في تفضيل الأنبياء على الملائكة ، فذهب جمهور الأشعرية إلى تفضيل الأنبياء . وذهب القاضي أبو بكر مناهج والحلي وجماعة المعتزلة إلى تفضيل الملائكة ، واتخذ المعتزلة هذه الآية عمدتهم في تفضيل الملائكة من حيث الوجه الذي استدل به الرغزشرى . ونحن بعون الله نشيع القول في المسئلة من حيث الآية فنقول : أورد الأشعرية على الاستدلال بها أسئلة : أحدها : أن سيدنا محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل من عيسى عليه الصلاة والسلام ، فلا يلزم من كون الملائكة أفضل من المسيح أن تكون أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ، وهذا السؤال إنما يتوجه إذا لم يدع مورده أن كل واحد من آحاد الأنبياء أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة ، وبين طائفتنا في هذا الطرف خلاف . السؤال الثاني : أن قوله (ولا الملائكة المقربون) صيغة جمع تتناول مجموع الملائكة ، فهذا يقتضى كون مجموع الملائكة أفضل من المسيح ، ولا يلزم أن يكون كل واحد منهم أفضل من المسيح . وفي هذا السؤال أيضاً نظر : لأن مورده إذا بني على أن المسيح أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة فقد يقال : يلزم القول بأنه أفضل من الكل ، كما أن النبي عليه الصلاة والسلام لما كان أفضل من كل واحد من آحاد الأنبياء كان أفضل من كلهم ، ولم يفرق بين التفضيل على التفصيل والتفضيل على الجملة أحد من صنف في هذا المعنى . وقد كان بعض المعاصرين يفصل بين التفضيلين وادعى أنه لا يلزم منه على التفصيل تفضيل على الجملة ، ولم يثبت عنه هذا القول . ولو قاله أحد فهو مردود بوجه لطيف ، وهو أن التفضيل المراد جل أماراته رفع درجة الأفضل في الجنة . والأحاديث متوافرة بذلك . وسيتخذ لا يخلو ، إما أن ترفع درجة واحد من المفضولين على من اتفق على أنه أفضل من كل واحد منهم ، أو لا ترفع درجة أحد منهم عليه . لاسيما إلى الأول ، لأنه يلزم منه رفع المفضول على الأفضل ، فتعين الثاني - وهو ارتفاع =

نحيته عن خدك بأصبعك ( ولا الملائكة المقربون ) ولا من هو أعلى منه قدراً وأعظم منه خطراً .

== درجة الأفضل على درجات المجموع - ضرورة ، فيلزم ثبوت أفضليته على المجموع من ثبوت أفضليته على كل واحد منهم قطعاً .

الثالث أنه عطف الملائكة على المسيح بالوار ، وهي لا تقتضى ترتيباً . وأما الاستشهاد بالمثال المذكور على أن الثاني أبداً يكون أعلى رتبة ، فعارض بأمنته لا تقتضى ذلك ، كقول القائل : ما عابني على هذا الأمر زيد ولا همرو . قلت : وكقولك : لا تؤذ مسلماً ولا ذمياً ، فإن هذا الترتيب وجه الكلام . والثاني أدنى وأخفض درجة ، ولو ذهبت تعكس هذا فقلت : لا تؤذ ذمياً ولا مسلماً ليجعل الأعلى ثانياً ، ولخرجت عن حد الكلام وقانون البلاغة . وهذا المثال بين ما يورد في نقض القانون المقرر ، ولكن الحق أولى من المراء ، وليس بين المثالين تعارض . ونحن نحمد تيميداً يرفع اللبس ويكشف الغطاء فنقول : النكتة في الترتيب في المثالين الموهوم تعارضهما واحدة ، وهي توجب في مواضع تقديم الأعلى ، وفي مواضع تأخيرها . وتلك النكتة مقتضى البلاغة الثاني عن التكرار والسلامة عن الزول ، فإذا اعتمدت ذلك فهما أدى إلى أن يكون آخر كلامك نزولاً بالنسبة إلى أوله ، أو يكون الآخر مندرجاً في الأول قد أفاده ، وأنت مستغن عن الآخر ، فاعدل عن ذلك إلى ما يكون ترقياً من الأدنى إلى الأعلى ، واستئنافاً لفائدة لم يشتمل عليها الأول ، مثاله الآية المذكورة ، فأنك لو ذهبت فيها إلى أن يكون المسيح أفضل من الملائكة وأعلى رتبة ، لكان ذكر الملائكة بعده كالمستغنى عنه ؛ لأنه إذا كان الأفضل وهو المسيح على هذا التقدير عبداً لله غير مستنكف من العبودية ، لزم من ذلك أن من دونه في الفضيلة أولى أن لا يستنكف من كونه عبداً لله وهم الملائكة على هذا التقدير ، فلم يتجدد إذاً بقوله ( ولا الملائكة المقربون ) إلا ماسلف أول الكلام . وإذا قدرت المسيح مفضولاً بالنسبة إلى الملائكة ، فأنك ترقيت من تعظيم الله تعالى بأن المفضول لا يستنكف من كونه عبداً لله ، إلى أن الأفضل لا يستنكف عن ذلك ، وليس يلزم من عدم استنكاف المفضول عدم استنكاف الأفضل ، فالحاجة داعية إلى ذكر الملائكة ، إذ لم يستلزم الأول الآخر ، فصار الكلام على هذا التقدير تجدد فوائده وتزايد ، وما كان كذلك تعين أن يحمل عليه الكتاب العزيز ، لأنه الغاية في البلاغة . وبهذه النكتة يجب أن نقول لا تؤذ مسلماً ولا ذمياً ، فتؤخر الأدنى على عكس الترتيب في الآية ؛ لأنك إذا نهيت عن إيذاء المسلم ، فقد يقال : ذاك من خواصه ، احتراماً للإسلام . فلا يلزم من ذلك نهيه عن الكافر المسلوب عنه هذه الخصوصية ، فإذا قلت : ولا ذمياً ، فقد جددت فائدة لم تكن في الأول ، وترقيت من النهي عن بعض أنواع الأذى إلى النهي عن أكثر منه ، ولو ربيت هذا المثال كترتيب الآية فقلت : لا تؤذ ذمياً ، فهم المنهى أن أذى المسلم أدخل في النهي ، إذ يساوى الذي في سبب الاحترام وهو الإنسانية مثلاً ، ويمتاز عنه بسبب أجل وأعظم وهو الإسلام ، فيقمنه هذا النهي عن تجديد نهى آخر عن أذى المسلم . فإن قلت : ولا مسلماً ، لم تجد له فائدة ولم تعلمه غير ما علمه أولاً ، فقد علمت أنها نكتة واحدة توجب أحياناً تقديم الأعلى وأحياناً تأخيرها ، ولا يميز لك ذلك إلا السياق . وما أشك أن سياق الآية يقتضى تقديم الأدنى وتأخير الأعلى . ومن البلاغة المرتبة على هذه النكتة قوله تعالى ( فلا تقل لها أف ) استغناء عن نهيه عن ضربهما فافوقه بتقدير الأدنى ، ولم يلق ببلاغة الكتاب العزيز أن تريد نهياً عن أعلى من التأنيف والانهيار ، لأنه مستغنى عنه وما يحتاج التدبر لآيات القرآن مع التأييد شاهداً سواهما ( ما فرطنا في الكتاب من شيء ) ولما اقتضى الانصاف تسليم مقتضى الآية لتفضيل الملائكة ، وكانت الأدلة على تفضيل الأنبياء عديدة عند المعتقد لذلك ، جمع بين الآية وتلك الأدلة بحمل التفضيل في الآية على غير محل الخلاف . وذلك أن تفضيل الملائكة في القوة وشدة البطش وسعة السكن والاعتدال . قال : وهذا النوع من الفضيلة هو المناسب لسياق الآية ؛ لأن المقصود الرد على النصارى في اعتقادهم ألوهية عيسى عليه السلام ، مستندين إلى كونه أمجي الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، وصدرت على يديه آثار عظيمة خارقة ، فناسب ذلك أن يقال : هذا الذي صدرت على يديه هذه الخوارق ==

وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش ، كجبريل وميكائيل وإسرافيل ، ومن في طبقتهم . فإن قلت : من أين دلّ قوله ( ولا الملائكة المقربون ) على أنّ المعنى : ولا من فوقه ؟ قلت : من حيث أنّ علم المعاني لا يقتضى غير ذلك . وذلك أنّ الكلام إنما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية ، فوجب أن يقال لهم : لن يترفع عيسى عن العبودية ، ولا من هو أرفع منه درجة ، كأنه قيل : لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية ، فكيف بالمسيح ؟ ويدل عليه دلالة ظاهرة بيّنة ، تخصيص المقربين لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلام منزلة . ومثاله قول القائل :

وَمَا مِثْلُهُ مِمَّنْ يُجَاوِدُ حَاتِمٌ وَلَا الْبَحْرُ ذُو الْأَمْوَاجِ بَلْتَجَّ زَاخِرُهُ <sup>(١)</sup>  
 لا شبهة في أنه قصد بالبحر ذى الأمواج : ما هو فوق حاتم في الجود . ومن كان له ذوق فليدق مع هذه الآية قوله : ( ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ) حتى يعترف بالفرق بين . وقرأ على رضى الله عنه : مُعِيداً لله ، على التصغير . وروى أن وفد نجران قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم :

== لا يستنكف عن عبادة الله تعالى ، بل من هو أكثر خوارق وأظهر آثاراً كالملائكة المقربين الذين من جملتهم جبريل عليه السلام ، وقد بلغ من قوته وإقدار الله له أن اقتلع المدائن واحتملها على ريشة من جناحه فقلب عاليها سافلها ، فيكون تفضيل الملائكة إذا بهذا الاعتبار ، لا خلاف أنهم أقوى وأبطش ، وأن خوارقهم أكثر . وإنما الخلاف في التفضيل باعتبار مزيد الثواب والكرامات ورفع الدرجات في دار الجزاء . وليس في الآية عليه دليل . ولما كان أكثر ما لبس على النصارى في ألوهية عيسى كونه مخلوقاً أى موجوداً من غير أب ، أنبأنا الله تعالى أن هذا الموجود من غير أب لا يستنكف من عبادة الله ، بل ولا الملائكة المخلوقين من غير أب ولا أم ، فيكون تأخير ذكرهم لأن خلقهم أغرب من خلق عيسى . ويشهد لذلك أن الله تعالى نظر عيسى بآدم عليهما السلام ، فنظر الغريب بالأغرب ، وشبه العجيب من قدرته بالأعجب ؛ إذ عيسى مخلوق من أم ، وآدم من غير أم ولا أب ؛ ولذلك قال ( خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ) ومدار هذا البحث على التنكئة التي نهت عليها ، فحق استقام اشتغال المذکور أياً ما على فائدة لم يشتمل عليها الأول بأى طريق كان من تفضيل أو غيره من القوائد ، فقد استند النظر وطابق صيغة الآية ، والله أعلم . وعلى الجملة فالمسألة سمعية والقطع فيها معروف بالنص الذى لا يحتمل تأويلاً ووجوده عسر ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وما أحسن تأكيد الزحشرى لاستدلاله ببعث الملائكة المعنيتين بأنهم المقربون ، ومن ثم ينشئ ظهور من فصل القول في الملائكة والأنبياء ، فلم يعم التفضيل في الملائكة ولا في الأنبياء ، بل فضل ثم فصل . وليس الغرض إلا ذكر: لحامل الآية ، لا البحث في اختلاف المذاهب ، والله الموفق .

(١) « يلتج ، أى تضطرب لجته وهى معظم مائه . و « الزاخر ، المرتفع . يقول : وليس مثل مدحوى من الناس الذين يجاودهم حاتم ، ولا من الذين يجاودهم البحر الزاخر ، أى يضاهيهم في الجود . فالبحر : عطف على حاتم ، بالغ في وصف مدوحه بأن مثله لا يضاهى في الكرم ، فيلزم أنه هو لا يضاهى أيضاً ، فحق المضاهاة عن المثل كناية عن نفها عن الممدوح . وفيه مبالغة أيضاً من جهة ترقية من نقي مجاودة أكرم الناس إلى نقي مجاودة أنفع الأشياء . والفعل بالنسبة للبحر مجاز أو مشاكلة . أو شبه البحر بانسان وأثبت له المجاورة على طريق الممكنية وهذا على أن « يجاود ، مبنى للفعل ، فان كان مبنيًا للمجهول فالعنى أن حاتم ليس مثله بمن يضاهى في الجود ، كما أن البحر لا يضاهى في النفع . فقد شبهه بالبحر ضمناً .

لم تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى. قال: وأي شيء أقول؟ قالوا: تقول: إنه عبد الله ورسوله. قال: إنه ليس بعار<sup>(١)</sup> أن يكون عبداً لله. قالوا: بلى، فنزلت: أي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه، فلو كان موضع استنكاف لكان هو أولى بأن يستنكف لأن العار ألصق به. فإن قلت: علام عطف قوله (ولا الملائكة)؟ قلت: لا يخلو لما أن يعطف على المسيح، أو على اسم «يكون» أو على المستتر في (عبداً) لما فيه من معنى الوصف، لدلالته على معنى العبادة، كقولك: مررت برجل عبد أبوه، فالعطف على المسيح هو الظاهر لآدام غيره إلى ما فيه بعض انحراف عن الغرض، وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية، أو أن يعبد الله هو ومن فوقه. فإن قلت: قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبد الله في هذا العطف، فما وجهه؟ قلت: فيها وجهان: أحدهما أن يراد: ولا كل واحد من الملائكة أو ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عباداً لله، لحذف ذلك لدلالة (عبد الله) عليه إيجازاً. وأما إذا عطفهم على الضمير في (عبداً) فقد طاح هذا السؤال. قرئ (فسيحشرهم) بضم الشين وكسرها وبالنون.

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ  
وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن  
دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣)  
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ تُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ  
فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا (١٧٥)

فإن قلت: التفصيل غير مطابق للفصل<sup>(٢)</sup>؛ لأنه اشتمل على الفريقين، والمفصل على فريق واحد. قلت: هو مثل قولك: جمع الإمام الخوارج، فن لم يخرج عليه كسائه وحمله، ومن خرج عليه نكل به، وصحة ذلك لوجهين، أحدهما: أن يحذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه،

(١) أخرجه الواحدى في الأسباب عن ابن الكلبي.

(٢) قال محمود: وإن قلت التفصيل غير مطابق للفصل... الخ، قال أحد: المراد بالمفصل: من لم يستنكف ومن استنكف؛ لسبق ذكرهما. ألا ترى أن المسيح والملائكة المقربين ومن دونهم من عباد الله لم يستنكفوا عن عبادة الله وقد جرى ذكرهم. ويرشد إليه تأكيد الضمير بقوله (جميعاً) فكأنه قال فسيحشر إليه المقربين وغيرهم جميعاً. ووقوع الفعل المنصل به الضمير جزاء لقوله (ومن يستنكف) لا يعين اختصاص الضمير بالمستنكفين؛ لأن المصحح لارتباط الكلام قد وجد مندرجا في طي هذا الضمير الشامل لهم ولغيرهم. وحيث يكون المفصل مشتملاً على الفريقين، وتفصيله منطبق عليه، والله أعلم.

ولأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني، كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا ﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به﴾ والثاني، وهو أن الإحسان إلى غيرهم بما يغمرهم، فكان داخلا في جملة التكميل بهم فكانه قيل: ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر، فيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله. البرهان والنور المبين: القرآن. أو أراد بالبرهان دين الحق أو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبالنور المبين: ما بينه ويصدق من الكتاب المعجز ﴿في رحمة منه وفضل﴾ في ثواب مستحق وتفضل ﴿ويهديهم إليه﴾ إلى عبادته ﴿صراطاً مستقيماً﴾ وهو طريق الإسلام. والمعنى: توفيقهم وتثبيتهم.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلِمَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ بَرٌُّهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُمَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَتَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضْلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)

روى أنه آخر ما نزل من الأحكام <sup>(١)</sup>. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع، فأتاه جابر بن عبد الله فقال: إن لي أختاً، فكم أخذ من ميراثها إن ماتت؟ <sup>(٢)</sup> وقيل: كان مريضاً فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنى كلاله فكيف أصنع في ماله؟ <sup>(٣)</sup> فنزلت ﴿إن امرؤ هلك﴾ ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر. وعمل ﴿ليس له ولد﴾ الرفع على الصفة لا النصب على الحال. أى: إن هلك امرؤ غير ذى ولد. والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز إيقاعه على الذكر وعلى الأنثى؛ لأن الابن يسقط الأخت، ولا تسقطها البنت إلا في مذهب ابن عباس، وبالأخت التي هي لأب وأم دون التي لأم، لأن الله تعالى فرض لها النصف وجعل أخاها عصبية وقال ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ وأما الأخت للأم فلها السدس

(١) قوله: روى أنه آخر ما نزل من الأحكام، أى قوله تعالى (يُسْتَفْتُونَكَ ... الخ). (ع)

(٢) أخرجه الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٣) متفق عليه من رواية ابن المنذر عنه. وأخرجه أصحاب السنن، لكن ليس في رواية أحد منهم فنزلت (إن امرؤ هلك) إلا عند مسلم، من رواية ابن عيينة عنه بلفظ فنزلت (يُسْتَفْتُونَكَ - الآية) (فائدة) روى النسائي من طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وانقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله - الآية) وفي البخاري من رواية الشعبي عن ابن عباس: آخر آية نزلت آية الزنا، وروى الطبري من طريق يوسف بن مهران عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم - الآية).

في آية الموارث مستوي بينها وبين أخيها (وهو يرثها) وأخوها يرثها إن قدر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها (إن لم يكن لها ولد) أي ابن؛ لأن الابن يسقط الأخ دون البنت. فإن قلت: الابن لا يسقط الأخ وحده فإن الأب نظيره في الإسقاط، فلم اقتصر على ثني الولد؟ قلت: بين حكم انتفاء الولد، وكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة، وهو قوله عليه السلام: «ألقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى عصبه ذكر»<sup>(١)</sup> والأب أولى من الأخ، وليس بأول حكيمين بين أحدهما بالكتاب والآخر بالسنة. ويجوز أن يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد، لأن الولد أقرب إلى الميت من الوالد، فإذا ورث الأخ عند انتفاء الأقرب، فأولى أن يرث عند انتفاء الأبعد؛ ولأن السكالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعاً، فكان ذكر انتفاء أحدهما دالاً على انتفاء الآخر. فإن قلت: إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع<sup>(٢)</sup> في قوله (فإن كانتا اثنتين) وإن كانوا إخوة؟ قلت: أصله: فإن كان من يرث بالإخوة اثنتين، وإن كان من يرث بالأخوة ذكوراً وإناثاً؛ وإنما قيل: فإن كانتا، وإن كانوا، كما قيل: من كانت أمك. فكما أنت ضمير ومن، لمكان تأنيث الخبر، كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا، لمكان تثنية الخبر وجمعه، والمراد بالإخوة. الإخوة لا الأخوات، تغليباً لحكم الذكورة (أن تضلوا) مفعول له. ومعناه: كراهة أن تضلوا. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثاً، وأعطى من الأجر كمن اشترى محرراً، وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه، من حديث ابن عباس بلفظ «فلأولى رجل ذكر» وأخرجه كذلك الترمذي والحاكم وأبو يعلى والبيهقي (فائدة) قال ابن الجوزي: لفظ «عصبه» لا يحفظ في هذا الحديث.

(٢) قال محمود: «إن قلت إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع... الخ»؟ قال أحمد: وقد سبق له هذا التثليل في مثل هذا الموضع ولو مثل بقول القائل: «حصان كانت دابتك، لمكان أسلم إذ في لفظ ومن» من الإبهام ما يسوغ وقوعها على الأصناف المختلفة من مذكر ومؤنث وتثنية وجمع. ومثل الآية سواء قوله تعالى (يحبسون كل صبيحة عليهم هم العدو) فيمن جعل الجملة مفعولاً ثانياً للحسيان، فإن أصل الكلام: هي العدو، إذ الضمير على هذا الاعراب للصيحة، ولكنه ذكره وجمعه لمكان الخبر، والله أعلم.

(٣) تقدم الكلام على أسانيده في آخر سورة آل عمران.



## سورة المائدة

مدنية [إلا آية ٣ فنزلت بعرقات في حجة الوداع]

وهي مائة وعشرون آية [نزلت بعد الفتح]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْتِغَى  
عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصِّدِّ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ①

يقال وفي بالعهد وأوفى به ① ومنه: والموفون بعهدهم . والعقد: العهد الموثق، شبه بعمد  
الحبل ونحوه، قال الخطيب:

قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لَجَّارِهِمْ شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكِرَبَا ②  
وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف . وقيل: هي  
ما يعتقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه ويتأسحون من المبايعات ونحوها. والظاهر

(١) قال المصنف: «يقال وفي بالعهد وأوفى به ومنه الموفون بعهدهم» قال أحمد: ورد في الكتاب العزيز  
(وفي) بالتضعيف في قوله تعالى (وإبراهيم الذي وفي) وورود أوفى كثير . ومنه (أوفوا بالعقود) وأما (وفي)  
فلأنها لم يرد إلا في قوله تعالى (ومن أوفى بعهده من الله) لأنه بنى أفعال التفضيل من وفي، إذ لا يبنى إلا من ثلاثي

(٢) قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا  
قوم هم الآف والأذنان غيرهم ومن يسرى بألف الناقة الذبا

للحظية . والعناج - ككتاب - : حبل يشد في أسفل الدلو، ثم في الدراق جمع عرقوة، وهي الخشبة التي في فم  
الدلو . والكرب - كسب - : حبل يشد على طرف العرقوة والعناج ليربطهما . وهذا استعارة تمثيلية شبه حالم في  
توثيقهم العهد بوجوده متعددة بحال من يوثق الدلو بحبال متعددة . أو شبه حال عهدهم في وثاقته الزائدة بحال الدلو  
الموثقة «وألف الناقة» لقب جعفر بن قريع، ذبح والده ناقة لئلا يفسده أمه ليأخذ نصيبها فلم يجد إلا الرأس،  
فقال والده: عليك به، لجعل يجره من الألف فلقب بذلك، فكانت قبيلته تألف من ذلك اللقب، فاستعار الشاعر  
الألف: للخيار العالمين المقدار على طريق التصريح . أو شبه القوم به تشبيهاً بليلاً، وشبه غيرهم بالذنب في الحسة  
والفضة . والاستفهام إنكارى، أي لا أحد يسرى بين الألف والذنب في الدفعة، فصار هذا اللقب مدحاً من حيث  
وفيه تورية في غاية الحسن .

أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدم بمجمل ثم عقب بالتفصيل وهو قوله ﴿أحلّت لكم﴾ وما بعده. البهيمة: كل ذات أربع في البر والبحر، وإضافتها إلى الأنعام للبيان، وهي الإضافة التي بمعنى ومن، تكسبهم فضة. ومعناه: البهيمة من الأنعام ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ إلا محرم ما يتلى عليكم من القرآن، من نحو قوله (حرمت عليكم الميتة)، وإلا ما يتلى عليكم آية تحريمه. والأنعام: الأزواج الثمانية. وقيل: بهيمة الأنعام، الظباء وبقرا الوحش ونحوها كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام ويدانها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الأنياب، فأضيفت إلى الأنعام للملازمة الشبه ﴿غير محلي الصيد﴾ نصب على الحال من الضمير في ﴿لكم﴾ أى أحلت لكم هذه الأشياء لا محلي الصيد. وعن الأخفش أن انتصابه عن قوله (أوفوا بالعقود) وقوله ﴿وأتم حرم﴾ حال عن محلي الصيد، كأنه قيل: أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأتم محرمون، ثلثا نخرج عليكم ﴿إن الله يحكم ما يريد﴾ من الأحكام، ويعلم أنه حكمة ومصلحة. والحرم: جمع حرام وهو المحرم.

بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا شَهْرَ الْحَرَامِ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَنْجِرْ مِنْكُمْ شَيْءٌ قَوْمٌ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ

إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)

الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر، أى جعل شعاراً وعلماً للنسك، من مواقع الحج ومرامى الجمار، والمطاف، والمسعى، والأفعال التي هي علامات الحج يعرف بها من الإحرام، والطواف، والسعى، والحلق، والنحر. والشهر الحرام: شهر الحج. والهدى: ما أهدى إلى البيت وتقرب به إلى الله من النسائك. وهو جمع هدية، كما يقال جدى فى جمع جدية السرج<sup>(١)</sup>. والقلائد: جمع قلادة، وهي ما قلده به الهدى من نعل أو عروة مزادة، أو لحاء شجر<sup>(٢)</sup>، أو غيره. وآتمو المسجد الحرام: قاصدوه، وهم الحجاج والعمار. وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمته

(١) قوله «يقال جدى فى جمع جدية السرج» فى الصلح: الجدية - بنسكين الدال: شئء محشو يجعل تحت دق السرج والرحل. والجمع جدى وجديات. (ع)

(٢) قوله «أولحاء شجر» أى قشراه. (ع)

الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها ، وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج ، وأن يتعرض للهدى بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله . وأما القلائد ففيها وجهان ، أحدهما : أن يراد بها ذوات القلائد من الهدى وهى البدن ، وتعطف على الهدى للاختصاص وزيادة التوصية بها لأنها أشرف الهدى ، كقوله (وجبريل وميكال) كأنه قيل : والقلائد منها خصوصا . والثاني أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة في النهى عن التعرض للهدى ، على معنى : ولا تحلوا قلائد ما فضلا أن تحلوا ، كما قال (ولا يبدن زينت) فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهى عن إبداء مواقعها (ولا آتين) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام (يبتغون فضلا من ربهم) وهو الثواب (ورضوانا) وأن يرضى عنهم ، أى لا تعرضوا لقوم هذه صفتهم ، تعظيما لهم واستنكارا أن يتعرض لمثلهم . قيل : هى محكمة . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : المائدة من آخر القرآن نزولا ، فأحلوا حللها وحرمو أحرامها <sup>(١)</sup> ، وقال الحسن : ليس فيها منسوخ . وعن أبي مسيرة : فيها ثمانى عشرة فريضة وليس فيها منسوخ . وقيل : هى منسوخة . وعن ابن عباس : كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا ، فنهى الله المسلمين أن يمشعوا أحدا عن حج البيت بقوله (لا تحلوا) ثم نزل بعد ذلك (إنما المشركون نجس) ، (ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله) وقال مجاهد والشعبي : (لا تحلوا) نسخ بقوله (واقتلوهم حيث وجدتموهم) . وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة ، وابتغاء الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون فى أنفسهم أنهم على سداد من دينهم ، وأن الحج يقربهم إلى الله ، فوصفهم الله بظنهم . وقرأ عبد الله : ولا آى البيت الحرام ، على الإضافة . وقرأ حميد بن قيس والأعرج : تبتغون . بالثناء على خطاب المؤمنين (فاصطادوا) إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم ، كأنه قيل : وإذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا . وقرئ بكسر الفاء . وقيل : هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء . وقرئ : وإذا أحللتهم ، يقال حل المحرم وأحل . وجرم ، يجرى مجرى وكسب ، فى تعديده إلى مفعول واحد واثنين . تقول : جرم ذنبا ، نحو كسبه . وجرمه ذنبا ، نحو كسبته إياه . ويقال : أجرمه ذنبا ، على نقل المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين ، كقولهم : أكسبته ذنبا . وعليه قراءة عبد الله : ولا يجرمنكم بغضم الياء . وأول المفعولين على القراءة تين ضمير المخاطبين ، والثانى (أن تعتدوا) . و(أن صدوكم) بفتح الهمزة ، متعلق بالشأن بمعنى العلة ، والشأن : شدة البغض . وقرئ بسكون النون . والمعنى : ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء ، ولا يحملنكم عليه . وقرئ : إن صدوكم ، على «إن»

(١) أخرجه الحاكم من طريق جبير بن نفير . قال «دخلت على عائشة . فقالت لى : يا جبير ، تقرأ المائدة ؟ فقلت نعم . فقالت : أما إنما آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح . وأشار القرئنى إلى أن المراد بقولها «والفتح» إذا جاء نصر الله . قال : وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

الشرطية . وفي قراءة عبدالله . إن يصدوكم . ومعنى صدكم إياهم عن المسجد الحرام : منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ، ومعنى الاعتداء : الانتقام منهم بإلحاق مكروه بهم (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والإغضاء (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) على الانتقام والتشنى . ويجوز أن يراد العموم لكل يزوتقوى وكل إثم وعدوان ، فيتناول بعمومه العفو والانتصار .

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾

كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات : البهيمة التي تموت حتف أنفها ، والفصيد وهو الدم في المباعر <sup>(١)</sup> ، يشوونها ويقولون : لم يحرم من فزد له (وما أهل لغير الله به) أى رفع الصوت به لغير الله ، وهو قولهم : باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمُنْخَنِقَةُ) التي خنقوها حتى ماتت ، أو انخنقت بسبب (والمَوْقُوذَةُ) التي أثنخواها ضرباً بعضاً أو حرقوا حتى ماتت (والمُتَرَدِّبَةُ) التي ترذت من جبل أو في بر فسات (وَالنَّطِيحَةُ) التي نطحتها أخرى فسات بالنطح (وما أكل السبع) بعضه (إلا ما ذكيتم) إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبذب وتنخب أوداجه . وقرأ عبدالله : والمنطوحة . وفي رواية عن أبي عمرو (السبع) يسكون الباء . وقرأ ابن عباس : وأكبل السبع (وما ذبح على النصب) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها ، يعظمونها بذلك ويتقربون به إليها ، تسمى الأنصاب ، والنصب واحد . قال الأعشى :

وَذَا النَّصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَعْبُدْنَهُ لِعَاقِبَةٍ وَاللَّهِ رَبَّكَ فَاعْبُدَا (٢)

(١) قوله « وهو الدم في المباعر » المباعر : الأمعاء يجعل فيها الدم بعد فصدده ويشوى للضيء . وقولهم « لم يحرم ... الخ » جار مجرى الأمثال . و « فزد » مبنى للمجهول ، أصله « فصد » فكنت صاده تخفيفاً ثم قلبت زايا . انتهى . (ع)

(٢) وذا النصب المنسوب لا تعبدنه لعاقبة والله ربك فاعبدا  
وصل على حين العشيات والضحي ولا تحمد الشيطان والله فاحدا

وقيل : هو جمع ، والواحد نصاب . وقرئ (النصب) بسكون الصاد ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ وحزم عليكم الاستقسام بالأزلام أى بالقصداح . كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحاً أو أمراً من معازم الأمور ضرب بالقصداح ، وهى مكتوب على بعضها : نهانى ربى ، وعلى بعضها : أمرنى ربى ، وبعضها غفل ؛ فإن خرج الأمر مضى لطيته <sup>(١)</sup> ، وإن خرج الناهى أمسك ، وإن خرج الغفل أجاهلها عوداً . فعنى الاستقسام بالأزلام : طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام . وقيل : هو الميسر . وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ﴿ذلكم فسق﴾ الإشارة إلى الاستقسام : أو إلى تناول ما حرم عليهم ؛ لأن المعنى حزم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا . فإن قلت : لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام لتعرف الحال فسقاً ؟ قلت : لأنه دخول فى علم الغيب الذى استأثر به علام الغيوم وقال : (لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) واعتقاد أن إليه طريقاً وإلى استنباطه <sup>(٢)</sup> ، وقوله : أمرنى ربى ، ونهانى ربى : افتراء على الله . وما يدرى به أنه أمره أو نهاه . والكهنة والمنجمون بهذه المثابة . وإن كان أراد بالرب الصنم - فقد روى أنهم كانوا يحيلونها عند أصنامهم - فأمره ظاهر ﴿اليوم﴾ لم يرد به يوماً بعينه ، وإنما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية ، كقولك : كنت بالأمس شاباً ، وأنت اليوم أشيب ، فلا تريد بالأمس اليوم الذى قبل يومك ، ولا باليوم يومك . ونحوه . والآن ، فى قوله :

الآنَ لَمَّا أَيْضُ مَسْرُبَتِي وَعَضَضْتُ مِنْ نَائِي عَلَى جَدَمٍ <sup>(٣)</sup>

== للأعشى . و «النصب» كضرب وكشرب . وفى لغة : كسب . وفى لغة كعنى . ويحتملها ما هنا : العلم المنسوب . والمراد به هنا الصنم وأحد الحجارة التى كانت منصوبة حول البيت يذبحون لأجلها الهدى يقرىون به إليها . و «ذا» اسم إشارة نصب بمحذوف يفسره المذكور على طريقة الاشتغال . وجعله الجوهري على تقدير : إياك وهذا نصب ، فهو منصوب على التحذير وروى لا تنسكته بدل تعبدته . وروى «المثرب» بدل «الشیطان» أى الأغنياء . وروى بدل الشطر الثانى «والله ربك قاعبدا» و «لعاقة» أى لطلب عاقبة . وتقديم الممول لإفادة الحصر ولزيادة الفاء . ويجوز أنه على تقدير : وإلزم الله ربك فهو نصب على الإغراء ، وإلقاء عاطفة على المقدر . و «اعبدا» مؤكد بالنون المبذلة ألفاً للوقف . و «على» بمعنى «فى» وروى «سبح» بدل «صل» والمعنى واحد ، أى صل الصلوات وقت الضحي والعشيات . واحداً كاعبدا .

(١) قوله «فإن خرج الأمر مضى لطيته» بكسر الطاء ، أى لنيته التى اتتواها . أفاده الصحاح . (ع)

(٢) قوله «وإلى استنباطه» اهل بعده سقطا تقديره : سبيلاً خطأ وضلال . (ع)

(٣) الآنَ لَمَّا أَيْضُ مَسْرُبَتِي وَعَضَضْتُ مِنْ نَائِي عَلَى جَدَمٍ

حلت هذا الدهر أشطره وأتيت ما آتى على علم

للذهل . وقيل : لأنى العلاء المعرى . و «الآن» الزمن الحاضر . و «المسربة» بضم الراء - وقد تفتح - : الشرعات التى تنبت وسط الصدور دقيقة مستطيلة إلى أسفل السرة ، وهى آخر ما يشيب من الإنسان ، فيياضها كناية ==

وقيل : أريد يوم نزولها ، وقد نزلت يوم الجمعة ، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ يسألونكم أن يبطئوا منه وأن ترجعوا محللين لهذه الحثايات بعد ما حرمت عليكم . وقيل : يسألونكم أن يغلبوه ؛ لأن الله عز وجل وفي بوعده من إظهاره على الدين كله ﴿فلا تخشون﴾ بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين ﴿واخشون﴾ وأخلصوا إلى الخشية ﴿أكلت لكم دينكم﴾ كفتكم أمر عدوكم ، وجعلت اليد العليا لكم ، كما تقول الملوك : اليوم كل لنا الملك وكل لنا ما نريد ، إذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا إلى أغراضهم ومباغيتهم . أو أكلت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد ﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين ، وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحج معكم مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان . أو أتممت نعمتي عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال : اليوم أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك ، لأنه لافعة أتمت من نعمة الإسلام ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ يعني اخترته لكم من بين الأديان ، وأذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) ، (إن هذه أممكم أمة واحدة) . فإن قلت : بم اتصل قوله ﴿فمن اضطر﴾ ؟ قلت : بذكر المحرمات . وقوله (ذلك فسق) اعتراض أكد به معنى التحريم ، وكذلك ما بعده ؛ لأن تحريم هذه الحثايات من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل . ومعناه : فمن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها ﴿في محض﴾ في جماعة ﴿غير متجانف لإثم﴾ غير منحرف إليه ، كقوله (غير باغ ولا عاد) . ﴿فإن الله غفور﴾ لا يؤاخذ به ذلك .

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ

== عن بلوغه غاية الشيب ، وأما المسربة بالفتح فقط فهي مخرج الغائط . و « من ناي » حال مقدمة . و « من » بمعنى . و « الجذم » أصل الشئ ، كأن أيا به تفتت حتى لم يبق إلا أصولها . ويجوز أن المعنى : أنها سقطت وتبقى محلها من اللحم ، وهو أيضا كتابة مما تقدم توكيد له في المعنى . و « حلبت هذا الدهر » أي جمعت ما فيه من الحوادث وجربتها . و « أشطره » نواحيه وجوانبه ؛ فكأنه شبه الزمان بمكان له جوانب على طريق الكناية ، وإثبات الأشطر تخييل ، وهو نصب على البدلية . والأشطر أيضاً : نصف ضرع الناقة ؛ فيه خالفان ، وفي النصف الآخر خالفان . فشب الدهر بناقة على طريق المكنية ، وإثبات الأشطر تخييل . وحلبها ترشيح . وهذا أوجه وأقرب من الأول . وأشطره : نصب على البدلية أيضا . ويمكن أن حلب مضاعف للتعدي لا للبالغة . فالمعنى : جلبت الدهر بحلب لي أشطره ويجمع لي ما فيها من الفرائب والعجائب . وقيل : المراد بأشطره أنواع الخير والشر . وأثبت : أي فلت ؛ لأن من يفعل الشيء لا بد من توجه جسمه وقلبه إليه . والمعنى : صارت عادتي أني أفعل ما أمثله على علم عندي ، من طول تحريق الجوارح الدهر .

مُكَلِّينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا  
اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآتُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)

في السؤال معنى القول ، فلذلك وقع بعده (ماذا أحل لهم) كأنه قيل : يقولون لك ماذا أحل لهم . وإنما لم يقل : ماذا أحل لنا ، حكاية لما قالوه لأن يسألوك بلفظ الغيبة ، كما تقول أقدم زيد ليغلقن . ولو قيل : لا فعلن وأحل لنا ، لكان صوابا . وماذا ، مبتدأ ، و (أحل لهم) خبره كقولك : أى شيء أحل لهم ؟ ومعناه : ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلا عليهم ما حرم عليهم من خبثات المأككل سألو أعمأ أحل لهم منها ، فقيل : (أحل لكم الطيبات) أى ما ليس بخبيث منها ، وهو كل ما لم يأت تحريمه فى كتاب أو سنة أو قياس مجتهد . (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات (١) أى أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف . أو تجعل (ما) شرطية ، وجوابها (فكلوا) والجوارح : الكواشب من سباع البهائم والطيور ، كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازى والشاهين . والمسكب : مؤذب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ، ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف ، واشتقاقه من السكب ، لأن التأديب أكثر ما يكون فى السكاب فاشتق من لفظه لكثرة من جنسه . أو لأن السبع يسمى كلباً . ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلباً من كلابك (٢) ، فأكله الأسد . أو من السكب الذى هو بمعنى الضراوة . يقال : هو كلب بكذا ، إذا كان ضاريا به . وانتصاب (مكلمين) على الحال من علمتم . فإن قلت : ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم ؟ قلت : فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح تحريراً فى علمه مدرباً فيه ، موصوفاً بالتسكيب . و (تعلمونهن) حال ثانية أو استئناف . وفيه فائدة جلية (٣) وهى أن على كل أخذ علماً أن لا يأخذه إلا من أقتل أهله علماً وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه ، وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل . فكم من أخذ عن غيره متقن ، قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله (بما عليكم الله) من علم التكليب ، لأنه إلهام من الله ومكتسب بالعقل . أو بما عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه ، وانزجاره بزجره . وانصرافه بدعائه ، وإمساك الصيد عليه وأن لا يأكل منه .

(١) قال محمود رحمه الله تعالى : « وما علمتم عطماً على الطيبات . . . الخ » قال أحمد رحمه الله تعالى : ولقد أحسن فى التنبيه على هذا السر الخفى غير أن الحال بأصالتها منتقلة غير لازمة ومقتضى هذا التفسير جعلها من الصفات اللازمة لمعلم الجوارح الثانية له .

(٢) هو طرف من حديث أخرجه الحاكم . وسيأتى بتمامه فى سورة النجم .

(٣) عاد كلامه قال : « وفى قوله تعلمونهن بما عليكم الله فائدة جلية . . . الخ » قال أحمد : وفى الآية دليل على أن البهائم لها علم لأن تعليمه معناه لغة تحصيل العلم لها بطرقه خلافاً لما تكبرى ذلك .

وقرئ (مكبلين) بالتخفيف . وأفعل وفعل يشتركان كثيراً . والإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه ، لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم « وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه »<sup>(١)</sup> وعن علي رضي الله عنه : إذا أكل البازي فلا تأكل<sup>(٢)</sup> . وفرق العلماء ، فاشترطوا في سباع البهائم ترك الأكل لأنها تؤدّب بالضرب ، ولم يشترطوه في سباع الطير . ومنهم من لم يعتبر ترك الأكل أصلاً ولم يفرق بين إمساك الكل والبعض . وعن سليمان ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي هريرة رضي الله عنهم : إذا أكل الكلب ثلثه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فمكّل<sup>(٣)</sup> . فإني قلت : إلام رجع الضمير في قوله (واذكروا اسم الله عليه) ؟ قلت . إما أن يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسعوا عليه إذا أدركتم ذكاته ، أو إلى ما علمتم من الجوارح . أي سمعوا عليه عند إرساله .

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ طَعَامُ الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴿٥﴾

(طعام الذين آتوا الكتاب) قيل : هو ذبائحهم . وقيل : هو جميع مطاعهم . ويستوى في ذلك جميع النصاري . وعن علي رضي الله عنه : أنه استثنى نصارى بني تغلب وقال : ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر<sup>(٤)</sup> ، وبه أخذ الشافعي . وعن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال : لا بأس<sup>(٥)</sup> . وهو قول عامة التابعين ، وبه أخذ أبو حنيفة

(١) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم .

(٢) لم أجده .

(٣) حديث سليمان أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من طريق قتادة عن سعيد بن المسيب عن سليمان في الكلب يرسل على الصيد إن أكل ثلثه فكل الثلث الباقي . وحديث أبي هريرة كذلك رواه ابن أبي شيبة من طريق الشعبي عنه قال « إذا أرسلت كلبك فأكله فكل وإن أكل ثلثه » . وحديث سعد بن أبي وقاص كذلك أخرجه ابن أبي شيبة . من رواية بكر بن الأشج عن حميد بن مالك عن سعد في الصيد يرسل عليه الكلب قال : كله وإن لم يبق منه إلا بضعة منه .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة من رواية إبراهيم النخعي عن علي . وهو منقطع . وأخرجه الشافعي وعبد الرزاق موصولاً من رواية عبيدة عن علي رضي الله عنه .

(٥) أخرجه في الموطأ عن ثور عن ابن عباس بهذا . وهو منقطع . ثور لم يلق ابن عباس . وإنما أخذه عن عكرمة فذهبه مالك . وروى ابن أبي شيبة من طريق عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس . قال « كلوا ذبائح بني تغلب وتزوجوا نساءهم » .



وأصحابه. وحكم الصائين حكم أهل الكتاب عند أبي حنيفة. وقال أصحابه : هم صنفان : صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة. وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم ؛ فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب. وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسايتهم. وقد روى عن أبي المسيب أنه قال : إذا كان المسلم مريضاً فأمر المجوسي أن يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس. وقال أبو ثور : وإن أمره بذلك في الصحة فلا بأس وقد أساء (وطعامكم حلّ لهم) فلا عليكم أن تطعموهم <sup>(١)</sup> ، لأنه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساء لهم إطعامهم. (المحصنات) الحرائر أو العفاف. وتخصيصهن بعث على تخيير المؤمنين لنظفهن والإمام من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق ، وكذلك نكاح غير العفاف منهن ، وأما الإمام الكتابيات ، فعند أبي حنيفة : هن كالمسلمات ، وخالفه الشافعي ، وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ، ويحتج بقوله «ولا تشكحوا المشركات حتى يؤمن» ، ويقول : لا أعلم شركا أعظم من قولها : إن ربها عيسى. وعن عطاء : قد أكثر الله المسلمات ، وإنما رخص لهم يومئذ (محسنين) أعفاء (ولا متخذى أخدان) صدائق ، والخذن يقع على الذكر والأنثى (ومن يكفر بالإيمان) بشرائع الاسلام وما أحل الله وحرم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَمَسَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ⑥

(١) قال محمود : «معناه فلا عليكم أن تطعموهم ... الخ» قال أحد : وقد يستدل بهذه الآية من يرى الكفار مخاطبين بفروع الشريعة ، لأن التحليل حكم ، وقد حلقه بهم في قوله (وطعامكم حلّ لهم) كما حلق الحكم بالمؤمنين . وهذه الآية آيين في الاستدلال بها من قوله ( لا من حلّ لهم ولا هم يحلون لمن ) فإن القائل أن يقول في تلك الآية : نفي الحكم ليس بحكم ، ولا يستطيع ذلك في آية المائدة هذه : لأن الحكم فيها مثبت واقع أعلم . ولما استشعر الوجودى دلالتها على ذلك وهو من القائلين بأن الكفار يستحيل خطايتهم بفروع الشريعة ، أسلف تأويلها بصرف الخطاب إلى المؤمنين ، أى لا جناح عليكم أيها المسلمون أن تطعموا أهل الكتاب ، كما رأيت في كلامه أيضا .

﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾ كقولہ ، فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ،<sup>(١)</sup> وكقولك : إذا ضربت غلامك فهو عليه ، في أن المراد إرادة الفعل . فإن قلت : لم جاز أن يعبر عن إرادة الفعل بالفعل ؟ قلت : لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له وهو قصده إليه وميله وخلوص دأيه ، فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم : الإنسان لا يطير ، والاعنى لا يبصر ، أى لا يقدران على الطيران والإبصار . ومنه قوله تعالى ( نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ) يعنى إنا كنا قادرين على الإعادة ، كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل ، وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة ، فأقيم المسبب مقام السبب للبالسة بينهما ، ولإيجاز الكلام ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب قولهم : كما تدين تدان ، عبر عن الفعل المبتدأ الذى هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذى هو مسبب عنه . وقيل : معنى قمت إلى الصلاة قصدتموها ؛ لأن من توجه إلى شيء وقام إليه كان قاصداً له لا محالة ، فعبر عن القصد له بالقيام إليه . فإن قلت : ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة<sup>(٢)</sup> محدث وغير محدث ، فما وجهه ؟ قلت : يحتمل أن يكون الأمر للوجوب ، فيكون الخطاب للمحدثين خاصة ، وأن يكون للندب . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ، أنهم كانوا يتوضئون لكل صلاة<sup>(٣)</sup> . وعن النبي صلى الله عليه وسلم « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات »<sup>(٤)</sup> . وعنه عليه السلام : أنه كان يتوضأ لكل صلاة<sup>(٥)</sup> . فلما كان يوم الفتح مسح

(١) قال محمود : « قوله إذا قمتم كقولہ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ... الخ » قال أحمد هذا الكلام يستقيم وروده من السنن ، كما يستقيم من المعتزلى لأننا نقول : الفعل يوجد بقدرة العبد ما يتيسر بها ومقارناً لها ، والمعتزلى يقولو ويعنى مخلوقاً بها ونشأ عن تأثيرها ، فالعبارة مستعملة في المذهبين ولكن باختلاف المعنى ، والله الموفق .  
(٢) عاد كلامه . قال : « فان قلت : ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم ... الخ » قال أحمد : الزحشرى أنكر أن يراد بالمشارك كل واحد من معانيه على الجمع . وقد سبق له إنكار ذلك ومن جوز إرادة جميع المحامل أجاز ذلك في الآية ، ومن المجوزين لذلك الشافعى رحمه الله تعالى . وناهيك بإمام الفن وقدرته . هذا إذا وقع البناء على أنت صيغة وأفعل ، مشتركة بين الوجوب والندب صح تناولها في الآية للفريقين المحدثين والمتطهرين ، وتناولها للمتطهرين من حيث الندب ، والله أعلم .

(٣) أخرجه البخارى من رواية عمرو بن عامر عن أنس بلفظ « عند كل » وزاد قلت : كيف كنتم تصنعون قال : يجرى أحدنا الوضوء ما لم يحدث ، والترمذى من رواية حميد عن أنس نحوه ، وزاد طاهراً وغير طاهر ، وسلم من حديث يزيد « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة ، فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد . فقال له عمر : فقلت شيئاً لم تكن تفعله ، قال : قد فعلته يا عمر ، وسأيت به . قليل ، ولأبى داود والحاكم وأحمد من حديث أسماء بنت زيد بن الخطاب عن عبد الله بن حنظلة بن النسيب « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أمر بالوضوء عند كل صلاة طاهراً أو غير طاهر . فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك ، وقوله : « وكان الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم يتوضئون لكل صلاة » أخرجه ابن أبى شيبة والطبرى من رواية أبى عوانة عن محمد بن سيرين قال : وكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم يتوضئون لكل صلاة .

(٤) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . قال الترمذى : إسناده ضعيف .

(٥) تقدم التنبيه عليه وأن مسلماً أخرجه دون ذكر المسح . وكذلك أخرجه أصحاب السنن .

على خفيه وصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد، فقال له عمر: صنعت شيئاً لم تكن تصنعه. فقال: وعمد أفعلته يا عمر، يعني بياناً للجواز؟ فإن قلت: هل يجوز أن يكون الأمر شاملاً للمحدثين وغيرهم، لهؤلاء على وجه الإيجاب، ولهؤلاء على وجه الندب. قلت: لا، لأن تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الإلغاز والتعمية. وقيل: كان الوضوء لكل صلاة واجباً أول ما فرض، ثم نسخ. (إلى) تفيد معنى الغاية مطاقاً. فأما دخولها في الحكم وخروجها، فأمر يدور مع الدليل، فما فيه دليل على الخروج قوله (فنظرة إلى ميسرة) لأن الإعسار علة الإنذار. وبوجود الميسرة تزول العلة، ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظر آفي كلتا الحالتين معسراً وموسراً. وكذلك (ثم أتوا الصيام إلى الليل) لو دخل الليل لوجب الوصال. وما فيه دليل على الدخول قولك: حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله. ومنه قوله تعالى (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) لوقوع العلم بأنه لا يسرى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله. وقوله (إلى المرافق) و(إلى الكعابين) لا دليل فيه على أحد الأمرين، فأخذ كافة العلماء بالاحتياط فحسبوا بدخولها في الغسل. وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلوها. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يدير الماء على مرقبيه<sup>(١)</sup>. ﴿وامسحوا برءوسكم﴾ المراد إصصاق المسح بالرأس. واما مسح بعضه ومستوعبه بالمسح، كلاهما ملصق للمسح برأسه. فقد أخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على اختلاف الرواية، وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما روى: أنه مسح على ناصيته<sup>(٢)</sup>. وقدر الناصية بربع الرأس. قرأ جماعة (وأرجلكم) بالنصب<sup>(٣)</sup>، فدل على أن الأرجل مغسولة

(١) أخرجه الدارقطني من حديث جابر وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ أدار الماء على مرقبيه، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه مسلم من حديث المغيرة بن شعبة في قصة فيها دوسح بناصيته وعلى العمامة وعلى خفيه، والطبراني من حديثه وأن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على ناصيته.

(٣) قال محمود: «قرأ جماعة (وأرجلكم) بالنصب... الخ، قال أحد: ولم يوجه الجر بما يشق التليل. والوجه فيه أن التليل والمسح متقاربان من حيث أن كل واحد منهما أساس بالمضغ فيسهل عطف المنسول على المنسوح من ثم، كقوله:

• متقلداً سيفاً ورمحاً • و • علقتهما تبنياً وماء بارداً •

ونظائره كثيرة. وبهذا وجه الحذاق، ثم يقال: ما فائدة هذا التشريك بعلّة التفارب؟ وهلا أسند إلى كل واحد منها الفعل الخاص به على الحقيقة؟ فيقال: فائدته الإيجاز والاختصار. وتوكيد الفائدة بما ذكره الرخشي وتحقيقه أن الأصل أن يقال مثلاً: واعرلوا أرجلكم غسلاً خفيفاً لا إسراف فيه، كما هو المعتاد، فاختصرت هذه المقاصد بإشراك الأرجل مع المنسوح، ونبه بهذا التشريك - الذي لا يكون إلا في الفعل الواحد أو الفعلين المتقاربين جداً - على أن الغسل المطلوب في الأرجل غسل خفيف يقارب المسح وحين إدراجه معه تحت صيغة واحدة، وهذا تقرير كامل لهذا المقصود، والله أعلم.

فإن قلت : فأتصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح ؟ قلت : الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها ، فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهى عنه ، فعمطت على الثالث الممسوح لا تمسح ، ولكن ليتبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها . وقيل ﴿ إلى الكعبين ﴾ بجي بالغاية إمالة لظن ظان يحسبها ممسوحة ، لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة . وعن علي رضي الله عنه : أنه أشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزاً ، فقال : ويل للأعقاب من النار ، فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلاً ويدل كونها دلوكا . وعن ابن عمر : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم وأعقابهم يبيض تلوح فقال : « ويل للأعقاب من النار »<sup>(١)</sup> ، وفي رواية جابر : « ويل للعراقيب »<sup>(٢)</sup> ، وعن عمر أنه رأى رجلاً يتوضأ فترك باطن قدميه ، فأمره أن يعيد الوضوء ، وذلك للتخليط عليه .<sup>(٣)</sup> وعن عائشة رضي الله عنها : لأن تقطعا أحب إلى من أن أمسح على القدمين بغير خفين<sup>(٤)</sup> . وعن عطاء : والله ما علمت أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين<sup>(٥)</sup> . وقد ذهب بعض الناس إلى ظاهر العطف فأوجب المسح . وعن الحسن : أنه جمع بين الأمرين . وعن الشعبي : نزل القرآن بالمسح والغسل سنة . وقرأ الحسن : وأرجلكم ، بالرفع بمعنى وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة إلى الكعبين . وقرئ ﴿ فاطهروا ﴾ أى

(١) متفق عليه من طريق يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال : خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا في سفرة فأدركنا - فذكره - وفيه : وأعقابهم تلوح ، ولمسح . رجعتا مع النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، ولأبي نعيم في المستخرج : وأعقابهم تلوح ، ولمسح . رجعتا مع النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ولأبي نعيم في المستخرج : وأعقابهم يبيض تلوح ﴿ تنبيه ﴾ لم أره من حديث ابن عمر ، وكأنه تحرف على صاحب الكتاب ، أو بعض من أخذه عنه .

(٢) أخرجه ابن ماجه وأحمد وابن أبي شيبة وإسحاق وأبو يعلى من رواية أبي إسحاق عن سعيد بن أبي كريب عن جابر وهي عند مسلم من حديث أبي هريرة . وللنسائي في حديث عبد الله بن عمرو المذكور ولأبي يعلى من حديث عائشة . ولسعيد بن منصور من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من رواية أبي قلابة : « أن عمر رأى رجلاً يتوضأ فبقى في رجله قدر ظفر . فقال : أعد الوضوء » وهو منقطع . ورواه البيهقي موصولاً من طريق الثوري عن الأعشى عن أبي سفيان عن جابر : « أن عمر رأى رجلاً » فذكره بالفظ « لمعة » وقد روى مرفوعاً . أخرجه أحمد وأبو داود من رواية خالد بن معدان عن بعض الصحابة : « أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً وفي ظهره قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصنها المساء فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة . وقال الأثرم عن أحمد : إسناده جيد . وقال أبو داود : هو مرسل . وتعبه ابن دقيق العيد بأن عدم ذكر اسم الصحابي حديثه . وهو موصوف بكثرة الإرسال ﴿ تنبيه ﴾ قوله « تغليظاً عليه » من كلام صاحب الكشف . وفيه نظر ، لاحتمال أن يكون المراد بقوله « أعد الوضوء » أى اغسل رجلك من إطلاق الكل وإرادة البعض . وأما الذي في المرفوع فيحتمل أن يكون الأمر المذكور بعد أن أحدث الرجل (٤) أخرجه ابن الجوزي في العلل المنتامية من رواية القاسم عنها دون قوله « بغير خفين » وفي إسناده محمد

ابن ماجة البغدادي ، رادعي ابن الجوزي أنه وضعه .

(٥) لم أجده .

فطهروا أبدانكم ، وكذلك ليطهركم . وفي قراءة عبد الله : فأتموا صعيداً ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾ في باب الطهارة ، حتى لا يرخص لكم في التيمم ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾ بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء ﴿ وليتم نعمته عليكم ﴾ وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه ﴿ لعلمكم تشكرون ﴾ نعمته فيثيبكم .

وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ وهي نعمة الإسلام ﴿ وميثاقه الذي واثقكم به ﴾ أى عاقدكم به عقداً وثيقاً هو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا : سمعنا وأطعنا . وقيل : هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ يَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعِدُّوا لَهُمْ أَوْ قَرَّبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

### العَجِيم ﴿١٠﴾

عَذَى ﴿ يجر منكم ﴾ بحرف الاستعلاء مضمناً معنى فعل يتعدى به ، كأنه قيل : ولا يحملنكم . ويجوز أن يكون قوله ( أن تعتدوا ) بمعنى على أن تعتدوا ، لحذف مع أن ونحوه قوله عليه السلام : « من اتبع على ملي فليتبع <sup>(١)</sup> » ، لأنه بمعنى أحيل . وقرئ ﴿ شَنَاَن ﴾ بالسكون . ونظيره في المصادر لِيَان ، والمعنى : لا يحملنكم بغضكم للبشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتشفوا بما <sup>(٢)</sup> في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثله أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ نهامهم أولاً لأن تحملهم البغضاء

(١) متفق عليه من حديث الأعرج عن أبي هريرة بلفظ « وإذا اتبع أحدكم على ملي فليتبع » وفي رواية لأحد « وإذا أحيل أحدكم على ملي فليحتل » وهذا اللفظ أخرجه البزار من حديث ابن عمر رضي الله عما .

(٢) قوله « وتشفوا بما في قلوبكم » له ما . (ع)

على ترك العدل ، ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيذاً وتشديداً ، ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله ( هو أقرب للتقوى ) أى العدل أقرب إلى التقوى ، وأدخل في مناسبتها . أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفاً فيها . وفيه تنبيه عظيم على أن وجود العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة ، فما الظن بوجوده مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه ؟ ﴿ لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله ، كأنه قال : قدم لهم وعداً فقيل : أى شيء . وعده لهم ؟ فقيل : لهم مغفرة وأجر عظيم . أو يكون على إرادة القول بمعنى وعدمهم وقال لهم مغفرة . أو على إجراء وعد مجرى قال : لأنه ضرب من القول . أو يجعل وعد واقعاً على الجملة التى هى لهم مغفرة ، كما وقع ( تركنا ) على قوله ( سلام على نوح ) كأنه قيل : وعدمهم هذا القول وإذا وعدمهم من لا يخلف الميعاد هذا القول ، فقد وعدمهم مضمونه من المغفرة والأجر العظيم . وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة ، فيسرون به ويستروحون إليه ويهتون عليهم السكرات والأهوال قبل الوصول إلى الثواب .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اَن يَبْسُطُوا  
إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْتَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

روى أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى صلاة الظهر يصلون معاً ، وذلك بعسفان في غزوة ذي أثمار . فلما صلوا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم ، فقالوا : إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آباتهم وأبنائهم ، يعنون صلاة العصر وهما بأن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها . فنزل جبريل بصلاة الخوف <sup>(١)</sup> . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلى رضى الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلها عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، اجلس حتى نطعمك ونقرضك ، فأجلسوه في

(١) أخرجه الطبري من رواية النضر بن عمر عن عكرمة عن ابن عباس بتغير فيه ، ولطفه قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة . فلحق المشركين بمسقلان ، فلما صلى الظهر فرأوه يركع ويسجد قال بعضهم لبعض : كان فرصة لكم لو أغرتم عليهم ماعلوا بكم قال قاتل منهم : فإن لهم صلاة أخرى ، والباقي نحوه . وأصله في مسلم من رواية أبي الزبير عن جابر « غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم فوما من جهة فقاتلونا قتالاً شديداً فلما صلينا الظهر قال المشركون : لولمنا عليهم لا نقتلناهم فقالوا : إنهم سيأتهم صلاة هي أحب إليهم من الدارلى فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر ذلك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما حضرت العصر صففتا صفين - الحديث » ولترمذى والنسائي من طريق عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة نحوه .

صفة وهموا بالفتك به ، وعهد عمرو بن جحاش إلى رجا عظيمة يطرحها عليه ، فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره ، فخرج <sup>(١)</sup> . وقيل : نزل منزلا وتفرق الناس في العضاء يستظلون بها ، فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة ، فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليه فقال : من يمنعك مني ؟ قال : الله ، قالها ثلاثا ، فشام الأعرابي السيف <sup>(٢)</sup> . فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فأخبرهم ، وأبى أن يعاقبه <sup>(٣)</sup> . يقال : بسط إليه لسانه إذا شتمه ، وبسط إليه يده إذا بطش به (ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) ومعنى بسط اليد ، مدها إلى المبطوش به . ألا ترى إلى قولهم : فلان بسط الباع ، ومديد الباع ، بمعنى : فكف أيديهم عنكم ) فمنعها أن تمتد إليكم .

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ كَلِمَ أَقِمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ <sup>(١٢)</sup>  
فَبِمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ <sup>(١٣)</sup>

(١) أخرجه ابن إسحاق في المغازي ومن طريقه البيهقي وأبو نعيم في الدلائل . قال : حدثني والدي إسحاق بن يسار بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدم أبو براد عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكره مطولا . وفيه قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في القتيلين الذين قتلها عمرو بن أمية الضمري فيها حدثني يزيد بن رومان قال : كان بين بني النضير وبين عامر عقد وحاف . فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم قالوا : نعم ، اجلس يا أبا القاسم فجلس إلى جانب جدار من بيوتهم ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا . من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله بها فبرحنا منه ؟ فانتدب لذلك منهم عمرو بن جحاش بن كعب ، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال . ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه منهم أبو بكر وعمر وعلي ، فأناه جبريل من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا إلى المدينة ، ثم أمر يجرهم والمسير إليهم . فسار الناس ، (تنبيه) في كلام صاحب الكشف وأنها كانا مسلمين ، ولم أجد ذلك في شيء من طرقه بل صرح موسى بن عقبة في المغازي أنها كانا كافرين ، وكان لهما عهد وفي الدلائل لأبي نعيم من حديث ابن عباس : فلقى عمرو بن أمية رجلين من بني كلاب معهما أمان ولم يدم به فقتلها .

(٢) قوله فشام الأعرابي السيف ، في الصحاح . شمت السيف أغدته . وشته : سألته وهو من الامتداد . (ع)

(٣) متفق عليه من رواية أبي سلة عن جابر نحوه . وللبخاري من وجه آخر .

لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحا أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة، وقال لهم: إني كتبتُها لكم داراً قراراً، فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها، وإني ناصركم، وأمر موسى عليه السلام بأن يأخذ من كل سبط نقيباً يكون كفيلًا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثق عليهم، فاختر النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل، وتسكّل لهم به النقباء وسار بهم، فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون، فرأوا أجراماً عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدّثوهم، فنسكثوا الميثاق، إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا، ويوشع بن نون من سبط أفرايم بن يوسف، وكانا من النقباء. والنقيب: الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها، كما قيل له: عريف، لأنه يتعرفها ﴿إني معكم﴾ أي ناصركم ومعينكم ﴿عزّتموهم﴾ نصرتموهم ومنعتموهم من أيدي العدو. ومنه التعزير، وهو التسهيل والمنع من معاودة الفساد. وقرئ بالتخفيف يقال: عزّرت الرجل إذا حطّته وكفّفته. والتعزير والتأخير من واد واحد. ومنه: لأنصرك نصرّاً مؤزراً، أي قويا. وقيل معناه: ولقد أخذنا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكاً يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر. واللام في ﴿لئن أقمتم﴾ موطئة للقسم وفي ﴿لا كفرن﴾ جواب له، وهذا الجواب ساذ مستدّ جواب القسم والشرط جميعاً ﴿بعد ذلك﴾ بعد ذلك الشرط المؤكّد المعلق بالوعد العظيم. فإن قلت: من كفر قبل ذلك أيضاً فقد ضلّ سواء السبيل. قلت: أجل، ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم، لأن الكفر إنما عظم قبجه لعظم النعمة المكفورة، فإذا زادت النعمة زاد قببح الكفر وتمادى ﴿لعنهم﴾ طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا. وقيل: مسخّناهم. وقيل: ضربنا عليهم الجزية ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ خذلناهم ومنعناهم اللطاف حتى قست قلوبهم. أو أملينا لهم ولم نعالجهم بالعقوبة حتى قست. وقرأ عبد الله: قسية، أي ردية مغشوشة، من قولهم: درهم قسى وهو من القسوة؛ لأن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يابس وصلابة، والقاسى والقاسح - بالخاء - أخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ: قسية، بكسر القاف للإلتباع ﴿يخرفون الكلام﴾ بيان لقسوة قلوبهم، لأنه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وجهه ﴿ونسوا حظاً﴾ وتركوا نصيباً جزيلاً وقسطاً وافياً ﴿بماذكروا به﴾ من التوراة، يعني أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظّ عظيم، أو قست قلوبهم وفسدت فخرّفوا التوراة وزالت أشياء منها عن حفظهم. وعن ابن مسعود رضى الله عنه: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية <sup>(١)</sup>. وتلا هذه الآية. وقيل تركوا نصيب أنفسهم بما أمروا

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد. قال: أخبرنا عبيد الرحمن المسعودي عن القاسم عن عبد الله قال: «إني لأحسب الرجل ينسى العلم يعلّمه بالخطيئة يعملها، وهذا منقطع وكذا أخرجه الدارمي والطبراني.



به من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ﴿ولا تزال تطلع﴾ أى هذه عادتهم وهجراهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك يشكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وأن يسموك ﴿على خائنة﴾ على خيانة، أو على فعلة ذات خيانة، أو على نفس، أو فرقة خائنة. ويقال: رجل خائنة، كقولهم: رجل راوية للشعر للبالغة. قال:

حَدَّثَتْ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ لِلْقَدْرِ خَائِنَةً مَضَلَّ الْأَصْبَحُ <sup>(١)</sup>

وقرئ على خيانة ﴿منهم﴾ لا قليلا منهم ﴿وهم الذين آمنوا منهم﴾ فاعف عنهم ﴿بعث على مخالفتهم. وقيل هو منسوخ بآية السيف. وقيل: فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم.﴾

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ <sup>(١٤)</sup>

﴿أخذنا ميثاقهم﴾ أخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى، أى مثل ميثاقهم بالإيمان بالله والرسل وبأفعال الخير. وأخذنا من النصارى ميثاق أنفسهم بذلك. فإن قلت: فهلا قيل: من النصارى؟ قلت: لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله، وهم الذين قالوا للعيسى: نحن أنصار الله، ثم اختلفوا بعد: نسطورية، ويعقوبية، وملكانية. أنصارا

(١) أقرين إنك لو رأيت فوارسى  
حدثت نفسك بالوفا. ولم تكن  
بعائتين إلى جوانب صلفع  
للقدّر خائنة مضلّ الأصبح

لللكلاي، يخاطب ضيقاً نزل عنده فظلم في جاريته. والهمزة للنداء و«بعائتين» اسم جليلين. و«صلفع» اسم موضع. أى ياقرين لو رأيت فوارسى بهذين الجليلين متدينين إلى جوانب صلفع، لحدثت نفسك بوفاء العهد خوفاً منى كما هو الواجب عليك، ولم تكن لأجل العدو. أو ولم تكن مجعولا للقدّر خائنة، على أنه خير بعد خبر، أى كثير الخيانة، فالتاء للبالغة كراوية. ولعله كان قد أشار للجارية بأصبعه، فسمى الإشارة به للخيانة إضلالاً له: ويروى مغل الأصبح بالغين وغل وأغل إذا سرق شيئاً نازها، كأنه جعل أصبعه غالا، أى سارقاً، للإشارة به.

(٢) قال محمود: «فإن قلت: فهلا قيل من النصارى... الخ» قال أحمد: وبقيت نكتة في تخصيص هذا الموضع باستناد النصرانية إلى دعواهم ولم يتفق ذلك في غيره. ألا ترى إلى قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) فالوجه في ذلك والله أعلم أنه لما كان المقصود في هذه الآية ذمهم بنقض الميثاق المأخوذ عليهم في نصرة الله تعالى، ناسب ذلك أن يصدر الكلام بما يدل على أنهم لم ينصروا الله ولم يفوا بما واثقوا عليه من النصرة، وما كان حاصل أمرهم إلا التفوه بدعوى النصرة وقولها دون فعلها، والله أعلم.

للشيطان <sup>(١)</sup> ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ فَأَلْصَقْنَا وَأَزْمَنَّا مِنْ غَرَىٰ بِالشَّيْءِ إِذَا لَزِمَهُ وَلَصِقَ بِهِ وَأَغْرَاهُ غِيْرَهُ .  
ومنهُ الغراء الذي يلصق به ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين فرق النصارى المختلفين . وقيل : بينهم وبين اليهود .  
ونحوه (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً) ، (أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ  
مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾  
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ خطاب لليهود والنصارى ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾ من خصوصة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن نحو الرجم ﴿ويعفو عن كثير﴾ مما تخفونه لا يبينه إذا لم تضطر إليه مصلحة دينية ، ولم يكن فيه فائدة إلا اقتضاء حكم وصفته <sup>(١)</sup> مما لا بد من بيانه ، وكذلك الرجم وما فيه إحياء شريعة وإماتة بدعة . وعن الحسن : ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذهم ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ يريد القرآن ، لكشفه ظلمات الشرك والشك ، وإبائته ما كان خافياً عن الناس من الحق . أولآنه ظاهر الإعجاز ﴿من اتبع رضوانه﴾ من آمن به ﴿سبل السلام﴾ طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله .

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

قولهم ﴿إن الله هو المسيح﴾ معناه بت القول ، على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير . قيل : كان في النصارى قوم يقولون ذلك . وقيل : ماصرتوا به ولكن مذهبهم يؤدى إليه ، حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيى ويميت ويدبر أمر العالم ﴿فمن يملك من الله شيئاً﴾ فمن يمنع من قدرته ومشيتته شيئاً ﴿إن أراد أن يهلك﴾ من دعوه إلهاً من المسيح وأمه دلالة على أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد . وأراد بعطف (من في الأرض) على (المسيح وأمه) أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما

(١) قوله « وملكية أنصاراً للشيطان » في الخازن فرقة رابعة وهى المرقسية اه . (ع)

(٢) قوله « إلا اقتضاء حكم وصفته » لعل هنا سقطاً أو تحريفاً أو جفاه المعنى فليحذر . (ع)

و بينهم في البشرية ﴿يخلق ما يشاء﴾ أى يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى <sup>(١)</sup>، ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم . أو يخلق ما يشاء تخلق الطير على يد عيسى معجزة له ، وكإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، وغير ذلك . فيجب أن ينسب إليه ولا ينسب إلى البشر المجرى على يده .

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

﴿أبناء الله﴾ أشياع ابني الله عزيز والمسيح <sup>(٢)</sup> ، كما قيل لأشياع أبى خبيب وهو عبد الله بن الزبير والحبيبون ، وكما كان يقول رهط مسيلة : نحن أنبياء الله . ويقول أقرباء الملك وذووه وحشمه : نحن الملوك . ولذلك قال مؤمن آل فرعون : لكم الملك اليوم ﴿ فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسك النار أياما معدودات على زعمكم . ولو كنتم أبناء الله ، لكنتم من جنس الآب ، غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب . ولو كنتم أحباؤه ، لما عصيته موه ولما عاقبكم ﴿ بل أنتم بشر ﴾ من جملة من خلق من البشر ﴿ يغفر لمن يشاء ﴾ وهم أهل الطاعة ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ وهم العصاة <sup>(٣)</sup> .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرَّةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ نَّبِيٍّ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ نَبِيٌّ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿يبين لكم﴾ إما أن يقدر المبين وهو الدين والشرائع ، وحذفه لظهور ماورد الرسول

(١) قوله « كما خلق عيسى » في النسب : ويخلق من ذكر من غير أنثى ، كما خلق نوحاً من آدم . (ع)  
(٢) قال محمود : « معنى قولهم أبناء الله أشياع ابني الله عزيز . . الخ ، قال أحد : ومنه قول الملائكة لأنهم خواص عباد الله ( إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لئلا نرسل عليهم ) إلى قوله ( إلا أمر أنه قدرنا إنها لمن الناس ) فأضافوا التقدير إليهم ، وفي الحقيقة المقدرة الله » وكذلك قول الدابة : « لأنها من خواص آيات الله : ( إن الناس كانوا بآياتنا لا يرقنون ) فيمن جعله من قول الدابة ، والله أعلم .

(٣) قال محمود : « يعنى أهل الطاعة ( ويعذب من يشاء ) قال : يعنى العصاة » قال أحد رحمه الله : بل مشيئة الله تعالى تسع التائب المنيب ، والعاصى المصر إذا كان موحداً . والعنبرى أخرجه هذا التفسير على قاعدته المتكررة في غير ما موضع ، وهي القطع برعيد العصاة المصرين الموحدين ، وأن المغفرة لهم محال .

لثبينه . أو يقدر ما كنتم تحفون ، وحذفه لتقدم ذكره . أو لا يقدر ويكون المعنى . يسذل لكم  
اليان ، ومحله النصب على الحال ، أى مبنياً لكم . ﴿ على فترة ﴾ متعلق بجاءكم ، أى جاءكم على حين  
فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحي ﴿ أن تقولوا ﴾ كراهة أن تقولوا ﴿ فقد جاءكم ﴾  
متعلق بمحذوف ، أى لا تعتذروا فقد جاءكم . وقيل : كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما  
خمسمائة وستون سنة . وقيل : ستائة . وقيل : أربعائة ونيف وستون . وعن الكلبي : كان بين  
موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبى وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما أربعة أنبياء .  
ثلاث من بنى إسرائيل ، وواحد من العرب : خالد بن سنان العيسى . والمعنى : الامتنان عليهم ،  
وأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي أحوج ما يكون إليه ، ليهشوا إليه ويعتوه  
أعظم نعمة من الله ، وفتح باب الرحمة ، وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غداً بأنه لم يرسل إليهم من  
ينبهم عن غفاتهم .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ  
أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُم مُلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾  
يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ  
فَتَمْزِلُوكُمْ خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا  
حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ  
يَخَافُونَ اللَّهَ نَعَمْ اللَّهُ عَلِيمٌ هُمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكُمْ عَلَيْهِمْ  
وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا  
أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾

﴿ جعل فيكم أنبياء ﴾ لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بنى إسرائيل من الأنبياء <sup>(١)</sup> ﴿ وجعلكم

(١) قال محمود : د لم يبعث في أمة ما بعث في بنى إسرائيل من الأنبياء ... الخ . قال أحمد : والحامل على  
تفسير الملك بهذه التفسير أن الله تعالى أنبأ في ظاهر الكلام أنه جعل الجميع ملوكاً بقوله ( وجعلكم ملوكاً ) ولم يقل  
( وجعل فيكم ملوكاً ) كما قال ( جعل فيكم أنبياء ) فلما عم الملك فيهم ، ولا شك أن الملك - المعبود هو الاستيلاء  
العام - لم يثبت لكل أحد منهم ، فيتعين حل الملك على ما كان ثابتاً بغيرهم أو لا أكثرهم من الأباطش المذكورة .  
هذا هو الباعث على تفسير الملك بذلك ، والله أعلم . وهذا المعنى وإن لم يثبت لكل واحد منهم إلا أنه كان ثابتاً

ملوكاً) لأنه ملكهم بعد فرعون ملكه ، وبعد الجبارة ملكهم ؛ ولأن الملوك تكاثروا فيهم  
 ٤ تكاثروا الأنبياء . وقيل : كانوا ملوكين في أيدي القبط فأقنذهم الله ، فسمى إقناذهم ملكا . وقيل :  
 الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار . وقيل : من له بيت وخدم . وقيل : من له مال لا يحتاج  
 معه إلى تكلف الأعمال وتحمل المشاق ( ما لم يؤت أحداً من العالمين ) من فلق البحر ، وإغراق  
 ٥ العدو ، وتظليل النعام ، وإنزال المن والسلوى ، وغير ذلك من الأمور العظام ، وقيل : أراد  
 عالمي زمانهم ( الأرض المقدسة ) يعني أرض بيت المقدس . وقيل : الطور وما حوله . وقيل :  
 الشام . وقيل : فلسطين ودمشق وبعض الأردن . وقيل : سماها الله لإبراهيم ميراثا لولده  
 ٥ حين رفع على الجبل ، فقيل له . انظر ، فلك ما أدرك بصرك ، وكان بيت المقدس قرار  
 الأنبياء ومسكن المؤمنين ( كتب الله لكم ) قسمها لكم وسماها ، أو خط في اللوح  
 المحفوظ أنها لكم ( ولا ترتدوا على أديباركم ) ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف  
 الجبارة جبناً وهلعاً ، وقيل : لما حدثهم النقباء بحال الجبارة رففوا أصواتهم بالبكاء  
 ٥ وقالوا : ليتنا متنا بمصر . وقالوا : تعالوا نجعل علينا رأساً ينصرف بنا إلى مصر . ويجوز أن يراد :  
 لا ترتدوا على أديباركم في دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم : فترجعوا خاسرين ثواب  
 الدنيا والآخرة . الجبار : فعال ، من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاق الذي يجبر  
 ٥ الناس على ما يريد ( قال رجلان ) هما كالب ويوشع ( من الذين يخافون ) من الذين يخافون  
 الله ويخشونه ، كأنه قيل : رجلان من المتقين . ويجوز أن تكون الواو لبني إسرائيل والراجع  
 إلى الموصول مخدوف تقديره : من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبارون ، وهما رجلان منهم  
 ( أنعم الله عليهما ) بالإيمان فأمننا ، قالاهم : إن العاقلة أجسام لا قلوب فيها ، فلا تخافوهم  
 وازحفوا إليهم فإنكم غالبوهم ، يشجعانهم على قتالهم . وقراءة من قرأ : يخافون ، بالضم شهادة  
 له : وكذلك أنعم الله عليهما ، كأنه قيل : من المخوفين . وقيل : هو من الإخافة ، ومعناه من  
 الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة . أو يخوفهم وعيد الله بالعقاب . فإن قلت : ما محل أنعم  
 الله عليهما ؟ قلت : إن انتظم مع قوله من الذين يخافون ، في حكم الوصف لرجلان فرفوع .

== للملوكهم وهم منهم ، إذ إسرائيل الأب الأقرب يجمعهم ، فلما كانت ملوكهم منهم وهم أقرباؤهم وأشياعهم وماتبسون  
 بهم ، جاز الامتنان عليهم بهذه الصنيعة ، والمعنى مفهوم . وهذا بعينه هو التقرير السابق آنفاً في قول اليهود والنصارى  
 ( نحن أبناء الله وأحباؤه ) وما بالعهد من قدم . فان قلت : فلم لم يقل إذ جعلكم أنبياء لأن الأنبياء منهم كما قلت  
 في الملوك ؟ قلت : النبوة مزية غير الملك . وأحاديث الناس يشارك انلك في كثير مما به صار الملك ملكا ، ولا كذلك  
 النبوة فان درجتها أرفع من أن يشرك من لم تثبت له مع الثابتة نبوته في مزيته وخصوصيتها ونعتها ، فهذا هو سر تعيين  
 الأنبياء وتعميم الملوك ، والله أعلم .

وإن جعل كلاما معترضاً فلا محل له . فإن قلت : من أين علم أنهم غالبون ؟ قلت : من جهة إخبار موسى بذلك . وقوله تعالى ﴿ كتب الله لكم ﴾ وقيل ، من جهة غلبة الظن وما تبتنا من عادة الله في نصرته رسوله ، وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر أعدائه ، وما عرفا من حال الجبابرة . والباب : باب قريتهم ﴿ لن ندخلها ﴾ نفى لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس . و ﴿ أبدا ﴾ تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاوّل . و ﴿ ما داموا فيها ﴾ بيان للأبد ﴿ فاذهب أنت وربك ﴾ يتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب <sup>(١)</sup> ولكن كما تقول : كلمته فذهب يجيبى ، تريد معنى الإرادة والقصد للجواب ، كأنهم قالوا : أريدنا قتالهم . والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء ، وقصدوا ذهابهما حقيقة بجملهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله عز وجل جهرة . والدليل عليه مقابلة ذهابهما بعودهم ويحكى أن موسى وهرون عليهما السلام خزا لوجوههما فذاهم لشدة ما ورد عليهما ، فموا برجمهما . ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله تعالى ( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ) .

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَيَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ٢٥  
قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ٢٦

لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به إلا هرون ﴿ قال رب إني لا أملك ﴾ لنصرة دينك <sup>(٢)</sup> ﴿ إلا نفسي وأخي ﴾ وهذا من البث والحزن والشكوى إلى الله والحسرة ورقة القلب التي بمنزلها تستجلب الرحمة وتستنزّل النصر

(١) قال محمود : ويتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن ... الخ ، قال أحد رحمه الله : يريد الزمخشري سألوا رؤية الله جهرة وهي محال مقلّا تمنّا منهم . وقد مر له ذلك ، وبيننا أن نلبسهم بذلك كان لعدم فهم الإيمان به على التعيين افتراضا وتقاعسا عن الحق في قوله ( لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة ) .

(٢) عاد كلامه . قال محمود : قال رب إني لا أملك لنصرة دينك إلا نفسي ... الخ ، قال أحد : وفي قول موسى عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء لبثنا عليه الصلاة والسلام : إني جربت بني إسرائيل وخبرتهم ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا تطيق ذلك . وتكريره هذا القول مرارا مصداق لما ذكره الزمخشري . وأما إن كان المراد بالرجلين غير يوشع وكالاب - وكانا من المالبقين الذين خافهم بنو إسرائيل - ويكون معنى يخافون أى يخافهم بنو إسرائيل - فالضمير على هذا يرجع إلى بني إسرائيل ، والعائد محذوف وهو المفعول . فقل هذا لا شك أن هذين الرجلين ليسا من بني إسرائيل المكتوب عليهم قتال العالقة . وإنما عنى موسى عليه السلام : إني لا أملك من بني إسرائيل المفروض عليهم القتال أمر أحد إلا نفسي وأخي ، والله أعلم .

ونحوه قول يعقوب عليه السلام (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله). وعن علي رضي الله عنه أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة إلى قتال البغاة، فما أجابه إلا رجلان فتنفس الصعداء<sup>(١)</sup>. ودعا لهما وقال: أين تقعان بما أريد؟ وذكر في إعراب، أخى، وجوه: أن يكون منصوباً عطفاً على نفسى أو على الضمير في «إني»، بمعنى: ولا أملك إلا نفسى<sup>(٢)</sup> وإن أخى لا يملك إلا نفسه. ومرفوعاً عطفاً على محل إن واسمها. كأنه قيل: أنا لا أملك إلا نفسى، وهرون كذلك لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في لا أملك. وجاز للفصل. ومجوراً عطفاً على الضمير في نفسى، وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور<sup>(٣)</sup> إلا بتكرير الجار. فإن قلت: أما كان معه الرجلان المذكوران؟ قلت: كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما، لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم وقسوة قلوبهم، فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره. ويجوز أن يقول ذلك امرط ضجره عندما سمع منهم تقليداً لنبأ يوافقه. ويجوز أن يريد: ومن يؤاخيني على ديني (فأفارق) فأفصل (بيننا) وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق، وتحكم عليهم بما يستحقون، وهو في معنى الدعاء عليهم. ولذلك وصل به قوله (فإنها محزنة عليهم) على وجه التسليم، أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم، كقوله (ونجني من القوم الظالمين) (فإنها) فإن الأرض المقدسة (محزنة عليهم) لا يدخلونها ولا يملكونها، فإن قلت: كيف يوفق بين هذا وبين قوله (التي كتب الله لكم)؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل: فإنها محزنة عليهم. والثاني: أن يراد فإنها محزنة عليهم أربعين سنة، فإذا مضت الأربعون كان ما كتب، فقد روى أن موسى سار بمن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحا وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض صلوات الله عليه. وقيل: لما مات موسى بعث يوشع ندياً، فأخبرهم بأنه نبي الله، وأن الله أمره بقتال الجبابرة، فصدقوه وبايعوه وسار بهم إلى أريحا وقتل الجبارين وأخرجهم، وصار الشام كله لبني إسرائيل. وقيل: لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال (إنا لن ندخلها) وهلكوا في التيه ونشأت نواشي من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل في الظرف إما (محرمه) وإما (يتيمون) ومعنى (يتيمون في الأرض) يسIRON فيها متحيرين لا يهتدون طريقاً. والتيه: المغازاة التي يتاه فيها. روى أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فرائس يسIRON كل يوم جادين، حتى إذا سئموا وأمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه، وكان الغمام يظللهم

(١) قوله «فتنفس الصعداء» في الصحاح: الصعداء بالضم والمد تنفس محدوداه. (ع)

(٢) قوله «بمعنى لا أملك إلا نفسى» لعله بمعنى «إني لا أملك». وعبارة النفسى «أى إني لا أملك... الخ». (ع)

(٣) قوله «على ضمير المجرور» لعله على الضمير. (ع)

من حرّ الشمس ، ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم ، وينزل عليهم المن والسلوى ، ولا تطول شعورهم ، وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر بطول بطوله . فإن قلت : فلم كان ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون ؟ قلت : كما ينزل بعض النوازل على العصاة عراكا لهم<sup>(١)</sup> ، وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة . ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتنقف ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه . فإن قلت : هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام ؟ قلت : اختلف في ذلك ، فقيل لم يكونا معهم لأنه كان عقابا ، وقد طلب موسى إلى ربه أن يفرق بينهما وبينهم . وقيل : كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحا لهما وسلامة ، لا عقوبة ، كالنار لإبراهيم ، وملائكة العذاب . وروى أن هرون مات في التيه ، ومات موسى بعده فيه بسنة . ودخل يوشع أريحا بعد موته بثلاثة أشهر . ومات النقباء في التيه بغتة ، إلا كالب ويوشع (فلا تأس) فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم ، فقيل : إنهم أحقاء لفسقهم بالعذاب ، فلا تحزن ولا تندم .

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)  
إِن بَسَطَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رُبُّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمَانِي وَإِيمَانِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَالِيْتَا أُعْجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ

(١) قوله « عراكا لهم » في الصحاح : عركت الشيء دلكته . وعرك البعير جنبه برفقه . وفيه أيضا : الدعك مثل الدلك . وقد دعكت الأديم والحصم : لبنته . (ع)



أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَكُسِيرُونَ ﴿٣٢﴾

هما ابنا آدم لصلبه قاييل وهايل ، أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما نوامة الآخر ، وكانت نوامة قاييل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه وسخط . فقال لها آدم : قربا قربانا ، فن أيكما تقبل زوجا ، فقبل قربان هايل بأن نزلت نار فأكلته ؛ فازداد قاييل حسدا وسخطا ، وتوعده بالقتل . وقيل : هما رجلان من بني إسرائيل ﴿ بالحق ﴾ تلاوة ملتبسة بالحق والصحة . وأواتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الأولين ، أو بالغرض الصحيح وهو تقييح الحسد ؛ لأن المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغون عليه . وأواتل عليهم وأنت محق صادق . و﴿ لاذقربا ﴾ نصب بالنبأ ، أى قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت . ويجوز أن يكون بدلا من النبأ ، أى اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت ، على تقدير حذف المضاف . والقربان : اسم ما يتقرب به إلى الله من نسكك أو صدقة ، كما أن الحلوان اسم ما يحلى أى يعطى . يقال : قرب صدقة وتقرب بها ، لأن تقرب مطاوع قرب : قال الاصمعي : تقربوا قرف القمع<sup>(١)</sup> فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب . فإني قلت : كيف كان قوله ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ جوابا لقوله ﴿ لاقتلنك ﴾ ؟ قلت : لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذى حمله على توعده بالقتل قال له : إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى ، لا من قبلى ، فلم تقتلنى ؟ ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على نقوى الله التى هى السبب فى القبول ؟ فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان . وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متق ، فسا أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم . وعن عامر بن عبد الله : أنه بكى حين حضرته الوفاة ، فقيل له : ما يبكيك فقد كنت وكنت ؟ قال إني أسمع الله يقول ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ . ما أنا بياسط يدى إليك لاقتلك ؟ قيل : كان أقوى من القابل وأبطش منه ، ولكنه تخرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله ؛ لأن الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت . قاله مجاهد وغيره ﴿ إني أرى - أن تبوء يا إثمى وإثمك ﴾ أن تحتل إثم قتلى لك لو قتلتك وإثم قتلك لى . فإني قلت : كيف يحمل إثم قتله له ولا نزر وازرة وزر أخرى ؟ قلت : المراد بمثل إثمى على الاتساع فى الكلام ، كما تقول : قرأت قراءة فلان ، وكتبت كتابته ، تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره .

(١) قوله « تقربوا قرف القمع » فى الصحاح : قرف القمير . والقمة رأس السنام ، والجمع قع . والقمع

أيضا : ثمرة تخرج فى شجر العين . (ع)

ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام ، المستبان ما قالوا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم <sup>(١)</sup> ، على أن البادى عليه إثم سبه ، ومثل إثم سب صاحبه ؛ لأنه كان سببا فيه ، إلا أن الإثم محطوط عن صاحبه معفو عنه ، لأنه مكافئ مدافع عن عرضه . ألا ترى إلى قوله « ما لم يعتد المظلوم » لأنه إذا خرج من حد المكافأة واعتدى لم يسلم . فإن قلت : لخير كف هاويل قتل أخيه واستسلم وتخرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع ، فأين الإثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الإثمان ؟ قلت : هو مقدر فهو يتحمل مثل الإثم المقدر ، كأنه قال : إني أريد أن تبوء بمثل إثمى لو بسطت يدي إليك . وقيل (ياثمى) ياتهم قتلى (وإثمك) الذى من أجله لم يتقبل قربانك . فإن قلت : فكيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه <sup>(٢)</sup> بالنار ؟ قلت : كان ظلما وجزاء الظالم حسن جاز أن يراد . ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ وذلك جزاء الظالمين ﴾ وإذا جاز أن يريده الله ، جاز أن يريده العبد ؛ لأنه لا يريد إلا ما هو حسن <sup>(٣)</sup> . والمراد بالإثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب . فإن قلت : لم جاء الشرط بلفظ الفعل <sup>(٤)</sup> والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله (لئن بسطت .....

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة . والبخارى في الأدب المفرد عن أنس نحوه .

(٢) قال محمود : « إن قلت : كيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه ... الخ ، قال أحمد : وهذا من دسه للمعتد الفاسد في بيان كلامه ، والفاسد من هذا اعتقاده أن في الكائنات ما ليس مراداً لله تعالى وتلك القبائح بجملتها ، فانها على زعمه واقعة على خلاف المشيئة الربانية ، وهذا هو الشرك الخفى ؛ فإياك أن تحوم حول شركه والبيضاء لله فأما إرادته لإثم أخيه وعقوبته فعناء : إني لا أريد أن أقتلك فأعاقب ، ولما لم يكن بد من إرادة أحد الأمرين : إما إثم بتقدير أن يدفع عن نفسه فيقتل أخاه ، وإما إثم أخيه بتقدير أن يستسلم وكان غير مرید للأول اضطر إلى الثاني ، فلم يرد إذا إثم أخيه لعينه ، وإنما أراد أن الإثم هو بالمدافعة المؤدية إلى القتل ولم تكن حيث مشروعة فلم من ذلك إرادة إثم أخيه . وهذا كما يمتنع الإنسان الشهادة . ومعناها أن يوء الكافر بقتله وبما عليه في ذلك من الإثم ، ولكن لم يقصد هو إثم الكافر لعينه ، وإنما أراد أن يذل نفسه في سبيل الله رجاء إثم الكافر بقتله ضمنا وتبعا . والذي يدل على ذلك أنه لا فرق في حصول درجة الشهادة ، وفضيلتها بين أن يموت القاتل على الكفر ، وبين أن يحتم له بالإيمان فيحبط عنه إثم القتل الذى به كان الشهيد شهيدا ، أعنى بقى الإثم على قاتله أو حبط عنه إذ ذلك لا ينقص من فضيلة شهادته ولا يزيداها ، ولو كان إثم الكافر بالقتل مقصودا لاختلف التنبى باعتبار بقاءه وإحباطه فدل على أنه أمر لازم تبع لا مقصود . والله أعلم .

(٣) قوله « لأنه لا يريد إلا ما هو حسن » هذا مذهب المعتزلة أما عند أهل السنة ، فأنه يريد كل كائن حسنا كان أو قبيحا كما تقرر في علم التوحيد . (ع)

(٤) عاد كلامه . قال : « فإن قلت : لم جاء الشرط بصيغة الفعل والجزاء باسم الفاعل ... الخ ، قال أحمد : وإنما امتاز اسم الفاعل عن الفعل بهذه الخصوصية من حيث أن صيغة الفعل لا تعطى سوى حدوث معناه من الفاعل لاغير . وأما انصاف الذات به فذاك أمر يعطيه اسم الفاعل . ومن ثم يقولون : قام زيد فهو قائم ، فيجمعون انصافه بالقيام ناشئا عن صدور منه ، ولهذا المعنى قوله تعالى (لتكونن من المرجومين) عدولا عن الفعل الذى هو لترجمك إلى الاسم تغليظا . يعنون أنهم يجعلون هذه لثبوتها وقوعها به كالأسماء والعلامات الثابتة ، ولا يقتصر على مجرد إيقاعها به .

ما أنا بياسط)؟ قلت: ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع. ولذلك أكدته بالباء المؤكدة للنفي، (فطوعت له نفسه قتل أخيه) فوسعته له ويسرته، من طاع له المرتع: إذا اتسع. وقرأ الحسن: فطاوعت. وفيه وجهان: أن يكون مجاء من فاعل بمعنى فاعل، وأن يراد أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع، وله لزيادة الربط كقولك: حفظت لزيد ماله. وقيل: قتل وهو ابن عشرين سنة، وكان قتله عند عقبة حراء، وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم (فبعث الله غراباً) روى أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بنى آدم. ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به، تخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أرواح وعكفت عليه السباع، فبعث الله غرابين فاقتلا فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة (قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) ويروى أنه لما قتله أسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال: ما كنت عليه وكيلاً؛ فقال بل قتلتك ولذلك أسود جسديك. وروى أن آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك، وأنه رثاه بشعر، وهو كذب بحت، وما الشعر إلا منحول ملحون. وقد صح أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر. (ليريه) ليريه الله. أو ليريه الغراب، أي ليعلمه؛ لأنه لما كان سبب تعليمه، فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز (سواء أخيه) عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده. والسواة: الفضيحة لقبها. قال:

\* يَا لَقَوْمٍ لِّلسَّوَاةِ السُّوَاةُ \* (١)

أي للفضيحة العظيمة فكفى بها عنها (فاواري) بالنصب على جواب الاستفهام. وقرئ بالسكون على: فأنأ أواري. أو على التسكين في موضع النصب للتخفيف (من النادمين) على قتله، لما تعب فيه من حمله وتحيره في أمره، وتبين له من عجزه، وتلذه للغراب، وأسوداد لونه وسخط أبيه، ولم يندم ندم التائبين (من أجل ذلك) بسبب ذلك وبعلته. وقيل: أصله من أجل شرا إذا جنأ يأجله أجلا. ومنه قوله:

وَأَهْلٍ خِبَاءٍ صَالِحٍ ذَاتُ يَنِينِهِمْ قَدْ احْتَرَبُوا فِي عَاجِلٍ أَنَا آجِلُهُ (٢)

(١) قوله: يا لقوم، يروى يا لقومي. (ع)

(٢) وأهل خباء صالح ذات ينينهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله  
فأقبلت في الباغين أسأل عنهم سؤالك بالأمر الذي أنت جاهله

لخوات بن جبير، يصف نفسه بأنه مهياج للشروع والحروب، يقول: ورب أهل خباء، أي بيوت متلاصقة كأنها بيت واحد. أو كنى به عن تقاربهم في النصب صالح ذات ينينهم، أي الحال التي بينهم صالحة، قد تعاربا بسبب شرا عاجل أنا آجله أي جانبه قبل الحرب ومهيجه. وفيه شبه التضاد. ويقال: أجل الشر أجلا إذا جنأ ومهيجه، =

كَأَنكَ إِذَا قُلْتَ: مَنْ أَجْلَكَ فَعَلْتَ كَذَا، أَرَدْتَ مِنْ أَنْ جَنَيْتَ فَعَلَهُ وَأَوْجَبْتَ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُمْ: مَنْ جَرَاكَ فَعَلْتَهُ، أَيْ مِنْ أَنْ جَرَرْتَهُ بِمَعْنَى جَنَيْتَهُ. وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْقَتْلِ الْمَذْكُورِ، أَيْ مِنْ أَنْ جَنَى ذَلِكَ الْقَتْلَ السَّكْتِ وَجَزَّهُ ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وَدَمْنًا، لَا بَتْدَاءَ الْغَايَةِ، أَيْ ابْتَدَأَ وَالسَّكْتُ نَشْأُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ. وَيُقَالُ: فَعَلْتَ كَذَا لِأَجْلِ كَذَا. وَقَدْ يُقَالُ: أَجَلَ كَذَا، بِحَذْفِ الْجَارِ وَإِصَالِ الْفِعْلِ قَالَ: أَجَلَ أَنْ اللَّهَ قَدْ فَضَّلَكُمْ. وَقُرِئَ: مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ النَّونِ لِإِلْقَاءِ حَرَكَتِهَا عَلَيْهَا. وَقُرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَهِيَ لُغَةٌ فَإِذَا خَفَفَ كَسْرُ النَّونِ مَلَقِيًا لِكَسْرِ الْهَمْزَةِ عَلَيْهَا ﴿بَغِيرَ نَفْسٍ﴾ بِغَيْرِ قَتْلِ نَفْسٍ، لَا عَلَى وَجْهِ الْاِقْتِصَاصِ ﴿أَوْ فُسَادٍ﴾ عَطَفَ عَلَى نَفْسٍ بِمَعْنَى أَوْ بِغَيْرِ فُسَادٍ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وَهُوَ الشَّرْكُ. وَقِيلَ: قَطَعَ الطَّرِيقَ ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ وَمَنْ اسْتَنْقَذَهَا مِنْ بَعْضِ أَسْبَابِ الْهَلَاكِه قَتْلٍ أَوْ غَرَقٍ أَوْ حَرَقٍ أَوْ هَدْمٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ شَبَّهَ الْوَاحِدَ بِالْجَمْعِ وَجَعَلَ حُكْمَهُ كَحُكْمِهِمْ؟ قُلْتَ: لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَدُلُّ بِمَا يَدُلُّ بِهِ الْآخَرُ مِنَ السَّكْرَامَةِ عَلَى اللَّهِ وَثُبُوتِ الْحَرَمَةِ، فَإِذَا قَتَلَ فَقَدْ أَهَيْنَ مَا كَرَّمَ عَلَى اللَّهِ وَهَتَكَتْ حَرَمَتَهُ وَعَلَى الْعَكْسِ، فَلَا فَرْقَ إِذَا بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ فِي ذَلِكَ. فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا الْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ ذَلِكَ؟ قُلْتَ: تَعْظِيمُ قَتْلِ النَّفْسِ وَإِحْيَائِهَا فِي الْقُلُوبِ لِيُشَمِّتَ النَّاسُ عَنِ الْجَسَارَةِ عَلَيْهَا، وَيَتَرَاغَبُوا فِي الْحَمَامَةِ عَلَى حَرَمَتِهَا: لِأَنَّ الْمُتَعَرِّضَ لِقَتْلِ النَّفْسِ إِذَا تَصَوَّرَ قَتْلَهَا بِصُورَةِ قَتْلِ النَّاسِ جَمِيعًا عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَشَبَّهَ، وَكَذَلِكَ الَّذِي أَرَادَ إِحْيَاءَهَا. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: قَاتَلَ النَّفْسَ جَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ، وَغَضَبَ اللَّهُ، وَالْعَذَابُ الْعَظِيمُ. وَلَوْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا لَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ. وَعَنْ الْحَسَنِ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَرَأَيْتَ لَوْ قَتَلْتَ النَّاسَ جَمِيعًا أَكُنْتَ تَطْمَعُ أَنْ يَكُونَ لَكَ عَمَلٌ يَوَازِي ذَلِكَ فَيَغْفِرَ لَكَ بِهِ؟ كَلَّا إِنَّهُ شَيْءٌ سَوَّلَتْهُ لَكَ نَفْسُكَ وَالشَّيْطَانُ، فَكَذَلِكَ إِذَا قَتَلْتَ وَاحِدًا ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بَعْدَ مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ وَبَعْدَ مَجِيءِ الرِّسَالِ بِالْآيَاتِ ﴿لِمُسْرِفُونَ﴾ يَعْنِي فِي الْقَتْلِ لَا يَبَالُونَ بِعَظَمَتِهِ

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٤)

فَحَارِبَتِهِمْ كَانَتْ مِنْ أَجْلِهِ وَبِسَبِيهِ، فَأَخَذُوا الْبَاغُونَ لِلشَّرِّ، فَأَقْبَلَتْ أَسْأَلُ عَنْهُمْ، كَمَا أَنَّكَ بِالْأَمْرِ: أَيْ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُهُ، أَفَأَدَّبَا نَفْسِيهِ أَنْ كَانَ لَيْسَ جَاهِلًا بِهِمْ حِينَ سَوَّلَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ يَرِيهِمْ أَنَّهُ مَعَهُمْ وَعَبَّ لَمْ يَلْعَنُوهُمْ.

(يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يُحَارِبُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَارِبَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي حَكْمِ حَارِبَتِهِ (وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا) مُفْسِدِينَ، أَوْ لِأَنَّهُ سَعِيهِمْ فِي الْأَرْضِ لَمَّا كَانَ عَلَى طَرِيقِ الْفَسَادِ نَزَلَ مَنْزِلَةً: وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَانْتَصَبَ فَسَادًا عَلَى الْمَعْنَى، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لَهُ، أَيْ لِلْفَسَادِ. نَزَلَتْ فِي قَوْمِ هَلَالِ بْنِ عَوِيْمٍ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ وَقَدْ مَرَّ بِهِمْ قَوْمٌ يَرِيدُونَ رَسُولَ اللَّهِ فَقَطَعُوا عَلَيْهِمْ. وَقِيلَ: فِي الْعَرَبِيِّينَ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْقَتْلِ وَأَخَذَ الْمَالَ قَتْلًا وَصَلَبًا وَمَنْ أَفْرَدَ الْقَتْلَ قَتْلًا. وَمَنْ أَفْرَدَ أَخْذَ الْمَالِ قَطَعَتْ يَدُهُ لِأَخْذِ الْمَالِ، وَرَجُلُهُ لِإِخَافَةِ السَّيْلِ. وَمَنْ أَفْرَدَ الْإِخَافَةَ نَفَى مِنَ الْأَرْضِ. وَقِيلَ: هَذَا حَكْمُ كُلِّ قَاطِعِ طَرِيقٍ كَافِرًا كَانَ أَوْ مُسْلِمًا. وَمَعْنَاهُ (أَنْ يَقْتُلُوا) مَنْ غَيْرِ صَلْبٍ، إِنْ أَفْرَدُوا الْقَتْلَ (أَوْ يَصْلُبُوا) مَعَ الْقَتْلِ إِنْ جَمَعُوا بَيْنَ الْقَتْلِ وَالْأَخْذِ. قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمُحَمَّدٌ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، يَصْلُبُ حَيًّا، وَيَطْعَنُ حَتَّى يَمُوتَ (أَوْ تَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ) إِنْ أَخَذُوا الْمَالَ (أَوْ يَنْفُوا مِنَ الْأَرْضِ) إِذَا لَمْ يَزِيدُوا عَلَى الْإِخَافَةِ. وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ الْحَسَنُ وَالتَّحْمِي: أَنَّ الْإِمَامَ يُخَيِّرُ بَيْنَ هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ فِي كُلِّ قَاطِعِ طَرِيقٍ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ. وَالتَّحْمِي: الْحَبْسُ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: النَّفْيُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ يَطْلُبُ وَهُوَ هَارِبٌ فِرْعَا، وَقِيلَ: يَنْفَى مِنْ بَلَدِهِ، وَكَانُوا يَنْفُونَهُمْ إِلَى دِهْلَكٍ، وَهُوَ بَلَدٌ فِي أَقْصَى تِهَامَةٍ، وَدَنَاصِعٍ، وَهُوَ بَلَدٌ مِنْ بِلَادِ الْحَبَشَةِ (خَزْيٌ) ذَلٌّ وَفُضِيحَةٌ (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْمَعَاقِبِينَ عِقَابَ قَطْعِ الطَّرِيقِ خَاصَّةً. وَأَمَّا حَكْمُ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ وَأَخْذِ الْمَالِ فَإِلَى الْأَوَّلِيَاءِ، إِنْ شَآؤُوا عَفَا، وَإِنْ شَآؤُوا اسْتَوْفُوا. وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ الْحَرْثُ بْنُ بَدْرٍ (١) جَاءَهُ تَائِبًا بَعْدَ مَا كَانَ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ، فَقَبِلَ تَوْبَتَهُ وَدَرَأَ عَنْهُ الْعُقُوبَةَ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَهَ الْوَسِيلَةِ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾

الوسيلة: كل ما يتوسل به أى يتقرب من قرابة أو صنعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي. وأنشد للبيد:

أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَرُ أَمْرِهِمْ      أَلَا كُلُّ ذِي لُبٍّ إِلَى اللَّهِ وَاسِلٌ (٢)

(١) أخرجه ابن أبي شيبة من رواية مجاهد عن الشعبي. قال: كان حارثة بن بدر التيمي قد أفسد في الأرض وحارب، فذكر قصة هذا فيها.

(٢) ألا تسألان المرء ماذا يحاول  
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم  
ألا كل شيء ما خلا الله باطل  
أحب فيقضي أم ضلال وباطل  
ألا كل ذي لب إلى الله واسل  
وكل نعم لا محالة زائل

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٧﴾

(ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لأنفسهم. وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم، وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم «يقال للكافر يوم القيامة: أرايت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به، فيقول: نعم، فيقال له: قد سئلت أيسر من ذلك» (٢) «ولو، مع ما في حيزه خبر» أن، فإن قلت: لم وحد الراجع في قوله (ليفتدوا به) وقد ذكر شيثان؟ قلت: نحو قوله:

فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ \* (٤)

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الأنامل =  
للبيد بن ربيعة العامري. وهمة الاستفهام التي بعدها النبي للتحضيض على الفعل، أي: سلا وقولاه: ما الذي تريده وتجهد نفسك في تحصيله؟ وعبر بلفظ الغيبة نظراً للفظ المرقى. وخطاب المثنى عادة جارية على لسان العرب، وإن كان المراد غيره. وقوله «أعجب، بدل دماء» والتعب: النذر والحد والسرعة، كما أن التعب - بالعين - : السرعة، أي أغرض صحيح فيقضى له، أم باطل فلا ينبغي؟ أو المعنى: أثنى أوجه على نفسه فهو يسعى في قضاءه، أم ضلال؟ وعلى كل فلا ينبغي: وقوله «ما قدر أمرهم» أي ما الذي هم فيه من شؤن الدنيا وسرعة فنائها. ودألاء، استفحاجة وكل ذي لب، أي عقل واصل، إلى الله لا إلى غيره، أي متوسل به ومتلجج. إليه من شر الدنيا وشر من لا يعقل، أو متقرب إليه بما ينفعه. ويروي «دلى كل»، وهي أوقع معنى، لأنها رد لدعوى تعميم السابقة. ويروي «واصل» بالصاد، أي صائر أو متوجه بكلية. ويجوز فيه وفي واصل أنها بمعنى متقرب إلى الله بالطاعة، لا مشغول بالدنيا الفانية كغيره من الجهال. ودباطل، خبر كل شيء. و«ذائل»، خبر كل نعيم. و«لا محالة» اعتراض مؤكّد. ودالويبة، تصغير الداهية وهي المنية، بقرينة ما بعد. وتصغيرها للتعظيم والتحويل، أول التحقير على زعم الناطلين المتهاولين، و«متفق عليه» من رواية قتادة عن أنس رضي الله عنه.

(١) متفق عليه من رواية قتادة عن أنس رضي الله عنه  
(٢) دحاك الحموي والشوق لما ترنحت

تجاوزها ورق أصخن لصوتها فكل لكل مسعد وجيب  
فمن بك أمسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب

لضاري بن الحرث البرجي حين حبسه عثمان لما هجا بني نضل. والترنخ: التنايل. ويروي «ترنمت» أي تغنت بحسن صوتها. وهتفت الحاماة إذا غردت، فهي هتوف أي مفردة. و«بين» ظرف للترنخ. و«طروب» مبالغة في الطرب، بوصف به المذكر والمؤنث، كهتوف. وهو فاعل، وهتوف حال؛ وإضافته لتفسيده التعريف في المعنى. ويجوز رفعه على أنه فاعل، وطروب تامة؛ لأنه وصف مضاف فلا تعريف له في اللفظ أيضاً. ودالورق، جمع ورقاء نوع من الحمام. و«أصخن» من واستمعن. ويروي «أرعن»، ولم أجد في كتب اللغة «رعن» إلا بمعنى ذك ونهى، ففعل معناه نطق على الجواز. ويروي «ومن بك» بالواو. ومرفوع «أسمى» ضمير «من». وجملة «بالمدينة رحله» خبره، والجملة خبر يكن. ويجوز أن مرفوعه هو رحله، وجواب الشرط محذوف، أي =

أو على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة ، كانه قيل : ليفتدوا بذلك . ويجوز أن يكون الواو في ( مثله ) بمعنى « مع » فيتوحد المرجوع إليه . فإن قلت : فبم ينصب المفعول معه ؟ قلت : بما يستدعيه « لو » من الفعل ، لأن التقدير : لو ثبت أن لهم ما في الأرض . قرأ أبو واقد ( أن يخرجوا ) بضم الياء من أخرج . ويشهد لقراءة العامة قوله ( بخارجين ) . وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس : يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار <sup>(٢)</sup> وقد قال الله تعالى ( وما هم بخارجين منها ) فقال : ويحك ، اقرأ ما فوقها . هذا للكفار . فما لفقته المجبرة <sup>(٣)</sup> وليس بأول تكاذيبهم وفراهم . وكفالك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بين أظهر أعضاده من قريش وأنضاده <sup>(٤)</sup> من بني عبد المطلب وهو حبر الأمة وبحرها ومفسرها ، بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أهل الدنيا ، ويرفعه إلى عكرمة دليلين ناصين أن الحديث فرية ما فيها مرية .

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠)

== ومن أمسى رحله بالمدينة حسن حاله ، بخلاف حاله ، فاق غريب لأن رحلي - أى منزلي - ليس فيها ، وإنما فيها أنا وفرسى فقط . و « قيار » اسم فرسه . وقيل جملة . وقيل غلامه . وهو مبتدأ أو معطوف على محل اسم « إن » حذف خبره اختصاراً لدلالة المذكور عليه ، فالمعطف من عطف الجمل أو المفردات . وفيه العطف قبل تمام المعطوف عليه ، لكنه على نية التقديم والتأخير ، وهو سماعى لا يجوز القياس عليه ، ولا يجوز جعل الغريب خبراً عنهما لثلاث يتوارد عاملان على معمول واحد ، ولا جملة خبراً عن قيار ؛ لأن لام الابتداء لا تدخل على الخبر المؤخر . والبيت لفظه خبر ، ومعناه إنشاء التحسر والتحزن ، لكونه غريباً وحيداً .

(١) قال محمود : « وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار ... الخ » قال أحمد : في هذا الفصل من كلامه وتمشده بالسفاهة على أهل السنة ورواهم بما لا يقولون به من الأخبار بالكذب والتخليق والافتراء ما يحكي الكيد المملوء بحب السنة وأهلها على الانتصاب للاتصاف منه ، ولنا بصدق تصحيح هذه الحكاية ، ولاوقف الله صحة العقيدة على صحتها .

(٢) لم أجده . وقد أنكره صاحب الكشف وقال : هذا مما لفقه المجبرة . وليس أول تكاذيبهم إلى آخر كلامه

(٣) قوله « فما لفقته المجبرة » يعنى أهل السنة القائلين بخروج صاحب الكبيرة من النار لأنه مؤمن خلافاً للمعتزلة القائلين لا مؤمن ولا كافر بل واسطة . وتحقيق المبحث في علم التوحيد . (ع)

(٤) قوله « وأنضاده » في الصحاح : أنضاد الرجل ، أمهاته وأخواله المتقدمون في الشرف . (ع)

(والسارق والسارقة) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف <sup>(١)</sup> عند سيبويه ، كأنه قيل : وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أى حكمهما . ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء ، والخبر (فاقطعوا أيديهما) ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط ، لأن المعنى : والذي سرق والتي سرت فاقطعوا أيديهما ، والاسم الموصول يضمن معنى الشرط . وقرأ عيسى بن عمر بالنصب ، وفضلها سيبويه على قراءة العامة لأجل الأمر لأن زيداً فاضربه ، أحسن من « زيد فاضربه » (أيديهما) أيديهما ، ونحوه (فقد صنعت قلوبكما) اكتفى بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف . وأريد باليدين

(١) قال محمود : « رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه . . . الخ ، قال أحمد : المستقرأ من وجوه القراءات أن العامة لا تتفق فيها أبداً على العدول عن الإفصح . وجدير بالقرآن أن يجرى على أفصح الوجوه ، وأن لا يخلو من الإفصح وما يشتمل عليه كلام العرب الذي لم يصل أحد منهم إلى ذروة فصاحته ولم يتعلق بأهدها . وسيبويه يحاشي من اعتقاد عراء القرآن عن الإفصح ، واشتغاله على الشاذ الذي لا يعد من القرآت . ونحن نورد الفصل من كلام سيبويه على هذه الآية لينضح لسامعه برامة سيبويه من عهدة هذا النقل . قال سيبويه - في ترجمة باب الأمر والتمى ، بعد أن ذكر المواضع التي يختار فيها النصب - : ومخلصها أنه متى بنى الاسم على فعل الأمر فذاك موضع اختيار النصب ، ثم قال : كالموضح لامتياز هذه الآية عما اختار فيها النصب . وأما قوله عز وجل (والسارق والسارقة فاقطعوا . . . الآية) وقوله ( الزانية والزاني فاجلدوا . . . ) فإن هذا لم يبن على الفعل ، ولكنه جاء على مثال قوله (مثل الجنة التي وعد المتقون) ثم قال بعد ( فيها أنهار ) فيها كذا . . . قلت : يريد سيبويه تمييز هذه الآي عن المواضع التي يبن اختيار النصب فيها ، ووجه التمييز بأن الكلام حيث يختار النصب يكون الاسم فيها مبنيًا على الفعل . وأما في هذه الآي فليس يبنى عليه ، فلا يلزم فيه اختيار النصب . عاد كلامه . قال : وإنما وضع المثل للحديث الذي ذكر بعده فذكر أخباراً وقصصاً ، فسكأنه قال : ومن القصص مثل الجنة ، فهو محمول على هذا الاضمار والله أعلم . وكذلك الزانية والزاني لما قال جل ثناؤه (سورة أنزلناها وفرضناها) قال في جملة الفرائض ( الزانية والزاني) ثم جاء (فاجلدوا) بعد أن مضى فيها الرفع . قلت : يريد سيبويه : لم يكن الاسم مبنيًا على الفعل المذكور بعد ، بل بنى على محذوف متقدم وجاء الفعل طارثاً . عاد كلامه . قال : كما جاء • وقائلة خولان فانكح فئاتهم • فجاء بالفعل بعد أن عمل فيه المضمر ، وكذلك ( والسارق والسارقة ) وفيما فرض عليكم السارق والسارقة ، فانما دخلت هذه الأسماء بعد قصص وأحاديث . وقد قرأ ناس ( السارق والسارقة ) بالنصب وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة ، ولكن أبت العامة إلا الرفع ، قلت : يريد سيبويه أن قراءة النصب جاء الاسم فيها مبنيًا على الفعل ، غير معتمد على متقدم ، فكان النصب قويا بالنسبة إلى الرفع ، حيث يبنى الاسم على الفعل لا على متقدم ، وليس يعنى أنه قوى بالنسبة إلى الرفع حيث يعتمد الاسم على المحذوف المتقدم ، فانه قد بين أن ذلك يخرج من الباب الذي يختار فيه النصب ، فكيف يفهم عنه ترجيحه عليه ، والباب مع القراءتين مختلف . وإنما يقع الترجيح بعد التساوي في الباب فالنصب أرجح من الرفع ، حيث يبنى الاسم على الفعل والرفع متعين ، لا أقول أرجح حيث بنى الاسم على كلام متقدم ، ثم حقق سيبويه هذا المقدور بأن الكلام واقع بعد قصص وأخبار ، ولو كان كما ظنه الزخشرى لم يحتاج سيبويه إلى تقدير ، بل كان يرفعه على الابتداء ويجعل الأمر خبره كما أعربه الزخشرى ، فالمخلص على هذا أن النصب على وجه واحد وهو بناء الاسم على فعل الأمر ، والرفع على وجهين : أحدهما ضعيف وهو الابتداء ، وبناء الكلام على الفعل ، والآخر قوى بالغ كوجه النصب ، وهو رفعه على خبر ابتداء محذوف دل عليه السياق ، وحيثما تعارض لنا وجهان في الرفع وأحدهما قوى والآخر ضعيف ، تعين حل القراءة على القوى كما أعربه سيبويه رضى الله عنه . والله تعالى أعلم .



اليمينان ، بدليل قراءة عبدالله : والسارقون والسارقات فاقطعوا أيماهم ، والسارق في الشريعة : من سرق من الحرز : والمقطع . الرسخ . وعند الخوارج : المنكب . والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند أبي حنيفة ، وعند مالك والشافعي رحهما الله ربع دينار . وعن الحسن درهم وفي مواضعه : احذر من قطع يدك في درهم (جزاء) و(نكالا) مفعول لهما (فمن تاب) من السرّاق (من بعد ظله) من بعد سرقته (وأصلح) أمره بالنصي عن التبعات (فإن الله يتوب عليه) ويسقط عنه عقاب الآخرة . وأما القطع فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي في أحد قوليّه تسقطه (من يشاء) من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصريين والتائبين . وقيل : يسقط حدّ الحرّ إذا سرق بالتوبة ، ليكون أدعى له إلى الإسلام وأبعد من التنفير عنه ، ولا يسقطه عن المسلم <sup>(١)</sup> : لأن في إقامته الصلاح للؤمنين والحياة (ولكم في القصاص حياة) . فإن قلت : لم قدم التعذيب على المغفرة <sup>(٢)</sup> ؟ قلت : لأنه قبل بذلك تقدم السركة على التوبة .

بِأَيِّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا مَمْشِعُونَ لِلْكَذِبِ مَمْشِعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتَوْكَ بِتُحْرَفُونَ السَّكِيمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ

فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١)

فرئ (لا يحزنك) بضم الياء . ويسرعون . والمعنى : لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين (في الكفر) أي في إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاته المشركين ، فإنني ناصرك عليهم وكافيك شرهم . يقال : أسرع فيه الشيب ، وأسرع فيه الفساد ، بمعنى : وقع

(١) قوله « ولا يسقطه عن المسلم ، لعله « ولا يسقط » أو « ولا تسقطه » . (ع)

(٢) قال محمود : « فإن قلت لم قدم التعذيب على المغفرة ... الخ ، قال أحد : هو مبنى على أن المراد بالمغفور لم التائبون ، وبالمعذبين السراق . ولا يجعل المغفرة تابعة للعبثية إلا بقيد التوبة ، لأن غير التائب على زعمه لا يجوز أن يشاء الله المغفرة له ، فلذلك ينزل الاطلاق على المتقدم ذكره . ونحن نعتقد أن المغفرة في حق غير التائب من الموحدين تتبع العبثية ، حتى أن من جملة ما يدخل في عموم قوله (ويغفر لمن يشاء) السارق الذي لم يتب . وعلى هذا يكون تقديم التعذيب لأن السياق للوعيد فيناسب ذلك تقديم ما يليق به من الزواجر والله أعلم .

فيه سريعا ، فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم وتهيأتهم فيه ، أسرع شئ . إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها . و ( آمننا ) مفعول قالوا . و ( بأفواههم ) متعلق بقالوا لا بأسنا ( ومن الذين هادوا ) منقطع بما قبله خبر لسماعون ، أى : ومن اليهود قوم سماعون . ويجوز أن يعطف على ( من الذين قالوا ) ويرفع سماعون على : هم سماعون . والضمير للفرقيين . أو للذين هادوا . ومعنى ( سماعون للكذب ) قابلون لما يفتره الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان . ومنه وسمع الله لمن حمده ، ( سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ) يعنى اليهود الذين لم يصلوا إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجاؤا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة ، أى قابلون من الاحبار ومن أولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرُونَ أن ينظروا إليك . وقيل : سماعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل أن يكذبوا عليه بأن يمسخوا ماسمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير ، سماعون من رسول الله لأجل قوم آخرين من اليهود وجوهرهم عيوننا ليلغوهم ما سمعوا منه . وقيل : السماعون : بنو قريظة . والقوم الآخرون : يهود خيبر ( يحرفون الكلم ) يميأونه ويزيلونه ( عن مواضعه ) التى وضعه الله تعالى فيها ، فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع ( إن أو تقيم هذا ) المحرف المزال عن مواضعه ( نخذوه ) واعلموا أنه الحق واعملوا به ( وإن لم تؤتوه ) وأفناكم محمد بخلافه ( فاحذروا ) وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال . وروى أن شريفاً من خير زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم فى التوراة ، فسكرهما رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطاً منهم إلى نبي قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقالوا : إن أمركم محمد بالجلد والتحميم<sup>(١)</sup> فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا ، وأرسلوا الزانيين معهم ، فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل : اجعل بينك وبينهم ابن سوريا ، فقال هل تعرفون شاباً أمرداً أبيض أعور يسكن فذك يقال له ابن سوريا ؟ قالوا : نعم وهو أعلم يهودى على وجه الأرض ورضوا به حكماً . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنشدك الله الذى لا إله إلا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذى أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه ، هل تجدون فيه الرجم على من أحصن ؟ قال : نعم ، فوثب عليه سفلة اليهود ، فقال : خفت إن كذبت أنه أنزل علينا العذاب . ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله النبي الأمي العربي الذى بشر به المرسلون ، وأمر رسول الله صلى

(١) قوله هو التحميم ، أى التسويد . وفى الصحاح بالجمة بالضم : السواد . (ع)

الله عليه وسلم الزانين<sup>(١)</sup> فرجا عند باب مسجده<sup>(٢)</sup> ﴿ومن يرد الله فتنته﴾ تركه مفتونا<sup>(٣)</sup> وخذلانه<sup>(٤)</sup> ﴿فلن تملك له من الله شيئا﴾ فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا ﴿أولئك الذين لم يرد الله﴾ أن يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم ؛ لأنهم ليسوا من أهلها ، لعلهم أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم) .

سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصْرِوْكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةَ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾

﴿السحت﴾ كل ما لا يحل كسبه ، وهو من - سحته - إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال تعالى : (يحق الله الربا) والربا باب منه . وقرئ (السحت) بالتخفيف والتثقيل . والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته . والسحت ، بفتحيتين . والسحت ، بكسر السين . وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام . وعن الحسن : كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه

(١) قوله «الزانين» لعله بالزانين ، (ع)

(٢) أخرجه ابن إسحاق في المغازي حدثني ابن شهاب سمعت رجلا من موية يحدث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة - فذكره ، دون أوله ، ودون قوله فيه : فقال له جبريل : اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال : هل تعرفون شابا أسرد أبيض أعور ، يسكن فوك . ودون ما في آخره . وكذا أخرجه البيهقي في الدلائل من رواية معمر عن الزهري مطولا - زاد فيه قصة الملك الذي كان زنى منهم فلم يرجوه ، وأصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة وغيره مختصرا .

(٣) قال محمود : «معنى ومن يرد الله فتنته : ومن يرد تركه مفتونا... الخ» قال أحمد رحمه الله : كم يبالغ في الحق أبلغ هذه الآية كما تراها منطوقة على عقيدة أهل السنة في أن الله تعالى أراد الفتنه من المفتونين ، ولم يرد أن يطهر قلوبهم من دنس الفتنه ووضر الكفر ، لا كما تزعم المعتزلة من أنه تعالى ما أراد الفتنه من أحد ، وأراد من كل أحد الايمان وطهارة القلب ، وأن الواقع من الفتن على خلاف إرادته ، وأن غير الواقع من طهارة قلوب الكفار مراد ولكن لم يقع ، فحسبهم هذه الآية وأمثالها ، لو أراد الله أن يطهر قلوبهم من وضر البدع . أفلا يدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها . وما أبتع صرف الزخشرى هذه الآية عن ظاهرها بقوله : لم يرد الله أن يمنحهم ألطافه ، لعله أن ألطافه لا تنجع فيهم ولا تنفع ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وإذا لم تنجع ألطاف الله تعالى ولم تنفع ، فلطف من ينفع وإرادة من تنجع ؟ وليس وراء الله الدرر مطمع .

(٤) قوله «تركه مفتونا وخذلانه» قدر هذا بناء على أنه تعالى لا يريد الشر عند المعتزلة لكن عند أهل السنة يريد الشر والخير كما حقق في محله . (ع)

أحدهم برشوة جعلها في كفه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه ، فيأكل الرشوة ويسمع الكذب . وحكى أن عاملاً قدم من عمله فجاءه قومه ، فقدم إليهم العراضة<sup>(١)</sup> وجعل يتحدثهم بما جرى له في عمله ، فقال أعرابي من القوم : نحن كما قال الله تعالى ( سماعون للكذب أكلون للسحت ) وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « كل لحم أنبته السحت فالتار أولى »<sup>(٢)</sup> . به ، قيل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيراً - إذا تحاكم إليه أهل الكتاب - بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم . وعن عطاء والنخعي والشعبي : أنهم إذا ارتفعوا إلى حكم المسلمين ، فإن شاءوا حكموا وإن شاءوا أعرضوا . وقيل : هو منسوخ بقوله ( وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ) وعند أبي حنيفة رحمه الله : إن احتكوا إلينا حملوا على حكم الإسلام ، وإن زنى منهم رجل بمسئلة أو سرق من مسلم شيئاً أقيم عليه الحد . وأما أهل الحجاز فإنهم لا يرون إقامة الحدود عليهم ، يذهبون إلى أنهم قد صلحوا على شركهم وهو أعظم الحدود . ويقولون : إن النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية ( فلن يضروك شيئاً ) لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم ، كالجلد مكان الرجم . فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم ، شق عليهم وتكروهوا إعراضه عنهم وكانوا خلقاء بأن يعادوه ويضاروه ، فأمن الله سربه ( بالنقسط ) بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم ( وكيف يحكمونك ) تعجيب من تحكيمهم

(١) قوله « فقدم إليهم العراضة » في الصحاح : العراضة - بالضم - : ما يعرض المائر ، أى يطعمه من الميرة . ويقال : اشتر عراضة لأهلك ، أى هدية وشياً تحمله إليهم . (ع)

(٢) أخرجه الحاكم من رواية زيد بن أرقم عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من نبت لحمه من السحت فالتار أولى به » وأخرجه ابن عدى في ترجمة عبد الواحد بن زعمة وضعف به وفي الباب عن معمر عند الطبراني وابن عدى في أثناء حديث وفيه يزيد بن عبد الملك التوفلى . وهو ضعيف . وعن حذيفة أخرجه إسحاق بن راهويه من طريق كردوس قال « خطب حذيفة بالمدين - فذكر الخطبة . وفيها الحديث ، بالفظ وليس لحم نبت من سحت فيدخل الجنة » وأخرجه الطبراني في الأوسط من رواية أيوب بن سويد عن الثوري عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة بالفظ « لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، التار أولى به » قال أبو حاتم في الملل : أخطأ أيوب بن سويد فيه . والصواب موقوف . وعن ابن عمر أخرجه الطبراني والحارثي في الغريب . وابن مردويه في الغريب من طريق عمر بن حمزة عنه . ورجاله ثقات إلا أن عمر لم يسمع من ابن عمر . وعن ابن عباس أخرجه الطبراني والبيهقي من وجهين ضعيفين . وروى الترمذى من حديث كعب بن عجرة في حديث طويل في آخره « يا كعب بن عجرة ، إنه لا يروى لحم نبت من سحت إلا وكانت النار أولى به » وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وسألت محمداً عنه فاستغفريه . وقال أبو يعلى من وجه آخر عن كعب بن عجرة ، وله شاهد فيه ابن حبان من رواية عبد الله بن خيثمة عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا كعب بن عجرة - فذكر مثله سواء ، وأخرجه أحمد وإسحاق والبخاري وأبو يعلى والحاكم من هذا الوجه ، وأخرجه الحاكم من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة . فذكر مثل حديث كعب بن عجرة وأنه صلى الله عليه وسلم خاطب به عبد الرحمن وسعيد بن بشير ضعيف .

لمن لا يؤمنون به وبكتابه ، مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به ﴿ ثم يتولون من بعد ذلك ﴾ ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به ﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾ بكتابهم كما يدعون . أو وما أولئك بالكاملين في الإيمان على سبيل التكم بهم . فإن قلت : ﴿ فيها حكم الله ﴾ ما موضعه من الإعراب ؟ قلت : إما أن ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم وإما أن يرتفع خبراً عنها كقولك : وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله وإما أن لا يكون له محل وتكون جملة مبينة ، لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم ، كما تقول : عندك زيد ينصحك ويشير عليك بأصواب ، فما تصنع بغيره ؟ فإن قلت : لم أنث التوراة ؟ قلت : لكونها نظيرة لموادة ودودة ونحوها في كلام العرب . فإن قلت : علام عطف ثم يتولون ؟ قلت : على يحكمونك .

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَهْدِيكُمْ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرُّبُوبِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَخْشَوْا اللَّهَ بَاطِنِي تَمَنَّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ فيها هدى ﴾ يهدي للحق والعدل ﴿ ونور ﴾ يبين ما استبهم من الأحكام ﴿ الذين أسلموا ﴾ صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح <sup>(١)</sup> ، كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة

(١) قال محمود : « قوله أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح ... الخ قال أحمد : وإنما بعته على حمل هذه الصفة على المدح دون التفصلة والتوضيح أن الأنبياء لا يكونون إلا متصفين بها ، فذكر النبوة يستلزم ذكرها . فن تم حملها على المدح . وفيه نظر ؛ فإن المدح إنما يكون غالباً بالصفات الخاصة التي يتميز بها الممدوح عن دونه . والاسلام أمر عام يتناول أهم الأنبياء ومتبهمهم كما يتناولهم . ألا ترى أنه لا يحسن في مدح النبي أن يقتصر على كونه رجلاً مسلماً ؛ فإن أقل متبهمه كذلك . فالوجه والله أعلم أن الصفة قد تذكر للعظم في نفسها وليتوهمها إذا وصف بها عظيم القدر ، كما يكون تنويرها بقر موصوفاً . فالخاصل أنه كما يراد إعظام الموصوف بالصفة العظيمة ، قد يراد إعظام الصفة بعظم موصوفاً . وعلى هذا الأسلوب جرى وصف الأنبياء بالصلاح في قوله تعالى ( وبشرنا بأحق نبيا من الصالحين ) وأمثاله ، تنويرها بمقدار الصلاح ؛ إذ جعل صفة الأنبياء وبمنا لأحاديث الناس على الدأب في تحصيل صفته ، وكذلك قيل في قوله تعالى ( الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ) فأخبر عن الملائكة المقربين بالإيمان تعظيماً لقر الإيمان ، وبمنا للبشر على الدخول فيه ليساوا الملائكة المقربين في هذه الصفة ، وإلا فن المعلوم أن الملائكة مؤمنين ليس إلا ، ولهذا قال ( ويستغفرون للذين آمنوا ) يعني من البشر ثبوت حق الأخوة في الإيمان بين الطائفتين ، فكذلك - والله أعلم - جرى وصف الأنبياء في هذه الآية بالاسلام تنوياً به . ولقد أحسن القائل في أوصاف الأشراف ، والناظم في مدحه عليه الصلوة والسلام

والتوضيح ، وأريد بإجرائها التعريض باليهود ، وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث ، وأن اليهودية بمعزل منها . وقوله : ﴿ الذين أسلموا الذين هادوا ﴾ مناد على ذلك ﴿ والربانيون والاحبار ﴾ والزهاد والعلماء من ولد هارون ، الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود ﴿ بما استحضوا من كتاب الله ﴾ بما سألهم أنبياءهم حفظه من التوراة ، أى بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغير والتبديل . و ( من ) في ( من كتاب الله ) للتبيين ﴿ وكانوا عليه شهداء ﴾ رقباء لئلا يبدل . والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى ، وكان بينهما ألف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم ، وإبائه عليهم ما اشتبهوه من الجلد . وكذلك حكم الربانيون والاحبار والمسلمون بسبب ما استحضوا أنبياءهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه ، وبسبب كونهم عليه شهداء . ويجوز أن يكون الضمير في ( استحضوا ) للأنبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله ، أى كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء ﴿ فلا تخشوا الناس ﴾ نهى للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإدهانهم <sup>(١)</sup> فيها وإمضائهم على خلاف ما أمروا به من العدل لحشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والأصدقاء ﴿ ولا تشتروا ﴾ ولا تستبدلوا ولا تستعوضوا ﴿ بآيات الله ﴾ وأحكامه ﴿ ثمنا قليلا ﴾ وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس ، كما حذف أجباز اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلباً للرئاسة فهلكوا ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ مستهينا به ﴿ فأولئك هم الكافرون ﴾ والظالمون والفاسقون : وصف لهم بالعقوبة كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة . وتمردوا بأن حكموا بغيرها . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن الكافرين والظالمين والفاسقين : أهل الكتاب .

== والاسلام وإن كان من أشرف الأوصاف إذ حاصله معرفة الله تعالى بما يجب له ويستحيل عليه ويجوز في حقه ، إلا أن النبوة أشرف وأجل ، لاشتغالها على عموم الاسلام مع خواص المواهب التي لاتسهمها العبارة ، ولو لم نذهب إلى الفائدة المذكورة في ذكر الاسلام بعد النبوة في سياق المدح ، لخرجنا عن قانون البلاغة المؤلف في الكتاب العزيز ، وفي كلام العرب الفصيح ، وهو الترقى من الأدنى إلى الأعلى لا النزول على العكس . ألا ترى أبا الطيب كيف زحرج عن هذا المبهع في قوله :

شمس ضحاها هلال ليها در تقاصيرها زرجدها

فنزل عن الشمس إلى الهلال . وعن الدر إلى الزرجد ، في سياق المدح ، فضغت الألسن عرض بلاغته ، ومزقت أديم صيته . فعلمنا أن تدبر الآيات المعجزات ، حتى يتعلق فهمنا بأهداب علوها في البلاغة المبهود لها ، والله الموفق للصواب .

(١) قوله « وادهانهم فيها » في الصحاح : المداينة - كالمصانعة . والادهان مثله . (ع)

وعنه : نعم القوم أنتم ، ما كان من حلو فلکم ، ومن كان من مر فهو لأهل الكتاب ، من جحد حكم الله كفر ، ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق . وعن الشعبي : هذه في أهل الإسلام ، والظالمون في اليهود ، والفاسقون في النصارى . وعن ابن مسعود : هو عام في اليهود وغيرهم . وعن حذيفة : أنتم أشبه الأمم ستمتا بني إسرائيل : لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة <sup>(١)</sup> ، غير أنى لا أدري أتعبدون العجل أم لا ؟

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ  
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ مَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ  
وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

في مصحف أنى : وأنزل الله على نبي إسرائيل فيها . وفيه : وأن الجروح قصاص . والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة ، والرفع للعطف على محل أن النفس ، لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس ، إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا ، وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة . تقول : كتبت الحمد لله ، وقرأت سورة أنزلناها . ولذلك قال الزجاج : لو قرئ : إن النفس بالنفس ، بالكسر ؛ لكان صحيحاً . أو للاستئناف . والمعنى : فرضنا عليهم فيها ﴿ أن النفس ﴾ مأخوذة ﴿ بالنفس ﴾ مقتولة بها إذا قتلها بغير حق ﴿ و ﴾ كذلك ﴿ العين ﴾ مفقودة ﴿ بالعين والآنف ﴾ مجدوع ﴿ بالأنف والأذن ﴾ مصلومة ﴿ بالأذن والسِّن ﴾ مقلوعة ﴿ بالسِّن والجروح قصاص ﴾ ذات قصاص ، وهو المقاصة ، ومعناه : ما يمكن فيه القصاص وتعريف المساواة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت ﴿ من تصدق ﴾ من أصحاب الحق ﴿ به ﴾ بالقصاص وعفا عنه ﴿ فهو كفارة له ﴾ فالتصدق به كفارة للتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقضيه الموازنة كسائر طاعاته ، وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به ، وقيل : فهو كفارة للجاني ، إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه ، وفي قراءة أنى : فهو كفارة له يعنى فالتصدق بكفارة له أى الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها ، وهو تعظيم لما فعل ، كقوله تعالى ( فأجره على الله ) وترغيب في العفو .

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ  
وَأَنبَأْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ  
بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾

قفيتة مثل عقبته ، إذا أتبعته ، ثم يقال قفيتة بفلان وعقبته به ، فتعديده إلى الثاني بزيادة الباء فإن قلت : فأين المفعول الأول في الآية ؟ قلت ، هو محذوف والظرف الذي هو (على آثارهم) كالسأد مسدده ؛ لأنه إذا قفي به على أثره فقد قفي به إياه ، والضمير في آثارهم للتبيين في قوله (يحكم) بها النبيون الذين أسلموا) . وقرأ الحسن : الإنجيل بفتح الهمزة ؛ فإن صح عنه فلائه أعجمي خرج لعجمته عن زناة العربية ، كما خرج هايل وأجر (ومصدقا) عطف على محل (فيه هدى) ومحلها النصب على الحال (وهدى وموعظة) يجوز أن ينتصبا على الحال . كقوله (مصدقا) وأن ينتصبا مفعولا لها ، كقوله (وليحكم) كأنه قيل . وللهدى والموعظة آتيانه الإنجيل ، وللحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام . فإن قلت : فإن نظمت (هدى وموعظة) في سلك مصدقا ، فما تصنع بقوله وليحكم قلت : أصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لها ، فأقدر : وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيانه إياه . وقرئ : وليحكم على لفظ الأمر بمعنى : وقلنا ليحكم . وروى في قراءة أبي : وأن ليحكم ، بزيادة وأن ، مع الأمر على أن وأن ، موصولة بالأمر ، كقولك : أمرته بأن قم كأنه قيل : وآتيانه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل . وقيل : إن عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام ؛ لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة . وظاهر قوله (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) يرد ذلك ، وكذلك قوله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وإن ساغ لقائل أن يقول : معناه : وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة .

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

فإن قلت : أى فرق بين التعريفيين في قوله (وأنزلنا إليك الكتاب) وقوله (لما بين يديه من الكتاب) ؟ قلت : الأول تعريف العهد ، لأنه عني به القرآن . والثاني تعريف الجنس ، لأنه



غنى به جنس الكتب المنزلة : ويجوز أن يقال : هو العهد ؛ لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق ؛ وإنما أريد نوع معلوم منه ، وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن (وميمنا) ورقياً على سائر الكتب ؛ لأنه يشهد لها بالصحة والثبات . وقرئ (وميمنا عليه) بفتح الميم ، أى هو من عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل ، كما قال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) والذى هيمن عليه عز وجل أو الحفاظ في كل بلد ، لو حُرِّفَ حُرْفٌ منه أو حركة أو سكون لنتبه عليه كل أحد ، ولا شأنا زوا راثنين ومنكرين . ضمن (ولا تتبع) معنى ولا تنحرف ؛ فلذلك عدى بمن كأنه قيل : ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شريعة) شريعة . وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين (ومنهاجاً) وطريقاً واضحاً في الدين تجرون عليه . وقيل : هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا (لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة ، أو ذوى أمة واحدة أى دين واحد لا اختلاف فيه (ولكن) أراد (ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة ، هل تعملون بها مدغنين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات ، معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة ؟ أم تتبعون الشبه وتفرون في العمل ؟ (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها وتسابقوا نحوها (إلى الله مرجعكم) استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات (فينبشكم) فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محبكم ومبطلكم ، وعاملكم ومفرطكم في العمل .

وَأَن أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾

فإن قلت : (وأن أحكم بينهم) معطوف على ماذا ؟ قلت : على (الكتاب) في قوله (وأنزلنا إليك الكتاب) كأنه قيل : وأنزلنا إليك أن أحكم على أن ، وأن ، وصلت بالامر ، لأنه فعل كسائر الأفعال : ويجوز أن يكون معطوفاً على (بالحق) أى أنزلناه بالحق وبأن أحكم (أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) أن يضلوك عنه ويستزلوك : وذلك أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صورياً وشاس بن قيس من أجباز اليهود قالوا : اذهبوا بنا إلى محمد نفتنه عن دينه ، فقالوا : يا محمد قد عرفت أنا أجباز اليهود ، وأما إن اتبعناك اتبعناك اليهود كلهم ولم يخالفونا ، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتمتضي لنا عليهم ، ونحن نؤمن بك ونصدقك ، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزلت . (فإن تولوا) عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم)

يعنى بذنب التولى عن حكم الله وإرادة خلافه ، فوضع (بعض ذنوبهم) موضع ذلك وأراد أن لهم ذنوباً جمة كثيرة العدد ، وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها ، وهذا الإيهام لتعظيم التولى واستسرافهم فى ارتكابه . ونحو البعض فى هذا الكلام ما فى قول لبيد :

\* أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَّفُوسِ حِمَامَهَا \* (١)

أراد نفسه : وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإيهام ، كأنه قال : نفساً كبيرة ، ونفساً أى نفس ، فكما أن التشكير يعطى معنى التكبير وهو معنى البعضية ، فكذلك إذا صرح بالبعض (الفاسقون) المتمردون فى الكفر معتدون فيه ، يعنى أن التولى عن حكم الله من التمرّد العظيم والاعتداء فى الكفر .

أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾  
(أحكم الجاهلية يبغون) فيه وجهان ، أحدهما : أن قريظة والتضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى : وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم «القتلى بواء» فقال بنو النضير : نحن لا نرضى بذلك (٢) فنزلت : والثانى : أن يكون تعبيراً لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم ، وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التى هى هوى وجهل ، لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحى من الله تعالى : وعن الحسن : هو عام فى كل من يبنى غير حكم الله : والحكم حكان : حكم بعلم فهو حكم الله ، وحكم بجهل فهو حكم الشيطان . وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض ، فقرأ هذه الآية : وقرئ : تبغون ، بالتاء والياء : وقرأ السلى : أحكم الجاهلية يبغون ، برفع الحكم على الابتداء ، وإيقاع يبغون خبراً وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه عن الصلة فى (أهذا الذى بعث الله رسولا) وعن الصفة فى : الناس رجلان : رجل أهنت ، ورجل أكرمت . وعن الحال فى «مررت بهند يضرب زيد» ، وقرأ قتادة (أحكم الجاهلية) على أن هذا الحكم الذى يبغونه إنما

(١) تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها

الليد بن ربيعة من معاقته . يقول : أنا كثير ترك الأمكنة إذا لم أرض الإقامة بها . أو يرتبط ويحتبس بعض النفوس ، يعنى نفسه وحمامها أى موطنها المقدّر لها فإذا رغبته أو احتبس الموت فيها فكيف أتركها ؟ فقوله «يرتبط» بالجزم ، عطف على المجزوم قبله . وقيل «أو» بمعنى «إلا» ، لكن كان حقه نصب حيثئذ . ولعله سكن للضرورة . وكما أن التنوين يفيد معنى التعظيم ، فكذلك كل ما فيه إيهام كالبعضية هنا ، فغير عن نفسه بعض النفوس دلالة على التعظيم . بل ربما ادعى أنها كل النفوس مبالغة .

(٢) لم أجده هكذا ، وفى ابن أبي شيبة من طريق الشعبي قال : كان بين حيين من العرب قتال - فذكر قصة : فيها : فارتفعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «القتل بواء» أى سواء .

يحكم به أفعى نجران، أو نظيره من حكام الجاهلية، فأرادوا بسفهم أن يكون محمد خاتم النبيين حكماً كأولئك الحكام. اللام في قوله ﴿لقوم يوقنون﴾ الليان كاللام في (هيت لك) أى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون، فإنهم الذين يوقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكماً منه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَمُضِصِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ

جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾

لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخذونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين. ثم علل النهى بقوله ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ أى إنما يوالى بعضهم بعضاً لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر، فالمن دينه خلاف دينهم وموالاتهم ﴿ومن يتولهم منكم فإنه﴾ من جملتهم وحكمه حكمهم. وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تراءى ناراهما» <sup>(١)</sup> ومنه قول عمر رضي الله عنه لأبي موسى في كتابه النصراني: لا تكرمهم إذ أهانهم الله، ولا تأمنوهم إذ خونهم الله، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله <sup>(٢)</sup>؛ وروى أنه قال له أبو موسى: لا قوام للبصرة إلا به، فقال: مات النصراني والسلام، يعنى هب أنه قد مات، فاكنت تكون صانعاً حينئذ فاصنعه الساعة، واستغن عنه بغيره ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعنى الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفر <sup>(٣)</sup> يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتالهم ﴿يسارعون فيهم﴾ ينكشون في موالاتهم

(١) أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث جرير، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية إلى خشم، فاعتصم ناس بالسجود - الحديث - وفيه: وقال وأنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين - قالوا: ولم؟ قال: لا تراءى ناراهما، وصله أبو معاوية عن إسماعيل عن قيس عنه. وأرسله غيره من أصحاب إسماعيل كبعدة بن سليمان ووكيع وهشيم ومروان وتابعه حجاج بن أرطاة عن إسماعيل موصولاً. وحجاج ضعيف ورجح البخارى وغيره المرسل. وخالف الجميع حفص بن غياث فرواه عن إسماعيل عن قيس عن خالد بن الوليد أخرجه الطبرانى.

(٢) أخرجه البيهقي في أدب القاضي من السنن الكبير مطولاً دون ما في آخره، فليظنر.

(٣) قوله بموالاة الكفر، لعله المكفرة. (ع)

ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان ، أى صرف من صروفه ودولة من دوله ، فيحتاجون إليهم وإلى معونتهم . وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لى والى من يهود كثير أعددهم ، وإنى أبرأ إلى الله ورسوله <sup>(١)</sup> من ولايتهم وأوالى الله ورسوله فقال عبد الله بن أبة : إنى رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالى وهم يهود بنى قينقاع <sup>(٢)</sup> فعسى الله أن يأتى بالفتح <sup>(٣)</sup> لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وإظهار المسلمين <sup>(٤)</sup> (أو أمر من عنده) يقطع شاقة اليهود <sup>(٥)</sup> ويجلبهم عن بلادهم ، فيصبح المنافقون نادمين على ماحدثوا به أنفسهم : وذلك أنهم كانوا يشكون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون : ما نظن أن يتم له أمر ، وبالحرى أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء . وقيل أو أمر من عنده : أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم . وقيل : أو أمر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبنى النضير الذين طرح الله فى قلوبهم الرعب ، فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركب <sup>(٦)</sup> ويقول الذين آمنوا <sup>(٧)</sup> قرئ بالنصب عطفاً على أن يأتى ، وبالرفع على أنه كلام مبتدأ ، أى : ويقول الذين آمنوا فى ذلك الوقت : وقرئ : يقول ، بغير واو ، وهى فى مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على أنه جواب قائل يقول : فماذا يقول المؤمنون حينئذ ؟ فقيل : يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا . فإن قلت : لمن يقولون هذا القول ؟ قلت : إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجباً من حالهم واعتباطاً بما من الله عليهم من التوفيق فى الإخلاص <sup>(٨)</sup> (أهؤلاء الذين أقسموا) لكم بإغلاظ الايمان أنهم أولياؤكم ومعاضدكم على الكفار . وإما أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة ، كما حكى الله عنهم (ولئن قوتلتم لننصرنكم) . <sup>(٩)</sup> حبطت أعمالهم <sup>(١٠)</sup> من جملة قول المؤمنين ، أى بطلت أعمالهم التى كانوا يتكلفونها فى رأى أعين الناس . وفيه معنى التعجب كأنه قيل : ما أحبط أعمالهم ! فما أخسرهم ! أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجباً من سوء حالهم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ  
مُحِبِّهِمْ وَمُحِبُّوهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) أخرجه الطبرى من رواية عطية بن سعيد العوفى قال : جاء رجل يقال له عبادة بن الصامت - فذكره مرسلًا وأتم منه ومن هذا الوجه أخرجه ابن أبى شيبة . وله طرق أخرى فى المنازى لابن إسماعيل عن أبيه عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه .

(٢) قوله يقطع شاقة اليهود فى الصحاح والشافة : فرحة تخرج فى أسفل القدم فتكوى فتذهب ، فغضب بها اللئى فى الاستئصال اه باختصار . (ع)

وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾  
 وقرئ (من يرتد) ومن يرتدد، وهو في الإمام بدلين، وهو من السكائنات التي أخبر عنها  
 في القرآن قبل كونها. وقيل: بل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة: ثلاث في عهد رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم: بنو مدلج، ورئيسهم ذو الحنار وهو الأسود العنسي، وكان كاهنا تنبأ باليمن  
 واستولى على بلاده، وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتب رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن، فأهلكه الله على يد فيروز الديلمي بيته فقتله  
 وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل، فسر المسلمون وقبض رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم من الغد. وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول<sup>(١)</sup>. وبني حنيقة،

(١) قوله: إن أهل الردة كانوا إحدى عشرة فرقة ثلاثة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبعة على عهد  
 أبي بكر رضي الله عنه وواحدة على عهد عمر. فأتى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحنار  
 وهو الأسود العنسي. قلت: ليس قوله الأسود المذكور بنو مدلج، بل بنو مدلج قوم من بني كنانة بن مضر إخوة قريش  
 والأسود المذكور كان باليمن. وقومه بنو عنس - يفتح العين المهملة وسكون النون بعدها سين مهملة. قال الزمخشري  
 كان الأسود المذكور كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكتب النبي صلى  
 الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن، فأهلكه الله على يد فيروز الديلمي فقتله. وأخبر رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل. فسر المسلمون بذلك. وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد في آخر  
 شهر ربيع الأول. قلت: وفي هذا الكلام من التخلیط غير شيء. فإن قوله: استولى على بلاد اليمن وأخرج عمال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم، ظاهره يقتضي أن لا يبقى منهم هناك أحد وليس الأمر كذلك، بل بقي منهم على ما كان  
 عليه جماعة منهم من المهاجرين ابن أبي أمية ومعه جميع السواحل. وكان باليمن أيضا معاذ بن جبل وغيره من عمال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في سواحل اليمن. وإنما استولى العنسي على صنعاء. وبعض البلاد الجبلية. وقد  
 نقض الزمخشري كلامه بقوله: فإنه صلى الله عليه وسلم كتب إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن. ولكن الجمع بين  
 كلاميه: بأن مراده، إخراج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حاربهم فيكون المراد إخراج بعضهم  
 لاجتماعهم. وقوله: وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد، أي صبيحة إخباره بقتل الأسود. وفيه نظر  
 وسيأتي وجهه. وقوله: في آخر شهر ربيع الأول: ليس بصحيح فإنه صلى الله عليه وسلم مات في أول شهر ربيع  
 الأول. وقيل: في ثامنه. وقيل: في ثاني عشر. وسيأتي بيان الاختلاف في وقت الحجى. رأس الأسود العنسي  
 وقصة الأسود العنسي قد أخرجها مطولة جميع من صنف في الردة كابن إسحق والواقدي وسيف بن عمر.  
 وسيمية بن القرات. وأخرجها الحاكم في الاستيعاب والبيهقي في الدلائل، قال الواقدي: اسم الأسود ذو الحنار. وقال  
 غيره: اسمه عيلة ولقبه ذو الحنار، لأنه كان يلق على وجهه قناعا وجههم. وكان له شيطانان أحدهما يحقو الآخر بشقيق،  
 قال الواقدي: وملك الأسود نجران وأقام هناك سنة ثم خرج في ستانة من تبعه إلى صنعاء لحاصر الأساورة منهم  
 باذان. وفيروز ودادويه في آخرين. وكانوا أسلوا. وأرسلوا بأسلامهم قروة بن مسيك المرادي. فقاتل الفريقان  
 حتى غلب الأسود فقتل منهم طائفة. وخير طائفة بين أن يخرجوا من صنعاء إلى بلد آخر ويقيموا بها ويضرب  
 عليهم الحراج ويصبروا عبيدا له. وأعطى الأسود المربزبانة امرأة باذان لنفسه. وكانت جميلة. وكان يشرب الخمر  
 ويقع عليها ولا ينتسل ولا يصلي، ففكرته المربزبانة وراست الأساورة وفيهم فيروز، وواعدتهم البستان في  
 الوقع الذي يسكن فيه الأسود. فدخل عليه فيروز ودادويه وقيس بن مكشوح وهو سكران. فقالت المربزبانة: =

قوم مسيلية<sup>(١)</sup> تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلية رسول الله إلى محمد رسول الله . أما بعد فإن الأرض نصفها لى ونصفها لك . فأجاب عليه الصلاة والسلام : من محمد رسول الله إلى مسيلية الكذاب . أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، فخاربه أبو بكر رضى الله عنه بجنود المسلمين ، وقتل على يدي وحشى قاتل حمزة . وكان يقول : قتلت خير الناس فى الجاهلية ، وشر الناس فى الإسلام ، أراد فى جاهليتي وإسلامي . وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً<sup>(٢)</sup> فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه . وسبع فى عهد أبى بكر رضى الله عنه : فزارة قوم عيينة بن حصن ، وغطفان قوم قرة بن سلبة القشيري ، وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبدالميل ، وبنو يربوع قوم

== لفيروز وهو أحدثهم سناً : دونك الرجل . قال فيروز : كنت قد أنسيت سيفي من الدهش . فوقع على الأسود لحقته حتى حولت وجهه إلى قفاه . ثم دخل صاحباه غزوا رأسه . واجتمع الأساورة ياب المدينة يقتلون أصحاب العنسى . فذكر تمام القصة ، إنما اختصرناها . وروى النسائي من حديث عبد الله بن فيروز الديلي عن أبيه قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم برأس الأسود العنسى » قال عبد الحق لا يصح فى هذا الباب شيء . وتعبه ابن القطان بأن إسناده النسائي صحيح . ولا يدارضه ما جاء إن الخبر بقتله إنما جاء إثر موت النبي صلى الله عليه وسلم لأن رواية النسائي ليس فيها التصريح أنه صادف النبي صلى الله عليه وسلم . نعم فى رواية الطبري زيادة تدل على ذلك .

(١) قول الزخشري : وبنو حنيفة باليمامة . ورئيسهم مسيلية . روى الواقدي من طريق حبيب بن عمير الأنصاري قال : « كان مسيلية بن حبيب قد ادعى النبوة فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقومه بامعشر بنى حنيفة ما الذى جعل قريشاً أحق بالنبوة منكم وليسوا بأكثر ، نكروا لأعد ، والله إن بلادكم لأوسع من بلادهم ، وإن جبريل ينزل على كاهنك على محمد وشهد له الدجال بن عمرو أرمدا أشرك مسيلية فى الأمر ، فسأله وشهد له . وقرأ عليهم مسيلية قرآناً يزعمه . سبج اسم ربك الأعلى الذى يسر على الحبل . فأخرج منها نسمة تسعى من بين أحشا وسلا فنهض من يدس فى الثرى ومنهم يعيش يحيى . إلى أجل ومنتهى . والله يعلم السر وأخفى . ولا يخفى عليه أمر الآخرة والأولى . فبايحه أهل اليمامة فلما قدمت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفتح قدم مسيلية فى وفد بنى حنيفة ، فجعل يقول إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته . فلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يشركه فى الأمر ، وأن يجعل له الخلافة بعده فأبى . ثم إن وفد بنى حنيفة أظهروا الاسلام . وأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بثل جوائز الوفود ورجع مسيلية معهم فظهروا النبوة . وشهد له الدجال بن عمرو أن محمداً أشرك فى الأمر . وتماذى مسيلية على ضلاله . إلى خلافة أبى بكر فكشرك تابعوه . فجزر إليه أبو بكر فى جمع من الصحابة . فالتقوا باليمامة فافتتلوا قتالاً شديداً من طلوع الشمس إلى العصر : وكثر القتل والجراح فى الفريقين ووقعت التوبة فى المسلمين . ثم تراجع المهاجرون والأنصار . فدفقوا بنى حنيفة دفعة عظيمة حتى ألجؤهم إلى حديفة فيها مسيلية فاعتصموا بها . وأغلغوا الباب لحاصرهم المسلمون . وقال لهم أبو دجانه ألقوني على المدينة حتى أصعد إلى أعلى الحديفة ففعلوا فوهط عليهم فقتل منهم حين فتح باب الحديفة وقتل هو ووج المسلمون الحديفة . فقتلهم حير انتهى القتال إلى مسيلية فطعنه عبد الله بن زيد الأنصاري . ووزقه وحشى بن حرب فاشتركا فى قتله .

(٢) قوله « خالداً » فى أبى السعود « أبى بكر » اه . (ع)

مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلة الكذاب، وفيها يقول أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري :

أُمْتُ سَجَاحٍ وَوَالَاهَا مُسِيلَةُ كَذَابَةٌ فِي بَنِي الدُّنْيَا وَكَذَّابٌ (١)

وكندة قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد، وكفى الله أمرهم على يد أبي بكر رضى الله عنه. وفرقة واحدة في عهد عمر رضى الله عنه : غسان قوم جيلة ابن الأيهم نصرته اللطمة (٢) وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه (فسوف يأتي الله بقوم) قبل لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري فقال : « قوم هذا (٣) »، وقيل هم ألقان من النخع، وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة آلاف من أفتاء الناس (٤) جاهدوا يوم القادسية. وقيل : هم الأنصار. وقيل : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال : « هذا وذووه »، ثم قال : لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لئله رجال من أبناء فارس (٥) (يحبهم ويحبونه) بحبة العباد لرهبهم طاعته وابتغاه مرضاته، وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه (٦) وعقابه. وبحبة الله لعباده أن يشبههم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني

(١) لأنى العلاء المعري . وأمت - بالتشديد - : صارت إماماً في بني حنيفة وادعت النبوة . ويروى بالمد والتخفيف ، أى صارت أئمة غير معزوجة وهى بنت المنذر . ووالها ، أى واقها مسيلة ، فانه تزوجها وكان مدعياً للنبوة أيضاً ، وبعد قتله ثابت وحسن إسلامها .

(٢) قوله « نصرته اللطمة » لعلمها اللطيمة وهى العير التى تحمل الطيب وبز التجار ، لجرور .

(٣) أخرجه ابن أبى شبة وإسحق والحاكم والطبرانى . بالطبرى من طريق سماك بن حرب . عن عياض الأشعري . قال : لما نزلت هذه الآية فذكره . ورواه البيهقي فى الدلائل من وجه آخر عن سماك عن عياض عن أبى حرى قال نزلت عند النبي صلى الله عليه وسلم (فسوف يأتي الله بقوم) الآية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قومك يا أبا موسى . أهل اليمن .

(٤) قوله « من أفتاء الناس » فى الصحاح « فناء الدار » ، مامتد من جوانبها . والجمع أفتية . ويقال : هو من أفتاء الناس ، إذا لم يعلم عن هو . (ع)

(٥) هكذا رواه . وهو وهم منه فان هذا الكلام إنما ورد فى آية الجمعة من طريق أبى العيث عن أبى هريرة

وهو متفق عليه . وفى آية القتال رواه الترمذى من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه

(٦) قال محمود : « بحبة العباد لرهبهم طاعته وابتغاه مرضاته » ، وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه . وبحبة الله لعباده أن يشبههم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم . وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهلهم وأقمتهم للشرع وأسوأهم لطريقة ، وإن كانت طريقته عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئاً ، وهم الفرقة المنفصلة المنفصلة من الصوف ، وما يدنبون به من المحبة والعشق والتثنى على كراسيهم خربها الله ، وفى مراقصهم عطلها الله ، بأبيات الغزل المفقولة فى المردان الذين يسمونهم شهداء ، وصعقاتهم التى أبى منها صعقة موسى يوم ذلك الطور ، فتعالى الله عنه علواً كبيراً . ومن كلامهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته ، فان الهاء راجعة إلى الذات دون الثبوت والصفات ، انتهى كلامه . قال أحمد . لا شك أن تفسير بحبة العبد لله بطاعته له على خلاف الظاهر وهو من المجاز الذى يسمى فيه المسبب باسم السبب والمجاز الذى لا يعدل إليه عن الحقيقة إلا بعد تعذرهما ، فليمتحن حقيقة —

عليهم ويرضى عنهم : وأما ما يعتقدُه أَجْهَلُ النَّاسِ وأَعْدَاهُمُ لِلْعِلْمِ وأَهْلُهُ وأَمَقَّتَهُمُ لِلشَّرْعِ وأَسْوَأُهُمُ طَرِيقَةً ، وإنْ كَانَتْ طَرِيقَتُهُمْ عِنْدَ أَهْلِ مَآلِهِمُ مِنَ الْجَهْلَةِ وَالسَّفَهَاءِ شَيْئاً ، وَهِيَ الْفَرْقَةُ الْمُنْفَعَةُ الْمُنْفَعَةُ مِنَ الصُّوفِ ، وَمَا يَدِينُونَ بِهِ مِنَ الْحُبِّ وَالْعَشْقِ ، وَالتَّغْنَى عَلَى كِرَاسِيهِمْ خَرَبَهَا اللَّهُ ، وَفِي مَرَاقِصِهِمْ عَطَلَهَا اللَّهُ ، بِأَيَّاتِ الْغَزْلِ الْمَقُولَةِ فِي الْمُرْدَانِ الَّذِينَ بِسْمُونِهِمْ شُهَدَاءُ ، وَصَعْقَاتِهِمُ الَّتِي أَيْنَ عَنْهَا صَعَقَةُ مُوسَى عِنْدَ ذَلِكَ الطُّورِ ، فَتَعَالَى اللَّهُ عَنْهُ عُلُوّاً كَبِيراً ، وَمِنْ كَلِمَاتِهِمْ : كَمَا أَنَّهُ بَذَاتِهِ يَجْهَبُهُمْ ، كَذَلِكَ يَجْهَبُونَ ذَاتَهُ ، فَإِنَّ الْهَاءَ رَاجِعَةٌ إِلَى الذَّاتِ دُونَ النُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ . وَمِنْهَا : الْحُبُّ شَرَطُهُ أَنْ تَلْحَقَهُ

== الْحُبُّ لِنَفْسٍ بِالْقَوَاعِدِ لِيَنْظُرَ أَمَّا ثَابِتَةٌ لِلْعَبْدِ مُتَعَلِّقَةٌ بِاللَّهِ تَعَالَى أَمْ لَا ، إِذْ الْحُبُّ لِنَفْسٍ : مِيلُ الْمُنْتَصِفِ بِهَا إِلَى أَمْرِ مِلْدٍ وَالذَّاتِ الْبَاطِنَةِ عَلَى الْحُبِّ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى مَدْرَكٍ بِالْحَسَنِ ، كَلِذَّةِ الذَّوْقِ فِي الْمَطْعُومِ ، وَلِذَّةِ النَّظَرِ وَاللَّسِّ فِي الصُّورِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ، وَلِذَّةِ الشَّمِّ فِي الرِّوَانِحِ الْعَطْرَةِ ، وَلِذَّةِ السَّمْعِ فِي الذَّنَاتِ الْحَسَنَةِ ، وَإِلَى لَذَّةِ تَدْرِكِ بِالْعَقْلِ كَلِذَّةِ الْمَجَاهِدِ وَالرِّيَاسَةِ وَالْعُلُومِ وَمَا يَجْرَى بِجَرَاهَا ، فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ فِي الذَّاتِ الْبَاطِنَةِ عَلَى الْحُبِّ مَا لَا يَدْرِكُهُ إِلَّا الْعَقْلُ دُونَ الْحَسَنِ ، ثُمَّ تَفَاوُتُ الْحُبُّ ضَرُورَةً بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْبَوَائِعِ عَلَيْهَا ، فَلَيْسَ اللَّذَّةُ بِرِيَاسَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ كَلِذَّتِهِ بِالرِّيَاسَةِ عَلَى أَقَالِمٍ مُعْتَبَرَةٍ . وَإِذَا تَفَاوُتَتِ الْحُبُّ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْبَوَائِعِ ، فَلِذَلِكَ الْعُلُومُ أَيْضاً مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْمَعْلُومَاتِ فَلَيْسَ مَعْلُومٌ أَكْلٌ وَلَا أَجَلٌ مِنَ الْمَعْبُودِ الْحَقِّ ، فَالَّذِنَةُ الْحَاصِلَةُ فِي مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَةُ جَلَالِهِ وَكَوْنِهِ أَكْثَرُ ، وَالْحُبُّ الْمُنْبَعِثُ عَنْهَا تَكُونُ أَمَكْنٌ . وَإِذَا حَصَلَتْ هَذِهِ الْحُبُّ بِمَعْنَى الطَّاعَاتِ وَالْمُؤَافَقَاتِ ، فَقَدْ تَحْصُلُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ عِبَادَةَ الْعَبْدِ مُمَكِّنَةٌ ، بَلْ وَاقِعَةٌ مِنْ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، فَهِيَ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ وَشَرْطُهُ ، وَالنَّاسُ فِيهَا مُتَفَاوِتُونَ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ إِيْمَانِهِمْ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجِبَ تَفْسِيرُ عِبَادَةِ الْعَبْدِ لِلَّهِ بِمَعْنَاهَا الْحَقِيقِ لِنَفْسٍ ، وَكَانَتْ الطَّاعَاتُ وَالْمُؤَافَقَاتُ كَالْمُسَبِّبِ عَنْهَا وَالْمُنَاغِيرُ لَهَا . أَلَا تَرَى إِلَى الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي سَأَلَ عَنْ السَّاعَةِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : مَا أَعَدَدْتَ لَهَا كَبِيرَ عَمَلٍ وَلَكِنْ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ، فَهَذَا الْحَدِيثُ نَاطِقٌ بِأَنَّ الْمَفْهُومَ مِنَ الْحُبِّ هُوَ غَيْرُ الْأَعْمَالِ وَالزَّوَامِ الطَّاعَاتِ ، لِأَنَّ الْأَعْرَابِيَّ نَفَاهَا وَأَثْبَتَ الْحُبَّ وَأَقْرَبَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ إِذَا ثَبَتَ إِجْرَاءُ عِبَادَةِ الْعَبْدِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى حَقِيقَتِهَا لِنَفْسٍ ، فَالْحُبُّ فِي اللِّغَةِ إِذَا تَأَكَّدَتْ سَمِيَتْ عَشْقاً ، فَنَ تَأَكَّدَتْ عِبَادَتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى وَظَهَرَتْ آثَارُ تَأَكُّدِهَا عَلَيْهِ مِنْ اسْتِعْيَابِ الْأَوْقَاتِ فِي ذِكْرِهِ وَطَاعَتِهِ ، فَلَا يَمْنَعُ أَنْ تَسْمِيَ عِبَادَتُهُ عَشْقاً ؛ إِذْ الْعَشْقُ لَيْسَ إِلَّا الْحُبُّ الْبَالِغُ . وَمَا أَرَدْتُ بِهَذَا الْفَصْلِ إِلَّا تَخْلِيصَ الْحَقِّ وَالْإِتِّصَابَ لِأَحِبَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الزَّخْمَشَرِيِّ ، فَانْهَ خَلَطَ فِي كَلَامِهِ الْفِتْنَةَ بِالْمُسْمِينِ ، فَأَطْلَقَ الْقَوْلَ كَمَا سَمِعْتَهُ بِالْقَدْحِ الْفَاحِشِ فِي الْمُنْصَوِّفَةِ مِنْ غَيْرِ تَحَرُّمٍ مِنْهُ ، وَنَسَبَ إِلَيْهِمْ مَا لَا يَمُنُّ بِمَرْتَبَتِهِ ، وَلَا يَمُنُّ فِي الْبَهَائِمِ فَضْلاً عَنْ خَوَاصِّ الْبَشَرِ ، وَلَا يَلْزَمُ مَنْ تَسْمِي طَائِفَةٍ بِهَذَا الْأَسْمِ غَاصِبِينَ لَهُ مِنْ أَهْلِهِ ، ثُمَّ ارْتَكَبَهُمْ مَا نَقَلَ عَنْهُمْ عَمَّا يَنَاقِ حَالِ الْمُسْمِينِ بِهِ حَقِيقَةً ، أَنْ يُوَاقِفَ الصَّالِحَ بِالطَّالِحِ ( وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ) وَهَذَا كَمَا أَنَّ هَلَاءَ الدِّينِ قَدْ انْتَسَبَ إِلَيْهِمْ قَوْمٌ سَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ ، ثُمَّ خَلَعُوا الرِّبْقَةَ لِيَجْعَلُوا صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَضَاءَهُ وَقُدْرَتَهُ وَقَالُوا : إِنَّ الْأُمَرَائِفَ ، وَجَعَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ شُرَكَاءَ فِي الْخُلُوقَاتِ وَفَعَلُوا وَمَصْنَعُوا ، فَلَا يَسُوغُ لَنَا أَنْ تَقْدَحَ فِي عَلَيْهِ أَسْوَاحُ الدِّينِ مُطْلَقاً ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ انْتَسَبَ إِلَيْهِمْ مِنْ لَا حِيلَةَ لَهُمْ فِي نَفْيِهِ عَنْ التَّسْمِيَةِ بِنَعْمَتِهِمْ ، وَلَا يَكْتَفِي اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وَسْعَهَا ، وَلَا شَكَّ أَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ أَنْكَرَ تَقْصِيرَ عِبَادَةِ الْعَبْدِ لِلَّهِ إِلَّا بِمَعْنَى طَاعَتِهِ لَهُ لَا غَيْرَ ، وَهُوَ الَّذِي يَحَازِلُهُ الزَّخْمَشَرِيُّ . وَقَدْ بَيَّنَّا تَقْصِيرَ ذَلِكَ وَأَوْجَحْتَهُ . وَالْمُعْتَرِفُونَ بِتَقْصِيرِ ذَلِكَ وَثَبُوتِهِ يَنْسُبُونَ الْمُنْكَرِينَ إِلَى أَنَّهُمْ جَهِلُوا فَأَنْكَرُوا ، كَمَا أَنَّ الصَّبِيَّ يَنْكَرُ عَلَى مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ وَرَاءَ اللَّعِبِ لَذَّةٌ مِنْ جَمَاعٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَالْمُنْهَكُ فِي الشُّبُهَاتِ وَالْغَرَامِ بِالنِّسَاءِ يَظُنُّ أَنَّ لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ لَذَّةٌ مِنْ رِيَاسَةٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ شَيْءٍ ذَلِكَ ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَسْخَرُ بَيْنَ فَوْقِهَا وَتَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ مَشْغُولُونَ فِي غَيْرِ شَيْءٍ . قَالَ الْغَزَالِيُّ : وَالْمُحْبِبُونَ لِلَّهِ يَقُولُونَ لِمَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ : إِنَّ تَسْخَرُوا مِنَّا فَانَا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ .



سكرات المحبة ، فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة . فإن قلت : أين الراجع من الجزء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط ؟ قلت : هو محذوف معناه : فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو يقوم غيرهم ، أو ما أشبه ذلك (أذلة) جمع ذليل . وأما ذلول لجمعه ذلل . ومن زعم أنه من الذل الذى هو تقيض الصعوبة ، فقد غي عنه أن ذلولاً لا يجمع على أذلة . فإن قلت : هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما أن يضمن الذل معنى الحقو والعطف . كأنه قيل : عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع . والثاني : أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم . ونحوه قوله عز وجل (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقرئ : أذلة . وأعزة ، بالنصب على الحال (ولا يخافون لومة لائم) يحتمل أن تكون الواو للحال ، على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين ، فإنهم كانوا مواليين لليهود - لعنت - فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود ، فلا يعملون شيئاً مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم . وأما المؤمنون فكلنوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط . وأن تكون للعطف ، على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل الله ، وأنهم صلاب في دينهم ، إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف ، مضوا فيه كالمسامير المحماة ، لا يرعيبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم ، يشق عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم . واللومة : المزة من اللوم ، وفيها وفي التنبكير مبالغة كأنه قيل : لا يخافون شيئاً قط من لوم أحد من اللوام . و(ذلك) إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة (يؤتيه) يوفق له (من يشاء) ممن يعلم أن له لطفاً (واسع) كثير الفواضل والألطف (عليم) بمن هو من أهلها .

إِنَّمَا وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥

عقب النبى عن موالاته من يجب معاداتهم ذكر من يجب موالاتهم بقوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) ومعنى «إنما» وجوب اختصاصهم بالموالاته . فإن قلت : قد ذكرت جماعة ، فها قيل إنما أولياؤكم ؟ قلت : أصل الكلام : إنما وليكم الله ، فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة ، ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبعية ، ولو قيل : إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا ، لم يكن في الكلام أصل وتبع وفي قراءة عبدالله : إنما مولاكم . فإن قلت : (الذين يقيمون) ما محله ؟ قلت : الرفع على البدل من الذين آمنوا ، أو على : هم الذين يقيمون . أو النصب على المدح . وفيه تمييز للخلص من الذين

آمنوا نفاقا، أو واطأت قلوبهم ألسنتهم إلا أنهم مفرطون في العمل ﴿وهم راكعون﴾ الواو فيه للحال، أى يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا. وقيل: هو حال من يؤتون الزكاة، بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة، وإنها نزلت في على كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه <sup>(١)</sup>، كأنه كان مرجا <sup>(٢)</sup> في خنصره، فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته. فإن قلت: كيف صح أن يكون لعلى رضى الله عنه واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جرى به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلا واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء، حتى إن لزم أمر لا يقبل <sup>(٣)</sup> التأخير وهم في الصلاة، لم يؤخروه إلى الفراغ منها.

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾  
﴿فإن حزب الله﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر <sup>(٤)</sup>. ومعناه: فإنهم هم الغالبون، ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله. وأصل الحزب؟ القوم يجتمعون لأمر حزبهم. ويحتمل أن يريد بحزب الله: الرسول والمؤمنين. ويكون المعنى: ومن يتولم فقد تولى حزب الله، واعتضد بمن لا يغالب.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِيْنَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنْ

(١) قلت: في قوله: «كأنه» إلى قوله «بمثله» من كلام صاحب الكشف. فقد رواه ابن أبي حاتم من طريق سلة بن كهيل قال تصدق على بخاتمه وهو راكع، فنزلت (إنما وليكم الله ورسوله) ولا بن مردويه من رواية سفيان الثوري عن ابن سنان عن الضحاك. عن ابن عباس قال كان على قائماً يصل، فر سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت. وروى الحاكم في علوم الحديث من رواية عيسى بن عبدالله بن هجر بن على. حدثنا أى عن أبيه عن جده عن على بن أبي طالب قال نزلت هذه الآية. إنما وليكم الله ورسوله. الآية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد والناس يصلون، بين قائم وراكع وساجد. وإذا سائل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاك أحد شيئاً. قال لا إلا هذا الراكع يعنى علياً. أعطاني خاتمه. رواه الطبراني في الأوسط في ترجمة محمد بن على الصائغ. وعند ابن مردويه من حديث عمار بن ياسر قال: وقف يعلى سائل وهو واقف في صلاته. الحديث. وفي إسناده خاله بن يزيد العمري. وهو متروك. ورواه الثعلبي من حديث أبي ذر مطولا وإسناده سافط.

(٢) قوله «كأنه كان مرجا» أى قلقا غير ثابت. أماده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «لا يقبل» لعله «لا يفعل». (ع)

(٤) قال محمود: «هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه... الخ» قال أحد: ومقابل قوله تعالى (إن الظالمين الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم) فوضع الظالمين موضع ضمير الأول ليزيدهم سمة الظلم إلى الخسران.

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أُولِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنُتُمْ  
مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

روى أن رفاعه بن زيد وسويد بن الحرث كانا قد أظهرنا الإسلام ثم نافقا، وكان رجل من المسلمين يوادونهما، فنزلت. يعني أن اتخاذهم دينكم هزواً ولعباً لا يوضح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء، بل يقابل ذلك بالبغضاء والشئان والمنازدة. وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار - وإن كان أهل الكتاب من الكفار - إطلاقاً للكفار على المشركين خاصة. والدليل عليه قراءة عبدالله: ومن الذين أشركوا. وقرئ: والكفار بالنصب والجزء. وتعضد قراءة الجر قراءة أبي: ومن الكفار ﴿واتقوا الله﴾ في موالة الكفار وغيرها ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ حقاً؛ لأن الإيمان حقاً بأبى موالة أعداء الدين ﴿اتخذوها﴾ الضمير للصلاة أو للمناداة. قيل كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حرق الكاذب، فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم، فتطارت منها شرارة في البيت فاحترق البيت، واحترق هو<sup>(١)</sup> وأهله. وقيل: فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالتمام وحده ﴿لا يعقلون﴾ لأن لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة، فكأنه لا عقل لهم.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا  
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾

قرأ الحسن. هل تنقمون بفتح القاف. والفصيح كسرهما. والمعنى هل تعيبون منا وتشكرون إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها ﴿وأن أكثركم فاسقون﴾. فإن قلت: علام عطف قوله (وأن أكثرهم فاسقون)؟ قلت: فيه وجوه: منها أن يعطف على أن آمنا، بمعنى: وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان، كأنه قيل: وما تشكرون منا إلا المخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون منه. ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف، أى واعتقاد أنكم فاسقون. ومنها أن يعطف على المجرور، أى وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون. ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع، أى وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم

(١) أخرجه الطبري من رواية أسباط عن السدي في قوله، وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً، قال: كان رجل من النصارى... فذكره.

فاسقون . ويجوز أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف ، كأنه قيل : وما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات . ويدل عليه تفسير الحسن : بفسقكم تنقم ذلك علينا .

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرُّ مَسَكِنًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١)

وروى أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه عن يؤمن به من الرسل؟ فقال «أؤمن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله : ونحن له مسلمون ، فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام : ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ، ولا ديناً شراً من دينكم<sup>(١)</sup> . فنزلت . وعن نعيم بن ميسرة : وإن أكثركم ، بالكسر . وبمحتمل أن ينتصب (وأن أكثركم) بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون ، أى : ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون ، أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف ، أى وفسقكم ثابت معلوم عنكم ، لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل ، إلا أن حب الرياسة وكسب الأموال لا يدعم فتتصفوا (ذلك) إشارة إلى المنقوم ، ولا بد من حذف مضاف قبله ، أو قبل «من» تقديره : بشر من أهل ذلك ، أو دين من لعنه الله . و(من لعنه الله) في محل الرفع على قولك : هو من لعنه الله ، كقوله تعالى (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار) أو في محل الجر على البدل من شر . وقرئ : مثوبة . ومثوبه . ومثالها : مشورة ، ومشورة . فإن قلت : المثوبة مختصة بالإحسان ، فكيف جاءت في الإساءة ؟ قلت : وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله :

\* بِحَبِيَّةٍ يَذْنِبُهُمْ ضَرَبَ وَجِيعُ \* (٢)

(١) أخرجه الواجدى فى الأسباب . والوسط عن ابن عباس بهذا وأخرجه الطبرى من رواية ابن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد ، مولى زيد بن ثابت . حدثني سعيد أو عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود وفيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع . وعازر وآزار ابني آزار . وأشيع فسألوه عن يؤمن به من الرسل فذكر نحوه . وفيه فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته . وقالوا لا تؤمن بعيسى ولا تؤمن بن آمن به .

(٢) مر شرح هذا الشاهد ص ٦٠ من هذا الجزء فراجع إن شئت أمه الله .

ومنه (فبشرهم بعذاب أليم). فإن قلت: المعاقبون من الفريقين هم اليهود، فلم شورك بينهم<sup>(١)</sup> في العقوبة؟ قلت: كان اليهود - لعنوا - يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب، ف قيل لهم: من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من أهل الاسلام في زعمكم ودعواكم (وعبد الطاغوت) عطف على صلة<sup>(٢)</sup> ومن، كأنه قيل: ومن عبد الطاغوت. وفي قراءة أبي وعبدوا الطاغوت، على المعنى. وعن ابن مسعود: ومن عبدوا. وقرئ وعابد الطاغوت، عطفاً على القردة. وعابدي. وعباد. وعبد. ومعناه: الغلو في العبودية، كقولهم، رجل حذر وفطن، للبلغ في الحذر والفطنة. قال:

أَبْنَى بُيُوتِي ابْنُ أُمِّكُمْ أُمَّةٌ وَإِنْ أَبَاكُمْ عَبْدُ<sup>(٣)</sup>

وعبد، بوزن حطم. وعبيد. وعبد - بضمين - جمع عبيد: وعبدة بوزن كفرة. وعبد، وأصله عبدة، لحذفت التاء للإضافة. أو هو تخدم في جمع خادم. وعبد<sup>(٤)</sup> وعباد. وأعبد. وعبد الطاغوت، على البناء للفعول، وحذف الراجع، بمعنى: وعبد الطاغوت فيهم، أو بينهم. وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبوداً من دون الله، كقولك، أمر، إذا صار أميراً. وعبد الطاغوت، بالجر عطفاً على (من لعنه الله). فإن قلت: كيف جاز أن يجعل الله منهم

(١) قوله فلم شورك بينهم) لعله بينهما، أو بينهم وبين المسلمين. (ع)

(٢) قال محمود: «وعبد الطاغوت عطف على صلة من... الخ، قال أحد رحمه الله: السؤال يلزم القدرية لأنهم يزعمون أن الله تعالى إنما أراد منهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن عبادتهم للطاغوت قبيحة والله تعالى لا يريد القباح بل تقع في الوجود على خلاف مشيئته، فلذلك يضطر المخترع إلى تأويل الجعل بالخذلان أو بالحكم، وكذلك أول قوله تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) بمعنى حكماً عليهم بذلك. هذا مقتضى قاعدة القدرية. وأما على عقيدة أهل السنة الموحدين - فها، فالآية على ظاهرها، والله تعالى هو الذي أشقام وخلق في قلوبهم طاعة الطاغوت وعبادته، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وإذا روجع القدرية في تحقيق الخذلان أو الحكم الذي يستروح إلى التأويل به، لم يقدر منه على حفيضة. ولم يفسره بنير الخلق إن اعترف بالحق وترك ارتكاب المراء، والتذبذب مع الأهواء، والله ولي التوفيق.

(٣) أبني لبني لست معترفاً ليكون الآم منكم أحد  
أبي لبني إن أمكم أمة وإن أباكم عبد

لأوس بن حجر. وقيل لطرفة بن العبد، والمدة للنداء، والعبد كالخذر للبلغ في العبودية. ورواه الفراء بالضم، لكن قال: إن ضم الباء ضرورة. وقال السيوطي: إنه بالضم اسم جمع لبني بالسكون، لكن ظاهر البيت يخالفه. يقول: يا بني لبني، لست معترفاً لأن يكون أحد أشد لزماً منكم، فإن أبويكم رقبين. وتخصيص الأمة بالريقة والعبد بالرقب: عرف شائع في اللغة. وادام نداء الغريب، لأنه أغبط للدواجة بالدم. وكرر النداء مع هذه الإضافة للاستخفاف بهم.

(٤) قوله «وعبد» لعله بفتح العين وضم الباء كندس. أفاده الصحاح. (ع)

عباد الطاغوت ؟ <sup>(١)</sup> قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أنه خذلهم حتى عبدوه . والثاني : أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به ، كقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) وقيل الطاغوت : العجل ؛ لأنه معبود من دون الله ، ولأن عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان ، فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه : أطاعوا الكهنة ، وكل من أطاع أحداً في معصية الله فقد عبده . وقرأ الحسن : الطواغيت . وقيل : وجعل منهم القردة أصحاب السبت ، والخنازير كفار أهل مائدة عيسى . وقيل : كلا المستخين من أصحاب السبت ، فشبانهم مسخوا قردة ، ومشايخهم مسخوا خنازير . وروى أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا إخوة القردة والخنازير فينسكبون رؤسهم ﴿أولئك﴾ الملعونون المسوخون ﴿شر مكانا﴾ جعلت الشرارة للسكان وهي لأهله . وفيه مبالغة ليست في قولك : أولئك شر وأضل ، لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز . نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يظهرون له الإيمان نفاقا ، فأخبره الله تعالى بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا ، لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك . وقوله (بالكفر) و (به) حالان ، أى دخلوا كافرين <sup>(٢)</sup> وخرجوا كافرين . وتقديره : ملتبسين بالكفر . وكذلك قوله (وقد دخلوا) (وهم قد خرجوا) ولذلك دخلت (قد) تقريبا للباضى من الحال . ولمعنى آخر : وهو أن أمارات النفاق كانت لا تميز عليهم ، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوقفا لإظهار الله ما كتموه ، فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله (قالوا آمنا) أى قالوا ذلك وهذه حالهم .

وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسِرُّونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّمْعَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبُّ بَذْيُونٍ وَالْأَجْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّمْعَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

الإثم الكذب <sup>(٣)</sup> بدليل قوله تعالى (عن قولهم الإثم) . (والعدوان) الظلم . وقيل : الإثم

(١) قوله «فان قلت كيف جاز أن يحمل... الخ» السؤال مبنى على أنه لا يجوز عليه ذل خلق الشر . وهو مذهب المعتزلة . أما عند أهل السنة فيجوز كما تقرر في علم التوحيد . (ع)

(٢) قال محمود : والمجروحان حالان أى دخلوا كافرين... الخ قال أحمد : وفي تصدير الجملة الثانية بالضمير تأكيد لاتحاد حالهم في الكفر ، أى وقد دخلوا بالكفر وخرجوا وهم أولئك على حالهم في الكفر ، كما تقول : لقيت زيدا بعد عوده من سفره وهو هو ، أى على حاله . وفي المثل «وعبد الحميد عبد الحميد» أى حاله باقية ، والله أعلم .

(٣) قال محمود : «والإثم الكذب... الخ» قال أحمد : وقوله (عن قولهم الإثم) يدل على أن الإثم الأول مقول ، فيجوز أن يكون المراد الكذب مطلقا . ويجوز أن يراد كلمة الشرك ، واستدلال الزمخشري على أن المراد الكذب لا يثم ، وإنما يدل على أنه مقول فيجوز الأمرين ، والله أعلم .

كلية الشرك . وقولهم عزيز ابن الله . وقيل : الإثم : ما يحتسب بهم . والعدوان : ما يتعداهم إلى غيرهم . والمصارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة ﴿ لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير <sup>(١)</sup> لأن كل عامل لا يسمى صانعاً ، ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه ، وكأن المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها ، وأما الذي ينهأ فلا شهوة معه في فعل غيره ، فإذا فرط في الإنكار كان أشدّ حالاً من المواقع . ولعمري إن هذه الآية مما يقذف السامع <sup>(٢)</sup> وينعى على العلماء توانهم . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : هي أشدّ آية في القرآن . وعن الضحاك : ما في القرآن آية أخوف عندي منها .

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعُلُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَئِنْ زِدْنَاهُمْ مِنْهُمْ مَا نُزِّلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغِيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِحَرْبٍ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود <sup>(٣)</sup> ومنه قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط ، ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازاً عنه لأنهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة ، حتى أنه يستعمله في ملك لا يعطى عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ، ولو أعطى الأقطع إلى المنكسب عطاء جزيلاً لقالوا : ما أبسط يده بالشوال ، لأن بسط اليد

(١) عاد كلامه . قال : « جعلوا آثم من مرتكبي المناكير ، لأن كل عامل ... الخ » قال أحمد : يعني أنه لما عبر عن الواقع المذموم من مرتكبي المناكير بالعمل في قوله (لبئس ما كانوا يعملون) وعبر عن ترك الإنكار عليهم حيث ذمهم بالصناعة في قوله (لبئس ما كانوا يصنعون) كان هذا الذم أشد ، لأنه جعل المذموم عليه صناعة لهم وللرؤساء ، وحرمة لازمة هم فيها أمكن من أصحاب المناكير في أعمالهم . وهذا مراده والله أعلم .

(٢) قوله « مما يقذف السامع » يعني يخففه ويثقله . وهذا إن كان شهد الذال من القذف . أو يضربه حتى يسترخى ويشرف على الموت . وهذا إن كان مخففاً من الوقد . (ع)

(٣) قال محمود : « غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ... الخ » قال أحمد : والنكتة في استعمال هذا المجاز تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلزمها غالباً ، ولأشياء أثبت من الصور الحسية في الذهن ؛ فلما كان الجود والبخل معنيين لا يدركان بالحس ويلازمهما صورتان تدركان بالحس وهو بسط اليد للجود وقبضها للبخل ، عبر عنهما بلازمهما لفائدة الإيضاح والانتقال من المعنويات إلى المحسوسات ، والله أعلم .

وقبضها عبارتان وقتا متعاقبتين<sup>(١)</sup> للبخل والجود، وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله :

جَادَ الْحِمَى بَسْطَ الْيَدَيْنِ يَوَائِلَ شَكَرَتْ نَدَاهُ تِلَاعُهُ وَوَهَادُهُ<sup>(٢)</sup>

ولقد جعل ليبد للشمال يدا في قوله :

\* إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشُّمَالِ زِمَامَهَا \*<sup>(٣)</sup>

ويقان بسط اليأس كفيه في صدرى ، فجعلت لليأس الذى هو من المعانى لا من الأعيان كفان . ومن لم ينظر في علم البيان عى عن تبصر بحجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية ، ولم يتخلص من يد الطاعن إذا عبثت به . فإن قلت : قد صح أن قولهم ﴿ يد الله مغلوله ﴾ عبارة عن البخل .<sup>(٤)</sup> فما تصنع بقوله ﴿ غلت أيديهم ﴾ ؟ ومن حقه أن يطابق ما تقدمه وإلا تنافر الكلام وزل عن سننه ؟ قلت : يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ، ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم . ونحوه بيت الأشر :

(١) قوله « وقتا متعاقبتين » لهله « معاقبتين » . (ع)

(٢) جاد الحمى أى أطر فيه وبسط الدين فاعل وأصله مصدر أريد به المنبسط ضد المنقبض ويروى سبط بتقديم السين صفة مشبهة كضخم وهو بمعنى المسترسل المنبسط كناية عن الكبريم كما أن منقبض اليدين كناية عن البخل فشيء السحاب بانسان كريم على سبيل الممكنة وإثبات اليدين تخييل . والتلعة : الأرض المرتفعة . والوهدة : الأرض المنخفضة . وشبه أعلى الحمى وأعلى بطلاب الرزق وشكرها تخييل والندى بمعنى العطاء ترشيح للأولى . ويجوز أنه حقيقة لا بمعنى العطاء ويجوز أن الشكر تخييل للأولى أيضا . يقول : أطر السحاب أرض الحما بطر كثير فأثبتت وأزهرت . وهذا معنى شكرها . ويجوز أن التلاع والوهاد مجاز عن أهلها النازلين فيها .

(٣) وغداة ربح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

للبيد ، من المعلقة . يقول : ورب غداة ربح قد كشفتها أى كشفت غمها عن الناس . ويروى « قد وزعت ، أى كفتها ومنعتها . ورب غداة قرة ، بالكسر والضم أى شدة برد كشفت بردها أيضا . والكشف خاص بالمحسوس فاستعير للعقول من غمة الجوع والبرد على طريق التصريح . ويجوز أن إزالة الريح والبرد عن الناس كناية عن إدخالهم بيته لاكرامهم . وشبه الغداة بمطية لها زمام . أو شبه الفترة بذلك . وشبه الشمال - وهى نوع من الريح - بقائد يقود تلك المطية على طريق المكشوفة ، والزمام تخييل للأولى ، واليد للثانية . وليس بلازم أن يكون للشبه شيء - حتى يشبه ما للشبه به على المختار كاليد والزمام هنا . والمعنى أن الشمال تارة تجعل الغداة مغبرة باردة ، وتارة لا . أو تارة تثير الغبار والبرد في جهة ، وتارة في أخرى .

(٤) عاد كلامه . قال : « فإن قلت قد صح أن قولهم يد الله مغلوله عبارة عن البخل ... الخ ، قال أحد : لقد

نقص فضيلته التى أوردتها في هذا الفصل بما ضمنه هذا السؤال والجواب من القاعدة الفاسدة في أن الله تعالى يستحيل عليه أن يريد من عباده شيئا مانعا عليهم ، وبني على ذلك استحالة أن يدعو عليهم بالبخل لأنه لم يرد منهم ، ويستحيل أن يريد منهم فوج ، هذا النص بالتأويل والنكس بالأباطيل . والحق أن الله يدعو عليهم بالبخل ودعاؤه عبارة عن خلقه الشخ في قلوبهم والقبض في أيديهم ، فهو الداعى والخالق ، لا الخالق إلا هو يخلق لهم البخل ويتقدس عنه (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) فليت الخشعى لم يتحدث في تفسير القرآن إلا من حيث علم البيان ، فإنه فيه أفرس الفرسان ، لا يجارى في ميدانه ولا يجارى في بيانه .



بَقِيْتُ وَفَرَى وَأَنْحَرَفْتُ عَنِ الْعَلَا وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسٍ<sup>(١)</sup>

ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة ، يغفلون في الدنيا أسارى ، وفي الآخرة معذنين بأغلال جهنم : والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز ، كما تقول : سبى الله دابره ، أى قطعه ؛ لأن السب أصله القطع . فإن قلت : كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد ؟ قلت : المراد به الدعاء بالخذلان الذى تقسو به قلوبهم ، فيزيدون بخلا إلى بخلهم ونكدا إلى نكدهم ، أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الأحذوثة التى تحزبهم وتمزق أعراضهم . فإن قلت : لم ثبتت اليد في قوله تعالى ( بل يدها مبسوطتان ) وهى مفردة في ( يد الله مغلولة )<sup>(٢)</sup> ؟ قلت : ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه . وذلك أن غاية ما يبذله السخى بماله من نفسه أن يعطيه يديه جميعاً فبني المجاز على ذلك . وقرئ ( ولعنوا ) بسكون العين . وفي مصحف عبد الله : بل يدها بسطان . يقال : يده بسط بالمعروف . ونحوه مشية شح<sup>(٣)</sup> وناقصة صرح<sup>(٤)</sup> ( يتفق كيف يشاء ) تأكيد

(١) بقيت وفري وانحرفت عن العلى ولقيت أضيافى بوجه عبوس

إنت لم أشن على ابن حرب غارة لم تحل يوما من نهاب نفوس

الأشتر النخعي . والبيت الأول في صورة الخبر . والمراد به إنشاء الدعاء على نفسه بالبخل . ويجوز أنه من باب التعليق بالمتنع ، والوفر المسال الكثير وروى بقيت وحدى أى فئت عشيرتى أو بعدت عنها والانحراف التباعد عن حرف الشيء المحسوس كما أن العلى خاص بالمحسوسات ، فيجوز أنه استعار الانحراف للأعراض والعدول على طريق التصريحية والعلى ترشيح . ويحتمل أنه استعار العلى للكلام والانحراف ترشيح . وقوله بوجه عبوس : أى رجل عبوس ، ففيه معنى التجريد إن لم أشن بالضم شرط دل ماقبله على جوابه ، أى إن لم أوق حرباً على ابن حرب معاوية بن صخر بن حرب ، بحيث تأتبه من كل فج . وروى « على ابن هند » ولم تحل صفة غارة ، ونهاب النفوس ، أخذ الأرواح بالقتل أو أسر الفوات . وروى « ذهاب نفوس » أى فناءها . وفي الكلام الادماع ، حيث ضمن تهديد معاوية مدح نفسه بالكرم ، حتى أنت البخل عنده من أكبر المصائب وأشد العار ، حتى علقه بالمتنع فأفاد امتناعه .

(٢) عاد كلامه . قال : فإن قلت : لم ثبتت اليد في ( يدها مبسوطتان ) وهى مفردة في قولهم ( يد الله ) الخ . قال أحد : ولما كان المهود في العطاء أن يكون بأحدى اليدين وهى اليمنى ، وكان الغالب على اليهود - لعنت - اعتقاد الجسمية ، جاءت عبارتهم عن اليد الواحدة المؤلف منها العطاء بمفردتين الله تعالى كذهم في الأمرين في نسبة البخل وفي إضافته إلى الواحدة ، تنزيلاً منهم على اعتقاد الجسمية ، بأن ينسب إلى ذاته صفة الكرم المعبر عنها بالبسط ، وبأن أضافه إلى اليدين جميعاً لأن كلنا يديه يمين ، كما ورد في الحديث تنبها على نفي الجسمية ، إذ لو كانت ثابتة جل الله عنها لكانت إحدى اليدين يميناً والأخرى شمالاً ضرورة . فلما أثبت أن كليهما يمين نفي الجسمية وأضاف الكرم إليهما ، لا كما يضاف في الشاهد إلى اليد اليمنى خاصة ، إذ الأخرى شمال وليست محلاً للكرم ، والله أعلم .

(٣) قوله دشحج في الصباح والشحشة الطيران السريع . و « قطاة شحج » أى سريعة اه فلهل الشحج مثله وفيه أيضاً « الصرح » بالتحريك : الخالص من كل شيء . (ع)

لوصف بالسخاء، ودلالة على أنه لا يتفق إلا على مقتضى الحكمة والمصلحة. روى أن الله تبارك وتعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس ما لا، فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كلف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فتخاص بن عازوراء: يد الله مغولة، ورضى بقوله الآخرون فأشركوا فيه ﴿وليزیدن﴾ أى يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تمادياً في الجحود وكفراً بآيات الله ﴿وألقينا بينهم العداوة﴾ فكلهم أبداً مختلف، وقلوبهم شتى، لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد ﴿كلما أوقدوا ناراً﴾ كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقيم لهم نصر من الله على أحد قط، وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس. وقيل: خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم مختصراً، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومى، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين. وقيل: كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم. وعن قتادة رضى الله عنه لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدت منهم من أذل الناس ﴿ويسعون﴾ ويجتهدون في السكيد للإسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

﴿ولو أن أهل الكتاب﴾ مع ما عددنا من سيئاتهم ﴿آمَنوا﴾ برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وقرنوا إيمانهم بالتقوى التى هى الشريطة فى الفوز بالإيمان ﴿لكفرنا عنهم﴾ تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها ﴿ولأدخلناهم﴾ مع المسلمين الجنة. وفيه إعلام بعظم معاصى اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم، ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتحه باب التوبة على كل عاص وإن عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى، وأن الإيمان لا ينجى<sup>(١)</sup>

(١) قال محمود: وفيه دليل على أن الإيمان لا ينجى... الخ، قال أحد: وهو يقتصر الفرصة من ظاهر هذه الآية فيجعل دليلاً على قاعدته فى أن مجرد الإيمان لا ينجى من الخلود فى النار حتى يضاف إليه التقوى، لأن الله تعالى جعل المجموع فى هذه الآية شرطاً للتكثير ولادخال الجنة. وظاهره أهم ما لم يجتمعا لا يوجد تكفير ولا دخول الجنة، وأنى له ذلك والاجماع والاتفاق من الفريقين أهل السنة والمعتزلة على أن مجرد الإيمان يجب ما قبله ويمحوه، كما ورد العرس فلم فرضنا موت الداخل فى الإيمان عقوب دخوله فيه، لكان كيوم ولدته أمه باتفاق مكفر الخطايا محكوماً له بالجنة، فدل ذلك على أن اجتماع الأمرين ليس بشرط. هذا إن كان المراد بالتقوى الأعمال. =

ولا يسعد إلا مشفوعاً بالتقوى ، كما قال الحسن : هذا العمود فأين الاطناب ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ﴾ أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وما أنزل إليهم ﴾ من سائر كتب الله ، لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها ، فكأنها أنزلت إليهم ؛ وقيل : هو القرآن . لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا . وقوله ﴿ لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ عبارة عن التوسعة . وفيه ثلاث أوجه : أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض وأن يكثر الأشجار المثمرة والزرع المغلة وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتثون ما نهى<sup>(١)</sup> منها من رؤس الشجر ، ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم ﴿ منهم أمة مقتصة ﴾ طائفة حالها أُمم<sup>(٢)</sup> في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى ، و ﴿ ساء ما يعملون ﴾ فيه معنى التعجب ، كأنه قيل : وكثير منهم ما أسوأ عملهم ، وقيل : هم كعب بن الأشرف وأصحابه والروم .

يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

﴿ بلغ ما أنزل إليك ﴾ جميع ما أنزل إليك وأى شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحداً<sup>(٣)</sup> ، ولا خائف أن ينالك مكروه ﴿ وإن لم تفعل ﴾ وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك

== وإن كانت التقوى على أصل موضعها الخوف من الله عز وجل ، فهذا المعنى ثابت لكل مؤمن وإن عارف الكيثر . وحينئذ لا يتم الزعم سوى منه غرض . وما هذا إلا إلحاح ولجاج في مخالفة المعتقد المستفاد من قوله عليه الصلوة والسلام من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، وإن زنى أو سرق ، كررها النبي صلى الله عليه وسلم مرارا ، ثم قال : وإن رغم أنف أبي ذر ، لما راجعه رضى الله عنه في ذلك . ونحن نقول . وإن رغم أنف القدرة .

(١) قوله « ما تبدل ، أى استرخى وتبدل . أفاده الصحاح . (ع)

(٢) قوله « أُمم ، أى يسير . أفاده الصحاح . (ع)

(٣) قال محمود : ومعناه بلغ غير مراقب في التبليغ أحداً ، ولا خائف أن ينالك مكروه . (وإن لم تفعل) ومعناه : وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته ، فلم تبلغ إذا ما كلفت من أداء الرسالة ولم تود منها شيئاً قط . وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من البعض ، فكأنك أغفلت أداءها جميعها ، كما أن من يؤمن ببعضها كان كمن يؤمن بأكملها ، لادلاء كل منها بما يذليه غيرها . وكونها كذلك في حكم الشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ ، مؤمنا به غير مؤمن ، إلى أن قال : « فإن قلت وقروح قوله (فما بلغت رسالته) جزء للشرط ما وجه صحته ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أنه إذا لم تمثل ... الخ ، قال أحمد : وهذا الاتحاد بين الشرط والجزاء ظاهر ؛ لأن حاصله إن لم تبلغ الرسالة لم تبلغ الرسالة ، باتحاد المبتدأ والخبر ، حتى لا يزيد الخبر عليه شيئا في الظاهر كقوله :

• أنا أبو النجم وشعري شعري •

لجعل الخبر عن المبتدأ بلا مزيد في اللفظ ، وأراد : وشعري شعري المشهور بلاغته والمستفيض فصاحته ، ولكنه أهدم بالسكوت عن هذه الصفات التي بها تحصل الفائدة أنها من لوازم شعره في أفهام الناس السامعين ، لاشتهاره بها ، ==

(فما بلغت رسالته) وقرئ : رسالاته ، فلم تبلغ إذا ما كلفت من أداء الرسالات ، ولم تؤد منها شيئاً قط ، وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض ، وإن لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعاً ، كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها ، لإدلاء كل منها بما يدل عليه <sup>(١)</sup> غيرها . وكونها كذلك <sup>(٢)</sup> في حكم شيء واحد . والشئ الواحد لا يكون مبلغاً غير مبلغ ، مؤمناً به غير مؤمن به . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن كتمت آية لم تبلغ رسالاتي . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعاً ، فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك . وضمن لي العصمة فقويت <sup>(٣)</sup> . فإن قلت : وقوع قوله (فما بلغت رسالاته) جزاء للشرط ما وجه صحته ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أنه إذا لم يمثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتمتها كلها كأنه لم يبعث رسولا كان أمراً شنيعاً لا خفاء بشناعته ، فقيل : إن لم تبلغ منها أدنى شيء . وإن كان كلمة واحدة ، فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلها ، كما عظم قتل النفس بقوله (فكأنما قتل الناس جميعاً) والثاني : أن يراد : فإن لم تفعل فلك ما يوجب كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ، ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام « فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك » (والله يعصمك) عدة من الله بالحفظ والكلام والمعنى : والله يضمن لك العصمة من أعدائك ، فما عذرك في مراقبتهم ؟ فإن قلت : أين ضمان العصمة وقد شجّ في وجهه يوم أحد وكسرت ربابيته <sup>(٤)</sup> صلوات الله عليه ؟ قلت : المراد أنه يعصمه من القتل . وفيه : أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله ، فما أشد تكليف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقيل : نزلت بعد يوم أحد ، والناس الكفار بدليل قوله (إن الله لا يهدي

== وأنه غنى عن ذكرها لشهرتها وذياعها ، وكذلك أريد في الآية لأن عدم تبليغ الرسالة أمر معلوم عند الناس مستقر في الأفهام أنه عظيم شنيع ينقم على مرتكبه ، بل هدم نشر العلم من العالم أمر فظيع فضلا عن كتمان الرسالة من الرسول ، فاستغنى عن ذكر الزيادة التي يتفاوت بها الشرط والجزاء للصوق بالجزاء في الأفهام وإن كل من سمع عدم تبليغ الرسالة فهم ما وراءه من الوعيد والتهديد ، وحسن هذا الأسلوب في الكتاب العزيز بذكر الشرط عاما بقوله (وإن لم تفعل) ولم يقل وإن لم تبلغ الرسالة فما بلغت الرسالة ، حتى يكون اللفظ متنازلاً ، وهذه المغايرة اللفظية وإن كان المعنى واحداً أحسن رونقاً وأظهر خلاوة من تكرار اللفظ الواحد في الشرط والجزاء ، وهذه الضرورة انحط عنها أبو النجم بذكر المبتدأ بلفظ الخبر ، وحق له أن تتضام فصاحته عند فصاحة المعجز فلا يعاب عليه في ذلك ، وهذا الفصل كالللباب من علم البيان ، والله الموفق .

- (١) قوله « بما يدل عليه » لعله : يدلى به . (ع)
- (٢) قوله « وكونها كذلك » لعله « لذلك » . (ع)
- (٣) أخرجه إسماعيل في مسنده . أخبرنا كلثوم بن محمد بن أبي سدره : حدثنا عطاء الخراساني عن أبي هريرة به ولم يذكر وضمن لي العصمة فقويت وذكره الواحدى في الوسيط والأسباب عن الحسن بغير سند .
- (٤) متفق عليه من حديث سهل . وقد تقدم في تفسير آل عمران ،

القوم الكافرين) ومعناه أنه لا يمكنهم ما يريدون إزاله بك من الهلاك. وعن أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت، فأخرج رأسه من قبة آدم وقال: انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمتني الله من الناس. (١)

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا لِلتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَكَيْزِيدَنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْمَنْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)

(لستم على شيء) أى على دين يعتد به حتى يسمى شيئاً فساداً وبطلاناً، كما تقول: هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه. وفي أمثالهم: أقل من لاشيء (فلا تأس) فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم، فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك، وفي المؤمنين غنى عنهم.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)

(والصابثون) رفع على الابتداء وخبره (٢) محذوف، والنية به التأخير عما في حين إن من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابثون كذلك، وأنشد سيبويه شاهداً له:

(١) لم أجده من حديث أنس، وقد أخرجه الترمذى من رواية أبي قدامة الحارث بن عبيد عن سعيد الحريرى عن عبد الله بن شقيق عن عائشة. وقال غريب. ورواه بعضهم عن الحريرى مرسلًا ليس فيه عائشة. ورواه موصولا الطبرى من رواية ابن علية عن الحريرى ولكنه رواه من رواية وهب عن الحريرى.

(٢) قال محمود: وفيه الصابثون رفع على الابتداء وخبره محذوف. الخ. قال أجود: صدق، لا ورود للسؤال بهذا التوجيه، ولكن ثم سؤال متوجه، وهو أن يقال: لو عطف الصابثين ونصبه كما قرأ ابن كثير لأفاد أيضاً دخولهم في جملة المتوب عليهم، ولفهم من تقديم ذكرهم على النصارى ما يفهم من الرفع من أن هؤلاء الصابثين وهم أرغل الناس في الكفر يتاب عليهم، فما اظن بالنصارى، ولكان الكلام جملة واحدة بلينا مختصراً والعطف لإفرادى، فلم عدل إلى الرفع وجعل الكلام جملتين، وعلى يمتاز بفائدة على نصب والعطف الإفرادى؟ وبجواب عن هذا السؤال بأنه لو نصبه عطفه لم يكن فيه إلهام خصوصية لهذا الصف، لأن الأصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف المفردات. وهذا الصف من جملتها، والخبر عنها واحد. وأما مع الرفع فيقطع عن العطف الإفرادى وتبقى بقية الأصناف مخصصة بالخبر المعطوف به. ويكون خبر هذا الصف المنفرد بمعزل تقديره مثلاً، والصابثون كذلك فيجوز كأنه مقيس على بقية الأصناف وملحق بها وهو بهذه المثابة، لأنهم لما استقر بعد الأصناف من قبول التوبة فكانوا أعتاباً يجعلهم تبعاً وفرعاً، مشبهين بمن هم أقدم منهم بهذا الخبر. وفائدة التقديم على الخبر أن يكون توسط هذا المبتدأ المحذوف الخبر بين الجزتين، أول على الخبر المحذوف من ذكره بعد تقضى الكلام وتمامه، والله أعلم.

## وَلَا فَاعِلُوا أَنَا وَأَنْتُمْ بُغَاةٌ مَا يَقِينَا فِي شِقَاقٍ (١)

أى فاعلوا أنا بغاة وأنتم كذلك . فإن قلت : هل لزمت أن ارتفاعه للعطف على محل إن واسمها ؟ قلت : لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر ، لا تقول : إن زيدا وعمرو منطلقان . فإن قلت لم لا يصح والنية به التأخير ، فكأنك قلت : إن زيدا منطلق وعمرو ؟ قلت : لأنى إذا رفعته رفعته عطفا على محل إن واسمها ، والعامل فى عملها هو الابتداء ، فيجب أن يكون هو العامل فى الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين فى عمله كما تنتظمها وإن فى عملها ، فلو رفعت الصابثون المنوى به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بأن ، لأعملت فيهما رافعين مختلفين . فإن قلت : فقوله والصابثون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو ؟ قلت : هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ( إن الذين آمنوا الخ ... ) ولا محل لها ، كما لا محل للتي عطفت عليها ، فإن قلت : ما التقديم والتأخير إلا لفائدة ، فما فائدة هذا التقديم ؟ قلت : فائدته التنبيه على أن الصابثين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح ، فما الظن بغيرهم . وذلك أن الصابثين أبين هؤلاء المعدودين ضللا وأشدهم غيا ، وما سموا صابثين إلا لأنهم صبوا عن الأديان كلها ، أى خرجوا ، كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على أن المخاطبين أوغل فى الوصف بالبغاة من قومه ، حيث عاجل به قبل الخبر الذى هو وبغاة . لئلا يدخل قومه فى البغى قبلهم ، مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما فإن قلت : فلو قيل والصابثين وإياكم لكان التقديم حاصلا . قلت : لو قيل هكذا لم يكن من التقديم فى شيء ، لأنه لا إزالة فيه عن موضعه ، وإنما يقال مقدم ومؤخر للزوال لا للقاء فى مكانه . ويجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض فى الكلام . فإن قلت : كيف قال ( الذين آمنوا ) ثم قال ( من آمن ) ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أن يراد بالذين آمنوا : الذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن . من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه . فإن قلت : ما محل من آمن

(١) إذا جرت نواصى آل بدر فادوها وأسرى فى الوثاق  
وإلا فاعلوا أنا وأنتم بغاة ما يقينا فى شقاق

لبشر بن أبى خازم الأسدى ، يخاطب بنى طي ويتوعدهم بما صنعوا بآل بدر حلفاء بنى أسد . والناصية : مقدم شعر الرأس : وجز النواصى حقيقة ، على عادتهم من جز ناصية الأسير إذا أرادوا إطلاقه ، فطالبهم بمقتضاها وقال : فادوها ، أى الأمرى التى جرت نواصىها . أو أدوا النواصى نفسها . ويجوز أنه مجاز عن قتل كبرائهم . وقوله فادوها ، أى دماء القتلى وأسرى عطف على الضمير المفعول . وإلا ، أى وإن لا تفعلوا فاعلوا أنا وأنتم بغاة . وبغاة : خبر إنا . وخبر أنتم محذوف ، أى بغاة أيضا . ولم يجعل المذكور خبرا عنه أيضا ، لأنه ليس عطفا على اسم إن ، وإلا لقال : إنا وإياكم ، بل هو من عطف الجمل . ولا يقال فيه العطف على الجملة قبل تمامها ، لا تقول : سمع العطف قبل المعطوف عليه بالكلية فى قوله : عليك ورحمة الله السلام . وفى شقاق خبر ثان ، أى فى خلاف ما يقينا ، أى مدة بقائنا ، يعنى وأنتم تعلمون بأسنا فى الحرب .

قلت : إما الرفع على الابتداء وخبره ﴿فلا خوف عليهم﴾ والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر إن ، وإما النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه ، أو من المعطوف عليه . فإن قلت : فأين الراجع إلى اسم إن ؟ قلت : هو محذوف تقديره من آمن منهم ، كما جاء في موضع آخر . وقرئ : والصايون ، ياء صريحة ، وهو من تخفيف الهمزة ، كقراءة من قرأ : يستهزون . والصايون . وهو من صبوت ، لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع . وفي قراءة أبي رضى الله عنه : والصابئين ، بالنصب . وبها قرأ ابن كثير . وقرأ عبدالله : يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون .

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ  
بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠)

﴿لقد أخذنا﴾ ميثاقهم بالتوحيد ﴿وأرسلنا إليهم رسلاً﴾ ليقفوا على ما يأتون وما يذرون في دينهم ﴿كلما جاءهم رسول﴾ جملة شرطية وقعت صفة لرسلا ، والراجع محذوف أى رسول منهم ﴿بما لا تهوى أنفسهم﴾ بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع . فإن قلت : أين جواب الشرط ؟ فإن قوله ﴿فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾ ناب عن الجواب ، لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول إن أكرمت أخى أخاك أكرمت ؟ قلت : هو محذوف يدل عليه قوله ﴿فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾ كأنه قيل : كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه ، وقوله ﴿فريقاً كذبوا﴾ جواب مستأنف لقائل يقول : كيف فعلوا برسلمهم ؟ فإن قلت : لم جرى بأحد الفعلين ماضياً ؟ قلت : جرى . يقتلون على حكاية

(١) قال محمود : وإن قلت ابن جواب الشرط ... الخ ، قال أحد : وما يدل على حذف الجواب أنه جاء ظاهراً في الآية الأخرى ، وهي نواة هذه قوله تعالى ( أفكلم جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ) فأوقع قوله ( استكبرتم ) جواباً . ثم فسر استكبارهم وصدعهم بالأنبياء بقتل البعض وتكذيب البعض . ولو قدر الزمخشري ههنا الجواب المحذوف مثل المنطوق به في آية فقال : وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا ، لكان أول دلالة مثله عليه .

(٢) عاد كلامه . قال : . فإن قلت لم جرى بأحد الفعلين ماضياً ... الخ ، قال أحد : أو يكون حالاً على حقيقته لأنهم داروا حول قتل محمد عليه أفضل الصلاة والسلام . وقد قيل هذا الوجه في آية هذه الآية في البقرة . وقد مضى وجه اقتضاء صيغة الفعل المضارع لاستحضاره دون الماضي وتمثله بقوله تعالى ( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فنصب الأراض غضرة ) فعدل عن فأصبحت إلى فتصبح ، تصويراً للحال واستحضاراً لها في ذهن السامع . ومنه :

بأنى قد لغيت الغول يسمى  
فأخذه فأطربها بغرت  
بنيب كالصحيفة مصححان  
صريعاً للبدن وللجرات

ومثاله كثيرة والله أعلم .

الحال الماضية استفظاعاً للقتل واستحضاراً لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها . قرئ : أن لا يكون ، بالنصب على الظاهر . وبالرفع على « أن » ، هي الخففة من الثقيلة ، أصله : أنه لا يكون فتنة تخفت ، « أن » وحذف ضمير الشأن .

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَّوْا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَّوْا  
كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ يَصِيرُ إِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

فإن قلت : كيف دخل فعل الحسبان على « أن » ، التي للتحقيق ؟ قلت : نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم : فإن قلت : فأين مفعولاً حسب ؟ قلت : سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد المفعولين ، والمعنى : وحسب بنو إسرائيل أنه لا يصيبهم من الله فتنة ، أى بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة ﴿ فعموا ﴾ عن الدين ﴿ وصَّووا ﴾ حين عبدوا العجل ، ثم تابوا عن عبادة العجل ﴿ تاب الله عليهم ثم عموا وصَّووا ﴾ كرة ثانية بطلبهم الحال غير المعقول في صفات الله وهو <sup>(١)</sup> الرؤية . وقرئ : عموا وصَّووا ، بالضم على تقدير عماهم الله وصهم ، أى رماهم وضربهم بالعمى والصمم ، كما يقال : تركته إذا ضربته بالتيك <sup>(٢)</sup> وركبته إذا ضربته بركبتك ﴿ كثير منهم ﴾ بدل من الضمير : أو على قولهم : أكلوني البراغيث ، أو هو خبر مبتدأ محذوف أى أولئك كثير منهم .

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ

وَمَاوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾

لم يفرق عيسى عليه الصلاة والسلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم ، وهو احتجاج على النصارى ﴿ إنه من يشرك بالله ﴾ في عبادته ، أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله ﴿ فقد حرم الله عليه الجنة ﴾ التي هي دار الموحدين أى حرمه دخولها ومنعه منه ، كما يمنع المحرم من المحترم عليه ﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾ من كلام الله على أنهم ظلوا <sup>(٣)</sup> وعدلوا

(١) قوله « وهو الرؤية » ، أحالها مذهب المعتزلة ، وأجازها أهل السنة كما حقق في محله . (ع)

(٢) قوله « إذا ضربته بالتيك » هو الريح القصير ، وهو فارسي مررب ، أصله نيزه ، فأبدلت الماء كافاً . كذا

بهاشم ، وأصله في الصحاح . (ع)

(٣) قوله « على أنهم ظلوا » ، لعله على معنى أنهم . (ع)



عن سبيل الحق فيما يقولوا على عيسى عليه السلام ، فذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم رده وأنكره ، وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره . أو من قول عيسى عليه السلام ، على معنى : ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدهم عليه لاستحالة وبعده عن المعقول . أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله .

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَمَمَسَّنِ الْذِّينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾  
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُوهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَا كِلَانِ الْعُلَمَاءَ  
أَنْظُرْ كَيْفَ تُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾

من في قوله ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ للاستغراق وهي القدرة مع ولا ، التي لنفي الجنس في قولك (لا إله إلا الله) والمعنى : وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له ، وهو الله وحده لا شريك له : و من ، في قوله ﴿ليمنن الذين كفروا منهم﴾ للبيان كالتي في قوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) فإن قلت : فهلا قيل (ليمننهم عذاب أليم) . قلت : في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله (لقد كفر الذين قالوا) وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير والذين كفروا منهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى : ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة ﴿عذاب أليم﴾ أى نوع شديد الألم من العذاب كما تقول : أعطنى عشرين من الثياب ، تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون . ويجوز أن تكون للتبعض ، على معنى : ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم ، لأن كثيراً منهم تابوا من النصرانية ﴿أفلا يتوبون﴾ ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المسكرة عليهم بالكفر . وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه . وفيه تعجب من إصرارهم ﴿والله غفور رحيم﴾ يغفر هؤلاء إن تابوا ولغيرهم ﴿قد خلت من قبله الرسل﴾ صفة لرسول ، أى ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها ، أن أبرأ الله الأبرص وأحيا الموتى على يده ، فقدم أحيا العصا وجعلها حية تسعى ، وخلق بها البحر ، وطمس على يد موسى .<sup>(١)</sup> وإن خلقه من غير ذكر ، فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى

(١) قوله « وطمس على يد موسى » ، عمله وطمس على أموال فرعون وقومه على يد ... الخ . (ع)

(وأمه حديقة) أى وما أمه أيضاً إلا كصديقة كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنين بهم ، فامزلتها لإمازلة بشرين : أحدهما نبي ، والآخر صحابي . فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتوهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم ؟ مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه . ثم صرح ببعدهما عما نسب إليهما في قوله (كانا يأكلان الطعام) لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسماً مركباً من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم<sup>(١)</sup> وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام (كيف نبين لهم الآيات) أى الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله . فإن قلت : ما معنى التراخي في قوله ثم انظر ؟<sup>(٢)</sup> قلت : معناه ما بين العجيين ، يعنى أنه بين لهم الآيات بياناً عجيباً ، وأن إعراضهم عنها أعجب منه .

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

(ما لا يملك) هو عيسى ، أى شيئاً لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال ، ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب ، ولأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فياقدار الله وتمكينه ، فكأنه لا يملك منه شيئاً . وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية ، حيث جعله لا يستطيع ضراً ولا نفعاً . وصفة الرب أن يكون قادراً على كل شيء لا يخرج مقدور على قدرته (والله هو السميع العليم) متعلق بأتعبدون ، أى أتشركون بالله ولا تخشونه ، وهو الذى يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذى يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ، ولن يكون كذلك إلا وهو حى قادر .

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ

قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

(١) قوله وقرم ، فى الصحاح و القرم ، بالتحريك : شدة شهوة اللحم . (ع)

(٢) قال محمود : وقد قلت ما معنى التراخي فى قوله ثم انظر . . . الخ ، قال أحمد : ومنه (ثم أتت هؤلاء تقتلون أنفسكم) وقوله (تقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر) وهى فى سائر هذه المواضع منقولة من التراخي الزمانى إلى التراخي المعنوى فى المراتب .

(غير الحق) صفة للبصير أى لا تغلوا فى دينكم غلوا غير الحق (١) أى غلوا باطلا؛ لأن الغلو فى الدين غلو "أن غلو حق، وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه، ويجهد فى تحصيل حجه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم. وغلوا باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه، كما يفعل أهل الأهواء والبدع (قد ضلوا من قبل) هم أئمتهم فى النصرانية، كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وأضلوا كثيراً) عن شايعهم على التثليث (وضلوا) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه.

لِئِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ قَسِيقُونَ (٨١)

نزل الله لعنهم فى الزبور (على لسان داود) وفى الإنجيل على لسان عيسى. وقيل إن أهل أيلة، لما اعتدوا فى السبت قال داود عليه السلام: اللهم العنهم واجعلهم آية، فسخوا قردة. ولما كفر أصحاب عيسى عليه السلام بعد المائدة قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذاباً لم تعذبه أحداً من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السبت، فأصبحوا خنازير

(١) قال محمود: د معناه لا تغلوا فى دينكم غلوا باطلا ... الخ، قال أحمد: يعنى بأهل العدل والتوحيد المعتزلة، ويعنى بعلومهم الذى هو حق عنده أهم غلوا فى التوحيد لمجدوا الصفات الالهية، وغلوا فى التعديل فنقلوا أكثر الأعمال بل كلها عن أن تكون مخلوقة لله تعالى لانطوائها فى مقاسد؛ ولأن الله تعالى يعاقب على ما هو قبيح منها، والعدل عندهم أن لا يعاقب على فعل خلقه فهذا غلوم فى التعديل، وهو كما ترى أنه كاسد عن التوحيد؛ لأنهم جعلوا كل مخلوق من الحيوانات خالقاً، فالنصارى غلوا فأشركوا ثلاثة، والمعتزلة كما رأيت أشركوا كل أحد بل غير الآدميين فى المخلوق الذى هو خاص بالرب. ويعنى الزمخشري بأهل البدع والأهواء من عدا الطائفة المذكورة، ويعنى بعلوم الباطل إثبات الصفات لله تعالى وتوحيده على الحق، حتى لا خالق سواه ولا مخلوق إلا بقدرته، وقد رضى عن شيمته وإخوانه وسكت عن ذكر من عداهم، ونحن نقول: اللهم ارض من هو أحق الطوائف برضاك، وهذه دعوة أيضاً بلا خلاف، والله الموفق.

وكانوا خمسة آلاف رجل ، ما فيهم امرأة ولا صبي ﴿ ذلك بما عصوا ﴾ أى لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذى كان سبب المسخ ، إلا لاجل المعصية والاعتداء ، لا لشيء آخر ، ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله ﴿ كانوا لا يتناهون ﴾ لا ينهاى بعضهم بعضاً ﴿ عن منكر فعلوه ﴾ ثم قال ﴿ لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ للتعجب من سوء فعلهم ، مؤكداً لذلك بالقسم ، فياحصرة على المسلمين فى إعراضهم عن باب التناهى عن المناكير ، وقلة عيبتهم به ، كأنه ليس من ملة الإسلام فى شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات فى هذا الباب . فان قلت : كيف وقع ترك التناهى عن المنكر <sup>(١)</sup> تفسيراً للمعصية والاعتداء ؟ قلت : من قبل أن الله تعالى أمر بالتناهى ، فكان الإخلال به معصية وهو اعتداء ، لأن فى التناهى حسماً للفساد فكان تركه على عكسه . فإن قلت : ما معنى وصف المنكر بفعله ، ولا يكون النهى بعد الفعل ؟ قلت : معناه لا يتناهون عن منكر فعلوه ، أو عن مثل منكر فعلوه ، أو عن منكر أرادوا فعله ، كما ترى أمارات الخوض فى الفسق وآلاته تسوى وتها فتشكر . ويجوز أن يراد : لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه ، بل يصبرون عليه ويدأومون على فعله . يقال : تنهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه ﴿ ترى كثيراً منهم ﴾ هم منافقو أهل الكتاب ، كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ﴿ أن سخط الله عليهم ﴾ هو المخصوص بالذم ، وحله الرفع ، كأنه قيل : لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم . والمعنى : موجب سخط الله . ﴿ ولو كانوا يؤمنون ﴾ إيماناً خالصاً غير نفاق ما اتخذوا المشركين ﴿ أولياء ﴾ يعنى أن موالاتهم المشركين كفى بهادليلاً على نفاقهم ، وأن إيمانهم ليس بإيمان ﴿ ولكن كثيراً منهم فاسقون ﴾ متمردون فى كفرهم ونفاقهم . وقيل معناه : ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ، ما اتخذوا المشركين أولياء . كما لم يوالهم المسلمون .

(١) قال محمود : د إن قلت كيف وقع ترك التناهى ... الخ ، قال أحمد : وفى هذا التوبيخ الاخبار بأمرين قبيحين ، أحدهما : بأنهم كانوا يفعلون المنكر ، والآخر : أنهم كانوا تاركين للنهى عنها ، أى عن أمثالها فى المستقبل ولولا زيادة ( فعلوه ) لما صرح بوقوعها منهم ، ولكان المهرج به ترك النهى عن المنكر عند استحقاق النهى ، وذلك حين الاشراف على آماطيه وظهور الامارات الدالة عليه ، فانظم ثبوت الأمرين جميعاً على أخصر وجه وأبلغه وقد دلت هذه الآية على المذهب الصحيح الأشعرى ، من أن متعلق النهى فعل وهو الترك ، خلافاً لآبى هاشم المعتزلى فى قوله د إن متعلقه نفي محض وعدم صرف ، ووجه دلالة الآية على أن متعلقه فعل أنه عبر عن ترك التناهى الذى وقع توبيخهم عليه بالفعل ، حيث قال ( لبئس ما كانوا يفعلون ) أى لبئس الترك للتناهى فعلاً ، كما تقول : زيد يشرب الرجل ، فتجعل الرجل واقفاً على زيد . وقد سعى تركهم للنهى عن المنكر فى الآية الصالفة قبل هذه صنعا ، فقال ( لولا ينهاهم الربانيون والأحبار ) إلى قوله ( لبئس ما كانوا يصنعون ) وذلك لأبلغ فى الدلالة على أن متعلق النهى أمر ثابت ، إذ الصنيع أمكن من الفعل فى الدلالة على الإثبات ، وقد مر هذا للتقرير ، والله الموفق .

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ  
أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ إِنْ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ  
وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى  
أَعْمَاهُمْ يَقْفِضُونَ مِنَ الذَّمِّ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا  
مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْعُ أَنْ  
يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَنبِئْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتْ تَحْجِرِي  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق <sup>(١)</sup> ولين عريكة النصارى  
وسهولة ادعوائهم وميلهم إلى الإسلام ، وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة  
للؤمنين ، بل نبه على تقدّم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا ، وكذلك فعل في قوله  
(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا) ولعمري إنهم لكذلك وأشدّ. وعن  
النبي صلى الله عليه وسلم «ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما يقتله» <sup>(٢)</sup> وعلل سهولة مأخذ النصارى  
وقرب مودّتهم للؤمنين (بأن منهم قسيسين ورهباناً) أى علماء وعباداً (وأنهم) قوم فيهم  
تواضع واستكانة ولا كبر فيهم ، واليهود على خلاف ذلك. وفيه دليل بين على أن التعلم أنفع

(١) قال محمود : « وصف الله تعالى شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم ... الخ ، قال أحمد : وإنما قال  
(الذين قالوا إنا نصارى) ولم يقل : النصارى ، تعريضا بصلابة اليهود في الكفر والامتناع من الامتثال للأمر ،  
لأن اليهود قبل لهم (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم) . فقابلوا ذلك بأن قالوا  
(فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) والنصارى قالوا (نحن أنصار الله) ومن ثم سموا نصارى ، وكذلك  
أيضا ورد أول هذه السورة (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به) فأستند ذلك إلى  
قولهم ، والاشارة به إلى قولهم (نحن أنصار الله) لكنه ههنا ذكر تنبيها على أنهم لم يثبتوا على الميثاق ، ولا على  
ما قالوه من أنهم أنصار الله . وفي الآية الثانية ذكر تنبيها على أنهم أقرب حالا من اليهود ، لأنهم لما ورد عليهم  
الأمر لم يكالحوه بالرد مكالحة اليهود ، بل قالوا (نحن أنصار الله) واليهود قالت (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا  
ههنا قاعدون) فهذا سره والله أعلم .

(٢) أخرجه الترمذي وابن مردويه وابن حبان في الضعفاء من رواية يحيى بن عبيد الله عن أبيه . عن أبي هريرة  
وفي رواية ابن حبان «يهودى» على الافراد .

شيء وأهداه إلى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين ، وكذلك غم الآخرة والتحدث بالعاقبة وإن كان في راهب ، والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني . ووصفهم الله بركة القلوب وأنهم سيكون عند استماع القرآن ، وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي رضي الله عنه أنه قال لجعفر بن أبي طالب - حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون لعنوا وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنهم عنده - : هل في كتابكم ذكر مريم ؟ قال جعفر : فيه سورة تنسب إليها ، فقرأها إلى قوله ( ذلك عيسى ابن مريم ) وقرأ سورة طه إلى قوله ( وهل أتاك حديث موسى ) فبكى النجاشي <sup>(١)</sup> وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلاً حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس ، فبكوا . فإن قلت : ثم تعلقت اللام في قوله ( للذين آمنوا ) ؟ قلت : بعداوة ومودة ، على أن عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين أشد العداوات وأظهرها ، وأن مودة النصارى التي اختصت المؤمنين أقرب المودات ، وأدناها وجوداً ، وأسهلها حصولاً . ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ، ثم وصف العداوة والمودة بالأشد والأقرب . فإن قلت : مامعنى قوله ( تفيض من الدمع ) <sup>(٢)</sup> قلت : معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض ، لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه ، فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء ، وهو من إقامة

(١) لم أجده قلت أظن صاحب الكشاف ذكره بالمعنى من قصة جعفر بن أبي طالب مع عمرو بن العاص لما أرسلته قريش يهديها إلى النجاشي ليدفع إليهم جعفرأ ورفقاه فانمعنى ما ذكر موجوداً فيها إلا قراءة طه . أخرجه ابن إسحاق في المغازي . من طريق ابن حبان من حديث أم سلمة . وقوله : وكذلك فعل قومه أى النجاشي الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهم سبعون رجلاً حين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة يس : الطبرى من رواية قيس بن الربيع . عن سالم الألفطس عن سعيد بن جبير في قوله ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا . قال نعم رسل النجاشي الذين أرسلت وإسلام قومهم وكانوا سبعين رجلاً فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم يس . فبكوا وعرفوا الحق . فنزل ونزل فهم أيضاً (الذين آتيناكم الكتاب من قبلهم به يؤمنون) وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عن قيس .

(٢) عاد كلامه . قال : وإن قلت ما معنى قوله ( ترى أعينهم تفيض من الدمع . . . الخ ، قال أحمد : وهذه العبارة من أبلغ العبارات ، وأتمها وهي ثلاث مراتب ، فالأولى : فاض دمع عينه ، وهذا هو الأصل . والثانية : عوالة من هذه . وهي قول القائل : فاضت عينه دمعاً حولت الفعل إلى العين مجازاً ومبالغة ، ثم نهبت على الأصل والحقيقة تنصب ما كان فاعلاً على التمييز . والثالثة : فيها هذا التحويل المذكور ، وهي الواردة في الآية ، إلا أنها أبلغ من الثانية بإطراح المنبهة على الأصل وعدم نصب التمييز ، وإبرازه في صورة التعليل والله أعلم . وإنما كان الكلام مع التعليل أبعد عن الأصل منه مع التمييز : لأن التمييز في مثله قد استقر كونه فاعلاً في الأصل في مثل : تصيب زيد عرقاً ، وتفقأ عمرو شحماً ، واشتعل الرأس شيباً ، وتفجرت الأرض عيوناً . فإذا قلت : فاضت عينه دمعاً ، فهم هذا الأصل في العادة في أمثاله . وأما التعليل فلم يمد فيه ذلك . ألا تراك تحول : فاضت عينه من ذكر الله كما تقول فاضت عينه من الدمع ، فلا يفهم التعليل ما يفهم التمييز والله الموفق .

المسبب مقام السبب ، أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها ، أى تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعاً فإن قلت : أى فرق بين من ومن في قوله ﴿ بما عرفوا من الحق ﴾ ؟ قلت الأولى لا ابتداء الغاية ، على أن فيض الدمع ابتداء ونشأ من معرفة الحق ، وكان من أجله وبسببه . والثانية لتبيين الموصول الذى هو ما عرفوا . وتحتمل معنى التبعية على أنهم عرفوا بعض الحق ، فأبكم وبلغ منهم ، فكيف إذا عرفوه كله وقرأوا القرآن وأحاطوا بالسنة ؟ وقرئ ( ترى أعينهم ) على البناء للمفعول ﴿ ربنا آمنا ﴾ المراد به إنشاء الإيمان ، والدخول فيه ﴿ فاكتمنا مع الشاهدين ﴾ مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة ( لتكونوا شهداء على الناس ) وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك ﴿ وما لنا لا نؤمن بالله ﴾ إنكار استبعاد لا تنفاه الإيمان مع قيام وجهه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين : وقيل : لما رجعوا إلى قومهم لا موهم فأجابوهم بذلك . أو أرادوا : وما لنا لا نؤمن بالله وحده لأنهم كانوا مثليين ، وذلك ليس بإيمان بالله : وحل ( لا نؤمن ) النصب على الحال ، بمعنى : غير مؤمنين ، كقولك مالك قائماً . والواو في ﴿ ونطمع ﴾ واو الحال . فإن قلت : ما العامل في الحال الأولى والثانية ؟ قلت : العامل في الأولى ما في اللام من معنى الفعل ، كأنه قيل : أى شيء حصل لنا غير مؤمنين : وفي الثانية معنى هذا الفعل ، ولكن مقيداً بالحال الأولى : لأنك لو أزلتها وقلت : وما لنا ونطمع ، لم يكن كلاماً . ويجوز أن يكون ( ونطمع ) حالاً من لا نؤمن ، على أنهم أنكروا على نفوسهم أنهم لا يوحدون الله ، ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين ، وأن يكون معطوفاً على لا نؤمن على معنى : وما لنا نجتمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين ، أو على معنى : وما لنا لا نجتمع بينهما بالدخول في الإسلام ، لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين . قرأ الحسن : فأتاهم الله ﴿ بما قالوا ﴾ بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص ، من قولك : هذا قول فلان ، أى اعتقاده وما يذهب إليه .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ

الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

(طيبات ما أحل الله لكم) ما طاب ولذ من الحلال . ومعنى ( لا تحرموا ) لا تمنعوا أنفسكم كنع التحريم . أو لا تقولوا حرمتها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تركها تزهداً

منكم وتشفأ<sup>(١)</sup> وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة يوماً لأصحابه ، فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار ، فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون ، واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين ، وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ، ولا يقربوا النساء والطيب ، ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح<sup>(٢)</sup> ويسيحوا في الأرض ، ويجبوا هذا كبيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : إني لم أؤمر بذلك ، إن لأنفسكم عليكم حقاً ، فصوموا وأفطروا ، وقوموا وناموا ، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر ، وآكل اللحم والدسم ، وآتي النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني<sup>(٣)</sup> ونزلت . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ ، وكان يعجبه الحلواء والعسل . وقال : وإن المؤمن حلويجب الخلاوة<sup>(٤)</sup> ، وعن ابن مسعود أن رجلاً قال له : إني حرمت الفراش فتلا هذه

(١) قوله « تشفأ » وفي الصحاح « تشفأ بالكسر : تشفا ، إذا لوحته الشمس أو الفقر فتغير . والمتشف : الذي يتأخ بالوقت وبالمرقع . (ع)

(٢) قوله « ويلبسوا المسوح » المسوح : أكسية غلاظ تعمل منها الغراير للثين . أفاده الصحاح في مادة ليس (٢) ذكره الواحدى هكذا في أسبابه بغير إسناد . لكن قال المفسرون - فذكره سواء ، وقد أورده الطبري من طريق السدي في هذه الآية قال وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً . فذكر الناس ثم قام ولم يردم على التخويف فقام ناس من أصحابه فذكره بمعنى ما تقدم ، وهو منترع من أحاديث ، وأصله في الصحيحين عن عائشة ، أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا أزواجه عن عمله في السر . فقال بعضهم : لا أكل اللحم . وقال بعضهم : لا أتزوج النساء . وقال بعضهم : لأنام على فراش ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا وليكني أصوم وأفطر . وأنام وأقوم . وآكل اللحم وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني » وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص قال « رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون البتل . ولو أذن له لاختصيناه وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص في قصة مراجعته النبي صلى الله عليه وسلم في الصوم والصلاة فقال صلى الله عليه وسلم « صم وأفطر ، وتم ونم . فان لنفسك عليك حقاً - الحديث » وروى الطبري من طريق ابن جريج عن مجاهد قال « أراد رجال ، منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يبتئوا ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح ، ومن طريق ابن جريج عن عكرمة « أن عثمان بن مظعون على ابن أبي طالب وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالم مولى أبي حذيفة ، في جماعة من الصحابة تبتلوا جلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس . وهموا بالاختصاص . واجتمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم - الآية) قال : فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وناموا . فليس منا من ترك سكتاء (٤) هذا منترع من أحاديث . أما أكل الدجاج فتفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري في قصة له . وأما أكله الفالوذ فرواه الحاكم من حديث عبد الله بن سلام قال « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه إذ أقبل عثمان بن مظعون ومعه راحلة عليها غرارتان فذكر الحديث - وفيه فطبخ الدقيق والسمن والعسل حتى نفخ ثم أكل ، وهو من رواية الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة مضعفا وأعله ابن الجوزي بضعف الوليد . وأما « كان يعجبه الحلوى والعسل » فتفق عليه من حديث همام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها . وأما الأخير فذكره الديلمي في الفردوس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .



الآية وقال : ثم على فراشك وكفر عن يمينك . وعن الحسن أنه دعى إلى طعام ومعه فرقد السنجى وأصحابه ، فقعدها على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك ، فاعتزل فرقد ناحية ، فسأل الحسن : أهو صائم ؟ قالوا : لا ، ولكنه يكره هذه الألوان ، فأقبل الحسن عليه وقال : يا فرقد ، ترى لعاب النحل بلباب البربخالص السمن يعيبه مسلم . وعنه أنه قيل له . فلان لا يأكل الفالوذ ويقول : لا أؤذى شكره . قال : أفيشرب الماء البارد ؟ قالوا : نعم . قال : إنه جاهل ، إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ . وعنه أن الله تعالى أدب عباده فأحسن أديهم . قال الله تعالى ( لينفق ذو سعة من سعته ) ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتعموا وأطاعوا ، ولا عذر فوما زواها عنهم فعصوه ( ولا تعمدوا ) ولا تتعدوا حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم . أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات . أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلماً ، فنهى عن الاعتداء ليدخل تحتها النهى عن تحريم ما دخلاً أو لئلا يوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك ( وكلوا مما رزقكم الله ) أى من الوجوه الطيبة التى تسمى رزقاً ( حللاً ) حال مما رزقكم الله ( واتقوا الله ) تأكيد للتوصية بما أمر به . وزاده تأكيداً بقوله ( الذى أنتم به مؤمنون ) لأن الإيمان به يوجب التقوى فى الانتهاء إلى ما أمر وعما نهى عنه .

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُكُمْ بِطَعَامٍ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرتُكُمْ أَتَيْتُمْكُمْ إِذَا حَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

### تَشْكُرُونَ ٨٩

اللغو فى اليمين : الساقط الذى لا يتعلق به حكم : واختلف فيه ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت عنه فقالت : هو قول الرجل « لا والله ، بلى والله »<sup>(١)</sup> وهو مذهب الشافعى . وعن مجاهد : هو الرجل يحلف على الشئ يرى أنه كذلك وليس كما ظن . وهو مذهب أبى حنيفة رحمه الله ( بما عقدتم الايمان ) بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والثنية . وروى أن الحسن رضى الله عنه سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال : يا أباسعيد ، دعنى أجب عنك فقال :

(١) أخرجه البخارى ومالك من حديثها دون قوله . سئلت ، ورواه أبو داود . من طريق حماد عنها مرفوعاً وموقوفاً . وصحح الدارقطنى الموقوف

وَلَسْتُ بِمُتَّخِذٍ بَلَاغٍ تَقْوَاهُ إِذَا لَمْ تَعْمَدْ عَاقِدَاتِ الْعَزَائِمِ (١)

وقرىء : عقدتم ، بالتخفيف . وعاقدتم . والمعنى : ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنتم ، لحذف وقت المؤاخذه . لأنه كان معلوما عندهم ، أو بنكت ما عقدتم ، لحذف المضاف ( فكفارته ) فكفارة نكته . والكفارة : الفعل التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أى تسترها ( من أوسط ما تطعمون ) من أقصده ، لأن منهم من يسرف في إطعام أهله ، ومنهم من يقتر ، وهو عند أبي حنيفة رحمه الله نصف صاع من بر أو صاع من غيره لكل مسكين ، أو يغديهم ويعشيهم . وعند الشافعي رحمه الله : مد لكل مسكين . وقرأ جعفر بن محمد : أهاليكم ، بسكون الياء ، والاهالى : اسم جمع لأهل : كالليالى في جمع ليلة ، والأراضى في جمع أرض . وقولهم وأهلون ، كقولهم وأرضون ، بسكون الراء . وأما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف ، كما قالوا : رأيت معديكرب ، تشبيها للياء بالآلف ( أو كسوتهم ) عطف على محل ( من أوسط ) (٢) وقرئ بضم الكاف ، ونحوه : قدوة في قدوة ، وأسوة في إسوة ، والكسوة ثوب يغطي العورة ، وعن ابن عباس رضى الله عنه كانت العبادة تجزئ يومئذ . وعن ابن عمر : إزار أو قيصر أو رداء أو كساء . وعن مجاهد : ثوب جامع . وعن الحسن : ثوبان أيضان . وقرأ سعيد بن المسيب واليماني : أو كأسوتهم ، بمعنى : أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافا كان أو تقشيرا . لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ، ولكن تواسون بينهم وبينهم . فإن قلت : ما محل الكاف ؟ قلت : الرفع ، تقديره : أو طعماهم كأسوتهم ، بمعنى : كمثل طعامهم إن لم يطعموهم الأوسط ( أو تحرير رقبة ) شرط الشافعي رحمه الله الإيمان قياسا على كفارة القتل . وأما أبو حنيفة وأصحابه ، فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى كفارة القتل . فإن قلت : ما معنى أو ؟ قلت : التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق ، بآيتها أخذ المكفر فقد أصاب ( فمن لم يجد ) إحداها ( فصيام ثلاثة أيام ) متتابعات عند أبي حنيفة رحمه الله ، تمسكا بقراءة أبي وابن مسعود رضى الله عنهما : فصيام ثلاثة أيام متتابعات . وعن مجاهد : كل صوم متابع إلا قضاء رمضان . ويخير في كفارة اليمين ( ذلك ) المذكور (٣) ( كفارة أيمانكم ) ولو قيل : تلك كفارة أيمانكم ، لكان صحيحا بمعنى تلك الأشياء

(١) للفرزدق روى أن الحسن رضى الله عنه سئل عن لغو اليمين ، فقال الفرزدق : دغى أجب عنك يا أبا سعيد ، وقال البيت ، أى لست مؤاخذا باللغو أى الياقظ من الكلام . وتعمد : أصله تتمد ، حذف منه إحدى التامين . وهذا في معنى الاستثناء المنقطع . وعاقدات العزائم : الجازمات . ونسبة الجزم إليها مجاز على .

(٢) قوله د على محل من أوسط ، قد يقال هذا إنما يناسب القراءة الآتية أو كأسوتهم ولكن عبارة النسبي عطف على إطعام أو على محل من أوسط . ووجهه أن ( من أوسط ) بدل من ( إطعام ) والبدل هو المقصود في الكلام اهـ (ع)

(٣) قال محمود : د المشار إليه هو المذكور فيها تقدم ولو قيل ... الخ ، قال أحد : بل في هذه الآية وجه =

أو لتأنيث الكفارة . والمعنى (إذا حلفتم) وحلفتم . فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف ، لا بنفس الحلف . والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال إذا لم يعص الحانث (واحفظوا أيمانكم) فبروا فيها ولا تحنثوا (٩٠) أراد الأيمان التي الحنث فيها معصية ، لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى كله . وقيل : احفظوها بأن تكفروها . وقيل : احفظوها كيف حلفتم بها ، ولا تنسوها تهاونا بها (كذلك) مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) أعلام شريعته وأحكامه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه

بِأَيْمَانِهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ٩١

أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد (٩٠) منها تصدير الجملة بإيما ، ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : «شارب الخمر كعابد الوثن» (٩١) ومنها أنه

== لطيف المأخذ في الدلالة على صحة وقوع الكفارة بعد اليمين وقبل الحنث وهو المشهور من مذهب مالك ، وبيان الاستدلال بها أنه جعل ما بعد الحلف ظرفا لوقوع الكفارة المعتمدة شرعا ، حيث أضاف وإذاء إلى مجرد الحلف . وليس في الآية إيجاب الكفارة حتى يقال : قد اتفق على أنها تجب بالحنث ، فتعين تقديره مضافا إلى الحلف ، بل إنما نطقت بشرعية الكفارة ووقوعها على وجه الاعتبار ، إذ لا يعطى قوله (ذلك كفارة أيمانكم) لإيجابا ، إنما يعطى صحة واعتبارا ، والله أعلم . وهذا انتصار على من منع التكفير قبل الحنث مطلقا ، وإن كانت اليمين على بر والأقوال الثلاثة في مذهب مالك ، إلا أن القول المنصور هو المشهور .

(١) عاد كلامه . قال : «واحفظوا أيمانكم ، أي فبروا فيها ... الخ» قال أحمد : وفي هذا التأويل إشعار بأن الشاك في صورة اليمين بعد تحقق أصلها يشدد عليه ويؤاخذ بالأحوط ، فأرشد الله إلى حفظ اليمين لئلا يفقأ أمره إلى أن يلزم في ظاهر الأمر على وجه الاحتياط ما لم يصدر منه في علم الله تعالى ، كالذي يحلف بالطلاق وينسى هل قيده بالثلاث مثلا أو أطلقه ، فيلزمه الثلاث على المذهب المشهور . ويحتمل أن يكون في علم الله تعالى أنه إنما حلف بالطلاق مطلقا ، فأرشد إلى الحفظ لئلا يجره النسيان إلى هذا التشديد . والمراد بالأيمان كل ما ينطلق عليه يمين ، سواء كان حلفا باقة أو غيره مما يلزم في الشرع حكما والله أعلم .

(٢) قال محمود : «أكد الله تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها ... الخ» قال أحمد : ويجوز عود الضمير إلى الرجس الذي انطوى على سائر ما ذكر والله أعلم .

(٣) أخرجه البزار من حديث مجاهد عن عبد الله بن عمرو بهذا . ورواه الحرث بن أسامة وأبو نعيم في الحلية من رواية الحسن عن عبد الله بن عمرو به . وفيه الخليل بن زكريا وفي الذي قبله ثابت بن محمد وهو أصح حالا من ==

جعلهما رجسا، كما قال تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان، والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت، ومنها أنه أمر بالاجتناب. ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح، وإذا كان الاجتناب فلاحا، كان الارتكاب خيبة ومحقة. ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال، وهو وقوع التعادى والتباغض من أصحاب<sup>(١)</sup> الخمر والقمر، وما يؤدىان إليه من الصّد عن ذكر الله، وعن مراعاة أوقات الصلاة. وقوله ﴿فهل أتم منتهون﴾ من أبلغ ما ينهى به، كأنه قيل: قد تلى عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع، فهل أتم مع هذه الصوارف منتهون. أم أتم على ما كنتم عليه، كأن لم توعظوا ولم تزجروا؟ فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله (فاجتنبوه)؟ قلت: إلى المضاعف المحذوف، كأنه قيل: إنما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك. ولذلك قال (رجس من عمل الشيطان) فإن قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والأزلام أولا ثم أفردهما آخرأ<sup>(٢)</sup>؟ قلت: لأن الخطاب مع المؤمنين. وإيمانهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر، وذكر الانصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر، وإظهار أن ذلك جميعاً من أعمال الجاهلية وأهل الشرك، فوجب اجتنابه بأسره، وكأنه لامباينة بين من عبد صنما وأشرك بالله في علم الغيب، وبين من شرب خمرأ أو قامر، ثم أفردهما بالذكر ليرى أن المقصود بالذكر الخمر والميسر. وقوله ﴿وعن الصلاة﴾ اختصاص للصلاة من بين الذكر كأنه قيل: وعن الصلاة خصوصاً.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى

رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْعَمِيمُ ﴿٩٢﴾

== الخليل . ولا ينماجه من حديث أبي هريرة ، بلفظ « مدمن خمر كعابد وثن » وإسناده جيد ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن سليمان الأصماني عن سميل عن أبيه عنه به . ورواه ابن حبان من حديث ابن عباس بهذا اللفظ . وقال الشيبه أن يكون فيمن استحلها . وفي مسند إسحاق ومن رواية عمر بن عبد العزيز عن بعض أصحابه ، بلفظ « من شرب الخمر فمات كعابد وثن » والطبراني في الأوسط من حديث أنس بلفظ « المقيم على الخمر كعابد وثن » وإسناده ضعيف

(١) قوله « من أصحاب » لعله بين أصحاب . (ع)

(٢) عاد كلامه . قال : « فإن قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب . . . الخ » قال أحمد : ويرشد إلى أن المقصود الخمر والميسر خاصة ، لأنهم إنما كانوا يتعاطونهما خاصة الآية الأخرى وهي قوله (يسألونك عن الخمر والميسر قل فهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) فخصهما بالذكر ولم يثبت التثنية عنهما ، فلذلك ورد أن قوما تركوها لما فيها من الإثم ، وقوما بقوا على تعاطيها لما فيها من المنافع ، ثم نزلت هذه الآية جازمة بالنهي ، والله أعلم .

﴿واحذروا﴾ وكونوا حذرين خاشين، لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة. ويجوز أن يراد: واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر، أو في ترك طاعة الله والرسول ﴿فإن توليتم فاعلموا﴾ أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول، لأن الرسول ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات، وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتم.

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا  
وَعَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

رفع الجناح عن المؤمنين في أى شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتبهاتها ﴿إذا ما اتقوا﴾ ما حرم عليهم منها ﴿وآمنوا﴾ وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه ﴿ثم اتقوا وآمنوا﴾ ثم ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ثم اتقوا وأحسنوا﴾ ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم، أو أحسنوا إلى الناس: واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات. وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة: يا رسول الله، فكيف يا خواتنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر؟ فنزلت. يعنى أن المؤمنين لا جناح عليهم في أى شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، على معنى: أن أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمداً لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان. ومثاله أن يقال لك: هل على زيد فيما فعل جناح؟

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي هريرة قال: حرمت الخمر ثلاث مرات قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر. فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. فأنزل الله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر الآية) فقال الناس: لم تحرم علينا، إنما قال: فيها إثم كبير فكانوا يشربون الخمر، حتى كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين المغرب، غفاط في قراءته. فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فكانوا يشربونها حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مفيق، فنزلت (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر - الآية) فقالوا: اتينا بآب. وقال الناس: يا رسول الله، ناس قتلوا في سبيل الله أوماتوا على فرثهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان. فأنزل الله (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح - الآية) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو حرمت عليهم لتركوها كما تركتم، إسناده ضعيف، فإنه من رواية أبي معشر عن أبي وهب. وأبو معشر ضعيف. وروى الطبري من حديث علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال في قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا الآية) قالوا: يا رسول الله: ما تقول في إخواننا الذين ماتوا كانوا يشربون الخمر، ويأكلون الميسر. فأنزل الله الآية وفي المتنق عليه عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة. وكان خمرهم يومئذ الفضخ فأمر مناديا فنادى: ألا إن الخمر قد حرمت. الحديث، قال بعض القوم: قد قتل فلان وفلان وفلان وهى في بطونهم فأنزل الله (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا ... الآية)

فتقول - وقد علمت أن ذلك أمر مباح - : ليس على أحد جناح في المباح، إذا اتقى المحارم، وكان مؤمناً محسناً، تريد : أن زيداً اتقى مؤمناً محسناً؛ وأنه غير مؤاخذ بما فعل.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَبِلُوا نَفْسَكُمْ بِاللَّهِ بِشَوْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ  
وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعِلُهُ

### عَذَابُ الْيَمِّ ٩٤

نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون، وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده، أخذوا بأيديهم وطلعوا برماحهم ﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾ ليميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقى الصيد، من لا يخافه فيقدم عليه ﴿فمن اعتدى﴾ فصاد ﴿بعد ذلك﴾ الابتلاء فالوعيد لاحق به، فإن قلت : ما معنى التقليل والتصغير <sup>(١)</sup> في قوله (بشئ من الصيد) ؟ قلت : قلل وصغر ليعلم أنه ليس بفطنة من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين، كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال، وإنما هو شيء بما ابتلى به أهل أيلة من صيد السمك، وأنهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو أشد منه. وقرأ إبراهيم : يناله، بالياء.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا  
فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ

(١) قال محمود : «إن قلت مامعنى التقليل والتصغير... الخ قال أحمد : وقد وردت هذه الصيغة بعينها في الفتن العظيمة في قوله تعالى (ولنبلونكم بشئ من المحارم والجوع ونزع من الأموال والأنس والثرات ونشر الصابرين) فلا خفاء في عظم هذه البلايا والمحن التي يستحق الصابر عليها أن يبشر، لأنه صبر على عظيم. فقول الزمخشري إذا «إنه قال وصغر تنبيه على أن هذه الفتنة ليست من الفتن العظام مدفوع باستعمالها مع فتن المنفق على عظمها. والظاهر - والله أعلم - أن المارد بما يشعر به اللفظ من التقليل والتصغير، تنبيه على أن جميع ما يقع الالباء به من هذه البلايا بعض من كل بالنسبة إلى مقدور الله تعالى، وأنه تعالى قادر على أن يكون مايلوم به من ذلك أعظم مما يقع وأهول، وأنه مهما اندفع عنهم بما هو أعظم في المقدور، فأنما يندفع عنهم إلى ما هو أخف وأسهل، لطفا بهم ورحمة؛ ليكون هذا التنبيه باعثاً لهم على الصبر وحاملاً على الاحتمال، والذي يرشد إلى أن هذا مراد أن سبق التوعيد بذلك لم يكن إلا ليكونوا متوطنين على ذلك عند وقوعه، فيكون أيضاً باعثاً على تحمله، لأن مفاجأة المكروه بغتة أصعب، والاندثار به قبل وقوعه مما يسهل وقوعه، وحاصل ذلك لطف في القضاء، فسبحان اللطيف بمباداه. وإذا فكر العاقل فيما يعتلى به من أنواع البلايا، وجد المندفع عنه منها أكثر إلى ما لا ينف منه غابة. فمسأل الله العفو والعافية واللعف في المقدور».

أَوْ كَفَّرَ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا لِمَذُوقٍ وَبَالَ أَمْرِهِ غَفَا اللَّهُ  
عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَعَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو آتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

﴿حرم﴾ محرمون، جمع حرام، كروح في جمع رداح. والتعمد: أن يقتله وهو ذاك  
لإحرامه، أو عالم أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله، فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى صيداً وهو  
يظن أنه ليس بصيد فإذا هو صيد، أو قصد برمي غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيداً  
فهو مخطف. فإن قلت: فمحظورات الإحرام يستوى فيها العمد والخطأ، فما بال التعمد مشروطاً  
في الآية؟ قلت: لأن مورد الآية فيمن تعمد؛ فقد روى أنه عن لهما في عمرة الحديبية حمار  
وحش، لحمل عليه أبو اليسر فطعن برمح فقتله، فقيل له: إنك قتلت الصيد وأنت محرم فزلت  
ولأن الأصل فعل التعمد، والخطأ لاحق به للتغليظ. ويدل عليه قوله تعالى (ليذوق وبال  
أمره) (ومن عاد فينتقم الله منه) وعن الزهري: نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ  
وعن سعيد بن جبير: لا أرى في الخطأ شيئاً أخذاً باشرط العمد في الآية. وعن الحسن روايتان  
﴿جزاء مثل ما قتل﴾ برفع جزاء ومثل جميعاً، بمعنى: فعليه جزاء مماثل ما قتل من الصيد، وهو  
عند أبي حنيفة قيمة المصيد يقوم حيث صيد، فإن بلغت قيمته ثمن هدى، تخير بين أن يهدي من  
النعم ما قيمته قيمة الصيد، وبين أن يشتري بقيمته طعاماً، فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر  
أو صاع من غيره، وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوماً، فإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين  
صام عنه يوماً أو تصدق به. وعند محمد والشافعي رحمهما الله مثله نظيره من النعم، فإن لم يوجد له  
نظير من النعم عدل إلى قول أبي حنيفة رحمه الله. فإن قلت: فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة  
بقوله ﴿من النعم﴾ وهو تفسير للثل، وبقوله: هدياً بالغ الكعبة؟ قلت: قد خير من أوجب القيمة  
بين أن يشتري بها هدياً أو طعاماً أو يصوم، كما خير الله تعالى في الآية، فكان قوله (من النعم)  
بياناً للهدى المشتري بالقيمة في أحد وجوه التخيير؛ لأن من قوم الصيد واشترى بالقيمة هدياً  
فأهداه، فقد جرى بمثل ما قتل من النعم. على أن التخيير الذي في الآية بين أن يجزى بالهدى  
أو يكفر بالإطعام أو بالصوم، إنما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف إذا قوم ونظر بعد التقويم  
أى الثلاثة يختار، فأما إذا عمد إلى النظر وجعله الواجب وحده من غير تخيير - فإذا كان شيئاً  
لا نظير له قوم حينئذ، ثم يخير بين الإطعام والصوم - ففيه نبوة عما في الآية. ألا ترى إلى قوله  
تعالى (أو كفارة طعام مسكين أو عدل ذلك صياماً) كيف خير بين الأشياء الثلاثة، ولا  
سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم. وقرأ عبد الله: جزاؤه مثل ما قتل، وقرئ: جزاء مثل ما قتل، على  
الإضافة، وأصله: جزاء مثل ما قتل، بنصب مثل بمعنى: فعليه أن يجزى مثل ما قتل، ثم أضيف كما تقول:

عجبت من ضرب زيد ، وقرأ السليبي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل ، فجزأ مثل ما قتل ، بنصبهما ، بمعنى : فليجز جزأ مثل ما قتل . وقرأ الحسن : من النعم ، بسكون العين ، استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه ﴿ يحكم به ﴾ بمثل ما قتل ﴿ ذوا عدل منكم ﴾ حكان عادلان من المسلمين . قالوا : وفيه دليل على أن المثل القيمة ، لأن التقويم يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المشاهدة . وعن قبيصة أنه أصاب ظلياً وهو محرم فسأل عمر ، فشاور عبد الرحمن بن عوف ، ثم أمره بذبح شاة ، فقال قبيصة لصاحبه : والله ما علم أمير المؤمنين حتى سألت غيره ، فأقبل عليه ضرباً بالذرة وقال : أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم . قال الله تعالى ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ فأنا عمر ، وهذا عبد الرحمن <sup>(١)</sup> . وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم ، أراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة . وقيل أراد الإمام ﴿ هدياً ﴾ حال عن جزأ فيمن وصفه بمثل ، لأن الصفة خصصته فقرّبه من المعرفة ، أو بدل عن مثل فيمن نصبه ، أو عن محله فيمن جزه . ويجوز أن ينتصب حالاً عن الضمير في به . ووصف هدياً بـ ﴿ بالغ الكعبة ﴾ لأن إضافته غير حقيقية . ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم ، فأما التصديق به فثبت عند أبي حنيفة ، وعند الشافعي في الحرم . فإن قلت : هم يرفع (كفارة) من ينصب جزأ ؟ قلت : يجعلها خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قيل : أو الواجب عليه كفارة . أو يقدر : فعليه أن يجزى جزأ أو كفارة ، فيعطفها على أن يجزى . وقرئ : أو كفارة طعام مساكين على الإضافة . وهذه الإضافة مبنية ، كأنه قيل : أو كفارة من طعام مساكين ، كقولك : خاتم فضة ، بمعنى خاتم من فضة . وقرأ الأعرج : أو كفارة طعام مساكين . وإنما وحده ، لأنه واقع موقع التبيين ، فاكتفى بالواحد الدال على الجنس . وقرئ : أو عدل ذلك ، بكسر العين . والفرق بينهما أن عدل الشيء ما عادله من غير جنسه ، كالصوم والإطعام . وعدله ما عدل به في المقدار ، ومنه عدل الحمل ، لأن كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا . كأن المفتوح تسمية بالمصدر ، والمكسور بمعنى المفعول به ، كالذبح ونحوه ، ونحوهما الحمل والحمل . و﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى الطعام ﴿ وصياماً ﴾ تمييز للعدل كقولك : لي مثله رجلاً . والخيار في ذلك إلى قاتل الصيد عند أبي حنيفة وأبي يوسف . وعند محمد إلى الحكمين ﴿ ليدوق ﴾ متعلق بقوله (جزأ) أي فعليه أن يجازى أو يكفر ، ليدوق سوء عاقبة هتك حرمة الإحرام . والوبال : المسكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه ، كقوله تعالى ﴿ فأخذناه أخذاً ثيلاً ﴾ . والطعام الويل : الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ ﴿ عفا الله عما سلف ﴾ لكم من الصيد في حال الإحرام قبل أن تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسألوه عن جوازه . وقيل : عما سلف لكم في الجاهلية منه ، لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرماً ﴿ ومن عاد ﴾ إلى قتل الصيد وهو محرم بعد

(١) رواه عبد الرزاق عن معمر عن عبد الملك بن عمير نذكره . وفيه الزيادة التي في آخره .



نزول النهى ( فينتقم الله منه ) ينتقم : خبر مبتدأ محذوف تقديره . فهو ينتقم الله منه ، ولذلك دخلت الفاء . ونحوه ( فمن يؤمن بربه فلا يخاف ) يعنى ينتقم منه في الآخرة . واختلف في وجوب الكفارة على العائد ، فمن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن : وجوبها ، وعليه عامة العلماء . وعن ابن عباس وشريح : أنه لا كفارة عليه تعلقاً بالظاهر ، وأنه لم يذكر الكفارة

أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ

الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

( صيد البحر ) مصيدات البحر مما يؤكل وما لا يؤكل ( وطعامه ) وما يطعم من صيده والمعنى : أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر <sup>(١)</sup> ، وأحل لكم أكل الماء كونه وهو السمك وحده عند أبي حنيفة . وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد منه ، على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه ( متاعاً لكم ) مفعول له ، أى أحل لكم تمتيعاً لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ( ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ) في باب الحال . لأن قوله ( متاعاً لكم ) مفعول له مختص بالطعام ، كما أن نافلة حال مختصة بيعقوب ، يعنى أحل لكم طعامه تمتيعاً لتنائكم <sup>(٢)</sup> يأكلونه طرياً ، وليسارتكم يتزودونه قديداً ، كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر عليهما السلام . وقرئ : وطعمه . وصيد البر : ما صيد فيه ، وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات ، كطير الماء عند أبي حنيفة . واختلف فيه <sup>(٣)</sup> فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد ، وهو قول عمرو بن عباس ، وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير : أنهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال ، وإن صاده لأجله ، إذا لم يدل ولم يشر ، وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمه الله ، وعند مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله : لا يباح له ما صيد لأجله . فإن قلت : ما يصنع

(١) قوله د بجميع ما يصاد في البحر ، لعله من . (ع)

(٢) قوله د تمتيعاً لتنائكم يأكلونه ، أى للتوطين منكم . يقال : تنأ بالبلد توطنه ، فهو تناء ، وهم تناء . إفاده الصحاح ، وسيأتى للفسر في قوله تعالى ( قد علم كل أناس مشربهم ) أن الأناس اسم جمع غير تكسير ، نحو رجال وتنا . وتؤام . ويجوز أن يقال : إن الأصل الكسر والتكسير ، والضمعة بدل من الكسرة . (ع)

(٣) قال محمود واختلف في المراد بالتحريم ... الخ . قال أحمد : وتخصيص عموم الآية لازم على كلتا الطائفتين ؛ لأن مالكاً رضي الله عنه يميز أكل المحرم (صيد البر ، إذا صاده حلال لنفسه ، أو حلال ، فلا بد إذا على مذهبه من تخصيص العموم بخصوص ، غاية ذلك أن صورة التخصيص على مذهب أبي حنيفة ، تكون أكثر منها على مذهب مالك ، لأنه يميز أكل ما صاده الحلال من أجل المحرم كما نقل عنه ، فيرد على مذهب مالك بهذه الصورة . والله أعلم .

أبو حنيفة بعموم قوله : صيد البر ؟ قلت قد أخذ أبو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله : ( وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ) لأن ظاهره أنه صيد المحرمين دون صيد غيرهم ، لأنهم هم المخاطبون فكأنه قيل : وحرم عليكم ما صدتم في البر ، فيخرج منه مصيد غيرهم ، ومصيدهم حين كانوا غير محرمين . ويدل عليه قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرمة ) وقرأ ابن عباس رضي الله عنه : وحرم عليكم صيد البر ، أي الله عز وجل . وقرئ ( ما دمتم ) بكسر الدال ، فيمن يقول دام يدام .

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيُبَىٰ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْمَذْيَ  
وَالْقَلَادَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ  
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾

( البيت الحرام ) عطف بيان على جهة المدح ، لا على جهة التوضيح ، كما تجيء الصفة كذلك ( قياما للناس ) انتعاشا لم<sup>(١)</sup> في أمر دينهم ودنياهم ، ونهوضا إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم ، لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم ، وأنواع منافعهم . وعن عطاء ابن أبي رباح : لو تركوه عاماً واحداً لم ينظروا ولم يؤخروا ( والشهر الحرام ) الشهر الذي يؤدي فيه الحج ، وهو ذو الحجة ، لأن اختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأناً قد عزفه الله تعالى . وقيل عني به جنس الأشهر الحرم ( والهدى والقلائد ) والمقلد منه خصوصاً

(١) قال محمود : د معنى قياما للناس : انتعاشا لم في أمر دينهم ودنياهم . . . الخ . قال أحد : وفي هذه الآية ما يبعد تأويلين من التأويلات الثلاثة المذكورة في قوله أول هذه السورة ( لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ) فإن حمل القلائد ثم على ظاهرها ، وتأويل صرف الاحلال إلى مواقعها من الملة - كقوله ( ولا يدين زينب ) إلا مظهر منها ( يريد مواقع الزينة ، والنهي عن إحلال القلائد يشبهه ، كأنه قال : لا تحلوا قلائدها فضلا عنها - فتعذر في هذه الآية ، لأنها وردت في سياق الامتنان بما جعله الله قياما للناس من هذه الأمور المحدودة ، وقد خص المنة بالدين في قوله ( والدين جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير . . . الآية ) ولا يلبق بسياق الامتنان الخروج من الأعلى إلى الأدنى ، حتى يقع الامتنان بالملء ثم بالقلائد ، بل ذلك لائق في سياق النهي أن يخرج من النهي عن الأعلى إلى التشديد بالنهي عن الأدنى . وأما التأويل الآخر - وهو بقاء القلائد على حقيقتها وصرف الاحلال للنهي عنه إليها حقيقة ، أي لا تعرضوا للقلائد ولا تنتفعوا بها ، كما قال عليه الصلاة والسلام و ألق قلائدها في دمها واخل بين الناس وبينها ، - فتعذر أيضا بما بعد به الذي قبله . وأما التأويل الثالث - وهو حلها على ذوات القلائد - فلائق بالاثنتين فيتمين المصير إليه . ومن ثم لم يذكر الزمخشري في هذه الآية سواء . ووجه صلاحته وظهوره فهما : أن الغرض في سياق النهي إفراده بالذكر وتخصيصه بالهدى ، بعد أن اندرج مع غيره في النهي ، فكأنه نهى عنه خصوصيته مرتين . والغرض في سياق الامتنان أيضا ذلك ، وهو تذكير المنة به مندرجا في العموم وتخصيصا بالذكر . وأيضا فيليب في الامتنان الترقى من الأدنى إلى الأعلى ، بخلاف النهي . والله أعلم .

وهو البدن ، لأن الثواب فيه أكثر ، وبهاء الحج معه أظهر ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى جعل الكعبة قياماً للناس ، أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره ﴿ لتعلموا أن الله يعلم ﴾ كل شيء . وهو عالم بما يصلحكم وما ينعضكم بما أمركم به وكلفكم ﴿ شديد العقاب ﴾ لمن انتهك محارمه ﴿ غفور رحيم ﴾ لمن حافظ عليها .

مَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾

﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به ، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ ، وقامت عايكم الحجة ، ولزمتكم الطاعة ، فلا عذر لكم في التفریط .

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ

يَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١٠٠﴾

البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله تعالى <sup>(١)</sup> وإن كان قريباً عندكم ، فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثره لكثرتيه على القليل الطيب ، فإن ماتوهمونه في الكثرة من الفضل ، لا يوازى النقصان في الخبيث ، وفوات الطيب ، وهو عام في حلال المال وحرامه ، وصالح العمل وطالحه ، وصحيح المذاهب وفاسدها ، وجيد الناس ورديهم ﴿ فاتقوا الله ﴾ وآثروا الطيب ، وإن قل ، على الخبيث وإن كثر . ومن حق هذه الآية أن تكفح بها وجوه المجبرة <sup>(٢)</sup> إذا افتخروا بالكثرة كما قيل :

(١) قال محمود : « البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله ... الخ » قال أحمد رحمه الله : وقد ثبت شرعاً أن أكثر أهل الجنة من هذه الأمة . وقد اعترف للقدرة أنهم قليل فيها ، وشذوذ بالنسبة إلى من عداهم من الطوائف والأمر بهذه المثابة ، وهم أيضاً يعتقدون أنهم الفرقة الناجية الموعودون بالجنة لاغيرهم ، إذ كل من عداهم - على طمعهم الفاسد - يخلد في النار مع الكفار ، فعلى هذا تكون هذه الطائفة الشاذة القليلة أكثر أهل الجنة ، وحاشا له أن يستمر ذلك على عقل عاقل محصل ، مطلع على ما ورد في السنن من الآثار المسكخة لهذا الظن الفاسد بالارد والتكذيب . ومن هم المنزلة حتى يترأى طمعهم على هذا الحد ؟ وهذا الاستنباط الذي استنبطه الزحشرى من أن المراد بالطيب هذا النفر المعتبر من قبيل القول بأن المراد في قوله تعالى (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) أهل الحديث وأصحاب الرأي ، يعني الحقيقة . وقد أغلظ في تفسير هذه الآية على من قال ذلك وعده من البدع ، وما هو قد ابتدع قريباً منه في حله الطيب في هذه الآية على الفريقين المعتبرين ، بل واثق شراً من تلك المقالة ، لأنه حمل الخبيث على من عداهم من الطوائف السنية ، نعرذ بالله من ذلك ، ونبرأ من تجريه على السلف والخلف .

(٢) قوله « أن تكفح بها وجوه المجبرة » يعني أهل السنة . وهذا غلو من العلامة في التعمص للمعتزلة ، وما كان ينبغي أن يكون منه ، لعدم الداعي إليه هنا . (ع)

وَكَأَثَرٌ بِسَعْدٍ إِنَّ سَعْدًا كَثِيرَةً وَلَا تَرْجُ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلَا نَصْرًا<sup>(١)</sup>  
وكما قيل :

لَا يَدُ هَمَّكَ مِنْ دَهْمِهِمْ عَدَدٌ فَإِنْ جُلَّهِمْ بَلْ كُلُّهُمْ بَقَرٌ<sup>(٢)</sup>

وقيل : نزلت في حجاج اليمامة ، حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم ، فنهوا عن الإيقاع بهم وإن كانوا مشركين .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ  
تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزِلَ الْقُرْءَانُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ<sup>(١٠١)</sup>

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ<sup>(١٠٢)</sup>

الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني قوله ﴿ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ ، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ﴿ صفة للأشياء . والمعنى : لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم ، إن أفناكم بها وكلفكم إياها تغممكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها . وذلك نحو ما روى أن سراق بن مالك أو عكاشة بن محصن قال : يا رسول الله ، الحج علينا كل عام ؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مسأله ثلاث مرات ، فقال صلى الله عليه وسلم : ، ويحك ! ما يؤمنك أن أقول نعم ؟ والله لو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت ما استطعتم ، ولو تركتم لكفرتم ، فأتركوني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ،<sup>(١)</sup> (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن) وإن تسألوا عن هذه

(١) « سعد » اسم قبيلة . والمعنى : أنه لا نفع فيهم إلا تكثير سواد الجيش ، فلا يفون بما وعدوا من النصر ، ولا ينصرون بلا وعد . ويمكن أن المراد الوفاء بحق الشجاعة . فالتصريح تفسير . وفي تكرير الاسم . نوع تهكم .

(٢) لم يبق من جل هذا الناس باقية ينالها اليوم إلا هذه الصور

لا يدملك من دهمهم عدد فأن جلمهم بل كلهم بقرة

لاي تمام . يقال : دهم الأمر ، إذا غشي خيره وسد عليه باب الرأي . والدهماء : الجماعة الكثيرة المتكاثفة . وأصله من الدمة وهي الظلة والسواد . يقول : لم يبق من معظم هذا الجمع من الناس بقية يدركها اليوم بعد التأمل ، إلا هذه الصور والأجسام المشاهدة ، مجردة على العقول ، فلا تفرع من كثرة عدد جماعتهم ، فإن معظمهم كالبقرة . بل جميعهم كذلك ، فلا تدبير عندهم لأمر الحرب .

(٣) هذا السباق لم أجده لا عن سراق ولا عن عكاشة . فأما سراق فروى مسلم من حديث جابر الطويل في صفة الحج ، فقال سراق بن مالك : بن جشم يا رسول الله ، لعامنا هذا ، أم للآيد ؟ قلت : وهو عند البخاري أيضا .

التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو مادام الرسول بين أظهركم يوحى إليه ، تبد لكم . تلك التكاليف الصعبة التي تسوكم . وتؤمروا بتحملها ، فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها ﴿ عفا الله عنها ﴾ . عفا الله عما سلف . من مسألتكم ، فلا تعرضوا إلى مثلها ﴿ والله غفور حلیم ﴾ لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته . فإن قلت : كيف قال : ﴿ لا تسألوا عن أشياء ﴾ ثم قال : ﴿ قد سألهن ﴾ ولم يقل . قد سألهن ؟ قلت : الضمير في ﴿ سألهن ﴾ ليس براجع إلى أشياء حتى تجب تعديته بعن ، وإنما هو راجع إلى المسألة التي دل عليها ﴿ لا تسألوا ﴾ يعني قد سأله قوم هذه المسألة من الأولين ﴿ ثم أصبحوا بها ﴾ أي بمرجوعها أو بسببها ﴿ كافرين ﴾ وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء ، فإذا أمروا بها تركوها فلمكوا .

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَآكَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر ، بحروا أذنها ، أي شقوها

== من وجه آخر عن جابر ، ولذا يأتي وابن ماجه من حديث سرافقة بن مالك نفسه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله ، عمرتنا هذه لعامنا أم للأبد ؟ فقال : لا ، بل للأبد . دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة ، وأما عكاشة بن محسن فرواه الطبري وابن مردويه من طريق محمد بن زياد : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس ، كتب عليكم الحج ، فقال عكاشة بن محسن الأسدي : أتى كل عام يا رسول الله ؟ فقال : أما أنا لو قلت نعم لوجبت . ولو وجبت ثم تركتم لضللتم . استكنوا عن ما سكت عنكم ، فإنما ذلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فأئذن الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ﴾ الآية وهو أقرب إلى سياق المصنف ، دون ما في آخره مما ذكره المصنف فهو في الحديث الآتي . وأخرج الطبري من طريق أبي إسحاق المجري عن ابن عباس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله كتب عليكم الحج فقال رجل : كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه حتى أعاد مرتين أو ثلاثا . فقال : من السائل ؟ فقلت فلان . فقال : والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما اعتصموا . ولو تركتموه لكفرتم . فأئذن الله تعالى هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ﴾ وأخرج أيضا من طريق معاوية بن يحيى عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبي أمامة أنه سمعه يقول « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس وقال : كتب عليكم الحج فقام رجل من الأعراب - فذكر الحديث ، وفيه فقال : ويحك ماذا يؤمنك أن أقول نعم ، والله لو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت لكفرتم . وأما بقيته ففما أخرجه . سلم . بن طريق الربيع بن سلم عن محمد بن زيد عن أبي هريرة « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : أيها الناس فرض الله عليكم الحج فخرجوا فقال رجل : أتى كل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا . فقال لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم . ثم قال : ذروني ما تركتكم فإنما ذلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه ، وقد سأله عن الحج الأقرع بن حابس فعد بعض السنن من حديث ابن عباس وأن الأقرع بن حابس سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحج في كل سنة أم مرة واحدة ؟ فقال : مرة واحدة . فما زاد فهو تطوع ، وأخرجه الطبري من هذا الوجه . فسمى الرجل محصنا الأسدي ، وعند غيره عكاشة بن محسن .

وحزموا ركوبها ، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ، وإذا لقيها المعبي لم يركبها ، واسمها البحيرة . وكان يقول الرجل : إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقنى سائبة ، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها . وقيل : كان الرجل إذا أعتق عبداً قال : هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث . وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لم ، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهم ، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها ، فلم يذبحوا الذكر لآلهم . وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حى ظهره ، فلا يركب ، ولا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى . ومعنى ﴿ما جعل﴾ ما شرع ذلك ولا أمر بالتجوير والتسيب وغير ذلك ، ولكنهم بتحريمهم ما حزموا ﴿يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا ، ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

الواو في قوله ﴿أولو كان آبؤهم﴾ واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار . وتقديره : أحسبهم ذلك ولو كان آبؤهم ﴿لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدى ، وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد من الكفرة ، يتمنون دخولهم في الإسلام ، ف قيل لهم ﴿عليكم أنفسكم﴾ وما كلفتم من إصلاحها والمشى بها في طرق الهدى ﴿لا يضرركم﴾ الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين ، كما قال عز وجل لئن عليه الصلاة والسلام ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ، ولا يزال يذكر معاصيهم ومناكيرهم . فهو مخاطب به ، وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد ، وإنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه ، وعن ابن مسعود : أنها قرئت عنده فقال : إن هذا ليس بزمانها <sup>(١)</sup> إنها اليوم مقبولة . ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم ، حينئذ عليكم أنفسكم ،

(١) قوله «ليس بزمانها إنما» لعل هذا الضمير للتصحيح المفهومة من السياق . (ع)

فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه ، وبسط لعذره . وعنه : ليس هذا زمان تأويلها . قيل : فمتى ؟ قال : إذا جعل دونها السيف والسوط والسجن . وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك فقال للسائل : سألت عنها خبيراً . سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال : اتتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا مارأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعليك نفسك ودع أمر العوام . وإن من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر ، للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله . <sup>(١)</sup> وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له : سفهت آباءك ، ولاموه ، فزلت (عليكم أنفسكم) عليكم : من أسماء الفعل ، بمعنى : الزموا إصلاح أنفسكم ، ولذلك جزم جوابه . وعن نافع : عليكم أنفسكم ، بالرفع . وقرئ (لا يضركم) وفيه وجهان <sup>(٢)</sup> أن يكون خبراً مرفوعاً وتنصره قراءة أبي حيوة ، لا يضيركم : وأن يكون جواباً للأمر مجزوماً . وإنما ضمت الراء إتباعاً لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة . والاصل : لا يضرركم . ويجوز أن يكون نهيًا ، ولا يضركم ، بكسر الضاد وضما من ضاره يضره ويضوره .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ  
اثنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ  
فَأَصَابَتْكُمُ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الْوَلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ آرَأَيْتُمْ  
لَا تَنْشُرِي بِهِ نَمَانًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ  
الْآثِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا  
مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ أَشْهَدُتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا

(١) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي من رواية عبد الله بن المبارك عن عتبة بن أبي حكيم عن عمرو بن حارثة اللخمي عن أبي أمية الصنعاني قال : «أثبت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في هذه الآية ؟ قال : آية آية ؟ قلت : قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) الآية قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بل اتتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر - وذكره - وقال فيه فعليك بخاتمة نفسك ودع العوام - وقال في آخره : مثل حملكم ، قال ابن المبارك : وزادني غير عتبة : قيل يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم ؟ قال : لا ، بل منكم وأخرجه ابن حبان والحاكم وإسحاق وأبو يعلى والطبراني .

(٢) قوله «لا يضركم» وفيه وجهان «يعني بالرفع» وهو يفيد أن القراءة الأصلية بالنصب . (ع)

وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَيْنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْبِرُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

ارتفع اثنان على أنه خبر للببتد الذي هو ﴿شهادة بينكم﴾ على تقدير: شهادة بينكم شهادة اثنين . أو على أنه فاعل شهادة بينكم على معنى : فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان : وقرأ الشعبي . شهادة بينكم بالتثنية . وقرأ الحسن : شهادة ، بالنصب والتثنية على : ليقم شهادة اثنان . و﴿إذا حضر﴾ ظرف للشهادة . و﴿حين الوصية﴾ بدل منه ، إبداله منه دليل على وجوب الوصية ، وأنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن يتهاون بها مسلم ويذهل عنها . وحضور الموت : مشاركته وظهور أمارات بلوغ الأجل ﴿منكم﴾ من أقاربكم . و﴿من غيركم﴾ من الأجانب ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض﴾ يعنى إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم ، فاستشهدوا أجنبيين على الوصية ، جعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وبما هو أصلح<sup>(١)</sup> وهم له أنصح . وقيل ﴿منكم﴾ من المسلمين ، و﴿من غيركم﴾ من أهل الذمة . وقيل : هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم ، وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر . وعن مكحول : نسخها قوله تعالى ﴿وأشهدوا ذوى عدل منكم﴾ وروى أنه خرج بديل بن أبي مريم مولى عمرو بن العاصى وكان من المهاجرين ، مع عدى بن زيد وتميم بن أوس - وكانا نصرانيين - تجاراً إلى الشام ، فرض بديل وكتب كتاباً فيه ما معه ، وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه ، وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله . ومات فقشاً متاعه ، فأخذوا إناء من فضة فيه ثلثائة مثقال منقوشاً بالذهب ، فغيباه ، فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبا بهما بالإناء ، فجحدا فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> ، فنزلت ﴿تحبسونهما﴾ تفقونهما وتصبرونهما للحلف<sup>(٣)</sup> ﴿من بعد الصلاة﴾ من بعد صلاة العصر ، لأنه وقت اجتماع الناس . وعن الحسن : بعد صلاة العصر أو الظهر ؛ لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما . وفي حديث بديل : أنها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قوله «وبما هو أصلح» ، لعله «وبما هو له أصلح» . (ع)

(٢) أخرجه الترمذى من رواية ابن إسحاق عن أبي النضر وهو محمد بن السائب الكلبي عن إدار ، يعنى أبا صالح مولى أم هانئ عن ابن عباس عن تميم الدارى رضى الله عنهم . فذكره وقال : ليس إسناده بصحيح وأخرجه البخارى وأبو داود مختصراً

(٣) قوله «وتصبرونهما للحلف» أى تحبسونهما . أفاده الصحاح . (ع)



صلاة العصر ودعا بعدى وتميم فاستحلفهما عند المنبر ، خلفا ، ثم وجد الإثناء بمكة ، فقالوا :  
 إنا اشتريناه من تميم وعدى . وقيل : هى صلاة أهل الذمة ، وهم يعظمون صلاة العصر  
 ﴿ إن ارتبتم ﴾ اعتراض بين القسم والمقسم عليه . والمعنى : إن ارتبتم فى شأنهما واتهموهما  
 خلفوهما . وقيل : إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين ، وإن أريد الوحيان  
 فليس بمنسوخ تحليفهما . وعن على رضى الله عنه : أنه كان يحلف الشاهد والراوى إذا  
 اتهمهما <sup>(١)</sup> . والضمير فى ﴿ به ﴾ للقسم . وفى ﴿ كان ﴾ للمقسم له يعنى : لا نستبدل بصحة  
 القسم بالله عرضاً من الدنيا ، أى لا نحلف كاذبين لأجل المال ، ولو كان من قسم له قريباً منا ،  
 على معنى : أن هذه عاداتهم فى صدقهم وأمانتهم أبداً ، وأنهم داخلون تحت قوله تعالى ( كونوا  
 قوامين بالقسط شهادة لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ) . ﴿ شهادة الله ﴾ أى  
 الشهادة التى أمر الله بحفظها وتعظيمها . وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ، ثم ابتدأ الله بالمد ،  
 على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه . وروى عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه  
 أن منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام ، فيقول : الله لقد كان كذا .  
 وقرئ : للملائكة يحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وإدغام نون من فيها ، كقوله : عاد  
 لولى : فإن قلت : ما موقع تحبسونهما ؟ قلت : هو استئناف كلام ، كأنه قيل بعد اشتراط العدالة  
 فيهما ، فكيف نعمل إن ارتبنا بهما ، فتبيل : تحبسونهما فإن قلت : كيف فترت الصلاة بصلاة العصر  
 وهى مطلقة ؟ قلت : لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها ، أغنى ذلك عن التقييد ، كما قلت  
 فى بعض أئمة الفقه : إذا صلى أخذ فى الدرس علم أنها صلاة الفجر . ويجوز أن تكون اللام للجنس ،  
 وأن يقصد بالتحليف على أثر الصلاة أن تكون الصلاة لطفاً فى النطق بالصدق ، ونهاية عن الكذب  
 والزور ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) . ﴿ فإن عثر ﴾ فإن اطلع ﴿ على أنهما استحقا  
 إثماً ﴾ أى فعلاً ما أوجب إثماً ، واستوجبا أن يقال إنهما من الآثمين ﴿ فأخران ﴾ فشاهدان آخران  
 ﴿ يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم ﴾ أى من الذين استحق عليهم الإثم . معناه من الذين  
 جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته . وفى قصة بديل : أنه لما ظهرت خيانة الرجلين ، حلف  
 رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما ، وأن شهادتهما أحق من شهادتهما . و﴿ الأوليان ﴾  
 الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما . وارتفاعهما على : هما الأوليان كأنه قيل  
 ومن هما ؟ فقيل : الأوليان . وقيل : هما بدل من الضمير فى يقومان ، أو من آخران .

(١) فأما تحليف القامد . فلم أره . وأما تحليف الراوى فرواه أصحاب السنن الثلاثة : البزار وابن حبان من  
 رواية أسماء بن الحكم الفزارى عن على رضى الله عنه قال : إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فنفق  
 الله منه بما شاء أن ينفعنى ، وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته ، فإذا حلف لى صدقته قال : وحدثنى أبو بكر  
 - وصدق أبو بكر - الحديث ، قال الترمذى : حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وروى بعضهم هذا الحديث  
 موقوفاً ، أى المثنى دون القصة . وقال البزار : أسماء هذا مجهول .

ويجوز أن يرتفعوا باستحقاق، أى من الذين استحق عليهم انتداب الأوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال. وقرئ الأولين على أنه وصف للذين استحق عليهم، مجرور، أو منصوب على المدح. ومعنى الأولوية التقدم على الأجانب فى الشهادة لكونهم أحق بها. وقرئ: الأولين، (١) على التثنية، وانتصابه على المدح. وقرأ الحسن: الأولان، ويحتاج به من يرى رد اليمين على المدعى. وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون ذلك، فوجه عندهم أن الورثة قد ادعوا على النصارى أنهما قد اختانا خلفا، فلما ظهر كذبهما ادعىا الشراء فيما كتبا، فأذكر الورثة فكانت اليمين على الورثة، لإنكارهم الشراء. فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الأوليان على البناء للفاعل، وهم على وأبى وابن عباس؟ قلت: معناه من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة، أن يجزؤهما للقيام بالشهادة، ويظهروا بهما كذب الكاذبين (ذلك) الذى تقدم من بيان الحكم (أدنى) أن يأتى الشهداء على نحو تلك الحادثة (بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان) أن تكرر (٢) أيمان شهود آخرين بعد إيمانهم، فيفضحوا بظهور كذبهم كما جرى فى قصة بديل (واسمعوا) سمع إجابة وقبول.

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ (١٠٩) إِذْ قَالَ اللَّهُ لِبُعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَظْفَارِكَ فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَظْفَارِكَ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِأَظْفَارِكَ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَظْفَارِكَ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠)

(يوم يجمع) بدل من المنصوب (٣) فى قوله (واتقوا الله) وهو من بدل الاشتغال، كأنه

(١) قوله «وقرئ: الأولين» لعله «الأولين» فليحذر. (ع)

(٢) قوله «أن تكرر أيمان شهود» فى الصحاح «الكر» الرجوع. يقال: كره، وكر بنفسه يتعدى

ولا يتعدى. (ع)

(٣) قال محمود: «يوم يجمع بدل من المنصوب... الخ» قال أحمد: ويكون انتصابه إذا انتصاب المفعول به لا الطرف على حكم المبدل منه.

قيل : واتقوا الله يوم جمعه . أو ظرف لقوله ( لا يهدى )<sup>(١)</sup> أى لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم . أو ينصب على إضمار اذكر . أو يوم يجمع الله الرسل كان ككيت وكيت . و ( ماذا ) منتصب بأجبتكم<sup>(٢)</sup> انتصاب مصدره ، على معنى : أى إجابة أجبتكم . ولو أريد الجواب لقليل : بماذا أجبتكم . فإن قلت : ما معنى سؤالهم ؟ قلت : توبيخ قومهم ، كما كان سؤال المؤودة توبيخاً للوائد . فإن قلت : كيف يقولون ( لا علم لنا ) وقد علموا بما أجيبوا ؟ قلت : يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم ، فيكون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم<sup>(٣)</sup> وكابدوا من سوء إجابتهم ، إظهاراً للشك واللبس إلى ربهم في الانتقام منهم ، وذلك أعظم على الكفرة وأفت في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم ، إذا اجتمع توبيخ الله وتشكي أنبيائه عليهم . ومثاله أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه ، فيجمع بينهما ويقول له : ما فعل بك هذا الخارجى وهو عالم بما فعل به ، يريد توبيخه وتبكيته ، فيقول له : أنت أعلم بما فعلت في تفويضاً للأمر إلى علم سلطانه ، واتكالا عليه ، وإظهاراً للشكاية ، وتعظيماً لما حل به منه . وقيل : من هول ذلك اليوم يفرعون ويذهلون<sup>(٤)</sup> عن الجواب ، ثم يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم بالشهادة على أنفسهم . وقيل : معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به ، لأنك علام الغيوب . ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التى منها إجابة الأمم لرسالهم ، فكأنه لا علم لنا إلى جنب علمك . وقيل : لا علم لنا بما كان منهم بعدنا ، وإنما الحكم للخاتمة . وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين . وقرئ ( علام الغيوب ) بالنصب<sup>(٥)</sup> على أن الكلام قد تم بقوله ( إنك أنت ) أى إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص ، أو على النداء ، أو هو صفة لاسم أنت ( إذ قال الله ) بدل من ( يوم يجمع ) والمعنى : أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجاباتهم ، وتبديد

(١) عاد كلامه . قال : « أو ظرف لقوله لا يهدى القوم الفاسقين ... الخ » قال أحمد : وهو على هذا أيضاً مفعول به .

(٢) عاد كلامه . قال : « وماذا منتصب بأجبتكم انتصاب مصدره على معنى أى إجابة ... الخ » قال أحمد : والتعظيم في هذا نحو التعظيم بالسكوت عن الصلة في مثل : ما حصل إلا بعد التلى .

(٣) قوله « بما منوا به منهم » أى ابتلوا . وفي الصراح « منيته » و « منوته » إذا ابتليته . (ع)

(٤) عاد كلامه . قال : « وقيل من الهول والفرع يذهلون عن الجواب ... الخ » قال أحمد : وأيضاً فالمسؤول عنه إجابته عند دعائهم إياهم إلى الله ، لا ما حدث بعد ذلك مما لا يتعلق به علم الرسل ، والله أعلم .

(٥) عاد كلامه . قال : « وقرئ : علام الغيوب بالنصب ... الخ » قال أحمد : ويكون هذا من باب

• أنا أبو التجم وشعري وشعري •

وقد مر قبل آيات . وإنما ذكرت هذه الثلاثة من الأعراب لالتباسها إلا على الحذاق وقليل ما هم .

ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام ، فكذبوه وسموهم سحرة . أو جاوزوا حد التصديق إلى أن اتخذوهم آلهة ، كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر على يد عيسى عليه السلام من البيئات والمعجزات ( هذا سحر مبين ) واتخذوه بعضهم وأمه إلهين ( أيدتك ) قوتك . وقرئ أيدتك ، على أفعلتك ( بروح القدس ) بالكلام الذي يحيا به الدين ، ولأضافه إلى القدس ، لأنه سبب الطهر من أوضار الآثام . والدليل عليه قوله تعالى ( تكلم الناس ) و ( في المهد ) في موضع الحال ، لأن المعنى تكلمهم طفلا ( وكهلا ) إلا أن في المهد فيه دليل على حد من الطفولة . وقيل روح القدس : جبريل عليه السلام ، أيد به لتثبيت الحجة . فإن قالت : ما معنى قوله ( في المهد وكهلا ) ؟ قلت : معناه تكلمهم في هاتين الحالتين ، من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين السكولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ فيه الأنبياء ( والتوراة والإنجيل ) خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة ، لأن المراد بهما جنس الكتاب والحكمة . وقيل ( الكتاب ) الخط . و ( الحكمة ) الكلام المحكم الصواب ( كهيئة الطير ) هيئة مثل هيئة الطير ( يا ذئب ) بتسهيل ( فتنفخ فيها ) الضمير للكاف ، لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى عليه السلام وينفخ فيها ، ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها ؛ لأنها ليست من خلقه ولا من نفخه في شيء . وكذلك الضمير في فتكون ( تخرج الموتى ) تخرجهم من القبور وتبعثهم . قيل : أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية ( وإذ كففت بني إسرائيل عنك ) يعني اليهود حين هموا بقتله . وقيل : لما قال الله تعالى لعيسى ( اذكر نعمتي عليك ) كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول : مع كل يوم رزقه ، لم يكن له بيت فيخرب ، ولا ولد فيموت ، أينما أمسى بات .

وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَّسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَآشَهِدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ۝ (١١١) إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَمَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ

عَذَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ (١١٥)

(أوحيت إلى الخوازيين) أمرتهم على السنة الرسل (مسلمون) مخلصون ، من أسلم وجهه لله (عيسى) في محل النصب على إتباع حركة الابن ، كقولك : يازيد بن عمرو ، وهي اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموما كقولك : يازيد بن عمرو . والدليل عليه قوله :

أَحَارِبُ بْنُ عَمْرِو كَأَنِّي حِمْرٌ وَيَبْدُو عَلَى الْعَرِ مَا بَأْتِمُرُ<sup>(٢)</sup>

لأن الترخيم لا يكون إلا في المضموم . فإن قلت : كيف قالوا (هل يستطيع ربك) بعد إيمانهم وإخلاصهم<sup>(٣)</sup> ؟ قلت : ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص ، وإنما حكي ادعائهم لها ، ثم أنبئه

(١) أحار بن عمرو كأنى حمر . ويبدو على المرء ما ياتر  
ولا وأبيك ابنة العامرى لا يدعى القوم أنى أفر

لأمرى القيس بن حجر . وقبل لربيعة بن جشم النيني . والهمزة للداء . و «حار» مرخم ، أصله حارث ضم على لغة من لا ينتظر الحذوف . واللغة المشهورة معاملته معاملة التام ، كما أن المشهور أيضا فتح العلم المذاوى الموصوف بـ ابن مضاف إلى علم آخر إتباعا لنصب ابن . ويجوز ضمّه كما هنا ، لأن الترخيم لا يكون إلا في المضموم لأن المفتوح إتباعا كالمركب مع ما بعده . والترخيم لا يأتي في الوسط ، ولأنه لو كان مفتوحا وضم في الترخيم لكان فيه إخلال بالفتحة المجنبة للتناسب . والخز - كحدر : الذى خالطه داء فغطى عقله . والخز - كسب : كل ماستر من بناء أو شجر . ثم تذكر السبب في ذلك وهو مطاوعته مالا تنبغي مطاوعته فقال : ويبدو على الإنسان اتباره ، أى امتثاله لأمر غيره . ويجوز أن «ما» موصولة ، أى الذى يمثله من أمر من لا يعرف عواقب الأمور ، أو من أمر نفسه وهواه . وشبه ذلك بمن يصح منه العدوان ، على طريق الكناية . ويروى ويبدو على المرء ، أى يشرف عليه ويظهر له عاقبة امتثاله لما لا ينبغي امتثاله . وكثير يعتمد فاصلتى هذا البيت بالتونين العالى ، لكن أنكره الزجاج والسيراى ، لأنه يكسر الوزن . وجعله ابن يعيش من تونين الترخيم ، بناء على أنه جلب الترخيم لا لقطعه ، فلا يختص بالقوافي . المطلقة ، بل يدخل المقيدة كما هنا . والمشهور تحريك ما قبله بالكسر . واختار ابن الحاجب الفتح . وجوز بعضهم تحريكه بما كان يستحقه لولا السكون . وبعض أجاز اجتماع الساكنين . ودخول «لا» النافية قبل القسم سائغ شائع في لسان العرب ، لأنه غالبا يكون رد دعوى الخصم ونفيها . فالتقدير : ولا يحصل ذلك وحق أهلك ، ولو كانت زائدة محضا لكانت الواو في التقدير داخلية على واو القسم . وروى بخذف الواو الأولى : أى وحق أهلك بالإنبة العامرى لأقر من الحرب أصلا ، فلا يدعيه أحد على . فبنى الادعاء كناية عن نفي الفرار على أبلغ وجه .

(٢) قال محمود : فإن قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد إيمانهم وإخلاصهم . في قوله (وإذا أوحيت إلى الخوازيين أن آمنوا بي وبرسولى قالوا آمنا واثقنا بأننا مسلمون) . قال : قلت ما وصفهم بالإيمان والاخلاص وإنما حكي ادعائهم لها ... الخ . قال أحمد : وقيل إن معنى (هل يستطيع) هل يفعل ، كما تقول للقادر على القيام : هل يستطيع أن تقوم : مبالغة في التقاضى . ونقل هذا القول عن الحسن ، فعلى هذا يكون إيمانهم سالما عن قبح الشك في القدرة ، فإن استقام التعبير عن الفعل بالاستطاعة فذاك . والله أعلم . من باب التعبير عن المسبب بالسبب ، إذ الاستطاعة من جملة أسباب الإيجاد وعلى عكبيه التعبير عن إرادة الفعل بالفعل ، تسمية بالسبب الذى هو الإرادة ، باسم المسبب الذى هو الفعل ، في مثل قوله (إذا قمتم إلى الصلاة) وقد مضى أول السورة . وفى هذا التأويل الحسن تعضيد لتأويل أبى حنيفة ، حيث جعل الطول المانع من نكاح الأمة وجود الحرة في العصمة . وعدمه أن لا يملكك عصمة الحرة وإن كان قادراً على ذلك ، فتباح له حيثنذ الأمة . وحمل قوله : (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات) على معنى : ومن لم يملك منكم ، وحمل النكاح على الوطء ، فجعل استطاعة الملك المنفية هي الملك =

قوله (إذ قالوا) فإذا إن دعواهم كانت باطلة، وإنهم كانوا شاكين، وقوله (هل يستطيع ربك) كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه: اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته، ولا تقترحوا عليه، ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتملكوا إذا عصيتهم بعدهما ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة. وقرئ: هل يستطيع ربك، أى هل يستطيع سؤال ربك، والمعنى: هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله. والمائدة: الخوان<sup>(١)</sup> إذا كان عليه الطعام، وهى من مآذبه، إذا أعطاها ورثه كأنها تميد من تقدم إليه ﴿وتكون عليها من الشاهدين﴾ تشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بنى إسرائيل، أو تكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة، عاكفين عليها، على أن عليها فى موضع الحال، وكانت دعواهم لإرادة ماذكروا كدعواهم الايمان والاخلاص. وإنما سأل عيسى وأجيب ليلزموا الحجة بكاملها ويرسل عليهم العذاب إذا خالفوا. وقرئ: ويعلم، بالياء على البناء المفعول. وتعلم. وتكون، بالياء. والضمير للقلوب ﴿اللهم﴾ أصله يا الله، لحذف حرف النداء، وعوضت منه الميم. و﴿ربنا﴾ نداء ثان ﴿تكون لنا عيداً﴾ أى يكون يوم نزولها عيداً. قيل: هو يوم الأحد. ومن ثم اتخذ النصرى عيداً، وقيل: العيد السرور العائد، ولذلك يقال: يوم عيد، فكان معناه: تكون لنا سروراً وفرحاً. وقرأ عبدالله: تكن، على جواب الامر. ونظيرهما: يرثى، ويرثى ﴿لأولنا وآخرنا﴾ بدل من لنا بتكرير العامل، أى لمن فى زماننا من أهل ديننا، ولمن يأتى بعدنا. وقيل: يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم: ويجوز البقدين منا والاتباع. وفى قراءة زيد: لأولنا وآخرنا، والتأنيث بمعنى الأمة والجماعة ﴿عذاباً﴾ بمعنى تعذيباً. والضمير فى (لا أعذبه) للمصدر. ولو أريد بالعذاب ما يعذب به، لم يكن بد من الباء. وروى أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفاً، ثم قال: اللهم أنزل علينا، فزلت سفرة حمراء بين غمامتين: غمامة فوقها وأخرى تحتها، وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى عليه السلام وقال: اللهم اجمعنى من الشساكرين، اللهم اجمعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة، وقال لهم: ليقم أحسنكم علماً يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها. فقال شمعون رأس الخواريين: أنت أولى بذلك، فقام عيسى وتوضأ وصلى وبكى، ثم كشف المنديل وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسماً. وعند

كما ترى، حتى أن القادر غير المسالك عادم الطول عنده فينبكح الأمة. وقد مضى ذكر مذهبه، وكنت استبعد إنجازه لأن يكون تأويلاً يشمله اللفظ ويساعده الاستعمال، حتى رقت على تفسير الحسن هذا والله أعلم.

(١) قوله «والمائدة الخوان» فى الصحاح «الخوان» بالكسر: الذى يؤكل عليه، معرب. وقوله «من مآذبه» الذى فى الصحاح «مآذ» تحرك. و«مآذ» الأغصان» تمايلت اه. . . (ع)

رأسها ملح ، وعند ذنبها خل ، وحوها من ألوان البقول ما خلا الكراث ، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون ، وعلى الثاني عسل ، وعلى الثالث سمن ، وعلى الرابع جبن ، وعلى الخامس قديد . فقال شمعون : ياروح الله ، أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة ؟ فقال : ليس منهما ، ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية ، كلوا ماسألتم واشكروا يمدكم الله ويزدكم من فضله : فقال الحواريون : ياروح الله ، لو أرينا من هذه الآية آية أخرى ، فقال باسمك احي ياذن الله ، فاضطربت . ثم قال لها : عودي كما كنت ، فعادت مشوية . ثم طارت المائدة ، ثم عصوا بعدها ففسخوا قردة وخنازير . وروى أنهم لما سمعوا بالشرطة وهي قوله تعالى (فن يكفر بعد منكم فإن أعذب) قالوا لا نريد فلم تنزل . وعن الحسن : والله ما نزلت ، ولو نزلت لكان عيداً إلى يوم القيامة ، لقوله (وآخرنا) . والضحج أنها نزلت .

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ آتِيحُذُونِي وَأَعْمَى إِلَهِي  
مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ  
قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ (١١٦)

(سبحانك) من أن يكون لك شريك (ما يكون لي) ما ينبغي لي (أن أقول) قولاً لا يحق لي أن أقوله (في نفسي) في قلبي والمعنى : تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ، ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه ، فقيل (في نفسك) لقوله في نفسي (إنك أنت علام الغيوب) تقرير للجملتين معاً ، لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ، ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي إليه علم أحد .

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ  
شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)

وأنه في قوله (أن أعبدوا الله) <sup>(١)</sup> إن جعلها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر . والمفسر إما

(١) قال محمود : وأن في قوله (أن أعبدوا) إن جعلها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر ... الخ ، قال أحد : وقد أجاز بعضهم وقوعه ، لأن المفسرة بعد لفظ القول ، ولم يقتصر بها على ما في معناه ، فيجوز على هذا القول وقوعها تفسيراً لفعل القول . وقد أتى الرغش في مفصلة وقوعها إلا بعد فعل في معنى القول كذبه هنا .

فعل القول وإما فصل الأمر ، وكلاهما لا وجه له . أما فعل القول فيحكي بعده الكلام من غير أن يتوسط بينهما حرف التفسير ، لا تقول : ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله . ولكن : ما قلت لهم إلا اعبدوا الله . وأما فعل الأمر ، فسند إلى ضمير الله عز وجل . فلو فسرته باعبدوا الله ربى وربكم لم يستقم ؛ لأن الله تعالى لا يقول : اعبدوا الله ربى وربكم ، وإن جعلتها موصولة بالفعل <sup>(١)</sup> لم تخل من أن تكون بدلا من ما أمرتني به ، أو من الهاء <sup>(٢)</sup> في به ، وكلاهما غير مستقيم ؛ لأن البدل هو الذى يقوم مقام المبدل منه . ولا يقال : ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله ، بمعنى ما قلت لهم إلا عبادته ؛ لأن العبادة لا تقال . وكذلك إذا جعلته بدلا من الهاء لأنك لو أقت (أن اعبدوا الله) مقام الهاء ، فقلت : إلا ما أمرتني بأن اعبدوا الله ، لم يصح ، لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته . فإن قلت : فكيف يصنع ؟ <sup>(٣)</sup> قلت يحمل فعل

(١) عاد كلامه . قال : «وأما فعل الأمر فسند إلى ضمير الله عز وجل ... الخ» قال أحمد : ويجوز أيضا هذا الوجه على صرف التفسير إلى المعنى ، كأنه حكى معنى قول الله عز وجل له بعبارة أخرى ، وكأن الله تعالى قال له : مرهم بعبادتي ، أو قال لهم على لسان عيسى : اعبدوا الله رب عيسى وربكم ، فلما حكاه عيسى عليه السلام قال : اعبدوا الله ربى وربكم ، فكبنى عن اسمه الظاهر بضميره ، كما قال الله تعالى حكاية عن موسى (قال عليها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الأرض مهداً وملك لكم فيها سبيلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) فانظر كيف جاء أول الكلام حكاية لقول موسى ، وموسى لا يقول : فأخرجنا . ولكن فأخرج الله ، فلما حكاه الله تعالى عن موسى رد الكلام إليه تعالى ، وأضاف الإخراج إلى ذاته على طريقة المتكلم لا المخاطب ، وكذلك قوله تعالى (ليقولن خلقوهن العزيز المليم) إلى قوله (فأنشرنا به بلدة ميتا) ونظائره كثيرة . وقد قدمت تحوياً من هذا البحث عند قوله تعالى حكاية عن اليهود (إننا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) لما استبعد الزمخشري أن تصفه اليهود بهذه الصفات المنافية لاعتقادهم فيه .

(٢) عاد كلامه . قال : «وإن جعلت أن موصولة مع فعل الأمر ... الخ» قال أحمد : أى فلا يقدر بالعبادة ولكن بالأمر بها ، كأنه قيل : ما قلت لهم إلا الأمر بالعبادة لله ، والأمر مقول لقلت ، على أن جعل العبادة مقولة ليس بيبعد ، على طريقة (ثم يمدون لما قالوا) أى للوطء الذى قالوا قولاً يتعاق به . وكقوله تعالى (وترثه ما يقول ويأتينا فردا) وسبأى له تصحيح هذا الاستعمال لوروده كثيراً فى القرآن الكريم .

(٣) عاد كلامه . قال : «وكذلك إذا جعلته بدلا من الهاء لأنك ... الخ» قال أحمد : وهذا أيضا غير مانع من البدل ، وإنما يواجه المصنف بما لا يسهل إنكاره ، فقد قال فى مقصده ما هذا نصه : وقولهم : إن البدل فى حكم تنحية الأول ، إيدان منهم باستقلاله بنفسه ومعارفته للتأكد والصفة فى كونهما اسمين لما يتبعانه ، لا أن يعنوا إمداد الأول وإطراحه . ألا تراك تقول : زيدا رأيت غلامه رجلا صالحا ، فلز ذهبت إلى إمداد الأول لم يسند كلامك . فانظر كيف يرد كلامه فى المفصل وهو الحق ما ارتكبه من رد البدل فى هذه الآية ، للزوم طرح الأول فتخلو الصلة من الضمير : ولم يجعل هذا القدر مانعا فى المثل المذكور . مع أنك لو طرحت الأول لحلا الخبر من الضمير العائد ولم يسند الكلام . فهذه وجوه أربعة تمنعنا فى إعراب وأن وكلها مستندة حسبا بيننا . وهذه المساجلة فى هذا الإعراب من التور والحجول فى صناعة الإعراب وعلم البيان . وفرسان هذا المضمار قليل .

(٤) عاد كلامه . قال : فان قلت كيف يصنع ؟ قلت : يحمل فعل ... الخ» قال أحمد : هذا التأويل لتوقع أن المفسرة بعد فعل فى معنى القول ، وليس قولاً صريحا . وحل القول على الأمر بما يصحح المذهب الآخر فى إجازة



القول على معناه : لأن معنى ( ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ) . ما أمرتهم إلا بما أمرتني به ، حتى يستقيم تفسيره بأن عبدوا الله ربكم ، ويجوز أن تكون (١) عطف بيان للنهائ لا بدلاً ( وكنت عليهم شهيداً ) رقيباً كالشاهد على المشهود عليه ، أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به ( فلما توفيتني كشت أنت الرقيب عليهم ) تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة ، وأنزلت عليهم من البينات ، وأرسلت إليهم من الرسل ( إن تعذبهم فإنهم عبادك ) الذين عرقتهم عاصين جاحدين لا يأتوك مكذبين لأنبيائك ( وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز ) القوى القادر على الثواب والعقاب ( الحكيم ) الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب . فإن قلت : المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال ( وإن تغفر لهم ) (٢) ؟ قلت : ما قال إنك تغفر لهم ، ولكنه بنى الكلام على : إن غفرت ، فقال : إن عذبتهم عدلت ، لأنهم أحقاء

== وقوعها بعد القول ، فانه لو لا ما بين القول والأمر من التفاوت المعنوي ، لما جاز إطلاق إحداهما وإرادة الأخرى . والعجب أن الأمر قسم من أقسام القول ، وما بينهما إلا عموم وخصوص . وليس في هذا التأويل الذي سلمه إلا كلفة لاطائل ورأى . ولو كانت العرب تأتي وقوع المغفرة بعد القول . لما أوقعتها بعد فعل ليس بقول . ثم عبرت عن ذلك الفعل بالقول : لأن ذلك كالعود إلى ما وقع القرار منه وهم بداء من ذلك .

(١) عاد كلامه . قال : ويجوز أن تكون أن موصولة ... الخ ، قال أحد : يريد يجعله عطف بيان أن يسلم من تقدير إطراح الأول في البدل وخلو الصلة حينئذ من العائد . وقد بينا أن ذلك غير لازم في البدل . والعجب أنه أيضاً في مفضله لم يفصل بين عطف البيان والبدل ، إلا في مثل قول المزار :

\* أنا ابن البارك البكرى بشر \*

لأنه لو جعله بدلاً لزم تكرير العامل ، وإضافة اسم الفاعل المعروف بالآلاف واللام إلى العلم ولم يفصل بينهما في غير هذا المثال ومن حيث المعنى أن المتمد في عطف البيان الأول . وأما الثاني فلتوضيح . والمتمد في البذل الثاني . وأما الأول فبساط لذكره ، لا على أنه مطرح مهدر .

قال محمود : إن قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال ( وإن تغفر لهم ) ... الخ ؟ قال أحد رحمه الله : تذبذب الزعشري في هذا الموضع فلا إلى أهل السنة ولا إلى القدرية . أما أهل السنة ، فالمغفرة للكافر جائزة عندهم في حكم الله تعالى عقلاً ، بل عقاب المتقي المحض كذلك غير ممنوع عقلاً من الله تعالى ، وإذا كان كذلك فهذا الكلام خرج على الجواز العقلي ، وإن كان السمع ورد بتعذيب الكفار وعدم الغفران لهم ، إلا أن ورود السمع بذلك لا يرفع الجواز العقلي . وأما القدرية فيزعمون أن المغفرة للكافر ممنوعة عقلاً ، لا يجوز على الله تعالى لمنافاتها الحكمة ، فنثم كفحتهم هذه الآية بالرد ، إذ لو كان الأمر كزعمهم لما دخلت كلمة ( إن ) المستعملة عند الشك في وقوع الفعل بعدما لغي في فعل لا شك في عدم وقوعه عقلاً ، ولكان ذلك من باب التعليق بالاحتمال ، كأن يبيض القار وأشباهه . وليس هذا مكان . فنقول الزعشري إن ( إن ) يغفر لهم لم يعدم وجهاً من الحكمة في المغفرة لأن العفو عن المجرم حسن عقلاً لا يأنف بقواعد السنة ، إذ لا يأنف عندهم إلى التحسين العقلي ، ولا يأنف أيضاً بزيغات القدرية ، لأنهم يجزمون بأنه لا وجه من الحكمة في المغفرة للكافر ، ويقطعون بمنافاتها الحكمة ، فكيف يخاطب الله تعالى به ، فعمل أن عيسى عليه السلام يبرأ إلى الله من هذا الإطلاق وما اشتمل عليه من سوء الأدب ، فان قول القائل لمن يخاطبه : ما فعل كذا فلن يعدم فيه عنراً ووجهاً من المصلحة كلام مبدول وعبارة نازلة عن أرفى مراتب الأدب ، إنما يطلقها المتكلم لمن هو دونه عادة ، فنسأل الله إلهام الأدب وتجنب ما في إساءته من مولات العطب .

بالعذاب، وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول. بل متى كان الجرم أعظم جرماً كان العفو عنه أحسن.

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾

قرئ ﴿هذا يوم ينفع﴾ بالرفع والإضافة. وبالنصب إما على أنه ظرف لقال. وإما على أن (هذا) مبتدأ، والظرف خبر. ومعناه. هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع. ولا يجوز أن يكون فتحاً، كقوله تعالى (يوم لا تملك) لأنه مضاف إلى متمكن. وقرأ الأعمش: يوم ينفع، بالتثنية، كقوله تعالى (واقفوا يوماً لا تجزى نفس) فإن قلت: مامعنى قوله ﴿ينفع الصادقين صدقهم﴾؟ إن أريد صدقهم<sup>(١)</sup> في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل، وإن أريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه؛ لأنه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة؟ قلت: معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم. وعن قتادة: متكلمان تكلماً يوم القيامة. أما إبليس فقال: إن الله وعدكم وعد الحق، فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذباً، فلم ينفعه صدقه. وأما عيسى عليه السلام فكان صادقاً في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه.

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

فإن قلت: في السموات والأرض والعقلاء وغيرهم، فهلا غلب العقلاء، فقليل: ومن فيهن؟ قلت: وما يتناول الأجناس كلها تناولاً عاماً. ألا تراك تقول إذا رأيت شبحاً من بعيد: ما هو؟ قبل أن تعرف أعاقل هو أم غيره، فكان أولى بإرادة العموم. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس في الدنيا،<sup>(٢)</sup>

(١) قال محمود «إن قلت مامعناه، إن أريد صدقهم في الآخرة... الخ» قال أحمد: ولو أجاز بحمل الصادقين على الدنيا وصدقهم على الآخرة حتى يكون التقدير: هذا يوم ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة، لكان أوضح طباقاً لتفسير قتادة، وأخرج لابليس وأشباهه من هذا العموم؛ فإن إبليس وإن صدق في الآخرة، إلا أنه لم يكن من الصادقين في الدنيا، فلم ينفعه صدقه في الآخرة، والوجهان متقاربان.

(٢) تقدم إسناده إلى أبي بن كعب في تفسير آل عمران.

تم بعون الله تعالى الجزء الأول  
ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء الثاني  
وأوله : سورة الأنعام

